أنيس حكمت أبو حميد

إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا

إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا

حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٤م

print@2nees.com

النسخة الرقمية نسخة مجانية ومتاحة للتحميل مباشرة من خلال الرابط التالي:

https://2nees.com/page/led-to-paradise-in-groups

أو امسح الكود التالي:

النسخة الورقية نسخة غير ربحية، ويمكن الحصول عليها بسعر رمزي، وتتحمل دار النشر مسؤولية التلاعب بالأسعار!

الفهرس

إهداء.. ٦

كلمة من المدقق اللغوي.. ٧

المقدمة ٩

رسالة خاصة لأبنائي ١٣

كيف تقرأ الكتاب؟ ١٥

ما يرمي له الكتاب وما يتوقعه الكتاب من القارئ؟................................ ١٨

القائمة تبدأ من هنا: ١٩

أمراض خفية وعلاج عظيم، وفوائد كثيرة ٧٧١

الخاتمة.. ٧٨٣

فهرس النقاط.. ٧٩٣

الأخلاق والصفات.. ٧٩٣

العلم... ٧٩٩

لحقوق والمعاملات.. ٨٠١

المعاصي والآثام والذنوب العظام ٨٠٢

ونفس وما سواها.. ٨٠٤

الذاكرين والذاكرات........................ ٨٠٥

البلاء.. ٨٠٥

انشراح الصدر وحب الخير........................ ٨٠٦

الحق أولى بالاتباع............................... ٨٠٧

له الأسماء الحسنى............................... ٨١٠

القرآن الكريم..................................... ٨١٢

الثواب والعقاب................................... ٨١٣

غيبيات.. ٨١٣

الأنبياء -عليهم السلام-......................... ٨١٤

الجهاد.. ٨١٤

أُخرى.. ٨١٥

المراجع... ٨١٦

إهداء

إلى من لهما عليَّ فضل بعد الله -سبحانه وتعالى-، أبي وأمي حفظهما الله وغفر لهما، إليهما أهدي هذه الكلمات، فإنهم قدما إلي من الخير الذي ساقه الله -سبحانه وتعالى- إليهما؛ الكثير، ومع ذلك، فإن أعظم ما أذكره لهما، وأدعو لهما لأجله، تربيتي على «تعظيم الله -سبحانه وتعالى- وأوامره»، حتى أنهما لم يكونا يجبراني على ما ترجح عندي حرمته، ولو فعلاه!، بل كانا إذا سمعا قول الله -سبحانه وتعالى- وذُكّرا به، رضيا وأخذا بساعدي حتى أسير إلى الله -سبحانه وتعالى-، وهذه الخصلة لوحدها، كانت كفيلة بأن تنسيني كل ما قدماه من خير لي؛ لعظمها في نفسي!، فأسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يجزيهما خير الجزاء على ما قدماه لنا، وأن يغفر لنا تقصيرنا في حقهما، فنحن لم نبلغ معشار ما بذلا لأجلنا ولن نبلغ...

إلى زوجتي الغالية، إلى منبع المشاعر الدافئة، إلى التي حملت معي ثقل هذا الكتاب، بصبرها وتحملها أثقال هذا العلم، فجزاها الله -سبحانه وتعالى- كل خير...

إلى إخوتي الذين لم يدخروا جهدًا في إظهار محبتهم لي دومًا، وإلى أخواتي اللواتي لم يدخرن عطفًا وحبًا ينبع من قلوبهن إلا وقدمنه لي...

إلى رواد الدعوة، وشباب الأمة، وإلى عباد الله الصالحين وأوليائه المخلصين...

كلمة من المدقق اللغوي

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، والصلاة والسلام على إمام الهداة، وسيد الدعاة، محمد بن عبد الله، وبعد.

فلما جاءني مؤلف هذا الكتاب، وعرض عليّ القيام بتدقيق الكتاب سعدت أيما سعادة، فكم كنت شغوفة بالتفسير وما يتعلق به من العلوم وبتدبر القرآن الكريم! ووجدت هذا الكتاب نتاج قراءات متعمقة ومتأنية في كتاب الله وكتب التفسير، وقد بذل المؤلف فيه جهدًا أسأل الله أن يجعله مباركًا، كما كان يتحرى الدقة والصحة فيما يكتبه.

وقد ازدادت سعادتي بهذا الكتاب كلما تعمقت فيه، فكنت أجد نفسي أتوقع أحيانًا ما سأقرأ من استشهادات أو معانٍ، وقد اتفاجأ تمامًا بالمعلومات القيمة التي فيه، ومع طول بعض نقاط هذا الكتاب، فلم أكن أشعر بالملل، ففيها العديد من الكنوز والاقتباسات من كتب المفسرين.

وقد استعنت بالله، وسألته السداد والتوفيق ثم عملت جاهدة على:

١. تحري الدقة في الألفاظ المستخدمة لتوصيل المعنى المراد بلا زيادة أو نقصان.

٢. المحافظة على أسلوب المؤلف وصياغته وألفاظه، وعدم التدخل فيها اللهم إلا إذا كان فيها خطأ.

٣. اتبعت في التدقيق الإملائي المذهب الذي رأيته صوابًا، حيث:

- رسمت التنوين بالفتح على الحرف الذي يسبق الألف، وليس على الألف.
- نقطت الياء ليسهل التفرقة بين الياء والألف اللينة.
- اعتبرت الهمزة المتوسطة توسطًا عارضًا مثل المتوسطة في الحكم.
- عند وجود واو وهمزة يجب رسمها على واو، اتبعت مذهب الاستكراه، فكتبت رءوس، مسئول، وهكذا..

هذا وما كان من توفيق فمن الله، وما كان من خطأ أو من نسيان فمني ومن الشيطان.

إسراء منصور.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، يُحب من دعاه خفيًا، ويُجيب من ناداه نجيًّا، ويزيدُ من كان منه حيِيًّا، ويُكرم من كان له وفيًّا، ويهدي من كان صادق الوعد رضيًّا، الحمد لله ربّ العالمين.

يهدف هذا الكتاب إلى تحويل مكارم الأخلاق من مجرد كلام ترويه البيئة المحيطة لكل فئة وتتوارثه، أو من مجرد تجارب وعادات لكل منطقة، إلى أسلوب حياة يمكن العيش به، مع استنباطه من المرجع الأول لأمة محمد ﷺ؛ ألا وهو القرآن الكريم.

إن قضية الأخلاق ومكارمها قضية مهمة، قال فيها رسول الله ﷺ: **"بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صالِحَ الأخْلاقِ"**(١)، ومن هنا كانت البداية، والتي سرعان ما تحولت إلى تساؤلات كثيرة، أولها كيف يمكن للإنسان أن يحيا وهو جاهل بربه؟!

وكيف له أن يحيا وهو جاهل بنفسه؟!

وكيف يمكن للمسلم أن يحيا بالقرآن الكريم؟!

وكيف يمكنه أن يربي نفسه ويهيئها ليسير في طريق التزكية؟

وكيف يمكن للمسلم أن يربي أبناءه؟!

وكيف يمكن للمسلم أن يتعامل مع زوجه وجاره ووالديه وولده؟!

---

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الجامع | الصفحة أو الرقم: ٢٨٣٣ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

وكيف يمكن لصاحب العمل والعامل أن يكونا كالنسيج الواحد، فتتحقق المصلحة لكليهما؟!

وكيف يمكن للمسلم أن يدرك حقوقه وواجباته؟!

وكيف يمكن للمسلم أن يدرك أهمية الحاجة لوجود خالق عظيم يدير أمره ويهديه إلى طريق الصواب؟!

وكيف يمكن للمسلم أن يتداوى من أمراض القلوب، ظاهرة كانت أو باطنة؟!

ومتى يصبح المسلم عزيزًا؟!

وكيف للإنسان أن يجعل الله -سبحانه وتعالى- قبل كل شيء؟!

وكيف يغوص الإنسان في أعماقه ليعرف نفسه حق المعرفة، فيدرك عيوبه ومواطن قوته؟!

وكيف ينظم علاقاته مع غيره؟!

وهل يستطيع أن يحيا بالأخلاق الطيبة، وأن يضبط مشاعره في المواقف المختلفة، كالشدة واللين، والكره والحب؟!...إلى آخره.

كل هذه الأسئلة وغيرها، كانت تدور في مخيلتي حتى بدأت بالبحث عن إجابات تروي ظمئي، لكنني لم أجد، بحثت وقرأت العديد من الكتب دون أن أجد ما أصبو إليه!، ليس لأن هذه العناوين غير موجودة، أو ضعيفة، بل لأنني بحثت عن فكرة محددة في الإجابة عن هذه التساؤلات.

ومن هنا، هداني الله -سبحانه وتعالى- لفكرة حسبتها لؤلؤية، وهي لماذا لا أبدأ بأسمى الكتب وأجلها وأحبها للمسلمين؟!، لماذا لم أبدأ بكتاب الله -سبحانه وتعالى- قبل أي كتاب؟!، كيف لي أن أنسى كتاب الله -سبحانه وتعالى- إلى أن وصلت إلى هذا العمر؟! فانطلقت حينها متوجهًا إلى كتاب الله -سبحانه وتعالى-، واستعنت به؛ وهو من هداني ووفقني لذلك -الحمد لله-!، ثم اخترت من التفاسير ما يسره الله -سبحانه وتعالى- لي في هذه الرحلة...

ما إن بدأت هذه الرحلة، إلا وتفاجأت بالكنوز العظيمة التي حواها هذا الكتاب العظيم!، اهتزت نفسي وارتعدت، وبدأت تكتب ما وفقها الله -سبحانه وتعالى- لتكتبه!، فتحولت الفكرة عندي من مجرد ملخص أحتفظ به لنفسي أو ملخص أشاركه مع الخاصة، إلى كتاب أشاركه مع عامة المسلمين!، كتاب فيه من القواعد ما يخط دستورًا لكل مسلم... كتاب لكل من يريد أن يقي نفسه وأهله نارًا عظيمة... كتاب لمن يريد النجاة مع زمرة الناجين... كتاب لمن اتقى الله -سبحانه وتعالى- ليساق إلى الجنة فرحًا مستبشرًا مع زمرته من المؤمنين!، قال تعالى في سورة التحريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾، وقال تعالى في سورة الزمر: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾.

اعلم يا أخي أن هذا الكتاب بُني ليجيب عن الأسئلة السابقة، إجابة سهلة

نوجزها أحيانًا ونطنب أو نستطرد حسب ما يقتضيه السياق أحيانـًا أخرى... إجابة يسهل على القارئ فهمها أو ربطها بالواقع... إجابة تدعو الإنسان ليقرأ القرآن الكريم بنفسه، وأن يتعلم منه، وأن يأخذ منه العبر، وأن يطبق ما فيه!، إجابة تدعو القارئ ليقرأ ما ينفعه، ويعمل ويجتهد بما قرأ من الخير!

على بركة الله تعالى، نبدأ هذا العمل المتواضع، سائلين المولى عز وجل أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأن يتقبل منا هذا العمل ويجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، ويكون طريق هداية لغير المسلمين وسببًا في إسلامهم، والله أكرم وثوابه أعظم!، ونسأله أن يعيننا على إنجازه وإتمامه بأفضل حال، هذا فما وُفقنا إليه من التمام، فإن أصبنا فمن الله -جل في علاه-، وإن أخطأنا فمن أنفسنا وذنوبنا، والله المستعان، وبيده الأمر، وعليه فليتوكل المتوكلون.

فهيا بنا لنكون من عباد الله المتقين، هيا بنا إلى الجنة زمرًا...

رسالة خاصة لأبنائي

أعلم أنكم لم تبصروا النور بعد، ولا أدري متى سيكون ذلك!، لكن ما أجزم به يقينًا أن الله -سبحانه وتعالى- هدانا للإسلام، ورزقنا كتابًا عظيمًا نستمد منه الدروس والعبر، نستمد منه الحق ونتبعه، هو مركز الأخلاق ومنبعها، هو النجاة لمن كتب الله -سبحانه وتعالى- لهم النجاة!

إن واحد من أهم الأسباب لكتابتي لهذا الكتاب، هو أنني أريدكم أن تكونوا من جند الإسلام، ممن عرف الإسلام على حقيقته، واعتز به، وعمل بما تعلم منه!، إن هذا الكتاب يمثل مجموع القواعد التي تعلمتها من كتاب الله -سبحانه وتعالى-، وكنت أرغب في تعليمكم إياها كما تعلمتها، ولم أجد وسيلة أخرى غير الكتاب للحفاظ على ما أريد تعليمكم بأبسط طريقة ممكنة، وذلك حتى يشتد عودكم قليلًا، هذا الكتاب مقدم لكم ليكون معكم دومًا وبجانبكم، ليعلمكم حتى وإن قدر الله -سبحانه وتعالى- لي الموت قبل ذلك!، وقبل هذا كله، تذكروا أن كتاب الله -سبحانه وتعالى- وسنة المصطفى ﷺ هما الأولى بالاتباع، وهما نبراس الضياء، ومحل العلم ومكانه، وأشرف العلوم بلا استثناء، فإن أردتم خير الدنيا والآخرة، فعضوا بنواجذكم على كتاب الله -سبحانه وتعالى- وسنة نبيه ﷺ، وأضيفوا إلى هذا العلم، علمًا من علوم الدنيا، لتسدوا ثغرًا من ثغور الإسلام، فلا أجد أجمل من فقيه أو محدث أو مفسر أو عالم بأي علم من العلوم الشرعية، جامعًا مع علمه هذا علم من علوم الدنيا كالطب والتقنية والهندسة، أو في مجال الأعمال والبحث كالجندي والعامل والباحث ونحو ذلك، وهذا لا يسد إلا بهمم عالية تفوق الجبال علوًا!

أسأل الله -سبحانه وتعالى- لي ولكم الرحمة والغفران، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأن يجعلكم وإخوانكم الأشبال الصاعدة إخوة متحابين متعاونين لنصرة الإسلام وأهله...

ونسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يجعل هذا العمل متقبلًا، وأن يجعل فيه نفعًا لكم ولأبنائكم وذراريهم، وأن يغفر لنا تقصيرنا وأن يرحمنا ويتجاوز عنا...اللهم آمين.

والدكم المحب،

أنيس حكمت أنيس أبو حميد

خطت الأحرف الأولى لهذا الكتاب في الثاني من شهر صفر لعام ١٤٤٢ من الهجرة

كيف تقرأ الكتاب؟

إذا عزمت على قراءة هذا الكتاب، فاعلم أنه يقرأ دون اجتزاء للنقاط والمعاني من مجمل ما ورد من النقاط، لترابطها وتجانسها، وحتى لا يختل المعنى، فما ذكرناه من نقاط في أول الكتاب، قد تترابط مع نقاط في منتصف الكتاب أو آخره، وقد يسرد المعنى في نقطة ما لتتناسب مع موضعها، ويكتمل المعنى في مكان آخر، لذلك قد يكون الاجتزاء في غير محله، ولقد اعتمدنا في ترتيب النقاط على ترتيب السور في القرآن الكريم، أي أننا ابتدأنا من سورة الفاتحة وانتهينا بسورة الناس، وترتيب الآيات في هذه السور، لكن، لا يعني هذا بالضرورة، أن تكون جميع النقاط قد ذكرت بشكل متسلسل، فقد تجد هناك تقديم أو تأخير أو دمج لبعض النقاط، وذلك لتعطي معنى أكثر وضوحًا وبما يتناسب مع سياق الآيات والسور، كما قد نتطرق لجزئية ما؛ ثم نتمها أو نتحدث عنها بشكل أكثر تفصيلًا في موضع آخر، وكل ذلك بما حسبنا أنه خير للقارئ...

كما ستلاحظ أن المراجع الرئيسية لهذا الكتاب، تتمحور حول أربعة تفاسير، وهي التي اعتمدتها لكتابة هذا الكتاب، وهي السعدي والقرطبي والبغوي وابن كثير -رحمهم الله جميعا-، واستأنسنا ببعض التفاسير الأُخر أيضًا، كما أننا لم نتطرق البتة للقضايا الفقهية، وأحلنا القارئ ليقرأ من كتب الفقه إذا رغب القارئ في ذلك، أو أن يسأل أهل العلم والاختصاص!، كما أننا اعتمدنا على صحيح البخاري ومسلم وما ذكر من أحاديث صحاح في الكتب الأخرى ما قدرنا على ذلك، فجزاهم الله سبحانه

وتعالى خيرًا على ما قدموه لنا من خير عظيم!، وهذا لا ينفي الاستئناس بما دون ذلك من الصحة...

ملاحظات:

- ورد ذكر بعض الكُتّاب المعاصرين، وقد دعونا لهم بالرحمة باعتبار أن الرحمة تجوز للحي والميت، نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يبارك فيهم، وأن يحفظهم، وأن يفرج عمن أُسر منهم، وأن يرحمنا وإياهم قبل أن نلقاه وحين نلقاه، اللهم آمين.

- هذا الكتاب **لا يندرج** تحت علم التفسير، وليس تفسيرًا لكتاب الله -سبحانه وتعالى-، إنما هو كتاب نذكر فيه ما تعلمناه من كتاب الله -سبحانه وتعالى- وقرأناه في كتب التفسير، نسعى في هذا حتى تُبنى نفوسنا بلبنات من ذهب، قالبها القرآن الكريم، وبريقها أوامر الله وهدي النبي ﷺ، كما أرادها الله -سبحانه وتعالى- لنا، متعلمين متدبرين لأحكامه في كتابه العزيز، لذلك، هذا الكتاب لا يغني بشكل من الأشكال عن كتاب الله -سبحانه وتعالى-، ولا يغني عن قراءة التفاسير، في رحلة تدبر تقودها أنت، وأظنك ستصل لنتيجة مشابهة لما وجدته في نفسي وكتبته في آخر الكتاب تحت عنوان "أمراض خفية وعلاج عظيم"، لكن، بنقاط وعناوين مختلفة، يخطها قلبك وعقلك بعد أن اكتشفت ما فيهما من أسرار!

- استخدمت في هذا الكتاب أسلوب الخطاب، فكثير من النقاط ستجدها تبدأ ب"يا أخي"، ومع ذلك، فإن المقصود من الخطاب هو الذكر والأنثى!، فإن وجدت نقطة هي أعظم أثرًا عند الأنثى أو خاصة بها، فإن الخطاب يصبح "يا أختاه".

- أضفت فهرسًا للنقاط آخر الكتاب، فكرة هذا الفهرس تقوم على جمع النقاط المترابطة فيما بينها أو فيها دلالات معينة تحت أبواب مشتركة، ويمكنك الاستفادة من هذا الفهرس **بعد الانتهاء من قراءة الكتاب** في حال رغبتكم بالعودة لقراءة مجموعة النقاط التي تندرج تحت باب واحد، لكن يجب التنويه إلى أن هذا الفهرس بُني بما رآه الكاتب مناسبًا للسرد الخاص بالنقاط، لذلك، فقد تجد نقطة ورد فيها كلام عن التوبة لكنها لم تضف إلى باب التوبة لأن سياق النقطة كان يشير لمعنى مختلف...، وفي نفس الوقت قد تجد كلامًا لم يرد فيه ذكر للتوبة، إلا أن المعنى يشير إلى معاني التوبة وأهميتها فتضاف النقطة تحت هذا الباب...

ما يرمي له الكتاب وما يتوقعه الكتاب من القارئ؟

الانتقال العملي من المعرفة النظرية الموروثة للأخلاق إلى التطبيق العملي، ومن الأصول المادية للحياة ونزعاتها، إلى الأصول الشرعية التي تبني إنسانًا سويًا! ومن العادات والتقاليد الجاهلية إلى التعاليم الإسلامية، ومن الخمول والكسل إلى الجد والعمل، ومن الجهل إلى العلم، ومن إنسان يدنو من طين الأرض إلى إنسان تلامس روحه عنان السماء؛ من حلاوة الإيمان...

القائمة تبدأ من هنا:

١ . استعذ بالله من الشيطان دومًا، فإن ضعفت نفسك، أو قويت، فاعتصم دومًا بالله تعالى، فنحن نعتصم بالله ونلجأ إليه أن يحمينا من الشيطان الرجيم، قال تعالى في سورة النحل: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾، وقال تعالى في سورة المؤمنون: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾، وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾، لذلك، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

٢ . ابدأ يومك، عملك، نشاطك، حياتك، بالتسمية، وهذا يعني اجعل جميع أعمالك وعبادتك خالصة لله تعالى، لذلك، بسم الله الرحمن الرحيم.

٣ . فلْتعلمْ أن الله - سبحانه وتعالى- هو العظيم الأعظم، الذي ليس كمثله شيء، وليس قبله شيء، وليس بعده شيء، وأن الله -سبحانه وتعالى-، له الأسماء الحسنى، كلها يُتعبد بها، ولكل اسم منها باب يمكنك التقرب به إلى الله -سبحانه وتعالى-، إما بالغوص في معاني العظمة أو الرحمة أو القوة أو العزة أو الملك وما لا نطيق جمعه. فقط تفكر، فإن كنت غنيًّا، فتذكر بأن الله هو الذي أغناك وأنه غني عن عباده، وهو من رزقك، وإن كنت ملكًا، فتذكر أنك مملوك ولست بملكٍ، وأنك خادمٌ لمن سيرك الله لهم...

٤ . دائمًا قمْ بالثناء على الله سبحانه وتعالى، بحمده، وشكره، وذكر نعمه، فهو الكمال الذي لا يشوبه نقص، وأفعاله كلها دائمًا ضمن دائرة العدل المطلق، والعلم

المطلق، والفضل المطلق، فاطمئن، فهو أعلم منك بحالك، فاصبر واشكر وتنعم بما فضّلك الله به عن عباده.

٥. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- هو الرحمن الرحيم، فهو ذو الرحمة الواسعة العظيمة، التي وسعت كل شيء، كتبها للمتقين، ونال منها غيرهم، فليطمئن قلبك بأن لك ربًا رحيمًا.

٦. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- هو الملك الأعظم، الذي يأمر وينهى، وأنه الملك يوم القيامة، فإن عملت خيرًا باتباع أوامره واجتناب نواهيه في الحياة الدنيا، فأنت بإذنه ورحمته من الناجين، وإلا من النادمين -والعياذ بالله-، وهذا ما يجعل للحياة الدنيا معنى؛ لأن المسلم يعلم يقينًا أن هذه الدنيا دار ممر، وأن الآخرة دار مقر، ولا يظلم ربك أحدًا.

٧. فلْتعلمْ أن المسلم عبد لله -سبحانه وتعالى-، وليس عبدًا لغيره، وأننا نستعين به لعبادته، ولا نستعين بغيره، فإياك أن تكون عبدًا لملك أو مسئول أو لعبة أو امرأة أو رجل، أو أن تكون عبدًا للدنيا بدلًا من أن تكون عبدًا لرب هذه الدنيا.

٨. فلتعلمْ يا أخي أن التوكل هو "اشتغال الجوارح بالأسباب، واشتغال القلب بالله"[١]، وبهذا فالتوكل أوله علم، وآخره عمل! فإذا كان التوكل دون علم؛ فهو مجرد قول اللسان! وإن كان مع علم؛ فهو قلب مطمئن ولسان صادق! ومن هنا يمكننا أن نفهم -قوله ﷺ-: "اعقلها وتوكل"[٢]، فالتوكل من أعمال القلوب، و"اعقلها" من

---

(١) كتاب رقائق القرآن | إبراهيم السكران | أقوى الناس | الصفحة ١٤٩ | الطبعة الأولى | دار الحضارة | الرياض

(٢) الراوي: عمرو بن أمية | المحدث: شعيب الأرناؤوط | المصدر: تخريج صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: ٧٣١ | خلاصة حكم المحدث: حديث حسن

أعمال البدن والأخذ بالأسباب، **فمن جهل حقيقة التوكل، أضاع معنى العمل فأهمل الأسباب بالكلية! أو أضاع معنى التوكل فاعتمد على الأسباب بمفردها! وكلاهما أخطأ!** انظر لجمال قوله ﷺ: "**اعقلها**" أخذًا بالأسباب، "**وتوكل**" على الله -سبحانه وتعالى- رب الأسباب! ومنها ما رواه عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ: "لو أنكم تتوكلون على الله **حقَّ توكُّله**؛ لرزقكم كما يرزق الطيرَ: **تغدو** خماصًا **وتروح** بطانًا"[(١)]، لاحظ هنا "**توكل**" بعلم ويقين، وسعي وعمل يلبي حقيقة التوكل! لاحظ، "**تغدو**" و"**تروح**"، ومن هنا يمكننا أن ننكر على من "**تواكل**" و"**تكاسل**" عن العمل ثم انتظر النتائج التي يتمناها! كمن يريد أن يتفوق دون أن يذاكر! أو يصير غنيًّا دون أن يعمل!...إلى آخره، قال تعالى في سورة الطلاق: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾، وقوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، لاحظ "**نعبد**" و"**نستعين**"، وقوله تعالى في سورة هود: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾، لاحظ "**فاعبده**" و"**توكل عليه**"، وقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾، لاحظ "**فإذا عزمت**" ف"**توكل على الله**"، أي أنك إذا عزمت على أمر ما، فاعتمد على حول الله وقوته، متبرئًا من حولك وقوتك!...، فسبحان الله العظيم، الذي هدانا لهذا الدين العظيم.

٩. فلْتعلمْ أن طريق الحق هو بالإسلام، وأننا نسأل الله -سبحانه وتعالى- في

---

(١) الراوي: عمر بن الخطاب | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترمذي الصفحة أو الرقم: ٢٣٤٤ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

كل صلاة، بل في كل ركعة أن يهدينا الصراط المستقيم، وبهذا نحن نسأل الله -سبحانه وتعالى- بعد أن هدانا إلى الإسلام أن يهدينا إلى طريق الحق الذي يقودنا إليه، وإلى الفوز بجنته، فلا تغتر بما وصلت إليه من هداية، فهي من الله -سبحانه وتعالى- ومن وفضله عليك، بل سله دومًا أن تكون فعلًا على الطريق الصحيح المستقيم الذي وهبه الله -سبحانه وتعالى- لأنبيائه وعباده الصالحين المتقين، وليس صراط المغضوب عليهم الذين عرفوا الحق ثم تركوه، ولا الضالين الذين تركوا الحق عن جهل وضلال، ومن هنا كان لِزامًا عليك إذا عرفت الحق أن تتبعه، وألا تتكبر عنه، وأن تعترف بالخطأ إن أخطأت، وأن تعلم أنك إنسان بعيد عن التمام والكمال، وأنك في حياتك يجب أن تتبع الحق وأن تتراجع عن الباطل، وهذا لا يكون إلا بكتاب الله -تعالى-، وسنة الحبيب المصطفى ﷺ.

١٠. فلْتعلمْ أن عقلك لن يدرك كل شيء، وأنك لن تحصي كل شيء، وأن هناك من الغيبيات التي لا نعلمها إلا أن يشاء الله -سبحانه وتعالى-.

١١. فلْتعلمْ أن أعظم كتاب على وجه هذه الأرض، هو كتاب الله عز وجل -القرآن الكريم-، وهو الكتاب الذي لا ريب فيه، ولا شك فيه، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الكتاب المصلح للبشر، فيه الهداية لطريق الصلاح.

١٢. فلْتعلمْ أن ما لديك من مال هو من كرم الله عليك، ورزقه الذي فضّلك به عن غيرك، وبهذا فأنت ملزم بأن تنفق من هذا المال كما أُمرت مثل الزكاة، ولا تنسَ الإنفاق على ذوي القربى واليتامى والمساكين والإحسان إليهم، والإنفاق على الوالدين والزوجة والأبناء ونحو ذلك من أبواب النفقة التي لا تعد ولا تحصى والتي هي من أبواب الخير.

١٣. فلْتعلمْ أن الإيمان بالقرآن الكريم وبما أنزله الله سبحانه وتعالى على الأنبياء من قبل من صفات المتقين، فهم لا يفرقون بين ما أُنزل إلى الرسول ﷺ وما أُنزل من قبله. فصدقْ واتبع ما أمرك به رب العزة مما أوحى إلى رسوله الكريم، ولْتعلمْ أن القرآن والسنة رحمة من رحمات الله علينا، فآمن واعتقد.

١٤. فلْتعلمْ أن الكفر هو الإعراض عن الإيمان، وكل من أعرض عن الإيمان فهو كافر، فلا تصبك الدنية في دينك فتستحي عند سماعك كلمة كفر أو كفار، وتحاول تجميلها بعبارات أُخر، فمن أنكر وجود الله -جل في علاه- أو من لم يؤمن بمحمد ﷺ، فهو كافر بالإسلام.

١٥. إياك والنفاق، فالنفاق هو إبطان الشر وإظهار الخير، فلا تكن من المنافقين، وتذكر قول الرسول الكريم ﷺ "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان"(١)، فلا تكن منافقًا في دينك، أو منافقًا في دُنياك.

١٦. فلْتعلمْ أن أكثر الأمراض خطورة عليك هي تلك التي تصيبك في قلبك، وأمراض القلوب كثيرة متنوعة أخطرها الكفر والنفاق والشك وتتبع الشبهات ومحبة الفواحش والمعاصي وفعلها؛ لذلك عليك أن تسأل الله - سبحانه وتعالى- أن يثبت قلبك على الإيمان، وعليك بالأعمال الصالحة وذكر الله، والاستعاذة من الشيطان، وفعل الخيرات إن راودك حب الفواحش والمعاصي، ودومًا سل المولى -عز وجل- أن يوفقك إلى التوبة بعد كل ذنب، وإلى الثبات وعدم العودة إلى الذنب بعد التوبة.

---

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٣٣ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

١٧. فلْتعلمْ أن التراجع عند الخطأ نعمة يُغبط عليها صاحبها، ولْتعلمْ أن الإصرار على الخطأ ثم محاولة تبريره ونشره والقول بصحته أعظم من الخطأ ذاته، فإن أخطأت فاستغفر وتب إلى الله، ولا تصر ولا تكابر ولا تجاهر.

١٨. إياك أن تكون من المفسدين الذين ينشرون الفساد في البر أو البحر أو الجو، فلا تشارك في نشر المعاصي والآثام، ولا تشارك في دعم المفسدين، فإن شاركتهم أصبحت مفسدًا مثلهم، فلا تَقُلْ إلا الحق، ولا تتبع إلا الحق، وليكن مالك مما أحله الله، وعملك فيما يرضاه الله، وليكن في عِلمك أن إظهار المعاصي هو من سبل الإفساد، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٩. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- وعد عباده الصالحين بجنات تجري من تحتها الأنهار، فيها من النعيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ومن هذه البشارة التي منّ الله -سبحانه وتعالى- علينا بها، نقول: إن هذا الأجر العظيم، يحتاج منك بذل العظيم في مكافحة أهوائك ونزواتك وشهواتك، وقل يا رب اجعلنا من أهل النعيم.

٢٠. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- خلق هذا الكون الفسيح البديع، وأتمه بأتم التمام والجمال والكمال، وفيه من المعجزات التي تجعل العقل يقف إجلالًا لإبداع الخالق في صنع هذه الدنيا، ومن هنا فلْتعلمْ أن الصغير الذي تراه في عينيك ولا تعيره اهتمامًا، قد يكون عظيمًا، وفيه من الآيات والمعاني والإعجاز ما لا يدركه عقلك، ولا تدركه كل وسائل العلم المتاحة في عصرك، لذلك، تأمل في خلق الله، وانظر إلى عظمته، فوالله إنها لكمال الجمال والإبهار والإعجاز، ودليل يقود العقل إلى خالقه لمن نظر بعين الحق.

٢١. إياك أن تكون من الفاسقين، فتنقض العهد والميثاق بينك وبين رب العزة، وإياك أن تنقض العهد بينك وبين عباد الله، فتُخلف العهود والمواثيق، فإنها من شيم المنافقين.

٢٢. فلْتعلمْ أنك من بني آدم، وقد كرمك الله -سبحانه وتعالى- على سائر مخلوقاته! فلتكن أهلًا للتكريم الذي كرمك الله به، ولا تهبط وتدنو لتصبح مثل إبليس-لعنه الله- ومن معه.

٢٣. فلْتعلمْ أن علم الله قد سبق علمك، لذلك إن أُمرت، فأطع! ولْتعلمْ أن الملائكة التي تعبد الله -عز وجل- لم تعلم الأسماء التي علمها الله -جل في علاه- لآدم -عليه السلام-، فعجزت، ونحن قد علمنا الله -سبحانه وتعالى- الكثير، وجعل لنا سبل التعلم حتى وصلنا إلى ما نحن فيه الآن، وبالرغم ما وصلنا إليه من علم وقوة فقد عجزنا عن معرفة الكثير وبقي ما استأثر الله بعلمه ولا ندركه، كالروح!، وهذا يقودنا للفتة طيبة، وهي أن الإنسان يجب أن يتواضع وألا يتعالم! فلا نستحي من قول لا أدري، فإن لا أدري نصف العلم! وإن الملائكة -عليهم السلام- ﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[1]، فمن أنا حتى أقول بغير علم؟!، ومن أنا حتى أستحي من قول لا أدري؟!

٢٤. إياك ثم إياك من الكبر، فما كان مصير إبليس عندما استكبر إلا أن لعنه الله وصار من الكافرين. تواضع لله -جل في علاه-، تواضع في عملك وحياتك، في بيتك، في السوق، في الشارع، تواضع أثناء تعاملك مع الناس، تواضع ولتجعل ذلك لله! ولقد روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "ما نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِن

(١) سورة البقرة | الآية ٣٢

مالٍ، وما زادَ الله عَبْدًا بعَفْوٍ، إلَّا عِزًّا، **وما تَواضَعَ أحَدٌ لِلَّهِ إلَّا رَفَعَهُ اللهُ**"[١].

٢٥. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- خلق الذكر والأنثى، وقد وهب لكل منهما ما يجذب الآخر إليه، وبهذا جعل الله -سبحانه وتعالى- الزواج سكنًا ورحمة، فتسكن أنت لزوجك، وتسكن هي لك، فإن استطعت الزواج وعلمت حقه، فافعل! وإياك والحرام، فإن الله -سبحانه وتعالى- كما وضع فيك ما يجذبك للجنس الآخر، وهبك العقل والإرادة، وبعث الرسل، وميزك عن الحيوان؛ لذلك فلتحكم أنت شهواتك، وإياك أن تحكمك شهواتك!

٢٦. إن الله -سبحانه وتعالى- أباح لنا ما لا نحصيه، وحرم علينا ما نحصيه ونعلمه، فلا تضيّق على نفسك فلا ترى إلا ما حرم الله، وتنسى كل ما أحله الله، وتأكد أننا نتبع أوامر الله -سبحانه وتعالى- وننتهي عن نواهيه؛ لأنها أوامر العظيم القدير مالك الملك ذي الجلال والإكرام، فإن بانت حكمة التحريم أو لم تبن، فهذا لا يهم، بل المهم هو التسليم لله -سبحانه وتعالى-، والقول سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا، وإليك المصير.

٢٧. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- أخبرنا بعدونا الأول منذ خلق الله -سبحانه وتعالى- آدم وحواء -عليهما السلام-، فكان إبليس هو عدونا الأول، وذريته أعداؤنا، فلا تتبع وساوسهم وزينتهم التي يلقونها إليك بشتى الطرق.

٢٨. فلْتعلمْ أنك غير معصوم من الخطأ أو الزلل، وأنك قد تُخطئ فتهوي في طريق الضلال، لكن لا تنسَ نصيبك من التوبة إلى الله -سبحانه وتعالى-، دائمًا

---

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٥٨٨ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

اعترف بذنبك ولا تستكبر، واطلب من الله -سبحانه وتعالى- العفو والمغفرة، وادعُ الله -سبحانه وتعالى- أن يلقنك التوبة بعد كل خطأ، فقد ألهم رب العزة آدم -عليه السلام- كلمات التوبة والاعتراف بالذنب، فغفر الله -سبحانه وتعالى- له، وهي من رحمة الله -سبحانه وتعالى- علينا.

٢٩. إن نعم الله -سبحانه وتعالى- علينا عظيمة، فلتجعل قلبك دومًا يعترف بفضل الله -سبحانه وتعالى- عليك، ولتجعل لسانك دائم الثناء والشكر لله -سبحانه وتعالى- على ما وهب وأعطى، ولتجعل جوارحك تُظهر ما أخفاه قلبك، ونطق به لسانك في استعمال ما رزقك الله مما أحله الله، وتجنب كل ما نهاك الله عنه.

٣٠. إياك يا أخي أن تخشى غير الله أو تهاب غيره، فاطلب من الله -سبحانه وتعالى- القوة، فإن حصل الخوف والخشية، وابتليت بعذاب تخشاه من ظالم، فادعُ الله -سبحانه وتعالى- أن يرزقك الثبات، ولتجعل قلبك مطمئنًا بالإيمان، مهما اعتراك مما لا تقوى عليه، وقصة عمار بن ياسر -رضي الله عنه- خير مثال.

٣١. إياك أخي الحبيب من بيع نفسك وإيمانك ومبادئك مقابل حفنة من المال الفاني.

٣٢. إن كنت تعلم -يا أخي- الحق فقله، ولا تخلط الباطل بالحق، ولْتعلمْ أن تمييع الحق وإخفاءه لا يقل ضررًا عن قول الباطل، إن لم يكن أشد! فإن خلط الباطل بالحق، تشويه للحق قائد للضلال، وذلك لجهل ماهية الحقيقة بسبب الباطل المسموم الذي حواها.

٣٣. فلْتعلمْ أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو مما ميزنا الله به عن باقي الأمم، فلا تتردد في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر طالما أُتيح لك ذلك.

حتى ولو كنت أنت ممن يرتكب هذا الذنب، فعندما تخاطب غيرك، خاطب نفسك وأمرها بما تقوله لهم، والله المستعان!.

٣٤. أمرنا الله –سبحانه وتعالى– بالصبر بجميع أنواعه، فالصبر قد يكون على الطاعة فلا تنتهَ حتى تؤديها على حقها، والصبر على البلاء، والصبر في حفظ النفس من الوقوع في الحرام، وتأكد من تهيئة نفسك حتى تصبر، فإن صبرت فعلّمها ألا تسخط، ثم علمها ذكر الله وشكره، وقل ربي إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين.

٣٥. علّم نفسك الخشوع، والخشوع هو خضوع القلب وطمأنينته وسكينته وانكساره ذلًا وافتقارًا عند من هو أعظم منك، وهذا لا يكون إلا لخالق السماوات والأرض، ويا هناه من وصل إلى الخشوع في عباداته وطاعته!

٣٦. فلْتعلمْ أن ما فضلك الله به عن غيرك، قد يكون هو ما يتمناه غيرك من الله، فاحمد الله –تعالى– على ما بك من نعم.

٣٧. فلْتعلمْ أنك ستقف بين يدي الله –سبحانه وتعالى– وحدك، دون وسيط ولا شفيع –إلا من أذن له الرحمن–، ولن ينفعك أحد في هذا الموقف العظيم، لذلك، لا تتعلق بالمخلوق أيّا كان، ولتكثرْ من الأعمال الصالحة، وادعُ الله –سبحانه وتعالى– أن يرحمك وأن ينجيك من عذاب ذلك اليوم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٣٨. فلْتعلمْ أن النجاة من ظُلم الظَلمة وحكام السوء هي من النعم العظيمة التي تستوجب الحمد والثناء.

٣٩. فلْتعلمْ أن الله –سبحانه وتعالى– بعث الرسل موحدين مسلمين له، لا يشركون به شيئًا، أرسلهم هداية للناس ليخرجهم من ظلمات الشيطان، إلى نور الرحمن.

٤٠. يا أخي، إن ملكت المنزل أو السيارة أو المزرعة إلى آخره، فادخلها متواضعًا لله، لا تتكبر ولا تغتر، واشكره على هذه النعمة، واستغفره، عسى أن يحط عنك الخطايا، ويبارك لك فيما أعطاك.

٤١. فلْتعلمْ أن شكر المحسن على إحسانه هو من طَيِّب الأفعال، فإن أحسن إليك أحدهم، فاحمد الله، واشكر المحسن على إحسانه.

٤٢. فلْتعلمْ أن الغفلة تُورث ذنبًا، وأن الذنب الصغير، سيجر ذنبًا آخر، وكثرة الذنوب ستقود إلى أكابرها، وهكذا حتى يسقط الإنسان -والعياذ بالله-. فلا تستصغر صغائر الذنوب، فصغيرها وكبيرها له أثر على قطعة من القلب، صغُرت هذه القطعة أو كبرت، وعلاج أثر المعصية يكون بتوبة صادقة إلى الله، وبعمل صالح يمحوها، والحمد لله على كرمه.

٤٣. فلْتعلمْ أن من أسلم وجهه لله، وآمن برسله، وكتبه، وملائكته، وشهد بأن الله -سبحانه وتعالى- واحد أحد، وأن محمدًاﷺ نبيه ورسوله، هو أخٌ لك في الإسلام، لا يقل عنك ولا يزيد إلا بالتقوى! فلا فرق بين عربي وأعجمي، ولا أسود وأبيض، ولا ذكر وأنثى إلا بالتقوى. فالحمد لله الذي وهبنا ما يتحقق به توحيد القلوب! فلا يجرؤ أحدٌ منا على احتقار أخيه، ولْتعلمْ يقينًا بأن ذلك الشخص الذي تراه قد يكون أعظم منك وأقرب إلى الله.

٤٤. فلْتعلمْ أن الإسلام يحث المسلم على أن يكون قويًّا في عقله وبدنه، وأن يعمل بجد واجتهاد لتقوية العقل بالعلوم النافعة، وتقوية البدن بالرياضة المناسبة.

٤٥. فلْتعلمْ أن طريق العلم ليس بيسير، وأن من يريد أن يتعلم ويرتقي بالعلوم، فعليه تحمل مشاق ذلك الطريق، ولْتعلمْ أن مشقة العلم أهون من مشقة الجهل.

٤٦. يا أخي، إياك من التحايل على الحق عند معرفتك له، بل اتبع الحق، ولا تتبع الشبهات، فتضل بعد أن عرفت الحق، وقصة أصحاب السبت خير مثال، وما نراه اليوم بأعيننا من تحايل على شرع الله لا يغير حكم الله! وإن اختلفت وتنوعت المصطلحات التي تخفي خلفها ما نهانا الله عنه، فلو أخبروك بأنها فائدة فقل لا بل هي **ربا**، والمعاملات البنكية التي تخالف شرع الله في أيٍّ من بنودها هي تحايل على ما أمرنا الله به....فاحذر!

٤٧. يا أخي، إن سمعت أمر الله -سبحانه وتعالى- فامتثل فورًا، ولا تعترض، فأنت ضعيف صغير لكي تعترض على أمرٍ أمر به رب العزة من فوق سبع سماوات، ولا يفعل ذلك إلا جاهل!.

٤٨. فلْتعلمْ يا أخي أن التشديد والتعنت طريقهما يقود صاحبه إلى شدة أكبر، واستكبار أكثر، فاحذر من هاتين الخصلتين. ملاحظة: التشديد: هو إلزام النفس فوق ما أُمرت به أو فوق ما تطيق. مثل من لا يتزوج النساء أو من يصوم فلا يفطر، وأما التعنت فهو: التعصب للرأي كبرًا وعنادًا مثل قصة البقرة.

٤٩. فلْتعلمْ أن قسوة القلب (الشدة والغلظة بغير الحق، وهي المرحلة التي لم يعد للموعظة فيها تأثير على القلب) هي إحدى المهلكات العظيمة التي قد تصيب الإنسان، فاستعذ بالله من قسوة القلب، وعوّد قلبك على اللين، وتذكر الموت حتى لا يقسو قلبك، ونستأنس هنا بقوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ وبحديث رسول الله ﷺ في صحيح مسلم "يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه"[1].

---

(١) الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٥٩٣ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

٥٠. فلْتعلمْ أن المسلم رحيم بأخيه المسلم، ودود معه، عطوف عليه، يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ولكنه في نفس الوقت، شديد على الكافرين المحاربين لأمر الله، فهؤلاء يجب أن يروا منك الغلظة والشدة، وأن تجتهد في ذلك، وهذا موقف تُحمد فيه الغلظة والشدة.

٥١. فلْتعلمْ أنك صاحب حجة دامغة، فلا يستطيع أحد أن ينال من دينك إلا بضعفك، فأدرك مواطن الضعف لديك، وتعلم، حتى لا يجد أحد مدخلًا إليك! وما جهلته اليوم، وتعرضت إليه بالأمس، يجب أن يكون علمًا لك بالغد.

٥٢. إياك يا أخي أن تقبل بأن تكون أميًّا، أو أن تقبل بأن يكون من لك ولاية عليهم أُميين، بل يجب أن يجيدوا القراءة والكتابة، وألا يكتفوا بذلك، بل علمهم كيف يبحثون عن الحق فيتبعونه، وألا يكونوا من العوام مقلدين لمن لا يدركون حقيقة أمرهم.

٥٣. إياك يا أخي أن تلبس رداء الدين لتحقيق المصالح الدنيوية، ولْتعلمْ أن أبطل الباطل هو كسب المال وظلم الناس بلباس الدين، ولْتعلمْ أن أبطل الباطل إخراج الكلام عن مواضعه فيضل به جمعٌ من خلق الله، ولْتعلمْ أننا نسمو بالدين الذي وهبنا إياه الله، فتصير لنا الدنيا والآخرة بأمر الله -عز وجل-.

٥٤. إياك يا أخي أن تستخف بعذاب الآخرة، ولا تقل هي أيام قليلة أو أوقات قصيرة ثم نذهب إلى النعيم! بل تذكر أنك غير ضامن لمصيرك في الآخرة حتى تظن بأنك من أصحاب النعيم، أو أنك ممن سيدخلون في النعيم، ووالله لغمسةٌ في جهنم فيها من العذاب ما ينسيك كل نعيم ذقته قبلها، وقد روى أنس بن مالك -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيا مِن أَهْلِ النَّارِ يَومَ القِيامَةِ، فيُصْبَغُ في

النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقالُ: يا ابْنَ آدَمَ هلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هلْ مَرَّ بكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فيَقولُ: لا، واللهِ يا رَبِّ ويُؤْتَى بأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا في الدُّنْيا، مِن أهْلِ الجَنَّةِ، فيُصْبَغُ صَبْغَةً في الجَنَّةِ، فيُقالُ له: يا ابْنَ آدَمَ هلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هلْ مَرَّ بكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فيَقولُ: لا، واللهِ يا رَبِّ ما مَرَّ بي بُؤْسٌ قَطُّ، ولا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ"(١).

٥٥. فلْتعلمْ أن الإنسان لا يحقق مبتغاه بالتمني والأحلام فقط، بل يحققه بأن يعمل ويجتهد ويثابر ليحقق ما يتمناه -إن كتب الله له التوفيق في ذلك-.

٥٦. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- أمر بألا نُشرك به شيئًا، وأمرنا ببر الوالدين، وأمرنا بالإحسان لذوي القربى، واليتامى والمساكين، وللناس عمومًا، والإحسان يشمل القول والفعل، ويا لمتعة الروح عند فعل هذه الأعمال! فالحمد لله.

٥٧. فلْتعلمْ أن الصلاة هي ركن من أركان الإسلام، وهذا الركن يتضمن الإخلاص لله - سبحانه وتعالى-إخلاص للمعبود-، ولْتعلمْ أن الزكاة ركن من أركان الإسلام، وهذا الركن يتضمن الإحسان إلى عبيد الله -سبحانه وتعالى-، وبهذا تُجبل النفس على كمال الاستسلام لله -سبحانه وتعالى-، وعلى كمال الإحسان لعبيد الله -سبحانه وتعالى-، فيلين القلب ويمتلئ فرحًا، وتسمو الروح فتعلو الهمة وتخضع لما أُمرت.

٥٨. إياك يا أخي من سفك الدماء بغير وجه حق! إياك أن تقتل بغير وجه حق!

٥٩. إياك أن تعتدي على غيرك إن ملكت القوة، فتُخرج من لك عليه سلطان من منزله أو تسلب ماله أو تهتك عرضه!

---

(١) الراوي: أنس بن مالك | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٨٠٧ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

٦٠. فلْتعلمْ أن الإيمان يشمل جميع ما أمرنا الله-سبحانه وتعالى- به، فإياك أن تؤمن بجزء، وتكفر بجزء، فذلك قد يعرضك للخزي في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة.

٦١. إياك يا أخي من الهوى! وإياك من أن يقودك الهوى فتقدمه على الهدى.

٦٢. عند سماعك لأمر الله -سبحانه وتعالى-، قل فورًا سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا وإليك المصير. (أي أطع، وسلم).

٦٣. أخي، حاسب نفسك دومًا وفكر في الموت، تخيل أنك الآن أمام ملك الموت، وعلى يمينك الأعمال الصالحة، وعن شمالك الأعمال الطالحة -والعياذ بالله- ثم انظر، أتحب أن تلقى الله -سبحانه وتعالى- بما لديك من خير أم أن هناك أمرًا تحب تصحيحه فتتوب إلى الله؟، أتحب أن تكون ممن يخدع نفسه أم ممن يصدقها؟! يقول إبراهيم السكران -رحمه الله-: "ومن أعاجيب النفوس، وما يمور فيها من الأحاسيس؛ أن بعض الناس يكره ذكر الموت، ويدور في مشاعره الخفية أنه حين يتحاشى ذكره فإنه يبتعد عنه، وحين يذكره يكون قريبًا منه، ويتكلف الأسباب المشروعة وغير المشروعة في مدافعة الموت يظن أنه سيؤجل يومه المكتوب؛ وهذا (الفرار النفسي) من الموت صوره القرآن تصويرًا تبكيتيًا حين قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨﴾.[1]

٦٤. فلْتعلمْ يا أخي أن من ترك الصالحات من الأقوال والأفعال، أُبتلي بالضلال من الأقوال والأفعال، فمن ترك عبادة الرحمن، أُبتلي بعبادة غيره (وثن،

(١) كتاب رقائق القرآن | إبراهيم السكران | ذهول الحقائق | الصفحة ١٤ | الطبعة الأولى | دار الحضارة | الرياض

شمس، بقر، هواه...)، ومن لم ينفق ماله في طاعة الله سينفقه في طاعة الشيطان، ومن ترك الذل لربه ابتلي بالذل للعبيد...

٦٥. فلْتعلمْ أن السحر موجود، وأنه لن يضر إلا بإذن الله، لكن اعلم أن السحر لا يخرج عن مشيئة الله -سبحانه وتعالى-، فلا تخف، ولا يصيبنّك الهلع بلا معنى!، وإياك أن تُلقي بضعفك وعجزك على السحر!، وأن كل ما يصيبك هو سحر! بل عليك الأخذ بالأسباب، ولْتعلمْ أن ما أصابك هو بمشيئة الله، وأنك إن ابتليت أو عجزت أو أصابك مكروه فهذا لا يعني أنك مسحور! فقد يعني أنك مقصر! أو مخطئ! أو في بلاء! والله المستعان...

٦٦. يا أخي، فلتترك كل علم لا ينفع، والتزم بما ينفع من العلوم (الدينية والدنيوية)

٦٧. فلْتعلمْ يا أخي أن معاني الكلمات وأحوالها وأماكن استخدامها قد تتغير من جيل إلى جيل، أو من وقت إلى وقت، أو من مكان إلى مكان، لذلك استخدم من الكلمات والمعاني ما لا يحتمل إلا المعنى الحسن، وتجنب قدر الإمكان الكلمات التي قد يُساء فهمها أو يمكن تأويلها لغير مرادها، وإن كان لا حرج في استخدامها، فذلك يَسد ذرائع الفحش في القول، وهذا سيجعل من قولك نقيًا سائغًا للآذان والقلوب.

٦٨. فلْتعلمْ أن أهل الكتاب والمشركين لن يتوانوا في إظهار عداوتهم، وهذه حقيقة نراها بوضوح في كل ما يظهر من أفعالهم تجاه المسلمين في هذه الأيام، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٦٩. فلْتعلمْ أن العفو والصفح عند المقدرة، من خصال المؤمنين.

٧٠. فلْتعلمْ أن الخير الذي تفعله لن يذهب، فإن الله -سبحانه وتعالى- لا يضيع أجر من أحسن عملًا، ولْتعلمْ أن كل خير تعمله هو لك، ولْتعلمْ أن الخير الذي تفعله، صغر أم كبر، هو خير عظيم في محله، فتبسمك في وجه أخيك صدقة، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة...

٧١. فلْتعلمْ أن الادعاء يلزمه البرهان، فإن صح البرهان، صح الادعاء، وإلا ستكون من الكاذبين.

٧٢. فلْتعلمْ أن الاتحاد قوة، وأن الفرقة ضعف وانهيار.

٧٣. فلْتعلمْ أنه لا يوجد أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه، أو أن تقام فيها الصلاة أو أن تؤدى فيها العبادات والطاعات، وبذل جهده في ذلك إما معنويًا (منع الصلاة مثلًا) وإما حسيًا (بالتخريب أو الهدم).

٧٤. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- منزهٌ مقدس عن كل ما يصفه به المشركون والظالمون مما لا يليق بجلاله وعظيم سلطانه.

٧٥. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- خلق السماوات والأرض وما فيهما بأسمى آيات الجمال والإبهار والإتقان، فالحمد لله الذي أرانا هذا الجمال البديع!

٧٦. فلْتعلمْ أن الدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى-، فيها الترغيب وفيها الترهيب، فاجعل لكليهما نصيبًا من حديثك، واعلم مواضع الكلام لكليهما.

٧٧. فلْتعلمْ أن اليهود والنصارى لن ترضى عنك حتى تدخل في دينهم، والله -سبحانه وتعالى- أعزنا بالإسلام، فابتغِ العزة بالإسلام، واترك ما دون ذلك -دينهم ورضاهم-.

٧٨. فلْتعلمْ أن بيوت الله -سبحانه وتعالى- لها حرمتها، وأن بيت الله الحرام، أشدها حرمة، وكان من أفعال المشركين تعظيم الحرم، ولما جاء الإسلام، زاد المكان حرمة وتشريفًا وتكريمًا! فاتقِ الله في بيوت الله!

٧٩. فلتجعل قلبك دومًا معلقًا بين الخوف والرجاء، تعمل وتجتهد، وتتقي الله -سبحانه وتعالى-، وتسأله أن يتقبل منك ذلك، قال ابن القيم: "القَلْبُ في سَيرِهِ إلى الله عز وجل بِمَنْزِلة الطَّائر؛ فَالمَحَبّة رَأْسُهُ والخَوفُ والرَّجَاءُ جَنَاحَاه، فَمَتَى سَلِمَ الرَّأسُ والجَنَاحَانْ فَالطَّيرُ جيد الطَّيَرَانْ، ومَتَى قُطِعَ الرَّأس مَاتَ الطَّائر، ومَتَى فَقَد الجَنَاحَانْ فَهو عُرضَة لِكُلِّ صَائِد وكَاسِر..ولكِنَّ السَّلَفْ استَحَبُّوا أنْ يَقوى في الصّحة جَنَاحُ الخَوفْ على جَنَاح الرَّجَاء، وعِنْدَ الخُرُوجْ مِنَ الدُّنيا يَقوى جَنَاحُ الرَّجَاء على جَنَاح الخوف"(١).

٨٠. من الخصال الطيبة التي يمكنك القيام بها الدعاء لذريتك بالإسلام، وبطيب الأعمال، وبحسن الخُلق والخَلق، وأن يكونوا بارين بوالديهم، محسنين لغيرهم، مستسلمين لأوامر ربهم.

٨١. من الخصال الطيبة المحمودة أن توصي ذريتك ومن لك ولاية عليهم بالانقياد لله - سبحانه وتعالى-، مسلمين له، فحرضهم على كل خير، وحذرهم من كل شر.

٨٢. فلْتعلمْ أن لكل واحد منا عمله، ولكل منا جزاؤه الذي يستحق، فلا تُضعْ وقتك في تتبع عثرات الآخرين وإثبات أنك على حق وأن من دونك على باطل! بل انظر إلى نفسك، هل تستحق النجاة؟!

---

(١) كتاب مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين | ابن القيم الجوزية | االجزء الأول | درجات الخوف ثلاثة | الصفحة ٥٥٤ | الطبعة الأولى | دار الكتب العلمية | بيروت

٨٣. فلْتعلمْ أنك مسلم، والمسلم يؤمن بجميع الرسل الذين أرسلهم الله -سبحانه وتعالى-، لا يفرق بينهم، ولْتعلمْ أن جميع الرسل دعوا إلى عبادة الله وحده، فجاءوا داعين لكل خير، وناهين عن كل شر، ومصدقين لبعضهم البعض، وهذا ما لا تراه في مدعي النبوة، فتراهم متناقضين في أخبارهم وأحوالهم وأوامرهم.

٨٤. فلْتعلمْ أن الصدق والشجاعة، والعفة والحلم، والصبر والإحسان من الصفات الطيبة التي يتصف بها المؤمنون، فتحلَ بها!

٨٥. فلْتعلمْ أن المحاجة (المجادلة) يحب أن تكون بالتي هي أحسن، فيظهر كل فريق حجته نصرةً للحق لا للنفس، ورغبة في الوصول إلى الحق، ورغبة في إنقاذ أخيك من الضلال، فإن ذهبت نفسك لغير ذلك، وأردت الانتصار لها أو لقومك أو لأي أمر غير الحق، فأنت هنا ممارٍ معاند مخاصم لا غير!

٨٦. فلْتعلمْ أنك محاسبٌ على أعمالك، ولن يشفع لك نسبك، ولن يشفع لك عمل آبائك أو أبنائك أو أقاربك أو أصدقائك، فاحذر!

٨٧. فلْتعلمْ أن لله المشرق والمغرب، ولْتعلمْ أنك مسلم لله - سبحانه وتعالى-، فإن علمت هذا، علمت أن الأرض التي تعيش فيها هي مكانك ووطنك الذي لا ينازعك عليه أحد، فهو المكان الذي جعله الله - سبحانه وتعالى- لعباده ليعبدوه ويوقروه، قائمين بحق الله في معاني العبودية ومعاني الاستخلاف، ومن هذه المعاني أن تبني الأرض لمن بعدك، وذلك بحفظها والاهتمام بها حتى تبقى مزدهرة، تساعد من يأتي بعدك على عبادة الله سبحانه وتعالى كما أمرنا، وهذه الأرض التي نحيا فيها هي أرض الله، فلا يمكن لأحد أن يمنعك منها، فإن لم يعجب ذلك عُباد الشهوات والشيطان، وطُلب منك الرحيل -إنهم أناس يتطهرون- فقل له:- بل ارحل

أنت خارج ملكوت الله -سبحانه وتعالى- إن استطعت!، ولْتعلمْ أن الأرض التي رسمها المحتل لا تعني للمسلم الحق سوى احتلال يفصل الأخ عن أخيه، وأن ذلك باطل لا ريب! وتذكر أنه لا فرق بين عربي ولا أعجمي، ولا أسود أو أبيض، ولا ذكر أو أنثى إلا بالتقوى، فاتقِ الله!

٨٨. فلْتعلمْ أن العاقل لن يتلفت إلى ما يقوله السفيه ولا يلقي له بالًا!، ولكل مقام مقال.

٨٩. فلْتعلمْ أن الحكم بالعدل واجب، ولو كان على ذي القربى، ولو كان لمن يخالف دينك أو عقيدتك أو لغتك! فإن لم تعلم الحق لتعدل، أو عجزت عن إقامة العدل في حكمك، فانصرف فورًا!

٩٠. فلْتعلمْ أن المسلم يحرص كل الحرص على بذل ما يستطيع لأجل لا إله إلا الله، ولْتعلمْ أن المسلم حريص على النصيحة لهداية الناس، حتى ينقذهم من عبادة العباد، لعبادة رب العباد، ويكون هذا النصح، باللطف واللين والحجة الدامغة.

٩١. فلْتعلمْ أن القرآن الكريم فيه تربية للنفوس والعقول. فتدبره!، ولْتعلمْ أن التفكر والتأمل فيه طريق موصل للحق واليقين بلا أدنى شك.

٩٢. إذا كنت ممن يحب فعل الخيرات، فلا تكتفِ بذلك، بل تميز، وسارع إلى فعل الخيرات واستبقها! والمسارعة إلى الخيرات تشمل الإسراع في طلبها والتقدم لفعلها، والقيام بالخير وإتمامه على أتم وجه، في أفضل حلة.

٩٣. فلْتعلمْ أن المسجد الحرام هو قبلة المسلمين.

٩٤. فلْتعلمْ أن إرسال الرسل نعمة من الله -سبحانه وتعالى- لعبيده، فاحمد الله على ذلك! وزد في الحمد لله -سبحانه وتعالى- إن علمت أنك من أمة محمد ﷺ.

٩٥. يا أخي، فلتذكر الله -سبحانه وتعالى- في أي مناسبة أتتك، قائمًا وقاعدًا، في سكونك وحركتك، فوعد الله -سبحانه وتعالى- حاصل، فقد قال -جل في علاه في سورة البقرة ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢ ﴾.

٩٦. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- أمرنا بالاستعانة على أمورنا الدينية والدنيوية بالصبر والصلاة، فالصلاة هي عماد الدين، وهي الصلة بين العبد وربه، فإن وجدت هذه الصلة، علمت أنك بحاجة للصبر والامتثال لأوامر الله، والصبر على ما يقع عليك من بلاء، حتى تصل إلى ما وعد الله حقًا.

٩٧. فلْتعلمْ أن الجهاد في سبيل الله من أعظم الطاعات البدنية، وأشقها على النفوس، لكن هذه المشقة تذهب وتختفي عند التفكر بالنعيم الموعود لمن رزقه الله -سبحانه وتعالى- الشهادة في سبيله! ولْتعلمْ أن الأمة ما تركت الجهاد إلا وتكالبت عليها الأمم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٩٨. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- لا بد أن يبتلي الإنسان بالمحن، فقد يصيبه اليسير من الخوف والجوع، ونقص في الأموال (كضياع المال، أو أن يأخذه ظالم، أو تضيع في حادث كحريق أو غرق) ونقص في الأنفس (ذهاب الأحباب من الأبناء والمقربين والأصحاب)، ولْتعلمْ أن جميع هذه الابتلاءات سيصيبك منها بالقدر الذي تقدر على تحمله! وتستطيع الصبر عليه، فالله لا يضيع أجر العالمين، وعليك يا أخي الصبر والنجاح في الامتحان! وهذا كله من نعم الله -سبحانه وتعالى- عليك لكونها صارت طريقًا لحصول خير أعظم مما كنت ستأخذه في الدنيا!

٩٩. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- وصف الصابرين ممن أصابهم البلاء وكل ما يؤلم القلب، ويوجع البدن بقوله -تعالى- في سورة البقرة: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ

أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾، فلذلك قل دومًا عند أي ألم ووجع، وعند أي حزن وكرب، إنا لله وإنا إليه راجعون، وقد روت أم المؤمنين أم سلمة – رضي الله عنها– عن رسول الله ﷺ قال: "ما مِن مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فيَقولُ ما أمَرَهُ اللَّهُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ ،[البقرة:١٥٦] اللَّهُمَّ أْجُرْنِي في مُصِيبَتِي، وأَخْلِفْ لي خَيْرًا مِنْها، إلَّا أخْلَفَ اللَّهُ له خَيْرًا مِنْها، قالَتْ: فَلَمَّا ماتَ أبو سَلَمَةَ، قُلتُ: أيُّ المُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِن أبِي سَلَمَةَ؟ أوَّلُ بَيْتٍ هاجَرَ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ إنِّي قُلْتُها، فأخْلَفَ اللَّهُ لي رَسولَ اللهِ ﷺ قالَتْ: أرْسَلَ إلَيَّ رَسولُ اللهِ ﷺ حاطِبَ بنَ أبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي له، فَقُلتُ: إنَّ لي بنْتًا وأنا غَيُورٌ، فقالَ: أمَّا ابْنَتُها فَنَدْعُو اللَّهَ أنْ يُغْنِيَها عَنْها، وأَدْعُو اللَّهَ أنْ يَذْهَبَ بالغَيْرَةِ."(١).

١٠٠.يا أخي، هناك سؤال يطرحه كثير من ملاحدة الغرب اليوم، بل هو سؤالهم الأول في أطروحاتهم لنفي الإيمان!، هذا السؤال يتمركز حول مشكلة الشر!، أي لماذا يوجد شر في هذه الحياة!، ولقد تأثر بهذا الفكر كثير من ملاحدة العرب المخدوعين أو التابعين للغرب باعتباره الأنموذج المنتظر للإجابة عن جميع التساؤلات!، بل باعتباره الحقيقة التي لا غبار عليها، وأن ما يعارض ذلك ما هو إلى خيال أو وهم!، وقد تأثر بهذا الطرح العديد من إخواننا أصحاب القلوب المرهفة، أو على أقل تقدير، دخل شك إلى قلوبهم من هذا الطرح!، كما يطرح هذا السؤال بعض من تأثر بماكينات الإعلام الغربية ووسائلها، أو من لم يدركوا حقيقة الإيمان ومعناه، وإنما كان مرادهم هو متعة المادة!، ومع أن هذا السؤال بذاته يعتبر مشكلة للملاحدة قبل أن يكون مشكلة لأهل الإيمان، إلا أنهم يتجاوزون ذلك ويقفزون لمحاربة

---

(١) الراوي: أم سلمة أم المؤمنين | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٩١٨ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

الإيمان، مع أنهم يشيرون بالسلاح إلى أنفسهم وهم لا يعلمون!، وسبب ذلك أن الإلحاد ملزم بتقديم طرحه العلمي حول المسألة؛ للإجابة عن هذه المشكلة!، لكن انتظر، الإلحاد يجب أن يقوم على مبدأ مادي بحت، فكيف له أن ينظر إلى الشر ليحاكمه؟!، وكيف له أن يبرر وجود الخير؟!، وكيف له أن يعتبر أن أصل الكون قائم على الخير، ووجود الشر فيه هو شذوذ عن أصل الخير؟!، وكيف له أن يضبط معيار الخير والشر عنده؟!، ومع أن الإلحاد لا يمكن أن يجيب عن هذه الأسئلة وغيرها إجابة تنفي عنه الريبة ويدفع عنه الشبهة دون أن ينقض إلحاده أو يناقض نفسه ومبادئه!، ومع أننا لسنا في موضع محاججة هنا، إلا أننا تطرقنا لذلك قبل الخوض في هذه النقطة لأننا ننطلق من قاعدة إيمانية والحمد لله، فالمسلم ينطلق من مجموعة من القواعد التي لا غبار عليها، **فالله -سبحانه وتعالى- هو الحكيم العليم، القادر المقتدر، مالك الملك ذو الجلال والإكرام**، وهذا يعني أن الله -سبحانه وتعالى- خلق هذا الكون البديع بقدرته وقوته، **وهو القادر عليه والمحيط به**، وهذا يجعلنا عبادًا له مسلمين أمرنا له -جل في علاه-، وهذا يعني أن هذه الحياة دار "امتحان" وليست دار مقام، وينبغي للنجاح في الامتحان الجد والاجتهاد والصبر على ما صعب فيه من أسئلة ومواقف!، وهذا يعني أننا سنبعث لأننا لسنا مجرد "حثالة كيميائية"، **وسيكون هناك حساب ثم ثواب أو عقاب -والعياذ بالله-، وهذا الأمر لوحده كافٍ للإجابة عن هذا السؤال -من وجهة نظري-، لأنه يوضح من أين وإلى أين، ويوضح دورنا في هذه الحياة وينفي العبثية عنها!**، ومع ذلك، لن نكتفي بهذه الإجابة، لأن هذه الإجابة تمثل جزءًا من الإجابة على هذا السؤال -حكمة الثواب والعوض-، لذلك، لننظر في أدلة أخرى، وعطفًا على ما سبق، لقد زعمنا أن الخير هو أصل الكون، وأن

الشر هو الشذوذ عن هذا الأصل، والدليل على هذا أن الخير كثير عظيم يستحيل حصره أو يصعب إحصاءه، بينما الشر يمكن الدلالة عليه مباشرة، **فنقول أن الصحة هي الأصل، وهي خير، وظهور المرض هو شذوذ عن هذا الخير، فمن أدرك هذا أدرك أنه محاط بالخير، ووجود شر أصابه هو شذوذ عن أصل الكون -الخير-، وهو من الامتحان والبلاء الذي يجب أن يحسن فيه الإنسان حتى يصل إلى النعيم الأبدي!**، روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ: "ما يُصِيبُ المُؤْمِنَ مِن وصَبٍ، ولا نَصَبٍ، ولا سَقَمٍ، ولا حَزَنٍ حتَّى الهَمِّ يُهَمُّهُ، إلَّا كُفِّرَ به مِن سَيِّئاتِهِ"[1]، **إن المشكلة الكبرى في هذا السؤال أن منبته من طينة إلحادية، جعلت الإنسان مركزًا لهذا الكون!، لذلك كان هناك تغير "طبيعي" على الإنسان الغربي في نظرته للحياة** -خصوصًا ضمن الأيدلوجية الغربية والماكينات الإعلامية-؛ والتي جعلته ينظر إلى ما في هذه الحياة بطريقة مادية، فصارت الدنيا سجنه ومحط آلامه!، وبدل من أن يفكر "لماذا أعيش؟" صار يفكر "كيف أعيش؟"، صار يلهث خلف المادة ويتخذها وسيلة لإشباع رغباته قبل أن يأتيه مرض يسرق منه أيامه أو موت يضيع آماله!، ومع ذلك لم يجد النجاة!، **لذلك، من "الطبيعي" أن يتألم الملحد أو من لا يؤمن بالبعث من وجود الشر ويعاني منه ويسخط لأنه لا يؤمن أبعد من هذه الحياة المادية!**، وهو بذلك يسقط في فخ أراد الهروب منه فلم يجد بُدّ من الوقوع فيه!، وهذا كله مما يجعل العيش في هذه الدنيا بلا معنى؛ لمن لا يؤمن بالله -جل في علاه-!، **واعلم يا أخي أن حكمة الله -سبحانه وتعالى- عظيمة جليلة، قد تعجز عقولنا عن فهم هذه الحكمة أحيانًا، وقد نعلمها أحيانا، لكننا في حالة علمنا أو جهلنا نقر بأن الله -سبحانه وتعالى- الحكيم العليم،**

(١) أبو سعيد الخدري وأبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٥٧٣ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

ومن الأمثلة الجميلة على ذلك؛ الموت!، فالموت وإن كان "مصيبة" يفقد فيها الناس الأهل والأصحاب والأحباب، إلا أنه أحد الأمور العظام في هذه الحياة!، ففيها ينتقل المصلح من الدنيا بما فيها من فرح وسرور، وحزن وشرور إلى نعيم دائم!، وفيها يشعر الناس بأهمية حياتهم ومعناها، ولولا الموت لما عرف طعم الحياة!، وفيها أن البشر في هذه الدنيا يسلم بعضهم بعضًا، فلو دام الأولون والآخرون، لضاقت الأرض بما رحبت على أهلها، فقد يكون الموت رحمة للمؤمن من الفتن والظلم الذي قد يعيش فيه أو يخالطه أو يصيبه بعضًا منه، وقد يكون رحمة بأهله – حكمة أخرى غير الثواب والعوض-!، ومن الأمثلة أن الإنسان إن طرد من عمله، فظاهر الأمر شرًا، لكنه قد يساق له عملًا خيرًا له!، أو فكرة من قلب الألم ليصبح من الأثرياء!، أو يدفع عنه شرًا لو بقي هناك!، وهذا يقودنا إلى واحدة من أجمل جماليات الإسلام!، **وهي أن الإسلام ليس دين نسك فحسب!**، فالعبادات كالصلاة والصوم والحج هي جزء عظيم من ديننا العظيم، لكن هناك أجزاء أخرى لا تقل أهمية عنها، مثل الطرح الجميل الذي قدمه الإسلام لفهم هذه الحياة وما فيها، وفهم المعاني الخاصة بهذا الكون وعلاقته مع الإنسان، **لذلك يكون كل ما يصيب المسلم في حياته ذا طعم مختلف، فيه من جمال الحكمة العقلية أو القلبية ما يدفع عنه المعاني الميتة، ويعطيه معان حية تحيي قلبه في كل حين، وتجعله يتوق لجنة عرضها كعرض السماوات والأرض، أعدت للمتقين!**، وهذا الفكر الجميل يقود المسلم للتعامل مع المواقف بطريقة جميلة تليق به!، ومن هذا التعامل الجميل ما روته أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها-: "سَمِعْتُ رَسولَ الله ﷺ يقولُ: ما مِن عبد تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فيَقولُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٦]، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي في مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لي

خَيْرًا منها، إلَّا أَجَرَهُ الله في مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ له خَيْرًا منها."[١]، وما رواه صهيب الرومي -رضي الله عنه-: "عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له"[٢]، ومن اللطائف في الطرح الإسلامي كما ذكر في الحديث والآية، الإقرار بوجود مصائب تصيب الإنسان، **أي أنه سمى الموت "مصيبة"، وكانت "الضراء" مما يصيب الإنسان!، وهذا يوافق العقل لأن الحياة تحتاج إلى كبد، فالسعادة بمعناها الدائم لا تكون في هذه الحياة، بل هي ما يصير إليه المؤمنون!**، ولولا التضاد لما عرفنا قيمة الأشياء!، وهذا يوافق عقلًا طبيعة "الحياة" بكونها "امتحان"، وهذا يوافق ما وهبه الله -سبحانه وتعالى- لعباده من الإرادة الحرة، والتي هي دليل عظيم على حكمة الله -سبحانه وتعالى- وعدله وقدرته!، فبهذه الإرادة الحرة، يختار الإنسان طريقه من الخير أو الشر -والعياذ بالله-!، وهو مسئول عن اختياره!، قال تعالى في سورة الروم: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ أرأيت جمال الوصف في هذه الآية الكريمة، بما كسبت أيدي الناس!، ولو نزع الله -سبحانه وتعالى- هذه الإرادة عن عباده، لكان العباد موجهين لا معنى لحريتهم ها هنا!، روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ: "حُفَّتِ الجَنَّةُ بالمَكارِهِ، وحُفَّتِ النَّارُ بالشَّهَواتِ"[٣]، وقال تعالى في سورة الذاريات:

---

(١) الراوي: أم سلمة أم المؤمنين | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٩١٨ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) الراوي: صهيب بن سنان الرومي | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٩٩٩ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٣) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٤٨٧ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح] التخريج: أخرجه البخاري (٦٤٨٧)، ومسلم (٢٨٢٣)

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾، وقال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾، وقال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾، وبهذا، **فإن الإنسان يسعى لأفضل دار من خلال تقديم أفضل ما يمكنه في هذه الدار!، وهذا لا يتم إلا بالعبودية لله -سبحانه وتعالى-، والنظر لهذه الدنيا على كونها دار ممر،** فالسعادة فيها مما يفرح القلب ويربط الفؤاد، والحزن فيها مما يقوي القلب ليعود إلى باريه، ويحقق منافع للناس!، وليقضي الله -سبحانه وتعالى- أمرًا كان مقضيًا!، **في حكم لا نحصيها عدًا ولا ذكرًا ولا علمًا!**، ويمكن أن نلخص هذه الفقرة بما ذكره علي عزت بيجوفيتش -رحمه الله-: **"إن التسليم لله هو الطريقة الإنسانية الوحيدة للخروج من ظروف الحياة المأساوية التي لا حل لها ولا معنى.. إنه طريق للخروج بدون تمرد ولا قنوط ولا عدمية ولا انتحار. إنه شعور بطولي (لا شعور بطل)، بل شعور إنسان عادي قام بأداء واجبه وتقبل قَدَره"**[١]، فالحمد لله رب العالمين، الحمد لله على جمال الخضوع له، وجمال الألم الذي لولاه لما عرفنا المرض، ولا عرفنا نعمة الصحة، ولا استشعرنا بالخطر!، الحمد لله على نعمة الألم التي تعيد النفس إلى خالقها، وتعيد العقل إلى رشده!، الحمد لله الذي نظم حياتنا وجعلها في نظام بديع، ونستغفره ونتوب إليه على معاصينا وتعدينا على ما ليس لنا!، ونبرأ إلى الله -سبحانه وتعالى- من كل ظالم ومتكبر وجبار لا يؤمن بيوم الحساب، والأمر كله لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.[٢]

---

(١) كتاب الإسلام بين الشرق والغرب | علي عزت بيجوفيتش

(٢) يظهر في هذه النقطة تأثري الواضح بما كتبه الدكتور سامي عامري -جزاه الله كل خير-، في كتابه =

ملاحظة: تشير حكمة الثواب والعوض إلى أن هناك ثوابًا وعوضًا وجزاء قد يصيب الإنسان إذا فعل أمر ما، أو ترتب عليه أمر ما، فمثلًا إذا عمل الإنسان صالحًا فله الجنة، فهذا ثواب، ومن ترك شيئًا لله عوضه الله سبحانه وتعالى خيرًا منها، فهذه ثواب وعوض...، لكن هناك حكم أخرى كثيرة، غير الثواب والعوض، فمثلًا وجود الألم دليل على وجود مشكلة صحية ما، فهذه حكمة تنبه الإنسان لخطر يحيط به حتى يتخذ إجراء فينقذ نفسه من أذى أكبر.

١٠١. فلْتعلمْ أن أهل العلم الذين علموا الحق عليهم أن يبينوه للناس ولا يكتمونه.

١٠٢. فلْتعلمْ أن الذنب الذي يُفسد الغير يلزمه توبة، وإصلاح! وذلك حتى يتبين لمن فسد بسببك، بطلان ما قدته إليه! والذنب الذي فيه حق للعباد عليك، يلزم فيه التوبة، وإرجاع الحق لأصحابه وهكذا.

١٠٣. فلتعلم يا أخي أن المؤمن يحتاط من الذنب ويجاهد نفسه لأجل ذلك، ويرى صغير ذنبه ذنبًا عظيمًا! والفاجر لا يحتاط من الذنب؛ فهو يرى الذنب مهما عظم صغيرًا! وقد رُوي عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- أنه قال: "إنَّ المؤمنَ يرَى ذنوبَه كأنه في أصلِ جبلٍ يخافُ أنْ يقعَ عليه وإنَّ الفاجرَ يرَى ذنوبَه كذبابٍ وقع على أنفِه قال به هكذا، فطار"[١]، فاحذر من الذنب وفر منه فرارك من الأسد الجائع! ولا تستصغر صغير الذنب؛ فإنك لا تدري ما بعد هذا الذنب من ذنب! وألحق الذنب

= مشكلة الشر ووجود الله، وهو كتاب قيم أنصح بقراءته لمن يتعرض لمثل هذه الشبهات من الملاحدة أو دخل شيء إلى قلبه منها.

(١) الراوي: الحارث بن سويد | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترمذي | الصفحة أو الرقم: ٢٤٩٧ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

توبة وأخلص فيها لعل الله -سبحانه وتعالى- يغفر لك ما سلف، وأن يطهرك تطهيرًا!، والأمر كله لله -جل في علاه-، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٠٤. فلْتعلمْ أن من تدبر في خلق الله -سبحانه وتعالى- في هذا الكون البديع، سيرى بكل وضوح كمال علمه وقدرته وإعجازه، ولْتعلمْ أن ما تراه في كل الأوقات، وتعيشه في كل اللحظات كأمور اعتيادية نِعمٌ عظيمة، فالليل والنهار، والشمس والقمر والنجوم، والسماء والأرض، والرياح والماء والمطر، كلها نعم نحن غارقون فيها، ونستفيد منها كما قدر الله لنا، فاللهم أدم نعمتك علينا، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا واجعلنا من عبادك الصالحين.

١٠٥. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- غنيٌ عنا، وأنك إن أصلحت، فلنفسك! وإن أسأت، فعليها!

١٠٦. فلْتعلمْ أن من كمال الإيمان أن يكون الله أحب إليك مما سواه، ومن حقق ذلك ذاق حلاوة الإيمان، كما روى أنس عن النبي ﷺ قال: "ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وجَدَ حلاوَةَ الإيمانِ: أنْ يكونَ الله ورسولُهُ أحبُّ إليه مِمَّا سِواهُما، وأنْ يُحِبَّ المرْءَ لا يُحبُّهُ إلَّا للهِ، وأنْ يَكْرَهَ أنْ يَعودَ في الكُفرِ بعدَ إذْ أنقذَهُ الله مِنْهُ؛ كَما يَكرَهُ أنْ يُلْقى في النارِ"(١)

١٠٧. فلْتعلمْ أنك إن اتبعت أهل الباطل والضلال فقدت السند والدعم، فهم سيتبرءون منك في الآخرة، ولن تجد لك من دون الله من وليٍّ ولا نصيرٍ، وهذا الأمر تجده في كثير من الأحيان في الدنيا قبل الآخرة، والله والمستعان!

---

(١) الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الجامع الصفحة أو الرقم: ٣٠٤٤ | خلاصة حكم المحدث: صحيح التخريج: أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣)، والترمذي (٢٦٢٤) واللفظ له، والنسائي (٤٩٨٧)، وابن ماجه (٤٠٣٣)، وأحمد (١٢٠٢١).

١٠٨. فلْتعلمْ يا أخي أننا أمرنا ألا نتبع خطوات الشيطان، وهذا من المعاني البليغة العميقة، فالشيطان لن يأمرك باتباعه، بل سيقودك إلى اتباع الطرق التي بناها ليفتنك عن دينك خطوة بخطوة، فإن سقطت بذنب، صغّر إليك ذنبًا آخرًا أكبر من الذي سبقه، وخير مثال على ذلك الزنا -والعياذ بالله-، فيبدأ الأمر بتسهيل النظرة الحرام، ثم الجلسة الحرام، ثم الكلام الحرام، ثم اللمس الحرام، ثم ها قد دخل العبد في مراحل الزنا! القلب، والبصر، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه -أبعد الله عنا وعنكم الزنا، وما قرّب إليه من قول أو عمل-.

١٠٩. إياك يا أخي أن تقول على الله -سبحانه وتعالى- ما لا تعلم.

١١٠. فلْتعلمْ أن التفكر والعمل والتوازن بين الدنيا والآخرة أمر مهم جدًا، فلا يميل جانب الدنيا على الآخرة فتصبح جاهلًا بأوامر الله -سبحانه وتعالى-، عاصٍ له، أو تميل الآخرة على الدنيا فلا تقوم بما ينفعك ويقويك على عبادة الله -سبحانه وتعالى- وعمارة الأرض، بل وازن بينهما فيكون عملك وحياتك في الدنيا هي الطريقة -الوسيلة- التي تبني بها الآخرة، ولْتعلمْ أن الدين يعلمنا كيف نحيا في الدنيا فنكون سعداء، ويكون لنا الثواب في الآخرة إن شاء الله.

١١١. فلْتعلمْ أنه ليس كل ما يقوله لك والداك أو ما تراه من أفعالهم، هو حق مطلق، لذلك، إن علمت الحق، فاتبعه! فهو واجب عليك، وإن خالف ما سار عليه والداك، وأنت ملزم ببرهم والإحسان إليهم! فهذا لا ينقص من ذلك شيئًا!

١١٢. فلْتعلمْ أن تناول الطيبات التي رزقنا الله بها، من النعم الجميلة التي تُمتع النفس، وتقوي البدن، وتعين العبد على طاعة ربه! فكُلْ مما رزقك الله -سبحانه وتعالى- حلالًا طيبًا، واشكره على ما أنعم عليك!

١١٣. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- حرّم علينا أكل ما ذُبح لغيره، وحرم علينا ما مات من غير تذكية شرعية واستثنى من ذلك السمك والجراد!، واستثنى رب العزة برحمته من اضطر غير باغٍ (غير طالب المحرم وهو قادر على الحلال) ولا عادٍ (غير متجاوز الحد في تناول ما أبيح له أكله اضطرارًا، فيأكل بقدر الضرورة لا يزيد عليها).

١١٤. فلْتعلمْ أن من العدل مجازاة المحسن بإحسانه، ومعاقبة المسيء على إساءته.

١١٥. فلْتعلمْ أن أولى الناس بالنفقة هم ذوو القربى (وأقربهم، الأقارب الذين تفرح لفرحهم، وتأسى على مصابهم) واليتامى والمساكين وابن السبيل (وهو من تقطعت به السبل في غير بلده) والسائلين (وهم من لهم حاجة تُوجب السؤال) وفي الرقاب (العتق والإعانة عليه وفداء الأسرى من الكفار أو الظلمة).

١١٦. فلْتعلمْ أن أحكام الله -سبحانه وتعالى- وعقوباته، نافذة حكيمة عليمة بأحوال من وُضعت لأجلهم، وواحدة من أعظم هذه العقوبات القَصاص، فهو -والله- العدل المطلق! ولْتعلمْ أن هذه العقوبة لن يعرف حقيقتها وعظمتها إلا أصحاب العقول الكاملة والألباب الرشيدة، ففيها انكفاف الشر، وحقن الدماء، وزجر لمن سيفعل السوء قبل أن يفعل! فالحمد لله الذي جعلنا عبيدًا له، ربٌّ عزيز عليم حكيم قدير عدل، الحمد لله!

١١٧. فلْتعلمْ أن الموت آتٍ لا محالة! فاستعد له! ومما يدل على استعدادك للموت، إبراء ذمتك، وكتابة وصيتك!، وللوصية أحكام عظيمة وفوائد جليلة، فمنها ما هو واجب، ومنها ما هو مستحب، أما الواجب منها كأن يكون للناس عندك حق،

فيجب عليك كتابة هذه الحقوق؛ ليأخذ كل ذي حق حقه!، خصوصًا إن لم يكن هناك ما يضمن حقوقهم!، أما المستحب فهو مثل أن يوصي الواحد منا من ماله بصدقة للفقراء أو المحتاجين أو المساكين ونحو ذلك من سبل الخير، على ألا تزيد على ثلث ماله!، ومن الأمور الجميلة لوجود الوصية هو تبرئة الذمة من حقوق رب العباد كما نستخدمها للتبرؤ من حقوق العباد!، فمثلًا يكتب في الوصية إن كان هناك قضاء صيام أو نذر يجب على هذا الإنسان ولم يفعله، كالمرأة التي تلد وتفطر ولم تقضِ صيامها بعد أن كانت قادرة عليه، وهذا أمر تقع فيه كثير من النساء!، ولنتذكر أن الأولى دومًا هو الإسراع في القيام بالحقوق التي تجب على الإنسان، وعلى المرأة أن تدرك أن ما يفوتها لعذر شرعي هو من رحمة الله -سبحانه وتعالى- بها، فمثًلا، إن الحائض يحرم عليها الصلاة والصيام حتى تطهر، فإن طهرت أكملت صيام رمضان، ثم قضت ما عليها من الصيام، ولا تقضي الصلاة!، وكذلك النفساء! فإن علمت المرأة ذلك، وجب عليها أن تكون شاكرة لفضل الله -سبحانه وتعالى- عليها!، فتبادر في أداء حق رب العزة -جل في علاه-، فإن هذا الحق لا يسقط عن رقبتها!، ومن الإحسان أن تسارع في قضاء ما عليها من قبل أن يأتي الموت!، فاللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك!

١١٨. إن شهدت وصية أحدهم، فإياك أن تبدل أو تغير فيها! وعلى كاتب الوصية أن يتقي الله فيما يكتب، وإن شهدت الوصية قبل وفاة الموصي ورأيت فيها ظلمًا، فانصحه وأخبره بظلمه، ولا تعاونه عليه، فإن أصر على الظلم، فانصح الموصى إليهم بتقوى الله والتسامح وليأخذ كل ذي حق حقه، ولْتعلمْ أن الوصية بما جاوز الثلث أو الوصية للوارث باطلة ومحرمة، ويجب عدم تنفيذها إلا لو تراضى الورثة على ذلك، ويمكن الرجوع للمصادر الفقهية للاستزادة حول أحكام الوصية.

١١٩. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- فرض علينا الصيام، وهو من العبادات العظيمة -وكل العبادات عظيمة-، ففيها ترك أجمل وألذ المتع الجسدية (الطعام والجماع) امتثالًا لأوامر الله، وفيها تتهذب النفس، ويعلم الإنسان أنه قائدٌ لشهواته لا مقود لها! وفيها من الشعور بالفقراء ما فيها، وفيها من تدريب النفس على الصبر ما فيها، وفيها من استشعار لمراقبة الله -سبحانه وتعالى- ما فيها، وفيها من الخصال ما لا يعد ولا يحصى! وهذه الفريضة العظيمة فُرضت في أيام معدودات (قليلة في غاية السهولة -شهر رمضان-)، ورحم الله فيها من لا يقدر عليها ضمن مجمل أحكام الصيام، وهذه الفريضة فُرضت علينا كما فرضت على الأمم السابقة، فالحمد لله الذي كرمنا بها!

١٢٠. فلتعلم يا أخي أن الحق لا يكتمل إلا بالصبر، والصبر يحتاج إلى عزم عليه، وكثير من الناس لهم من الأفكار والأهداف ما لا تحمله العصبة من الرجال!، وقليل منهم من يُنفذ ما دار في خاطره من أفكار أو يسعى لتنفيذها، وقلة من يستمرون على ما بدأوه حتى يتم عملهم وينجز!، فكم مرة نويت أن تقرأ القرآن ولم تقرأه؟، وكم مرة نويت حفظه ولم تحفظه؟!، وكم مرة نويت قيام الليل ولم تقم؟، وكم مرة عزمت على التعلم ولم تتعلم؟، وكم مرة عزمت على ممارسة الرياضة ولم تمارسها؟، وكم مرة ابتدأت بأي عمل من هذه الأعمال ثم انقطعت فلم تكمل ما ابتدأته؟!، لذلك يا أخي، كن قويًّا عازمًا على تحويل ما يدور في عقلك من خير إلى عمل على أرض الواقع، فإن فعلت، فاصبر حتى تتم ما بدأت به من الخير!، أَوَتظن أن النجاح والفلاح يتأتى بلا صبر ولا عزم؟!، فاللهم القوة من عندك!، ولا حول ولا قوة إلا بك.

١٢١. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- قريب من عباده، يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، فليطمئن قلبك، ولتناجي الله -عز وجل- مباشرة دون وسيط أو شفيع، فهو الرقيب الشهيد على خلقه. فالحمد لله.

١٢٢. فلتجعلْ أعمالك كلها، صغيرة كانت أو كبيرة، خالصة لله -سبحانه وتعالى-، حتى في جماع زوجتك، اجعل نيتك التقرب إلى الله -سبحانه وتعالى-، ففيه الذرية والإحصان للفرج. وتذكر حديث الرسول ﷺ عندما عدد لأصحابه الصدقات الغير مادية، وكان من جملة ما ذكر: "وفي بُضْعِ أَحَدِكُم صدقةٌ. قالوا: يا رسولَ الله أَيَأْتِي أحَدُنا شَهْوَتَهُ وَيكونُ له فيها أجْرٌ؟ قال: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي الحرامِ أَلَيْسَ كان يكونُ عليْهِ وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَها فِي الْحَلَالِ يكونُ لَهُ أجرٌ"(١). وكلها مما يؤجر المرء عليه، فالحمد لله.

١٢٣. فلْتعلمْ أن هناك حدودًا وضعها الله -سبحانه وتعالى- بين الحلال والحرام، لا ينبغي لأحد منا تجاوزها، فالتزم بما أُمرت، واتقِ الله.

١٢٤. فلْتعلمْ أن المسلم يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وأنه يحترم أخاه ويصون عرضه ويحفظه في غيابه في نفسه وماله.

١٢٥. فلْتعلمْ أن كسب المال له طريقان إما حلال وإما حرام! ولكل طريق قواعده الخاصة التي من خلالها قد يتغير الحكم من الحلال إلى الحرام لو حدث إخلال بسيط! ولْتعلمْ أن السرقة والخيانة والربا والقمار كلها من طرق الكسب المحرم، وكذلك الغش في البيع أو الشراء أو الامتناع عن دفع الأجرة للأجير ونحو ذلك.

---

(١) الراوي: أبو ذر الغفاري | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ١٠٠٦ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح].

١٢٦. فلْتعلمْ أن الطريق السهل القريب الموصل للمراد هو الطريق الأحق بالاتباع، ما دام حلالًا! فلا تصعّب على نفسك أو على غيرك الطريق!

١٢٧. يا أخي، إن قمت بالذهاب إلى منزل قريب لك أو صديق، أو جار لك أو بعيد عنك، فادخل عليه من "المدخل"، ويقصد بذلك المكان المخصص أو المعتاد أو المصمم لاستقبال الناس من خلاله!، ولا تدخل فتكشف حرمة البيت حتى تستأذن، فلا تقفز من فوق الأسوار، ولا تنظر من فوقها وحولها، ولا تنطلق للأبواب الخاصة بأهل البيت كالأبواب الجانبية من دون إذن مسبق!

١٢٨. فلْتعلمْ أن الأهلة هي ما يحدد به المسلمون أوقات عباداتهم المحددة كالصيام والحج والزكاة، وأوقات معاملتهم كالعدة وغيرها. وهذا يجب مراعاته عند حساب العدة والزكاة وغيرها، لأن الشهور الهجرية تختلف عن الميلادية في عدد الأيام.

١٢٩. فلْتعلمْ أن الله –سبحانه وتعالى– وضع قواعد محكمة للقتال، ومن هذه القواعد أننا مأمورون بقتال من يقاتلنا، وأننا لا نقتل شيخًا، ولا امرأة، ولا طفلًا، ولا مجنونًا، ولا راهبًا من غير المقاتلين! كما نُهينا عن قتل الحيوانات وقطع الأشجار من دون مصلحة تعود على المسلمين.

١٣٠. فلْتعلمْ أن القصد من القتال في سبيل الله ليس سفك الدماء وأخذ الأموال، وسبي النساء، بل هو قتال ليظهر دين الله –سبحانه وتعالى– على سائر الأديان، فإن حصل المقصود فلا قتل ولا قتال إلا بظلم أو اعتداء أو صد عن سبيل الله!

١٣١. فلْتعلمْ أن هذه الدنيا فيها من العثرات والمكائد والمصائب ما فيها، فمن فقد البوصلة واتخذ طريق الشيطان طريقًا له، وقع في ذلك واستقر فيه، ولْتعلمْ أنه إذا أُعتدي عليك، فلك كل الحق في إرجاع ما سُلب منك، ولكن بنفس القدر الذي أُعتدي عليك به. فلا تزد!

١٣٢. فلْتعلمْ أن حفظ النفس والبدن من مقاصد الشريعة، وبهذا فلا يجوز لك أن تُهلك نفسك بحجة اللعب أو المغامرة!

١٣٣. إذا دعوت الله أخي الحبيب، فلا تنسَ نصيبك من الدنيا كما لا تنسَ الآخرة، ولتكن ذا أمنيات حسنة في الدنيا والآخرة، وهذا يشمل الزوج الصالح، والعمل الصالح، والرزق الحلال، والعيش الرغيد، والولد الصالح، والعلم النافع وغيرها من حسنات الدنيا! وتشمل حسنة الآخرة رضا الله - سبحانه وتعالى- والفوز بقربه، والنعيم بجنانه، والعتق من نيرانه، والنجاة من غضبه وعقوبته.

١٣٤. فلْتعلمْ أنك في هذه الحياة ستقابل من يقول القول الحسن الجميل، لكنه في ذات الوقت يخفي ويضمر الشر! فيجب أن تكون كيّسًا فطنًا، وتنظر بعقل وقلب، لأنك ستجد في أفعاله ما يدل على كذب لسانه!، فلا يخدعنك كل لسانٍ جميل!

١٣٥. فلْتعلمْ أن التعصب والمغالاة بالخصام ليست من خصال المؤمنين! فإن وجدتها في نفسك، فتب إلى الله -سبحانه وتعالى-، وألنْ قلبك للحق واتبعه! وإن وجدتها في غيرك، فاحذره!

١٣٦. فلْتعلمْ أن بُغض المفسدين في الأرض من الأمور المحمودة الموافقة للسجية! والبغض هذا يكون في الله، لأن الله -سبحانه وتعالى- لا يرضى بالفساد، ولا يحب من كانت هذه صفته وسمته -والعياذ بالله-.

١٣٧. فلْتعلمْ أننا يجب أن نؤمن بكل ما جاء به الشرع من أوامر، وعلينا أن نبادر لفعل ما أمرنا الله-سبحانه وتعالى- به، فإن أعذرنا -أصبح لدينا عذر-، فعلينا أن نقوم بما نستطيع ونترك ما لا نستطيع وفقًا لما حدد الشرع، وقد نؤجر عندها بنيتنا الحسنة فقط.

١٣٨. فلْتعلمْ أن النعم التي لا نشكر الله -سبحانه وتعالى- عليها ستقل بركتها وقد تصبح وبالًا على صاحبها! وأن من شكر؛ فإن الله -سبحانه وتعالى- سيزيده، ويبارك له فيما أعطاه وأنعم عليه.

١٣٩. فلْتعلمْ أن من خصال أهل الكفر والمفسدين في الأرض الاستهزاء والسخرية من المؤمنين والمصلحين، فلا يغرك قولهم، فإن الله -سبحانه وتعالى- وعد أهل الإيمان بنعيم الجنان، ووعد أهل الكفر بعذاب النيران!

١٤٠. فلْتعلمْ أن الرزق الدنيوي هو رزق أنعم الله به على البشر، المؤمنين به والكافرين به -والعياذ بالله- على حد سواء، لكن الله -سبحانه وتعالى- اختص رزق القلوب وصلاحها بمن يحب، فاللهم اجعلنا ممن أحببت.

١٤١. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- ابتلى الأمم السابقة وامتحنهم بالسراء والضراء، ونحن كذلك، وهذا من سنن الله -سبحانه وتعالى- في الأرض، فالله -سبحانه وتعالى- يبتلي عباده في الدنيا، لذلك لا تجزع، فإما صبر ونعيم، وإما سخط وجحيم -والعياذ بالله-، والبلاء لن يُرفع إلا بأمر الله! فكن على يقين بأن نصر الله قريب، وأن فرج الله قريب!

١٤٢. فلْتعلمْ أن علمك قاصر، فليس كل ما تتمناه وترغب فيه خير لك، وليس كل ما تنفر منه شر لك.!

١٤٣. فلْتعلمْ أن من يرتد عن الإسلام ويموت دون أن يرجع أو يتوب، فهو كافر حبط عمله، وكان من أصحاب النار -والعياذ بالله-.

١٤٤. فلْتعلمْ أن الخمر حرام، وكل مسكر يخمر العقل ويغطيه حرام، ولْتعلمْ أن تسمية الأمور بأسمائها الحقيقية واجب على أهل الحق والعلم، فلا نقول "مشروبات روحية" بل نسميها باسمها "خمور"، عافنا الله وإياكم منها ومما يقرب إليها!

١٤٥. فلْتعلمْ أن ليس كل ما حرمه الله -سبحانه وتعالى- ضرر محض، بل قد يفيد من أحد الوجوه، ولكن نحن نمتثل لأمر الله سواء أدركنا الحكمة أم لم ندرك، فالخمر محرمة لأن ذلك حكم الله..

١٤٦. فلْتعلمْ أن أوامر الله -سبحانه وتعالى- كلها تابعة لحكمته العظيمة وعلمه الواسع الذي أحاط بكل شيء، لذلك، كل شيء أمرنا به الله -عز وجل-، وكل شيء خلقه له حكمة فيها، ونحن قد نعلم الحكمة من ورائها أو نجهلها، فإن علمناها فهو خير، وإلا فنحن نعلم بأننا جاهلون بحكمتها متيقنون بحكمة رب العزة فيها. فالحمد لله.

١٤٧. فلْتعلمْ أن المرأة المسلمة خير من المرأة المشركة ولو أعجبتك المشركة!، فإن المشركة في أفعالها وأعمالها وأحوالها تدعو إلى النار! ونساء المسلمين أولى بإحصان الفرج، وأقرب في أفعالهن وأقوالهن إلى الجنة!

١٤٨. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- أحل الطلاق، كما أحل الزواج!، فإن كرهت من زوجتك شيئًا وعزمت على الطلاق، فإياك من هضم حقها وأخذ مالها من غير وجه حق، أو مضايقتها حتى تترك حقها! فهذا حق لها وأنت

بذلك معتدٍ على ما ليس لك! وإياك يا أخي من أن تمسكها أو ترجعها بغاية الضرر! فإما إمساك بمعروف، أو تسريح بإحسان، وسيغني الله -سبحانه وتعالى- كلًا من سعته.

١٤٩. فلْتعلمْ يا أخي أن أحكام الله - سبحانه وتعالى- وأوامره وآياته حق وصدق وجد، فإياك أن تتخذها هزوًا ولعبًا! أي لا تتحايل على أوامر الله وتتجرأ عليها فتأخذ الحكم المباح لغايات المنفعة وتستغله لغايات الضرر -والعياذ بالله-، ومن الأمثلة على ذلك، أن يكون الرجل يريد طلاق زوجته، فيهينها ويسيء معاملتها، لتتنازل عن حقوقها أو لتطلب الخلع.

١٥٠. فلْتعلمْ أن أحكام الله -سبحانه وتعالى- وأوامره ونواهيه صالحة لكل زمان ومكان، لكل البشر بمختلف أطيافهم وأعراقهم وأجناسهم!

١٥١. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- يعلم ما في نفوسنا وصدورنا، فاتقِ الله ما استطعت، واذكر الله ما استطعت، وانوِ الخير ما استطعت، وابتعد عن الشر ما استطعت!

١٥٢. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- حليم على عباده، غير عاجز عن عقابهم أو القضاء عليهم، لكنه بحلمه لا يُعاجل العاصين بمعصيتهم مع قدرته على ذلك، لأنه الحليم العليم، يقدر كل شيء بقدره! فالحمد لله.

١٥٣. فلْتعلمْ يا أخي أن معاملة الناس قد تكون بالواجبات والحقوق والإنصاف، فتؤدي ما وجب عليك، وتأخذ ما وجب لك، وهذا أمر لا عيب فيه، ولكن هناك درجة أعظم من ذلك، وهي الفضل، فتحسن وتعطي ما ليس واجبًا عليك أو حقًا لغيرك، وتتجاهل أي ضغائن، خصوصًا لمن بينك وبينهم سابق مودة أو

معاملة ومخالطة، وهذا من أعظم درجات المعاملة. ولتجعل قول الله تعالى ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡ﴾ نصب عينيك.

١٥٤. يا أخي، هل أخبرك بأمر عظيم؟ إن الله -سبحانه وتعالى- قال: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾، تخيل؟!، فسبحان الغني الذي جعل لنا بابًا ننفق فيه في سبيله، ونبني به طرق الخير التي دلنا عليها بفضله، ثم سمى هذا الإنفاق قرضًا يضاعفه لنا بفضله ورحمته! فلا تخشَ الفقر من الإنفاق في سبيله! فإن الله -سبحانه وتعالى- هو الذي يبسط الرزق ويقبضه! فاغتنم هذه الفرصة قبل فوات الآوان! وقل لبيك ربي، فكيف أضيع ما وعدتني وما أمرتني! لبيك اللهم، سمعنا وأطعنا يا رحمن الدنيا والآخرة.

١٥٥. أخي الحبيب، إن سألت الله -سبحانه وتعالى- أمرًا، فسله الصلاح والثبات على الخير فيه، وادعُ الله أن يربط على قلبك، فإن دعوت بالمال الوفير، فادعُ الله -سبحانه وتعالى- أن يثبت قلبك ويزيدك هدى، ويجعل هذا المال طريقًا للإحسان والإنفاق في سبيل الله، وإن سألت الله -سبحانه وتعالى- الجهاد في سبيله، فاسأله الثبات والقوة والعزيمة، لكي لا تجبُن وتولي مدبرًا! أو بعبارة أخرى اسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يعصمك من كل ما يبدل دينك أو يفتنك فيه!

١٥٦. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- يؤتي المال لمن يشاء، ويؤتي العلم لمن يشاء، ويعطي القوة لمن يشاء، ويعطي النسب والشرف لمن يشاء، ويعطي كل ما أراده لمن يشاء، ويجمع بينهم لمن يشاء، فلا تعترض على ما أعطاك، فقد يكون ما لديك هو ما ينقص غيرك ويتشوق إليه! وإياك ثم إياك من أن تتكبر على من لم يُعطَ مثل ما أُعطيت، فإنك لم تعطَ شيئًا إلا بفضل الله -سبحانه وتعالى- وإرادته، وعليك

أداء حق ما أعطاك، وعليك أداء حق ما أعطيت، ولا خيرة لك في ذلك! فاتقِ الله! ولْتعلمْ أن من لم يعطَ مثل ما أعطيت، قد يكون أعظم منك وأقرب إلى الله -جل في علاه-. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٥٧. فلْتعلمْ أن النصر من عند الله، فلا يغرنّك كثرة العدو وعتاده، فكم من فئة قليلة هزمت فئة كثيرة بإذن الله! ولْتعلمْ أن أصحاب الإيمان الراسخ هم أصحاب اليقين بأن الله -سبحانه وتعالى- وعدهم إحدى الحسنيين، فإما نصر وإما شهادة، ولْتعلمْ أن النصر من عند الله -سبحانه وتعالى- يأتي بعد الإتيان بالأسباب الموجبة له.

١٥٨. فلْتعلمْ أن الحق قد يتبعه الكثير من الناس، وقد يتبعه القليل أو أقل القليل، ولهذا فلا يغرنك العدد، بل ابحث عن الحق واتبعه، ولْتعلمْ أن هذا الأمر ليس بالسهل اليسير! وبخاصة إن كان أهل الحق قلة!

١٥٩. فلْتعلمْ أن الأرض التي انتشر فيها الفساد وطغى، هي تلك الأرض التي تمنع عباد الله -سبحانه وتعالى- من أداء عباداتهم، وتزداد المحاربة لأهل الحق والصلاح، كلما زاد الفساد وطغى. (الفساد يشمل الفسق والانحلال والظلم وعدم احترام القوانين والأعراف التي لا تخالف شرع الله، وهذا كله يعني عطب المجتمع وتلف نسيجه)

١٦٠. فلْتعلمْ أن الإسلام هو دين الحق، وأن هذا الدين لا يرضى بإكراه الكافرين أو المشركين على الإيمان به، ولْتعلمْ أن الإكراه لا يتم إلا لشيء تكرهه النفوس، وهذا ليس الإسلام، فهو يلامس القلوب والعقول، وفيه من الدلائل والعلامات ما يقطع الشك ويلزم اليقين والاتباع، والمبصر سيتبع هذا الدين بلا أدنى ريبة؛ إن كان باحثًا عن الحق، طيب النفس.

١٦١. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- هو ولينا، ونحن نسأله حبه، وحب من أحبه، ولْتعلمْ أن من أحب الله -سبحانه وتعالى- سيحب أن يوالي ويوافق ويصادق من هو محب لله -تعالى-، فهذه هي المحبة العظيمة الصادقة التي لا تقوم على المصالح الشخصية، فهي ليست مصلحة أو منفعة مرتبطة بمدة زمنية، بل هي حبٌ لا ينتهي حتى بعد موت الأحباب، فعند الله اللقاء! ولْتعلمْ كذلك أن من أحب الله -جل في علاه-، يبغض ويكره الشيطان وأولياءه، ويكفي لمن أحب الله -سبحانه وتعالى- أنهم في الدنيا مسرورون، صالحون، لا يضرهم من عاداهم، ففي قلوبهم حب الرحمن، وفي وجوههم نور الإيمان!

١٦٢. فلْتعلمْ أنك مهما عمّرت في هذه الأرض، وقضيت السنوات الطوال، لن تبلغ إلى يوم واحد من أيام الآخرة بعد موتك! فلا تُفضل لحظات الدنيا القصيرة على حياة الآخرة الأبدية.

١٦٣. فلْتعلمْ أن الإتيان بالأمثلة والأخبار التي تدخل في قلوب المستمعين إليك فيفهموها ويفهموا مرادها خير من قول جافٍ لا تفهمه العقول ولا يدخل في القلوب، فاضرب الأمثال بما تشهده أعين الناس، ومن ذلك تشبيه الله -سبحانه وتعالى- الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله **بحبة** أنبتت **سبع سنابل** في كل سنبلة ١٠٠ **حبة** ثم قال -جل في علاه-: والله يضاعف لمن يشاء! فسبحان الله الكريم، ما أجمل وصفه وبيانه!.

١٦٤. فلْتعلمْ أن الإنفاق الذي تنفقه هو مما وهبك الله، فاتقِ الله -سبحانه وتعالى- فيما آتاك، ولا تُلحق بالإنفاق منًا على المنفق عليه فتجرح قلبه ومشاعره، ولا أذى له بالقول أو الفعل فيحبط عملك - والعياذ بالله-!

(من المن أن تطلب من المنفق عليه أن يعدد إحسانك، ومن الأذى أن تطلب منه مقابل إنفاقك أمرًا)

١٦٥. فلْتعلمْ أن السائل الذي يسألك حاجة ليس عبدًا عندك، لذلك، إن لم ترد الإنفاق، فعليك بالإحسان في القول.

١٦٦. فلْتعلمْ أن الأعمال الصالحة تُزهر حتى تنضج أمام عينيك، فلا تقتل تلك الأزهار بعمل فاسد أو رياء أو منّ أو أذى، فيذهب الأجر والثواب، وتبقى الحسرة واللوم والعتاب!

١٦٧. فلْتعلمْ أن الإنفاق لكي يتم بأفضل حلة، يجب أن يكون مِن أفضل ما لديك، ومن أكثر ما تحب! فلا تختر الرديء الذي لا ترغب فيه، ولْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- غني عنا، وأنك ما قمت بهذا العمل إلا إخلاصًا لله تعالى، ومؤديًا لحق الله عليك، ومطهرًا لنفسك، وشاكرًا لأنعم الله عليك، فهذا الذي أحببت هو الذي رزقك الله إياه، فأنفق مما تحب، رحمك الله!

١٦٨. فلْتعلمْ أن الشيطان يعد الإنسان دومًا بالفقر ويأمره بالفحشاء والمنكر، ولْتعلمْ أن مسعاه دومًا أن يُبعدك عن الخيرات والصالحات، يوسوس بالفقر عند الإنفاق، ويوسوس بالفقر إذا تزوجت، ويوسوس بالفقر إذا أنجبت، ويوسوس بالعار إذا رُزقت الأنثى، ويوسوس بالطغيان والانتقام إذا رزقت الذكران، ويوسوس بالطلاق موهمًا إياك بالحياة الجميلة بعدها، ويوسوس لك بالزنا حتى تجد شيئًا لم تجده عند زوجك!، وهكذا في كل الأمور، صغيرها وكبيرها، وهذا كله مجرد وساوس لا ترتقي لأكثر من ذلك إلا بضعفك، فالله -سبحانه وتعالى- وعدنا عند الإنفاق بالبركة وطيب الأجر في الدنيا والآخرة، وأخبرنا بأن الرزق بيده، وأننا لا نقتل

أبناءنا خشية الفقر وغيره، وإننا نُكرم الفتاة ونحبها ونحتضنها، وبشر من حفظها وصانها وأحسن تربيتها بالجنة والوقاية من النار، فعن عَائِشَةَ -رَضِيَ الله عَنْهَا- قَالَتْ: "دَخَلَتْ امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا، فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: مَنْ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنْ النَّارِ"(١)، وأن من يرزقه الله -سبحانه وتعالى- من الذكران عليه أن يربيهم ليكونوا عزًا للإسلام والمسلمين، ناصرين للحق، معينين لغيرهم من أولي الأرحام، ولْتعلمْ أن ما يلقيه الشيطان لك حول الزنا والابتعاد عن زوجك باطل، فإن لزوجك ما لديها، فاتقِ الله في كل أمر، ولْتعلمْ أن الله - سبحانه وتعالى- كريم حليم عليم ذو فضل على العالمين.

١٦٩. فلْتعلمْ أن الحكمة هي من رزق الله -سبحانه وتعالى- لعبيده، وأعظم حكمة يمكن للمرء أن يكتسبها ويحيا بها، هي الحكمة التي تتعلق بأحكام الله - سبحانه وتعالى- وأوامره، ومعرفة الشرائع وأسرارها، فيتم له العلم، ويكتمل هذا الأمر بالعمل البدني بفعل الخيرات والبعد عن المنكرات، وبما وهبك الله إياه من الحكمة، وهذا والله لهو الخير العظيم! ولْتعلمْ أن العلم النافع هو الذي يقودك إلى الله -سبحانه وتعالى-، فترى من خلاله قدرته العظيمة بشكل لا يراه غيرك!، وهو الذي يقودك فترتقي بأسباب الصلاح، ويقودك لمساعدة الناس بما وهبك الله من علم اختصك به عن غيرك! ومن الأمثلة الطريفة التي عايشتها بطبيعة عملي -مبرمجًا- هو التفكر بخلق الله -سبحانه وتعالى- لهذا الإنسان وكيف وضعه في هذه الحياة بطريقة تذهل العقول وتدهشها! فعمل برمجة محاكاة لهذا الكون العظيم

(١) الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ١٤١٨ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

وكيف يعيش الإنسان به، وكيف يتميز كل واحد منا بشخصيته المستقلة وعالمه القائم بذاته بأحاسيسه واتجاهاته ومشاعره وأفراحه وأحزانه ونحو ذلك من الأمور التي يصعب جمعها وحصرها، كل هذا أمر لا يمكن تصوره أو تطبيقه برمجيًا مهما طالت السنين وامتدت، وكل هذا ونحن لم نتحدث عن الآلية التي تربط هذه المكونات مع بعضها وطريقة تنظيمها! فسبحان الله الخلاق العظيم المبدع القادر الذي ليس كمثله شيء، ووالله إنه لخَلق كريم عظيم من رب عظيم!

١٧٠. أخي الحبيب، فلتبنِ لك عملًا أو أعمالًا لا يعلمها أحد إلا الله -سبحانه وتعالى-، فعمل السر فيه من الخير الكثير، وفيه تهذيب النفس وتطهيرها من الشوائب والعوالق ما فيه، فهذا عمل لن يشكرك عليه بشر، ولن يذكرك به بشر، لكن الله -سبحانه وتعالى- يعلم! وسيجزيك خير الجزاء بفضله! ولْتعلمْ أن صدقة السر أعظم من صدقة العلن، وفيهما كل الخير - إن كانت النية خالصة لله سبحانه وتعالى بإذنه-، ولْتعلمْ أيضًا أن القيام بشعائر الله -سبحانه وتعالى- وإظهارها في بعض الأوقات والأزمنة، هو خير من إسرارها بشرط إخلاص العمل لله! لأنك بهذا معلن لشعائر الله -سبحانه تعالى- في وقت قل فيه هذا العمل أو انعدم!

١٧١. فلْتعلمْ أخي الحبيب أن الإنفاق على المحتاج يشمل المسلم والكافر! فأنت تعلم أن الخير الذي تقدمه هو خالص لله -سبحانه وتعالى-، وبهذا فالخير إن وضع في محله وقع الأجر إن شاء الله. ولْتعلمْ أن هداية هذا الكافر على الله -سبحانه وتعالى-، وإنما عليك البلاغ، والدعوة إلى دين الله -سبحانه وتعالى- بالحكمة والموعظة الحسنة!

١٧٢. هل تعلم يا أخي من هم أولى الناس بالصدقات وما هي سيماهم؟ هم

أولئك الفقراء الذين كان فقرهم بسبب خارج عن إرادتهم، وليس بسبب عدم مباشرة الأسباب، فكان فقرهم بسبب العجز عن طلب الرزق لمرض أو شيخوخة أو الخوف من عدو، أو بسبب ترك أموالهم وديارهم إعلاء لكلمة الحق وهم لا يستطيعون السفر لكسب الرزق، من يراهم ويجهل أمرهم يظنهم أغنياء بسبب حسن عفتهم وصبرهم، وإذا ضاق بهم الحال واضطروا أن يسألوا الناس حاجة لهم، لم يلحوا على من سألوا! هؤلاء هم أحق الناس بالصدقات، فإن علمت أمرهم ووجدتهم، فلا تُضعهم!

١٧٣. إياك ثم إياك يا أخي من الربا! ففيه وعيد شديد، وعذاب أليم! ولْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- يمحق الربا، فتذهب بركته ويذهب! ولْتعلمْ بأن الله -سبحانه وتعالى- أحل البيع، وجعل كل كسب بالبيع حلال ما لم تُخالف ضوابطه وشروطه، فينقل من الحل إلى الحرمة، فلا تدخل في أبواب الحرام أيًا كانت، فباب الخير والرزق مفتوح لك، وكل ما يُطلب منك هو العمل الطيب، لتكسب مالًا طيبًا، وتنفقه في مكان طيب!

١٧٤. ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ (٢٨١ - سورة البقرة)، هذه الآية الكريمة، هي آخر ما نزل من كتاب الله -سبحانه وتعالى- -القول الراجح-، وهذه الآية العظيمة جُعلت خاتمة لكل الأحكام والأوامر والنواهي، وفيها وعد بالخير، ووعيد لمن يفعل الشر، وفيها من التنبيه والتنويه لكل الناس ما فيها، وفيها بيان لعدل الله -سبحانه وتعالى- فلا يظلم ربك أحدًا، وفيها من الحساب على الصغيرة والكبيرة، والجلي والخفي، وفيها الرغبة والرهبة، فاتقِ الله أيها الإنسان الفاني، فإن لك يومًا لن تُخلفه، ولْتعلمْ أنك مراقب، وأن عملك مسجل، وكل ما كسبته من الحسنات لك، وكل ما خسرته عليك، وأنك ملاقٍ الله العدل، فلا ظلم هناك، وفيها من الرغبة فيما عند الله ما فيها، وفيها من

الهيبة ما يجعلنا نخاف من سيئات أعمالنا ومن موقف يومئذ!، فاللهم اغفر لنا ويسر أمرنا وباعد بيننا وبين معاصينا كما باعدت بين المشرق والمغرب، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم. وسبحان من جمع هذه المعاني كلها في بضع كلمات، وعجزنا عن ذلك! سبحان الله!

١٧٥. فلْتعلمْ أن الله –سبحانه وتعالى– جعل الأحكام والأوامر الشرعية لمصلحة العباد، وحفظًا لهم ولحقوقهم، ولهذا أباح الله الدَين بعد أن حرره من قيود الربا؛ تخفيفًا وتيسيرًا على عباده، وأباح الرهن حفظًا للحقوق من الضياع عند الخوف أو الريبة! سبحان الله العظيم!

١٧٦. فلْتعلمْ أن الله –سبحانه وتعالى– قد أمرنا بالاكتتاب، وهذا الأمر يحفظ الحق لصاحبه، ويلزم مقره بالتنفيذ والسداد، ويجب أن يكون الكاتب عدل، يكتب الحق بدون تمييز بين الطرفين لقرابة أو صداقة أو صلة، وأن يكون عالمًا بالأُسس والمواثيق والقوانين حتى لا يظلم أحدهم من غير قصد!

١٧٧. فلْتعلمْ أن الوكالة في الأمور التي لا تقدر عليها أو لا تطيقها أمر جائز ومستحسن لحفظ حقك، ولْتعلمْ أن لكل منا مجالا يتقنه، وحرفة ماهر بها.

١٧٨. فلْتعلمْ أن الإشهاد على العقود فيه من حفظ الحقوق ما فيه، وهو أمر خطير ومهم، فاختر الشهود العدول الذين إذا دعوتهم أو احتجتهم لبيان الحق نصروك ولم يعينوك على الباطل، وإذا دُعيت أنت للشهادة، وأنت مطيق لها، عالم بما ستقدم عليه، فاشهد ولبِّ النداء، وكن على استعداد للتدخل بالحق حين وجوبه، فاحفظ واقرأ وانظر ما ستشهد عليه بدقة، لأنك مسئول عنها في يوم ما! ولْتعلمْ أنه من الواجب ألا يضار الكاتب ولا الشاهد على الاكتتاب، فيُحمّلون ما لا يطيقون عند

مرضهم، أو يكلفون بشغل شاق عليهم ونحو ذلك.

١٧٩. فلْتعلمْ أن ذكر الأمور صغيرها وكبيرها عند الحقوق من الأمور الواجبة، وإن أردت النجاة، وحفظ النفوس من المشاحنات وسوء الظن وغيرها فافعل هذا، فتكون كل الأمور ظاهرة لا لبس فيها!

١٨٠. فلْتعلمْ أن المسلم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا يفرق بينهم، فكلهم رسل الله - سبحانه وتعالى-، لينقلونا من عبادة العباد، إلى عبادة رب العباد، فأوامرهم ونواهيهم ودعوتهم إلى الله -سبحانه وتعالى- نؤمن بها ونؤمن بأنها من عند العزيز الحكيم، ونقول عند سماعنا لأوامر الله سبحانه وتعالى وأحكامه ونواهيه:- سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا وإليك المصير، فنحن نشهد بتقصيرنا في تنفيذ ما أمرتنا به، ونحن نؤمن برحمتك وعفوك ومغفرتك، فارحمنا يا الله برحمتك التي وسعت كل شيء.

١٨١. فلْتعلمْ أن ما يصيبك هو مما تقدر على تحمله وعلى الصبر عليه، فإن الله -سبحانه وتعالى- جعل الأحكام وتنفيذها مما تطيقه النفوس، وتستطيع تحمله والقيام به، فلذلك كلما أصابك مُصاب جلل، فلْتذكر أن الله -سبحانه وتعالى- يعلم مقدار ما تطيقه النفوس، وأن هذا مما تطيقه، فاصبر واشكر واتقِ الله، وادعُ الله أن يخفف عنك ما تمر به.

١٨٢. فلْتعلمْ أن القرآن الكريم والتوراة والإنجيل، فيها من الآيات والحجج والبراهين ما تبطل شبهات النفوس وتمحقها، ويظهر الحق بها، وينسف الباطل من خلالها، وهي حجة على من لم يؤمن واتبع هواه -والعياذ بالله-! ملاحظة: التوراة: هي الكتاب المقدس الذي أنزل على موسى عليه السلام، والإنجيل: هو الكتاب

المقدس الذي أنزل على عيسى عليه السلام، والمراد بهذه الفقرة الكتب التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على أنبيائه -عليهم السلام- لا ما نراه من كتب لا تمت للقداسة بأي سمة.

١٨٣. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- خلقنا، وجعل منا الذكر والأنثى، والأبيض والأسمر، والجميل والأقل جمالًا، ومن هو كامل الخَلق معافىً في بدنه وعقله، ومنهم دون ذلك لنقص في البدن أو العقل! وكل هذا مما لا طاقة للإنسان عليه! فلا يغرنك جمالك وقوتك وعقلك، ولا تبتئس إن فقدت ما فقدت، فاصبر أعانك الله! فإن هذا الأمر قائم سواء فرحت أم حزنت، ولن تقدر على تغييره أو تعديله إلا بإرادة الله -سبحانه وتعالى-، فاصطبر!

١٨٤. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- أنزل القرآن الكريم في أبلغ بيان وإحكام وإتقان! وهذا ينطبق على كل آيات الله -سبحانه وتعالى-، لذلك لن تجد خطأً أو ضعفًا في أي آية فيه!

١٨٥. فلْتعلمْ أن هناك دلالات واضحة المعالم والمقاصد، وهي التي يُرجع إليها عند كل خطب أو إشكال، وأن هناك متشابهات لا يعلم تأويلها إلا الله -سبحانه وتعالى-، فالصادق صاحب القلب السوي هو من يتبع الحق الواضح، ويتجنب المتشابهات، ويؤمن بأنها جميعًا من عند الله -سبحانه وتعالى- سواء أعلمنا القصد منها أم لا، فكلها مترابطة لا تتعارض ولا تتناقض مع غيرها، أما أصحاب القلوب المريضة فيصرون على ترك الواضحات وتأويل المتشابهات لفساد في قلوبهم، ولهذا عليك أن تتبع الحق فيما يقال لك، وفيما تقول، وأن تأخذ حسن النية فيما تسمع من قول يحتمل التأويل، وألا تحمله على غير معناه، وادعُ الرحمن دومًا بألا

يزيغ قلبك عن الحق بسبب جهلك عن الحق أو عنادك في الباطل، فاللهم لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب...

١٨٦. فلْتعلمْ أن اليوم الآخر قادم لا محالة، فإن الله -سبحانه وتعالى- لن يخلف الميعاد ولن يخلف وعده، وهذا ما يوقن به المؤمنون، وهو مما تطمئن به القلوب، فيطمئن كل مظلوم بأنه منتصر من ظالمه عند ملك الملوك، وأننا كلنا محاسبون على أفعالنا، صغيرة كانت أو كبيرة، فالحمد لله.

١٨٧. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- ينصر عباده المؤمنين أصحاب الحق على الباطل، فلا يغرنك قوة أهل الباطل الآن، فالأيام دول، وللكون سنن، والأمر كله بيد الله -سبحانه وتعالى-، فاعمل وتشبث بأسباب النصر!

١٨٨. لا يغرنك يا أخي كثرة العدد والعتاد بيدك أو بيد عدوك، فإن النصر بيد الله، ولهذا اعمل بجد لتصبح الأقوى، وهذا من الأخذ بالأسباب، لكن لا تنسَ أن السبب الرئيسي للنصر لا يأتي إلا بتوفيق الله -سبحانه وتعالى-، فإن رأيت في عدوك كثرة العدد والعتاد، فاعلم أنك إلى طريقين إما نصر وعز في الدنيا والآخرة، وإما شهادة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، وكل هذا بأمر الله -سبحانه وتعالى-!

١٨٩. فلْتعلمْ أن الحياة الدنيا فيها من الزينة والمتاع ما تشتهيه الأنفس وتتوق له، وأكثر الشهوات حبًا وميلًا وقربًا للنفوس هي النساء والأموال والبنين والركوب، وكل هذا إما أن يوضع في حلال، وأن يكون مكسبه من حلال، وإما أن يوضع في حرام، ويكون مكسبه من حرام -والعياذ بالله-، وهذا يقسم الناس إلى شقين، الأول يراها المقصد من هذه الحياة فيتبع الشهوات ويعمل لأجلها وينسى الآخرة، وهذا ممن صار كالبهائم، منزوع العقل والإرادة، يحيا كما تحيا البهائم لتأكل وتشرب

وتقضي شهواتها ثم تمضي للموت بعد انقضاء أجلها المقرر لها، أما الشق الثاني، فقد عرف أن هذه الشهوات اختبار وابتلاء من الله، فإن كانت النفس جبلت على حبها، فالإنسان يملك الإرادة والعقل، ليزن الأمور بميزان الشرع، ويضعها في مواضعها، فيسمو الإنسان ويرتقي، ويكون هذا هو معنى الإنسان، الإنسان الذي يعلم بأن الشهوة توضع في حلال، فتستمع وتتمتع بها وتؤجر عليها، وفوق ذلك كله، تكون لك عونًا في الدنيا والآخرة من خلال الأجر والمنفعة المتحققة منها، والفضل في ذلك كله لله العلي العظيم، الذي جعل مما رزقنا وحببه إلينا طريقًا لننال رضاه، ولنصل إلى النعيم الأكبر.

١٩٠. فلْتعلمْ أن من صفات المؤمنين التي ذكرها الله –سبحانه وتعالى– والتي يمكن للمؤمن أن يزن نفسه بها، **الصبر** على ما يحبه الله –سبحانه وتعالى–، والبعد عن معصيته، والرضا بقضائه وقدره، **وصدق** الإيمان بالأقوال والأفعال **والقنوت** طائعًا لله خاضعًا له، **وكذلك الإنفاق** في جميع السبل التي ذكرها الله لنا ودلنا عليها، **والاستغفار بالأسحار** فهو يستغفر الله –سبحانه وتعالى– مقرًا بذنوبه مدركًا أنه مهما بلغ من إيمانٍ وتقوى وعمل صالح فهو مقصر أمام نعم الله –سبحانه وتعالى– وهدايته له، فيختار أفضل الأوقات لذلك وهو السحر، فيستغفر الله – سبحانه وتعالى– طائعًا مقرًا بذنبه ذليلًا لله، فاللهم اجعلنا منهم، وأنصحك أن تردد هذا الدعاء الطيب:– اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

١٩١. فلْتعلمْ أن الدعوة إلى الله-سبحانه وتعالى- تؤجر عليها وتُثاب سواء آهتدى المدعو أم لم يهتدِ.

١٩٢. فلْتعلمْ أن من أعظم الذنوب التي قد تقع هي الكفر بآيات الله سبحانه وتعالى، وقتل النبيين بمراتبهم العظيمة، ويلي هذا قتل المتقين الذين تشبهوا بالرسل، ونهجوا نهجهم، وكل من أمر بالعدل وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ولْتعلمْ أن من فعل هذه الذنوب له عذاب عظيم من الله -سبحانه وتعالى-، فلا يصدنك الخوف عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ادعُ حسب قدرتك، وبما تقدر عليه باليد أو باللسان أو بالقلب، وقد روى أبو سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "مَن رَأَى مِنكُم مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيَدِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلكَ أضْعَفُ الإيمانِ"(١).

١٩٣. إياك أن تقول يا أخي أن العذاب سيكون لمدة قليلة، لأن هذا الأمر سيُدخل في قلبك التساهل والاستمرار في فعل المعاصي والمحرمات، فاتقِ الله وإن عصيت، واتقِ عذابه بخوفك ورجائك وتوبتك في كل حين، وبعد كل معصية.

١٩٤. فلْتعلمْ أن المؤمن لا يوالي الكافرين، ولا يتخذهم أنصارًا له، ولا يعينهم ولا يستعين بهم في أمور المسلمين، فيكشف عورات المسلمين للأعداء أو يعينهم على إخوانه، وهذا كله مما يقطع الإيمان، ويدخل على صاحبه الكفر -والعياذ بالله-.

١٩٥. فلْتعلمْ أن حب الله -سبحانه وتعالى- واجب، ومن علامات هذا

---

(١) الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٤٩ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

الحب اتباعنا لرسول الله ﷺ، في جميع أحواله وأقواله وأفعاله، وهذا يتأتى بطاعة الله -سبحانه وتعالى- ورسوله فيما أمرنا به، ومن يفعل هذا فإنه يرزق بحب الله سبحانه وتعالى -بإذنه- ومغفرته، فيا رب اجعلنا ممن أحببت.

١٩٦. فلْتعلمْ أن الذرية قد تكون طيبة صالحة تُعينك على الخير، وقد تكون ذرية ظالمة -والعياذ بالله-، وقد ينبت من ظهر المؤمن الصادق ذرية فاجرة - والعياذ بالله-، والعكس صحيح، لذلك عليك أن تحرص على تربية أبنائك منذ صغرهم على طاعة الله -سبحانه وتعالى-، وزرع بذور الإيمان والصلاح والتقوى في قلوبهم، وسؤال الله -سبحانه وتعالى- أن يثبتهم على الهدى، وأن يجعلهم من الصالحين الطيبين ومِمن تقر العين بهم، وبهذا تكون أخذت بأسباب صلاحهم، وزرعت بذور الإيمان في قلوبهم، وبررتهم قبل أن يبروك، فإن ضلوا فإن هذه البذور قد تُضيء يومًا فيعودون للحق، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٩٧. فلْتعلمْ أن من تمام العدل أن يُعطى الذكر والأنثى المهام المناسبة لطبيعة كل منهما، فلكل جنس من الخصائص والميزات ما يتميز به عن الآخر، وهذا الأمر جلي واضح، لا ينكره إلا جاهل أو متجاهل، لذلك دعك من دعاوى المساواة التي تريد أن تجعل من الأنثى رجلًا، ومن الرجل أنثى بطبيعة الحال!

١٩٨. فلْتعلمْ أن عيسى عليه السلام، هو نبي من أنبياء الله -سبحانه وتعالى- وكلمته ألقاها إلى مريم عليها السلام، ووهبه الله -سبحانه وتعالى- من المعجزات العظيمة الجليلة التي سيتبعها أي إنسان لقوتها كإحياء الموتى وعلاج المرضى الذين عجز الأطباء عن علاجهم، وإعلامهم غيبيات لا يعلمها إلا أصحابها، وكانت دعوته "إن الله ربي وربكم فاعبدوه"، فسبحان الله العظيم الذي وهب بشرًا مثل هذه المعجزات! وجعله نبيًا كريمًا من أولي العزم.

١٩٩. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- جعل في القرآن الكريم من أخبار الأمم الماضية وآياتهم ما لا يعلمه بشر حتى ذكره رب العزة لنا، فجعلها معجزة في كتاب الله العظيم الذي نقرأه ونتدبره، فجعل من تلك القصص والعبر وأخبار الزمان الماضي العبر الكثيرة الوفيرة، بسرد في غاية الكمال والإتقان! ودون الالتفات لما لا ينفع من أخبارهم وأحوالهم، وهذا فيه من تثبيت الفؤاد وتقوية العزيمة ما فيه، وفيه الاستئناس بمن سبقنا من الصالحين، والاتعاظ بما حل بأهل الكفر والضلال. فالحمد لله.

٢٠٠. أخي الحبيب، إذا قامت الأدلة القاطعة لديك، وجزمت بالحق، فإنك تجزم أيضًا بأن كل ما يعارض هذا الحق باطل، ولن يصح بحال من الأحوال، حتى وإن لم تستطع أن تُجيب على حجة المعارض، أو لم تعرف لها جوابًا. وهذا يعني أنك يجب أن تكون قويًا في وجه الشبهات أو الكلمات التي تُلقى أمامك عن الحق الواضح الصريح، ولْتعلمْ أنك برجوعك لأهل العلم فيما صعُب عليك ستجد الجواب الشافي بإذن الله.

٢٠١. فلْتعلمْ أنك إذا أردت جمع كلمة القوم، عليك بالتزام الحق بالقول والفعل، وهذا يعني أن تنظر فيما لديك وما لدى غيرك، ثم تنظر أين الحق وتأخذه، ومن ثَم ثبّت الحجة وأشهد على الحق، ولا تتنازل عن الحق مهما حصل، فإن الحق لا يسقط، وإنما تسقط النفوس بمقدار بُعدها عن الحق، وقربها للباطل! فيذهب الحق ويحل محله الباطل!

٢٠٢. أخي الحبيب، علّم نفسك ودربها على قول "لا أعلم"، فمهما وصلنا من العلم والحكمة والمنطق فإننا لن نرتقي لأسباب العلم كلها، ولا يصير العلم كله

لنا، وإنما جزيئات قليلة صغيرة من أحد البحور العظيمة للعلم والمعرفة، فلا تخجل من قول **لا أعلم** عند جهلك عما سُئلت.

٢٠٣. فلْتعلمْ أن المحاجة والمجادلة لها أهلها، وأهلها هم أصحاب العلم في المسألة المحاجج فيها! لذلك إن تكلمت فيما لا تعرف، وحاججت، سقطت وشوهت! فلا تدخل فيما ليس لك به علم أو قوة.

٢٠٤. فلْتعلمْ أن نبي الله إبراهيم عليه السلام، ما كان يهوديًا ولا نصرانيًا، بل كان حنيفًا مسلمًا ولم يكن من المشركين، ونحن أمة محمد ﷺ أولى الناس به، فنحن موحدون مسلمون لله -سبحانه وتعالى- والله ولينا جميعًا، فالحمد لله.

٢٠٥. فلْتعلمْ أن هناك أناس في كل زمان ومكان، يمكرون ليضلوا أهل الإيمان والحق والصلاح عما هم فيه، وأنهم يجتهدون ويسعون ويبذلون كل ما لديهم من أجل هذا العمل الضال! وهذا يترتب عليه أمران، أولهما: عذاب شديد لهؤلاء الضالين المضلين، وتوفيق من الله -سبحانه وتعالى- وحفظ لعباده المؤمنين الصالحين، وثانيهما: أننا يجب أن نبذل كما يبذلون، بل وأكثر مما يبذلون نصرة للحق وتبيانًا له، فإن الحق أولى ببذل النفس والمال لأجله، فإن كانوا على الباطل وبذلوا كل شيء ليضلوك، أفلا تبذل النفائس نصرة للحق؟!

٢٠٦. فلْتعلمْ أن حفظ الأمانة خلق جليل عظيم من أخلاق الإسلام، وهي من أخلاق المؤمنين، يؤدون أماناتهم ويحفظونها، وهي من آخر وصايا الرسول ﷺ في حجة الوداع، فقال:- "وَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنِ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا"[١]،

---

(١) كتاب السيرة النبوية | ابن هشام | الطبعة الثالثة | الجزء الرابع | الصفحة ٢٤٨ | حجة الوداع | دار الكتاب العربي | بيروت

ولْتعلمْ أن حفظ الأمانة وتأديتها يكون بدون مماطلة، وتكون الأمانة في العبادات -بأن تؤديها كما ينبغي- والأعمال والودائع والبيع والشراء والمسئولية وكل ما يقع للمرء ويؤتمن عليه ليقوم به.

٢٠٧. فلْتعلمْ أن الإصرار على طلب الحق المسلوب منك هو إصرار محمود فاعله ملام تاركه! فلا تتنازل عن حقك ما دمت قادرًا على رده، واسعَ لذلك بكل السبل، ووكل أمرك لله، فإن خشيت على نفسك أو علمت ضعفها أمام ظالم سلبك حقك، فتأكد بأن حقك لن يضيع عند ملك الملوك، فالحمد لله.

٢٠٨. فلْتعلمْ أن مال أخيك هو مالك، وحفظ ماله من حفظ مالك، وعرضه من عرضك، وحفظ عرضه فيه حفظ عرضك.

٢٠٩. فلْتعلمْ أن حكم القاضي أو الحاكم لا يُحل حرامًا، ولا يحرم حلالًا، وقد ذكر في صحيح البخاري أن النبيَّ ﷺ سمع جَلَبَةَ خِصَامٍ عِنْدَ بَابِهِ، فَخَرَجَ عليهم فَقالَ: "إنَّما أنَا بَشَرٌ، وإنَّه يَأْتِينِي الخَصْمُ، فَلَعَلَّ بَعْضًا أنْ يَكونَ أبْلَغَ مِن بَعْضٍ أقْضِي له بذلكَ، وأَحْسِبُ أنَّه صَادِقٌ، فمَن قَضَيْتُ له بحَقِّ مُسْلِمٍ فإنَّما هي قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ فَلْيَأْخُذْهَا أوْ لِيَدَعْهَا"(١).

٢١٠. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- جعل العبادة لنفسه، فلا تحق لأي مخلوق غيره، وبهذا فإننا لم نأمر إلا بعبادة الله -سبحانه وتعالى- وحده لا شريك له، ولا نعبد غيره أبدًا، فمن عبد غيره من البشر، أنبياء كانوا أو أولياء أو ملوكًا، أو عبد الملائكة فقد كفر بالذي أنزله الله - سبحانه وتعالى- علينا وعلى الأمم من قبلنا،

---

(١) الراوي: أم سلمة أم المؤمنين | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٧١٨٥ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح].

ورسالة أنبياء الله -سبحانه وتعالى- هي توحيد الله -جل في علاه- وعبادته وحده لا شريك له.

٢١١. فلْتعلمْ أن هذا الكون وما فيه من مخلوقات لا يخرج عن إرادة الله -سبحانه وتعالى- وقدرته، ولْتعلمْ أن هذا الإنسان إن أسلم وجهه لله وآمن، فقد استسلم لله طوعًا، وانقاد لعبادة ربه مستسلمًا لقضائه وقدره، وأما من عصى وكفر، فقد استسلم لله كرهًا، فالكافر لا يخرج عن قضاء الله وقدره ولا يستطيع منعه، فبذلك خضع كرهًا! وقد ذكر ابن كثير -رحمه الله- في هذا المعنى:- "فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله، والكافر مستسلم لله كرهًا، فإنه تحت التسخير والقهر والسلطان العظيم"[١]، فإن علمت أن الأمر كله بيد الله، فكن طائعًا مستسلمًا لله، وارضَ بما كتبه الله لك.

٢١٢. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- ارتضى لنا الإسلام دينًا، فمن دان بغيره لم يأتِ بأسباب النجاة من العذاب، والفوز بالنعيم والثواب، والأمر كله لله.

٢١٣. فلْتعلمْ أن الكذب من أشنع وأقبح الصفات للإنسان، وتزداد قباحة الكذب كلما ازدادت درجته وحدته وازداد تأثيره على الناس، وعلى من تكذب، ولْتعلمْ بأن المؤمن ليس كاذبًا!

٢١٤. فلْتعلمْ أن هناك فئة من أهل الكفر لا يتوانون عن محاولة ردك عن دينك، أو العمل على إخراجك منه، ولن يتوانوا عن محاولة إبعادك عن الحق المستقيم، وكل هذا حسدًا وبغضًا لدين الله، فإياك أن تطيعهم وتميل إليهم، فتكفر

---

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ٣٧٨ | تفسير سورة آل عمران | الآية ٨٣ | دار ابن حزم | بيروت

-والعياذ بالله- وتضل، ولْتعلمْ أن سبيل النجاة هو تلاوة كتاب الله -سبحانه وتعالى- وتدبره، والنظر في سنة الحبيب المصطفى ﷺ والعيش بها، فقد بلغ الأمانة، وأدى الرسالة، ونصح للأمة، والحمد لله!، وهذان الأمران فيهما الجواب لكل حائر، والعلم لكل سائل، واليقين لكل من يبحث عنه.

٢١٥. فلْتعلمْ أن قوة المرء تزداد في الجماعة، فإذا اجتمعت هذه الجماعة على حب الله -سبحانه وتعالى- وتقواه، زادت قوة إلى قوتها. ولْتعلمْ أن القلوب المتحابة المتقاربة التي يشد بعضها بعضا، ويساند بعضها بعضًا هي خير القلوب، وأعمالها خير الأعمال -إن كانت لله سبحانه وتعالى- ولْتعلمْ أن الفرقة والتنازع ضعف، وهما سبيل للشتات والخسران.

٢١٦. فلْتعلمْ أن خير أمة أُخرجت للناس هي هذه الأمة، ولْتعلمْ أن هذه الأمة فُضلت على غيرها بالأمر بالمعروف والنهي المنكر! ولأننا خير أمة أُخرجت للناس، كان لزامًا علينا أن نعمل جاهدين بما تقتضيه هذه الخيرية، وذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر! ومن الأمثلة على ذلك علماء الدين الذين يُعلّمون الناس دينهم، والوعاظ، وكل امرئ منا مر بباطل فنصح أهله بتجنبه، وكل من رأى بابًا للخير فأمر به، لكن، هناك أبواب قد يكون فيها الخير الراجح هو الكف عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك إن كانت هناك مفسدة أعظم من الخير المتحقق في هذا الأمر أو النهي، قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾، فمن اللطائف التي قالها علماؤنا في هذه الآية الكريمة؛ أن الدعوة تكون إلى الخير، قال ابن تيمية -رحمه الله-: "إذا تعارضت المصالح والمفاسد والحسنات والسيئات أو تزاحمت؛ فإنه يجب ترجيح الراجح منها فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد وتعارضت

المصالح والمفاسد، فإن الأمر والنهي وإن كان متضمنًا لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة؛ فينظر في المعارض له: فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأمورًا به؛ بل يكون محرمًا إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته، لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة، فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها، وإلا اجتهد برأيه لمعرفة الأشباه والنظائر، وقل أن تعوز النصوص من يكون خبيرًا بها وبدلالتها على الأحكام. وعلى هذا إذا كان الشخص أو الطائفة جامعين بين معروف ومنكر بحيث لا يفرقون بينهما؛ بل إما أن يفعلوهما جميعًا أو يتركوهما جميعًا؛ لم يجز أن يؤمروا بمعروف ولا أن ينهوا عن منكر، بل ينظر: فإن كان المعروف أكثر أمر به وإن استلزم ما هو دونه من المنكر، ولم ينه عن منكر يستلزم تفويت معروف أعظم منه؛ بل يكون النهي حينئذ من باب الصد عن سبيل الله والسعي في زوال طاعته وطاعة رسوله وزوال فعل الحسنات، وإن كان المنكر أغلب نهي عنه وإن استلزم فوات ما هو دونه من المعروف، ويكون الأمر بذلك المعروف المستلزم للمنكر الزائد عليه أمرًا بمنكر وسعيًا في معصية الله ورسوله، وإن تكافأ المعروف والمنكر المتلازمان لم يؤمر بهما ولم يُنه عنهما. فتارة يصلح الأمر، وتارة يصلح النهي، وتارة لا يصلح لا أمر ولا نهي، حيث كان المعروف والمنكر متلازمين، وذلك في الأمور المعينة الواقعة"(١)، وكمثال يبسط هذا الطرح، لو أن رجلًا كان أمام خيارين، أن يمسك بلص أو يمنع فاحشة وبين أن يلحق صلاة الجماعة، كان منع المنكر هنا أولى من العمل بالمعروف وهو اللحاق بالجماعة، وهناك مثال آخر لابن تيمية –رحمه الله– يقول فيه: "ومن هذا الباب إقرار النبي ﷺ

---

(١) كتاب مجموع الفتاوى | ابن تيمية | الجزء ٢٨ | الحسبة | القاعدة العامة في تعارض المصالح والمفاسد | الصفحة ٧٥ | دار الوفاء | المنصورة

لعبد الله بن أبي وأمثاله من أئمة النفاق والفجور لما لهم من أعوان، فإزالة منكره بنوع من عقابه مستلزمة إزالة معروف أكثر من ذلك بغضب قومه وحميتهم، وبنفور الناس إذا سمعوا أن محمدًا يقتل أصحابه؛ ولهذا لما خاطب الناس في قصة الإفك بما خاطبهم به واعتذر منه، وقال له سعد بن معاذ قوله الذي أحسن فيه: حمي له سعد بن عبادة مع حسن إيمانه"(١)...فاللهم اهدنا الصراط المستقيم.

٢١٧. فلْتعلمْ أن العاقل لا يُعلم غيره أسراره، ولْتعلمْ أنه ما خرج من داخلك لم تعد تملكه، ولا تملك القدرة عليه، فلذلك احذر وانتقِ من تحدثه بما تسر، وإياك أن تحدث بسرك من تعرف في وجوههم النفاق أو اللغو.

٢١٨. فلْتعلمْ أن مخالطة الأعداء وأهل الكفر ومن لا يُضمن مآلهم أو لا يعرف حالهم يجب أن تكون بحذر ودقة تجنبًا لأي غدر أو خيانة، لذلك انتقِ البطانة الصالحة دومًا، التي تعينك على الخير، وتمنعك من الباطل، وتأمن غدرهم وخستهم.

٢١٩. فلْتعلمْ أننا لا نخون الأمانة والعهد ولا نغدر.

٢٢٠. أخي الحبيب، من الخصال الحميدة الطيبة أن تتمنى الحسنة لأخيك، وأن تستاء إذا أصابته مصيبة، ولْتعلمْ أن هذا لن يضرك بشيء!

٢٢١. فلْتعلمْ أن الحزن والمصائب لا تدوم، وأن الفرح والسرور لا يدوم -في الحياة الدنيا-، والأمر كله لله -سبحانه وتعالى-، لذلك عند دوام النعم تذكر الله -سبحانه وتعالى-، وتذكر ما أصابك فيما مضى، فتشكر الله -سبحانه وتعالى- على

---

(١) كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر | ابن تيمية | الصفحة ٢٢ | الطبعة الأولى | دار الكتاب الجديد | بيروت

ما أنعم عليك به بقلب صادق، فذلك يعينك على المداومة على الشكر والحمد بقلب نقي تقي! وإن كنت في مصاب، فتذكر ما كنت فيه من النعم، فتصبر لما رأيت من نعيم الله -سبحانه وتعالى- قبل ذلك، فتحدث نفسك بعد أن تتذكر ما مضى من النعم، ألا أصبر بعد كل هذه النعم؟! فالحمد لله.

٢٢٢. يا أخي، توكل على الله -سبحانه وتعالى-، واجعل في قلبك ثقة تامة بأن الله -سبحانه وتعالى- لن يخذلك، ولْتعلمْ حينها أنك بإذن الله - سبحانه وتعالى- في ولايته الخاصة، وبهذا سترى أن الله -سبحانه وتعالى- ثبتك أو نصرك أو أعانك أو هداك سبل الصواب أو أبعدك عن طرق الخطأ إلى آخره، وذلك كله قد يكون في نفس الوقت أو يتقدم بعضه على بعض أو يكون في نتاج ما فعلته وتنتظر رؤيته!

٢٢٣. فلْتعلمْ أن الأسباب التي نأخذها ما هي إلا وسيلة لتطمئن قلوبنا بها، ونعمل بها لنؤدي الحق المطلوب منا، لكن النتائج بعد اتخاذ الأسباب وقبلها هي بيد رب السماوات والأرض، لذلك خذ بالأسباب لتحقق طمأنينة قلبك ضمن ما أُمرت به، وتذكر أن ذلك كله لا يُغني عن الله شيئًا.

٢٢٤. فلْتعلمْ أن من صفات المتقين كظم الغيظ والعفو عن الناس والإحسان إليهم، فهم وإن تعرضوا للأذى ألجموا غيظهم وكتموه، مع قدرتهم على رد الأذى قولًا أو فعلًا، وبذلك تخلوا عن بعض الطباع البشرية وصبروا على الإساءة، ثم بعد ذلك، عفوا عمن أساء إليهم، وهؤلاء هم قلة القلة وصفوة الصفوة، فكان جزاؤهم على هذا أن جعل أجرهم على الله - سبحانه وتعالى-، أما من أحسن بعد هذا فعفا وعمل عملًا صالحًا، فإن الله - سبحانه وتعالى- قال ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾، وأي فضل أعظم من هذا! اللهم برحمتك اجعلنا ممن أحببت.

٢٢٥. يا أخي، داوم على التوبة من الذنوب والمعاصي ما استطعت، فهذه نعمة من نعم الله -سبحانه وتعالى- على الإنسان! وإياك أن تتوقف أبدًا ما حييت، وإياك أن تقنط من رحمة الله -سبحانه وتعالى-، واعزم على ألا تعود إلى المعصية، فإن عدت، فعاود التوبة وجدد إصرارك على تركها، ولْتعلمْ أن هدايتك للتوبة هي من توفيق الله -سبحانه وتعالى- لك، فلا تجعل للشيطان عليك سبيلًا بأن يمنعك منها، فتضعف، وتسقط في معاص أُخر!

٢٢٦. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- كرّم المرأة خير تكريم، ومن التكريم الذي كُرمت به أنه راعى وضعها النفسي والجسدي في أثناء فترة الحيض.

٢٢٧. يا أخي، تفكر في خلق الله -سبحانه وتعالى-، تفكر وتفكر ثم تفكر في كل ما تراه حولك، انظر إلى الأرض والسماء، انظر إلى النجوم، انظر إلى القمر، تجول في الأرض وتفكر، انظر إلى الأمم التي سبقتنا ما هو حالها ومآلها! ولْتعلمْ أن التفكر بنية صادقة صافية، لن يقودك إلا لخير، ولعظيم الامتنان والتوحيد لله الواحد القهار -جل في علاه-، فالحمد لله.

٢٢٨. فلْتعلمْ أن الأقوام الذين سبقونا، فعلوا الخيرات فنجوا، فلما عصوا وطغوا أهلكهم الله -سبحانه وتعالى- وجعل الأتقياء من القوم هم ورثة الأرض وأصحابها ما شاء الله لهم أن يكونوا، فإن انتشر الفساد والطغيان بهم، ذهب الله بهم، وجاء بغيرهم، وهذا مما فيه هداية لنا بفضل الله -سبحانه وتعالى-، وفيه من الموعظة العظيمة ما فيه! فالحمد لله.

٢٢٩. فلْتعلمْ أن دوام الوهن والضعف والجبن ودوام الحزن والشكوى لا يليق بالمؤمنين ولا ينبغي لهم، وذلك لأنهم عرفوا الله -سبحانه وتعالى-، وآمنوا به،

وعرفوا أنه ما يصيبهم من شيء إلا ولهم به أجر عظيم، وما هم به من نعمة فمن الله، والله -سبحانه وتعالى- بشرنا بالفرج والنصر بإذنه. فالحمد لله.

٢٣٠. يا حبيبي يا رسول الله، نشهد أنك بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وتركتها على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، ونشهد أنك رسول الله، وأنك عبده، وأنك بشر اصطفاه الله -سبحانه وتعالى- لهذه الأمانة العظيمة، ونشهد بأن سنن الله قائمة علينا وعليك، ولهذا عندما توفاك الله -سبحانه وتعالى- لم ينتهِ أمر الدين، بل دين الله قائم بإذنه، فقد بلغت رسالة ربك، وقد وصلتنا الرسالة كما بلغت بفضل من الله -سبحانه وتعالى-، ونحن بإذن الله -تعالى- على عهد ربنا سائرون، وبما وصلنا طائعين، فاللهم اجعلنا من الشاكرين الذين آمنوا وصبروا وشكروا بعد ما توفيت نبيك ورسولك محمد ﷺ، وإن نحن نأسى على شيء من هذا الأمر، فهو حرماننا من رؤية وجه حبيبنا المصطفى ﷺ ونصرته، إلا أننا نستبشر بما بشرنا به الحبيب المصطفى ﷺ حين قال: "وددت أني لقيت إخواني، قال: فقال أصحاب النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - أوليس نحن إخوانك قال: بل أنتم أصحابي ولكن إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني"(١)، فنحن إخوانه الذين آمنوا به ولم يروه!، كما بشرنا -أيضًا- بأنه في وقت الفتن وعظم البلاء للثابت منا على دين الله -سبحانه وتعالى- أجر خمسين من الصحابة، قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ مِنْ ورائِكُم زمانُ صبرٍ، لِلْمُتَمَسِّكِ فيه أجرُ خمسينَ شهيدًا منكم"(٢).

---

(١) الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الوادعي | المصدر: الصحيح المسند الصفحة أو الرقم: ٣٢ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

(٢) الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الجامع الصفحة أو الرقم: ٢٢٣٤ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

ملاحظة: أجر خمسين من الصحابة لا يعني أننا قد نصير أفضل من الصحابة أو نتساوى بهم، فهم أهل الخير الذين نالوا صحبة الحبيب ﷺ، ونالوا شرف نشر الإسلام حتى وصل إلينا، فجزاهم الله عنا خير الجزاء، وأدخلنا معهم في جناته، ورزقنا رفقة الحبيب المصطفى ﷺ في الجنة..

٢٣١. فلْتعلمْ أن الموت له موعد لن تخلفه، فإن جاء فلن يمنعك أحد منه، ولا يمكنك أن تموت قبل أن يأتي أجلك، لذلك لا تتعجل الموت، ولا تطل الأمل، فالموعد قادم لا محالة! متى؟ وأين؟، هذا من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله -سبحانه وتعالى-، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٢٣٢. فلْتعلمْ أن الإسراف من أعظم أسباب الخذلان، فالإسراف في تتبع الشبهات والشهوات يوجب الضلال والعصيان -والعياذ بالله-، والإسراف في المال موجب للفقر أو المخسر، والإسراف في حب الدنيا موجب للوقوع بملذاتها وشهواتها...، لذلك اعلم حد كل شيء ولا تتجاوزه.

٢٣٣. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- ألقى في قلوب الكافرين من أعدائنا الرعب، فلا تخف من شيء، فإن الله -سبحانه وتعالى- معنا، ونرجو من الله ما لا يرجون، وهم ليس لهم ملجأ يلجئون إليه كما نلجأ، فالحمد لله.

٢٣٤. فلْتعلمْ أن الخلق السيء وقساوة القلب هما مدعاة لأن ينفر منك الخلق، وأن يبغضوك لأجلهما، فكن رحيمًا، لين القلب، حسن الخلق، فيجتمع لك بذلك حب خلق الله -سبحانه وتعالى- لك، ورحمة من الله -سبحانه وتعالى- عليك بإذنه وفضله، وهذا من كرم الرحمن. فالحمد لله.

٢٣٥. فلْتعلمْ أن المشورة في الأمور التي فيها مصالح دينية ودنيوية من العبادات التي نتقرب بها إلى الله -سبحانه وتعالى-، ففيها من تطهير القلوب

وطمأنينتها ما فيها، وفيها من الخير ما يوصل للحق الأبين والأوضح، وفيها من إعلاء المصالح الكلية على الخاصة، لذلك اجعل المشورة سبيلًا لك لاتخاذ القرار الأنسب، لكن احذر، فالمشورة يجب أن تكون في محلها ولأهلها، وأهل المشورة هم أهل الدين والصلاح، والعقلاء المجربون، الصادقون، والأمناء على المشورة، وكذلك الخبراء في مجال ما إلى آخره، فلا تأخذ مشورة من حاقد أو جاهل أو كذاب أو متعالم أو أحمق!

٢٣٦. فلْتعلمْ أن المسلم إذا دخل في عمل أو تجارة مع أخيه/ إخوته وسعى فيها، فلا يجوز له أن يخفي شيئًا من الربح الذي حققه، فهو حق لهم جميعًا، ولا مانع من أن يتفقوا على تقسيم الربح كما يريدون دون إخفاء الربح.

٢٣٧. فلْتعلمْ أن الناس في تفاوت، فمنهم الغني ومنهم الفقير، ومنهم الأبيض ومنهم الأسود، ومنهم المسلم، ومنهم الكافر، ومنهم من هو ذو نسب وجاه، ومنهم من قُطع نسبه، هؤلاء كلهم في تفاوت في درجاتهم في الآخرة! فتختلف مراتب النعيم ومراتب العذاب لكل منهم، وكل منهم حسب عمله، ولا يظلم ربك أحدًا، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، لكي يسموا فيصلوا لأعلى منازل النعيم والرضوان، ويفروا من العذاب الشديد ومنازله -والعياذ بالله-.

٢٣٨. فلْتعلمْ أن من أكبر نعم الله علينا بعثة النبي محمد ﷺ، وهدايتنا للإسلام، وتوفيقنا لاتباع الدين الحق، وتسليم وجوهنا لله.

٢٣٩. إياك يا أخي وسوء الظن بالله، فإنه مؤدٍ للهلاك والعياذ بالله! فأحسن الظن به، وإحسان الظن هنا هو اليقين بأن أمر الله وقدره كله خير، فاللهم اجعلنا من المحسنين.

٢٤٠. يا أخي، أحسن الظن في خلق الله، والتمس لهم من الأعذار ما يهون على قلبك ويطرد وساوسه، وحسن الظن هنا أن ترجح جانب الخير على جانب الشر عندك، فإن تبين لك الأمر، ذهب الظن ووقع اليقين عندك!

٢٤١. فلْتعلمْ أن الناس لن تكف ولن تستسلم عن تخويف وترهيب المؤمنين بقوة الباطل أو بجمعهم وعدتهم، لكن المؤمنون ردهم هو حسبنا الله ونعم الوكيل، فهذا كله لا يزيدهم إلا إيمانًا وتسليمًا لله -سبحانه وتعالى-، وأن كل شيء بيد الله -سبحانه وتعالى- وحده. فالحمد لله.

٢٤٢. إن كنت عاصيًا، مستمرًا في معصيتك مصرًا عليها، فاحذر من إمهال الله -سبحانه وتعالى- لك!، فإنه قادر عليك، فإن أتى عذاب الله -سبحانه وتعالى- فإن عذابه شديد، ولا مرد له، وأخذه أخذ عزيز مقتدر! فإما أن تحذر وتتوب إلى الله -سبحانه وتعالى-، وإما أن تنتظر الحساب على ما فعلت وما أصررت والعياذ بالله!

٢٤٣. إياك ثم إياك يا أخي من البخل! فإنه مدعاة للهلكة! ولْتعلمْ أن البخل يكون في المال والعلم وأي أمر غير ذلك مما آتاك الله وفضّلك به على غيرك، وتذكر أننا بشر، يكمّل بعضنا بعضًا، ولْتعلمْ أن ما بك من نعمة في مالك أو عقلك هو من عند الله -سبحانه وتعالى-، فلا يحق لك أن تمنع خلق الله -سبحانه وتعالى- حقهم فيها، فاستقم كما أمرت!

٢٤٤. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- ليس بظلام للعبيد، وإنما توفى كل نفس ما عملت فالحمد لله.

٢٤٥. فلْتعلمْ أن من عادة الظالمين تكذيب الرسل والصالحين ومن سار

على خطاهم واتبع هداهم ونهجهم! فلا يغرنك ما يقول الظالمون، ولتصبر على ما يقولون، فإن الحق ظاهر على الباطل لا محالة!

٢٤٦. ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾، سبحان الله العظيم ما أعظم بيانه، وما أجمل وصفه! كلما مررت على هذه الآية استوقفتني فنظرت في نفسي، كيف هو طعم الموت؟ كيف سأتذوقه؟ وأين سأتذوقه؟ ما هو حالي عند التذوق؟ وأسيكون هذا التذوق هو نهاية الاختبار للحياة في النعيم الأبدي، أم في الجحيم والعياذ بالله؟! كلما مررت من هنا قلت، كيف سيكون! تشبيه بليغ يذكرني بطعم كل شيء تناولته وأتناوله! الطعام الحلو والمر، الطعام الذي يجري جريًا هنيئًا، والطعام الذي كالعلقم فلا يسري إلا بمرار وعذاب! كل هذا يعلمنا أن نستعد للموت، وأن ننتظره، وأن ننتظر طعمه! لذلك نرجو من الله -سبحانه وتعالى- أن يكون طعمه حلوًا، ننتظره بفارغ الصبر شوقًا للقاء رب العزة، شوقًا للقاء رسوله، شوقًا للقاء الأحبة، شوقًا للنعيم في جنانه بإذنه ورحمته، فيا ربي إنك لا تخلف وعدًا، ولا تظلم أحدًا، فإنا والله أتيناك طائعين محبين لك، فاهدنا يا ربنا سبل السلام، ولا تجعلنا من الضالين المضلين، يا أرحم الراحمين.

٢٤٧. فلْتعلمْ يا أخي أن الفوز هو الفوز برضا الله -سبحانه وتعالى- وجنانه، الفوز هو النجاة من النار، هذا هو الفوز العظيم! ولْتعلمْ أن الجنة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فسبحان الرحمن الذي خلق لنا من النعيم ما لا نقدر على وصفه وتخيله، فاللهم اجعلنا من أهل النعيم وخاصته.

٢٤٨. فلْتعلمْ أن من بلاء المؤمنين أن يصابوا في أموالهم وأنفسهم وأهلهم وأحبابهم، وكل هذا مما يطيق الإنسان الصبر عليه، وكل هذا مما يقدر عليه، فإن الله -سبحانه وتعالى- لا يكلف نفسا إلا وسعها! فالصبر الصبر، والله المستعان!

٢٤٩. إن فعلت خيرًا يا أخي فلا تنتظر الثناء عليه، فإنه عمل لله -سبحانه وتعالى-! وإن أتاك حمد وثناء على ما لم تفعل، فقل أنك لم تفعل ذلك، لأن هذا الثناء يجب أن يكون لأهله! فإن علمت أهله وصاحبه، فدل عليه إن كان ذلك ممكنًا ولا ضرر أو ضير فيه!

٢٥٠. فلْتعلمْ أن أولي الألباب هم أصحاب العقول النيرة والقلوب البصيرة الذين يذكرون الله -سبحانه وتعالى- في جميع أحوالهم، في قلوبهم وأعمالهم وأقوالهم، يتفكرون في خلق الله -سبحانه وتعالى- وآياته وعظيم إبداعه، فتفكرهم عبادة، وصلاتهم عبادة، وعملهم عبادة، وقولهم عبادة، عرفوا أن الله -سبحانه وتعالى- لم يخلق شيئًا عبثًا، فتدبروا وتأملوا آيات الله -سبحانه وتعالى- وإعجازه! فوالله إن فيها من الإعجاز والإبداع ما يبهر العقول، من دقة الصنع والجمال الذي لا يوصف! وعلموا أن هذا الخلق لم يخلق عبثًا! فتدبروا وتأملوا آيات الله -سبحانه وتعالى- في السماوات والأرض وما بينهما، فالحمد لله.

٢٥١. فلتعلم يا أخي أن عبادة الله -سبحانه وتعالى- ليست مجرد ثواب وعقاب، بل هي وسيلة **لشكر** الله -سبحانه وتعالى- وتعظيمه والإقرار بفضله وكرمه ورحمته، وسيلة يظهر بها الإنسان أسمى آيات الامتنان للواحد المنان، ووسيلة يظهر بها الإنسان عجزه وعبوديته لخالق السماوات والأرض -جل في علاه-، ومن أجمل ما يذكرنا بهذا المعنى قوله تعالى في سورة سبأ: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾، ومن أجمل المعاني التي قرأتها في معنى وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ: "العامل بطاعتي شكرًا لنعمتي"، وما روته أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-: "أَنَّ نَبِيَّ الله ﷺ كانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هذا يا رَسولَ اللهِ،

وقدْ غَفَرَ الله لكَ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ؟ **قالَ: أفلا أُحِبُّ أنْ أكُونَ عَبْدًا شَكُورًا** فَلَمَّا كَثُرَ لَحْمُهُ صَلَّى جَالِسًا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قَامَ فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ"(١)، انظر لجمال المعنى، "أفلا أُحِبُّ أنْ أكُونَ عَبْدًا شَكُورًا"؟! من استشعر عظم الله -سبحانه وتعالى- وفضله، عَظُم عنده الحمد والشكر لله -جل في علاه-، لذلك يا أخي، انظر للعبادة نظرة المحب لله -سبحانه وتعالى-، المستشعر بفضل ربه عليه، الحامد الشاكر لعظيم فضله وامتنانه، الذي يرجو ثواب ربه، ويخشى عذابه! فاللهم اجعلنا ممن أحبك واحتكم لأمرك ورضي بقضائك وداوم على شكرك ورجا رحمتك وثوابك، وخشي عذابك وعقابك، اللهم آمين.

٢٥٢. فلْتعلمْ أن الله سبحانه وتعالى طمأن قلوب عباده بأنه لا يضيع أجر عامل منهم، من ذكر أو أنثى، وأن الله - سبحانه وتعالى- عنده حسن الثواب والمآب، فأحسنوا الظن بالله، فاللهم ارزقنا حسن الظن بك، فإنك أنت الرحيم، وقلوبنا عندك، ولا حول ولا قوة إلا بك! الحمد لله الذي أراح نفوسنا بهذا، الحمد لله.

٢٥٣. إياك أن تغتر بما تراه من النعيم على أهل الكفر، خصوصًا في الوقت الذي يضعف فيه المسلمون، ويقوى فيه أعداؤهم، فإنهم في متاع ونعيم لفترة قصيرة فقط، ولهم عذاب طويل بعدها -والعياذ الله-، وهذه الحالة هي أحسن وأفضل أحوالهم! وأما المسلمون فإنهم في أسوء أحوالهم إن نالوا ما نالوا من أشد أنواع البؤس والعذاب، فإنها لا شيء أمام نعيم الله -سبحانه وتعالى- الدائم في جنانه، فقد روى أنس عن رسول الله ﷺ قال: "يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغةً، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط؟ هل مر بك نعيمٌ قط؟

---

(١) الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: ٤٨٣٧ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغةً في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مر بك شدةٌ قط؟ فيقول: لا، والله ما مر بي بؤسٌ قط، ولا رأيت شدةً قط"[١]، وهذا لا يعني بالتأكيد أن نستسلم أو نستكين أو نضعف! فالإسلام ليس ضعيفًا، والمؤمن ليس ضعيفًا، ولا يعني أن نغتر إن أوتينا من القوة ما أوتينا!

٢٥٤. إياك يا أخي وقطع الأرحام، صلْها وأحسن إلى أهلك!

٢٥٥. فلْتعلمْ أن الله كرّم الإنسان على العالمين، فخلق آدم عليه السلام من طين ثم نفخ فيه من روحه، وخلق حواء من ضلع آدم، وجعل الله -سبحانه وتعالى- منهما ذرية قائمة إلى قيام الساعة، ونحن إحدى هذه الذراري، فالحمد لله.

٢٥٦. فلْتعلمْ أن أحد أهم الحقوق التي يجب أن تُصان وتحفظ هي حقوق اليتيم، ومن حفظ مصالحهم أن تحفظ أموالهم، وأن تَرُدَّها إليهم عند رشدهم، وألا تستبدل ما هو نفيس أو قيم أو مرغوب فيه، لهم حق فيه بآخر لديك أقل قيمة أو أقل شأنًا! ومن حفظ مال اليتيم ألا تخاطر به، وأن تنميه بما أحله الله -سبحانه وتعالى-، ويا بشرى من أدى هذه الأمانة على حقها! قال -رسول الله ﷺ:-"كافِلُ اليَتِيمِ له، أوْ لِغَيْرِهِ أنا وهو كَهاتَيْنِ في الجَنَّةِ وأَشارَ مالِكٌ بالسَّبَّابَةِ والْوُسْطَى"[٢]، فالحمد لله.

٢٥٧. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- شرع التعدد، وجعل فيه من الحكم

---

(١) الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح ابن ماجه الصفحة أو الرقم: ٣٥٠٦ | خلاصة حكم المحدث: صحيح التخريج: أخرجه ابن ماجه (٤٣٢١) واللفظ له، وابن المبارك في «الزهد» (٦٢٢)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٣).

(٢) الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٩٨٣ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

العظيمة ما فيه، وهو من أحكام الله -سبحانه وتعالى-، فلا يجوز نفيه أو إلغاؤه تقليدًا للنصارى الذي يرفضون التعدد ويقصرون الزواج على واحدة، فيصبح الزواج كاثوليكيًا بصبغة إسلامية، بما فيه من مراعاة ذليلة للغرب الذي أباح كل الطرق للحرام! والرجال على اختلافهم تختلف رغباتهم وقدراتهم وميولاتهم، فمنهم من يكتفي بواحدة، ومنهم من يحتاج إلى ثانية، وثالثة، ورابعة، ولا يجوز الزيادة على ذلك! ولْتعلمْ أن الله سبحانه وتعالى لم يشرع شيئًا وتركه دون توجيه أو دليل، فأخبرنا بلزوم العدل، فإن خاف فجورًا وظلمًا لم يحق له ذلك، فسبحان الله!

٢٥٨. فلْتعلمْ أن مهر المرأة هو حق لها عليك! وهو من الحقوق اللطيفة الطيبة التي تطيب خاطر المرأة وتُفرح قلبها، والمهر هو هدية طيبة، تصدر عن نفس طيبة مطمئنة، دون نقص أو مماطلة، ودون سلب لما أَعطى! والمهر حق للمرأة لا يجوز للولي أن يعتدي عليه! إلا إن طابت هي بشيء من نفسها دون إجبار أو إكراه! ولها الحرية في التصرف في مالها، فيحق لها مسامحة زوجها أو التبرع به أو في أي مسار أحله الله -سبحانه وتعالى-، وليتقِ الله أولياء الأمور في مهور بناتهم، فلا يضيقوا الخناق على شباب المسلمين بطلباتهم وبرفع مهور من يتولون العقد عنهن، فإنه مدعاة للفتنة، ومقلب للقلوب من الحب والطيبة إلى غصة تنبت في القلب! فالله الله في شباب المسلمين.

٢٥٩. فلْتعلمْ أن المهر يمكن أن يُجزأ إلى مهر مقدم ومؤخر، ويُفضل أن يكون الهدف من هذا التقسيم هو التخفيف على الزوج، لا أن يكون بطاقة تهديد تُرفع لمنع الطلاق! والمطلع على أحوالنا في هذه الأيام يرى أن بعض الرجال إذا رغبوا في الطلاق يهينون زوجاتهم ويمنعونهن من حقوقهن حتى تتخلى عن حقها! وأحد أهم الأسباب لذلك ما نراه في مجتمعاتنا من رفع لبطاقة المؤخر والتي لا يستطيع الزوج

تأديتها، والتي يضعها الأولياء عمدًا حتى لا يُطلق الرجال نساءهم!، ومن وجهة نظر أخرى حماية لبناتهم عند الطلاق! والنتيجة في غالب الأمر ضياع البنت إما بين المحاكم أو أن تكون معلقة أو في حياة صعبة يملؤها البُغض، ولو علم الناس أن الله -سبحانه وتعالى- سيغني كلًا من سعته لهان الأمر عليهم! ولْتعلمْ أيها الزوج أن المؤجل -المؤخر- هو حق للمرأة لا يجوز عليك أكله، وهو ليس مجرد رقم أو حبر على ورق! فلو سُجل في العقد أن المؤجل من المهر هو مئة ألف، فيجب عليك سداد مئة ألف، لذلك احذر إن لم تكن قادرًا على سداده لأنه سيكون في رقبتك! ولْتعلمْ أن المبلغ المسجل في العقد كمهر مقدم أو مؤجل هو حق لازم عليك، ويجب تأديته ما لم تُسامح الزوجة الزوج في ذلك عن طيب خاطر ودون إكراه...، والمهر المؤجل إن ارتبط بمدة أصبح كالدَين الذي يجب أن يُسدد وله ميعاد لا يجوز إخلافه، وإن لم يكن كذلك فإن الطلاق أو الموت أو عرف المجتمع هو موعد دفعه، كما قرر بعض الفقهاء.

٢٦٠. فلْتعلمْ أن الولي مؤتمن، ومن ولايته ألا يعطي المال لوليه إن كان سفيهًا أو مجنونًا أو صغير السن، لأن ذلك مضيعة للمال، ومن حق هؤلاء حفظ مالهم كما يحفظ المرء ماله! ولكن عليك القيام بكسوتهم وجلب ضروراتهم وما يحتاجون إليه، وعليك بتطييب خاطرهم، وعند رشدهم أعطهم حقهم! ومن وسائل التحقق من رشدهم: إعطاؤهم بعض المال والنظر فيما يفعلون به، وكيف ينفقونه، فإن تبين للولي الحكمة في التصرف، أعطاهم كامل حقهم ولم يبخس منه شيئًا.

٢٦١. يا أخي، إن الإنسان السفيه الذي لا يحسن التصرف بماله، ولا يشكر الله -سبحانه وتعالى- على هذه النعمة العظيمة، وليس له من الحكمة في إدارة ماله من شيء؛ لا يُشارك في تجارة، ولا عمل، ولا يؤتمن على مال، ولا على دار!

فاحذر هؤلاء فهم كثر، وشارك واعمل مع من هم للخير حافظون شاكرون، ساعون لرضا الله -سبحانه وتعالى- يكسبون مما حلله الله -جل في علاه- لهم، هؤلاء تشبث بهم!

٢٦٢. فلْتعلمْ أن من حسن الخلق أن تعطي للملهوف والمتطلع لما بين يديك ما تُطيّب به خاطره، ومن ذلك أن تطعم من جلب لك الطعام، وتعطي من المال الذي رزقك الله لعامليك، فتطيّب به خاطرهم وتهدئ من لهفتهم لهذا المال وهم في حاجته.

٢٦٣. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- أعطى لكل ذي حق حقه، ومن الحقوق التي تجب للمرأة والرجل، والطفل والعجوز، هو حق الميراث! وقد بيّن الله -سبحانه وتعالى- أحكام المواريث، فلا يظلم ربك أحدًا، ولا يجوز لأي شخص قرُب أم بعُد أن يسلب شيئًا من حق وريث آخر. فالحمد لله.

٢٦٤. فلْتعلمْ أن المسلم يستر على أخيه المسلم، فلا يفضحه ولا يتتبع عوراته.

٢٦٥. فلْتعلمْ أن باب التوبة مفتوح، فلا تضعه! ولْتعلمْ أن باب التوبة يُغلق إما بحضور الموت وإما بطلوع الشمس من مغربها، فاحذر قبل فوات الآون، واستبشر لأنك ما زلت قادرًا على التوبة! فالحمد لله.

٢٦٦. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- أمر الزوج بمعاشرة زوجته بالمعروف، ويكون ذلك من خلال الصحبة الجميلة وكف الأذى عنها والإحسان إليها بالقول والعمل، وحسن معاملتها والإنفاق عليها وكسوتها، ولْتعلمْ أنك إن كرهت زوجك لسبب من أسباب الدنيا فاستوصِ بها خيرًا، وأمسكها ولا تفرط فيها،

فقد يجعل الله – سبحانه وتعالى– فيها خيرًا كثيرًا، وقد يرزقك منها بالأبناء الصالحين البارين، فلا تظلمها وأحسن إليها، فإن لم تطق ذلك وخفت من المحذور فإن الإمساك ليس بلازم! والحمد لله.

٢٦٧. فلْتعلمْ أن الزواج هو عقد وميثاق غليظ، هذا الميثاق يلزمك بالقيام بحفظ زوجتك وأداء حقها الذي عليك، ميثاق يجعل الزواج حياة، سكن ومودة ورحمة، زواج يسمو ويعلو فوق الحياة الجنسية، فتكون الحياة الجنسية فيه إحدى الأمور المهمة التي تعطي للحياة الزوجية جمالها، وتساهم باستمرارها، وتسكن شهوات النفس بها، وكل ذلك لأجل هدف أسمى وهو رضا الله –سبحانه وتعالى–، وتقوية النفس على ذلك بحفظها من الحرام، وبناء أسرة مسلمة في مجتمع فيه من هذا البنيان، فيرص بعضه بعضًا، وتحقيق دورة الاستخلاف في الأرض، وفيه من السكينة للنفس والميل للجنس الآخر ما فيه، ومن الحب والعطف واللين ما فيه للزوج، والأمان والحفظ والصون والإنفاق الكريم للزوجة ما فيه. فسبحان الله ما أعظمه وما أعظم شرائعه!

٢٦٨. فلْتعلمْ أن أوامر الله –سبحانه وتعالى– أتت لتبين لنا الحق فنتبعه، وبهذا نسير على درب الأنبياء والصالحين ممن وفقهم الله –سبحانه وتعالى– لذلك، فإن سرت كما أمر الله –سبحانه وتعالى–، سَموت عاليًا بالأخلاق الطيبة الحميدة، وحسنت تربيتك، وملكت الدنيا والآخرة.

٢٦٩. فلْتعلمْ أن الله –سبحانه وتعالى– حفظ أموال المسلمين من الكسب الغير المشروع، فحرم أي كسب مشبوه يأتي من خلال الربا والقمار والسرقة والاحتيال وما شابه ذلك، وأحل التجارة التي فيها مكاسب كثيرة وأموال حلال

يرتضيها الله -سبحانه وتعالى- لعباده، ولْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- حفظ النفوس، فنهانا عن قتل بعضنا البعض، ونهانا عن قتل أنفسنا، فإننا مستأمنين على هذه النفس التي وهبنا لها الله -سبحانه وتعالى-، وحفظ هذه النفس أمانة نؤديها، ولْتعلمْ أن المؤمن ليس ضعيفًا، فإن ضعف لبعده عن دينه وقلة صبره واتباع خطوات الشيطان، فقد نهاه الله -سبحانه وتعالى- عن قتل نفسه، بل يجب على الإنسان أن يبحث عن الحلول المناسبة، وألا يستسلم، وكل هذا يتأتى بالصبر والإيمان بقضاء الله وقدره! وهذا كله من فضل الله -سبحانه وتعالى- علينا ورحمته، فعصم دماءنا وأموالنا وصانها من الانتهاك! فالحمد لله.

٢٧٠. فلْتعلمْ أن من فضل الله -سبحانه وتعالى- على عباده أن وعدهم بالتجاوز عن ذنوبهم إن اجتنبوا الكبائر وأقاموا الفرائض، وفوق ذلك كله وعدهم بجنات تجري من تحتها الأنهار، فسبحان الله العزيز الكريم! لهذا إياك أن تفعل الكبائر التي نهينا عنها، ثم إياك من الإصرار على صغائر الذنوب، وتذكر أن باب التوبة متاح، وأن الله رحيمٌ يكفر عنا زلاتنا وعثراتنا باجتناب المعاصي وبالتوبة وبالقيام بالفرائض. فالحمد لله.

٢٧١. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- خلق الرجال والنساء، ولكل منهما خواصه التي يتمتع بها ويتميز بها عن الآخر! وهذا الأمر من الفروقات الطبيعية التي أنعم الله -سبحانه وتعالى- بها على عباده، لتتكامل الحياة بين الجنسين بالشكل الصحيح! ومن هنا نُهينا أن يتشبه الرجال بالنساء، وأن تتشبه النساء بالرجال، وأن يتمنى الرجال خواص النساء، وأن تتمنى النساء خواص الرجال! بل على كل منهما أن يعرف نفسه، وبما فضّله الله -سبحانه وتعالى- عن غيره، ويقوم كل منهما بإكمال نقص الآخر! فالحمد لله.

٢٧٢. فلْتعلمْ أن المؤمن لا يحسد! فلا يتمنى الاستئثار بالنعمة التي رزقها الله لغيره، ومن ثَم يتمنى زوال هذه النعمة عن صاحبها! بل المؤمن من يدعو لأخيه باليُمن والبركة فيما رزقه الله -سبحانه وتعالى-، ويدعو الله -تعالى- لنفسه بأن يرزقه ما رزقه مع تمني دوام الخير لمن رُزق هذه النعمة.

٢٧٣. فلْتعلمْ أن المؤمن يسأل الله -سبحانه وتعالى- من فضله في مصالحه الدينية والدنيوية، فلا يترك العمل، ولا يتكل على نفسه بغير افتقار إلى الله -سبحانه وتعالى-.

٢٧٤. فلْتعلمْ أن التعاون بين الأقارب باختلاف درجاتهم، ومَن بينك وبينهم صلة، هو تعاون محمود، ويقودك إلى مساندة ونصرة كل محتاج، وتزداد أهمية هذا التعاون إن لم يكن باستطاعة الفرد سد حاجته إلا بوجود من ينصره ويواليه، وكل هذا بشرط ألا يكون فيه معصية لله -سبحانه وتعالى-!

٢٧٥. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- جعل القوامة بيد الرجل، وهذه القوامة تعني أن يحفظ زوجته من الوقوع بالحرام، وأن يحثها على القيام بما فرضه الله -سبحانه وتعالى- وأن يمنعها ويمنع عنها المفاسد، ويلزم الرجل لهذه القوامة أن ينفق على زوجته ويكسوها ويسكنها، وهي مطالبة بحفظ زوجها وماله وطاعته -في غير معصية-، فسبحان الله.

٢٧٦. فلْتعلمْ أن هذه الحياة مليئة بالأحداث المختلفة، ومنها أن يقع الإنسان في خلاف مع غيره، فإن كبُر الخلاف وشق على الطرفين حله، جاز لكل منهما أن يختار حكمًا يُمثل كل طرف، ليحكموا بينهم، ويجب أن يكون الحكم من أهل الصدق والشهادة والأمانة وممن يعرف كيفية الحكم، وأن تكون نية الطرفين

الإصلاح ورد الحق لصاحب الحق، وليس الانتصار لرأي صاحبه! وحُكم الحَكم نافذ على صاحبه!

٢٧٧. فلْتعلمْ أن الإسلام أوصى بالجار، وحفظ حقه، ودعا إلى الإحسان إليه، ورد عنه كل ما يسوؤه من القبائح، وتزداد درجة الجار أهمية كلما اقترب منك، وتزداد أكثر كلما اقترب إليك وكان من أقاربك، فاتقِ الله في جارك، وأحسن إليه في القول والفعل ولا تؤذه، ونستأنس بما روته أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- عن النبي ﷺ قال: "ما زالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ **بالجارِ**، حتَّى ظَنَنْتُ أنَّه سَيُوَرِّثُهُ."(١)، وروى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "**مَن كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ فلا يُؤْذِ جارَهُ**، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أوْ لِيَصْمُتْ."(٢)، وعن ابن شريح -رضي الله عنه- عن الرسول ﷺ قال: "واللهِ لا يُؤْمِنُ، واللهِ لا يُؤْمِنُ، واللهِ لا يُؤْمِنُ قيلَ: ومَن يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: **الذي لا يَأْمَنُ جارُهُ بَوايِقَهُ**"(٣)، وعن عبد الله بن العباس -رضي الله عنهما- عن رسول الله ﷺ قال: "ليس المؤمنُ بالذي يشبعُ **وجارُه جائعٌ إلى جنبَيْهِ**"(٤)، فإن علمت المراد، فأحسن إلى جارك أحسن الله إليك!

---

(١) الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٠١٤ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٠١٨ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٣) الراوي: ابن شريح | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٠١٦ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٤) الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الجامع الصفحة أو الرقم: ٥٣٨٢ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

٢٧٨. فلْتعلمْ أن الإسلام جعل الإحسان للصاحب من أبواب الفضل، هذا الإحسان يعني أن تدله على الخير، وأن تعينه عليه، وأن تساعده في دنياه، وأن تكون وفيًّا معه في اليسر والعسر، وألا تنسى المودة والرحمة والمعروف الذي بينكما، وأن تتجاوز عن زلاته فلا تحمل عليه، وتنصحه وتصارحه! وأن تكون هذه الصحبة لله، تجتمعان عليه وتتفرقان عليه!، ونستأنس هنا بحديث رسول الله ﷺ في صحيح البخاري:- "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله تَعَالَى في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: إمَامٌ عَدْلٌ، وشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ الله، ورَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسَاجِدِ، **ورَجُلَانِ تَحَابَّا في الله، اجْتَمعا عليه وتَفَرَّقَا عليه**، ورَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وجَمَالٍ فَقالَ: إنِّي أَخَافُ اللَّهَ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بصَدَقَةٍ فأخْفَاهَا حتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ"(١).

٢٧٩. إياك أن تتكبر على خلق الله، وإياك أن تغتر بنفسك فتُعجب بها وتتفاخر بما لديك من مناقب كبرًا وبطرًا على الناس - والعياذ بالله-، وكل هذه الصفات مما يبغض الله.

٢٨٠. إياك والرياء، فإنه مذهب للعمل الصالح، مجلب للعقاب، فاحذر من أن تضيع عملك لميل نفسك إلى المديح والتعظيم من الناس، أو ليروا ما تقوم به من أعمال -والعياذ بالله-، ولْتعلمْ أن العمل المقبول هو ما كان خالصًا لله -سبحانه وتعالى- وموافقًا لسنة نبيه -عليه الصلاة والسلام-، فإن رآك الناس وقالوا خيرًا أو لم يروك، فلا فرق عندك لأن عملك ليس لهم، بل لله -سبحانه وتعالى-، وكلا الأمرين الإخلاص والرياء من أعمال القلوب التي لا يعلمها إلا الله -سبحانه

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ١٤٢٣ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

وتعالى-، فالحمد لله، قال تعالى في سورة النمل: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾، هذه الآية الكريمة فيها كنز عظيم، اجعله في خاطرك كلما التفت الدنيا وشيء من حبها أو شيء من حب مديح الناس حولك، ﴿ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾؟!، تذكر هذه الآية لتعود مسرعًا إلى الإخلاص لله -سبحانه وتعالى- بقلب كله شوق لذلك، وبقلب مليء بالتذلل والخضوع لرب السماوات والأرض، وبقلب معافى من الرياء وأسبابه، فاللهم اجعلنا ممن أخلص عمله لك وحدك لا شريك لك، وممن تذلل لك، فنال حبك ورضاك، اللهم آمين.

٢٨١. إياك وظلم عباد الله، أعطِ الحقوق لأصحابها مهما كبرت أو صغرت، ولا تنقص من حقهم شيئًا.

٢٨٢. فلْتعلمْ أن نعمة العقل واحدة من أعظم النعم على الإنسان، وهذا العقل لا يجوز أن يغيب عنك في أي لحظة عدا ما اضطررت فيه، ومن الأمور المغيبة للعقل شرب الخمور والمُسكرات، والمُخدِرات بأنواعها، ولْتعلمْ أن هذا العقل مسئول أيضًا عن التحكم بلسانك، فلسانك ينطق ما يقوله عقلك، فلا تدع لسانك ينطق بالفحش أو السوء، واحفظه بحفظ عقلك، والله المستعان.

٢٨٣. فلْتعلمْ أن من اكتفى بالله كفاه، ومن استنصر بالله نصره، فهو ولي عباده الناصر لهم، اللطيف بهم، الميسر لهم أمورهم، الذي يسعد عباده ويبسط رزقه إليهم، ويبين لهم الصلاح والضلال! فالحمد لله.

٢٨٤. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- واحد أحد، ليس كمثله شيء، ليس له ولد ولا صاحبة -وحاشاه من ذلك- عظيم السلطان والقدرة والبيان، فالحمد لله الذي جعلنا عبيدًا له! ولْتعلمْ أن أعظم الذنوب الشرك بالله -سبحانه وتعالى-، ولا

يغفر الله أن يشرك به -والعياذ بالله-، ويغفر الله -سبحانه وتعالى- برحمته لمن يشاء ممن ارتكب كبائر الذنوب أو صغائرها، وقد جعل الله -سبحانه وتعالى- لذلك السبل، فمنها الاستغفار، والحسنات يذهبن السيئات إلى آخره، لذلك، إن كنت مُشركًا فسارع إلى التوبة، ووحد الله -سبحانه وتعالى- قبل فوات الأوان، والله المستعان!

٢٨٥. فلْتعلمْ أن حفظ الأسرار من الأمانات المطالب بحفظها!

٢٨٦. فلْتعلمْ أنه "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق!"(١) ومهما بلغ من درجة القرب أو السلطة! فطاعة الله -سبحانه وتعالى- فوق أي أمر، وفوق أي شخص!

٢٨٧. إذا أردت خير القضاء، وأردت العدل، وأردت الحقيقة، وأردت أن يرجع الحق لأصحابه، وأن تنصر المظلوم، وأن تميز الخبيث من الطيب، فاجعل الحكم هو كتاب الله -سبحانه وتعالى-، وسنة نبيه المصطفى -عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم-، ولْتعلمْ أن الإيمان بحكم غير شرع الله والرضا به لا يجتمعان لمؤمن.

٢٨٨. فلْتعلمْ أن من الإحسان للعاصي أن تنصحه سرًا وتعظه وتبيّن له حكم الله وترغبه فيه، وأن تُكّرهه فيما يفعل من معاصٍ وهذا لا ينفي أهمية الزجر في العلن إن جوهر بالمعصية! والله المستعان!

٢٨٩. فلْتعلمْ أن الاعتراف بالذنب والخطيئة فضيلة لا يملكها الكثير من الناس!، لذلك مهما كبر عمرك ومنزلتك ومقدار علمك، فإنك ستخطئ، والخطأ

---

(١) الراوي: النواس بن سمعان الأنصاري | المحدث: الألباني | المصدر: تخريج مشكاة المصابيح الصفحة أو الرقم: ٣٦٢٤ | خلاصة حكم المحدث: صحيح.

ليس عيبًا! ولكن العيب هو الاستمرار على الخطأ، والاستكبار والإصرار عليه بدلًا من الاعتراف والاعتذار!

٢٩٠. فلْتعلمْ أن الخمول والكسل ودنو الهمة من أعظم الأسباب التي تجعل المرء يبتعد عن تنفيذ ما يُوعظ به من أوامر الله -سبحانه تعالى-، ويبتعد عما يقوده إلى الدرجات العلا، ويبتعد عما فيه خير في دينه ودنياه!. هذا الكسل والخمول ودنو الهمة سيتلاشى كلما تعود الإنسان على الطاعات، واتبع أوامر الله -سبحانه وتعالى- وسنة الحبيب المصطفى ﷺ، وكلما تعودت النفس على القيام بأعمال الخير، والأعمال الموكلة إليها، ثبتت ورغبت بالمزيد! وذلك كقيام الليل وصوم النافلة ومساعدة المحتاج والملهوف وقراءة القرآن وبر الوالدين والإحسان للجار، والأذكار، وطلب العلم النافع وطلب الكسب الحلال إلى آخره! فكلما زاد الخير عندهم، أصبحوا من الأخيار، وثبّتهم الله -سبحانه وتعالى- وزادهم من نعيمه، وصبّرهم عند البلاء، ورزقهم علو الهمم، وألهمهم الرضا والشكر، وبارك لهم في علمهم وعملهم، وكل هذا فيه من الخير ما فيه، ومما يتحقق به منفعة للجسد والروح، وفيه ما فيه للقلب من خير وفرحة وإحساس ليس له مثيل! وفيما روى البخاري عن أنس بن مالك - رضى الله عنه- قال: "كنت أخدم رسول الله ﷺ كلما نزل، فكنت أسمعه يكثر أن يقول: اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، **وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ**، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ"(١).

٢٩١. فلْتعلمْ أن انشغال النفس واضطراب القلب لتوقع مكروه يقع في المستقبل هو من الهم الذي تعوذ منه رسول الله ﷺ، وأوصانا بالتعوذ منه، ومن أشهر

---

(١) الراوي: أنس بن مالك | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٣٦٣ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح].

الأمثلة على ذلك: طالب التوجيهي الذي يتساءل إن كان سينجح أم لا، وإذا نجح فهل سيلتحق بالتخصص الذي يريد، وعند تخرجه أسيجد وظيفة أم سيقف مع صف البطالة! إلى آخره! وهذا كله هم يضيق القلب ويحصر العقل والبدن عن العمل، لذلك ركز على العمل النافع واجتهد فيه ودع عنك غيره!

٢٩٢. يا أخي، فلتعلمْ أننا في هذه الدنيا، بين الأخذ والعطاء، فنعيم قد تُعطاه، ونعيم قد يُأخذ منك!، وكل ذلك من البلاء الذي يجدد عهد الإنسان بربه، فالحمد لله!، وهذا يقودنا إلى مجموعة من النقاط المهمة حول تعامل الإنسان مع جزئية البلاء وعلاقته مع خالقه _جل في علاه،_ فأول شيء عليك أن تعلمه أن الله –سبحانه وتعالى– يحب عباده المؤمنين!، ولفظ الحب هذا قد جاء ذكره في خواتيم كثير من آيات كتاب الله –سبحانه وتعالى–، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾...إلى آخره، ألا تحرك فيك هذه الآيات شيئًا؟!، ألا يعني لك شيئًا حب الله –سبحانه وتعالى–؟!، إن المؤمن يسعى لينال حب الله –سبحانه وتعالى– ورضوانه، لذلك، فإن نعيم الدنيا المادي أو حتى نعيم الآخرة –من حور عين وفاكهة وشراب– بعظمته لا يكون شيئًا عندما يُبشر الله –سبحانه وتعالى– أهل الجنة برضوانه، وهذا لمن أدرك عظم هذا الرضوان ومعناه!، روى أبو سعيد الخدري –رضي الله عنه– عن النبي ﷺ: "إنَّ الله تَبارَكَ وتَعالَى يقولُ لأهْلِ الجَنَّةِ: يا أهْلَ الجَنَّةِ، فيَقولونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنا وسَعْدَيْكَ، فيَقولُ: هلْ رَضِيتُمْ؟ فيَقولونَ: وما لنا لا نَرْضَى وقدْ أعْطَيْتَنا ما لَمْ تُعْطِ أحَدًا مِن خَلْقِكَ؟ **فيَقولُ: أنا أُعْطِيكُمْ أفْضَلَ مِن ذلكَ، قالوا: يا رَبِّ، وأَيُّ شَيءٍ أفْضَلُ مِن ذلكَ؟ فيَقولُ:**

أُحِلُّ علَيْكُم رِضْوانِي، فلا أسْخَطُ علَيْكُم بَعْدَهُ أبَدًا."[١]، انظر لجمال هذه النعمة وعظمها!، وهذا يقودنا لنقطة مهمة جدًا، وهي مشكلة "الحب المشروط" أو "الحبشرطي" والذي يجعل الإنسان يحب الله -سبحانه وتعالى- إذا رأى من النعيم ما يسره، أما إذا ابتلاه رب العزة -جل في علاه- اضطرب وكان على حرف -والعياذ بالله-!، وهذا فيه من الخطورة ما فيه، وهذا يقودنا إلى جزئية مهمة، كيف يمكن أن أرضى بقضاء الله -سبحانه وتعالى-؟، والجواب: يمكنك ذلك من خلال الاستعانة بالله -سبحانه وتعالى- والإيمان بحكمته التي وسعت كل شيء!، والإيمان بعلم الله -سبحانه وتعالى- الذي يقدر الخير لنا حتى وإن عجزت عقولنا وقصرت عن فهم الحكمة منها!، كما أن تدريب النفس على طاعة الله -سبحانه وتعالى- وحمده في الأخذ والعطاء، قبل النوازل العظيمة أو العطاء الجزيل أمر مهم في تقوية النفس لما هو آت، لهذا، فإنك إن رضيت بقضاء الله -سبحانه وتعالى- في كل أحوالك، وهذبت نفسك لأجل ذلك، لم تخف من المستقبل المجهول لأنه سيكون خيرًا -بإذن الله تعالى- وإن بدا في ظاهره عكس ذلك!، ومن الوسائل التي يمكنك استخدامها للنظر إلى نفسك حين البلاء، هو النظر إلى ما جرى لنفسك في هذا البلاء، فإن وجدتها اقتربت من الله -سبحانه وتعالى- ورضيت بحكمه، ووجدت في نفسك حسن ظن بالله -سبحانه وتعالى- فقد وفقت إلى خير عظيم، وكذلك الأمر من وجد في نفسه عزمًا على الطاعة والتحرر من الشهوات والشبهات، فأنت قد وفقت إلى خير عظيم...، وهذا يفتح بابًا مهم حول مدة البلاء!، فالبلاء قد يقصر وقد يطول، وهنا

---

(١) الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٥٤٩ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

يظهر الفرق بين من رضي بقضاء الله -سبحانه وتعالى- وبين من سخط أو وضع "حب مشروط" -والعياذ بالله-!، فمن رضي سينظر لطول البلاء على أنه نعمة من الله -سبحانه وتعالى- وإن كان ظاهر الأمر غير ذلك!، وستكون نفسه بين الخوف والرجاء، مُحبة لله -سبحانه وتعالى- مُستذكرة لنعيمه فيما مضى، ومستحضرة لجملة النعيم التي اعتاد عليها في حاضره، وغير خائف من المستقبل لأن جهله بما سيأتي لا يشكل قلقًا بالنسبة له لأنه محسن الظن بالله -سبحانه وتعالى-، أما من لم يكن حاله كذلك، سيكون على شفا جرف!، وهذا بكل تأكيد لا يتنافى مع الطبائع البشرية التي فطرها الله -سبحانه وتعالى- داخل الإنسان، فمشاعر الحزن أو الفرح هي من نعم الله -سبحانه وتعالى- علينا، لكن الغلو هو ما يجعل الحزن ينتقل من مرحلة المشاعر الدافئة إلى مرحلة السخط -والعياذ بالله-!، بل إن طول مدة البلاء أو قصرها قد تظهر حكما عظيمة، منها إظهار المؤمنين حقًا وتمييزهم عن المنافقين!، وذلك مثل ما حدث في يوم الأحزاب!، ولاحظ عظم قصة الأحزاب، فالله -سبحانه وتعالى- ثبت عباده المؤمنين وثبت إيمانهم، وهذه نعمة عظيمة وحسن ظن بالله -سبحانه وتعالى- ويقين به! ومن الأمور الجميلة التي يسرها الله -سبحانه وتعالى- لنا فيما علمناه أو أدركناه من حكمته؛ هو إدراك الحكمة من البلاء أو بعض منها أثناء البلاء أو بعده، حتى يتضح للإنسان فضل الله -سبحانه وتعالى- وكرمه عليه!، فكم من مرة سمعت قول أحدهم: "الحمد لله أنني لم أوفق لشراء هذه السيارة أو تلك الأرض"، أو الحمد لله أنني "لم أسافر على متن هذه الطائرة أو لم أذهب لهذه الدولة أو لأنني ألغيت سفري"، هذه الكلمات وغيرها عادة ما تظهر عند انكشاف بعض الحكمة لصاحبها، فمثلًا تفجرت الطائرة التي كنت أنوي السفر بها،

وما أعاقني عن الوصول إليها حادث على الطريق أو سهوة نوم أو رفض السفر من مؤسسة حكومية...!، وهذا كله وغيره من الأمثلة الكثيرة التي تجعل الإنسان يقول: "الحمد لله الذي منعني ما تمنيت!"، وهذا يذكرني بقصة عشت ثناياها، لقد كنت في مراحل الدراسة من الطلبة المتفوقين والحمد لله، حتى وصلت إلى الثانوية العامة، في هذه المرحلة، كنت حرفيًا "قطاعة دراسة"(١)، لكن صادف هذا الأمر "بعد عن الله سبحانه وتعالى" هذا البعد رافقه "غرور" بالإمكانيات البشرية "المادية" وأنه لا داعي لما دون ذلك!، حتى قدر الله -سبحانه وتعالى- نهاية الفصل الأول من هذه المرحلة، لأصدم بنتيجتي وهي الرسوب في ثلاث مواد!، هذه الصدمة كانت بمثابة صفعة قوية هزتني بكل ما تحمل الكلمة من معنى!، مرت الأيام دون أن أدرس شيئًا، مع تهرب من الدوام المدرسي أو التشاغل أثناء الحصص الصفية، ولم أعد لربي -جل في علاه- في تلك الفترة، لكن ظلت تلك الصفعة تجول في خاطري!، "ما هو الشيء الخاطئ الذي فعلته؟!"، وبين تقلب هذا القلب، يسر الله -سبحانه وتعالى- أن أجلس أمام التلفاز لأشاهد جزء من حلقة للدكتور أمجد قورشة -رحمه الله-، وعنوانها اليقين بالله!، كان أول ما طرحه أو أول ما سمعته من طرحه هو: "هل أنت طالب توجيهي، وراسب في ثلاث مواد"؟!، شعرت وكأنها رسالة حرفية لي فانتفضت، ثم ذكر ما يسر الله -سبحانه وتعالى- من سماعه حول معنى اليقين بالله -سبحانه وتعالى- وجمال هذا المعنى، وما ينبغي للإنسان أن يكون عليه!، هذا الأمر قلب قلبي رأسًا على عقب!، فانتفضت وتوجهت فصليت ركعتين لله -سبحانه وتعالى- وبدأت بالدراسة بجد، لكن هذه المرة كان مع تطبيق لدرس اليقين بالله

---

(١) مصطلح عامي يشير إلى الطالب كثير الدراسة.

-سبحانه وتعالى-، والعودة إليه، وحسن الظن به، ومع أن المدة للامتحانات كانت أقل من شهر، إلا أن الله -سبحانه وتعالى- وفقني وحققت النجاح في جميع المواد!، النقطة الجوهرية من هذه القصة، أن إخفاقي في المرحلة الثانوية كانت إحدى أعظم النعم التي نلتها في حياتي -الحمد لله-!، ففيها عدت لربي وأيقنت رحمته وعظيم حكمته، أيقنت فضل اليقين بالله -سبحانه وتعالى-، وأن السعي بالأسباب لا يغني عن رب الأسباب، ومع مرور الوقت والنظر في هذه النعمة والترتيبات الإلهية لإخفاقي وحصولي على معدل بالكاد أهلني لإكمال دراستي والالتحاق بالحياة الجامعية، إلا أنه كان الخيار الأفضل لي بفضل -الله تعالى-، لما وجدته من نعم وخير يسره الله -سبحانه وتعالى- في هذا المكان!، ثم لم ألبث حتى وفقني الله -سبحانه وتعالى- للحصول على الجائزة الأولى على مستوى الجامعات الأردنية في البحث العلمي لحملة البكالوريوس لعام ٢٠١٤م، ويسر الله -سبحانه وتعالى- لي عملًا قبل أن أنهي مرحلتي الدراسية -الحمد لله- -مع اشتراطي بأنني لن أقبل أي عمل يخالف الشريعة الإسلامية...- إلى آخره من النعم التي لا أقدر على حصرها أو ذكرها -الحمد لله-!، إن هذه النعمة لوحدها كانت كفيلة بنقلي من غرور "المادة" والبعد عن الحق إلى طريق الخير والحمد لله!، وهذا لم يكن ليكون لولا فضل الله -سبحانه وتعالى- وهدايته لهذا العبد الفقير!، وأنت، انظر لسيرة حياتك، ستجد بكل تأكيد نعمة أنعم الله -سبحانه وتعالى- عليك، كانت بأخذ أو عطاء، قد أثرت عليك!، وانظر لعملك وفعلك، هل كان خيرًا فنلت خيرًا -حتى وإن لم تره-، أم كان سخطًا والعياذ بالله!، وثق أنك خاضع لحكمة الله -سبحانه وتعالى-، والتي ستبهرك بكنوزها العظيمة!، بل إن من رحمة الله -سبحانه وتعالى- بنا أنه لا يكلفنا ما لا طاقة

لنا به، وفوق ذلك يلهمنا الصبر من عنده ويرزقنا إياه!، قال تعالى في سورة الكهف: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴾، انظر، فالله -سبحانه وتعالى- صبرهم على ما هم فيه بلاء، وثبتهم على ما هم عليه من الحق!، وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ۚ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾، انظر إلى ما سأله سحرة فرعون؛ ربنا اصبب علينا الصبر؛ وذلك لتطمئن قلوبهم المقبلة على هذا العذاب الشديد!، وانظر لجمال هذه النعمة، أنت تتحدث هنا عن كافرين أسلموا لتوهم فكان إيمانهم وما رزقهم الله -سبحانه وتعالى- من صبر أعظم من جبروت فرعون -لعنه الله-!، وقال تعالى في سورة يوسف: ﴿ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾، فهذا نبي الله يعقوب -عليه السلام- يستعين بالله -سبحانه وتعالى- ليصبر على ما أصابه من بلاء من فقدان يوسف -عليه السلام- وكذب إخوته!، روى أبو سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ: "...ومَن يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ الله **ومَن يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ**، وما أُعْطِيَ أحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ"(١)، وهذا يقودنا لنقطة مهمة، يقع بها كثير من أهلنا وإخواننا، وهي القنوط من رحمة الله -سبحانه وتعالى-، هذا القنوط هو شعور يلقيه الشيطان في نفوسنا، ثم نحن نظن أن نفسنا اللوامة هي من تفعل ذلك، ثم نجلد أنفسنا بلا عمل، ثم نحزن ولا نستشعر رحمة الله -سبحانه وتعالى-، وهذا كله مما يريد الشيطان!، فالشيطان لن يخبرك بأن الله -سبحانه وتعالى- ليس برحيم -تعالى عن ذلك-، بل سيحاول زعزعة اليقين

---

(١) الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ١٤٦٩ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

برحمة الله -سبحانه وتعالى- وإبعادك عن عظمته -جل في علاه- ومعاني أسمائه، يوسوس لنا الشيطان فيقول: أبعد كل هذا تظن أن الله -سبحانه وتعالى- سيرحمك؟!، هل تظن أنك تستحق هذه الرحمة أصلًا؟!، هل تظن أن الله -سبحانه وتعالى- سيغفر لك؟!، هل تظن أن الله -سبحانه وتعالى- سيعطيك فرصة أخرى؟!، لماذا كل هذه البلاءات، ألا تدرك أن الله -سبحانه وتعالى- يكرهك؟!، ألا تدرك أنه يعاقبك بهذه البلاءات!...إلى آخره، والجواب هنا أن الإنسان عليه أن يفصل بين اللوم واليأس والقنوط، بين العمل والجد والاجتهاد وبين الكسل، وعلى الإنسان أن يحسن الظن بالله -سبحانه وتعالى- وأن يوقن بما تعلمه من أسماء الله -سبحانه وتعالى- وصفاته!، لذلك، إذا دخل الشيطان إلى قلبك من الأسئلة التي سبق ذكرها فقل له: "نعم، سيرحمني الله سبحانه وتعالى، فرحمته وسعت كل شيء"، "نعم، أنا لا أستحق هذه الرحمة، لكن الله سبحانه وتعالى سيرحمني لأنه يعاملنا برحمته، وهو أكرم من أن يعاملنا بما نستحق!"، "نعم، فإننا نحسن الظن بالله سبحانه وتعالى، وكلنا طمع بأن يغفر الله سبحانه وتعالى لنا، فإنه العزيز الغفور"، "نعم، بل إنه قد أعطاني، ألا تراني أحدث نفسي الآن وألومها؟!، إذن سأسارع إلى التوبة!"، "بل إن الله -سبحانه وتعالى- يبتلينا ليطهرنا ويربينا، فتتزكى نفوسنا وترتفع منازلنا وتغفر ذنوبنا بإذن الله!"...إلى آخره، الاستعانة بالله -سبحانه وتعالى- والاستعاذة من الشيطان الرجيم وتهذيب النفس بهذه الإجابات سيجعل من هذا الإنسان مدركًا لرحمة ربه -جل في علاه- عاملًا بمقتضاها، إن أذنب لام نفسه ثم ترك الكسل واجتهد وعاد فتاب!، وإن قصر ترك الكسل واجتهد فعاد وبذل!، وإن استشعر ظلمه لنفسه وبعده عن الله -سبحانه وتعالى- ورحمته، تذكر أن الله

-سبحانه وتعالى- غفور عفو رحيم، فنفض عنه غبار اليأس وانطلق إلى رحمة الله -سبحانه وتعالى-، وتذكر قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾، وخلاصة القول، هذّب نفسك وعلمها أسس الإيمان الصحيحة، وعلمها جميل ما عُلمنا من أسماء الله -سبحانه وتعالى- وصفاته!، علمها معنى حسن الظن بالله جل في علاه، وعلمها معنى اليقين بالله!، علها معنى الاجتهاد وترك الكسل، علمها أن جلد الذات مهم، لكن جلد الذات بلا عمل = وسوسة شيطان أو تقاعس وتكاسل مرير!، علمها أن الأمر كله بيد الله -سبحانه وتعالى-، ونحن في هذه الحياة في امتحان، والامتحان ليس مكان قرار ولا مكان ثواب وعقاب بالمعنى الحقيقي!، علمها ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، علمها عظم الله -سبحانه وتعالى-، علمها أن حسن الظن بالله -سبحانه وتعالى- هو ما ينبغي للمسلم!، علمها أن شعور اليأس والقنوط من رحمة الله -سبحانه وتعالى- لا يكون لمؤمن أبدًا!، بل هذا شعور يصادفه من أنكر وجود الله -سبحانه وتعالى-، فماذا ستقول لملحد إذا سمعك تقنط من رحمة الله -سبحانه وتعالى-؟!، ماذا ستقول له إذا سمع قولك الذي يملؤه سوء الظن أو يشير إلى الخوف من المستقبل بالطريقة التي لا تنبغي لكل ذي عقل؟!، ما هو ظنك برب العالمين؟!، إن من أدرك معنى "لا إله إلا الله"، ومن أدرك "عظم جلال الله -سبحانه وتعالى- وأسمائه وصفاته"؛ أدرك أنه أمام عظيم واحد أحد، ليس كمثله شيء، أدرك أنه أمام رحمة وسعت كل شيء!، أدرك أنه أمام ملك الملوك، حكمه عدل، ورحمته وسعت كل شيء، ولطفه ملء السماوات والأرض، وملء القلوب فرادى

وجماعات!، عفوه وغفرانه؛ عظيم، وثوابه جزيل، ستير على عباده في الدنيا والآخرة!، بل اعلم أن جمال هداية الله -سبحانه وتعالى- وعظيم منه وكرمه وعزته وجبروته...ما تعجز عن وصفه الأقلام، وتجف له البحور العظام، فما ظنك بعبد عبد إله كانت هذه عظمته؟!، فاللهم يا منان يا رحمن يا رحيم الدنيا والآخرة، ارزقنا حبك ورضاك ورضوانك، واجعلنا من عبادك الصالحين الأتقياء، المؤمنين بك المتوكلين عليك، الصابرين المحتسبين، المحبين لك ولما قضيت، واجعلنا ممن رُزق حسن الظن بك، وعمل بما تعلم، واجتهد لينال رحمتك، ونسألك برحمتك أن تبني لنا بيت عندك بالجنة، برحمتك يا أرحم الراحمين يا الله، روى أبو هريرة -رضي الله عنه-: "عَنِ النبيِّ ﷺ، فِيما يَحْكِي عن رَبِّهِ عز وجل، قالَ: أَذْنَبَ عبد ذَنْبًا، فَقالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، فَقالَ تَبارَكَ وَتَعالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، ثُمَّ عادَ فأذْنَبَ، فَقالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، فَقالَ تَبارَكَ وَتَعالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، ثُمَّ عادَ فأذْنَبَ فَقالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، فَقالَ تَبارَكَ وَتَعالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، اعْمَلْ ما شِئْتَ فقَدْ غَفَرْتُ لَكَ، قالَ عبد الأعْلَى: لا أَدْرِي أَقالَ في الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ: اعْمَلْ ما شِئْتَ"(١)، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.(٢)

---

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٧٥٨ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح] | ملاحظة: معنى الحديث أن من رحمة الله -سبحانه وتعالى- بعده إن أذنب وتاب، أن يغفر الله -سبحانه وتعالى- مهما أذنب ثم عاد فتاب...الحمد لله رب العالمين!

(٢) يظهر في هذه النقطة تأثري الواضح بما كتبه الدكتور إياد قنيبي -رحمه الله- في كتابه حسن الظن = = بالله، وهو كتاب قيم مليء بالفوائد والمشاعر التي تلامس القلوب، وتبني أسس متينة لأكثر الأسئلة التي تطرح في النفس حول فكرة حسن الظن بالله، فأنصحك بقراءة هذا الكتاب الجميل...

٢٩٣. فلْتعلمْ أننا أُمرنا بأخذ جميع الأسباب الممكنة والتي يُستعان بها للدفاع عن المسلمين وأعراضهم وأموالهم، ولنشر دين الله -سبحانه وتعالى- وإعلاء كلمته، ومن هذه الأسباب الصناعة والزراعة وتعلم الرماية وبناء التقنية واستخدامها واستثمار المعلومات والبيانات وكل ما يقدم فائدة لأمة الإسلام ويسد احتياجاتها ويقويها...، ولْتعلمْ أن المؤمن لا يرمي نفسه وغيره إلى التهلكة! بل يتحسس وينظر في أمر أعدائه قبل أن يقاتلهم، وأُمرنا بأن نبقى حذرين من مكر أعدائنا وغدرهم، وكل هذا من الأسباب التي تُدخل الطمأنينة في القلب!

٢٩٤. فلْتعلمْ أن نصرة المستضعفين من المسلمين ممن ليس لهم حيلة وممن يقع عليهم الظلم واجبة عليك إن قدرت على ذلك، فنحن كما قال الرسول الله ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"(١)

٢٩٥. فلْتعلمْ أن أهل الباطل والكفر وأولياء الشيطان يبذلون نفوسهم وأموالهم ويصبرون على ما بهم من محن ويعاودون الكَرة كلما سنحت لهم فرصة وهم على الباطل! فكيف بأصحاب الحق الذين هم لله مخلصون، ويرجون من الله مالا يرجو أعداءهم؟! بل والله إننا أولى بالصبر والجلد والثبات والإصرار والعزيمة منهم، فالحمد لله!

٢٩٦. فلْتعلمْ أن هناك أناس إن أصابها خير ومنفعة مما تقول -بعد تبين الحق

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، (٤/ ١٩٩٩)، برقم: (٢٥٨٦)، والبخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، (٨/ ١٠) برقم: (٦٠١١)، بلفظ: ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى.

والصدق- لم ينسبوا الخير لما سمعوه منك ولا لما أرشدتهم إليه، وإن أصابتهم سيئة بسبب قولك أو إرشادك -وقد علموا أنك ناصحتهم بالحق وأرشدتهم إليه، لكن حصل غير المتوقع إما لخطأ باجتهادك أو لخطأ بتنفيذهم لما نصحت- نسبوا الشر إليك، هؤلاء احذرهم، ولا تكن منهم، فصاحب الخير ينسب الفضل لصاحبه ولا يذم ناصحه إن رأى منه تحري الدقة والصدق وهو أهل لذلك، فالإنسان بعيد عن الكمال والتمام، والله المستعان.

٢٩٧. فلْتعلمْ أن ما يصيبك من خير في الدين والدنيا هو من فضل -الله سبحانه وتعالى- ومنّه عليك، وأن ما يصيبك من شر في الدين والدنيا فهو من نفسك، ومن ذنوبك التي اقترفتها، لذلك داوم على الاستغفار، واحمد الله -سبحانه وتعالى- على نعمه عليك، فتفوز بنعيم الدنيا والآخرة بإذن الله وفضله! ومن الأمثلة على ذلك أن الله سبحانه وتعالى- نصر المسلمين ببدر وهذا فيه من الخير والفضل الذي رزقه للمسلمين، ولما هزموا في غزوة أُحد كان من سيئاتهم في مخالفتهم لأوامر رسول الله ﷺ، ومن الأمثلة كذلك، حرمان الطاعة بسبب الذنب يصيبه الإنسان! وأقل ذلك حرمانك من لذة الطاعة وثوابها في الوقت الذي تنشغل فيه بالمعصية! فاللهم رحمتك نرجو، ولا حول ولا قوة إلا بك.

٢٩٨. فلْتعلمْ أن كتاب الله -سبحانه وتعالى- ليس فيه تضاد ولا اختلاف ولا كذب، ومعلوم أن الكلام كلما كبر واتسع كلما زادت نسبة الخطأ، فكيف بكتاب شامل فيه أمور الدنيا والآخرة، وفيه أخبار الماضي والمستقبل مما لا يعلمه إلا الله؟ ثم وبعد هذا لا تجد تناقضًا فيه، ولن تجد أي خطأ!...أليس هذا بدليل على أنه كتاب الله المعجز، الهادي لكل البشر؟!، ولْتعلمْ أن التفكر في معاني القرآن الكريم والتأمل في آياته ومعرفة العواقب لكل أمر، خيرها وشرها، والنظر لكل ما يأمرنا به

وينهانا عنه هو من التدبر الذي يقود صاحبه إلى الزيادة في الإيمان والترسيخ له، وفهم أعمق وأجمل لكلام الله -سبحانه وتعالى-، وتسليم لما تراه وتشاهده من أوامر الله -سبحانه وتعالى-، فتعرف من خلاله الطريق إلى الله، وتعرف أعداءك وما يكيدون لك، وما هي صفات الصالحين ومصيرهم، وما هي صفات أولياء الشيطان وعذابهم، وكل هذا يقودك -بإذن الله تعالى- للمثابرة والعمل الصالح القويم المفيد، ويجنبك بإذنه أعمال الشر، فتدبروا القرآن، فوالله إنه لكتاب عظيم من رب عظيم لهدايتنا، ولم أكن أعلم هذا علم اليقين حتى ذقت هذه الحلاوة وعشت بين ثنايا التدبر والتفكر، ووالله إن لها للذة ومتعة ليس لها وصف ولا مثيل، فيا رب بارك لنا في ما وهبتنا وأرشدنا إليه، واجعلنا مداومين على كتابك قراءة وتدبرًا وعملًا، بفضلك ومنِّك علينا يا أكرم الأكرمين!

٢٩٩. فلْتعلمْ أن ليس كل ما يُسمع أو يُرى هو مما يمكن مشاركته وإشاعته بين الناس! بل يجب التأني قبل ذلك والنظر أفي نشره وإشاعته بين الناس مصلحة لهم أم فيه شر لهم؟ ولْتعلمْ أن الأمر إذا عظم وكبر، احتاج لأهل العلم والاختصاص ليقرروا ذلك، فلا عيب -بل يجب- أن ترجع لأهل العلم فيما تود نشره قبل نشره إن لم تكن تعلم أهو خير أم شر، أو لم يكن لديك دراية فيما يحويه.

٣٠٠. فلْتعلمْ أن ما أُمرت به هو ما يتوجب عليك القيام به، ولا فرق بين أن تكون مع الناس أو بمفردك! لهذا لا تلتفت لمن هم حولك وتعلق إيمانك وأفعالك بهم، فإن هذا لن ينفعك بشيء، بل يضرك بامتناعك عن أداء الواجب الذي عليك!

٣٠١. فلْتعلمْ أن الإيمان لا يقع بالإكراه، ولْتعلمْ أن الإيمان النافع هو إيمان الاختيار! وهذا من رحمة الله -سبحانه وتعالى- علينا أيضًا وامتحانه لنا، فلم يجبرنا على الإيمان كالملائكة وهو قادر على ذلك! ولم يقضِ على الشيطان وأوليائه وهو

قادر على ذلك! ولكل منا ما كسب من الأجر وما اكتسب من الإثم والعياذ بالله.

٣٠٢. فلْتعلمْ أن التعاون على الخير من الأمور المحمودة والتي يُثاب صاحبها، وأن التعاون على الإثم والعدوان يأثم صاحبه بمقدار معاونته لهذا الإثم والظلم.

٣٠٣. فلْتعلمْ أن الابتداء بالسلام سنة مرغوبة، فابدأ بالسلام ما استطعت، فإن بدأ أحدهم بالسلام وجب على من سمعه رد السلام بمثل ما قال أو أحسن مما قال، وأما الجماعة؛ فهو فرض كفاية بالنسبة لهم، وفي حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: "لا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حتَّى تُؤْمِنُوا، ولا تُؤْمِنُوا حتَّى تَحابُّوا، أوَلا أدُلُّكُمْ علَى شيءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحابَبْتُمْ؟ أفْشُوا السَّلامَ بيْنَكُمْ."(١)، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أنَّ رجلًا سأل رسولَ الله ﷺ: "أيُّ الإسلام خَيْرٌ؟ قال: تُطْعِمُ الطَّعامَ، وَتَقْرأُ السَّلام على مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ."(٢)، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٣٠٤. فلْتعلمْ أن الصالحين يودون أن يذوق حلاوة الإيمان والصلاح كل من يسبح في الذنوب والمعاصي، ومن لم يذوقوا طعم الإيمان، وأما المفسدون في الأرض؛ فيتمنون أن يصبح الناس كلهم فاسدين سائرين في طرق الضلال، وذلك لأسباب كثيرة، منها الحسد والغيرة من أهل الإيمان والإصلاح، ومنها ما هو لمصالح دنيوية، فمن يرى نفسه لا شيء ودون التكريم الذي وضعه فيه الله -سبحانه

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٥٤ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح].

(٢) الراوي: عبد الله بن عمرو | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ١٢ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح].

وتعالى-، ولا يعرف معنى العزة ومعنى العبودية لله، فسيقع بكل تأكيد ذليلًا بين أيدي الظالمين، يرى ما يرون، ويسمع ما يسمعون! لذلك اسعَ دومًا أن تكون من الصالحين، فإن لم تكن منهم فاسعَ أن تقف معهم وتساعدهم أمام طواغيت الكفر والإفساد، ولتكن محبًا لأهل الصلاح، ومما قيل في هذا قول الإمام الشافعي رحمه الله:

أُحِبُّ الصالِحينَ وَلَستُ مِنهُم ... لَعَلّي أَن أَنالَ بِهِم شَفاعَه
وَأَكرَهُ مَن تِجارَتُهُ المَعاصي ... وَلَو كُنّا سَواءً في البِضاعَه

٣٠٥. فلْتعلمْ أن المؤمن يستحيل أن يقتل أخاه المؤمن إلا خطأً، لشناعة الأمر وعظمه، فهو من كبائر الذنوب! وجزاء وعقاب من يفعل ذلك العذاب في جهنم خالدًا فيها، وغضب الله عليه ولعنه فيطرده من رحمته -والعياذ بالله-، وأعد الله له عذابًا عظيمًا

٣٠٦. فلْتعلمْ أن المفاضلة بين الأشخاص والطوائف والأعمال، تكون من وجه معين، وهذا لا ينفي اشتراكهما في أصل الصفة، فمثلًا "النصارى خير من المجوس، وكل منهم كافر" وأيضًا "القتل أشنع من الزنا، وكل منهما من الكبائر" وأيضًا "المجاهدون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أعظم درجة من المؤمنين الذين رضوا بالقعود ولم يُحدِّثوا أنفسهم بذلك، وكل منهم من أهل الخير ووعدهم الله الحسنى"، وهذا مما يزيل اللبس في القول ويثبت حقيقته.

٣٠٧. يا أخي، إياك أن تبقى في أرض لا يمكنك إظهار دينك وممارسة شعائرك فيها، ولْتعلمْ أن أرض الله واسعة، فهاجر إلى حيث يمكنك إظهار دينك وممارسة شعائرك، فإن لم تستطع ذلك لضعفٍ في الحيلة أو القوة، أو لنقصٍ في

الأموال أو لأي سبب مانع فوق ما يطيقه الإنسان؛ فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، ولْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- وعد المهاجر الصادق من مصالح الدين ما يرغب، ومن مصالح الدنيا ما يقوي به نفسه وبدنه، ومن أدركه الموت فقد وقع أجره على الله، وهذا كله من فضل الله -سبحانه وتعالى- على عباده، فالحمد لله.

٣٠٨. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- فرض علينا الصلاة، والصلاة من النعم التي أنعمها الله - سبحانه وتعالى- علينا، ففيها من الروحانيات ما فيها، وفيها من مداومة الاتصال مع الله ومناجاته ما فيها، وفيها من ترك ملذات الدنيا وملاهيها طوعًا ورغبة لله ما فيها، فسبحان من جعلها علينا فرضًا وكتابًا موقوتًا! فلا تضعها وتشبث بها، وإياك أن تظن أن الصلاة والاعتزاز بها والعمل عليها لإتقانها والحث عليها هي من سبل الدراويش! ففي حفظها حفظ الدين، يقول إبراهيم السكران -رحمه الله-: "بل هل تدري ما هو أطم وأبشع من ذلك كله؟ أن كثيرًا من أهل الأهواء الفكرية يرون أن الحديث عن الصلاة هو شأن الوعاظ والدراويش والبسطاء، أما المرتبة الرفيعة عندهم فهي ما يسمونه «السجال الفكري، والحراك الفكري»، وحقيقة الأمر أن كثيرًا منها ترهات آراء يتداولونها في مقاهي الفراغ أو صوالين الإنشاء...، يسمون الشبهات، وتحريف النصوص الشرعية، والتطاول على أئمة أهل السنة: (حراكًا فكريًا)، يا ضيعة الأعمار! الصلاة التي عظمها الله في كتابه وذكرها في بضعة وتسعين موضعًا؛ تصبح شيئًا هامشيًا ثانويًا في كثير من الخطابات النهضوية والتنموية والإصلاحية. ألا لا أنجح الله نهضة وإصلاحًا تجعل الصلاة في ذيل الأولويات"[١]، وقد روي عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: "أنه كتب إلى عماله: إن أهم

---

(١) كتاب رقائق القرآن | إبراهيم السكران | الساعة الخامسة والسابعة صباحا | الصفحة ٧٦ | الطبعة الأولى | دار الحضارة | الرياض

أمركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع"! والحمد لله.

٣٠٩. فلْتعلمْ أن من رحمة الله -سبحانه وتعالى- أن منّ علينا بالرُخص، وهذا فيه من التخفيف عنا ما فيه، وقد قال رسول الله ﷺ: " إنَّ الله يحبُّ أنْ تؤتَى رُخصُهُ كما يحبُّ أنْ تُجتنبَ عزائمُهُ أو تؤتَى عزائمُهُ "[1]، وهذه الرخص مثل: القصر والفطر للمسافر، والمسح على الخفين والجبائر وما إلى ذلك. وهذا يقودنا إلى نقطة مهمة، وهي مما اشتهر بين الناس من الخطأ حول مفهوم الرخصة، فتجدهم لا يتتبعون رخص الله -سبحانه وتعالى- بل يتتبعون وجود فتوى هنا أو هناك ليأخذوا بها ثم يقولون هناك فتوى، أي أصبح دليلهم وجود فتوى لأحد العلماء لا الرخصة التي شرعها الله -سبحانه وتعالى-، وهذه نقطة مهمة؛ فالفرق كبير بين من يبحث عن رخص الله وبين من يبحث عن زلات العلماء لتصبح "رخصته"، أي أنه بدلًا من أن يتتبع "الدليل"، تتبع "الزلة أو وجود فتوى"!، وبطريقة أخرى أو بمعنى آخر، هو بحث الإنسان عن الأهون أو الأحب لنفسه ولو على حساب الدليل والراجح!، مع أنه مأمور باتباع الدليل، قال سليمان التيمي رحمه الله: "لو أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله"

٣١٠. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- لم يترك لنا أمرًا فيه مصلحتنا إلا ودلنا عليه، وما ترك أمرًا فيه مضرة لنا إلا وحذرنا منه، ولْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- أرشدنا كيف نحيا في هذه الدنيا بالطريقة الصحيحة، ومن الأمثلة على ذلك صلاة

---

(١) المحدث: ابن عبد البر | المصدر: التمهيد الصفحة أو الرقم: ٢٤/ ٦٧ | خلاصة حكم المحدث: ثابت، وفي نص آخر، "إنَّ اللهَ يُحبُّ أن تُؤتَى رُخَصُه، كما يُحبُّ أن تُؤتَى عزائمُه" الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترغيب الصفحة أو الرقم: ١٠٦٠ | خلاصة حكم المحدث: صحيح.

الخوف، فراعى كيف نُصلي حتى عند الخوف، ولقد علمنا كيفية الطهارة وآداب التعامل، وآداب الخلاء، وآداب الجماع...إلى آخره مما لا يعد ولا يحصى، فالحمد لله على نعمة الإسلام.

٣١١. فلْتعلمْ أن ذِكْر الله -سبحانه وتعالى- في جميع الأحوال والأوقات فيه من الخير ما فيه، وأعظم ما يكون للقلب من الذكر هو تقوية القلب! فإن قوي القلب قوي البدن معه وسانده، ولْتعلمْ أن هذا الأمر أعظم وأوجب عند الخوف! ولْتعلمْ أن من يتحرك لسانه وقلبه بذكر الله في جميع الأحوال والأوقات، أثناء عمله وراحته، يُغبط على ذلك! ومما يتمناه المرء ويدخل السرور على القلب أن يجد لسانه ذاكرًا لله -سبحانه وتعالى- حتى وهو سارح، فوالله إن فيها فرحة لما يدل عليه حال الفؤاد واللسان وما يسمعه الإنسان....

٣١٢. إياك يا أخي أن تقف مع الظالمين والمفسدين في الأرض، وإياك أن تدافع عنهم فيما يقومون به مِن ظُلم وإفساد، بل عليك أن تمنع الظالمين عن ظلمهم، وأن تنصر المظلوم، وأن تُظهر للناس فساد المفسدين لا أن تدافع عنهم!

٣١٣. فلْتعلمْ أن حُكم الله نافذ على الجميع، ولا يجوز لأحد الاعتراض عليه، ولْتعلمْ أن العقوبة الدنيوية إن ثبتت ووقعت على أحد فيجب تنفيذها ولا يوجد مجال للجدال حول هذا الأمر، ويدل على ذلك ما روته أم المؤمنين عائشة رضي عنها: "أنَّ قُرَيْشًا أهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرْأَةِ المَخْزُومِيَّةِ الَّتي سَرَقَتْ، فَقالوا: ومَن يُكَلِّمُ فِيهَا رَسولَ الله ﷺ؟ فَقالوا: ومَن يَجْتَرِئُ عليه إلَّا أُسَامَةُ بن زَيْدٍ، حِبُّ رَسولِ الله ﷺ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقالَ رَسولُ الله ﷺ: أتَشْفَعُ في حَدٍّ مِن حُدُودِ الله، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قالَ: إنَّما أهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أنَّهُمْ كَانُوا إذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وإذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أقَامُوا عليه الحَدَّ، وايْمُ الله لو أنَّ فَاطِمَةَ بنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ

يَدَهَا."[١]

٣١٤. فلْتعلمْ أن اتهام شخص بريء بتهمة قُمتَ أنت بها من كبائر الذنوب، فإياك من فعلها! ولْتعلمْ أن عقابًا في الدنيا مع التوبة إلى الله فيه نجاة في الآخرة ومغفرة للذنب -بإذن الله تعالى-، هو خير من نجاة في الدنيا -إن تحققت- وعذاب في الآخرة!

٣١٥. تذكر دائمًا أن ما بك من هداية وتوفيق هي من فضل الله -سبحانه وتعالى- عليك، ولْتعلمْ أن ما لديك من علم ومعرفة هو مما تفضّل الله تعالى به عليك، فلا تغتر بما لديك من علم وتوفيق، فإنها ما صارت إليك إلا بفضل الله -سبحانه وتعالى- عليك، فأدِ حقها! وحقها أن تتيقن الصواب فيما لديك من علم، وألا تظلم بعلمك غيرك عن جهل يقتضيه نقص العلم لديك أو بعملٍ يُخالف العلم الذي علمت!

٣١٦. فلْتعلمْ أن الكلام بين الناس يُقسم لثلاث فئات، الأول: أن يكون الكلام مفيدًا وفيه خير وصلاح، والثاني: كلام مباح لا خير فيه ولا منفعة، ولا ضرر فيه ولا إثم، والثالث: أن يكون الكلام كلامًا محرمًا فيه إثم ومفسدة، لذلك احرص دومًا أن تكون ممن يقول أحسن القول، فيكون القول فيه حث على الخير والإنفاق في المال والعلم، والإصلاح بين المتخاصمين ونحو ذلك من الكلام الطيب، واحذر من كل كلام مفسد للقلب ومفسد للناس، واحذر من كل قول يحث على المنكر ونشر البغضاء مثل الغيبة والنميمة، والله المستعان.

٣١٧. فلْتعلمْ أن الأوثان التي كان يعبدها المشركون ما زالت موجودة حتى

---

(١) الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٣٤٧٥ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح].

وقتنا الحاضر! لكن اختلفت الطرق والأساليب وتعددت! فتجد كثيرًا من شباب اليوم مدمنين على الألعاب والأفلام والمسلسلات الهابطة وأفلام الزنا عاكفين عليها - والعياذ بالله-، لا يتركون هواتفهم المحمولة أو أجهزة الحاسوب إلا لغرض من أغراض الدنيا، ومنهم من وثنه المال وجمعه، ومنهم من وثنه الجاه وسلطته...إلى آخره، لذلك احذر من أن تكون من أصحاب الأوثان، فتُلهيك عما خُلقت لأجله، وتلهيك عما ينفعك من التعلم والعمل الصالح النافع، وما إلى ذلك من الأعمال المفيدة للإنسان...، لذلك نظمْ وقتك واصرفه فيما ينفعك، واجعل من عملك وراحتك وقعودك وحركتك بابًا لتطور به من نفسك على صعيد الروح والبدن، فتكسب الدنيا والآخرة -بإذن الله-.

٣١٨. إياك والغرور، فإنه يقود صاحبه إلى الزلل، فتجد أن غرور الرياضي يزيد فرص تعرضه للهزيمة، وغرور العالم يزيد فرص جهل ما عند غيره، وغرور التاجر يزيد من فرص خسارة المال، وأخطر الغرور هو ذلك الذي يسير صاحبه به على خُطا الشيطان، ثم يظن أنه سينال ما يناله المهتدون! وفي هذا المعنى قال الله -تعالى- في سورة الكهف: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾.

٣١٩. فلْتعلمْ أن نعيم الله -سبحانه وتعالى- يستحق أن نبذل له النفيس، وكفى بالمرء أنه يحيا بنعيم الله سبحانه وتعالى، مطمئنًا بوجود ربه، راضيًا بحكمه، فكيف حالك إذا علمت أن وعد الله حق، وأن الله وعد عباده المتقين بجنات النعيم، والتي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فالأنهار تجري من تحتها، والقصور المزخرفة من فوقها، والمناظر الطيبة الجميلة، والمشارب

والأطعمة اللذيذة، والجواهر الكريمة، والأزواج الحسان! فسبحان الله العظيم، الذي جعل النفوس تتوق للقائه، والفوز برضاه، والعيش بجنانه!

٣٢٠. فلْتعلمْ أن الأماني وحدها لن تجعل منك عالمًا، أو تاجرًا، أو صاحب حرفة ومهارة، أو رجلًا صالحًا! بل ستجعلك تعيش أحلامًا وردية حتى تستيقظ، فتجد نفسك متأخرًا متراجعًا إلى الوراء، فالوقت يمضي، ونحن نمضي، فإن لم تُتابع تقدمك فإنك بالتأكيد ستراجع! لذلك الأماني يجب أن يرافقها العمل، وكل ذلك وقلبك وعقلك متكلٌ على الله -سبحانه وتعالى-.

٣٢١. فلْتعلمْ أن القيام بحقوق النساء وحفظهن وترك ظلمهن عمومًا وخصوصًا هو مما أمرنا الله -سبحانه وتعالى- به من فوق سبع سماوات.

٣٢٢. فلْتعلمْ أن التسامح بين الزوجين خصوصًا، وبين المسلمين عمومًا من الأمور الحسنة والعظيمة التي يقوم بها المسلمون، فتجد أن أحدهم يتنازل عند أحد حقوقه للآخر إحسانًا منه، فيزيد ذلك من المحبة والقرب، ويجعل الحياة أفضل من الخصام والتعنت الذي يكون شرًا لكليهما! على ألا يكون هذا التسامح في حرام، فيصبح حينها جورًا!

٣٢٣. فلْتعلمْ أن العزة لله، فهو القادر على كل شيء، القوي الغالب، لذلك إذا أردت العزة فعليك اتباع ما أمرنا الله -سبحانه وتعالى- به واجتناب نواهيه، ومن هنا نستأنس بقول الفاروق -رضي الله عنه-: "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ومهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله".

٣٢٤. فلْتعلمْ أن المؤمن يُعظّم كلام الله -سبحانه وتعالى-، فلا يرضى أن يجلس في مجلس يُستهان فيه بآيات الله، ولْتعلمْ أن المؤمن لا يقبل الجلوس في مجالس الفسوق والمعاصي والتي تُقتحم فيها حدود الله -سبحانه وتعالى-، فإن

استطعت منعهم ونصحهم بترك المعاصي والفسوق فلا تتردد في ذلك، بل هو خير عظيم -بإذن الله-.

٣٢٥. فلْتعلمْ أن المؤمن قلبه مخلصٌ لله، خالٍ من النفاق، والنفاق هو مخالفة الباطن للظاهر، وقد يكون هذا النفاق بالاعتقاد فيُظهر الإنسان الإيمان ويبطن الكفر، وقد يكون بالعمل! ومن هنا نستأنس بهذا الحديث:- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال "آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذَا وعَدَ أخْلَفَ، وإذَا اؤْتُمِنَ خَانَ"(١)، لهذا إن وجدت في نفسك خصلة من خصال النفاق -والعياذ بالله-، فطهرها بإخلاص أعمالك لله -سبحانه وتعالى- والنية الصادقة بين الظاهر والباطن، ولْتعلمْ أن التائب من النفاق مع المؤمنين بفضل الله -سبحانه وتعالى-.

٣٢٦. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- غني عنا، فهو لا يتشفى بعذابنا ولا ينتفع بعقابنا، لذلك فإن العاصي لن يضر إلا نفسه، والمصلح ينفع نفسه.

٣٢٧. فلْتعلمْ أن الإنسان ما ترك شيئًا لله إلا عوضه الله -سبحانه وتعالى- أفضل مما ترك، وهذا العوض قد يكون من جنس المتروك، وقد يكون من غير جنسه، ولْتعلمْ أن أعظم ما يعوض به الإنسان هو الأنس بالله -سبحانه وتعالى- ومحبته، وطمأنينة القلب والنشاط في طاعته، ورفعة الدرجات في جنات النعيم والتكفير عن الذنوب، وهذا لا ينفرد بل قد يجتمع كله بفضل الله -سبحانه وتعالى- فيكون العوض ظاهرًا مثل البركة وزيادة المال، أو العلم أو الصحة أو القوة إلى

---

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٣٣ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح].

آخره، فالحمد لله على كرمه.

٣٢٨. يا أخي، أدبّ لسانك!، فلا يخرج منه قبيح القول، سيئه ومنكره، كمن يشتم الناس، ويقذفهم بالسوء ونحو ذلك.

٣٢٩. فلْتعلمْ أن العفو عند المقدرة من صفات الصالحين، فمن عفا لله عفا الله عنه، ومن أحسن، أحسن الله إليه، فالحمد لله.

٣٣٠. فلْتعلمْ أن سيدنا عيسى -عليه السلام- عبد الله ورسوله، لم يُصلب ولم يُقتل، بل رفعه الله -سبحانه وتعالى- إليه.

٣٣١. فلْتعلمْ أن حبيبنا المصطفى ﷺ هو آخر الرسل، ولقد أوحي إليه من شرع الله العظيم ومن الأخبار الصادقة ما أوحي للأنبياء -عليهم السلام- من قبله، فكان مُصدقًا لما قبله، منسجمًا مع دعوتهم، وكل هذا لأن دعوة الأنبياء لها أصل واحد.

٣٣٢. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- اصطفى الأنبياء بمعجزات عظيمة متنوعة، لكل منها عبرة وطريقة تُبهر العقول، تجعلها عاجزة أمام كمال الله -سبحانه وتعالى- وتتجلى فيها قدرة الله، ولْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- منّ على عباده بإرسال الرسل لإخراج الناس من عبادة الشيطان إلى عبادة الله الواحد الأحد، فالحمد لله.

٣٣٣. فلْتعلمْ أن الأسئلة الوجودية الكبرى لن تجد الإجابة عنها إلا من خلال الدين الذي ارتضاه الله -سبحانه وتعالى- لعباده، فإن كنت ترغب بمعرفة إجابات تلك الأسئلة، فانظر في دين الله -سبحانه وتعالى- بقلب صادق وستجد النتيجة! ولْتعلمْ أن هذه الأسئلة لا يمكن الإجابة عنها بالعلم المادي، فهي من

الغيبيات التي لا يمكن الاطلاع عليها إلا بهداية الله -سبحانه وتعالى- وإرشاده لإجابتها، وهذا ما ستجده صريحًا في ديننا الحنيف، والحمد لله.

٣٣٤. فلْتعلمْ أن الغلو -تجاوز الحد- هو الوجه الآخر للإفراط، فلا تغلُ في أمور الدنيا فيعاقبك البدن، ومن ذلك الإفراط في الطعام أو النوم! ولا تغلُ في أمور الدين فتخرج عن الطريق المستقيم، ومن ذلك غلو النصارى فقالوا عن نبي الله عيسى -عليه السلام- بأنه إله -والعياذ بالله-! ونستأنس هنا بحديث رسول الله ﷺ في صحيح البخاري "لَا تُطْرُونِي، كما أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فإنَّما أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولوا عبد الله، وَرَسُولُهُ."[(١)] ومن ذلك أيضًا ما رواه أنس بن مالك -رضي الله عنه- في صحيح البخاري يقول "جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إلى بُيُوتِ أزْوَاجِ النبيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عن عِبَادَةِ النبيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقالوا: وأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النبيِّ ﷺ؟ قدْ غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ، قالَ أحَدُهُمْ: أمَّا أنَا فإنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أبَدًا، وقالَ آخَرُ: أنَا أصُومُ الدَّهْرَ ولَا أُفْطِرُ، وقالَ آخَرُ: أنَا أعْتَزِلُ النِّسَاءَ فلا أتَزَوَّجُ أبَدًا، فَجَاءَ رَسولُ الله ﷺ إليهِم، فَقالَ: أنْتُمُ الَّذِينَ قُلتُمْ كَذَا وكَذَا، أما والله إنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وأَتْقَاكُمْ له، لَكِنِّي أصُومُ وأُفْطِرُ، وأُصَلِّي وأَرْقُدُ، وأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فمَن رَغِبَ عن سُنَّتي فليسَ مِنِّي.[(٢)]".

٣٣٥. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- أمرنا بالوفاء بالعقود، والوفاء يكون

---

(١) الراوي: عمر بن الخطاب | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٣٤٤٥ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) الراوي: أنس بن مالك | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: ٥٠٦٣ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح].

من خلال إكمالها وإتمامها على النحو المطلوب دون نقضها أو نقصها!

٣٣٦. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- أحل لنا ولأجْلِنا الأنعام كالإبل والبقر والغنم، وحرم علينا الدم والميتة ولحم الخنزير، وما ذُبح وذُكر عليه اسم لغير الله -سبحانه وتعالى-كالأصنام والكواكب والأولياء، كما حرم علينا أكل المنخنقة -ماتت خنقًا-، وَالْمَوْقُوذَةُ وهي التي ماتت بضرب بالعصا أو الحجر أو الخشبة أو هدم عليها شيء إلى آخره، وحرم علينا أكل المتردية وهي التي ماتت بسبب السقوط من مكان مرتفع كجبل أو جدار أو سطح، وحرمت علينا النطيحة وهي من ماتت بسبب النطح من غيرها أو من نفسها، فهي منطوحة أو كما قال البعض ناطحة، وحرم علينا ما أكل السبع، ويشمل ذلك كل مفترس ذي ناب وأظفار مثل الأسود والنمور والضباع، وأما الجوراح المدربة ككلاب الصيد؛ ففيها تفصيل، يرجع له من يشاء في كتب الفقه، ولْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- من رحمته استثنى ما ذكينا -أي إن وصلت البهيمة وذُبحت وفيها حياة- فإنها تصبح حلالًا -بإذن الله- والحمد لله.

٣٣٧. فلْتعلمْ يا أخي أننا نتوكل على الله -سبحانه وتعالى- في كل أمورنا، ولهذا فإن اتخاذ القرار لأي أمر من أمور هذه الحياة يكون بالاتكال على الله -سبحانه وتعالى- والاستعانة به، والأخذ بالأسباب اللازمة للوصول لأفضل نتيجة، أما الاعتماد على لعبة الحظ؛ فهذا هو عين الجهل أو الجبن عند اتخاذ القرار! وذلك مثل من يرغب في التجارة فينظر في أحوال النجوم أو يلقي بأوراق فيها الذهاب من عدمه، وغير ذلك من الأمور التي تغيب العقل! ومما يُستأنس به هنا ما روي عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: "إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم، ومن يتحرَ

الخير يعطه، ومن يتوق الشر يوقه"[١]

٣٣٨. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- من رحمته بنا، أباح لمن الجأته الضرورة أن يأكل ما هو محرم، وعليه إن فعل ذلك ألا يتعدى فوق كفايته! ومن هنا يمكننا فهم القاعدة الفقهية "الضرورات تُبيح المحظورات"، والقاعدة الفقهية" الضرورات تُقدر بقدرها"، ويمكن الرجوع إلى الكتب الفقهية للاستزادة حول هذه القواعد وأحكامها وتأصيلاتها، فسبحان من علم الإنسان وهداه!

٣٣٩. فلْتعلمْ أن من حكمة الله -سبحانه وتعالى- أن أطلق لفظ الطيبات لعباده، فشمل ذلك كل ما تشتهيه الأنفس مما فيه لذة ومنفعة من غير ضرر بالبدن والعقل، فيدخل في ذلك الخضروات والفواكه والحبوب والأسماك وبهيمة الأنعام وغيرها من نعم الله -سبحانه وتعالى-، فذكر ذلك على وسع الأمر! وبيّن لنا ما هو محرم علينا، فسبحان من أطلق الطيبات لعباده وحدد الخبائث!

٣٤٠. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- كما أرانا طريق الهداية وطهر قلوبنا بالإيمان، جعل طهارة الجسد شطر الإيمان، فالإسلام دين الطهارة الكاملة، فطهر رب العزة قلوبنا من الكفر، وطهر ألسنتنا من الفحش والكذب، وطهرنا من الأخلاق الرذيلة، وأمرنا بطهارة أجسادنا من كل نجس، ودلنا على كيفية ذلك، فالحمد لله!

٣٤١. فلْتعلمْ أن نعم الله -سبحانه وتعالى- كثيرة وعظيمة، ومنها نعمة النصر، فالنصر الذي أنعم الله -جل في علاه- به على عباده يشمل الفوز في المعارك ويشمل كف أيدي الأعداء بكامل أطيافهم عن المسلمين، فإذا لم يحققوا غايتهم

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: الألباني | المصدر: السلسلة الصحيحة الصفحة أو الرقم: ٣٤٢ | خلاصة حكم المحدث: إسناده حسن أو قريب منه.

بالمؤمنين، فهذا يكون من النصر أيضًا، والحمد لله!

٣٤٢. فلْتعلمْ أن واحدة من أعظم العقوبات التي قد تقع للإنسان هي قسوة القلب، وقسوة القلب معناها كل قلب غليظ لا تجدي فيه المواعظ، ولا تنفعه الآيات والنذر، فلا يُرغبهم تشويق، ولا يزعجهم تخويف، فاحذر أن تكون منهم!

٣٤٣. يا أخي، من اللطائف الجميلة والمعاني العظيمة في لغتنا هو معنى الإحسان! والإحسان -في أحد معانيه- أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك. وفي حق المخلوقين: بذل النفع الديني والدنيوي لهم، لذلك كن محسنًا دومًا!

٣٤٤. فلْتعلمْ يا أخي، أن أكثر الناس جبنًا هم الذين ضعُف أو قل **يقينهم بالله**، لأن من قوي يقينه بالله، ازدادت شجاعته، وذهب عنه الروع. ولْتعلمْ أن الجبن يتحقق بضعف اليقين بالله أو بضعف اليقين بما لدى الإنسان من قدرات، وجهله بمواطن قوته، وكمال الشجاعة مردها إلى قوة اليقين بالله ثم بتقدير النفس ومعرفة مواطن قوتها.

٣٤٥. فلْتعلمْ أن كلمة الحق، ودعوة الحق في مواقف الضعف والبلاء هي من علامات الشجاعة والإخلاص، وهي من النعم التي ينعم الله -سبحانه وتعالى- بها على عباده، وفيها من حث النفوس وحفظها وتذكيرها بالحق ما فيها من الخير، ومن القصص الطيبة على مثل هذه المواقف موقف الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- أمام المأمون وفتنة -خلق القرآن-، وموقف العز بن عبدالسلام مع الصالح أيوب وقصة بيع الأمراء، وتشجيع المسلمين على قتال التتار وفتواه بأخذ المال من السلطان والأمراء قبل الرعية وغيرها الكثير من الأمثلة العظيمة التي لا تنتهي...

٣٤٦. فلْتعلمْ أن قوم نبي الله موسى -عليه السلام- قالوا أشنع الكلام، فقالوا ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾، بعد كل النعم، وبعد ما وعدهم وبشرهم ربهم بالنصر!، لكننا الحمد لله، نحن المسلمين قلنا مقالة عظيمة، استبشر بها رسول الله ﷺ وسُرّ، هذه المقالة كما ذُكرت في كتاب السيرة لابن هشام: "فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال أجل، قال: فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا، على السمع والطاعة، فامضِ يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء. لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله. فسر رسول الله ﷺ بقول سعد، ونشطه ذلك. ثم قال: سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم"(١)، فيا الله ما أجملها من عبارة! ويا لحظ قائليها ومنفذيها! ونحن نقول الآن، وبعد أكثر من ١٤٠٠ عام، **يا رسول الله، نحن على دين الله -سبحانه وتعالى- سائرون، وبما أوحى الله -سبحانه وتعالى- لنا ممتثلون، وبسنتك آخذون، لا نهاب قوة عدونا ولا نخافهم، وإننا بإذن الله صادقين، نطمع بأن يرانا رب العزة صابرين مرابطين على ثغور الإسلام**، وأن يوفقنا لذلك -بما فينا من ضعف- بفضله ومنه علينا لا من أنفسنا، وأن يجعلنا من الناشرين لدينه، الحافظين له، المقيمين له، ونسأله -سبحانه وتعالى- أن يثبت قلوبنا كما ثبت قلوب الأنصار من قبل، وأن يلحقنا بهم فيستبشر بنا رسول الله ﷺ ويسر عند لقائنا به -إن من الله

---

(١) كتاب السيرة النبوية | ابن هشام | الطبعة الثالثة | الجزء الثاني | الصفحة ٢٥٨ | استشارة الأنصار | دار الكتاب العربي | بيروت

سبحانه وتعالى علينا بذلك-. كما سر بالأنصار، وعلى الله فليتوكل المؤمنون.

٣٤٧. إياك يا أخي من أن تحمل إثمك وإثم غيرك! وهذا يكون بالعمل السيء الذي يمتد، ويمتد أثره، فيصبح سنة سيئة بين الناس، واحرص يا أخي أن يكون لديك سُنة حسنة بين الناس، فيصير لك من الأجر مثلهم -بإذن الله تعالى-، وفي هذا قال رسول الله ﷺ: "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ. وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ"(١)، وقال رسول الله ﷺ: "لا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا، إلَّا كانَ علَى ابْنِ آدَمَ الأوَّلِ كِفْلٌ مِن دَمِها، لأنَّهُ أوَّلُ مَن سَنَّ القَتْلَ"(٢)، فاحذر أخي الحبيب من هذا النوع من السيئات، فإن الإنسان لا يطيق ما لديه من سيئاتٍ وذنوبٍ، فما بالك بذنوب وسيئات غيره -والعياذ بالله-؟، وعليك إن وقعت بذلك التوبة إلى الله -سبحانه وتعالى-، والندم على ما فعلت، وعليك بإصلاح الأمر إن كنت قادرًا على ذلك.

٣٤٨. فلْتعلمْ أن عاقبة المعاصي هي الندم والخسارة والملامة، فاتقِ الله.

٣٤٩. فلْتعلمْ أن حق الحياة من الحقوق العظيمة المرتبطة بأي نفس بشرية، فلا يجوز انتهاك هذا الحق والقضاء عليه إلا بوجه حق كما نص عليه الشارع.

٣٥٠. فلْتعلمْ أن إخافة الناس والتعرض لهم وقطع الطريق عليهم ونهب أموالهم وقتلهم من كبائر الذنوب التي تستوجب عقوبة شديدة لمرتكبيها، وهذا

---

(١) الراوي: جرير بن عبد الله | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ١٠١٧ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح].

(٢) الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٣٣٣٥ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح].

الفعل فيه محاربة لله ولرسوله -والعياذ بالله-، لذلك استوجب عقابًا وعذابًا شديدًا في الدنيا والآخرة، فاحذر أن تكون من هذه الفئة من الناس.

٣٥١. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- أمرنا بتقواه، وأمرنا أن نبتغي القرب منه! وذلك يكون بامتثال ما أمر به رب العزة - جل في علاه-، ففي القلوب يكون من خلال الحب له وفيه، والخوف والرجاء، والإنابة والتوكل- وغيرها، وفي العبادات يكون من خلال الصلاة والزكاة وغيرها من العبادات، فاللهم اجعلنا ممن أحببت وقربت.

٣٥٢. فلْتعلمْ أن السرقة من كبائر الذنوب التي استوجبت عقوبة شديدة، وهي قطع يد السارق -إن انطبقت الشروط الخاصة بالقطع-، فالحمد لله الذي وضع عقوبات شديدة على الأفعال التي تهدد بنية المجتمع لتردع كل من يريد أن يحذو حذوهم أو يسير على خطاهم.

٣٥٣. فلْتعلمْ أن العَالِم الحق هو من أظهر الحق على الباطل، فلم يرضَ بكتمه لمصلحة دنيوية، وهو الذي يجتهد في العلم والتعليم، ويعلم أن هذا كله من فضل الله -سبحانه وتعالى- عليه، وبما استحفظه عنده، فلا يخشى الناس ولا يخافهم، ولهذا فهو لا يخاف من قول الحق، والعالم يجب أن يكون صادقًا أمينًا، فلا يكذب، ولا يخون، ولا يرتشي، فاللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم.

٣٥٤. فلْتعلمْ أن القصاص هو أحد الأحكام العظيمة في ديننا الحنيف، فقد نصر الله -سبحانه وتعالى- من ظُلم واعتدي عليه على المعتدي، وكان هذا النصر بأن أباح القصاص، قال تعالى في سورة المائدة: ﴿ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ والقصاص يقوم

به القاضي أو الوالي أو من ينوب منابهما، وللفقهاء تفصيل جميل وعظيم لأحكام القصاص، يمكنك النظر إليه إن أحببت..

٣٥٥. فلْتعلمْ أن القرآن العظيم هو أفضل الكتب وأجلها، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، نزل بالحق ومشتملًا عليه، حوى ما احتوته الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل، وصدّقها، وزاد عليها من الحكم والأحكام ما يختص بأمتنا، فكل ما صدقه القرآن من الكتب الموجودة حاليًا فهو صدق، وكل ما رده القرآن الكريم فهو مردود لكونه نص أصابه التبديل والتحريف!، ولْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- شرع من الشرائع ما تقتضيه حكمته لكل أمة، وبما يتناسب معها، فسبحان الذي جعل من علامات الحق أن تكون كتبه وما أنزله من الحق صادرة من أصل واحد! فالحمد لله.

٣٥٦. فلْتعلمْ أن أعداء المسلمين وإن تفرقوا فيما بينهم، فإنهم يرون الإسلام عدوهم، يجتمعون ويساندون بعضهم البعض ضده! لذلك، كن أنت وإخوتك يدًا واحدة أمام طغيانهم، وانصر أخاك عند حاجته، ولا توالِ أعداء الإسلام على أخيك مهما حصل!

٣٥٧. فلْتعلمْ أن المؤمن يعامل أخاه المؤمن / المسلم باللين والرفق والمحبة، يقدم النصح له، ويلين جانبه إليه، ويكون متواضعًا معه، ولْتعلمْ أن المؤمن عزيز -قوي شديد غليظ، فهو ليس خوارًا جبانًا ضعيفًا أمام أعدائه- أمام أعداء الدين الذين ظهرت عداوتهم وكفرهم، وهذا لا ينفي الدعوة لله بالحكمة والموعظة الحسنة والكلام الطيب في وقته ومكانه، فيجتمع لدى المؤمن القوة والرحمة، والشدة والغلظة واللين...فالحمد لله الذي أعزنا بالإسلام.

٣٥٨. فلْتعلمْ أن صاحب الحق لا يهمه ولا يرده لوم الآخرين، ولا يهتم

لرضاهم أو سخطهم، بل كل همه أن يبقى صابرًا على الحق متوكلًا على الله!

٣٥٩. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- قد بسط فضله وإحسانه على جميع خلقه، في أمور الدين والدنيا، خيره كثير، ورزقه عظيم، ورحمته وسعت كل شيء، شمل رزقه الغني والفقير، والمؤمن والكافر، وجعل بابه مفتوحًا للتوبة، وأخبر عباده باللجوء إليه في أي وقت، وإن كثرت معاصيهم وآثامهم! ولا يوجد مانع يمنع فضل الله -سبحانه وتعالى- لمن أراد له أن يكون، فسبحان أكرم الأكرمين، خير الرازقين، ملك الملوك وأغناهم! سبحانه ما أعظمه وما أعظم شأنه! وبعد كل هذا، إن ضاقت عليك الدنيا بما رحبت، فهل علمت أين الطريق؟!

٣٦٠. فلْتعلمْ أن من كرم الله -سبحانه وتعالى- إخباره بأن كل من آمن من أهل الكتاب بالله وملائكته وكتبه ورسله، كانت لهم مغفرة من الله عما سبق منهم، ورزقهم فوق ذلك جنات النعيم، ولهم فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين.

٣٦١. فلْتعلمْ يا أخي أن واحدة من أعظم المفاسد التي قد تقع في أمة هي أن يظن العامة بأن الحرام حلال، أو يزداد عن ذلك فيظن العامي أن هذا العمل مستحسنُا لكثرة فعله بين الناس، لذلك النهي عن السوء قبل انتشار الفساد وحين انتشاره أمر عظيم، خصوصًا من أهل العلم والرأي، ومن يقدر على القول في وقتها، ولهذا، فلا يغرنك كثرة الفاعلين!

٣٦٢. فلْتعلمْ أن من رحمة الله -سبحانه وتعالى- أن أحل لنا الطيبات من الطعام والشراب -كل ما كُسب بالحلال، وهو طيب لم يذكره رب العزة من الخبائث والمحرمات-، وهذا التحليل لا يجوز الاعتداء عليه!، والاعتداء عليه يكون بتحريمه أو كفران نعمته وفضله، لذلك، احمد الله تعالى دومًا على ما أحل لك من الطيبات،

واستمتع بها، ففيها تقوية للأبدان، ومتعة للنفس ولذة، ونستعين بها على تحقيق أوامر الله، فالحمد لله.

٣٦٣. فلْتعلمْ أن هناك بعض المواقف التي يضطر فيها الإنسان للقسم، وهذا القسم يكون في شيء عظيم، ونحن المسلمين لا يوجد لدينا أعظم من الله -سبحانه وتعالى-، لذلك نحلف بالله دومًا دون غيره، ونستأنس هنا بماروواه عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ في صحيح البخاري "أَنَّهُ أَدْرَكَ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ في رَكْبٍ وهو يَحْلِفُ بأَبِيهِ، فَنَادَاهُمْ رَسولُ الله ﷺ: أَلَا، إنَّ الله يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بآبَائِكُمْ، فمَن كانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بالله، وإلَّا فَلْيَصْمُتْ"[1]. وإن حلفنا بالله -سبحانه وتعالى- فعلينا القيام بحق هذا اليمين العظيم، وحقه يكون بتأديته وعدم حنثه، وأن يكون اليمين يمين خير وصدق، وألا يكون اليمين مانعًا لفعل واجب أو مندوب، وألا يكون اليمين موجبًا لفعل المحرم أو المكروه، ويفضل أن تتجنب الحلف وتبتعد عنه قدر ما استطعت، وألا تكثر منه في يومك وحياتك، ولْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- رحم عباده فلم يؤاخذهم بلغو اليمين! فالحمد لله رب العالمين.

٣٦٤. فلْتعلمْ أن الخبيث لا يمكن أن يستوي مع الطيب، فالإيمان لا يستوي مع الكفر، ولا المال الحلال بالمال الحرام، ولا الطاعة بالمعصية، ولا يستوي أهل الجنة مع أهل النار، ولْتعلمْ أن قليل من المال الحلال أعظم وأنفع لك من كثير المال الحرام، وأن الحلال الطيب القليل أعظم نفعًا لك من كثير الحرام.

٣٦٥. فلْتعلمْ يا أخي أن الأسئلة أنواع، منها ما هو مفيد وفي محله، ومنها ما

---

(١) الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦١٠٨ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

هو سيء أو يسوء صاحبه ولا يفيده، بل قد يضره، والأسئلة التي في محلها تشمل كل سؤال يُقدم نفعًا أو علمًا يحل به إشكالًا، والأسئلة التي ليست في محلها هي كل سؤال لا يفيد ولا ينفع، بل قد يجلب ضررًا وحسرة، ومنها الأسئلة التي تتعلق بخصوصيات الآخرين وتفاصيل حياتهم، لذلك إن سألت فاسأل عما هو مفيد نافع، ولا تسأل عما لا يخصك.

٣٦٦. يا أخي، ليس كل ما يفعله آباؤنا أو فعلوه صحيحًا مُسلَّمًا به، بل قد تكون أعمالهم خاطئة وباطلة، وقد تحتوي أعمالهم على كثير من الباطل وقد تختلط بالصالح، وقد يكون عملهم في مجمله صالح وبه بعض الأخطاء! لذلك في أي حال من الأحوال إن رأيت الحق في غير ما وجدت عليه آباءك فاتبع الحق، وانصحهم بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا تنسَ أن تقول ربي اغفر لي ولوالدي، ربي ارحمهما كما ربياني صغيرًا.

٣٦٧. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- عظيم عزيز غني عنا، لذلك من اللطائف الجميلة في القرآن طريقة كلام نبي الله عيسى -عليه السلام- مع رب العزة -جل في علاه- حين قال في سورة المائدة: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾، فانظر لكمال أدب سيدنا عيسى -عليه السلام- في خطابه مع رب العزة -سبحانه وتعالى-، فقال في أول جوابه "سبحانك" وهو فيه من التنزيه والتعظيم لله -سبحانه وتعالى- ما فيه، وفيه خضوع من سيدنا عيسى -عليه السلام- أمام عزة الله -سبحانه وتعالى-، ثم تابع جوابه في كمال الأدب حيث نفى عن نفسه أن يقول أي مقالة ليس له حق بها، ورد العلم في الأمر إلى الله -سبحانه وتعالى- فإنه علام

الغيوب، فانظر إلى كمال الأدب في الكلام مع الله -جل في علاه-!، وليكن هذا التأدب طريقًا لقلبك حتى تقدر نفسك حق قدرها! ولْتهذب نفسك وقلبك ولسانك وعقلك حين تناجي الله -سبحانه وتعالى-، فنحن لن نصل لمرتبة سيدنا عيسى -عليه السلام- أو الأنبياء وهم أكثر البشر صلاحًا وتقوى، وأكثر البشر تأدبًا مع الله -سبحانه وتعالى-، فكلما عرف الإنسان عزة الله -سبحانه وتعالى- وعظمته وجبروته ورحمته وقدرته، تأدب واستحيا من نفسه وتقرب إلى الله العزيز الرحيم بلسان يقطر عسلًا، وبقلب يملؤه الحب والشوق والتعظيم والتوقير، فاللهم اجعلنا ممن عرفك حقًا، واتبعك حقًا، ورضيت عنه حقًا.

٣٦٨. يا أخي، إن الله -سبحانه وتعالى- أهلك الأمم السابقة بعد أن كذّبوا وعصوا وأفسدوا وانقادوا للشهوات، وألهتهم اللذات، وكان هلاكهم بعد أن أمهلهم الله -سبحانه وتعالى-، ورزقهم فأنبت زرعهم ورزقهم من الأموال والبنين والرفاهية ما رزقهم، فكان كذبهم وعصيانهم سبب زوال نعمهم وهلاكهم، وهذا من أحوال الأمم، وقد قال الله تعالى في سورة النحل: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾، فلا يغرنك ما في أمة من قوة ورفاهية، فإنها كلما فسدت وأفسدت اقتربت من نهايتها، لذلك إن أرادت أي أمة أن تصبح قوية منغمسة في نعم الله -سبحانه وتعالى- فعليها باتباع أوامر الله -سبحانه وتعالى-، فتقوم بما أمر، وتبتعد عما نهى، وكلما ابتعدت عن أمر الله، نقص من قوتها شيء حتى تهلك هذه الأمة وتأتي أخرى محلها، وإن قال قائل، فهذه هي دول الغرب قوية مزدهرة وهي غير متبعة لأمر الله، فنقول له، إنها مزدهرة حقًا في جوانب، ومظلمة في جوانب -كالأسرة مثلًا-، وهذه قوة ونعمة عظيمة، وما أكثر ما فقد من عندهم!

ومن ثَم سيحصل الضعف لديهم في مواطن قوتهم شيئًا فشيئًا، وذلك كما قرأنا وسمعنا من أحوال الأمم الماضية!، بل إن ذلك شاهدناه في زمننا هذا، فتحطمت أسطورة الجيش الذي لا يقهر على أيدي إخواننا، وهزمت الولايات المتحدة الأمريكية على يد المجاهدين، وذاقت روسيا الأمرين وهُزمت على يد إخواننا المجاهدين.. إلى آخره من الشواهد!، مع الفارق الكبير بين عتاد الأعداء وتطور سلاحهم الحربي أمام أسلحة إخواننا البسيطة، لكنه نصر الله -جل في علاه-، يؤتيه من يشاء من عباده! وإلى الله الأمر، والله المستعان.

٣٦٩. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- أرسل الأنبياء من **البشر**، وجعلهم يهدون للحق بما أرشدهم إليه من الحق الذي لا يأتيه الباطل، فمن فتح قلبه لذلك فإنه -بإذن الله تعالى- ممن اهتدى، وأما من أغلق قلبه واتبع هواه؛ فقد ضل -والعياذ بالله-.

٣٧٠. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- هو المنفرد بكشف الضراء، وجلب الخير والسراء، فإن مسّك فقر، أو مرض، أو عسر، أو غم، أو هم أو نحو ذلك، فما عليك إلا اللجوء إلى الله -سبحانه وتعالى-، فهو القادر على كشف ما بك بقدرته، لذلك خذ بالأسباب، لكن اجعل اعتمادك على رب الأسباب.

٣٧١. فلْتعلمْ أن الإنسان قد يستمع لكلام حسن، فيه من الحق ما فيه، لكنه يمتنع عن الانقياد للحق والتفكير به مع أنه يعلم أنه الحق، وذلك لأنه لم يرد الخير في باطنه، وصم أذنه عما يقال من الحق، والتفت لما سواه، وإن أنصت ودخل جوفه الكلام الحق، كرهه فجعل حاجزًا بين قلبه والكلام الحق فلا ينتفع به، فاحذر أن تكون من هذه الفئة، فإنها فئة خاسرة!

٣٧٢. فلْتعلمْ أن المذنبين نوعان، الفئة الأولى: يقبع فيها كل من أذنب فعقل ذلك وتاب، وعاد قبل أن يصله العقاب! والثانية: كل من أذنب فلم يرتدع وتمادى واستمر في ظلمه حتى حانت لحظة اللاعودة واللاتوبة -والعياذ بالله-، فاحذر أن تكون من الفئة الثانية، وأكثرْ من التوبة والاستغفار والعمل الصالح بعد كل ذنب، وذلك حتى تحفظ نفسك من كل سوء لا تطيقه، وما التوفيق إلا بالله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٣٧٣. فلْتعلمْ أننا لم نُخلق عبثًا، وأننا خلقنا لغاية عظيمة، بإرادة عظيمة قديرة، لذلك، فإننا نحيا في هذه الدنيا ونعلم يقينًا أنها دار ممر، وأننا مبعوثون ليُجازي رب العزة المحسنين على إحسانهم، والمسيئين على إساءتهم!، فالحمد لله رب العالمين على هذه النعمة العظيمة، والتي بها يرى الضعيف والمظلوم حقه يرد إليه من ملك لا يُظلم عنده أحدًا! لا بمثقال ذرة ولا أقل من ذلك! ولْتعلمْ أن من كذّب بالبعث خسر خسرانًا عظيمًا، فهو كذّب بلقاء الله، فإن كان قويّا ازدادت جرأته على الحرام والظلم، وإن كان ضعيفًا لم يجد مبررًا ولا ناصرًا له! فتراه جالسًا بين الحسرة والندامة والاستكانة، يملؤه الضعف والحقد على من ظلمه! فالحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام، وأراح نفوسنا به.

٣٧٤. فلْتعلمْ أن التقصير قد يصيب الإنسان في دينه ودنياه -والعياذ بالله-، ويكون التقصير في الدين أعظم وأشد، فقمة الندامة تكون للإنسان على ما فرط في أمر الله -سبحانه وتعالى- وطاعته، وحسرة الدنيا تكون في التقصير في منافع الحياة المحققة للخير، كالعمل والعلم النافع، وإضاعة الوقت في كل ما هو ضار وطالح، فاحذر أن تكون من المفرطين في أمر دينهم ودنياهم.

٣٧٥. فلْتعلمْ أن الدنيا هي مكان الامتحان، فإما أن تكون فائزًا ناجحًا بما تقدمه فيها، وإما فاشلًا راسبًا -والعياذ بالله-، ونستأنس هنا بما يُنسب لسيدنا علي -رضي الله عنه، وكرم وجهه-: "الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها، مسجد أنبياء الله، ومهبط وحيه، ومصلى ملائكته، ومتجر أوليائه اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة"، فإن فهمت **الدنيا** بهذا ونظرت إليها نظرة المتمعن بالسؤال الباحث عن الإجابة الأصح، والعلامة الأتم، واتبعت ما أُمرت به، كنت -بإذن الله- ممن سعد في الدنيا والآخرة، أما إن كنت تعيش **حياة دنيا** -والعياذ بالله- فإنك نادم خاسر، خسرت دنياك وآخرتك وإن ملكت كل شيء في حياتك الدنيا، ولْتعلمْ أن معرفة الله -سبحانه وتعالى- هي المغنم والمكسب، وهي فوق كل أمر، ولا أدري كيف يحيا كل من لم يعرف الله -سبحانه وتعالى-! وكيف يحيا من لم يذق حلاوة الإيمان؟!، يقول ابن القيم -رحمه الله-: "وجنّةُ المعرفة والمحبة والأنسِ بالله والشوقِ إلى لقائه والفرح به، والرضا به وعنه مأوى روحه في هذه الدار. فمن كانت هذه الجنّة مأَواه ها هنا، كانت جنة الخلد مأواه يوم المعاد. ومن حُرِم هذه الجنّة، فهو لتلك أشدّ حرمانًا. **والأبرار في النعيم، وإن اشتدّ بهم العيش، وضاقت عليهم الدنيا. والفجار في جحيم، وإن اتسعت عليهم الدنيا**"(١)، وهذا كلام فيه من الروعة ما فيه، إن الدنيا لا تكون جنة لصاحبها إلا إن كان فيها العبد مستسلمًا لله -سبحانه وتعالى- موحدًا له، في أجمل وأجل صور العبودية لله -جل في علاه-، والناس في تفاوت في هذه العبودية، فمنهم سابق للخيرات ومنهم مقتصد ومنهم ظالم لنفسه!، وبهذا يستقيم ذم الدنيا إن كانت حياة الإنسان فيها حياة دنيا، فهو

---

(١) كتاب الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (أو الداء والدواء) | ابن القيم الجوزية | الطبعة الأولى | الصفحة ٣٨٣ | الحب أصل كل عمل - روح كلمة التوحيد | مكتبة ابن تيمية | القاهرة

قريب من الطين والبهائم، محب للشيطان وأوليائه، فهي حتى وإن أتته كلها، كان على أسوء ما يكون وأقبح ما يُرى!، وأما من كانت الدنيا وسيلة يظهر بها حب الله – سبحانه وتعالى- وكمال العبودية له والاستسلام له، ويظهر كمال الحب والخضوع والرجاء والخشية، كانت له جنة قبل جنة!، وإن ضاقت عليه الدنيا بما رحبت!، قال تعالى في سورة النحل: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾، وقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾، وقوله تعالى في سورة يونس: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾، وقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾، وقوله تعالى في سورة النساء: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾، وفي هذه المعاني أبيات من الشعر لمحمد الوراق:

لا تُتبِعِ الدُنيا وَأَيّامَها ... ذَمّاً وَإِن دارَت بِكَ الدائِرَه

مِن شَرَفِ الدُنيا وَمِن فَضلِها ... أَنَّ بِها تُستَدرَكُ الآخِرَه[1]

فالحمد لله الذي هدانا لمعرفته ومعرفة دينه، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله،

---

(١) كتاب أدب الدين والدنيا | أبي الحسن الماوردي | الطبعة الأولى | باب أدب الدنيا | الصفحة ٢١٤ | دار المنهاج | بيروت

الحمد لله!

٣٧٦. فلْتعلمْ أخي الحبيب أن المؤمن قد يحزنه كلام الظالمين فيه، وتكذيبهم له من بعد ما تبين للظالمين صدق المؤمن وما أظهره لهم من الحق!، وهذا لجحدهم الحق وآياته، والتكبر عليه!، فلا يحزنك ذلك، فإنهم ما قالوا ذلك إلا لأنهم لم يرغبوا في اتباع الحق والانقياد له، ولْتعلمْ أن الأنبياء -عليهم السلام- كُذِّبوا وأوذوا وهم خير البشر، ولكن الله -سبحانه وتعالى- أيدهم بنصره وأظهر الحق بهم، وهذا حال من سار على هداهم واتبع خطاهم، فاعمل واسعَ بقدر ما استطعت، واصبر كما صبروا، تظفر كما ظفروا -بإذن الله تعالى- والحمد لله.

٣٧٧. من العجائب أن ترى الإنسان عند الرخاء يشرك بالله -سبحانه وتعالى- أو يكفر به، ومن ثَم إن أتاه عذاب عظيم أو خوف شديد لجأ إلى الله -سبحانه وتعالى- دون غيره، ثم إذا عاد مجددًا للرخاء نسي خوفه ولمن لجأ! ولا أدري كيف لمن يعلم أن الله -سبحانه وتعالى- وحده هو من ينجيه أن يعود بعد أن ذهب الخوف عنه واطمأن وصار في رخاء إلى الكفر؟! وكيف يكون للمؤمن بعد أن عرف الله -سبحانه وتعالى- وذاق حلاوة الإيمان أن يعود إلى المعصية بعد أن اطمأن في نعيم الله -سبحانه وتعالى- لولا ضعفه وانقياده لشهواته! فالحمد لله الذي هدانا إليه، ونسأله الثبات على هداه، ونسأله أن يردنا إليه كلما أذنبنا، ونسأله أن يتوب علينا ويهدينا فلا نعود لما أصررنا عليه من الذنب.

٣٧٨. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- قد يبتلي الأمم بالفقر والمرض والآفات والمصائب، وذلك لعلهم يتوبون ويخضعون ويلجئون إلى الله -سبحانه وتعالى-، لذلك، إن اُبتليت بأي من ذلك، تب إلى الله -سبحانه وتعالى- وسله

بتواضع وخشوع أن يُذهب عنك البأساء والضراء، وإن كنت في رخاء ونعيم، فسله أن يديم عليك ذلك، وداوم على حمده والثناء عليه بقلب صادق نقي. والحمد لله.

٣٧٩. فلْتعلمْ أن أشد أنواع العذاب وأخطرها هو ما يأتي بغتة -على حين غرة وغفلة وطمأنينة-! ويكون ذلك لمن ترك أمر الله -سبحانه وتعالى- وهُداه وأعرض عنهما، ثم فتح الله -سبحانه وتعالى- عليه أبواب الخير من الحياة الدنيا ولذاتها، وصار في رخاء وصحة، ثم فرح بما عنده وأعجب وبطر وظن أن هذا النعيم لن يذهب، فأتى أمر الله -سبحانه وتعالى- مفاجئ له مباغتًا له -والعياذ بالله-، وهذا مما تخافه العقول والقلوب، وترتجف منه الأبدان، ونستأنس هنا بحديث رسول الله ﷺ فيما روي عن عقبة بن عامر:- "إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج"[1] ومن ثَم تدبر هذه الآية العظيمة في سورة الأنعام، والتي هي فوق أي وصف، وأي كلام، قال تعالى:- ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

٣٨٠. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- أرسل الرسل **مبشرين ومنذرين**، فمن اتبع الرسل وعمل صالحًا كما أُمِر، كان ممن فاز -بإذن الله تعالى- بالخير العظيم والنعيم المقيم، وكانت البشرى لهم بألا خوف عليهم فيما يستقبلونه، ولا هم يحزنون على ما فاتهم، ومن أعرض فقد خسر وندم على ما فعل، وهو بالعذاب المقيم -بإذن الله تعالى- -والعياذ بالله-.

٣٨١. إياك يا أخي أن تطرد الفقير أو المسكين الذي في مجلسك وجوارك لأجل رجل غني أو ذي جاه، فإنه لا فرق بين هذا وذاك إلا بالعمل الصالح! فاتقِ الله!

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢٨/ ٥٤٧) والطبراني في «الأوسط» (٩/ ١١٠) و«الكبير» (١٧/ ٣٣٠)، حسَّن إسناده العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/ ١٦٢) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦١).

٣٨٢. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- هو علام الغيوب، لا أحد غيره، فإن منّ على أي أحد ممن ارتضاه من البشر في أمر من أمور الغيب، فهو من علم الله -سبحانه وتعالى- وقدرته، لهذا لا يمكن لأحد أن يعلم متى تقوم الساعة! فهو من علم الله -سبحانه وتعالى-، لذلك إن اعتقدت أن علم الغيب اختص به الله، علمت فساد وكذب المنجمين الذين يحتالون على الناس بربطهم الساذج والسخيف بين النجوم والأحداث الأرضية، وفي هذا نستأنس بالحديث الشريف في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: "من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة"(١)، لذلك احذر من أن يخدعوك أو يخدعك غيرهم من الدجالين والمحتالين ممن يدّعون علم الغيب، وإياك أن تنتظر معرفة الغيب! بل اعمل حتى تكون مستعدًا لما سيأتي من الغيب، كمَثل الذي يعمل فلا ينفق ماله كله، بل يدخر منه للأيام المقبلة، وكمَثل من يعمل الصالحات ويتجنب الآثام امتثالًا لأوامر الله -سبحانه وتعالى- واستعدادًا للموت والحياة الآخرة والحساب!

٣٨٣. فلْتعلمْ أن لكل منا أجله، أو حياته التي يقضيها في هذه الدنيا، أيامها وساعاتها ودقائقها، فإن انتهى أجلنا -الوقت المقدر لنا للعيش في هذه الدنيا- جاءتنا ملائكة كرام بأمر الله -سبحانه وتعالى- يقبضون هذه الروح وينقلون هذا الجسد من الحياة إلى الموت، فيصبح الجسد ساكنًا بدون حَراك، فلا يحيه ولا ينقذه المال ولا البنون ولا الجاه ولا أي أمر من أمور الدنيا إلا بأمر الله -سبحانه وتعالى-!، والناظر إلى حياته نظرة الطالب الذي يقبع في الامتحان سيرى أهمية كل اللحظات التي أمضاها، وقد أحببت تقدير اللحظات التي أمضيتها من عمري حتى لحظة كتابة هذه

---

(١) الراوي: بعض أزواج النبي ﷺ | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٢٣٠ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

الكلمات فكانت ٨٨٥،٤٢٧،٢٠٠ -ثانية-!

٨٨٥،٤٢٧،٢٠٠ ثروة ضخمة وعظيمة ذهبت، ولا أدري ما حصادها، ثروة ذهبت من عمري وحُفظت في سجلات لا تذهب ولا تضيع، الناظر لهذا الرقم الضخم يعلم يقينًا كم أسرفنا في أمرنا، وكم قصرنا في حق أنفسنا، كم أضعنا من عمرنا، وكم من لحظة عشناها فذهبت إما للخير وإما للشر و-العياذ بالله-! إن الناظر لهذا الرقم والعالم يقينًا بقدوم الموت لا محالة، يعلم يقينًا أن الله -سبحانه وتعالى- هو العظيم، ولا شيء أعظم منه، الخالق الأوحد لهذا الكون، الذي قهر عباده بالموت، يعلم يقينًا كم كان فضل الله -سبحانه وتعالى- علينا عظيمًا، بأن وهبنا هذه الحياة، وأعطانا العقل والإرادة، وميّزنا عما دون الإنسان، يعلم يقينًا كم كان فضل الله -سبحانه وتعالى- عظيمًا حين وهب لنا الفطرة النقية البيضاء التي نولد بها، ويعلم يقينًا كم كان فضل الله -سبحانه وتعالى- علينا عظيمًا حين أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، وأرسل معهم الآيات والمعجزات، ويعلم يقينًا كم كان فضل الله -سبحانه وتعالى- علينا عظيمًا حين هدانا للإسلام، وهدانا لأن نكون من أمة محمد ﷺ، ولنعلم يقينًا كم كان فضل الله -سبحانه وتعالى- علينا عظيمًا حين وهب لنا القدرة على إدراك الأمور من حولنا، والتفكر في خلق الله، والتأمل في آياته، كم كان فضل الله -سبحانه وتعالى- علينا عظيمًا حين وهب لكل إنسان منا ما يمتاز به عن غيره، في تكامل عجيب فيما بيننا لنشكل سويًّا هذه الحياة التي خلقنا فيها لعبادة الله -سبحانه وتعالى-. فسبحان الله العظيم الذي أوجد هذا التكامل البديع، والتقدير الرهيب!، ومن المعاني الجميلة في هذا الباب؛ التعبير عن الزمن من خلال الأنفاس!، يقول إبراهيم السكران -رحمه الله-: "يعبر الناس عن الزمن بوحدات كثيرة كالأيام

والساعات والدقائق الخ، ومن ألطف تلك الألقاب ما روي من التعبير عن الزمن ب «الأنفاس»! كما قال أبو القاسم اللالكائي (ت٤١٨هـ) في التنويه بأئمة أهل السنة (وأنفاسُهُم على الأوقاتٍ محفوظة)، وهذا التعبير عن الوقت بالأنفاس نافقٌ في مدونات السلوك، بحيث ينظر لكل نفس من الأنفاس باعتباره وحدة عُمريّة كاملة، كما قال شمس الدين ابن القيم (الأوقات تعد بالأنفاس)!. وهذا النظر إلى «الزمن كأنفاس» يثمر للمرء كمال اليقظة بأن لايضيع نفَسٌ في غير ذخر، كما قال أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥): (فإن كل نفس من أنفاسِ العُمْر جوهرةٌ نفيسةٌ لاعوض لها)، والمرء أمام هذه الجواهر في سباق ورهان محموم على أن يسجل في كل نَفَس ذخرًا يلقاه غدًا، كما قال ابن الجوزي في (وكل نفس خزانة؛ فاحذر أن يذهب نَفَسٌ بغير شيء، فترى في القيامة خزانةً فارغةً فتندم!). وإذا استحضر المرء هذا المعنى ونظر إلى العمر باعتباره «أنفاسًا»؛ اجتاحه الإحساس الفعلي بتسارع انسكاب العمر، كما قال ابن الجوزي (العُمرُ أنفاسٌ تسير، بل تطير)، والحق أن التمعن في العمر باعتباره أنفاسًا، ومشاهدة كل نَفسٍ من هذه الأنفاس يغادر بزفيره بين يديك ولا يعود، وأنه ذهب مع ما سُجُل فيه من العمل؛ مشهد لا تكاد تطيق النفوس رهبته وأثره على العزيمة"[١]، فسبحان الحي الذي لا يموت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!

٣٨٤. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- عظيم جليل ليس كمثله شيء، كل صفاته وأسمائه عظيمة جليلة، ومنها الحليم، الحليم الذي عفا عنا وأمهلنا وستر علينا في الدنيا -وبإذن الله تعالى في الآخرة-، الحليم الذي أتيناه بالمعاصي فعافانا ورزقنا وبعث لنا دواعي رحمته وهدايته، فسبحان من أمهلنا ويسر لنا سبل

---

(١) كتاب الماجريات | إبراهيم السكران | الصفحة ٣٢٤ - ٣٢٥ | الطبعة الثانية | دار الحضارة | الرياض

الرشاد ثم عفا عمن تاب منا وستر عليه! الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الحليم الكريم، الحمد لله.

٣٨٥. إياك يا أخي أن تجلس في مجالس الباطل التي يُستهزئ فيها بكلام الله -سبحانه وتعالى- وآياته! وإن جلست ناسيًا في مجلسهم ثم تذكرت، فعليك الانصراف فورًا، إلا إن توقفوا وامتنعوا عن ذلك، أو إن كان في جلوسك مصلحة لهم فتراهم ممن يأخذون بالنصح أو تذكرهم أو تعظهم لعلهم يتقون الله -سبحانه وتعالى-، فإن لم يتعظوا وزادوا شرًا على شرهم فعليك بترك مجلسهم! وليبقى كلام الله -سبحانه وتعالى-، وأوامره ونواهيه أمرًا مقدسًا لا يجوز المساس به، وليكن دين الله -سبحانه وتعالى- عزيزًا عظيمًا في قلبك! وإياك يا أخي من مجالس السوء المليئة بالغيبة والنميمة والذم والقدح وكل كلام قبيح وفعل قبيح! إلا إن توقفوا وامتنعوا عن ذلك، أو كان جلوسك مصلحة لهم وموعظة، فإن لم يتعظوا أو يتوقفوا، فعليك تركهم أيضًا! والله المستعان.

٣٨٦. فلْتعلمْ أننا أمرنا أن نقيم الصلاة بأركانها وشروطها وسننها، ولْتعلمْ بأن الصلاة راحة وطمأنينة للنفس والقلب، وفيها قول رسول الله ﷺ: "يا بلالُ أقمِ الصلاةَ، أرِحْنا بها"[١]

٣٨٧. يا أخي، فليكن طريقك دومًا إلى الله -سبحانه وتعالى-، وأنت مقبل عليه، ومعرض عمن سواه، توحد الله -سبحانه وتعالى- ولا تشرك به شيئًا، ولتكن أقوالك وأفعالك في هذه الدنيا كما قال سيدنا إبراهيم -عليه السلام- في سورة

(١) الراوي: سالم بن أبي الجعد | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح أبي داود الصفحة أو الرقم: ٤٩٨٥ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

الأنعـام:- ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾.

٣٨٨. فلْتعلمْ أن الإحسان في عبادة الله -سبحانه وتعالى- وتوحيده، والعلم بدينه وتعليمه، والإكثار من الصالحات هو أحد الأسباب التي ينال بها الإنسان ذرية صالحة ونسل طيب -بإذن الله تعالى-، وفي قصة نبي الله إبراهيم -عليه السلام- من جمال الإحسان والتوحيد والصبر ما فيها، وفيها ما أكرم الله -سبحانه وتعالى- نبيه إبراهيم -عليه السلام- من الذرية الصالحة والنسل الطيب، وكذلك جعل الله -جل في علاه- جزاء المحسنين. لذلك إن أردت ذرية طيبة صالحة، ونسل طيب لك، اسعَ أن تكون من الصالحين المحسنين، وارجُ من الله -سبحانه وتعالى- أن يجزيك جزاء المحسنين، والحمد لله رب العالمين!

٣٨٩. يا أخي، فليكن لك دومًا قدوة حسنة في هذه الدنيا، وخير قدوة في هذه الدنيا نبي الله وحبيبه ورسوله محمد ﷺ، والأنبياء المكرمين -عليهم السلام جميعًا-، فهم خير قدوة للبشر، وفي قصصهم من الفضائل والعبر ما يروي النفس ويريح الفؤاد! لذلك فلتزرع يا أخي في قلبك وقلب أبنائك قدوات حسنة، تفتخرون بها، فتكون نبراسًا مضيئًا لكم في هذه ظلمات الحياة، فعندنا -والحمد لله- قدوات عظيمة، من الأنبياء والصالحين ما يشحذ الهمم، ويقوي العزائم، ولدينا نحن المسلمين -بفضل الله سبحانه وتعالى- من القدوات العظيمة من الأبطال المسلمين ما تحسدنا عليه الأمم الأخرى! وإياك يا أخي من قدوات السوء -والعياذ بالله-، مثل المغنيين والممثليين والشواذ وأهل الباطل والضلال إلى آخره، وإياك القدوات الوهمية والخيالية كالشخصيات الكارتونية -سوبر مان أنموذجًا- وغيره! وعليك الاعتقاد أن القدوات -من غير الأنبياء- غير معصومين من الخطأ، ولْتعلمْ أن صحابة

رسول الله ﷺ هم خير البشر بعد رسول الله -ﷺ-، فهم الأبطال حقًا، وهم القدوة والشجاعة والعزة، وهم حملة الدين، فنتعلم منهم وندرس تاريخهم المشرف العظيم، وننظر إلى أدب اختلافهم، ومع هذا فإن وقع منهم خطأ -لأنهم غير معصومين-، وجب إحسان الظن ومعرفة ما كان جواب رسول الله ﷺ، وبعده معرفة جواب خيرة الصحابة والنظر إلى أقوالهم، وقد روى أبو هريرة رضي الله عن النبي ﷺ قال: "لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه" لذلك يجب أن يكون التركيز على أعمالهم وبطولاتهم وإظهارها، وبذات الوقت ننفي الظن بملائكيتهم وعصمتهم عن الخطأ. قال تعالى في سورة الفتح: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾، قال القرطبي -رحمه الله-: "روى أبو عروة الزبيري من ولد الزبير: كنا عند مالك بن أنس، فذكروا رجلا ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ، فقرأ مالك هذه الآية محمد رسول الله والذين معه حتى بلغ يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار فقال مالك: من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية، ذكره الخطيب أبو بكر. قلت: لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تأويله. فمن نقص واحدا منهم أو طعن عليه في روايته فقد رد على الله رب العالمين، وأبطل شرائع المسلمين، قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ الآية. وقال: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ إلى غير ذلك من الآيات التي تضمنت الثناء عليهم، والشهادة لهم بالصدق والفلاح، قال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ وقال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ

أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾، ثم قال عز من قائل: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ إلى قوله ﴿ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾. وهذا كله مع علمه تبارك وتعالى بحالهم ومآل أمرهم، وقال رسول الله ﷺ: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم" وقال: "لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا لم يدرك مد أحدهم ولا نصيفه خرجهما البخاري. وفي حديث آخر: فلو أن أحدكم أنفق ما في الأرض لم يدرك مد أحدهم ولا نصيفه"[١].

٣٩٠. فلتعلم يا أخي أن أعياد الكفار ليست شأنًا اجتماعيًا، بل شعيرة من شعائر كل دين!، فالأعياد من جملة الشرائع والمناهج والمناسك!، وقد حرص نبينا الكريم ﷺ على هذا أشد الحرص، ومن هذا ما رواه أنس بن مالك -رضي الله عنه-: "قدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ ولَهم يومانِ يلعَبونَ فيهما فقالَ ما هذانِ اليومانِ قالوا كُنَّا نلعبُ فيهما في الجاهليَّةِ فقالَ رسولُ الله ﷺ إنَ الله قد أبدلَكم بِهِما خيرًا مِنهما يومَ الأضحى ويومَ الفطرِ"[٢]، لاحظ مقدار الحساسية في موضوع العيد، وهذا مع أهل المدينة!، ثم انظر للعزة في موضع آخر: "لِكلِّ قومٍ عيدًا وَهذا عيدُنا"[٣]، هل لاحظت أن هذا الموضوع مهم؟!، وأنه يخرج عن كونه عادة مهما طبل بذلك المطبلون؟!، قال تعالى في سورة الفرقان: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ

---

(١) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ١٩ | الصفحة ٣٤٧-٣٤٨ | تفسير سورة الفتح | الآية ٢٩ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح أبي داود الصفحة أو الرقم: ١١٣٤ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

(٣) الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٩٥٢ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾، مما أورده المفسرون مع عظم ما تحمله هذه الآية الكريمة من معاني عظيمة كثيرة، قول ابن عباس -رضي الله عنه-: "أنه أعياد المشركين"...، لذلك، لا تكن ذليلًا فتحاول التوسط هنا، فهذا ليس مجالًا للتوسط، فالوسطية لا تكون بين باطل وحق!، بل الوسطية هي الحق بين باطلين، فدع عنك أسلوب الدفاع، فهذا نحن!، وأتعجب دومًا، كيف للعاقل أن يدعو الناس لتقليد عدوهم في مناسكهم ومناسباتهم؟!، سبحان الله كيف يحكمون!، قال ابن القيم -رحمه الله-: "وَكَمَا أَنَّهُمْ لَا يَجُوزُ لَهُمْ إِظْهَارُهُ **فَلَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِينَ مُمَالَاتُهُمْ عَلَيْهِ وَلَا مُسَاعَدَتُهُمْ وَلَا الْحُضُورُ مَعَهُمْ** بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهُ"(١)، وقال -رحمه الله-: "وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالاتفاق، مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم، فيقول: عيد مبارك عليك، أو تهنأ بهذا العيد ونحوه، فهذا إن سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب بل ذلك أعظم إثمًا عند الله، وأشد مقتًا من التهنئة بشرب الخمر وقتل النفس، وارتكاب الفرج الحرام ونحوه، وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك، ولا يدري قبح ما فعل، فمن هنّأ عبدًا بمعصية أو بدعة، أو كفر فقد تعرض لمقت الله وسخطه"(٢)، وقال ابن تيمية -رحمه الله-: "وأما الاعتبار في مسألة العيد فمن وجوه: أحدها: أن الأعياد من جملة الشرع والمناهج والمناسك، التي قال الله سبحانه ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ [الحج: ٦٧] كالقبلة والصلاة والصيام، فلا فرق بين مشاركتهم في العيد وبين مشاركتهم في سائر المناهج، فإن الموافقة في جميع العيد، موافقة في الكفر. والموافقة في بعض

---

(١) كتاب أحكام أهل الذمة | ابن القيم الجوزية | الجزء الثالث | فصل حكم حضور أعياد أهل الكتاب | الصفحة ١٢٤٥ | الطبعة الأولى | رمادي للنشر | الدمام

(٢) كتاب أحكام أهل الذمة | ابن القيم الجوزية | الجزء الأول | فصل في تهنئتهم | الصفحة ٤٤١ | الطبعة الأولى | رمادي للنشر | الدمام

فروعه: موافقة في بعض شعب الكفر، بل الأعياد هي من أخص ما تتميز به الشرائع، ومن أظهر ما لها من الشعائر، فالموافقة فيها موافقة في أخص شرائع الكفر، وأظهر شعائره ولا ريب أن الموافقة في هذا قد تنتهي إلى الكفر في الجملة بشروطه"[١]، لذلك يا أخي، احرص على دينك، واحذر من الكفر ومن موالاة أهل الكفر!، واعلم أننا دعاة إلى الخير، فإن كنت حقًا تريد الخير لِمَن خالطت من أهل الكفر، فعليك بدعوتهم إلى دين الله -سبحانه وتعالى-، وإظهار بطلان عقائدهم، والحرص على إنقاذهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، لا أن تخدعهم!، ولا أدري كيف يمكن للمرء أن ينافق ليخدع شخصًا حتى يبقى على الكفر!، واحرص يا أخي على العلم، وليكن كلامك حق، فإن كنت لا تعلم فلا تفتي بغير علم، وقل لا أعلم!، وابحث عما جهلت، وادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة!، وجادلهم بالتي هي أحسن!، ولتكن متزنًا، بين اللين والشدة، ولتكن عزيزًا بإسلامك، راضيًا بحكم ربك، داعيًا إليه، والأمر كله إليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.[٢]

٣٩١. فلْتعلمْ يا أخي يقينًا أن الله -سبحانه وتعالى- جعل القرآن الكريم مباركًا، وهذه البركة هبة من الله -سبحانه وتعالى- لنا، فتجد هذه البركة في كثرة الخيرات والمبرات في هذا الكتاب العظيم! وتجد أثر هذه البركة في نفسك إن تدبرت وقرأت القرآن بقلب نقي وصادق! فالحمد لله.

---

(١) كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم | ابن تيمية | النهي عن موافقتهم في أعيادهم بالاعتبار | الصفحة ٥٢٨ | الطبعة السابعة | دار عالم الكتب | بيروت

(٢) لقد تحدث إبراهيم السكران -رحمه الله- في كتابه سلطة الثقافة الغالبة حول مفهوم "كسر الخصوصية الدينية"، وهو فصل مميز من فصول هذا الكتاب المميز، فيمكنك الإطلاع عليه إذا أردت كلاما سهلا جامعا لأشهر أقوال الأئمة وأشهر الأسئلة حول هذا الموضوع...

٣٩٢. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي! وهذا فيه من العظمة والقدرة التي تبهر العقول! ومن ذلك كيف يخرج من ماء الرجل إنسانًا -ووالله إن هذا الإعجاز في قمة الإبهار لكل عاقل!-، وكيف يخرج من البذور نباتات وأشجار! وكيف تخرج البذور من هذه النباتات والأشجار! ولْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- جعل لنا في هذه الدنيا من السبل التي يمكننا استخدامها لتحقيق المنافع والمصالح المعتبرة، لتأدية الواجبات المنوطة بنا، ولاستمرارية الحياة من السبل الكثير، ومن ذلك أن خلق الله الليل والنهار الذي يحدثه تعاقب الشمس والقمر، وجعل لنا النجوم لنهتدي للسبل التي نحتاجها لقضاء مصالحنا كالتجارة والسفر! وأنزل علينا الغيث فصارت الأرض مثمرة يأكل منها الإنسان والحيوان والطير، فسبحان الله أحسن الخالقين، وأحكم الحاكمين!

٣٩٣. فلْتعلمْ أن الإله المستحق للعبودية والمحبة هو الإله الواحد الأحد، الخالق، الذي ليس كمثله شيء، الرحمن الرحيم بعباده، الذي ليس له زوجة ولا ولد، الغني عن عباده، تتجه له كل المخلوقات في الرخاء والشدة، طوعًا وكرهًا، وهذا لا يكون إلا لإله واحد، وهو الله العظيم -جل في علاه- لا لأحد سواه.

٣٩٤. فلْتعلمْ أن كل أمة من الأمم لديها معتقداتها الخاصة التي تؤمن بها وتراها حسنة، لذلك نهينا أن نسب معتقدات الأمم الأخرى وآلهتهم لكي لا يدفعهم ذلك لسب معتقداتنا أو رب العالمين -تعالى وجل عمن سواه، الخالق العظيم-، خصوصًا إن كان أهل الكفر والضلال في منعة وقوة! كما أن هذا السب قد ينفرهم ويزيدهم كفرًا، وحمية وعصبية، ومع أنه لا بأس من سب المشركين وسب آلهتهم، ولعن الكفار من غير تعيين لشخص محدد، فقد نهينا عن مواجهتهم بذلك، لأنه يترتب عليه مضرة أعظم من تلك المنفعة!

٣٩٥. فلْتعلمْ أن تقليب القلوب قد يكون من عقاب الله -سبحانه وتعالى-، فيُحال بين الإنسان والإيمان، ويُحرم من الطريق المستقيم -والعياذ بالله-، فادعُ الله -سبحانه وتعالى- بأن يثبتك على الإيمان، وأن يهديك الطريق المستقيم، ونستأنس هنا بالآية الكريمة من سورة آل عمران: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾، وبما روي عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-: "كانَ رسولُ الله ﷺ يُكثِرُ أن يقولَ: يا مقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قلبي على دينِكَ فقلتُ: يا نبيَّ الله آمنَّا بِكَ وبما جئتَ بِهِ فَهل تخافُ علَينا؟ قالَ: نعَم إنَّ القلوبَ بينَ إصبَعَينِ من أصابعِ الله يقلِّبُها كيفَ

شاءَ"[١]، فيا رب لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، واللهم يا مقلب القلوب، ثبت قلوبنا على دينك.

٣٩٦. فلْتعلمْ أن الشياطين نوعان، شياطين الإنس وشياطين الجن، وكلاهما يعمل على صد الحق ومحاربة أهله، وهم ينتقون كلامهم وعباراتهم ويزينون الباطل لغيرهم حتى يتبعوه! وكلما نما الباطل في قلوبهم، صار الكذب في الأقوال والأفعال عندهم يكبر ويزداد وضوحًا لأصحاب البصائر وذوي الألباب! ولْتعلمْ أن شيطان الإنس أعظم شرًا وخطرًا من شيطان الجن، ونستأنس هنا بما روى أبي ذر -رضي الله عنه-: "يا أبا ذرٍّ، تَعوَّذ بالله مِن شياطينِ الإنسِ والجنِّ، فقُلت: أو للإنسِ شياطينُ؟ قالَ: نعَم"[٢]، وقول مالك بن دينار -رحمه الله-: "إن شيطان الإنس أشد علي من

---

(١) الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي الصفحة أو الرقم: ٢١٤٠ | خلاصة حكم المحدث: حسن

(٢) كتاب معالم التنزيل (تفسير البغوي) | أبي محمد البغوي | المجلد الثالث | تفسير سورة الأنعام | الصفحة ١٧٩-١٨٠ | الآية ١١٢ | دار طيبة | الرياض -ملاحظة: ورد الحديث من عدة طرق وأسانيد، جملة الأحكام فيها أنه حديث ضعيف أو فيه انقطاع-

شيطان الجن، وذلك أني إذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن، وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عيانًا"[١]، لهذا، احذرهم، واستعذ بالله منهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

٣٩٧. فلْتعلمْ أن الاستدلال لمعرفة أهل الحق من أهل الضلال يكون من خلال الطرق المؤدية لذلك حقًا كالنظر في أعمالهم وأقوالهم ومقارنتها بما أنزل الله -سبحانه وتعالى-، ولا يكون من خلال النظر إلى العدد، فلا يُستدل على الحق بكثرة العدد، ولا قلته، لذلك احذر من أن تكون إمعة، إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت!

٣٩٨. احذر يا أخي من معاصي القلوب! وهي متنوعة أعظمها الشرك والكفر والنفاق -والعياذ بالله-، ومنها والعُجب والكبر، والفخر، والخيلاء، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله، والفرح والسرور بأذى المسلمين، والشماتة بمصيبتهم، ومحبة أن تشيع الفاحشة فيهم وحسدهم على ما آتاهم الله من فضله، وتمني زوال ذلك عنهم، وشهوة المحرمات وتمنيها، وفي هذا قول الله سبحانه وتعالى في سورة الأنعام: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾، فاحذر ذلك كله وتجنبه![٢].

٣٩٩. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- سمى الجنة بدار السلام، وهي الدار والمقر لكل من أنعم الله -سبحانه وتعالى- عليه بالهداية والطريق المستقيم

---

(١) كتاب معالم التنزيل (تفسير البغوي) | أبي محمد البغوي | المجلد الثالث | تفسير سورة الأنعام | الصفحة ١٨٠ | الآية ١١٢ | دار طيبة | الرياض

(٢) منقول بتصرف من كتاب مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين | ابن القيم الجوزية | الجزء الأول | قواعد العبودية | الصفحة ١٢٧ | الطبعة الأولى | دار الكتب العلمية | بيروت

والرحمة التي وهبها رب العزة -جل في علاه- لمن يشاء من عباده، فهي الدار الخالية من كل عيب وَوَهْم وَهَم وغم وكدر، ونعيمها في غاية التمام والكمال، فتنعم الروح والقلب والبدن بما أنعم الله وتفضل به على عباده، ففيها ما تشتهي الأنفس، وتلذ به الأعين، فيا ربي اجعل دارنا دار السلام، واحشرنا مع الحبيب المصطفى -عليه الصلاة والسلام-، والحمد لله السلام!.

٤٠٠. فلْتعلمْ أن الناس درجات في الثواب والعقاب، وكل حسب عمله، فكلما زاد الإحسان والعمل الصالح زاد الثواب -بإذن الله-، وكلما طغى الإنسان واستكبر وظلم، زاد عقابه وهبط إلى الدرك الأسفل أكثر فأكثر -والعياذ بالله-، فيا منان ويا رحمن، اجعلنا من أهل الجنان، واجعلنا برحمتك من أهل الفردوس الأعلى برحمتك يا أكرم الأكرمين.

٤٠١. فلْتعلمْ أن الإسلام حرّم قتل الأبناء خشية الفقر أو العار، وكذلك حرّم الوأد، والوأد هو دفن الأنثى حية خشية العار، وأي خسارة وسفاهة أعظم من هذا؟! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٤٠٢. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- خلق لنا الأشجار والنباتات بأنواع كثيرة ومتنوعة، وجعل فيها منافع للإنسان والحيوان، وجعل هذا الرزق وسيلة للكسب وسد الحاجة، ونهانا عن الإسراف في الأكل، فلا نأكل فوق الحد، ولا نصنع من الطعام أكثر مما نحتاج وما هو مصيره إلا التلف والقمامة -والعياذ بالله-، ونستأنس هنا بحديث رسول الله ﷺ: "ما ملأَ آدميٌّ وعاءً شرًّا مِن بطنٍ، بحسبِ ابنِ آدمَ أُكُلاتٌ يُقمنَ صُلبَهُ، فإن كانَ لا محالةَ فثُلُثٌ لطعامِهِ وثُلُثٌ لشرابِهِ وثُلثٌ

لنفَسِهِ"[١]، فسبحان من رزقنا وعلمنا كيف نتعامل مع رِزْقنا! الحمد لله.

٤٠٣. إياك يا أخي أن تكون من المسرفين!، والمسرف هو كل من يتجاوز الحد في أي أمر، فيمكن أن يكون الإسراف في المال أو القول أو الفعل. ولْتعلمْ أن كل ما يُنفق في معصية الله -سبحانه وتعالى- هو إسراف وإن كان قليلًا، لأنه في غير محله، ومن هذا قوله تعالى في سورة الأعراف:- ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾، فجعل الله -سبحانه وتعالى- قوم لوط من المسرفين، لأنهم تجاوزوا أمر الله -سبحانه وتعالى- ووضعوا ما فطروا عليه في غير محله! فأسرفوا وجهلوا وغفلوا، فخسروا خسرانًا عظيمًا -والعياذ بالله-، ولْتعلمْ أن القول الحرام من الإسراف، وأن الشرك من الإسراف، والفعل الحرام إسراف، والتفريط فيما رزقك الله -سبحانه وتعالى- في غير محله أو/ و متجاوزًا الحد فهو إسراف، وصنع طعام أكثر مما ينتفع منه إسراف، ومن الإسراف أن يكون لك مال فتضيعه دون أن تبقي لنفسك وأهلك منه، ونسأتنس هنا بحديث سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- عن رسول الله ﷺ "كانَ النبيُّ ﷺ يَعُودُنِي وأَنَا مَرِيضٌ بمَكَّةَ، فَقُلتُ: لي مَالٌ، أُوصِي بمَالِي كُلِّهِ؟ قالَ: لا قُلتُ: فَالشَّطْرِ؟ قالَ: لا قُلتُ: فَالثُّلُثِ؟ قالَ: الثُّلُثُ والثُّلُثُ كَثِيرٌ، أنْ تَدَعَ ورَثَتَكَ أغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِن أنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ في أيْدِيهِمْ، ومَهْما أنْفَقْتَ فَهو لكَ صَدَقَةٌ، حتَّى اللُّقْمَةَ تَرْفَعُهَا في فِي امْرَأَتِكَ، ولَعَلَّ اللَّهَ يَرْفَعُكَ، يَنْتَفِعُ بكَ نَاسٌ، ويُضَرُّ بكَ آخَرُونَ."[٢]، وبحديث كعب بن مالك -رضي الله عنه- قال:- "قلت: يا رسول الله، إن من توبتي: أن أنخلع من مالي،

(١) الراوي: المقدام بن معدي كرب | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترمذي الصفحة أو الرقم: ٢٣٨٠ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

(٢) الراوي: سعد بن أبي وقاص | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٥٣٥٤ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

صدقة إلى الله وإلى رسوله فقال رسول الله ﷺ: أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك"[١]، فسبحان من هدانا بفضله، وعلمنا كيف ننفق، وعلمنا كيف نحفظ أهلنا ونؤدي حق الله وحقوق العباد، فالحمد لله.

٤٠٤. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- أمرنا فقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾، وفي هذا الأمر معاني جميلة عظيمة تحاكي النفس بطرق متعددة، محذرة ومرشدة، ومن تلك المعاني أننا يجب أن نبتعد عن الشيطان، وهذا الابتعاد يكون من خلال تجنب طرق الشيطان وأعماله وآثاراه، وإننا بِنَهْينا عن آثاره وطرقه، نعرف موطن قوته، فهو يدعو الإنسان لمعصية الخالق بشتى الطرق والوسائل، يرمي الصغائر والفُتات، يرمي الشبهات والمتشابهات، ثم ما أن تقع بواحدة حتى يلحقك بأخرى أعظم منها، فسبحان من أرشدنا لطريق الأمن والسلام! ولهذا علينا أن نسير في خطوات الخير، وخطوات الداعين للخير، خطوات الأنبياء والعلماء والصالحين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونبتعد عن طرق الشر، وكل ما أدى إليها وقادنا إليها -والعياذ بالله-، فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم، وقل سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

٤٠٥. فلْتعلمْ أن هناك أشخاص لا يريدون غير الظلم والجور، والافتراء على الله، يريدون إضلال العباد، ونشر الفساد! احذروهم فهم الظالمون!، وإياك يا أخي أن تظن أن مكرهم بسيط، وأن قولهم القبيح ظاهر بدون تزيين أو كذب!، بل تجدهم أمكر الناس وأخبثهم، يقلبون الحقائق ويزخرفون الكلمات!، وكل ذلك ليخدعوا أكثر ما استطاعوا، بلا حجة ولا حقائق، بل بزخرف القُول!، قال تعالى في سورة

---

(١) الراوي: كعب بن مالك | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٦٩٠ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

الأنعـام: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾، فاحـذر مـن كـل من دعاك للباطل وزين لك أقواله، واحـذر مـن كـل مـن موه الحـق بالباطـل والباطـل بالحق، وهونه عليك لتتبعه!، فتمويه القول هو من زخرف القول الذي يضيع المعنى أو يجلبه بحسب ما تقتضيه الحاجة أو ردة الفعل!، وخير مثال على ذلـك قـول قـريش في حق خير البشر -عليه الصلاة والسلام-، فإنهم أرادوا حجب الحقـائق عـن النـاس، فما وجدوا إلا أقوالًا عامة أطلقوها وزينوها ليخدعوا بها الناس، ومن افـتراءاتهم تلـك "ساحر" أو "مجنون" أو "كاذب"، لكن كذبهم وافترائهم كان ظاهرًا لكونـه الـصادق الأمين، ولا يمكن أن يكون مـن قـال مـا قـال مجنونًـا!، ولا هـو بسـاحر!، فـذهبوا إلى تزيين الافتراء فقالوا: "وإن أقرب القول لأن تقولوا: ساحر. فتقولوا: هو سـاحر يفـرق بين المرء وأبيه، وبين المرء وزوجته، وبين المـرء وأخيـه، وبـين المـرء وعشـيرته"...، وما أكثر هذا في زماننا!، ومثال صناديد الكفر من قريش هو مثال عملي وواضـح عـلى تزيين القول الباطـل ليقـع في نفـوس السـامعين في غـير موضـعه!، لاحـظ أنهـم أجملـوا التهمة ولـم يفصلـوا فيهـا، ولاحـظ أنهـم لـم يقـدروا على مناكفـة الحـق ومحاجـته، فلجأوا لخداع الناس واستسفاه عقولهم!، وهذا كان حال الأقوام التي سبقتنا وعذبت أيضًا، وهذا هو حالنـا الآن لسطوة الغـرب ونفـوذه، وانخـداع بعـض بنـي جلـدتنا بهـم وتأثرهم بهم!، لكن الحق لا بد أن يظهر على الباطل ولو بعد حين، فالحمد لله!.

٤٠٦. فلْتعلمْ أن مِن أهل الضلال والفساد من يدعي أن فساده وضـلاله قضـاء وقدر، وهذا لا شك قول سخيف فيه من الاستكبار ما فيه، وسبب ذلـك أنهـم أشركـوا بالله -سبحانه وتعالى-، وعصوه، وأفسدوا في الأرض -والعياذ بالله-!!، وهـذا القـول فيه من السـخافة لأي عاقـل مـا فيـه، فكـل عاقـل يعلـم أن الله -سـبحانه وتعـالى- ميّـز

الإنسان بالعقل والقدرة والإرادة، ومن خلالها فإن الإنسان يستطيع أن يتخذ القرار لفعل الخير أو الشر، لذلك كذب كل من نسب كفره وفساده وعصيانه لله -والعياذ بالله-، وطبعًا هم ينسون ذلك إن آذيتهم بأي شيء كضرب أو سلب للمال بدعوى القضاء والقدر!، والله المستعان.

٤٠٧. فلْتعلمْ أن الأبناء -ذكورًا وإناثًا- رزق من الله -سبحانه وتعالى- وهبة منه إليك، فإياك من قتلهم خوف الفقر -خصوصًا- أو لأي سبب آخر غير معتبر شرعًا، ومن ذلك قتل الأجنة في الأرحام قبل أن تولد -الإجهاض- دون عذر شرعي -كالخوف على حياة الأم-!، ولْتعلمْ أن ما عليك فعله هو حفظ هذا الرزق وتنميته، ولْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- قد تكفل برزقك ورزقهم، ولْتعلمْ أن هذه نعمة عظيمة يشتهيها من حُرم منها أو فقدها، وإنني لا أدري هل يكون إنسانًا من يقتل أبناءه قبل الولادة أو بعدها؟!، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٤٠٨. فلْتعلمْ أننا أمرنا بإيفاء الكيل والميزان بالحق والعدل، وبأقصى قدر يطيقه الإنسان، وهو من تمام العدل والقسط للبائع والمشتري، فإن حصل منه تقصير دون قصد منه أو علم، فإن الله -سبحانه وتعالى- عفو غفور رحيم، لا يكلف نفسًا فوق طاقتها، فالحمد لله.

٤٠٩. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- أكرمنا ورحمنا فضاعف لنا الحسنات، ومن تمام عدله أن السيئة لا يُجزى الإنسان إلا مثلها، قال جل في علاه في سورة الأنعام ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠﴾، فالحمد لله رب العالمين على ما رحمنا.

٤١٠. فلْتعلمْ أن الإيمان والتوبة ينفعان ويصلحان في كل وقت إلا عند

الغرغرة أو طلوع الشمس من مغربها...، وفي هذا قال الحبيب المصطفى ﷺ: "لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِها، فإذا طَلَعَتْ فَرَآها النَّاسُ آمَنُوا أجْمَعُونَ، فَذلكَ حِينَ: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨] ولَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وقدْ نَشَرَ الرَّجُلانِ ثَوْبَهُما بيْنَهُما فلا يَتَبايَعانِهِ، ولا يَطْوِيانِهِ، ولَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بلَبَنِ لِقْحَتِهِ فلا يَطْعَمُهُ، ولَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وهو يَلِيطُ حَوْضَهُ فلا يَسْقِي فِيهِ، ولَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وقدْ رَفَعَ أحَدُكُمْ أُكْلَتَهُ إلى فيه فلا يَطْعَمُها."(١)، لذلك اغتنم الفرصة، اغتنم حياتك قبل مماتك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك، وصحتك قبل سقمك، اغتنم كل هذا واجعل طريقك طريق الإيمان، طريق الصلاح، واسأل الله -سبحانه وتعالى- التوبة في كل حال، وآمن بما أنزل الله -سبحانه وتعالى- تفز بالدنيا والآخرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٤١١. يا أخي، لتبتغي في كل أعمالك طاعة الله -سبحانه وتعالى-، فصلاتك خالصة لله، ونفقتك خالصة لله، وعملك اليومي عبادة خالصة لله تتقرب إلى الله -سبحانه وتعالى- بها، وليكن ما تأكله من طعام، وتقدمه من طعام هو عبادة تتقرب بها إلى الله -سبحانه وتعالى-، واجعل كل أمر لك خالصًا لله، تتقرب إليه به، واسأل الله -سبحانه وتعالى- التوفيق لذلك، فهذه من النعم العظيمة، والهداية الجليلة من الله العظيم لعباده، ونستأنس هنا بحديث رسول الله ﷺ فيما روى أبو ذر -رضي الله عنه-: "أنَّ نَاسًا مِن أَصْحَابِ النبيِّ ﷺ قالوا للنبيِّ ﷺ: يا رَسولَ اللهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بالأُجُورِ، يُصَلُّونَ كما نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كما نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٥٠٦ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ، قالَ: أَوَلَيسَ قدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ ما تَصَّدَّقُونَ؟ إنَّ بكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بالمَعروفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عن مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وفي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قالوا: يا رَسولَ اللهِ، أَيَأتي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكونُ له فِيهَا أَجْرٌ؟ قالَ: أَرَأَيْتُمْ لو وَضَعَهَا في حَرَامٍ أَكانَ عليه فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذلكَ إذَا وَضَعَهَا في الحَلَالِ كانَ له أَجْرٌ."[(١)]، فسبحان الكريم، حتى في جماع الرجل لزوجته يؤجر إن كانت نيته أن يعف نفسه عن الحرام، فسبحان أكرم الأكرمين!، لذلك اجعل عينيك دوما على قوله تعالى في سورة الأنعام ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾.

٤١٢. فلْتعلمْ يا أخي أن لكل نفس ما كسبت من الخير، وعليها ما اكتسبت من الشر، ولا تزر وازرة وزر أخرى، فلا يعاقب الأخ بجُرم أخيه، ولا البنت بجرم أمها، ولا يعاقب الولد بفساد أبيه، ولكل نفس أجل، والله -جل في علاه- هو العدل الناظر في أمر هذه النفوس، فلا تؤاخذ نفس بجرم غيرها، وإن كان أحد قد تسبب في ضلال غيره ووزره، فإن عليه وزر التسبب من غير أن ينقص من وزر المباشر شيئًا، فسبحان العدل، وهنا نستأنس بقصة عظيمة، قصة الصحابي العظيم عكرمة -رضي الله عنه- وهو ابن أبي جهل، فقد كان له أثر عظيم في معركة اليرموك -كتيبة الموت-، وهو من الصحابة الكرام، وكان والده أبو جهل من الكفار الملعونين والعياذ بالله، فسبحان من أعز عكرمة بالإسلام، وأذل والده بالكفر!، ونستأنس هنا بما روي عن أبو رمثة -رضي الله عنه- قال: "انطلقتُ معَ أبي نحوَ النَّبيِّ ﷺ ثمَّ إنَّ

---

(١) الراوي: أبو ذر الغفاري | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ١٠٠٦ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

رسولَ الله ﷺ قالَ لأبي ابنُكَ هذا؟ قالَ: إي وربِّ الكعبةِ. قالَ: حقًّا؟ قالَ: أشهَدُ بِهِ، قالَ: فتبسَّمَ رسولُ الله ﷺ ضاحِكًا من ثبتِ شبَهي في أبي ومن حلِفِ أبي عليَّ ثمَّ قالَ: أما إنَّهُ لا يَجني عليكَ ولا تَجني عليهِ، وقرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1].

٤١٣. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- جعل الناس خلائف في الأرض، وجعلهم متفاوتون في الدرجات، فمنهم الغني ومنهم الفقير، ومنهم الصحيح ومنهم السقيم، ومنهم العالم ومنهم الجاهل وغيرهم، وفي نَفَس الإنسان وعمره نفسُه في تفاوت، بين الغنى والفقر، والصحة والمرض إلى آخره، هذا التفاوت يحقق التكامل الذي يجعل عمارة الأرض ممكنة لتنوع الناس وميولاتهم ووظائفهم وأعمالهم، وفي هذا التفاوت يقع البلاء لكل منا، فينظر الله -سبحانه وتعالى- لأعمالنا وفي جميع أحوالنا، فينظر إلى ما نقدم ونفعل، في شبابنا وهرمنا، وغنانا وفقرنا، وصحتنا وسقمنا، فيا رب ارحمنا برحمتك أنت، وعاملنا بما أنت أهل له، لا بما نحن أهل له، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، والحمد لله رب العالمين.

٤١٤. فلْتعلمْ يا أخي أن القرآن الكريم هو الكتاب الأعظم، أنزله الله -سبحانه وتعالى- لأجلنا، فنحن من نحتاج الهداية والرشاد، نحن من نحتاج إلى النور الذي يضيء الطريق في قلوبنا، لذلك، فالقرآن الكريم هو كتاب التربية الأول، الذي لا غنى عنه، وهو كتاب العلم الأول الذي لا مفر من قراءته وتدبره، ففيه الهداية من ضلال الشرك والكفر إلى نور الهداية والإيمان، وفيه معالي الأخلاق وحسنها،

---

(١) الراوي: أبو رمثة | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح أبي داود الصفحة أو الرقم: ٤٤٩٥ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

وكل العجب لكل طالب علم في المجال الشرعي لم يبدأ بالقرآن الكريم، ولم يتدبره، ولم يقرأه بعين المفسر الباحث عن الحق، وكل العجب لمن يبحث عن علاج القلوب ولم يتوجه للقرآن، وكل العجب لمن بحث عن مكارم الأخلاق وأحسنها في غير كتاب الله -سبحانه وتعالى- وسنة نبيه المصطفى -عليه أفضل الصلاة والتسليم-، وآسفاه على ما فرطنا في أنفسنا حتى هذه اللحظة من دون أن نقرأ القرآن الكريم بطريقة المتدبر المشتاق والملهوف للنجاة، فيا رب لك الحمد بما هديتنا وأعطيتنا، لك الحمد ربي حتى ترضى، وبعد الرضا، الحمد لله رب العالمين.

٤١٥. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- خلق آدم -عليه السلام- من تراب، في أحسن صورة وأحسن تقويم، وخلق إبليس من نار، وعندما أمر الله -سبحانه وتعالى- الملائكة بالسجود لآدم، سجدت الملائكة كلهم إلا إبليس أبى واستكبر، وكان أول ما قام به التبرير عن فعلته الشنيعة بقوله ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف:١٢]!، فقام بالقياس بطريقة خاطئة تعارض المقصود أساسًا، فهو لم يمتثل لأمر الله -سبحانه وتعالى-، وقام بالقياس في وجود النص المانع له، وهو أمر الله -سبحانه وتعالى-! "وقد كذب إبليس أيضًا فوق هذا بقياسه وجهل! فإن مادة الطين فيها الخشوع والسكون والرزانة، ومنها تظهر بركات الأرض من الأشجار وأنواع النبات، على اختلاف أجناسه وأنواعه، وأما النار ففيها الخفة والطيش والإحراق، ثم نظر **لأصل المادة لا لأصل التشريف** الذي كرمه الله -سبحانه وتعالى- لآدم في خلقه ونفخ الروح فيه"[1]، لذلك يا أخي، **دعك** من الاستكبار فإنه

---

(١) منقول بتصرف | كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | الجزء الثامن | الآية ١٢ | الصفحة ٢٨٤ | مؤسسة الرسالة | بيروت

لا يغني عنك شيئًا، بل يردك إلى عذاب أليم، ودع عنك القياس التابع للهوى، فإن النص الصريح مانع لذلك، ودع عنك القياس من دون علم، فلا يصح قياس وأنت جاهل بالنصوص والأحكام والأوامر والنواهي، ولْتعلمْ أن الإنسان كريم مُكرم بفضل الله -سبحانه وتعالى-، وأول ما يسعى له كل من سار على خُطا إبليس -لعنه الله- هو التقليل من شأن الإنسان، وطبيعته، وأهميته، وحقوقه وواجباته، والغاية من خلقه، ومن أين أتى وإلى أين المصير! كل هذا حتى يمحو العزة والكرامة من النفس الإنسانية لتسهل السيطرة عليها وقيادتها قيادة حيوانية سهلة وبدون ممانعة، لذلك، فإن الإنسان إما أن يسمو بأفعاله حتى يصل عنان السماء، وإما أن يسقط ويهبط في دركات الجحيم متقربًا من إبليس وأعوانه -والعياذ بالله-، فاختر مكانك بعناية!

٤١٦. فلْتعلمْ أن من تمام نعم الله -سبحانه وتعالى- علينا نعمة الستر، فقد كرمنا الله -سبحانه وتعالى- بذلك، ومع تقدم الإنسان ظهرت الملابس وتنوعت أنواعها وطرق الستر حتى لا يظهر من هذا الإنسان ما يسوءه، وكانت أوامر الله -سبحانه وتعالى- توصي بذلك وتحث عليه، ولذلك كان من عقاب الله -سبحانه وتعالى- لأبينا آدم وأمنا حواء -عليهما السلام- أن ظهرت "سَوْآتِهِمَا" -العورة المغلظة- بعد أن منّ الله -سبحانه وتعالى- عليهم بالستر، جزاءً لهم على معصيته، ومن حياء أبينا آدم وأمنا حواء -عليهما السلام- وحرصهم على ستر عوراتهم سارعوا لوضع ورق الجنة على أجسادهم ليستروا ما ظهر من عوراتهم، وفي هذا الأمر إرشاد لنا من شناعة ما يوسوس به إبليس ونتيجته علينا، وتحذير يصل معناه وأثره للعقول النيرة، والنفوس الطيبة، وفي هذا فكل من يرغب بالعري والدعوة إليه جاهل ما زال عقله بدائيًا -وإن كان في علوم المادة ناجحًا-، وانصاع لإبليس ذليلًا، وكل من رغب بالستر والعفاف أو استنكر ذلك بقلبه ولم يدعُ إليه كان فيه من الخير والرقي ما

يقدمه على غيره من أهل العري، وهنا نستأنس بما رواه ابن عمر -رضي الله عنهما- " لَمْ يكُنْ رسولُ الله ﷺ يدَعُ هؤلاءِ الدَّعواتِ حينَ يُمسي وحينَ يُصبِحُ: (اللَّهمَّ إنِّي أسأَلُكَ العافيةَ في الدُّنيا والآخرةِ اللَّهمَّ إنِّي أسأَلُكَ العفوَ والعافيةَ في دِيني ودُنياي وأهلي ومالي اللَّهمَّ استُرْ عَوْراتي وآمِنْ رَوْعاتي اللَّهمَّ احفَظْني مِن بَيْنِ يدَيَّ ومِن خَلْفي وعن يميني وعن شِمالي ومِن فَوقي وأعوذُ بعظَمتِكَ أنْ أُغتالَ مِن تحتي)"(١)، لذلك، اسأل الله -سبحانه وتعالى- الستر دوما، فإنها والله لنعمة عظيمة جليلة، ولولا ستر الله -سبحانه وتعالى- علينا لما كنا نحيا كما نحيا الآن بهذه الطريقة، وبهذه الطمأنينة، ولْتعلمْ أيضًا أننا من بني آدم، وكلنا خطاء، ولكل منا عيوبه التي لا يرغب أن يعرفها أحد، لذلك فنحن موصون أيضًا بالستر على إخواننا، والإمساك عن ذكر ما يسوءهم، والإمساك عن تتبع عوراتهم، ولْتعلمْ أن المؤمن يستر إخوانه وينصح لهم، ولا يهتك أعراضهم ولا يفضحهم ولا يهددهم، وقد حث الرسول الكريم ﷺ على ذلك فقال: "لا يَسْتُرُ عبد عَبْدًا في الدُّنْيا، إلَّا سَتَرَهُ الله يَومَ القِيامَةِ."(٢)، ومن أسماء الله -سبحانه وتعالى- الستير، وهل أجمل من أن نتبع وأن نسير بما سمى الله -سبحانه وتعالى- نفسه؟!

ونذكر في هذا السياق أبيات جميلة للشافعي -رحمه الله-:

إذا رمت أن تحيا سليمًا من الردى ... ودينك موفور وعِرْضُكَ صَيِنّ

---

(١) الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح أبي داود الصفحة أو الرقم: ٥٠٧٤ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

(٢) الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٥٩٠ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

لسـانك لا تـذكر بـه عـورة امـرئ فكلـك عـورات وللنـاس ألسـن

وعينـاك إن أبـدت إليـك معايبًـا فـدعها وقـل يـا عـين للنـاس أعـين

وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى ودافـع ولكـن بـالتي هـي أحسـن

٤١٧. فلْتعلمْ يا أخي أننا بني آدم -عليه السلام-، إما أن نسير كما سار أبونا آدم وأمنا حواء -عليهما السلام- عندما عصيا رب العزة، فنُلحِق المعصية بالتوبة والندم على ما اقترفنا، ونقر بذنوبنا، ونسأل الله -سبحانه وتعالى- الرحمة، فيكون جزاؤنا -بإذن الله تعالى- كما كان جزاؤهما أن يتوب الله -سبحانه وتعالى- علينا، وإما أن نسير كما سار إبليس -والعياذ بالله-، على عناده وعصيانه، فتكون النتيجة الطرد من رحمة الله والوقوع في عذابه -والعياذ بالله-.

٤١٨. فلْتعلمْ أن جمال الباطن أعظم وأجل من جمال الظاهر، وأن لِباس التقوى أهم وأعظم من اللباس الحسي، والعمل على ارتداء الجمال للباطن والظاهر من دواعي الحسن التي أُمرنا بها، فتظهر نعم الله -سبحانه وتعالى- علينا، ونتجمل بها، فيزيد جمال الباطنُ جمال الظاهر، ولْتعلمْ أن سوء الباطن لا يُجمله أفضل اللباس وأرقى العطور، لأن نتانة الباطن أقوى من جمال الظاهر، ونستأنس هنا بحديث رسول الله ﷺ في صحيح مسلم: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس"[(١)]، وفي هذا الحديث من العبر الجليلة والعظيمة التي ظهرت ودعت للتجمل والجمال، دون الكبر والتكبر،

(١) الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٩١ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

وأظهرت أن لله -سبحانه وتعالى- الجمال المطلق، جمال الذات وجمال الصفات وجمال الأفعال، فمن يرد أن يزدد جمالًا عليه أن يُجمّل باطنه، فتنعكس على أفعاله فتتجمل، فيعامل الناس بخلق حسن، ويلبس اللباس الحسن، ويحافظ على رائحته زكية، ويحافظ على طهارته الحسية والبدنية والمعنوية، ويا لهذا الجمال!

٤١٩. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- عظيم جليل، لا يأمر بالفحشاء مطلقًا!، لذلك إن رأيت أي دعوة للفحش، فاعلم أنها من الشيطان وأوليائه، فتجنبها واستنكرها وحاربها ولا تصدقها، والله المستعان!

٤٢٠. فلْتعلمْ أننا أمرنا بالتزين عند الذهاب للمسجد، والتزين يشمل الطهارة المعنوية والحسية، فيشمل ذلك جمال اللباس وطيب الرائحة، ونستأنس هنا بحديث رسول الله ﷺ في صحيح البخاري: "مَن أكَلَ ثُومًا أوْ بَصَلًا فَلْيَعْتَزِلْنَا، أوْ لِيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا"[١].

٤٢١. فلْتعلمْ يا أخي أن لكل منا ما يميزه عن الآخر، ولكلٍ منا عبادة محببة لقلبه، وهمة وقدرة في هذه العبادة تفوق همته وقدرته في العبادات الأخرى، فتجد أحدهم يكثر الصيام، وآخر يكثر القيام، وآخر يكثر من قراءة القرآن، وآخر يكثر من التسبيح والتهليل إلى آخره، فإن علمت أو وجدت في نفسك قدرة وهمة ومحبة لعبادة ما، فباشر بها وقوِها ونمها، فإنها رزق من الله قد نالك، وفرصة أتتك، فاغتنمها، ودرّب نفسك عليها، وعلى القيام بغيرها من العبادات الأخرى بقدر ما تطيق نفسك، فلا تحملها فوق طاقتها، ولا تلزم نفسك ما لا تطيق فتمل، ولْتعلمْ أن تربية النفس

---

(١) الراوي: جابر بن عبد الله | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٥٤٥٢ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

على الطاعات تعطي همة تزداد مع الوقت، فاسأل الله -سبحانه وتعالى- ثباتًا على الهدى، وزيادة في الطاعة، وقل دومًا، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم آمين.

٤٢٢. فلْتعلمْ أن من كرم الله -سبحانه وتعالى- علينا ومن فضله ونعيمه أن نزع الغل من قلوب المؤمنين في الجنة، وجعل في قلوبهم المحبة والسرور، وجعلهم إخوانًا متحابين متصافين، لا يوجد بينهم تباغض ولا تحاسد -ولا تتواجد أسبابه-، فإن كل واحد منهم يرى أنه لا يوجد فوق ما هو فيه من النعيم، فسبحان من فجر الأنهار من تحت عبيده ورزقهم من الطيبات، وهداهم فأحسن هدايتهم وتفضل عليهم بذلك! فالحمد لله رب العالمين، ويا رب اجعلنا من أهل جناتك جنات النعيم.

٤٢٣. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- خلق السماوات والأرض في ستة أيام، ومع أن الله -سبحانه وتعالى- قادر على خلق هذا كله في لحظة، إلا أنه خلقهم في هذه المدة، وهنا يمكننا الاستئناس بمجموعة من المصالح التي يمكننا اقتباسها من هذه المدة، قال سعيد بن جبير -رحمه الله-: "كان الله - عز وجل - قادرًا على خلق السماوات والأرض في لمحة ولحظة، فخلقهن في ستة أيام تعليمًا لخلقه التثبت والتأني في الأمور"، وهذا فيه ما يعلمنا كيف نتأنى ونتثبت في أمورنا وأحوالنا وأعمالنا، وفيه تنبيهٌ لنا إلى أن الله -سبحانه وتعالى- قادر على خلقهن في لحظة، لكنه جعل لخلقهن أجل، وكذلك أمر العصاة، فإن عذابهم آت لا محالة -إلا إن تاب الله عليهم وهداهم-، لكن الله -سبحانه وتعالى- يمهلهم ولا يعاجلهم بالعذاب حتى يقضوا آجالهم المقدرة لهم بعلمه، لهذا تأنَ وتفكر وتوكل على الله -جل في علاه- قبل أن تنطلق وتنفذ ما تريد!

٤٢٤. فلْتعلمْ أن الإلحاح في الدعاء من الأمور المحمودة التي يحبها الله -سبحانه وتعالى- ويرضاها، والإلحاح في الدعاء هو وسيلة مشروعة للوصول إلى المراد، ومن جملة الأسباب التي يمكن أن يستعين بها الإنسان لقضاء حوائجه، وفي حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن الرسول ﷺ قال: "يُسْتَجابُ لأحَدِكُمْ ما لَمْ يَعْجَلْ، يقولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي."(١)، ويظهر في الحديث الشريف المداومة على الدعاء والإلحاح في ذلك من الوسائل والأسباب، وفيه أَدبٍ مِن آدابِ الدُّعاءِ: وهو أنْ يُلازِمَ العبدُ الطَّلَبَ في دُعائِه ولا يَيْئَسَ مِن الإجابةِ؛ لِمَا في ذلك مِن الانقِيادِ والاستِسلامِ وإظهارِ الافتِقارِ، وقال ابن الجوزي -رحمه الله-: "اعلم أن دعاء المؤمن لا يرد، غير أنه قد يكون الأولى له تأخير الإجابة، أو يعوض بما هو أولى له عاجلًا أو آجلًا، فينبغي للمؤمن ألا يترك الطلب من ربه، فإنه متعبد بالدعاء كما هو متعبد بالتسليم والتفويض"(٢)، وإياك يا أخي من الاعتداء في الدعاء، والاعتداء قد يكون برفع الصوت والصياح، أو طلب ما لا يحق لك أن تطلبه، ومن هذا مثلًا أن تطلب منازل الأنبياء أو تدعو في أمر محال، أو تعليق العبد الدعوة على المشيئة، فيقول اللهم اغفر لي إن شئت...وغيرها، ولْتعلمْ أن الدعاء يكون من قلب يرجو من الله -جل في علاه- الإجابة ويطمع فيها، ويخاف من رد الدعاء -والعياذ بالله-، فيكون القلب بين الخوف والطمع، في انسجام جميل يوحي للنفس بأن تأدبي، فأنت ذليلة أمام عظمة الله -سبحانه وتعالى-، محتاجة له، طالبة لهذا الأمر وأنت غير لاهية، بل مهتمة مخلصة في طلبها. والحمد لله رب العالمين.

---

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٣٤٠ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري | ابن حجر العسقلاني | الجزء الحادي عشر | كتاب الدعوات | قوله باب يستجاب الدعاء | الصفحة ١٤١ | المكتبة السلفية

٤٢٥. فلْتعلمْ يا أخي أن من جمال الوصف القرآني أنه يأخذك إلى ما يدركه عقلك ويبهر به، وواحدة من معاني الجمال والتفكر التدليل على البعث من خلال إخراج الزرع والثمار، فإن الله -سبحانه وتعالى- جعل من إحياء الأرض الميتة، دليل حسي على قدرته على إخراج من في القبور، فكما نشاهد قدرة الله -سبحانه وتعالى- على إنبات بذرة في أرض جدباء وغير جدباء، ساق لها سحابًا فسقاها، فأنبتت وأثمرت، فكذلك يبعث الله -سبحانه وتعالى- من مات ويخرجه من الأرض، ومن هذه المعاني أن الغيث وإن نزل في أراضي متنوعة، فإنه ليس من الضرورة أن تنبت هذه الأراضي جميعها نباتًا طيبًا مثمرًا، بل قد يكون نبات بعضها لا ينفع، أو قليل لا تتحقق به المنفعة، وكذلك أمر النفوس، فإن منها ما إن يصل كلام الله -سبحانه وتعالى- إليها إلا وقد أنبتت وأثمرت إيمانًا وعملًا طيبًا، وهناك نفوس أخرى لم تنبت حتى وإن وصلها الغيث وتيقنت به، فإن أنبتت هذه النفوس، أنبتت ما لا يفيد، بل أنبتت ما يضرها ولا ينفعها! فسبحان الله العظيم!

٤٢٦. فلْتعلمْ يا أخي أن رمي المصلحين بالضلال والسفاهة والكذب والاستهزاء بشخص ذي حق -وإن كان أكرم منهم، وأصدق، وأظهر وأعز-؛ جميعها أقوال قال بها المفسدون في الأرض لأهل الإصلاح في ردهم على ما بين أيديهم من الحق!، لذلك، إن كنت ممن اتُّهِمُوا بهذه الأوصاف -وأنت ممن تيقن الحق وسار به بقلب صادق نقي تقي- فلا يحزنك ذلك، وادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وألنْ جانبك في موضع اللين، واشتد في موضع الشدة، ولتكن حجتك وقولك الحق، وإياك والمداهنة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٤٢٧. من جملة ما يتعجب منه العاقل طلب الضعيف من القوي بأن ينزل به

العذاب للتحقق من صدق قوته، مع وضوح قوة خصمه وضعفه، بدلًا من أن يطلب منه حمايته وأن يريه قوته دون أن يتأذى ويتأكد من صحة قوته، ومثل هذا ما طلبته الأمم السابقة من رسلها بأن يأتيهم ما يوعدون من العذاب، وفوق هذا يستعجلونه والعياذ بالله!، ولو أنهم طلبوا خيرًا واستعجلوه بدلًا من استعجالهم الشر لكان خيرًا لهم، ونذكر قول الله -سبحانه وتعالى- في سورة الأنفال ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾، فكيف يقول هذا القول عاقل؟!، أمطر علينا حجارة! أو ائْتِنَا بعذاب أليم! -والعياذ بالله-، لكن سبحان الله العظيم، ضلوا ضلالًا كبيرًا فعميت قلوبهم وعقولهم -والعياذ بالله-، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٤٢٨. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- حرم عمل قوم لوط، وهو أن يضع الرجل شهوته في رجل آخر -والعياذ بالله-، وهذا الفعل من الفواحش الشنيعة الخبيثة، وهو من الكبائر، فأي قلوب مريضة هذه التي تنأى عما أحله الله -سبحانه وتعالى- في الميل للجنس الآخر وتحقيق المنفعة الجنسية من خلال الزواج، في آداب وضوابط حتى في جماع الرجل لزوجته، وترضى الأفعال الخبيثة لهؤلاء المرضى؟! أي مرض هذا وأي قرف يعيشون فيه؟! ولا حول ولا قوة إلا بالله!

٤٢٩. فلْتعلمْ يا أخي أن الدعوة للطهارة تشعل فتيل الغيظ في قلوب أهل الفاحشة، وعادة ما تكون دعواهم لمن تطهر أن قالوا ﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾، فقد تنزهوا عن فعل الفواحش ودعوا للطهارة، ومن هذا ما نراه في هذه الأيام من دول الكفر في محاربتها ومهاجمتها للمسلمين بدعوى الحرية التي تسمح لهم بفعل ما يريدون أمام الإسلام، ولا يسمح للمسلمين حتى برفض ما يخالف عقائدهم، بالإضافة إلى اعتقالات الأطفال والتحقيق معهم لرفضهم الرسوم

المسيئة أو الأقوال الدنيئة في حق خير البشر -عليه الصلاة والسلام-، ومنها النظر في سحب الإقامة وطرد كل مسلم يرفض هذه الإساءات وغيرها، كل هذا مما نراه ونشاهده الآن، وهذا أمر لا عجب فيه، فكانت هذه الطريقة طريقة أصحاب الفواحش والضلال على مر العصور والأزمان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٤٣٠. فلْتعلمْ يا أخي أن المُصلح مهما بلغ من درجة صلاحه وتقواه وهداه، فإن أقرب الناس إليه قد يكونون على غير دعواه وممشاه، وهذا لا يغير ولا يقلل من دور المُصلح ولا ينقص منه شيئًا، وفي عذاب زوجة نبي الله لوط -عليه السلام- وزوجة نبي الله نوح -عليه السلام- وابنه عبر عظيمة، فأنبياء الله -سبحانه وتعالى- من بعد طهارتهم وصلاحهم ودعوتهم الطيبة في الأرض لإصلاحها، كان من زوجاتهم وأبنائهم ممن حق عليهم العذاب!، لذلك، تذكر بأن كل نفس بما كسبت رهينة، ولا تزر وازرة وزر أخرى، وعلى هذا امضِ...

٤٣١. إياك يا أخي من أن تبخس الناس، والبخس هو ألا تعطي الحق كما يستحق، وهو يشمل النقص والعيب في كل شيء، فيكون البخس للمال، والعلم، والفضل، والحقوق إلى آخره، ومن الأمثلة على ذلك، من بخس المال أن تفتري عيوبًا على سلعة تنوي شراءها للتقليل من سعرها، ومن هذا أيضًا أن تبخس من سعر منزل، ترغب بشرائه وتقول "لا يساوي، وقيمته لا تزيد عن كذا.."، وأنت تعلم أنك إن اشتريته فإن السعر المذكور متحقق! فهذا من بخس المال، ومن بخس العلم أن يظن الجاهل بقدرته على الافتاء في علم من العلوم وهو جاهل فيه لا يحيط به ولا يحيط بأسراره، ومن بخس الفضل أن يسرق أحدهم مجهود شخص آخر ولا ينسب الفضل لصاحبه -كالكتب والمؤلفات، والأفكار وغيرها...-، ومن بخس الحقوق نكران فضل صاحب المعروف بسبب الخصومة، وغير ذلك من الأمثلة الكثيرة

كبخس حق الزوج لزوجته والزوجة لزوجها، وبخس حق الضعفاء واليتامى وغيرهم، لذلك اتقِ الله في أمرك!

٤٣٢. فلْتعلمْ أن البلاء في المال والصحة بلاء عظيم، فإن وقع في أمة فعليهم التوبة إلى الله -سبحانه وتعالى- والعودة إليه، والأخذ بالأسباب المنجية وهي: اتباع الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل الصالح والدعاء بقلب صادق، وإتقان الأعمال والاهتمام بالعلم ورفع مكانته وأهله، وتشجيع الصناعة والتجارة وتسهيل أمور الناس ونحو ذلك.

٤٣٣. فلْتعلمْ أن المرء منا يجب أن ينتقي بطانته بعناية، والبطانة هم خاصة المرء وأصحاب سره ومشورته، وكلما كان المرء مسئولًا أكثر، زادت أهمية البطانة لأهميتهم في نصح هذا الإنسان ودعمه وحثه على طريق الخير، وممانعته ومنعه من طريق الشر، وهنا نستأنس بحديث رسول الله ﷺ: "ما اسْتُخْلِفَ خَلِيفَةٌ إلَّا له بطانَتانِ: بطانَةٌ تَأْمُرُهُ بالخَيْرِ وتَحُضُّهُ عليه، وبِطانَةٌ تَأْمُرُهُ بالشَّرِّ وتَحُضُّهُ عليه، والمَعْصُومُ مَن عَصَمَ الله"(١).

٤٣٤. فلْتعلمْ يا أخي أن دعاوى أهل الفساد مستمرة متكررة عبر العصور، وأهم دعاواهم هي مقابلة الحق وأهله بتخويف الناس وترهيبهم بما يخشون فقدانه، فتارة يقولون يريد أن يخرجكم من أرضكم، وتارة يريد أن يظهر في الأرض الفساد، وتارة أخرى جاءوا يفتنوكم...، لذلك احذر من كل ظالم قال مثل هذا القول في وقت استبداده واليقين بظلمه، فهذا الظالم يسعى سعيه ليبقيك خانعًا ذليلًا لديه، يخاف من

---

(١) الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٦١١ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

الحق وأهله، لأنهم لن يرضوا بالظلم، ولن يرضوا بالهوان والخنوع، فإن كان لا طاقة لهم، حوربوا أيضًا لأنهم مصدر قلق وخوف للظالمين والفاسدين، فهم الشعلة التي قد تضيء في أي وقت، ومن الأمثلة على هذا ما فعله الفرنسيون -لعنهم الله- بإخواننا في **مذبحة كبكب** -هذا مثل حي على الخوف من بقاء أصحاب الحق وأقوالهم التي يدعون إليها-، وما تفعله القيادات الدكتاتورية والعسكرية في شعوبها -من قتل وسجن للمعارضين، وطمس للهوية، وتذليل للشعوب-، والكثير من الأمثلة التي لا تعد ولا تحصى، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٤٣٥. فلْتعلمْ أن في قصة السحرة الذين آمنوا بما جاء به سيدنا موسى -عليه السلام- من العبر الكثير، فهم جاءوا لأجل مصالحهم وليهزموا ما جاء به سيدنا موسى -عليه السلام- من الحق، لكنهم أصحاب علم بالسحر، لذلك آمنوا وانقادوا فورًا لما جاء به سيدنا موسى -عليه السلام- دون أدنى تردد، من بعد ما تبين لهم أن هذا هو الحق، ولم يخافوا من تهديد فرعون -لعنه الله- ووعيده رغم عظيم العذاب الذي توعدهم به، ولكي تستطيع نفوسهم تحمل ذلك، دعوا الله مخلصين ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦]، أي أفض علينا صبرًا عظيمًا يقوينا ويثبت فؤادنا من هذا الهول العظيم، الذي قد تميل النفس فيه للهروب وتجزع، ودعوا أن يتوفاهم الله مسلمين له، منقادين إليه، متبعين لرسوله، لهذا إن كنت من أصحاب العلم ورأيت الحق ظاهرًا بما عرض من العلم عليك وهو ضمن اختصاصك وعلمك، فانصع له دون تردد، وادعُ الله -سبحانه وتعالى- أن يثبتك ويقويك، وأن يتوفاك مسلمًا منقادًا للحق -اللهم آمين-، وفيها من العبر أن فرعون -لعنه الله- قال ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡ﴾، وفي هذا أنه من عظم استبداده -ومثله الظالمين في كل عصر وزمان- رأى أنه صاحب الحق حتى فيما يملك الناس

من أقوال وأبدان! ولا يحق لهم التصرف فيما لديهم من دون إذنه وقبل قوله! ويا له من كبر وظلم واستبداد، وفيها أن المستبد عندما يقع ولا يملك الحجة للدفاع عن مكانته وعرشه، يلجأ للبطش والتهديد والوعيد، ومن ثَم يبرر أفعاله الإجرامية بحجج واهية يتبعه فيها كل فاسد وظالم ومنتفع مثله، وكل جاهل وراغب بقرب ظالمه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٤٣٦. فلْتعلمْ أن أهل الباطل والضلال، وأصحاب الاستبداد يبحثون دومًا عن مبررات لاستبدادهم وضلالهم، وأكثر المبررات التي يعتمدون عليها هي المبررات التي تمس عقائد الناس، ومن خلال أكثر الصور رمزية لهم، فتجدهم يتوددون لكل ضعيف النفس، ولكل رخيص تستهويه الدنيا، فيبحثون عن فُتيا رخيصة هنا أو هناك، ويسعون لإخراج النصوص عن معناها، حتى يتمكن لهم الفساد والإفساد بقوة السلاح والترهيب تارة، وبغطاء عقدي منتزع ممن باعوا أنفسهم ودينهم بثمن بخس تارة أخرى، ويصبح أهل الحق وأصحابه بعدها إما في السجون، وإما في القبور! وتختلف هذه الرواية باختلاف قوة الحق والباطل، فالتباين هنا يغير مجرى الرواية، ومن القصص على هذا أن بني إسرائيل بعد أن جاوزوا البحر -بفضل الله سبحانه وتعالى-، وبعد أن رأوا من المعجزات ما يوجب اليقين بقدرة الله -سبحانه وتعالى-، مروا على قوم يعبدون الأصنام، فقالوا لنبي الله موسى -عليه السلام- اجعل لنا آلهة -أصنامًا- كما لهم!! طلبت نفوسهم ممن معه الحق أن يرخص لهم في الباطل، أن يتنازل قليلًا عما أمرهم به، أن يبدل من أقواله، لكن حاشا لنبي الله -سبحانه وتعالى- موسى -عليه السلام- من الخروج أو الحياد عن أمر الله، وحاشاه من المداهنة والتنازل عن الحق، وهنا انتهى بني إسرائيل عما طلبوه، **ومن الأمثلة في عصرنا الحالي دكتاتورية وتملق أهل الباطل وسطوتهم على البلاد والعباد،**

فانقلبوا على إرادة الشعوب، وسجنوا العلماء، وأظهروا الجهال والفساق، وأعطوهم من جزيل العطايا، والبسوا بعض رخاص النفوس العمائم، وأصبحوا يتحدثون باسم الدين، مجاريين لهذا الظالم المستبد!، يقول عبدالعزيز الطريفي -رحمه الله-: "وأخطر ما تكون الأفكار المنحرفة والمفاهيم المغلوطة والعقائد الفاسدة **إذا تبنتها ودعت إليها سياسة دولة**؛ فلحَمَلَة الأفكار ومكانتهم الاجتماعية أثرٌ يصرف العقول عن توازنها في استيعاب الصحيح والخطأ كما هو، فالسلاطين والملوك وأهل الجاه لهم هيبة في نفوس العامة تضّعف معها القلوب، فتأتيها تلك الأفكار وهي ضعيفة فتستقر، ولذا يقول عمر رضي الله عنه: إن الله لَيَزَع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن. ولأقوالهم ولأفكارهم هيبة تكسر حصون العقل المحكّمة وأبوابه، وتنفُذ إليه، وجميع هذه الأقوال والأفكار تزول وتتلاشى بموتهم، ما لم يخلفهم مثلهم. **وكثير من الحكام لقوة تأثيرهم في كثير من النفوس يكتفون بإقرار ما يريدون من الأفكار والأفعال بمدح الموافق ورفعه حتى يتبعه غيره ليكون مثل منزلته**، من غير تهديد أو وعيد، ويروى عن علي رضي الله عنه: ازجر المسيء بثواب المحسن. **وهكذا ترسم خريطة الأفكار في الأذهان وتباع الأقوال وتشترى الأفكار بلا عقود**"[١]، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٤٣٧. من الجميل يا أخي أن يجدد المرء فينا إيمانه بين الحين والآخر، ويكون هذا التجديد من خلال التوبة إلى الله -سبحانه وتعالى- عما يعلم المرء وعما لا يعلم، وهذا يقوي الهمة للقيام بعبادة جديدة، والهمة للقيام بعمل صالح غير مسبوق، ومن خلال إيقاد الهمة في أعمال الخير التي اعتدت عليها، وتجديد الشوق

---

(١) كتاب العقلية الليبرالية في رصف العقل ووصف النقل | عبدالعزيز الطريفي | الصفحة ٢٧ | الطبعة الأولى | دار الحجاز | الإسكندرية

لله -سبحانه وتعالى-، فكل هذا مما يُحي القلوب بإذن الله تعالى، فيا رب اجعلنا ممن أحييتهم على الإيمان، وأمتهم على الإيمان، بفضلك ورحمتك علينا يا منان.

٤٣٨. فلْتعلمْ يا أخي أن رحمة الله -سبحانه وتعالى- وسعت كل شيء، فوسعت هذا العالم بكل ما فيه، وسعت المؤمن والكافر، والصالح والفاجر، والصغير والكبير، والذكر والأنثى، هذه الرحمة شملت كل ما نحيا فيه من النعيم والفضل، لكن هناك رحمة لا تكون إلا للمؤمنين، وهي الرحمة التي تقتضي السعادة في الآخرة، فلا تكون إلا لمن اتقى الله -سبحانه وتعالى-، وآتى الزكاة، وآمن بكل ما جاء به الرسول الكريم محمد ﷺ، ولْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- يصيب بعذابه من يشاء من خلقه، ممن تعدى وعصى وكان شقيًا، فاللهم اجعلنا ممن نالتهم رحمتك، وعفوت عنهم بعفوك، يا أرحم الراحمين يا الله.

٤٣٩. فلْتعلمْ أن الرسول ﷺ هو آخر الرسل، فلا رسول بعده ولا نبي، ورسالته للبشر عامة، منذ بعثه وحتى قيام الساعة، هذا الرسول الكريم -عليه أفضل الصلاة والتسليم- كان النور الذي أرسله الله -سبحانه وتعالى- إلينا على هذه الأرض لإخراجنا من عبادة العباد، إلى عبادة رب العباد، جميع من على هذه الأرض، أسود أو أبيض، وعربي أو أعجمي، وذكر أو أنثى، لهم الحق جميعًا في الدخول والانتساب لهذا الدين العظيم، لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، وأكرمنا عند الله أتقانا.

٤٤٠. إياك يا أخي والتحايل على أحكام الله -سبحانه وتعالى- وأوامره، فما أحله الله هو الحلال، وما حرمه هو الحرام، وإياك من محاولة الالتفاف على الأحكام الشرعية كما فعل أصحاب السبت، فكانت قصتهم أنهم ابتلوا بسبب فسقهم، فكانت

حيتانهم لا تأتي إلا يوم السبت، ويوم السبت حُرم عليهم الصيد، فقامت فئة منهم بالتحايل على الأمر، فأصبحوا يرمون شباكهم قبل السبت، ولا يخرجونها إلا يوم الأحد!، فكان احتيالهم وعنادهم واستكبارهم سببًا موجبًا لعقوبة شديدة عليهم، فقال رب العزة في سورة الأعراف: ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾، وفي هذه القصة ظهرت ثلاثة أطياف من الناس، الأول: هم أصحاب السبت، الذين قاموا بالتحايل ورضوا به، والثاني: هم من أنكروا فعل أصحاب السبت وكرهوه، وثالثهم: من أنكر فعل أصحاب السبت وقاموا يأمرونهم بالمعروف، فكان خير صنف منهم الصنف الثالث، الذين أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وعندما حاجهم الصنف الثاني بأن قالوا ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الأعراف:١٦٤]، ردوا عليهم ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١٦٤]، أي أننا أمرناهم بالمعروف وذكرناهم لعلهم يتعظون فيتقون، فيتركون ما هم به من المعصية، ونكون بهذا عذرنا فيهم، وأقمنا عليهم الحجة...، لذلك، عليك يا أخي أن تقدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حياتك، فتبقى حريصًا على نفسك من أن تقع في الخنوع والضلال والرضا بالحرام، ولتكن ذا همة في إنقاذ نفسك وغيرك وشحذ الهمم، لاتباع أوامر الله -سبحانه وتعالى-، فإن لم تستطع فأنكر المنكر ما استطعت، وكن من الطيف الثاني وإياك أن تهبط لتكون مثل أصحاب السبت، فتعاونهم أو تؤيدهم أو تعمل بعملهم، والله المستعان.

٤٤١. إياك يا أخي من الرشوة، والرشوة هي: كل ما يُعطى لقضاء مصلحة، أو إحقاق للباطل أو إبطال للحق، وهي من كبائر الذنوب، وأشد أنواع الرشاوي هي تلك التي تكون في دين الله، مثل العالم أو القاضي العارف لكتاب الله وأحكامه، فيقوم لأجل مال فانٍ بالفتوى والحكم بغير وجه حق، فيقلب الحق باطلًا، ويقلب

الباطل حقًا، وأشد من ذلك من يقول سيغفر الله لي تأولًا على الله -سبحانه وتعالى- دون أن يشرع بالتوبة وأن يعقد العزم عليها وأن يمتنع عن فعلها مجددًا وأن يعيد الحق لأصحابه، بل على نقيض ذلك، كلما جاءه من المال لفتوى أو حكم جديد، أعاد الكرة وقال نفس القول -والعياذ بالله-، وحكم تحريم الرشوة يشترك فيه الراشي والمرتشي والوسيط بينهما إن وجد (الرائش)، ونستأنس هنا بحديث عبد الله بن عَمرٍو عن رسول الله ﷺ: "قال: لعَنَ رسولُ الله ﷺ الرَّاشيَ والمُرتَشيَ."[1]، وفي أحكام الرشوة تفصيل فقهي في حق من دفعها ليصل إلى حقه الممنوع منه، يمكن الرجوع إلى هذا التفصيل عند أهل الاختصاص، نسأل الله -سبحانه وتعالى- العفو والعافية من هذا الأمر، فلا نبتلى بذنوبنا فنفعل هذا الأمر الشنيع، أو نبتلى بظالم فنضطر لهذا -والعياذ بالله-، والله المستعان.

٤٤٢. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- لا يضيع أجر المصلحين، فليطمئن قلبك، واحمد الله -سبحانه وتعالى- على ذلك، وقل واعمل وتمسك بكل ما يجعلك من المصلحين.

٤٤٣. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- له الأسماء الحسنى، هذه الأسماء تُظهر عظيم جلال رب العزة، وسعة أوصافه، والحسنى هو الوصف الخاص بالأسماء، فهي تشير إلى كمال الصفة لهذه الأسماء، فلا يوجد في أسماء الله الحسنى أي نقص، فعندما نقول العليم فإنك تدرك أن هذا العلم شامل محيط لكل شيء، والقدير اسم دال على قدرة الله -سبحانه وتعالى- التي لا يحدها شيء، وبذلك

---

(١) الراوي: عبد الله بن عمرو | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترمذي الصفحة أو الرقم: ١٣٣٧ | خلاصة حكم المحدث: صحيح | وفي رواية أخرى الراوي: أبو هريرة | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي الصفحة أو الرقم: ١٣٣٦ | خلاصة حكم المحدث: حسن غريب

يمكنك التقرب إلى الله -سبحانه وتعالى- ودعوته بأي من هذه الأسماء، فكلها لله -عز وجل-، فنقول مثلًا "اللهم اغفر لنا وارحمنا، يا غفور يا رحيم" أو نقول "يا رحمن يا رحيم" أو نقول "يا رب أجب دعاءنا، إنك على كل شيء قدير" وهكذا، فسبحان العظيم الذي ليس كمثله شيء، ألهمنا وعلمنا من أسمائه وصفاته ما شاء لنا أن نعلم ونتعلم، فجعلها قريبة لنفوسنا، محببة لقلوبنا، ننطق بها في لهفة لمناجاة الرحمن الرحيم، ونستأنس هنا بما روي عن أبي هريرة -رضي الله عنه-: "أَنَّ رَسولَ الله ﷺ قالَ: إنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةً إلَّا واحِدًا، مَن أحْصاها دَخَلَ الجَنَّةَ."(١)، ففي هذا الحديث الشريف نجد الحث على معرفة أسماء الله الحسنى، وحفظها في الصدور، والعمل بمقتضاها، فنعمل بكل اسم هو لله -سبحانه وتعالى-، فإن علمت أن من أسمائه العليم فسوف تهتم بالتعلم وكسب كل علم مفيد، وإن علمت أن من أسمائه الرحيم، فتتعلم الرحمة وتعامل الناس بها، وإن علمت أن من أسمائه القوي فتأخذ بأسباب القوة النافعة لك ولغيرك من المسلمين، وكل اسم هو لله -سبحانه وتعالى- هو اسم يتعبد به، ويتقرب إليه به، وفي هذه الأسماء تمام كمال الله -سبحانه وتعالى- وعلوه عن هذه الدنيا بما فيها، ونستأنس أيضًا بهذا الحديث الشريف عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- عن الرسول ﷺ قال: "ما أصابَ أحدًا قطُّ همٌّ ولا حَزنٌ فقال: (اللَّهمَّ إنِّي عَبدُك، وابنُ عبدِك، وابنُ أمتِك، ناصِيَتي بيدِكَ، ماضٍ فيَّ حكمُكَ، عدْلٌ فيَّ قضاؤكَ، أسألُكَ بكلِّ اسمٍ هوَ لكَ سمَّيتَ بهِ نفسَكَ، أو أنزلْتَه في كتابِكَ، أو علَّمتَه أحدًا من خلقِك، أو استأثرتَ بهِ في علمِ الغيبِ عندَكَ، أن تجعلَ القُرآنَ ربيعَ قلبي، ونورَ صَدري، وجَلاءَ حَزَني، وذَهابَ هَمِّي)، إلَّا أذهبَ الله عز وجل همَّهُ، وأبدلَه مكانَ حَزنِه فرحًا. قالوا: يا رسولَ الله ! يَنبغي لنا أَن

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٢٧٣٦ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

نتعلَّمَ هؤلاءِ الكلماتِ؟ قال: أجَلْ ! ينبغي لمَن سمِعَهنَّ أن يتَعلمَهنَّ."[١] وهنا ننوه إلى أن القول الراجح لأهل العلم أن أسماء الله -سبحانه وتعالى- غير محصورة بتسعة وتسعين اسمًا، فالرقم المذكور في الحديث الأول ليس على سبيل الحصر -والله أعلم-، فيا إخواني، ادعوا بأسماء الله -سبحانه وتعالى-، وسلوه من فضله، والحمد لله رب العالمين.

٤٤٤. فلْتعلمْ أن قيام الساعة آت لا محالة، لكن وقتها غير معلوم، فهي من العلوم التي استأثر الله -سبحانه وتعالى- بها عن خلقه، فلا يعلمها إلا العليم الحكيم ولا أحد سواه، حتى الأنبياء الكرام لم يعلموا بموعد قيام الساعة، لكننا نعلم يقينًا أن الساعة لا تأتي إلا بغتة، وفيها دلالة مهمة، وهي أن المهم بالنسبة لنا هو كيف نعمل ونستعد للقاء الله -سبحانه وتعالى-، وليس المهم متى نلقاه، بل المهم على أي حال سنكون حينها، فموعد قيام الساعة، وساعة الموت، وكل ما أخفي عنا، هو لحكمة يعلمها الحكيم العليم، وهو الخير لنا بلا شك، لذلك، اسأل دومًا عن كل ما يفيدك ويعزز إيمانك، ولا تلتفت لكل ما لا يفيد ولا ينفع، ولْتعلمْ أن الغيب سُمي غيبًا لأنه يغيب عنك فلا تعلمه، وهو مما يثقل على النفوس إن تفكرت به، وهو مما لا نطالب بعلمه.

٤٤٥. فلْتعلمْ أن نبينا الحبيب، محمد ﷺ كان نذيرًا وبشيرًا، لم يملك أن يجلب لنفسه الخير، أو يبعد عنه الشر، إلا بمشيئة الله -سبحانه وتعالى-، ولم يكن يعلم الغيب، وإنما علمه في الغيب من الله -سبحانه وتعالى- ومما أطلعه عليه، وفي هذا قال الرسول ﷺ لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء،

---

(١) الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترغيب الصفحة أو الرقم: ١٨٢٢ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

لعلمه -عليه الصلاة والسلام- بوقوع الضرر قبل حصوله فيستعد له، كادخار الطعام قبل القحط ونحو ذلك، وفي هذا رسالة مهمة لنا، بأن علم الغيب لا يعلمه أحد إلا من أطلعه الله -سبحانه وتعالى- على شيء منه، ومنه نعلم أن خير البشر -عليه الصلاة والسلام- لم يكن يعلم الغيب، فكيف بمن يدعي هذا من بعده وهو أدنى منزلة وقدرًا من خير البشر؟!، ومنها أن الرسول ﷺ لم يكن قادرًا على جلب النفع له، أو إبعاد الضر عنه، فكيف يقصد بعض الناس الرسول بالدعاء من دون الله -سبحانه وتعالى- وهو لم يكن قادرًا على نفع نفسه أو إبعاد الضرر عنه إلا بإرادة الله؟!، لهذا اجعل هذه الأركان في قلبك، لا يعلم الغيب إلا الله، والإنسان لا يملك أن يجلب الخير لنفسه أو أن يدفع الضر عن نفسه إلا بمشيئة الله -سبحانه وتعالى- وبما ساقه من أقدار وأسباب إليه، وأن الدعاء يكون لله -سبحانه وتعالى- ولا يشرك أحد غيره فيه، والحمد لله رب العالمين.

٤٤٦. فلْتعلمْ يا أخي أن النعم التي تستوجب الحمد والشكر كثيرة لا حصر لها، واحدة من هذه النعم، أن يرزقك الله -سبحانه وتعالى- الذرية الصالحة في خَلقها وخُلقها، وعلى المرأة إذا حملت وثقل حملها -أي كلما اقتربت من الولادة- أن تدعو الله -سبحانه وتعالى- هي وزوجها بأن يرزقهما الله -سبحانه وتعالى- الولد ذا الخلقة التامة المعافاة، التي لا نقص فيها ولا مرض، وعليهما شكر الله -سبحانه وتعالى- وحمده على هذه النعمة العظيمة الجليلة، ولْتعلمْ أن اسم المولود يجب أن يكون حسنًا لا إشراك فيه، فلا يسمي أحدنا ابنه مثلا بعبد شمس، عبد الحارث، عبد النبي وغيرها، فهو مما حرم علينا، بل عليك أن تختار الاسم الطيب لابنك فتسميه به، وابتعد عن كل ما قبح من الأسماء فهو مكروه باتفاق الأئمة الأربعة، ونستأنس هنا بما روي عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: "أنَّ

رَسولَ الله ﷺ غَيَّرَ اسْمَ عَاصِيَةَ وَقالَ: أَنْتِ جَمِيلَةُ."[١]، رزقنا الله وإياكم الذرية الصالحة النقية التقية المعافاة في دينها ودنياها، بفضله ورحمته ومنه علينا، والحمد لله رب العالمين.

٤٤٧. فلْتعلمْ يا أخي أن من تمام الأخلاق أن تصل من قطعك، وأن تعفو عمن ظلمك وأذنب، وأن ترفق بإخوانك المسلمين، وأن تشكر كل من قابلك بمعروف أو إحسان، ولا تكلف غيرك بما لا يطيق، وأن تغض الطرف عن النقص والتقصير الذي يصدر من الناس من غير قصد، وألا تتكبر على الصغير أو الكبير، وألا تزدري أحدًا لا ناقص العقل ولا المريض، وأن تصل الأرحام وتغض البصر، وأن تعامل الناس بوجه حسن، وبابتسامة طيبة، ولتكن ممن يحث الناس على الخير والعلم والخصال الحميدة، وإن نصحت فكن ناصحًا أمينًا، وعليك أن تتعلم العلم النافع، وأن تعمل به، وأن تُعرض عن أهل الظلم، وأن تتنزه عن منازعة السفهاء حسبما تقتضي المصلحة والضرورة، وعليك إن استطعمك أحدهم أو استسقاك أن تطعمه وتسقيه، وألا تكون بذيء القول سبابًا، ونستأنس هنا بحديث رسول الله ﷺ فيما روي عن سليم بن جابر -رضي الله عنه- قال: "انتهَيْتُ إلى النَّبيِّ ﷺ وهو مُحتَبٍ في بُردةٍ له وإنَّ هُدْبَها لعلى قدمَيْه فقُلْتُ: يا رسولَ الله أوصِني قال: (عليك باتِّقاءِ الله ولا تحقِرَنَّ مِن المعروفِ شيئًا، ولو أنْ تُفرِغَ مِن دَلوِك في إناءِ المُستقي، وتُكلِّمَ أخاك ووجهُك إليه منبسِطٌ، وإيَّاك وإسبالَ الإزارِ فإنَّها مِن المَخِيلةِ، ولا يُحِبُّها اللهُ، وإنِ امرؤٌ عيَّرك بشيءٍ يعلَمُه فيك فلا تُعيِّره بشيءٍ تعلَمُه منه دَعْه يكونُ وبالُه عليه

---

(١) الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢١٣٩ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

وأجرُه لك ولا تسُبَّنَّ شيئًا) قال: فما سبَبْتُ بعدَه دابَّةً ولا إنسانًا"[١]، فسبحان الله العظيم، الذي جعل لنا الدين أسلوب حياة ومنهاج، نسعد بما فيه، ويحبنا الله -سبحانه وتعالى- إن كنا أهل لذلك!، ويجعل هذا الحب في خلقه، فيا رب اجعلنا ممن أحببت، وممن قلت فيهم في الحديث الشريف عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن الرسول ﷺ قال: "إِذَا أَحَبَّ الله العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إنَّ الله يُحِبُّ فُلَانًا فأحْبِبْهُ، فيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فيُنَادِي جِبْرِيلُ في أهْلِ السَّمَاءِ: إنَّ الله يُحِبُّ فُلَانًا فأحِبُّوهُ، فيُحِبُّهُ أهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ له القَبُولُ في الأرْضِ."[٢]، فنسألك اللهم حبك، وحب من أحبك، ونعوذ بك من بغضك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٤٤٨. فلْتعلمْ يا أخي أننا نقوى بما وهبنا الله -سبحانه وتعالى-، وبما علمنا من علمه، لذلك، إن شعرت بوسوسة الشيطان لك، مثبطًا لك عن الخير، أو حاثًا لك على الوقوع في الشر، فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم، فأنت تلتجئ إلى الله وتعتصم به -سبحانه وتعالى- منه، فالله -سبحانه وتعالى- أعلم بضعفنا، وأعلم بنياتنا، ونحن نستجير به من وسوسة الشيطان وأهله، وعليك أن تعلم أن أدنى الوسوسة وأقلها يُستعاذ منها كما يُستعاذ من غيرها، ولْتعلمْ أن **الغضب** المذموم مما يستعاذ به من الشيطان الرجيم، ونستأنس هنا بحديث رسول الله ﷺ عن سليمان بن صرد -رضي الله عنه- قال: "كُنْتُ جَالِسًا مع النبيِّ ﷺ ورَجُلَانِ يَسْتَبَّانِ، فأحَدُهُما احْمَرَّ وجْهُهُ، وانْتَفَخَتْ أوْدَاجُهُ، فَقالَ النبيُّ ﷺ: إنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لو قالَهَا ذَهَبَ عنْه ما يَجِدُ،

---

(١) الراوي: سليم بن جابر الهجيمي | المحدث: شعيب الأرناؤوط | المصدر: تخريج صحيح ابن حبان الصفحة أو الرقم: ٥٢١ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

(٢) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٣٢٠٩ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

لو قالَ: أعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، ذَهَبَ عنْه ما يَجِدُ فَقالوا له: إنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: تَعَوَّذْ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَقالَ: وهلْ بي جُنُونٌ."(١)، لذلك، هذّب نفسك وعلمها ألا تغضب غضبًا مذمومًا، فإن غضبت فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم، ولْتعلمْ أن هناك غضب محمود مثاب صاحبه، وهو الغضب إذا اُنتهكت حرمات الله -سبحانه وتعالى-، ونستأنس هنا بحديث رسول الله ﷺ فيما روي عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: "ما ضَرَبَ رَسولُ الله ﷺ شيئًا قَطُّ بيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إلَّا أَنْ يُجَاهِدَ في سَبيلِ اللهِ، وَما نِيلَ منه شيءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِن صَاحِبِهِ، إلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شيءٌ مِن مَحَارِمِ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عز وجل."(٢)، فكان حبيبنا رسول الله -عليه أفضل الصلاة والسلام- يعفو ويصفح في حق نفسه، يغضب في حق الله -سبحانه وتعالى- فيقيم حدود الله -سبحانه وتعالى-، ومن الغضب لله -سبحانه وتعالى- أن تنكر المنكر الذي تراه إن قدرت على ذلك، وفي هذا حديث رسول الله ﷺ عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: "مَن رَأَى مِنكُم مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيَدِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلكَ أضْعَفُ الإيمانِ."(٣)،فإن كان له قدرة وسلطة فذلك بيده، فإن لم يكن قادرًا على ذلك، كان لسانه الحل، في الوعظ والإرشاد والإنكار، فإن لم يستطع ذلك فبقلبه، فينكر هذا الفعل في قلبه ويجزم لو أنه قدر على إزالة هذا المنكر لفعل، لذلك يا أخي إن غضبت فاغضب لله -سبحانه وتعالى-، فإن

---

(١) الراوي: سليمان بن صرد | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٣٢٨٢ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٣٢٨ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٣) الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٤٩ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

لـم يكـن هـذا الغضـب لله -سـبحانه وتعـالى-، فاسـتعذ بـالله منـه، ولا تعـد إليـه مـا استطعت، واستغفر الله -سـبحانه وتعـالى- علـى مـا أذنبـت وفيمـا وقـع منـك عنـد غضبك، أو عند ضعفك واتباعك لوسوسة الشيطان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٤٤٩. يا أخي، إن سمعت كتاب الله -سبحانه وتعالى- يُتلى، ورغبت بأن تكون ممن تنالهم رحمة الله -سبحانه وتعالى- بإذنه، فاستمع وأنصت، فتنصت بترك كل ما يشغلك عن سماعه، وتسمع بقلبك قبل أذنك، أي تتدبر الآيات التي تصل إليك وتتفكر بها، وهذا فيه من الخير الكثير والحمد لله، ففيه تجديد الإيمان، وفيه من العلم والهدى ما فيه، وفي هذا الإنصات والاستماع قال تعالى: ﴿فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، وقد قال جمهور العلماء أن الاستماع للقرآن والإنصات إليه خارج الصلاة مندوب ومستحب، والحمد لله رب العالمين.

٤٥٠. يا أخي، علّم نفسك وعود لسانك على الإكثار من الأذكار والدعاء، خصوصًا آناء الليل وأطراف النهار، بقلب متواضع خاشع لله -سبحانه وتعالى-، وأجمل اللحظات هي تلك التي تجد نفسك فيها تذكر الله -سبحانه وتعالى- عند شرود ذهنك بدلًا من أن تجده يردد قبيح القول أو عديم نفعه.

٤٥١. فلْتعلمْ يا أخي أن الغنائم التي تكتسب في المعارك أمام الكافرين الحكم فيها لله -سبحانه وتعالى- ورسوله، وتقسيم ذلك هو ما أمر الله -سبحانه وتعالى- به، ولا يحق لأحد الاعتراض على أوامر الله -سبحانه وتعالى-، فقسمته هي القسمة العادلة التي تحقق المصلحة للأمة والفرد بقدر ما تقتضيه المصلحة التي قدرها الله -سبحانه وتعالى- وعلمها بعلمه، وفي هذا نزل قوله -سبحانه وتعالى- في سورة الأنفال: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ

وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾، ويمكن الرجوع للكتب الفقهية للاستزادة.

٤٥٢. فلْتعلمْ يا أخي أن الخيرة دائمًا فيما اختاره الله -سبحانه وتعالى- لنا ورضاه، فقد نحب أمرًا ويقدر الله -سبحانه وتعالى- لنا أمرًا، فما قدره الله -سبحانه وتعالى- وقضاه هو الخير، فعندما خرج الحبيب المصطفى ﷺ مع الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم- يوم بدر، أحب الناس وقتها أن يظفروا بعير قريش -قافلة قريش-، لكن الله -سبحانه وتعالى- أحب لهم أن يظفروا بالنفير -وهو قتال قريش-، فكان نصر الله -سبحانه وتعالى- لهم في بدر أعظم نفعًا وأجزل ثوابًا من هذه القافلة وكل القوافل، فبعد هذه المعركة أظهر الله -سبحانه وتعالى- الحق على الباطل، ونصر المؤمنين فيها نصرًا عظيمًا، وخسر المشركين فيها خسارة عظيمة، فسبحان الله العظيم، عالم الغيب، الحكيم العليم!

٤٥٣. فلْتعلمْ يا أخي أن النصر من عند الله -سبحانه وتعالى-، فلا غالب لأمر الله -سبحانه وتعالى-، ولْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- حكيم قدر الأمور بأسبابها، ووضع الأشياء في مواضعها، لذلك خذ بأسباب النصر، وأسباب النصر كثيرة أهمها التوكل على الله -سبحانه وتعالى- والاستعانة به واليقين بأن النصر من عنده لا من عند غيره، وأن النصر قد يكون للأقل عددًا وعدة إن أراد الله ذلك!، وكذلك من أسباب النصر الأخذ بأسباب القوة والمنعة كالعلم، والصناعة بكافة أنواعها ومن ضمنها الأسلحة، والاهتمام بالقوة البشرية من جميع الجوانب، البدنية والعقلية والنفسية ونحو ذلك، فكلها من أسباب النصر، ولْتعلمْ أن العاقل لا يفرط

بسلاحه ومصدر قوته مهما حصل، فإن كنت ضعيفًا أو قويًا، فلا ترمِ سلاحك، ولا تتنازل عن مصدر قوتك، ومن الأمثلة على هذا ما حصل لإخواننا المسلمين في البوسنة والهرسك بعد ما قامت صربيا بأشنع المذابح بحقهم -سربرنيتشا أنموذجًا-، وفي سكوت وصمت من العالم، وبعد أن حصل إخواننا في البوسنة على بعض السلاح بعد كل المذابح التي وقعت بحقهم، وبعد أن بدأوا بالدفاع عن أنفسهم، تحرك العالم!، هل تعلم لماذا؟، لأنهم أصبحوا قادرين على صد عدوان الصرب، وقتلوا الكثير من المعتدين، ونكلوا بهم، فطالبوا بإرسال قوات حماية دولية -مهزلة أخرى ومطرقة بيد أصحابها- واتفقوا على نزع السلاح من إخواننا في البوسنة؟!، تخيل؟!، نزع السلاح من الذي يدافع عن نفسه، لا من المعتدي الغاشم خلال سنين طوال من المذابح التي ارتكبها!، ولحظة البؤس التي كانت على إخواننا البوسنين هي تلك اللحظة التي وافقوا فيها على ترك سلاحهم، وما حصل بعدها من إجرام وتنكيل وقتل واعتداء واغتصاب كفيل بأن يهز القلوب والعقول، وكفيل بأن يعطي دروسًا عظيمة لكل صاحب حق، وصاحب قضية، والقصص من هذا النوع كثيرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٤٥٤. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- يؤيد المؤمنين بالنصر بفضله ورحمته، متى أراد ذلك وقدره، ومن سبل التأييد أن يجعل الظروف مناسبة لأهل الإيمان، كما أنزل الله -سبحانه وتعالى- الطمأنينة والسكينة على المؤمنين في غزوة بدر، يغشاهم النعاس بفضله، وأنزل عليهم الماء حتى شربوا وشبعوا واطمأنوا بما رزقهم الله -سبحانه وتعالى-، ولْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- يقوي عباده المؤمنين ويرزقهم الثبات بفضله وبما تقتضيه حكمته، ويلقي في قلوب الذين كفروا

الرعب، فيهابوكم ويخافوكم، ولْتعلمْ أن مواضع الشدة كالحروب تلزمها الشدة والغلظة، فإن ضربت فأوجع، فإن الملامة واحدة، وفي قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾، دليل قوة وعزة، وموقع شدة وغلظة، ولِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ، ولْتعلمْ أن من القوة والشدة أن تقف أمام الأعداء فلا تهرب أو تفر بعد أن تلتقي الخصوم إلا أن يكون ذلك من أساليب الحرب والخدعة أو التمكين أو بعد انهزام متحقق لا نصر فيه، وقد توعد الله من فر دون عذر أشد الوعيد، وسيناله غضب الله -والعياذ بالله-، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ونستأنس هنا بحديث الرسول ﷺ "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقاتِ، قالوا: يا رَسولَ الله وما هُنَّ؟ قالَ: الشِّرْكُ بالله، والسِّحْرُ، وقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ الله إلَّا بالحَقِّ، وأَكْلُ الرِّبا، وأَكْلُ مالِ اليَتِيمِ، **والتَّوَلِّي يَومَ الزَّحْفِ**، وقَذْفُ المُحْصَناتِ المُؤْمِناتِ الغافِلات"[١].

٤٥٥. فلْتعلمْ أن الأموال والأولاد نعمة عظيمة من نعم الله -سبحانه وتعالى-، وهي من الاختبارات والامتحانات لكل من يحصل على هذه النعمة أيضًا، فكما في هذه النعم من جمال ومتعة ومنفعة وقوة، فإنها اختبار من الله -سبحانه وتعالى-، أفتؤدي حقها فتحفظها أم تسرف فيها فتكون في خسران وندامة؟!، وأهذه النعم وسيلة لطاعة الله -سبحانه وتعالى- والتقرب إليه، أم أنها وسيلة للانشغال عن طاعة الله -سبحانه وتعالى- والبعد عن عنه، أو الرضوخ للشهوات والمعاصي؟، ولْتعلمْ أن حفظ نعمة الأولاد يكون من خلال تربيتهم التربية الإيمانية، وحثهم على أفعال الخير، ونهيهم عن أفعال الشر، وتسميتهم الاسم الحسن، واختيار الأم

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٢٧٦٦ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

الصالحة لهم، وتأمين التزاماتهم من الطعام والشراب ضمن قدرتك دون إسراف أو إقتار ونحو ذلك، ومع أن المال والأولاد من أحب ما قد يكون للإنسان، فيجب أن يأتيا بعد حب الله -سبحانه وتعالى- ورسوله ﷺ، ونستأنس هنا بما روي عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- عن رسول الله ﷺ قال: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حتَّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْهِ مِن والِدِهِ ووَلَدِهِ والنَّاسِ أجْمَعِينَ."(١)، وهذا مما يلزم طاعة الله -سبحانه وتعالى- ورسوله -عليه الصلاة والسلام- قبل طاعة البشر وقبل الانقياد لمشاغل الحياة.

٤٥٦. فلْتعلمْ أن المؤمن إن اتقى الله -سبحانه وتعالى- باتباع أوامره واجتناب نواهيه، وترك الشبهات مخافة الوقوع في المحرمات، وملأ قلبه بالنية الصالحة الخالصة لله -سبحانه وتعالى-، وأظهر العمل الطيب على جوارحه نتيجة لما بطن في قلبه النقي، واجتنب الشرك وما يوصل إليه، وعف عن الركون إلى الحياة الدنيا، حصل له أربعة أشياء أسمى من هذه الدنيا وما فيها، الأول كما ورد في سورة الأنفال ﴿يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ وهو العلم والهدى الذي يفرق به صاحبه بين الهدى والضلال، والحق والباطل، والحلال والحرام، والثاني: ﴿وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾، والثالث: ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾، والرابع: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ أي الأجر العظيم والثواب الجزيل لمن اتقاه وآثر رضاه على هوى نفسه، فيا رب اجعلنا من المتقين، اللهم آمين.

٤٥٧. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- تحدى صناديد العرب وشعرائهم بأن يأتوا بسورة واحدة كالتي جاءت في القرآن، فعجزوا وخابوا فانقلبوا خاسئين، فما كان

---

(١) الراوي: أنس بن مالك | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ١٥ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

منهم، إلا أن كذبوا وازدادوا عنادًا وكفرًا، فقالوا ﴿لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ﴾، لكنه قول بلا عمل، وإلا لو أمكن لهم هذا لقالوا حتى يبطلوا دعوته!، ومع أن التحدي بقي مفتوحًا إلى قيام الساعة، إلا أن أحدًا لم يستطع أن يأتي بسورة كما في القرآن بعد ١٤٠٠ عام، ولن يستطيع أحد أن يقوم بذلك!، فسبحان الله الذي أعجز عبيده في بيانه.

٤٥٨. فلْتعلمْ أن الاستغفار هو طلب المغفرة من الله -سبحانه وتعالى-، ويكون هذا بعد الطاعة، وبعد المعصية، وفي كل حال، فإننا نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يغفر لنا ذنوبنا وتقصيرنا وإسرافنا في أمرنا على أي حال، وفي كل وقت، وكان خير البشر، سيدنا محمد ﷺ يكثر من الاستغفار، وهنا نستأنس بما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- أن الرسول ﷺ قال: "والله إنِّي لَأَسْتَغْفِرُ الله وأَتُوبُ إلَيْهِ في اليَومِ أكْثَرَ مِن سَبْعِينَ مَرَّةً."[(١)]، وهو خير البشر، فكيف يكون حال من هو أدنى منه وأقل منزلة؟!، ونذكر قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ٣٣﴾، حيث ذكر ابن كثير في تفسيره عن ابن عباس -رضي الله عنه- قال: "كان فيهم أمانان: النبي ﷺ والاستغفار، فذهب النبي ﷺ وبقي الاستغفار"[(٢)]، فاستغفر الله العظيم وأتوب إليه عن كل ما علمته وما لم أعلمه، ما ذكرته وما لم أذكره، ما فعلته وما لم أفعله، استغفر الله العظيم وأتوب إليه.

---

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٣٠٧ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ٨٣٦ | تفسير سورة الأنفال | الآية ٣٣ | دار ابن حزم | بيروت

٤٥٩. فلْتعلمْ أن من أسباب القوة أن تتوحد القلوب قبل أن تتحد الأجساد، ولْتعلمْ أن الفرقة والتشتت من أسباب الهزيمة والخذلان وضياع الشأن، ونستأنس هنا بحديث رسول الله ﷺ: "إنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا. وشَبَّكَ أصَابِعَهُ."(١)، وأكثر ما يفعله أعداؤنا بنا الآن هو تطبيق سياسة "فرق تسد".

٤٦٠. فلْتعلمْ أن المنافقين والشاكين -من هم دون المنافقين، الذين لم يستقر الإيمان في قلوبهم- في نصر الله -سبحانه وتعالى- لعباده: قالوا ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡ﴾، أي أنهم اغتروا بدينهم بعد أن كانوا مستضعفين هُجِّروا من ديارهم وأهليهم -هذا في غزوة بدر-، يظنون الآن أن النصر والغلبة لهم برغم قلة عددهم وكثرة عدوهم، إلا أن الله -سبحانه وتعالى- جعل النصر للمؤمنين، فثبت الإيمان في قلوبهم، وزاد الإيمان ودواعيه في قلوب المسلمين، وهذه السنة تكررت وتتكرر طوال القرون الماضية، فكم من فئة قليلة هزمت فئة كثيرة بإذن الله! ونستأنس هنا بما روي عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنه- عن رسول الله ﷺ قال: "يا غُلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ، احفَظِ الله يحفَظْكَ، احفَظِ الله تجده تجاهَكَ، إذا سأَلْتَ فاسأَلِ الله، وإذا استعَنتَ فاستَعِن بالله، واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ الله لَكَ، وإن اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ الله عليكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ"(٢)، فلمَ الخوف؟!، اللهم يا مقلب القلوب، ثبت قلوبنا على دينك، واشدد عزائمنا، إنك أنت العزيز الحكيم.

---

(١) الراوي: أبو موسى الأشعري | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٤٨١ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي الصفحة أو الرقم: ٢٥١٦ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

٤٦١. فلْتعلمْ أن الكفاح والمقاومة هما أسلوب العظماء في الحياة أثناء الاحتلال، وأن كل من خنع حينها وأيد المحتل، أُلقي في قُمامة التاريخ، وبغض النظر عن النتيجة التي آلت إليها تلك المقاومة، إلا أنها بلا أدنى شك، كانت هي الخير، وهي المصلحة العليا، وهي القلب الصادق، وما دونها كان هباء منثورًا، هؤلاء العظماء كانت لديهم مزية مهمة جدًا، وهي في أنهم لم يسقطوا ضحايا لخداع المحتل، مهما تنوعت أساليبه ومكره، ولم يرضوا بالذل والهوان، ولم يرضوا بأن يدنسوا أيديهم بدماء إخوانهم، ولم يرضوا بالمال والجاه لأنفسهم، بينما إخوانهم وأرضهم ودينهم يُحارب من هذا المحتل، والقصص كثيرة متنوعة نذكر منها ومضات وشخصيات عظيمة في عصرنا هذا، منها قصة شيخ المجاهدين عمر المختار -رحمه الله-، فقد حارب الجيش الإيطالي لعشرين عامًا حقق فيها انتصارات عظيمة، رغم قلة العدد والعدة، فتخيل أن فئة قليلة هزمت جيش من أقوى الجيوش حينها، وصمدوا صمودًا عظيمًا، حتى كان شيخ المجاهدين ومن معه أشباحًا مخيفة في عقول أعدائهم، حتى شاء الله -سبحانه وتعالى- أن يُأسر شيخ المجاهدين **عمر المختار** ويُعدم، وذلك **عز الدين القسام** ينكل بالجيش البريطاني في فلسطين ويحث الناس على جهاد المحتل وطرده، كما حذر من الخطر الصهيوني عليهم، وذلك **محمد كُريم** في الإسكندرية يواجه جيش نابليون ولم يرضَ بالاستسلام رغم المعركة الغير متكافئة بين الطرفين، وذلكم شيوخ الأزهر الشرفاء لم يخضعوا ولم يقعوا في فخ نابليون الذي نصبه لهم، ولم يعلنوه ولي أمر على المصريين، وأعلنوا العصيان في القاهرة واستجاب الناس لذلك، حتى ظهر ذلك القط القبيح على حقيقته فالقى القنابل فوق رءوسهم وارتكب مجزرة شنيعة في حق المدنيين، والعاقل من يدرك أسباب العزة، ويذر أسباب الذل والهوان.

٤٦٢. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- لم يكن ليغير نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم -من نعم الدين والدنيا-، بل إن الله -سبحانه وتعالى- يزيد الشاكرين من نعيمه وعطائه، لكن، إذا تغير ما في النفوس، وانقلب الحال من الطاعة إلى المعصية، فإن الله -سبحانه وتعالى- يسلبهم النعمة لما وقع منهم، لذلك داوم على الطاعات، واجتنب المحرمات، واستغفر لذنبك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٤٦٣. فلْتعلمْ يا أخي أن الكفر والخيانة إن اجتمعا لأحد دل ذلك على أن هذا الشخص من شرار الخلق على هذه الأرض، فالخير معدوم منهم، والشر متوقع منهم، وإن كنت في حرب معهم أو قتال، فنكّل بهم، واجعلهم عبرة لغيرهم، ليزدجر بهم كل من أراد أن يحذو حذوهم، واحذر من عهودهم ومواثيقهم، وابقَ متأهبًا، ولْتعلمْ أن العهد والميثاق الذي بينك وبينهم لا يجوز خيانته، فإن ظهر لديك قرائن تدل على الخيانة، فهنا يلزمك إعلامهم بنبذ العهد والميثاق، وأما إن ظهرت خيانتهم فلا يلزم إعلامهم بل يلزم تأديبهم، ولْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- لا يحب الخائنين، ونحن لا ننتصر بالخيانة، بل ننتصر بتوفيق الله -سبحانه وتعالى- لنا، ويمكن الرجوع للكتب الفقهية للاستزادة في تفصيلات المواثيق والعهود.

٤٦٤. فلْتعلمْ أننا أمرنا أن نعد العدة في كل ما نقدر عليه من القوة العقلية والبدنية، وكل ما يعين على القتال من صنع السلاح واستخدامه والتدرب عليه، ومن تجهيز وصناعة أقوى وأشد أنواع الرُكب التي يمكن أن تستعمل في المعركة كالطائرات والدبابات -وكلما تطور العلم وأتى بالجديد الأقوى، تغيرت الأمثلة وبقيت علتها- وغيرها من الأسلحة التي ترهب أي معتدٍ يستعد للمواجهة، وآخرين من بعدهم نحن لم نعلمهم، ولكن الله -سبحانه وتعالى- يعلمهم، وهنا نستأنس

بحديث رسول الله ﷺ فيما روي عن عقبة بن عامر -رضي الله عنه- قال: "سَمِعْتُ رَسولَ الله ﷺ وَهو علَى المِنْبَرِ يقولُ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾، أَلَا إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ."(١)، وما رواه عبد الله بن عبد الرحمن عن رسول الله ﷺ قال: "إنَّ الله لَيُدخِلُ بالسَّهْمِ الواحِدِ ثلاثةً الجنةَ صانِعَهُ يحتسِبُ في صنعتِهِ الخيْرَ والرَّامِيَ به والمُمِدَّ به وقالَ ارْمُوا وارْكبُوا ولَأَنْ تَرمُوا أَحَبُّ إِليَّ من أنْ تَرْكَبُوا، كُلَّ ما يَلهُو به الرجلُ المسلِمُ باطِلٌ إلا رَمْيَهُ بِقوسِهِ وتَأْدِيبِهِ فَرَسَهُ ومُلاعَبَتِهِ أهلَهُ فإِنَّهُنَّ من الحقِّ"(٢)، وفي هذه الأحاديث حكم عظيمة، ودروس بليغة، ففيها الحث على تعلم الرماية لأهميتها العظيمة عند المعارك، فكل ضربة تصل إلى العدو هي ضربة موجعة قاسمة، وكل ضربة تضيع منك، فيها نجاة للعدو وضربة مرتدة منه تصيبك أو تصيب إخوتك، وفيها من الحث على صناعة السلاح وإتقانه، وجعل الأجر العظيم في ذلك، وفيها من الحث على استغلال الوقت فيما هو مفيد، فلا يضيع الواحد منا وقته بلهو غير مفيد، فإن أمكنه تحقيق اللهو في ممارسة الرماية وتقوية مهارته بها فعليه بذلك، وإن أمكنه التدرب على قيادة ما تيسر له من الركب فعليه بذلك -لأهميتها في أرض المعركة-، وإن أمكنه مداعبة وملاعبة زوجته فعليه ذلك -لأهمية ذلك في توطيد العلاقة بين الزوجين، وبذر بذور الحب والألفة، ولعل الله -سبحانه وتعالى- يجعل من أصلابهم من يحمل الراية بعدهم، يعبدون الله سبحانه وتعالى مخلصين له الدين، ولو كره الكافرون-، لذلك اسعَ إلى كل ما هو

---

(١) الراوي: عقبة بن عامر | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ١٩١٧ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) الراوي: عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي الصفحة أو الرقم: ١٦٣٧ | خلاصة حكم المحدث: حسن صحيح

مفيد، مما يشد عضدك، ويقوي قلبك، ويرمي بذور الشجاعة وتقدير النفس في صدرك، ولْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- كاف عباده المؤمنين وناصرهم على من عاداهم إذا أتوا بأسباب الإيمان، ولْتعلمْ أن علماء الدين ومن ولي أمر المسلمين هم أولى الناس على حث المسلمين على الجهاد في سبيل الله -سبحانه وتعالى-، وتقوية عزائمهم، وتبيان أثر الشجاعة وزرعها في نفوسهم، ونزع الجبن من صدورهم، وبهذا تنسجم جميع الأطياف، بعقولها وقلوبها وأبدانها مثل الجسد سليم العقل، قوي البنيان، مشرق الوجه، شديد العزم، والحمد لله رب العالمين.

٤٦٥. فلْتعلمْ أن نصرة إخواننا المسلمين وحمايتهم وحفظهم وكفايتهم عند لجوئهم من دواعي الإيمان، فلا يأمن أحد منا في مضجعه وأخوه خائف، ولا شبعان وأخوه جائع، ولْتعلمْ أن هذه الأرض كلها لله -سبحانه وتعالى-، والرزق بيد الله -سبحانه وتعالى-، ومشاركة المآسي والصعاب مع إخواننا في وقت الحزن أمر لا بد منه، ولا فضل لمن استقبل على من أُستقبل، فهذا نعيم الله -سبحانه وتعالى-، وهذه أرضه!، وخير مثال على ذلك، المهاجرين والأنصار، وحتى يتم هذا الأمر، يجب أن ننتزع من نفوسنا الغل والعنصرية إلى الأرض أو القبيلة أو القومية أو ما شابه ذلك، وأن ننتزع من نفوسنا الأنانية والحيوانية التي تقتضي سعادتي مقابل تعاسة غيري! وعيشي مقابل موت غيري! فإن نزعتها فازرع مكانها الإسلام، فتنمو بذور الأخوة والإيثار في قلوب الطيبين والصادقين والرحماء، والحمد لله رب العالمين.

٤٦٦. فلْتعلمْ يا أخي أن إجارة المستجيرين من الأمور التي أباحها الإسلام، والإجارة هي أن تُأمن من استجارك وتحميه حتى يبلغ مأمنه، والإجارة لا ينبغي فيها الاعتداء -كعادات أهل الجاهلية-، وتكون النصرة فيها كما روى أنس بن مالك

-رضي الله عنه- عن الرسول ﷺ قال: "انْصُرْ أخاكَ ظالِمًا أوْ مَظْلُومًا فقالَ رَجُلٌ: يا رَسولَ الله، أنْصُرُهُ إذا كانَ مَظْلُومًا، أفَرَأَيْتَ إذا كانَ ظالِمًا كيفَ أنْصُرُهُ؟ قالَ: تَحْجُزُهُ، أوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فإنَّ ذلكَ نَصْرُهُ."(١)، ويمكن الرجوع للكتب الفقهية ولأهل الاختصاص للمزيد حول أحكام الإجارة.

٤٦٧. فلْتعلمْ يا أخي أن أكثر أهل الشرك والكفر إن ظفروا بالمسلمين لا يظهرون الرحمة فيهم، ولا يحفظون عهدًا، فلا تغرنك معاملتهم لك وقت ضعفهم، فإنهم يقولون بأفواههم ما يرضيك، ويبيتون في قلوبهم ما لا يرضيك، لذلك ابقَ دائمًا حذرًا متأهبًا لهم، وفطنًا لما يجري من أفعالهم، والله المستعان.

٤٦٨. فلْتعلمْ أن الطعن في الدين بالإساءة له ووصفه بكل ما لا يليق أو الاستخفاف بالدين أو ما جاء به، أو سب النبي ﷺ، كلها من أعمال الكفر الصريح، وعامة أهل العلم على أن من سب الرسول الكريم -عليه أفضل الصلاة والتسليم- يُقتل، واختلفوا في حكم من تاب أيعصم دمه أم لا، وفي حكم من طعن في الدين، أو في الرسول الكريم ﷺ تفصيل كثير يرجع فيه لأهل الاختصاص والكتب الفقهية.

٤٦٩. فلْتعلمْ يا أخي أن عمارة المساجد هي من الطاعات والعبادات العظيمة، وتكون عمارة المساجد ببنائها والمساهمة في ذلك، وفي صيانتها وترميمها، وفي القيام بالصلاة في المسجد والمحافظة عليها، كل ما سبق مما تعمر به المساجد، فإن فعل هذا أحد منا، وكان مؤمنًا بالله واليوم الآخر ومقيمًا للصلاة، ومؤتيًا للزكاة، ولا يخشى إلا الله، فإن ذلك من دلائل الإيمان، وله ثواب عظيم بإذن الله، ونستدل

---

(١) الراوي: أنس بن مالك | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٩٥٢ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

هنا بقوله تعالى في سورة التوبة: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾، ونستأنس هنا بما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- عن الرسول ﷺ قال: "مَن غَدَا إلى المَسْجِدِ ورَاحَ، أعَدَّ الله له نُزُلَهُ مِنَ الجَنَّةِ كُلَّما غَدَا أوْ رَاحَ"[١].

٤٧٠. فلْتعلمْ أن الإيمان بالله - سبحانه وتعالى- والجهاد في سبيله أعظم درجة من عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج، وفي هذا قال سبحانه وتعالى في سورة التوبة: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾، فكيف إن كان من يقوم بهذا العمل لأجل مصلحة دينيوية أو باعتبارها وسيلة دخل سياحية أو ما شابه ذلك؟!، وكيف هو حاله إن ادعى عمل ذلك وتفريغ نفسه لخدمة الحرم، وهو يحارب المسلمين أو يساند من يحاربهم ويثير الفتن بينهم؟!، ومع هذا فإن اجتمع الإيمان والعمارة للبيت الحرام كانت العمارة من الأعمال الصالحة بفضل الله -سبحانه وتعالى-، لكنها لا ترقى لأن تكون في منزلة المجاهد في سبيل الله -سبحانه وتعالى- بنفسه وماله، وبشر -سبحانه وتعالى- هؤلاء المجاهدين المؤمنين بأن قال لهم في كتابه العزيز -سورة التوبة-: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾، فاللهم اجعلنا منهم برحمتك وعزتك يا أرحم الأرحمين.

٤٧١. فلْتعلمْ يا أخي أن محبة الله -سبحانه وتعالى- ورسوله، والإيمان بما أنزله الله -سبحانه وتعالى- والقيام بما أمرنا به أهم من قرابة الدم، فلا نكفر ولا

---

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٦٢ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

نرتكب المعاصي والذنوب ولا نفسد في الأرض اتباعًا لأب أو أخ أو أهل أو عشيرة...ونحو ذلك، لأن الإيمان بالله سبحانه وتعالى أعظم من قرابة الدم بين الأب وابنه، والأخ وأخيه، والرجل وعشيرته.. -إن دعوا إلى الفساد أو المعاصي والذنوب أو الكفر-، مع التأكيد على أهمية الإحسان إلى الوالدين ومصاحبتهما في الدنيا بالمعروف، والدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- بالحكمة والموعظة الحسنة.

٤٧٢. إياك يا أخي والغرور، والغرور هو أن ينخدع المرء بنفسه، فينظر لنفسه نظرة الرضا والإعجاب، ويعطي لنفسه شعورًا خادعًا بالأهمية والمكانة، وحب الذات بالقدر الذي لا يليق، والغرور قد يصنف لعدة أنواع أو درجات، نذكر منها غرور العصاة من المسلمين، فإن كثيرًا من العصاة تجده يقول إن الله -سبحانه وتعالى- رحيم، وإننا نرجو رحمته ونخشى عذابه، وإننا نظن بالله -سبحانه وتعالى- الخير، لكنه في ذات الوقت لا يعمل لينال هذه الرحمة، وتعلق بالأماني فقط؟!، وأخذ بظاهر النص -وإن كان صحيحًا- وترك ما وراؤه، ونسي باقي النصوص التي توضح الحكم وتبينه، ونستأنس هنا بما روي عن شداد بن أوس -رضي الله عنه- عن الرسول ﷺ قال: "الكيِّسُ من دان نفسَهُ وعمِلَ لما بعدَ الموتِ والعاجزُ من أتبعَ نفسَهُ هواها وتمنَّى على الله الأمانيَّ"[١]، قال تعالى في سورة فاطر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٥ ﴾، أي فلا تغرنكم الحياة الدنيا بما ترونه من لذاتها فتنشغلوا بها وتنسوا الآخرة، ولا يغرنكم بالله -سبحانه وتعالى- الشيطان -وهو الْغَرُورُ-، وذكر القرطبي في تفسيره قول سعيد بن جبير:

(١) الراوي: شداد بن أوس | المحدث: الألباني | المصدر: تحقيق رياض الصالحين الصفحة أو الرقم: ٦٧ | خلاصة حكم المحدث: إسناده ضعيف

"والغرور بالله أن يكون الإنسان يعمل بالمعاصي ثم يتمنى على الله المغفرة"[١]، وهذا من وساوس الشيطان، فإياك أن تغتر بما لديك من إيمان أو مال أو جاه أو زوجة أو أولاد ونحو ذلك، فكلها هبة من الله -سبحانه وتعالى- إليك، فإن لم تحفظها وتشكر الله -سبحانه وتعالى- عليها، كانت نقمة عليك، وقد كان يقال لنا أثناء ممارستنا للرياضة وقبل النزالات الرسمية، إياكم والغرور، فإن الغرور مقبرة الرياضي، ولْتعلمْ أن تقدير النفس ووضعها في مكانها هو المطلوب، ولا يكون هذا غرورًا، وتقدير النفس هو "إعطاء النفس حقها، ووضعها في مكانتها دون إفراط أو تفريط، وتقويتها، وتدبيرها وقياسها والحكم عليها (أو محاسبتها وجردها وتقييمها)، وتبليغها غايتها، فيكون المعنى أن أعرف نفسي، وأن أعلم مواطن ضعفها وقوتها، وأن أقيمها بصدق، وأن أعطيها حقها، وألا أزكيها بجهل، وألا أقسو عليها بظلم، وألا آمنها دون حذر، وألا أهجرها دون توجيه، وألا أقصر في تزويدها بما يقويها ويبلغها ما خلقت لأجله وما يسعدها"[٢]، وإن سألت كيف يمكن التخلص من الغرور إن وجد، فيمكننا القول بأن الإجابة فيما ذكر أعلاه من معنى تقدير النفس، فإن شعرت في نفسك غرورًا لعمل صالح تقوم به، فتذكر أن هذا العمل لله -سبحانه وتعالى- وأن عملك هذا قد يكون مقبولًا وقد يكون مرفوضًا -والعياذ بالله-، وتذكر العذاب الشديد، وتذكر النعيم المقيم، فتقع نفسك بين الخوف من العذاب فتتهذب، وتتمنى النعيم المقيم فتعلم تقصيرك، كما يمكنك إن رأيت في نفسك غرورًا في جانب، أن

(١) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ١٧ | الصفحة ٣٤٦ | تفسير سورة فاطر | الآية ٥ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) مما ذكره الدكتور عبد الرحمن ذاكر الهاشمي -رحمه الله- في تفريقه بين الثقة بالنفس وتقدير النفس | تم نسخ النص بتصرف من صفحة فن الحياة للدكتور عبد الرحمن ذاكر

تعلمها وتذكرها بنقصها في جانب آخر، وأن تعلمها أن ما تغتر به من المال -على سبيل المثال- قد يكون لا شيء لمن هو أغنى منك، بمعنى آخر تذكر عجزك عن التمام والكمال فيما اغتررت به، وادعُ الله -سبحانه وتعالى- مخلصًا أن ينجيك من أمراض القلوب، وهنا يمكننا أن نقول ما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- وقلوبنا مطمئنة "إنَّ الله جلَّ وعلا يقولُ: أنا عندَ ظنِّ عبدي بي إنْ ظنَّ خيرًا فله وإنْ ظنَّ شرًّا فله"(١)، والحمد لله رب العالمين.

٤٧٣. فلْتعلمْ أن كثرة المسلمين لا تعني النصر! فالنصر من عند الله -سبحانه وتعالى-، وخير مثال على هذا يوم حنين، كان المسلمين أكثر من المشركين، فقال بعضهم "لن نُغلب اليوم من قلة"، وفي أول المعركة انهزموا ولم تغنِ عنهم كثرتهم من أمر الله -سبحانه وتعالى- شيئًا، وثبت الرسول ﷺ ومعه حوالي المئة، ثم أنزل الله -سبحانه وتعالى- نصره على المسلمين، فعاد المسلمون ووثبوا وثبة رجل واحد، وتحقق لهم النصر بإذن الله، لذلك لا تغتر بأعداد المسلمين اليوم، فإننا لا ننصر بكثرة أو قلة، ولا بعدة أو عتاد، بل ننصر بنصر الله -سبحانه وتعالى-، فيما نقدمه من أسباب الإيمان، وأسباب الاستعداد، وهذه القوة البشرية للمسلمين قوة عظيمة منيعة ومصدر عز للإسلام إن وقر الإيمان في قلوبهم، وسِيقَ من يَقُودهم، وهي نقمة إن كنا كغثاء السيل، وهذا يقودنا إلى نقطة أخرى مهمة حول قضية العدد، بين الكثرة والقلة!، وهي أن الحق أولى بالاتباع!، فلا يغرنك أن كثير من الناس انتهجوا أو ساروا في طريق ما، دون أن تمحص أحق هو أم لا!، ولا يغرنك قلة الناس من عدم

---

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان الصفحة أو الرقم: ٦٣٩ | خلاصة حكم المحدث: أخرجه في صحيحه

الانصياع للحق!، فكثير من الناس من يتبع الأقوى أو الأغنى أو ما اشتهر لإشباع رغباته أو لنيل مصلحة ما، أو كسلًا عن البحث عن الحق وجهلًا به، أو حتى خجلًا من الشعور "بالنبذ" وهربًا منه، وكذلك قد يكون الأقل هم الفئة الشاذة التي تحاول تعكير صفاء الكثرة...إلى آخره من الاحتمالات التي تنفي عبرة الكثرة والقلة مجردة من الحق!، وقد حذرنا الله -سبحانه وتعالى- من اتخاذ الكثرة وسيلة للاتباع دون الحق!، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ ﴾، وقال -سبحانه-: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾، وقال -سبحانه-: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ ، لذلك، **فكثرة الفاعلين للشر لا يُصيره خيرًا، وكذلك عدم اتباع الناس للحق أو ترك بعض أجزائه لا يجعل من الحق باطلًا!، لذلك، فالكثرة والقلة ليست عبرة لمعرفة الصواب والخطأ، بل العبرة بالحق الذي يُتبع!، وهذا يقودنا لخاطرة لطيفة، وهي أن أي مشروع دعوي لا يقاس بعدد الأتباع والمتبوعين!، بل يقاس بالحق الذي فيه، ولا تقاس كفاءة الأتباع والمتبوعين فقط بالانضمام أو بالتعداد المجرد، بل تقاس بمقدار تبصر الأتباع والمتبوعين في الحق الذي هم عليه!**، والله المستعان.

٤٧٤. فلْتعلمْ يا أخي أن الجِزية هي المال الذي يكون جزاء لترك المسلمين قتال الكفار أو المشركين، وإقامتهم آمنين على أنفسهم وأموالهم، بين أظهر المسلمين، تُؤخذ منهم كل عام، وكلٌّ على حسب حاله، وهذا من أحكام الله -سبحانه وتعالى-، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾، ومتى

التزموا بدفع الجزية وجب علينا حمايتهم، ورعايتهم، ومعاملتهم بالعدل والرفق والرحمة، وقد روي عن النبي ﷺ: "ألا من ظلَم مُعاهَدًا أو انتقصَه، أو كلَّفه فوقَ طاقتِه، أو أخذ منه شيئًا بغيرِ طيبِ نفسٍ؛ فأنا حجيجُه يومَ القيامةِ"(١)، ومن هذا كله، نعلم أن الجزيةُ هي ضريبة مالية من أموال غير المسلمين المستظِلّين براية الإسلام ليُسهموا في ميزانية الدولة التي تحميهم في أنفسِهم وأموالهم وأعراضهم فهي في مقابل ما يؤخذ من المسلم، فالمسلم يُؤخَذ منه الزكاة والعديد من الكفارات! ومع هذا كله، تنفق الجزية في المصالح العامة، وعلى فقراء أهل الذمة أيضا، ويمكن الرجوع للكتب الفقهية للاطلاع على الأحكام العظيمة للجزية، ومعناها وأقوال الأئمة والمفسرين.

٤٧٥. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- لعن الذين قالوا عزيرٌ ابن الله، ولعن الذين قالوا المسيحُ -عليه السلام- ابن الله، فقال تعالى ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾، وكانت هذه الأقوال العظيمة مما يهيج المؤمنين الذين يغارون لربهم ولدينه على قتال من قال مثل هذه الأقوال، لكننا نرى الآن في زماننا هذا -للأسف- من أبناء المسلمين من يحتفل بأعياد النصارى -مثلًا- ويهنئونهم وهم يحتفلون بميلاد ثالث ثالثة -حسب زعمهم-؟!، وكان فيما مضى يغار المسلم لربه ودينه إن قيل مثل هذا، وبدلًا أن يأخذ المسلم بيد أخيه أو صاحبه من أهل الكفر ويهديه للإسلام ويدله عليه، أصبح بعضهم يأخذ بيد أهل الكفر ويشجعهم على كفرهم؟!، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٤٧٦. فلْتعلمْ أننا مهما أعجبنا ورأينا من فضل وصلاح علمائنا وشيوخنا، فإن هذا لا يعني أن نعظمهم أو نغلو فيما هم فيه من فضل وصلاح، ومن هذا الغلو أن

---

(١) الراوي: بعض أصحاب النبي ﷺ | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترغيب الصفحة أو الرقم: ٣٠٠٦ | خلاصة حكم المحدث: حسن

تعظم قبورهم أو أن تتبرك بهم الناس أو ما شابه ذلك، بل علينا أن نحترمهم ونجلهم بالقدر الذي يستحقونه، دون إفراط في ذلك حتى لا نعين الشيطان عليهم في لحظة ضعف قد تصيب قلوبهم، ومن دون تفريط في حفظ حقهم ومكانتهم، كما أنه ينبغي لنا أن ننظر فيما يقال بحذر ممن يتصدرون الإعلام وما يبثونه، فإن رأيت أن هناك من حرّم حلالًا أحله الله، أو أحل حرامًا حرمه الله، فاحذره، فإنك إن اتبعته ضللت وأضللت -والعياذ بالله-، والله المستعان.

٤٧٧. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- متم نوره ولو كره الكافرون، والحق الذي أنزله ظاهر على غيره، فكل من حاول تكذيب ما أنزله الله -سبحانه وتعالى- من حجج دامغة، وبراهين قاطعة، فشل وسقط!، لأن الله سبحانه وتعالى حفظ كتابه العزيز من كل تحريف وتبديل، فهو مصدر الهدى، وقد أرسل رسول الهدى ليظهر دين الإسلام على سائر الأديان الوضعية، فيظهر كذبها وضلالها، ويدمغ الحق الباطل فيزهقه، والحمد لله رب العالمين.

٤٧٨. إياك يا أخي من كنز المال أو الذهب، أو الفضة، أو النقد...ونحو ذلك، وكنز المال هو أن تجمع المال دون أن تؤدي حقه -ما وجب عليك فيه-، كالزكاة والنفقة على الزوجة، أو النفقة في سبيل الله -سبحانه وتعالى- إن وجبت، وقد توعد رب العزة -جل في علاه- من كنز المال بالعذاب الأليم والعياذ بالله، ونستأنس هنا بما روي عن خالد بن أسلم -رضي الله عنه- قال: "خَرَجْنَا مع عبد الله بن عُمَرَ رَضِيَ الله عنهمَا، فَقالَ أعْرَابِيٌّ: أخْبِرْنِي عن قَوْلِ الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤] قالَ ابنُ عُمَرَ رَضِيَ الله عنْهمَا: مَن كَنَزَهَا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهَا، فَوَيْلٌ له، إنَّما كانَ هذا قَبْلَ أنْ تُنْزَلَ

الزَّكَاةُ، فَلَمَّا أُنْزِلَتْ جَعَلَهَا الله طُهْرًا لِلْأَمْوَالِ."[١]، وبما روي عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن الرسول الكريم ﷺ قال: "مَن آتَاهُ الله مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ له مَالُهُ يومَ القِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ له زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يومَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بلِهْزِمَتَيْهِ - يَعْنِي بشِدْقَيْهِ - ثُمَّ يقولُ أنَا مَالُكَ أنَا كَنْزُكَ، ثُمَّ تَلَا: (لَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ) الآيَةَ."[٢]، لهذا، أدِ حق مالك فيما أوجبه الله -سبحانه وتعالى-، تفز بطهر مالك وقلبك في الدنيا، وبثواب في الآخرة -بإذن الله تعالى-، فلم يكن البخل يومًا إلا تعاسة في الدنيا والآخرة، وحسرة على المال وعذاب للنفس، ثم ماله الذي جمعه ذاهب لغيره لا محالة، والمنفق في سبيل الله المؤدي لحق ماله، ترى في قلبه سعادة البدن فيما أنعم الله -سبحانه وتعالى- عليه من مال، وسعادة القلب فيما يراه من فرح وسرور في قلوب ووجوه الفقراء والمساكين والأقارب والأحباب والزوجة والأبناء، وسعادة تملأ الروح لما قامت به من طاعة لربها امتثالًا لأوامر مع ما جُبلت عليه النفوس من حب للمال! فاللهم أغننا بفضلك عمن سواك، وارزقنا الرزق الحلال الطيب، إنك أنت الوهاب، والحمد لله رب العالمين.

٤٧٩. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- عندما خلق السماوات والأرض قدّر الأشهر فيهن اثني عشر شهرًا، منها أربعة حرم، وهي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، وقد أشار القرطبي -رحمه الله- في تفسيره إلى حرمة الأشهر الحرم فقال: "لا تظلموا فيهن أنفسكم بارتكاب الذنوب، لأن الله -سبحانه- إذا عظم شيئًا من

---

(١) الراوي: خالد بن أسلم | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ١٤٠٤ | خلاصة حكم المحدث: [معلق]

(٢) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ١٤٠٣ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

جهة واحدة صارت له حرمة واحدة، وإذا عظمه من جهتين أو جهات صارت حرمته متعددة فيضاعف فيه العقاب بالعمل السيء، كما يضاعف الثواب بالعمل الصالح، فإن من أطاع الله في الشهر الحرام في البلد الحرام ليس ثوابه ثواب من أطاعه في الشهر الحلال في البلد الحرام، ومن أطاعه في الشهر الحلال في البلد الحرام ليس ثوابه ثواب من أطاعه في شهر حلال في بلد حلال، وقد أشار الله إلى هذا بقوله: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [الأحزاب:٣٠]"(١)، ونستأنس هنا بما روي عن أبي بكرة نفيع بن الحارث -رضي الله عنه- عن رسول الله ﷺ قال -في حجة الوداع-: "الزَّمانُ قَدِ اسْتَدارَ كَهَيْئَةِ يَومَ خَلَقَ السَّمَاواتِ والأرْضَ، السَّنَةُ اثْنا عَشَرَ شَهْرًا مِنْها أرْبَعَةٌ حُرُمٌ: ثَلاثَةٌ مُتَوالِياتٌ: ذُو القَعْدَةِ، وذُو الحِجَّةِ، والمُحَرَّمُ، ورَجَبُ مُضَرَ، الذي بيْنَ جُمادَى وشَعْبانَ، أيُّ شَهْرٍ هذا، قُلْنا: اللهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، فَسَكَتَ حتَّى ظَنَنَّا أنَّه سَيُسَمِّيهِ بغيرِ اسْمِهِ، قالَ: أليسَ ذُو الحِجَّةِ، قُلْنا: بَلَى، قالَ: فأيُّ بَلَدٍ هذا. قُلْنا: اللهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، فَسَكَتَ حتَّى ظَنَنَّا أنَّه سَيُسَمِّيهِ بغيرِ اسْمِهِ، قالَ: أليسَ البَلْدَةَ. قُلْنا: بَلَى، قالَ: فأيُّ يومٍ هذا. قُلْنا: اللهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، فَسَكَتَ حتَّى ظَنَنَّا أنَّه سَيُسَمِّيهِ بغيرِ اسْمِهِ، قالَ: أليسَ يَومَ النَّحْرِ. قُلْنا: بَلَى، قالَ: فإنَّ دِماءَكُمْ وأَمْوالَكُمْ، - قالَ مُحَمَّدٌ: وأَحْسِبُهُ قالَ - وأَعْراضَكُمْ علَيْكُم حَرامٌ، كَحُرْمَةِ يَومِكُمْ هذا في بَلَدِكُمْ هذا، في شَهْرِكُمْ هذا، وسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، فَسَيَسْأَلُكُمْ عن أعْمالِكُمْ، ألا فلا تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلَّالًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقابَ بَعْضٍ، ألا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَن يُبَلَّغُهُ أنْ يَكونَ أوْعَى له مِن بَعْضِ مَن سَمِعَهُ. فَكانَ

---

(١) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ١٠ | الصفحة ١٩٨ | تفسير سورة التوبة | الآية ٣٦ | مؤسسة الرسالة | بيروت

مُحَمَّدٌ إذا ذَكَرَهُ يقولُ: صَدَقَ مُحَمَّدٌ ﷺ، ثُمَّ قالَ: ألا هلْ بَلَّغْتُ مَرَّتَيْنِ."[١]، فقد أخبر الرسول ﷺ في هذه الخطبة ببطلان النسيء، وأن الشهر الذي حج فيه الرسول الكريم ﷺ كان موافقًا للشرع، فقطع النسيء وضبط التقويم، والنسيء هو: تأخير تحريم شهر إلى شهر آخر، ثم يؤخرونه في السنة الأخرى إلى شهر آخر، حتى اختلط عليهم الأمر ودارت السنوات حتى عادت لحرمتها ووقتها الصحيح بتثبيت من الرسول الكريم ﷺ في حجة الوداع السنة العاشرة من الهجرة -كما ورد في الحديث الشريف أعلاه-، ونشير هنا إلى أهمية التقويم القمري لنا نحن المسلمين، ففيه ارتباط وثيق بعباداتنا كالصيام والحج، والأشهر القمرية تختلف عن غيرها، فهي لا تزيد عن ٣٠ يوما، ونقصانها لا يكون إلا من خلال تولد الهلال...

٤٨٠. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- غني عنا، وهو القادر علينا، ولْتعلمْ أن نصرة الرسول الكريم -محمد ﷺ- واجبة على كل مسلم، فإن لم ننصره نحن، فإن الله -سبحانه وتعالى- غني عنا، وهو ناصر نبيه -عليه السلام-، وخير دليل على هذا، نصرة الله -سبحانه وتعالى- لنبيه عندما هاجر من مكة إلى المدينة هو وصاحبه -أبا بكر الصديق رضي الله عنه-، قال تعالى في سورة التوبة: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٤٠﴾، والآن وبعد أكثر من أربعة عشر قرنًا، ورغم ما فينا من ضعف وهوان على الناس، إلا أننا ملزمون بالدفاع عن الحبيب

---

(١) الراوي: أبو بكرة نفيع بن الحارث | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٤٤٠٦ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

المصطفى ﷺ، بأنفسنا، وأموالنا، وأولادنا، وأهلينا، وبكل ما نقدر عليه من أفعال وأقوال، ولْتعلمْ أننا نفعل هذا لننجو نحن بأنفسنا، فإن الله -سبحانه وتعالى- غني عنا، وقادر على استبدالنا، وقادر على نصر نبيه -عليه الصلاة السلام-، بل إن ما نشاهده هذه الأيام من قدرة الله -سبحانه وتعالى- في نصر نبيه -عليه الصلاة والسلام- ظاهر بشكل جلي وواضح أمام أعيننا، فأمام الإساءة التي تبنتها فرنسا لنبينا الكريم -عليه الصلاة والسلام-، وفي محاربتها للإسلام جهارًا، وتصريحاتها المقززة بأن الإسلام يمر بأزمة!، قدر الله -سبحانه وتعالى- أن يجتمع شمل المسلمين، وتنتشر حملة مقاطعة كبيرة، فيصرح بعدها بأسبوعين فقط، بأن فرنسا في أزمة، وعلى ملة الكفر الوقوف بجانبهم في هذه الأزمة! فالحمد لله.

٤٨١. فلْتعلمْ أننا عبيد لله -سبحانه وتعالى-، وأن هذه العبودية تقتضي القيام بمجموعة من الأوامر واجتناب مجموعة من النواهي، وقد دلنا الله -سبحانه وتعالى- على العبادات التي فيها صلاحنا، وهو غني عنا، لهذا، فنحن ملزمون بعبادة الله -سبحانه وتعالى- والتقرب إليه باتباع أوامره وتجنب نواهيه، في جميع ما أمرنا به، في كل وقت، وكل مكان، وعلى أي حال، سهُل أو شق علينا ذلك -ومن نعم الله سبحانه وتعالى علينا أننا لم نُحمّل ما لا نطيق، بل كل ذلك بما نقدر عليه-، فهذه هي العبودية لله -جل في علاه-، وهذا يشمل الثبات على عبادة الله -سبحانه وتعالى- في اتباع أوامره وتجنب نواهيه، والصبر عند البلاء، وبذل الأموال والأنفس عند الجهاد، وقول كلمة الحق في موضعها، ومعاداة أهل الباطل والضلال، وكل مفسد على هذه الأرض، ممن يعادي الإسلام أو يظهر فساده أو أفكاره الفاسدة، وأكبر استكانة وخذلان هي أن يرى المسلم هذا الأمر، وبقدرته رد الضلال أو

الإفساد بأي وسيلة تراءت أمامه ولا يفعل!، فلا ينصر دينه، ولا ينصر نبيه، ثم يقول لك "الله رحيم"، وكأننا جهلنا رحمته؟!، بل أنتم من وصل بكم الخذلان والعبودية لغير الله -سبحانه وتعالى- إلى حد استحوذ على قلوبكم، وزين لكم الشيطان هذا القول وأنساكم أن الله -سبحانه وتعالى- شديد العقاب، وأنساكم إلا تنصروه، وأنساكم أن المسلم ليس ذليلًا، ولا ضعيفًا، بل نحن أقوياء بعبوديتنا لله -سبحانه وتعالى-، ونضعف بمقدار ما ينقص من عبوديتنا لله -سبحانه وتعالى-، فنقصانها طريق لملء النفس بعبودية أخرى، وهذا ما نراه ونشاهده فيمن يلوم المجاهدين الثابتين الصابرين في بقاع هذه الدنيا ثم يظهر ويلقي اللوم عليهم لصبرهم وجهادهم ورفضهم للظلم والخنوع، وهو متكئ يتناول المنتجات الغربية، ويغتاظ إن انقطع عنه الإنترنت لدقائق!، وهو ذاته الذي سمع بالإساءة لنبيه الكريم -عليه السلام- ثم لم يستطع أن يمتنع عن تناول منتجاتهم حتى مع وجود منتجات أخرى تشابهها!، ولْتعلمْ أن غرس معاني العبودية في نفسك هو طوق النجاة لك إن زللت أو ضعفت، فذلك يدفعك للرجوع إلى الله -جل في علاه-، وإلى سنة الرسول -عليه الصلاة والسلام- مهما حصل ومهما كنت غارقا في الذنوب والمعاصي، فهذه العبودية كالنور الذي يضيء في قلبك لينير طريقك، ويهديك إلى سبل السلام، فاللهم إياك نعبد وإياك نستعين، يقول ابن القيم -رحمه الله- في تبسيط جميل لمعنى إنِّي عبدُك[(١)]: "أنِّي لا غِنى بي عنك طرْفَة عينٍ، وليس لي من أعوذُ بِهِ وألوذُ به غير سيِّدي الذي أنا عبدُه...، وفي التحقُّق بمعنى قولِهِ: إنِّي عبدُك: التزامُ عبوديَّتِهِ من الذُلِّ والخُضوعِ والإنابة،

---

(١) إنِّي عبدُك: هي مما ورد في الحديث الشريف الذي رواه عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه-: "اللهمَّ إني عبدُك، وابنُ عبدِك، وابنُ أَمَتِك، ناصيتي بيدِك، ماضٍ فيَّ حكمُك..."، وكان حديث ابن القيم -رحمه الله- في هذا الباب عن تحقيق "إني عبدك" وذكر التوحيد والاعتراف بالعبودية.

وامتثالُ أمرِ سيدِهِ، واجتنابُ نهيِهِ، ودوامُ الافتقارِ إليه، واللَّجَأ إليه، والاستعانةِ به، والتوكُّل عليه، وعياذِ العبدِ به، ولِياذِهِ به، وألا يتعلَّقَ قلبُهُ بغيرِهِ محبَّةً وخوفًا ورجاءً. وفيه أيضًا أني عبد من جميع الوجوه، صغيرًا وكبيرًا، حيًّا وميِّتًا، مطيعًا وعاصيًا، مُعافًى ومبتلًى؛ بالروح والقلب واللسان والجوارح. وفيه أيضًا أن مالي ونفسي مُلكٌ لك؛ فإن العبد وما يَملِكُ لسيدِه. وفيه أيضًا أنَّكَ أنت الذي مننْتَ عليَّ بكلِّ ما أنا فيه من نعمةٍ؛ فذلك كلُّه من إنعامك على عبدك. وفيه أيضًا: أنِّي لا أتصرَّف فيما خوَّلْتَني من مالي ونفسي إلا بأمرك؛ كما لا يتصرَّفُ العبدُ إلا بإذنِ سيِّدِهِ، وأنِّي لا أملكُ لنفسي ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نُشورًا. فإن صحَّ له شهودُ ذلك؛ فقد قال: إنِّي عبدُك حقيقةً"(١).

٤٨٢. فلْتعلمْ يا أخي أن من أكبر المصائب التي تلحق بأمة هي أن يُلقي فسدتها أقوالًا باطلة، ثم تجد هذه الأقوال طريقًا إلى ضعاف العقول، فيسمعون لهم ويغترون بما يقوله هؤلاء ويتبعونهم، لهذا كانت محاربة أهل الفساد ومنعهم من إيصال فسادهم لعقول هؤلاء مهمة عظيمة وواجب لا بد منه، والناظر إلى أيامنا هذه، يجد أن أول ما يقوم به المفسدون في الأرض هو السيطرة على الإعلام، وقتل وسجن أصحاب الصلاح والإصلاح، ومحاربتهم بشتى الطرق والوسائل، ومنعهم من الخطابة ونشر العلوم، ونحو ذلك من الأعمال، وكأن مقالهم أن هؤلاء هم الخطر الحقيقي علينا، لتأثيرهم على جميع العقول والقلوب بما لديهم من حق!، بينما لا يملكون هم إلا قوة السلاح والتهديد، وكلام منمق في الإعلام لتجهيل عوام الناس واستدراجهم، يقول عبدالعزيز الطريفي -رحمه الله-: **"ومن صور زيف الحقائق أنه**

---

(١) منقول بإيجاز | كتاب الفوائد | ابن القيم | الصفحة ٣٠ - ٣٢ | ذكر التوحيد والاعتراف بالعبودية ومعنى قوله: "إني عبدك" | دار عالم الفوائد

متى كان أحد الداعين قويًا في إظهار قوله، فأتباعه أكثر ولو كان مخطئًا، ولكن متى ما انخفض صوته تبدد أتباعه، والعاقبة للقول الصحيح؛ لأن قوة الحق في باطنه، وحقيقته وجوهره ثابتان، والضعف والتغيير يكونان لوجهه وصورته بالتقبيح والتشويه، وهذا التشويه يزول بزوال المقبّح له، والجوهر والحقيقة ثابتان يظهران ولو بعد حين"(١)، والله المستعان!

٤٨٣. فلْتعلمْ يا أخي الكريم، أن المؤمنين متوكلون على الله -سبحانه وتعالى-، والتوكل معناه أن يعتمد القلب على الله -سبحانه وتعالى- قبل الأخذ بالأسباب، وبعد الأخذ بها، فيتيقن هذا القلب أن الأمر بيد الله -سبحانه وتعالى- وحده، لا شريك له، ولْتعلمْ بأن الحكمة تقتضي الأخذ بالأسباب، ولقد ذكر ابن القيم -رحمه الله- في معنى التوكل: "فلا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله -سبحانه وتعالى-، وإن تعطيلها يقدح في نفس التوكل، وإن تركها عجز ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولا بد من هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، وإلا كان معطلًا للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلًا ولا توكله عجزًا"(٢)، ونستأنس هنا بما رواه عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- عن الرسول ﷺ قال: "لو أنَّكم كنتُم توَكلونَ علَى الله حقَّ توَكلِه لرزقتُم كما يرزقُ الطَّيرُ تغدو خماصًا وتروحُ بطانًا"(٣)، ولاحظ هنا المعنى البليغ، لو توكلتم...تغدو وتروح، وهذا يعني أن التوكل

---

(١) كتاب العقلية الليبرالية في رصف العقل ووصف النقل | عبدالعزيز الطريفي | الصفحة ٢٦ | الطبعة الأولى | دار الحجاز | الإسكندرية

(٢) كتاب زاد المعاد في هدي خير العباد | الصفحة ٥٩٣ | الأمر بالتداوي وأنه لا ينافي التوكل | مؤسسة الرسالة | الطبعة الأولى | بيروت

(٣) الراوي: عمر بن الخطاب | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترمذي الصفحة أو الرقم: ٢٣٤٤

بدون المباشرة بالأسباب هو تواكل مذموم، ومن المعاني المميزة والجميلة والتي تعطي دافعًا للتوكل على الله -سبحانه وتعالى-؛ هو فهم التوكل والعمل به من منطلق حمد الله -سبحانه وتعالى- وشكره! اسمع قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾، انظر لجمال هذه الآية، إن الله -سبحانه وتعالى- بصّرنا طريق النجاة، وبين لنا الرشد، وهدانا لأفضل الطرق وأقومها وأوضحها وأبينها، فلماذا بعد هذا كله لا نتوكل على الله -سبحانه وتعالى-؟! أولا نكون من الشاكرين الحامدين لأنعمه؟! ألا نكون بعد عظم ما جعلنا الله -سبحانه وتعالى- عليه من الحق موقنين متوكلين على الله -سبحانه وتعالى-؟! انظر لجمال ما قاله إبراهيم السكران -رحمه الله-: "كما أن من أعظم دوافع التوكل أننا نتوكل على الله شكرًا له وامتنانًا لأنه هدانا سبحانه، فحين ترى نفسك من أهل لا إله إلا الله، محافظًا على الصلاة، أو ترى نفسك بعيدًا عن فكر الهزيمة والانكسار والانحناء للثقافة الغربية، وبعيدًا عن حمل النصوص الشرعية وتأويلها لتوافق مقررات الثقافة الغربية الغالبة، فإنك تحمد الله وتشكره إذ رفعك عن الانحطاط السلوكي والفكري، وترى منة الله عليك إذ شرفك بالرقي العقدي، ويوجب لك هذا مزيدًا من التوكل والتعلق بالله، ألا ترى أهل الإيمان كيف يربطون بين هداية الله والتوكل: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ﴾[1]، هذا الإيمان وهذا الأسلوب من اليقين الصادق والشكر النابع من أعماق القلوب تجده في موقف عظيم ليشحن همتك وليعلمك أن هذا ليس ببعيد عنك!، قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ

| خلاصة حكم المحدث: صحيح

(١) كتاب رقائق القرآن | إبراهيم السكران | أقوى الناس | الصفحة ١٤٧-١٤٨ | الطبعة الأولى | دار الحضارة | الرياض

جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾، فكيف لا نتوكل الله -سبحانه وتعالى- بعد هذا كله وقد هدانا سبلنا؟!، وكيف لنا ألا نزداد إيمانًا بفضله وكرمه وحكمته وما قدره، وبأنه لن يصيبنا إلا ما كتبه لنا الله -جل في علاه-؟!، سبحان الله!، لذلك يا أخي، توكل على الله -سبحانه وتعالى- حق توكله، وباشر الأسباب، تكن قرير العين طيب الفؤاد، وحسبنا الله عليه توكلنا، وهو رب العرش العظيم.

٤٨٤. فلْتعلمْ أن الفاسقين الذين خرجوا عن طاعة الله -سبحانه وتعالى- والإيمان به وبما أنزل، لو أنفقوا ما بين أيديهم من مال ومهما أنفقوا، فإنه لن يُتقبل منهم، ولْتعلمْ يا أخي أن الإيمان بالله -سبحانه وتعالى- وبما أنزل هو شرط لقبول العمل، قال تعالى في سورة الزمر: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥﴾، فمهما عمل المشرك من خير فإنه ليس بنافعه عند الله -سبحانه وتعالى- إن لم يكن قد آمن، ونستأنس هنا بما روته أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- عن رسول الله ﷺ قال: "قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، ابنُ جُدْعانَ كانَ في الجاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، ويُطْعِمُ المِسْكِينَ، فَهلْ ذاكَ نافِعُهُ؟ قالَ: لا يَنْفَعُهُ، إنَّه لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لي خَطِيئَتي يَومَ الدِّينِ."(١)، نعوذ بالله -سبحانه وتعالى- أن نكون منهم.

٤٨٥. إياك يا أخي واتباع الهوى، والهوى هو كل ما تميل له النفس وتشتهيه، وما تميل النفس له فتحبه وتهواه، وقيل، سُمي الهوى هوىً لأنه يهوي بصاحبه،

---

(١) الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢١٤ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

والهوى لم يرد في كتاب الله -سبحانه وتعالى- إلا في موضع الذم، قال تعالى في سورة الجاثية: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ فالشريعة جاءت محررة للعقل، مبرزة للإرادة الحرة التي وهبها لنا رب العزة -جل في علاه-، لكي نسير على ما رأيناه من الحق، لا على ما أحبته نفوسنا ورغبته، فإن للعقل السليم ضوابط ومقاييس لقبول القول أو رفضه، بينما إنِ اتبع الإنسان هواه، بدّل هذه المعايير وتجاهلها لتتناسب مع ما يريده، فتصبح الأدلة الدامغة مصدر شك لأتفه الأسباب، وتصبح الأدلة المشكوك بها أدلة صالحة للاتباع ينتقي منها ما يريد، ويَقْلبها حتى تتوافق مع هواه، وأكثر الهوى هوى الشبهات، وهوى الشهوات، وأكثر ما يخيفني هو هوى الشبهات، فإنها تجعل في القلب فجوة عميقة تتسع ولا تضيق كلما خطا الإنسان بهذا النهج، حتى تضل النفس وتسقط -والعياذ بالله-، أو يتوب الله -سبحانه وتعالى- عليها ويلهمها هداه فتنجو، والله المستعان.

٤٨٦. يا أخي، كن راضيًا بما قسمه الله -سبحانه وتعالى- لك من رزق، ولا تسخط، واحمد الله -سبحانه وتعالى- على ما آتاك من فضله، وعلى ما يسره لك من رزق، فإن قل هذا الرزق أو كثر، فهو من فضل الله -سبحانه وتعالى- عليك، ولْتعلمْ أن تحقق المنافع ودفع المضار فيما رزقت هو من الخير الجزيل الذي يلزمه الحمد الكثير، لذلك، اسعَ في أرض الله -سبحانه وتعالى- وابتغ من فضله، فينالك من فضله ما كتب لك، وما لم تنله لم يكن لك مهما فعلت، ولْتعلمْ أن هذا المعنى لا يعني قبول الظلم!، فإن كان للظالم يد في ذلك، فإننا نرضى بما كتبه الله -سبحانه وتعالى- لنا، ونسخط على ظالمنا حتى نستعيد حقنا، فإن لم نستطع لقلة الحيلة ولجور الظالم، فعند الله -سبحانه وتعالى- تلتقي الخصوم، والحمد لله رب العالمين.

٤٨٧. فلْتعلمْ يا أخي أن الإصلاح بين الناس من الأعمال الطيبة، والسنن المحببة، وقد حث عليها ديننا الحنيف لما فيها من الخير العظيم، حتى جعل ديننا الحنيف الإنفاق من المال لفض النزاع بين الغارمين من أبواب الصدقة الثمانية! والإصلاح بين الناس هو السعي وبذل اللازم لإصلاح العلاقات بين الناس، ودفع الخصومات الواقعة بينهم، ونستأنس هنا بما رواه أبو الدرداء -رضي الله عنه- عن الرسول ﷺ قال: "ألا أخبرُكم بأفضلِ من درجةِ الصيامِ والصلاةِ والصدقةِ؟ قالوا: بلى، قال: إصلاحُ ذاتِ البينِ، وفسادُ ذاتِ البينِ الحالِقةُ."[١].

ملاحظة: الباب الذي يندرج تحته هذا الإنفاق هو باب الغارمين، والغارمون نوعان، أحدهما: الغارمون لإصلاح ذات البين، ولأحكامها تفصيلات كثيرة يرجى الرجوع للكتب الفقهية للاستزادة.

٤٨٨. فلْتعلمْ أن من صفات المنافقين وضعاف النفوس -من فقدوا البوصلة- أنهم يسعون لرضا الناس وهذه غايتهم، والمؤمن لا يقدم رضا الناس، على رضا الله -سبحانه وتعالى- ورسوله ﷺ، وهذا يقودنا إلى نقطة مهمة، وهي أن العمل الذي نقوم به إن كان خالصًا لله -سبحانه وتعالى- طالبين فيه رضاه، يجب أن يوافق الحق، لا ما يطلبه الجمهور!، وفي عصرنا هذا وفي ضوء انتشار وسائل التواصل الاجتماعي والتفاعل المرضي والحرص على كسب أكبر قدر ممكن من الإعجابات والمشاركات، يظهر هذا المعنى جليًا، فمن قدم الحق لن يهمه ولن تتعب نفسيته إن تقبل الناس ما كتب أم لا، ولا يهمه عدد المشاركات والإعجابات قلت أم كثرت،

---

(١) الراوي: أبو الدرداء | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح أبي داود الصفحة أو الرقم: ٤٩١٩ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

وهـذا الفـرق بـين الفئتـين يظهـر جليًـا فـيمن نـراهم مـن مشـاهير وسـائل التواصـل الاجتماعي، فمن كان همه رضا الجمهور، تراه عبدًا لهـم، يخـاف أن يغضبهم فتهبط الإعجابات لديه، وكثير من هؤلاء بعدما سقطوا لأي سبب، مرضـوا وضـاعوا ومـنهم من أقدم على الانتحار!، بينما تجد غيرهم ممن لا يهتم لهذا ولا يبالي، فيفرح بما يراه من ثمرة عمله بين الناس ويسأل الله -سبحانه وتعالى- القبول!، لأنـه يـدرك تمامًـا أن هذا العمل مـا هـو إلا لرضـا الله -سبحانه وتعـالى-، وانتشـار هـذا العمـل بـين النـاس وتقبله بيد الله -سبحانه وتعالى-، يفرح بما يراه من ثمرة عمله بين النـاس ويسـأل الله -سبحانه وتعالى- القبول!، لذلك اجعل رضا الله -سبحانه وتعالى- هو الغاية، تنعم وتطمئن، والحمد لله رب العالمين.

٤٨٩. فلْـتعلمْ أن مـن تجـرأ علـى حرمـات الله -سـبحانه وتعـالى- وتهـاون في أحكـام الله -سـبحانه وتعـالى- وأوامـره، واسـتحلها، وحـاد الله -سـبحانه وتعـالى- ورسـوله -عليـه الصـلاة والسـلام- توعـده الله -سـبحانه وتعـالى- بـالخزي العظـيم والعـذاب الألـيم -والعيـاذ بـالله-، ولْـتعلمْ أننـا بشـر بعيـدون عـن الكمـال، لـذلك فالمعصية محتملة والخطأ قائم، لكن هناك من يقر بخطئه وذنبـه ولا يسـتحله، وهنـاك من يستحل الذنب ويجهر به، فمن استحل ما حـرم الله -سـبحانه وتعـالى- فقـد لحـق بمن نالوا الخزي العظيم والعـذاب الألـيم -والعيـاذ بـالله-، ومـن تـاب وآمـن وعمـل صالحًا، وأقر بذنبه واستغفر، فإن الله -سبحانه وتعالى- غفور رحيم.

٤٩٠. إياك يا أخي والمجاهرة بالمعصية، فإن الله -سبحانه وتعالى- من فضله على عباده أن سترهم، والمجاهرة بالمعصية إثم يضاف إلى إثم، وهي من الذنوب العظيمة، وهي تدل على الدناءة الشديدة لصاحبها، ونستأنس هنا بما روي عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن الرسول ﷺ قال: "كُلُّ أُمَّتي مُعافًى إلَّا المُجاهِرِينَ، وإنَّ مِنَ المُجاهَرَةِ أنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ باللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وقدْ سَتَرَهُ الله عليه، فَيَقُولَ: يا فُلانُ، عَمِلْتُ البارِحَةَ كَذا وكَذا، وقدْ باتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، ويُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ الله عنْه"(١)، ولْتعلمْ أن هناك نوع آخر من المجاهرة بالمعصية في أيامنا هذه، وهو المجاهرة بذنب أو عمل لم يعمله، قاصدًا التفاخر بما حرم الله سبحانه وتعالى، ليثبت أنه على شيء، وما هو على شيء، وهذا فيه من الكذب والفساد والإفساد ما فيه، وإنه لشر عظيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٤٩١. فلْتعلمْ يا أخي أن "الاستهزاء باللّه -سبحانه وتعالى- وآياته ورسولهﷺ كفر مخرج عن الدين لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله -سبحانه وتعالى-، وتعظيم دينه ورسله، والاستهزاء بشيء من ذلك منافٍ لهذا الأصل، ومناقض له أشد المناقضة"(٢)، فإياك أن تخوض في دين الله -سبحانه وتعالى- أو أن تستهزأ به أو أن تقول كما قال بعضهم من قبل ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾، لأن الله -سبحانه وتعالى- قال في حقهم في سورة التوبة: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٠٦٩ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | الجزء العاشر | الآية ٦٦ | الصفحة ٣٤٢-٣٤٣ | مؤسسة الرسالة | بيروت

بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ٦٦﴾ وفي هذه الآيات العظيمة، ما تقشعر منه الأبدان، وترتجف منه القلوب، وفيها بصيص أمل لكل من أراد التوبة إلى الله -سبحانه وتعالى- بعد ذنبه هذا، وهذا من رحمة الله -سبحانه وتعالى- بنا، فجعل التوبة قائمة حتى وإن عظم الذنب، فالحمد لله الرحمن الرحيم.

٤٩٢. فلتعلم يا أخي أن هناك نوع من الاستهزاء بآيات الله -سبحانه وتعالى- يغفل عنه الكثيرون -والعياذ بالله-! وقد يقع به كثير مما نحسبهم على صلاح بغير علم! هذا النوع من الاستهزاء هو السخرية (المزاح / اللعب)، جاء في لسان العرب: "سَخِرْتُ منه وسَخِرْتُ به، وضَحِكْتُ منه وضحكت به، وهَزِئْتُ منه وهَزِئْتُ به؛ كلٌّ يقال، والاسم السُّخْرِيَّةُ"، وقد عرف ابن تيمية -رحمه الله- الاستهزاء بأنه " السخرية؛ **وهو حمل الأقوال والأفعال على الهزل واللعب لا على الجد والحقيقة،** فالذي يسخر بالناس هو الذي يذم صفاتهم وأفعالهم ذمًّا يخرجها عن درجة الاعتبار، كما سخروا بالمطوِّعين من المؤمنين في الصدقات"[1]، ومن هذا ذِكر الآيات الكريمة في موضع المزاح بما يتوافق مع موقف معين، فمثلًا تجد أحدهم إذا حضر الطعام قال: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾! أو قول أحدهم لصاحبه إذا ناله من السمن والشراب بسبب شراهته ﴿قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا﴾... إلى آخره من هذه الأقوال -والعياذ بالله-، ويضاف إلى ما سبق المزاح أو السخرية من شعائر الله -سبحانه وتعالى- أو أوامره أو رسله أو ما شرعه من عبادات...إلى آخره، ومن أشهر الأمثلة على ذلك في وقتنا الحالي -نذكرها من باب التوضيح ونعوذ بالله منها،

(١) كتاب الفتاوى الكبرى | ابن تيمية | الجزء السادس | الصفحة ٢٢ | الطبعة الأولى | دار الكتب العلمية | بيروت

فاتق الله سبحانه وتعالى وأنت تقرأ، واستحضر خشية الله سبحانه وتعالى-: "صاحب محل افتتح محلًا لتصليح الإطارات فوضع على باب المحل، ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ والعياذ بالله! وصاحب محل للحلاقة يضع على باب محله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ والعياذ بالله!، وآخر يحدث صاحبه فيقول له: "غز ركعتين على السريع!"[١] في حط من قدر الصلاة والعياذ بالله!، وآخر يقول "اسلخه دعوة"[٢]، في حط من قدر الدعاء والعياذ بالله! وآخر يقول في شعره قولًا نناى عن ذكره في كتابنا لفظاعته مما كتبه "أبرز" الشعراء الحداثيين ممن ينسب إلى الشيوعين أو "الرومانسيين" وغيرهم! وهنا يجب أن نميز بين من ذكر مثل هذه الاقتباسات على سبيل المزاح كما في الأعلى ومن أنزل الآيات منازلها، فمن أنزلها منزلتها في الموقف المناسب كان هذا فعل حسن! وحرص علماؤنا أشد الحرص على منظومة التعظيم والتي تعظم الله -جل في علاه- وما عظمه، قال السيوطي -رحمه الله-: "قال القرافي: اعلم أنه يجب على كل مكلف تعظيم الأنبياء بأسرهم، وكذلك الملائكة ومن نال من أعراضهم شيئًا فقد كفر، سواء كان بالتعريض أو بالتصريح، فمن قال في رجل يراه شديد البطش: هذا أقسى قلبًا من مالك خازن النار، وقال في رجل رآه مشوه الخلق: هذا أوحش من منكر ونكير؛ فهو كافر إذا قال ذلك في معرض النقص بالوحاشة والقساوة"[٣]، ولْتعلمْ أن القرآن الكريم هو كلام الله -سبحانه وتعالى-، وهو منزه

(١) هذه عبارة عامية شنيعة تشير إلى القيام بأداء الركعتين بأسرع وقت ممكن كمن يشك الإبرة "يغز الإبرة"!

(٢) هذه عبارة عامية شنيعة تقال من باب السخرية في حق أهل الصلاح عادة أو من يُظن أنهم كذلك، وتعني قم بالدعاء عليه وكأنك تسلخه كما يسلخ الجزار الخاروف...نسأل الله العافية

(٣) كتاب الحبائك في أخبار الملائك | جلال الدين السيوطي | الصفحة ٢٥٥ | الطبعة الثانية | دار الكتب العلمية | بيروت

عن اللغو والمزاح ومنزه عن ذكره في سياق الباطل -والعياذ بالله-، فتعظيم كلام الله -سبحانه وتعالى- هو تعظيم لله -سبحانه وتعالى-، وهذا يذكرنا بقوله تعالى في سورة النور: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾، فهذه الآية فيها زجر ونهي عن التكلم بالباطل، والقول بلا علم، وهذا أمر خطير، فيه تحذير من التهاون في إشاعة الباطل والتحذير من الظن الذي يجعل صاحبه يهون ما يلقيه من قول وهو لا يدري معناه أو عظم قوله، أفتحسبون ذلك هَيِّنًا؟! وقوله تعالى في سورة التوبة: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾، وروى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِن رِضْوانِ اللهِ، **لا يُلْقِي لها بالًا**، يَرْفَعُهُ اللهُ بها دَرَجاتٍ، وإنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِن سَخَطِ اللهِ، **لا يُلْقِي لها بالًا**، يَهْوِي بها في جَهَنَّمَ"(١)، وعلى النقيض من ذلك، انظر إلى من رق قلبه للإيمان، وعَظُمَ الله -سبحانه وتعالى- في قلبه حتى وجلت جوارحه وبكت عينيه! والناس في هذا في تفاوت، وما يذكرنا بهذا المعنى المحبب للقلوب، قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾، وقوله تعالى في سورة الزمر: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾، وقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا

---

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٤٧٨ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾، انظر لجمال هذا الوصف الرباني لعباده المؤمنون، الذين ما إن تتلى عليهم آيات الله -سبحانه وتعالى- أو يسمعونها إلا ورأيت قلوبهم وجلة وخاشعة، ترى جلودهم مقشعرة، وترى عيونهم باكية! نفوسهم عالية طيبة؛ بما لانت له قلوبهم من الخشية، فاللهم اجعلنا منهم! وهذه النقطة تقودنا إلى نقطة أخرى مهمة، وهي السخرية من الصحابة -رضوان الله عليهم- والقدوات الصالحة والعلماء الأطهار، وحتى معالم ما يتسم به المصلحون ومن ثم تشويهها! وهذا كله يتم من خلال برامج السخرية والاستهزاء التي تَبُث ليلًا ونهارًا سمومها ساعية في تدمير التوقير للمصلحين وتشويههم وزرع بذور الفساد في عقولهم الواعية واللاواعية! وأشهر ما يُرى تصوير "المصلحين على أنهم إرهابيين"، وتصوير أهل اللحى والعمائم والمحجبات على أنهم متخلفون أو رجعيون، أو تشويه المصلحين من خلال زرع صورة "نمطية - شريرة أو غبية" في عقول المشاهدين؛ كتشوييهم وجعلهم حولا ذوي "كشرة" بذيئة! ورسم رسومات كاريكاتيرية تسيء للإسلام أو المصلحين أو اللحى أو المحجبات أو الميراث...إلى آخره، وهذا كله خطر عظيم ينهش شباب هذه الأمة وأشبالها، لذلك كان من الواجب التحذير من هذا النوع الخطير من الاستهزاء والذي لا يبالي أصحابه إن كفروا -إذا كانوا مسلمين أصلًا قلبًا وعملًا- في سبيل نشر الفسوق والفساد في الأرض! وهذا يقودنا إلى نقطة مهمة، وهو ما حال من سمع مثل هذه السخرية (المزاح!)؟!، فالجواب هو أن الإسلام عقيدة ومنهج حياة، فلا يُرضى بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاللسان أول الوسائل الفعالة لإظهار الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يقل هذا أهمية عن العمل على منع المنكر؛ كالمسئول وصاحب السلطة، فإن لم يستطع الواحد منا فعل ما سبق، فعليه ترك مجالسة هؤلاء المستهزئين والإعراض عنهم، فإن

لم يثمر ما سبق فالبراءة منهم وتركهم! فإن تعجبت من قولي، فسل نفسك، ألا ينبغي للمعظم لله -سبحانه وتعالى- أن يترك مجالسة المستهزئين إن لم يستطع منعهم؟! أَوَأقل من ذلك؟! وعودة إلى النقطة الأساسية لهذا الطرح، وهي خطورة الهزل والمزاح فيما عظمه الله -سبحانه وتعالى- (خصوصًا في الآيات القرآنية)، نذكر بعض أحكام الاقتباس نقلًا عن جمال الباشا -رحمه الله-: "ونقل السيوطي عن "شرح بديعية" ابن حجة أن الاقتباس ثلاثة أقسام: الأول: مقبول، وهو ما كان في الخطب والمواعظ والعهود. والثاني: مباح، وهو ما كان في الغزل والرسائل والقصص. والثالث: مردود، وهو على ضربين. أحدهما: اقتباس ما نَسبه الله إلى نفسه، بأن ينسبه المقتبِس إلى نفسه، كما قيل عمن وقع على شكوى بقوله: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾!!. والآخر: تضمين آية في معنى هزل، أو مجون. قال السيوطي: وهذا التقسيم حسن جدّاً، وبه أقول... ومما يحرم في الاقتباس ما أضافه تبارك وتعالى إلى نفسه من كلامه، كقوله: ﴿وَإِيَّىَ فَٱتَّقُونِ﴾،... ومما يحرم اقتباسه ما أقسم الله به من مخلوقاته، فإذا اقتبس هذا صار من كلام المتقبس نفسه، فيكون قسمًا بغير الله وهو شرك، كقول بعضهم، والتين والزيتون، وطور سنين، وهذا البلد المحزون، ... ومما لا يجوز اقتباسه ما خوطب به الرب جل وعلا،...وما يتبادر إلى السامع أنه من القرآن، مع تغيير بعض الكلمات، كقول أحدهم: "والنجم إذا هوى... ما ضل يراعك وما غوى... علَّمه شديد القوى... ذو مرة فاستوى"... ومنه ما يعد محاكاة للقرآن واستعمالًا له في غير معناه، كقول النبيه يمدح القاضي الفاضل: "لا تسمِّه وعدًا بغير نوال... إنه كان وعده مفعولًا"...أما من استشهد بآية على واقعة جرت وحدثت: فهذا لا بأس به، فإن رسول الله ﷺ استشهد بالآيات على الوقائع، فاستشهد بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾، حينما جاء الحسن والحسين

يتعثران في أثوابهما...، ومن الحسن في الاقتباس أيضًا لو أصاب إنسان هم وحزن فقال: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾... "[١]، وخلاصة هذا القول أخي الحبيب، عظم الله -سبحانه وتعالى- في قلبك، فإن عظمته عظم كلامه وما أمر به وما عظمه! واحرص على الخير أينما كنت، واحذر من الشبهات والمتشابهات وجانبهما، واحذر من خطر الكفر واحذر من قربه! واحذر من أن تكون ممن دخل في قوله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ۝١٠٤﴾، وتب إلى الله -سبحانه وتعالى- وتوكل عليه، فهو الرحمن الرحيم، العظيم المتعال!، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٤٩٣. فلْتعلمْ يا أخي أن من مات على الكفر بعد إقامة الحجة عليه، فإنه يقع تحت وعيد الله -سبحانه وتعالى- بأنه في جهنم خالدًا فيها، ونستأنس هنا بما روي عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله ﷺ قال: "والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لا يَسْمَعُ بي أحَدٌ مِن هذِه الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، ولا نَصْرانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ ولَمْ يُؤْمِنْ بالَّذِي أُرْسِلْتُ به، إلَّا كانَ مِن أصْحابِ النَّارِ."[٢]، ولْتعلمْ أننا لا نحكم على مسلم على وجه التعيين بأنه من أهل الجنة أو أنه من أهل النار، فإن هذا الأمر بيد الله -سبحانه وتعالى-، وليس لنا علم ولا دراية ولا شهادة بما سيكون من مصير هذا الإنسان على

---

(١) منقول بتصرف | كتاب تحذير الغافلين من خطر الهزء بالدين | جمال الباشا | الصفحة ١٩٨ | الطبعة الثانية | دار مأمون | عمان | ملاحظة: لقد اقتبست في هذه النقطة العديد من الأفكار والأمثلة التي وردت في هذا الكتاب القيم، وأنصح بقراءته من المختصين أو أصحاب التأصيل الشرعي؛ للاستزادة، كما أنصح بمشاهدة حلقات الدكتور إياد القنيبي -جزاه الله كل خير- حول هذا الموضوع، فقد أثرى النقطة ودفعني ذلك لكتابة المزيد فيها...https://www.youtube.com/c/eyadqunaibi

(٢) الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ١٥٣ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

وجه التعيين، لأن هذا الأمر من علم الله -سبحانه وتعالى-، وهذا مما لا ينفع ولا يليق بنا أن نقوم به، ونضيع أوقاتنا فيه!، ولْتعلمْ أن التعيين على أن شخص ما -فلان بن فلان- من أهل الجنة أو أهل النار -والعياذ بالله- لا يجوز إلا فيما أخبر الله -سبحانه وتعالى- عنه ورسوله ﷺ، وقد روى عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: "أَيُّما رَجُلٍ قالَ لأخِيهِ: يا كافِرُ، فقَدْ باءَ بها أحَدُهُما."[١]، أرأيت خطورة الحكم على الناس بغير علم؟!، ويمكن الرجوع للكتب الفقهية وآراء العلماء في حكم تعيين الجنة أو النار لمن مات على الكفر -والعياذ بالله-، والله المستعان.

٤٩٤. فلْتعلمْ يا أخي أن لكل واحد منا نصيبه من الدنيا، فهناك من يكون نصيبه من الدنيا هو **الحياة الدنيا**[٢] وملذاتها وأموالها وأولادها مستعينين بما لديهم على المعاصي والذنوب والشهوات، وهناك من يكون نصيبه من الدنيا النعيم في رزق الله -سبحانه وتعالى- والاستعانة بما رُزِقَ على طاعة الله -سبحانه وتعالى- وعبادته ورجاء الآخرة، والفرق بين الاثنين عظيم، فرق يظهر في الدنيا قبل الآخرة!، فليس من بنى الجسد مثل من بنى الروح والجسد، ولا يستوي سبيل من يحارب الله -سبحانه وتعالى- ورسوله ﷺ ومن آمن بالله ورسوله وصدّق رسوله واتبع أوامر الله، فاحرص على أن تكون ممن سما بروحه واستعان على ذلك ببناء جسده، فإن سمت الروح وقوي الجسد، تحقق المراد في عبادة الله -سبحانه وتعالى- وعمارة الأرض، والله

---

(١) الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦١٠٤ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) يجدر الإشارة أن هذا اللفظ "الحياة الدنيا" قد أستخدمه في بعض النقاط باعتباره لفظًا مميزًا بينه وبين الدنيا! أي للتفريق بين شهوات الجسد ورغباته وعيشه بطريقة حيوانية بهيمية، وبين الدنيا بذاتها والتي هي محل الاختبار ومكانه.

المستعان.

٤٩٥. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- حذّر في مواضع كثيرة من أن نتبع طرق أهل الباطل، وأن نتشبه بهم فيما كانوا يقومون به من تكذيب الرسل والكفر وارتكاب الذنوب والسعي في ملذات الدنيا وإنكار الآخرة، والإشراك بالله -سبحانه وتعالى- وغيرها من الأقوال والأفعال الموجبة لغضب الله -سبحانه وتعالى- وعقابه، وهذا ما نراه جليًا فيما ذُكر من قصص القرآن من عذاب الله -سبحانه وتعالى- للأقوام السابقة، على ما ارتكبوا من ذنوب عظيمة أوجبت العقاب، وفيها عبر عظيمة في ذكر الذنوب المتنوعة التي قامت بها تلك الأمم، وجاءت هذه القصص والعبر محذرة لنا من أن نرتكب مثل ذنوبهم، أو نسلك سبلهم، ولندرك من خلال هذا الحرص أن هذه القصص ما ذكرت في مواضع متعددة إلا لنكون على طريق سوي في كل زمان ومكان، حذرين من تتبع طرق أهل الباطل والضلال، فلا نحذو حذوهم، ولا نسير على خطاهم، وقد حذرنا رسول الله ﷺ من ذلك فقال: "لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن قَبْلَكُمْ شِبْرًا بشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بذِرَاعٍ، حتَّى لو سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قُلْنَا يا رَسُولَ الله: اليَهُودَ، وَالنَّصَارَى قالَ: فَمَنْ."(١)، وللأسف، نرى هذا الأمر الآن بأعيننا في تقليد شبابنا الأعمى للغرب، والحذو على حذوهم، والتشبه بهم، والعمل بعملهم، ومشاركتهم احتفالاتهم...ونحو ذلك، فإذا أردت أن تنجو فانظر إلى سُنة الحبيب المصطفى ﷺ ودعك من غيرها تفز بإذن الله -سبحانه تعالى-.

٤٩٦. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- وعد عباده المؤمنين بجنات تجري من تحتها الأنهار، خالدين فيها أبدًا، ينعمون برضوان الله -سبحانه وتعالى-، وقد ذكر لنا

(١) الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٣٤٥٦ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

رب العزة -جل في علاه- من أوصافها وجمالها ما تشتاق له الأنفس، وترق له القلوب، وتسيل له المدامع، فهي جنات تجري من تحتها الأنهار، فيها ما تشتهي الأنفس، وفيها المساكن الطيبة، وفيها الحور العين الحسان، وفيها الذهب والفضة والمسك واللؤلؤ والمرجان، وفيها رضوان الله -سبحانه وتعالى- على عباده فلا يسخط عليهم بعدها بفضله ورحمته ومنّه عليهم، ونستأنس هنا بما رواه أبو سعيد الخدري- رضي الله عنه- عن الرسول ﷺ قال: "إنَّ الله تَبارَكَ وتَعالَى يقولُ لأهْلِ الجَنَّةِ: يا أهْلَ الجَنَّةِ؟ فيَقولونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنا وسَعْدَيْكَ، فيَقولُ: هلْ رَضِيتُمْ؟ فيَقولونَ: وما لنا لا نَرْضَى وقدْ أعْطَيْتَنا ما لَمْ تُعْطِ أحَدًا مِن خَلْقِكَ، فيَقولُ: أنا أُعْطِيكُمْ أفْضَلَ مِن ذلكَ، قالوا: يا رَبِّ، وأَيُّ شيءٍ أفْضَلُ مِن ذلكَ؟ فيَقولُ: أُحِلُّ علَيْكُم رِضْوانِي، فلا أسْخَطُ علَيْكُم بَعْدَهُ أبَدًا."(١)، وهل هناك نعيم أجمل من هذا، ورحمة أكبر من هذه، ورضا أعظم من هذا؟!، ألا يستحق هذا النعيم الجزيل أن تبذل لأجله النفس والنفيس؟! ألا يستحق هذا النعيم أن نكون عبادًا مخلصين لله -سبحانه وتعالى- شاكرين مطيعين له؟!، أليس ربنا العظيم هو الرحمن الرحيم؟!، يا أخي، هذا وعد الله -سبحانه وتعالى- لعباده الصالحين، ونرجو من الله -سبحانه وتعالى- أن نكون منهم، فيا ربي يا رحمن، اجعلنا من أهل الجنان، ممن نالوا رضوانك ورحمتك وغفرانك، يا أرحم الراحمين، ويا أكرم الأكرمين، والحمد لله رب العالمين.

٤٩٧. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- أعلم بأحوالنا وأنفسنا منا، ولقد قدّر الله -سبحانه وتعالى- لنا أرزاقنا، فإن سألت الله -سبحانه وتعالى- المال الكثير الوفير، فسله كذلك أن يعينك على إنفاق هذا المال في الأوجه التي أمرنا بها، فلا تضل

---

(١) الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٥٤٩ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

نفوسنا، وننكث عهدنا ونفتن فيما رزقنا، ولقليل يُؤدى حقه، خير من كثير يفتن صاحبه!، قال تعالى في سورة التوبة: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾﴾، وهذه الدعوة ليست للحث على الخمول والكسل، والبقاء على الفقر -والعياذ بالله-، بل هي دعوة لأن يطلب الإنسان من ربه -سبحانه وتعالى- الهدى والثبات على الحق، كما يطلب المال الكثير، فيسأل الله -سبحانه وتعالى- زيادة في الهدى والإيمان ويعمل لذلك، ويسأله الغنى فيتجمع لديه الأمران، ويعوذ بالله من أن يكون ممن عاهد الله -سبحانه وتعالى- على أمر فنكثه، فاللهم اجعلنا ممن رزقته ما يقرب إليك، وانفعنا به في الدنيا والآخرة.

٤٩٨. يا أخي، إياك أن تعيب أخاك -اللمز-، وتحتقر أفعال الخير الصادرة منه، صغرت أو كبرت، فيكون كلامك تثبيطًا لصاحبها ولمن استمع لقولك، فتقول بين الناس إن هذا ما أنفق الكثير إلا رياء وسمعة، أو تقول لم يتصدق هذا إلا بدراهم قليلة -انتقاصًا-، فأنت لا تعلم ما في الصدور، ولا تعلم بأحوال الناس إلا ما ظهر منها، فاتقِ الله -سبحانه وتعالى- ولا تتبع سبيل المفسدين، ونستأنس هنا بما رواه أبو مسعود عقبة بن عمرو -رضي الله عنه-: "لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ، كُنَّا نُحَامِلُ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بشيءٍ كَثِيرٍ، فَقالوا: مُرَائِي، وجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بصَاعٍ، فَقالوا: إنَّ الله لَغَنِيٌّ عن صَاعِ هذا، فَنَزَلَتْ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩] الآيَةَ."(١).

٤٩٩. فلْتعلمْ أن الرجل والمرأة، لو أدرك كل واحد منهما قيمته ومنزلته،

---

(١) الراوي: أبو مسعود عقبة بن عمرو | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ١٤١٥ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

وعرف حقيقته، وعلم ما له وما عليه، لما رأيت صراع الندية في أفعالهم وأقوالهم!، وما رأيت من تشبه النساء بالرجال، ومن تشبه الرجال بالنساء!، ونستأنس هنا بما روي عن عبد الله ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "لَعَنَ رَسولُ الله ﷺ المُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بالنِّسَاءِ، والمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بالرِّجَالِ"(١)، فقد جبل الله -سبحانه وتعالى- الرجل والمرأة على طباع وصفات تُميز أحدهما عن الآخر، وتعطي لكل واحد منهما ما يقدر عليه ويتفوق به على صاحبه!، وأشد العجب أن يتنازل الرجل عن رجولته فيرتدي ملابس وحلي النساء!، أو أن تتنازل المرأة عن أنوثتها فتقارع الرجال وتتشبه بهم!

٥٠٠. فلْتعلمْ أن من رحمة الله -سبحانه وتعالى- بعباده أن جعل لهم الرخص والأعذار فيما أمروا به، وهذا من فضل الله -سبحانه وتعالى- ورحمته، فخفف عن المريض والضعيف والمسافر ما لا يستطيعون القيام به، ويشق عليهم، فمثلًا يحق للمريض الإفطار في شهر رمضان، ويمكن للمسافر أن يقصر في الصلاة...وغيرها من الرخص، بل إن الله -سبحانه وتعالى- تكرم علينا فجعل ثواب العمل للمريض أو المسافر كما كان عند صحته، وإقامته، ونستأنس هنا بما رواه أبو موسى الأشعري -رضي الله عنه- عن الرسول ﷺ قال: "إذَا مَرِضَ العَبْدُ، أوْ سَافَرَ، كُتِبَ له مِثْلُ ما كانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا."(٢)، وهذا دافع ومحفز لك لكي تستغل صحتك قبل مرضك، وشبابك قبل هرمك، لكي تعبد الله -سبحانه وتعالى- فتلتزم بطاعة تقدر

---

(١) الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٥٨٨٥ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) الراوي: أبو موسى الأشعري | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٢٩٩٦ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

عليها، فتكسب أجرها في مرضك وسفرك وعجزك!، وهذا الكلام في حق من كان يعمل طاعة فمُنع منها وكانت نيته لولا المانع أن يدوم عليها، ويدخل في هذا الفرائض والنوافل -بإذن الله سبحانه وتعالى-، فالحمد لله رب العالمين.

٥٠١. فلْتعلمْ يا أخي أنما الأعمال بالنيّات، وأنما لكل امرئ ما نوى، والنية محلها القلب، فهي كل عمل عزمت عليه، قصدته أو أردته، مثل من قام فاغتسل، فإن كان عزمه عندما قام للاغتسال هو الطهارة من الجنابة فقد تطهر، وإن كان للنظافة الشخصية فهو كذلك، أو مثل تمييز صوم النافلة عن الفريضة، وبهذا فإن أهم ما يراد من النية هو تمييز العبادات عن العادات، وتمييز العبادات بعضها عن بعض، ونستأنس هنا بما رواه عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- عن الرسول الكريم ﷺ قال: "الأعْمَالُ بالنِّيَّةِ، ولِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى، فمَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلى اللهِ ورَسولِهِ فَهِجْرَتُهُ إلى اللهِ ورَسولِهِ، ومَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إلى ما هَاجَرَ إلَيْهِ."(١)، لهذا، فليكن عزمك -نيتك- دومًا خالصًا لله -سبحانه وتعالى-، تبتغي الأجر من خلال ذلك، ولْتعلمْ أن من فضل الله -سبحانه وتعالى- علينا أن من نوى الخير، واقترن بنيته الجازمة سَعْيٌ فيما يقدر عليه، ثم لم يقدر، فإنه ينزل منزلة الفاعل التام، أما من نوى الشر وهم لذلك ثم لم يفعلها كتبت له حسنة...، قال تعالى في سورة التوبة: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ۝٩٢﴾، فسبحان الله أكرم الأكرمين!

٥٠٢. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- لا يرضى عن القوم الفاسقين،

---

(١) الراوي: عمر بن الخطاب | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٥٤ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

والفاسقون هم كل من خرج عن طاعة الله -سبحانه وتعالى- واتباع أوامره إلى ما يغضبه كالشرك، والكفر، وكبائر الذنوب، ونحن بدورنا لن نرضى أيضًا عمن لم يرضَ الله -سبحانه وتعالى- عنه، فلا نؤيده في باطل يقوم به، ولا نرضى به فنقبله!، ولو أننا رضينا بذلك -والعياذ بالله-، فإن الله -سبحانه وتعالى- لن يرضى عن ذلك وهو الحق، وهو القادر علينا جميعًا، فلنتقِ الله!

٥٠٣. فلْتعلمْ يا أخي أننا لا يمكن أن نحاكم الناس على ما في قلوبهم دون أن يظهر منهم ما يدل على ما تحتويه قلوبهم!، وهذا من حكمة الله -سبحانه وتعالى- في عباده، فالحمد لله.

٥٠٤. فلْتعلمْ يا أخي أن الاعتراف بالذنب فضيلة ونعمة لأي إنسان، ففيه تهذيب للنفس، وكسر الكبر، وبه تتعرف النفس على ضعفها، وتدرك مقدارها، وفيه الصفاء بعد الذنب، والطهارة بعد الدنس!، والاعتراف بالذنب هو اعتراف بين يدي الله -سبحانه وتعالى- وحده، فلا يجاهر أحدنا أو يذكر معصيته فيظن أن هذه اعتراف بالذنب!، بل اعلم أن الله -سبحانه وتعالى- جعل اللجوء إليه، والإقرار بالذنب، ودعوته من سبل النجاة، فمن خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا، وبقي قلبه بين الخوف والرجاء، مقرًا بذنبه، فعسى أن يغفر الله له، فيقبل توبته، أو يهديه إليها، ولْتعلمْ أن الاعتراف بالذنب أمام الناس إن كان لمصلحة معتبرة فذلك خير، كالذي يسأل عالمًا عن ذنب ارتكبه، أو صديق له في مسألة بعد أن يتحرى منه كتم السر وحفظه، والقدرة على مساعدته، كما ينبغي عليك عند ذكر ذنبك تجنب التفاصيل غير المهمة، وتجنب ذكر الأشخاص الذين شاركوك في المعصية، فالاعتراف هنا لا يعني الفضيحة، ولا يعني كشف الستر!، وكل هذا بما تقتضيه المصلحة الشرعية وضمن ضوابطها -والتي ذكرنا جزءًا يسيرًا منها-! والله المستعان.

٥٠٥. فلْتعلمْ أن كل عمل فيه مضارة لمسلم، أو فيه معصية للّه، أو فيه تفريق بين المؤمنين، أو فيه معاونة لمن عادى الله ورسوله، فإنه محرم ممنوع، والعكس بالعكس، ولْتعلمْ أن العمل المبني على الإخلاص والمتابعة، هو العمل المؤسس على التقوى، الموصل عامله إلى جنات النعيم، والعمل المبني على سوء القصد وعلى البدع والضلال، هو العمل المؤسس على شفا جرف هار، فانهار به في نار جهنم، والله لا يهدي القوم الظالمين.(١)

٥٠٦. هل تحب يا أخي أن تكون من المؤمنين الذين بشرهم رب العزة -جل في علاه- بدخول الجنات؟ إذا أردت ذلك، اقرأ هذه الآية في سورة التوبة، واحرص على ما فيها: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾، فكن توابًا لله -سبحانه وتعالى- في كل أوقاتك وفي جميع أحوالك، عابدًا لله -سبحانه وتعالى- مطيعًا له فيما أوجب واستحب، تاركًا لما حرم وكره، مستمرًا ومداومًا على ذلك حتى مماتك، حامدًا لله -سبحانه وتعالى- في السراء والضراء، شاكرًا لأنعمه، ما ظهر منها وما بطن، سائحًا أي متقربًا لله -سبحانه وتعالى- فتعرف الله -سبحانه وتعالى- وتحبه، وتسيح عن اللذات بالمداومة على الصيام -صيام الفرض، وقيل الفرض والنوافل-، وتسيح فتسافر قاصدًا رضا الله -سبحانه وتعالى-، كالحج والعمرة والجهاد في سبيل الله -سبحانه وتعالى- وطلب العلم وصلة الأرحام، راكعًا لله -سبحانه وتعالى- أي -مداومًا حريصًا على

---

(١) منقول بتصرف | كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | الجزء الحادي عشر | الآية ١١٠ | الصفحة ٣٥٢ | مؤسسة الرسالة | بيروت

الصلاة-، آمرًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر، حافظًا لحدود الله -سبحانه وتعالى-، فتعلم ما أوجب عليك فعله، وما أوجب عليك تركه، تقوم بأمر الله -سبحانه وتعالى- كما أمر، فيا رب اجعلنا من أهل هذه البشارة برحمتك يا أرحم الراحمين.

٥٠٧. فلْتعلمْ يا أخي أن الدعاء بالرحمة والاستغفار لمن مات على الكفر أو الشرك حرام شرعًا، لأن من مات على الشرك أو الكفر حقت عليه كلمة العذاب، فلا ينفع من مات على الكفر شفاعة الشافعين، ولا استغفارهم، قال تعالى في سورة التوبة: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣﴾، فلا يجدر بالنبي -عليه الصلاة والسلام- ولا المؤمنين به أن يفعلوا ذلك، ونستأنس هنا بما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- عن الرسول الكريم ﷺ قال: "اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أنْ أسْتَغْفِرَ لِأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، واسْتَأْذَنْتُهُ أنْ أزُورَ قَبْرَها فأذِنَ لِي"(١)، لهذا كن ممن قال، سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا وإليك المصير.

٥٠٨. فلْتعلمْ يا أخي أن الأنس بالله -سبحانه وتعالى- هو ما تطيب النفس به، وهو الملجأ إن ضاقت على الإنسان الأرض بما رحبت، وضاقت عليه نفسه التي يحبها، فالله -سبحانه وتعالى- هو مالك الأمر، ينجي من يشاء من عباده، ويغفر لهم، ولْتعلمْ أن من كان أنسه بالله -سبحانه وتعالى- لن يرى الهم في بُعد الناس عنه، ولن يكون الناس هم أول اهتماماته وأرفعها، ولم يكن رضاهم أو سخطهم يعني له شيئًا، ولْتعلمْ أن صحبة الصالحين والأنس بهم مما يقوي العزم، ويشد به من الأزر، لكن، من هم الصحبة الصالحة؟!، الجواب هو: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٩٧٦ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾﴾، انظر لجمال المعنى الرباني في هذه الآية، الصحبة الصالحة هي تلك الصحبة التي تدعو ربها في الغداة والعشي!، يدعون الله -سبحانه وتعالى- أول النهار وآخره، لا يريدون إلا وجهه!، مخلصين له أعمالهم وعباداتهم!، هؤلاء هم المميزون حقًا!، انظر لطلب سيدنا موسى -عليه السلام: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾﴾، هذا الوزير سيكون مؤنسًا لكي نسبحك كثيرًا ونذكرك كثيرًا!، سبحان الله!، أرأيت الآن من هم الصالحين؟!، أرأيت من هم الذين تشد بهم أزرك؟!، باختصار هم الأشخاص الذين يذكرونك بالله -سبحانه وتعالى- بمجرد رؤيتك لهم، يذكرونك بالله -سبحانه وتعالى- بذكرهم وإخلاصهم وعباداتهم، يذكرونك بالله -سبحانه وتعالى- إن أخطأت أو تقاعست، يأخذون بيدك إلى الخير، ويكفون يدك عن الشر!، يذكرون الله -سبحانه وتعالى- قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم -سبحان الله ما أجملهم-!، فإن وجدتهم، فاحرص على صحبتهم والأنس بهم!، فاللهم اجعل أنسنا بك وحدك لا شريك لك، واجعل أنسنا من عبادك الصالحين أنسًا يقربنا إليك وإلى طاعتك، فرحين بما وهبتنا من الهداية والهدى، والحب فيك، يا رب العالمين، ويا أكرم الأكرمين يا الله.

٥٠٩. فلْتعلمْ يا أخي أن العلم فضيلة يجب السعي وراءها، والحصول عليها، ومن العلوم ما طلبه فرض عين، ومنها ما هو فرض كفاية، ومنها ما هو سنة ونحو ذلك!، وأعظم العلوم وأجلها هي العلوم الدينية -التفقه في الدين-، ولْتعلمْ أننا معشر المسلمين ملزمون ببناء العلماء في مختلف مجالات العلم النافع، والتي لا تقوم أي دولة إلا بها، ولا تحمي نفسها وترهب أعداءها إلا من خلالها، ولْتعلمْ أن كل عالم

من هؤلاء العلماء على ثغر عظيم من ثغور هذه الأمة، فهم قائمون على خدمة هذه الأمة بحمايتها من الجهل وما يترتب على ذلك الجهل! فهم القائمون على نشر العلوم بين الناس وتفقيههم في أمر دينهم ودنياهم، وهؤلاء ممن يجب أن يتم حمايتهم ورعايتهم والحرص عليهم أشد الحرص، ونستأنس هنا بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾، فكان الحرص على ترك طائفة من المسلمين ليتفقهوا في أمر دينهم ثم يعلمون الناس وينشرون علمهم وما تعلموا واضحًا جليًا في الآية، ونرى فيها بكل وضوح الحث على العلم ومكانته حتى في وقت الجهاد والنفير، ونستأنس هنا بما روي عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنه- عن الرسول ﷺ قال: "إنَّ اللهَ لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، ولَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بقَبْضِ العُلَمَاءِ، حتَّى إذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فأفْتَوْا بغيرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا"[١]، فالحمد لله الذي أعطى لكل شيء حقه حتى أيقنا عظيم حكمته وجلاله، والحمد لله الذي حث على طلب العلم وأبغض الجهل، الحمد لله.

٥١٠. فلْتعلمْ أن الذين آمنوا ما إن يروا من آيات الله -سبحانه وتعالى- ومعجزاته وحسن تدبيره وكمال حكمته وعلمه ما رأوا إلا استبشروا بما وعدهم الله -سبحانه وتعالى-، وبما رأوه من صدق ما وعدهم الله -سبحانه وتعالى-، فترى المؤمن إذا تفكر في خلق السماوات والأرض، وتفكر في خلق الإنسان، وتفكر في هذه المخلوقات، وتفكر في التكامل العجيب والضبط البديع ازداد إيمانًا ويقينًا بالله -

---

(١) الراوي: عبد الله بن عمرو | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ١٠٠ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

سبحانه وتعالى-، وعكس هذا ينطبق على من كفر بما رأى من الحق ونافق، فيسعى جاهدًا لتضليل ما ظهر من الحق والافتراء عليه أو أخذه إلى منحنيات أُخر، لكي لا يقر بأن هذا الإعجاز العظيم والإبداع المتين هو للخالق العظيم الأوحد، بل يخترع إلهًا من هواه ويلقي إليه هذا الإبداع من دون دليل، أو مما يصنع من الكذب والنفاق، والله المستعان.

٥١١. فلْتعلمْ يا أخي أن الإيمان يزيد وينقص، وأنه ينبغي للمؤمن، أن يتفقد إيمانه ويتعاهده، فيجدده وينميه، ليكون دائمًا في صعود، ونستأنس هنا بما رواه حنظلة -رضي الله عنه- قال: "لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقالَ: كيفَ أَنْتَ؟ يا حَنْظَلَةُ قالَ: قُلتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قالَ: سُبْحَانَ الله ما تَقُولُ؟ قالَ: قُلتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ، يُذَكِّرُنَا بالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حتَّى كَأنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِن عِندِ رَسُولِ الله ﷺ، عَافَسْنَا الأزْوَاجَ وَالأوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَالله إنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هذا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حتَّى دَخَلْنَا علَى رَسُولِ الله ﷺ، قُلتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يا رَسُولَ اللهِ، فَقالَ رَسُولُ الله ﷺ وَما ذَاكَ؟ قُلتُ: يا رَسُولَ اللهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حتَّى كَأنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِن عِندِكَ، عَافَسْنَا الأزْوَاجَ وَالأوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا فَقالَ رَسُولُ الله ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ إنْ لو تَدُومُونَ علَى ما تَكُونُونَ عِندِي، وفي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ المَلَائِكَةُ علَى فُرُشِكُمْ وفي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ."(١)، فهذا الأمر -زيادة الإيمان ونقصانه- هو مما تتقلب به النفس البشرية، فتارة عند الوعظ والعمل الصالح ترق القلوب، وتارة

(١) الراوي: حنظلة بن حذيم الحنفي | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٧٥٠ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

إذا انشغلت بملاهي الدنيا وابتعدت وجد الإنسان قلبه على غير حال، لذلك قال الرسول الكريم ﷺ ساعة وساعة، أي ساعة في الحضور والذكر، وساعة في معاسفة الأولاد والزوجات -أي أعطِ لكل شيء حقه-، وهذا يدل أيضًا على أمر مهم وهو الحفاظ على القلوب وتنشيطها دومًا، فيبقى الإيمان ويزداد، فإن تُرك القلب في ملاهي الدنيا دون ذكر الله -سبحانه وتعالى- والقيام بالصالحات، نقص من الإيمان بمقدار البعد عن الله -سبحانه وتعالى- وذكره، لذلك داوم على الصالحات ما استطعت، وأعطِ لكل ذي حق حقه، **وأحق حق يمكن أن تعطيه هو ما استحقته نفسك منك!، ومما وجب عليك القيام به!، وأسمى ما تستحقه نفسك هو أن تعلقها بالله -سبحانه وتعالى- وتذكرها به!** ولْتعلمْ أن البلاء قد يأتي ليوقد في القلب شعلة الإيمان، فترى من البأساء والضراء ما يذكرك بالله -سبحانه وتعالى- وقوته، وما يذكرك بضعفك وعجزك، وما يقودك إلى التوبة إلى الله -سبحانه وتعالى-، فيزداد الإيمان بعد نقص، وتتذكر بعد نسيان وفتور، والحمد لله رب العالمين.

٥١٢. فلْتعلمْ يا أخي أن الدعوة للصلاح قد تأتي من شخص بسيط المنظر، عظيم الجوهر، فلا تتعجب من ذلك، ولا يكن في قلبك مانع يمنعك من اتباع الحق الذي قيل لك، لكبرك على من قال كلمة الحق، فلا تستصغر أو تستحقر أحدًا، فهذا هو الكبر!، ونستأنس هنا بما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- عن الرسول ﷺ قال: "رُبَّ أشْعَثَ، مَدْفُوعٍ بالأبْوابِ لو أقْسَمَ علَى اللهِ لأَبَرَّهُ."(١)، فالله -سبحانه وتعالى- لا ينظر إلى الصور والأموال، وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال، فرب دعوة أشعث

---

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٦٢٢ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

الشعر مغبر الثياب، أرجى للقبول من دعوة مزين الظاهر خرب الباطن، **فذلك الشخص الذي لا تكترث له ولا تهتم به قد يكون أقرب منك لله -سبحانه وتعالى-، فألن جانبك للحق، وصاحب الناس على ما يحملونه في قلوبهم لا على ما يحملونه في جيوبهم**، تفز بإذن الله تعالى.

٥١٣. فلْتعلم يا أخي أن الهداية إلى طريق الخير من نعم الله سبحانه وتعالى العظيمة، فمن رزقها وتقرب بها إلى الله -سبحانه وتعالى- وجد خيرًا كثيرًا ومنفعة عظيمة!، فتجد في قلب من رُزق هذه النعمة نزعة إيمانية تقوده للتفكر في خلق السماوات والأرض، وتارة أخرى لقراءة القرآن، وتارة أخرى لسماع سيرة الحبيب المصطفى ﷺ، وتارة في طلب العلم والتفكر فيه وفي إبداع الخالق الذي صنعه، وتارة بعمل صالح يكون مثل النهر الجاري في حسناته... وغيرها، فإن وجدت في نفسك همة لعمل لم يكن ليأتي على خاطرك من قبل، أو وجدت عملًا وصل لقلبك بعد أن كان لا يصل لأبعد من أذنك، فتشبث بهذه الفرصة وهذا الرزق بكل جوارحك، فهذا من فضل الله -سبحانه وتعالى- الذي دلك عليه، فانفض لباس العجز والكسل، وقل الحمد لله الذي هداني لهذا وما كنت لأهتدي لولا أن هداني الله، فالحمد لله.

٥١٤. يا أخي، إذا فرغت من الدعاء أو من العمل أو من التعلم أو من الطعام ونحو ذلك، فاحمد لله -سبحانه وتعالى- على ما وهبك من فضله، ونستأنس هنا بقوله تعالى في سورة يونس: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾، فكانت آخر دعواهم -أهل الجنة- أن الحمد لله رب العالمين، بعد أن أكلوا من طيبات ما رزقهم الله -سبحانه وتعالى-، وهذا يقودنا إلى أدب من آداب الطعام، وهو التسمية عند البدء، والحمد عند الانتهاء

من الطعام، ونستأنس هنا بما رواه أنس بن مالك -رضي الله عنه- عن الرسول الكريم ﷺ قال: "إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا"(١)، فاللهم لك الحمد على ما رزقتنا وأكرمتنا.

٥١٥. فلْتعلمْ يا أخي أن الإنسان قد يغضب من أحبابه كأولاده وزوجه وأهله، لكنه يجب عليه أن يضبط مقدار الغضب الذي اشتعل في صدره فلا يدعو عليهم بالشر!، بل إن من رحمة الله -سبحانه وتعالى- أنه لو عجل في إجابة دعوة الشر كما يعجل رب العزة -جل في علاه- إجابة الخير لقضي علينا، ولصار المآل حزينًا، لكن حكمة الله -سبحانه وتعالى- ورحمته سبقت مثل هذه الأقوال، ولنستذكر ما رواه جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- فقال: "سِرْنَا مع رَسولِ اللهِ ﷺ في غَزْوَةِ بَطْنِ بُوَاطٍ، وَهو يَطْلُبُ المَجْدِيَّ بنَ عَمْرٍو الجُهَنِيَّ، وَكانَ النَّاضِحُ يَعْتَقِبُهُ مِنَّا الخَمْسَةُ وَالسِّتَّةُ وَالسَّبْعَةُ، فَدَارَتْ عُقْبَةُ رَجُلٍ مِنَ الأنْصَارِ علَى نَاضِحٍ له، فأنَاخَهُ فَرَكِبَهُ، ثُمَّ بَعَثَهُ فَتَلَدَّنَ عليه بَعْضَ التَّلَدُّنِ، فَقالَ له: شَأْ، لَعَنَكَ اللهُ، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: مَن هذا اللَّاعِنُ بَعِيرَهُ؟ قالَ: أَنَا، يا رَسولَ اللهِ، قالَ: انْزِلْ عنْه، فلا تَصْحَبْنَا بمَلْعُونٍ، لا تَدْعُوا علَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا علَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا علَى أَمْوَالِكُمْ، لا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ."(٢)، فلا تدعُ على نفسك ولا على أولادك ولا على زوجك ولا على أموالك، ولْتعلمْ أنه لولا رحمة من الله -سبحانه وتعالى- سبقت لكنا من الخاسرين، فالحمد لله.

---

(١) الراوي: أنس بن مالك | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٧٣٤ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) الراوي: جابر بن عبد الله | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٣٠٠٩ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

٥١٦. فلْتعلمْ يا أخي أن كثير من الناس ينسون ما مر بهم من بلاء بعد رحمة من الله -سبحانه وتعالى- لهم، فينسون المرض بعد الشفاء، وينسون الفقر بعد الغنى ونحو ذلك، وهذا الأمر من أخطر ما يصيب الإنسان، فاحذر أن تكون ممن نسي فضل الله -سبحانه وتعالى- عليه، فتذكر ذلك عند البلاء لتصبر، وعند النعيم فتشكر!، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٥١٧. قال سبحانه وتعالى في سورة يونس: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾، هذه الآية العظيمة من أحسن الأمثلة التي تصل إلى القلب بشكل لا يستطيع البلغاء والفصحاء وصف جمالها والحديث عن مقتضى معناها، لكنني سأشير إلى عظمة الله -سبحانه وتعالى- وقدرته البالغة على تشبيه حال هذا الإنسان/ الأقوام/ الأمم عند انتقالها من الضعف إلى القوة والفتوة، وعند وصولها إلى البهجة والمسرة التي يسعد الآخرين بالنظر إليها، لكل ما فيها من المسرات والمرغوبات، ثم تجدها ظالمة لنفسها بطمعها وعصيانها وتماديها في الكفر والطمع والبعد عن الله -سبحانه وتعالى-، وفي هذه الأوقات يُظَنّ أنها لن تسقط ولن تهزم ولن تنكسر، فيأتيها أمر الله -سبحانه وتعالى- فيقع عليها ما وقع على من قبلهم فتصبح ضعيفة هرمة عاجزة، وآية لكل مبصر في مصير كل من ضل وأضل، واعتدى وعصى، وهذه الآية العظيمة فيها ما يواسي النفس أن ما نراه من قوة عند أعدائنا لا شيء أمام قدرة الله -سبحانه وتعالى-، فلا تثبط العزائم ولا تضعف حين ترى ما تراه، بل إنني لأنظر إليها وكأنها لا شيء برغم ما تحويه من تقدم صناعي وإبهار مادي!، لأن هذا كله لا شيء أمام إبداع الله -سبحانه

وتعالى- وإعجازه في هذا الكون وما فيه!، فليس إعجابي بما أرى سوى إعجاب بقدرة الله -سبحانه وتعالى- على أن وهب هذه العقول المتنوعة القدرة على اكتشاف ما خلقه واستخدامه!، فسبحانك اللهم!، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٥١٨. فلْتعلمْ يا أخي أن النفوس النقية التقية تتوق للفوز برضا الله -سبحانه وتعالى-، والدخول في رحمته، ومنها إلى دار السلام -الجنة-، فتتوق النفوس إلى كل ما يقربها إلى الله -سبحانه وتعالى- من الأعمال الصالحة، مما تقدر عليه من الأقوال والأفعال، ومن بذل الإحسان البدني والمعنوي...وغيرها، ودار السلام هي جزاء من كان حاله مثل هذا، وزيادة فوق هذا النظر إلى وجه الله -سبحانه وتعالى- الكريم، وهذا هو الفوز والرضا والغنيمة التي ليس بعدها شيء، فيا رب اجعلنا ممن اصطفيتهم، ورزقتهم نظرة لوجهك الكريم -سبحانك-، ونستأنس هنا بما رواه صهيب بن سنان -رضي الله عنه- قال: " تلا رسولُ الله ﷺ هذهِ الآيةَ ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ وقالَ إذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ وأهلُ النَّارِ النَّارَ نادى منادٍ يا أهلَ الجنَّةِ إنَّ لكُم عندَ الله موعِدًا يريدُ أن ينجزَكُموهُ فيقولونَ وما هوَ ألَم يثقِّلِ الله موازينَنا ويُبيِّضْ وجوهَنا ويدخلْنا الجنَّةَ وينجِّنا منَ النَّارِ قالَ فيَكشفُ الحجابَ فينظرونَ إليهِ فوالله ما أعطاهمُ الله شيئًا أحبَّ إليهم منَ النَّظرِ - يعني إليهِ - ولا أقرَّ لأعينِهِم"[١]، وأما من كذب وكفر واستكبر؛ فجزاؤه النار -والعياذ بالله-، قلوبهم خائفة من عذاب الله -سبحانه وتعالى- ووجوههم مسودة -والعياذ بالله-.

٥١٩. فلْتعلمْ يا أخي أن توحيد الله -سبحانه وتعالى- هو الحق، والكفر أو

(١) الراوي: صهيب بن سنان الرومي | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح ابن ماجه الصفحة أو الرقم: ١٥٥ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

الشرك به هو الضلال، ولا يوجد تصنيف ثالث، وكل ما ثبت وأمر الله -سبحانه وتعالى- به هو حق، وكل ما خالف ذلك هو باطل وضلال!، فالجنة حق، والنار حق، والموت حق، والساعة حق، والنبيون حق، وهذه من الحقائق المطلقة، والكلام هنا إما حق، وإما ضلال -إما أبيض، وإما أسود-، فلا يوجد منطقة رمادية، ونستأنس هنا بما رواه عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- قال: "كانَ النبيُّ ﷺ إذَا تَهَجَّدَ مِنَ اللَّيْلِ، قالَ: اللهمَّ لكَ الحَمْدُ أنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ والأرْضِ، ولَكَ الحَمْدُ أنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ والأرْضِ، ولَكَ الحَمْدُ أنْتَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ والأرْضِ ومَن فِيهِنَّ، أنْتَ **الحَقُّ**، ووَعْدُكَ **الحَقُّ**، وقَوْلُكَ **الحَقُّ**، ولِقَاؤُكَ **الحَقُّ**، والجَنَّةُ **حَقٌّ**، والنَّارُ **حَقٌّ**، والنَّبِيُّونَ **حَقٌّ**، والسَّاعَةُ **حَقٌّ**، اللهمَّ لكَ أسْلَمْتُ، وبِكَ آمَنْتُ، وعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وإلَيْكَ أنَبْتُ، وبِكَ خَاصَمْتُ، وإلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لي ما قَدَّمْتُ وما أخَّرْتُ، وما أسْرَرْتُ وما أعْلَنْتُ، أنْتَ إلَهِي لا إلَهَ إلَّا أنْتَ."(١)، والضلال هنا يعني الزيغ أو الميل عن الحق، فما كان غير الحق الذي نزل وعلمناه كان ضلالًا عن الحق وميلًا عن طريقه، وهذا يقودنا لنقطة مهمة، وهي التوبة من المعاصي، فكثير ما يخدع الشيطان الإنسان إذا عزم على التوبة، فيقول له: "تفعل كذا وكذا وتريد أن تتوب؟!، وهل تظن أن لك توبة؟!"، **يغرر الشيطان بهذا الإنسان المسكين ويخدعه لئلا يتوب إلى الله -سبحانه وتعالى-، ويوهمه بأنه إما أن يكون ملاكًا وإما أن يكون شيطانًا!**، وهذا الحال هو ما يرضاه الشيطان -لعنه الله- ولا يرضاه الإنسان المنيب لربه المحسن الظن به!، انظر قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ ، فإن الخير إذا لم يُدرك كله، لا يُترك

---

(١) الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٧٤٩٩ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

كله!، وهذا من رحمة الله -سبحانه وتعالى- بنا، فقط اعزم على التوبة بقلب مخلص لله -سبحانه وتعالى-، واسعَ في ذلك، وأقر بذنبك، وطهر ما اجترأت عليه من آثام ومعاصي بالاستغفار وباستبدال السيء بالحسن!، وأكثر ما نراه من أمثلة في زماننا هذا عند "المشاهير"، فإذا عزم أحدهم على التوبة انتفضت شياطين الجن والإنس تمنعه وتحذره وتحاول تضليله وإعادته لسبيل الشيطان، يحاولون أن يجعلوه قانطًا من رحمة الله -سبحانه وتعالى- وغفرانه، ويوهمونه بأنه ما زال معهم فكيف يتوب وعنده من المعاصي ما عنده!، ولا يدرك هؤلاء جهلًا أو كبرًا وغرورًا أن الله -سبحانه وتعالى- الرحمن الرحيم، فرحمته وسعت كل شيء، فمن صدق الله -سبحانه وتعالى- في توبته وأقلع عن الحرام، فثوابه على الله -سبحانه وتعالى-، ولا يقدر أحد على أن يمسك رحمة الله -سبحانه وتعالى -، فهو الغفور الرحيم؛ لمن اعترف بذنبه وتاب وعمل عملًا صالحًا مخلصًا له!، ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، سبحانك ربي ما أعظم غفرانك ورحمتك!، وأنصحك يا أخي بالرفقة الصالحة لأنها تعينك وتذكرك بالله -سبحانه وتعالى-، وأنصحك بالإكثار من الأعمال الصالحة لأنها تدفع ما شاء الله لها من أعمال السوء، وإذا كان لديك من الآثام الجارية ما لديك فحاول حذفها والتخلص منها، فإن لم تستطع فحاول بناء حسنات جارية!، وخلاصة القول، **أن الحقائق لا يمكن أن تكون نسبية، فالله -سبحانه وتعالى- هو الحق وما أخبرنا به حق، وهذا لا ينكر بحال من الأحوال، لا عقلًا ولا نقلًا!، أما الأعمال التي يقوم بها الإنسان من الخير والشر، فالناس فيها في تفاوت، فهناك من هو سابق في الخيرات، وهناك من هو مقتصد، وهناك من هو ظالم لنفسه!، فاحرص على إيمانك بالحقائق واليقين بها، واجتهد ما استطعت، ولتكن منيبًا إلى الله -سبحانه وتعالى- على أي**

حال، معترفًا بتقصيرك وشاكرًا لأنعمه وهدايته!، قال تعالى في سورة الزمر: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾، وقال تعالى في سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾، والأمر كله لله -جل في علاه-، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٥٢٠. يا أخي، فلْتعلمْ أن يقينك يجب ألا يزول بالظن، وظنك يجب ألا يزول بالشك، وشكك لا يجب أن يزول بالوهم، فمثلًا ١+١=٢ هذا يقين لا يزول بالتشكيك أو الوهم أو الظن بأن ١+١ لا يساوي ٢...، وفي هذا الأمر لفتة جميلة لقاعدة فقهية تقول "اليقين لا يزول بالشك"، فمثلًا من تيقن الوضوء وشك في الحدث فهذا يبقى على وضوئه، وهذه القاعدة -حسب اعتقادي- من أكثر ما يريح النفس ويهدئ من روعها، ويزيل عنها الوساوس، لما فيها من تحويل موضع النظر من الشك إلى اليقين الذي هو أولى بالاتباع.

ملاحظات: اليقين: هو الاعتقاد الجازم الذي لا مجال فيه للشك. أما الظن: فهو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض. أما الشك: فهو التردد بين متناقضين دون ترجيح أحدهما على الآخر. أما الوهم: فهو مجرد الخواطر التي تقع بالقلب.

٥٢١. فلْتعلمْ يا أخي أن الإنسان عليه التثبت في الأمور التي تصل إلى مسامعه، فلا ينبغي لنا أن نبادر بقبول أو رد الأمر بدون أن نحيط به علمًا، ولا أن يُبنى قرار المرء على مجرد وهم، فهذا من دروب الجهل!

٥٢٢. فلْتعلمْ يا أخي أن لكل منا عمله في هذه الدنيا، فيجب أن تتقن العمل الذي وُكل إليك، فإنه سيق لك لتسد به ثغرًا، ومجموع هذه الأعمال تُشكل الأمة التي

تبني نفسها من خلال ما يبنيه أفرادها بإتقان وحرص، وإهمالنا لما وكلنا به من أعمال يعود سلبًا على الأمة ككل، وينقص من قدر هذه الأمة بمقدار ما يتجاهل أفرادها من أعمالهم وينتقصونها، ولْتعلمْ أن كل واحد منا على ثَغرة من ثُغَر الإسلام، فالله الله أن يؤتى الإسلام من قِبله، فاحرص على أمر دينك في نصرته بالعلم والقوة، وفي إظهاره ونشره، وفي أن تكون داعيًا إلى الله -سبحانه وتعالى- يسير على الأرض، فيرى الناس من حسن خُلقك ما يعكس كل خير، وهذا في الأمور الدينية والدنيوية.

٥٢٣. يا أخي، إذا جلست تستمع لحديث أحدهم، فاستمع بلسان حال الباحث عن الحق، لا المستمع الحاضر لأجل التكذيب أو تتبع العثرات!، بل عليك أن تجلس جلسة الباحث عن الحق، تفكر فيما أتاك، فتعقله وتدخله مدخله، وتخرجه مخرجه، حتى يتبين لك الحق من الضلال، وفي هذا الخير لك ولصاحبك!، أما حضورك باحثًا عن العثرات من القول لغاية تُرضي بها هواك ولتكذب بها صاحبها من غير وجه حق فهذا من سبل الجُّهال والضُّلَّال!، فاحذر أن تكون منهم!

٥٢٤. هناك يا أخي تركيبة عظيمة مكونة من ثلاثة أجزاء، إن تناسقت وتناغمت فيما بينها كانت النتائج عظيمة على صاحبها ونافعة له، هذه التركيبة تحتوي في ثناياها على: التعقل، والاستماع، والإبصار، فمن استمع لما يقال له، ومن بصر فيما يراه، ثم قاد هذه المدخلات السمعية والبصرية حتى يعقلها -أي كي يدرك ما فيها ويتوقف عندها فيميز الخبيث من الطيب- صارت له تصورات أكثر واقعية عما يدور حوله من أحداث، ومما يقال ويشاهد، وأصبح التأثير السلبي على نفسه أقل شدة ووطأة، لأن النفس علمت وتجنبت الكثير مما يضرها، وكسبت وأدخلت إليها ما ينفعها، وهذا من سبل الفلاح في الدين والدنيا، فمن أنصت واستمع وتبصر وتعقل في كتاب الله -سبحانه وتعالى- وأوامره سيجد خيرًا كثيرًا لم يكن يتصوره، كحال التاجر الذي لا

يقدم على تجارة حتى يسمع ما يسره من رغبة الناس فيما سيقدمه لهم أو يبصر هذه الرغبة لديهم، فيعقلها ويدرك مقدار حاجتهم لها فيدخل سبيل هذه التجارة بعد تعقل قاده لتصور، هذا التصور يجعله شديد العزم على خوض غمار هذه التجارة لما فيها من مكاسب عظيمة بعد ظنه بنجاحها، لذلك، تعقل فيما تسمع وتبصر، يكن لك تصورًا يقودك لمغنم!، لذلك قيل: "عمل الرجل فيما يعلم أنه خطأ هوى، والهوى آفة العفاف، وتركه العمل بما يعلم أنه صوابٌ تهاونٌ، والتهاونُ آفة الدين، **وإقدامه على ما لا يدري أصوابٌ هو أم خطـًا جماح، والجماح آفة العقل**"، والله ولي التوفيق.

ملاحظة: ما يقصد بالاستماع والإبصار هو ليس مجرد الإدراك الحسي للصوت والصورة، بل هو أعمق من أن يكون كذلك، فمعظم الناس ترى بأعينها وتسمع بآذانها، لكنها لا تتوقف على ما تسمع وترى، ولا تهتم بذلك، وهذا هو عين الخطر!

٥٢٥. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- هو العدل، ولا يظلم ربك أحدًا، فلا يزيد من سيئات الظالمين، ولا ينقص من حسناتهم شيئًا!، ولْتعلمْ أن الإنسان هو من يظلم نفسه بكفره وعصيانه وتمرده على ما أمر به!، لهذا فلا يلومن الظالم إلا نفسه! ونستأنس هنا بما رواه أبو ذر الغفاري -رضي الله عنه-: "عَنِ النبيِّ ﷺ، فِيما رَوَى عَنِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قالَ: يا عِبَادِي إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ علَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فلا تَظَالَمُوا، يا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إلَّا مَن هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إلَّا مَن أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إلَّا مَن كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يا عِبَادِي إنَّكُمْ تُخْطِئُونَ باللَّيْلِ وَالنَّهارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يا عِبَادِي إنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يا عِبَادِي لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ

وَجِنَّكُمْ كَانُوا علَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنكُمْ، ما زَادَ ذلكَ في مُلْكِي شيئًا، يا عِبَادِي لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا علَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، ما نَقَصَ ذلكَ مِن مُلْكِي شيئًا، يا عِبَادِي لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا في صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فأعْطَيْتُ كُلَّ إنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، ما نَقَصَ ذلكَ ممَّا عِندِي إلَّا كما يَنْقُصُ المِخْيَطُ إذَا أُدْخِلَ البَحْرَ، يا عِبَادِي إنَّما هي أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إيَّاهَا، فمَن وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَن وَجَدَ غيرَ ذلكَ، فلا يَلُومَنَّ إلَّا نَفْسَهُ.وفي روايةٍ: إنِّي حَرَّمْتُ علَى نَفْسِي الظُّلْمَ وعلَى عِبَادِي، فلا تَظَالَمُوا."[(١)]، فسبحان من حرم الظلم على نفسه، وجعل الظلم بيننا حرامًا، ونهانا عن أن يظلم بعضنا بعضًا، ودلنا على رحمته وعظم ملكوته وقدرته وواسع مغفرته وعفوه، فسبحانك اللهم ما أعظمك!

٥٢٦. فلْتعلمْ يا أخي أن العذاب الواقع على الظالمين والمفسدين -في الدنيا قبل الآخرة- هو مما تسر به النفوس وتقر به الأعين، بل هي من نعم الله -سبحانه وتعالى- التي تستوجب الحمد والثناء لرب العزة -سبحانه وتعالى-، ونستأنس هنا بما رواه أبو قتادة الحارث بن ربعي -رضي الله عنه- قال: "أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ مُرَّ عليه بجِنَازَةٍ، فَقالَ: مُسْتَرِيحٌ ومُسْتَرَاحٌ منه قالوا: يا رَسولَ اللهِ، ما المُسْتَرِيحُ والمُسْتَرَاحُ منه؟ قالَ: العَبْدُ المُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِن نَصَبِ الدُّنْيَا وأَذَاهَا إلى رَحْمَةِ اللهِ، والعَبْدُ الفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ منه العِبَادُ والبِلَادُ، والشَّجَرُ والدَّوَابُّ."[(٢)]، وقال سبحانه وتعالى في سورة الأنعام: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾، فالفرحة التي تقع هي فرحة بذهاب الظلام وظلمهم والفجار وفجورهم، وفرحة وشفاء لصدور من

(١) الراوي: أبو ذر الغفاري | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٥٧٧ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) الراوي: أبو قتادة الحارث بن ربعي | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٥١٢ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

تعرضوا لظلمهم، فرحة بنعمة الله -سبحانه وتعالى- بأن كف ظلمهم، كما أن هذا الفرح يُظهر ظلم هذا الظالم وفجوره وفساده بين الناس، وفيه تذكرة لمن بقي على الظلم بأن مصيره لن يختلف عن صاحبه!،فالحمد لله رب العالمين.

٥٢٧. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- رغّب في قراءة القرآن الكريم وتدبره وحث على ذلك، ففيه شفاء لما في الصدور من أمراض الشهوات والشبهات، وفيه من الرغبة والرهبة، والعزة والعبودية ما يكون ضابطًا للإنسان ليحيا حياة سوية متسقة بين جسده وروحه، مؤديًا لسبب وجوده في هذه الحياة، وأعظم نجاة في هذه الدنيا تكون عند النجاة من أمراض القلوب، ولْتعلمْ أن الفرحة تجب على من تفضل الله -سبحانه وتعالى- عليه وهُدي إلى القرآن الكريم وعرفه، ورُزق برحمة الله -سبحانه وتعالى- الإيمان به وبما أنزل وأمر، فهذا كله مما يشحذ الهمم على طلب العلم وينشطها، ويزيد في الرغبة في أمور الإيمان وكل ما فيه خير، قال سبحانه وتعالى في سورة يونس: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾، فالحمد لله الهادي المتفضل على عباده بفضله ورحمته.

شهادة: والله إني لأشهد أن هذا حق، فلم أكن ذا همة فيما مضى من عمري كما هو حالي الآن، حتى إن هذه الهمة قادتني لتعلم الكثير من العلوم الشرعية، والتعمق في بعض العلوم الدنيوية المتعلقة بمجال علمي وعملي، لأكون قويًا فيهما، ولأحقق الاستخلاف المطلوب وعمارة الأرض، ولم تكن نفسي التي عهدتها كنفسي الآن، فسبحانك اللهم!

٥٢٨. إياك يا أخي أن تُحرم ما أحل الله -سبحانه وتعالى-، أو أن تحلل ما حرم الله -سبحانه وتعالى-، فهذه أحكام الله -سبحانه وتعالى- وأوامره، فلا نضيق

على أنفسنا فيما أحله الله -سبحانه وتعالى- لنا، ولا نرمي بأنفسنا في شهوات البدن، فنحلل ما حُرم علينا، ونستأنس هنا بقوله -سبحانه وتعالى- في سورة التحريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١﴾، وهذه الصورة موجودة في عصرنا الآن، مثل تحريم اللحم والسمك على النفس!، وهنا الناس ثلاثة أنواع، الأول: من يحرمها على نفسه ويدعو الناس لتركها على أنها حرام، والثاني: حرمها على نفسه ليجعل من نفسه ظريفًا!، فالأول عارض حكمًا شرعيًا، والثاني حرمها على نفسه فظلم نفسه!، وأما الثالث فهو من ترك نوع معين من الطعام لأن نفسه تعافه كالضب، فلا بأس لذلك، ونستأنس هنا بقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٨٧﴾.

٥٢٩. فلْتعلمْ يا أخي أن أولياء الله -سبحانه وتعالى- لا خوف عليهم، ولا هم يحزنون، وأولياء الله -سبحانه وتعالى- هم كل من تولاهم رب العزة -جل في علاه-، وهم كل من آمن بالله -سبحانه وتعالى- واتقاه وتحاب في الله -سبحانه وتعالى-، ونستأنس هنا بما روي عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: "قال النَّبيُّ ﷺ: إنَّ مِن عِبادِ الله لَأُناسًا ما هم بأنبياءَ، ولا شُهداءَ، يَغبِطُهمُ الأنبياءُ والشُّهداءُ يومَ القيامةِ لِمَكانِهم مِنَ اللهِ. قالوا: يا رَسولَ الله تُخبِرُنا مَن هم. قال: هم قَومٌ تَحابُّوا بِرُوحِ الله على غَيرِ أرحامٍ بَينَهم، ولا أموالٍ يَتعاطَوْنها، فواللهِ إنَّ وُجوهَهم لَنورٌ، وإنَّهم لَعلى نُورٍ: لا يَخافونَ إذا خافَ النَّاسُ، ولا يَحزَنونَ إذا حَزِنَ النَّاسُ. وقَرَأ هذه الآيةَ ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]."[1]، ولْتعلمْ أن

(١) الراوي: عمر بن الخطاب | المحدث: شعيب الأرناؤوط | المصدر: تخريج سنن أبي داود الصفحة أو الرقم: ٣٥٢٧ | خلاصة حكم المحدث: صحيح - ذكر الحديث في أكثر من موضع وأكثر من

لأولياء الله -سبحانه وتعالى- البشرى في الحياة الدنيا والآخرة، فبشراهم في الدنيا ما يجدونه في كل خير تلطف الله -سبحانه وتعالى- عليهم به، مما كان للقلب ومما كان للبدن، ومما قد يقع لهم من رؤيا صالحة، وذكر حسن بين الناس!، وأما البشرى في الآخرة؛ أن وعدهم الله -سبحانه وتعالى- بالفوز بجنانه، والبشرى بدخولها، فيا ربي يا رحمن، اجعلنا منهم بفضلك ورحمتك علينا يا أكرم الأكرمين، ويا أرحم الراحمين يا الله. ملاحظة: فلْتعلمْ يا أخي أن أصحاب هذه المنزلة الطيبة لا يجب أن يُدنسوا بأعمال الشرك، فتتبرك بهم، أو ترجو منهم الرحمة والغفران، أو تطلب منهم حاجتك، أو تتقدم بالذبح عندهم ونحو ذلك من أفعال الجهال! بل إنهم عبيد لله سبحانه وتعالى كما أنت عبد له، ويرجون من الله ما ترجوه، فاطلب حاجتك من الله مباشرة دون وساطة، والحمد لله رب العالمين.

٥٣٠. فلْتعلمْ يا أخي أن التمويه في الحقائق من الأساليب التي يتخذها أهل الباطل أمام المصلحين، ومن هذا اتهام المصلحين بأنهم ما يفعلون هذا إلا لغاية دنيوية كأن يكونون رؤساء أو أصحاب مال ونحو ذلك من هذه الأقوال، وهذا مما يُرد، ولا يقبله أي عاقل، فالحجة لا تذهب إلا بالحجة، أما مقابلة الحجة الدامغة والبراهين الصادقة باتهام المصلح في شخصه أو قلبه...ونحو ذلك، فهذا لا يفعله إلا من لم يملك الحجة ولم يملك البرهان!، ويسعى لكسب عوام الناس وجهالهم بإرهابهم بما ينطقون من تمويه وكذب محض!، ونستأنس هنا بما قاله فرعون وقومه لنبي الله موسى -عليه السلام- في سورة الأعراف: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ٧٨ ﴾، فكان من جملة ما

باب، وخلاصة حكم الحديث تراوحت بين الحسن، والصحيح، والصحيح لغيره...

قالوه في ردهم عن الحق، أنكم ما جئتم إلا ليكون لكم الملك والسلطان، فسبحان الله جل في علاه، أظهرَ الحق ونصر نبيه، وأبطل الباطل فأذل أعداءه!...

٥٣١. فلْتعلمْ يا أخي أن الباطل مهما اشتهر وعظم في فترة من الفترات، ومهما كان له من قوة، فإنه سيضمحل بالنهاية ولن يبقى، والقصص كثيرة على مر العصور، فمثلًا السحر الذي جاء به سحرة فرعون كان عظيمًا، لكنه أمام الحق الذي أيده الله -سبحانه وتعالى- لموسى اضمحل، ودعوة حبيبنا ونبينا محمد ﷺ حاربت ما اشتهر عند العرب من الأوثان، فلم يكن بد من اضمحلال الأوثان وعبادتها، وانتشار عبادة الله -سبحانه وتعالى-، فقُضي على الباطل منذ أكثر من ١٤٠٠ عام، واستمر الحق وسيستمر إلى قيام الساعة!، وهذا أيضًا مما يُشاهد من أصحاب العلم الزائف والذين يحاولون بشتى الطرق التدليل على باطلهم تارة بالكذب، وتارة بالخداع وغيرها، وما كان مصيرهم إلا أن يظهر كذبهم مرة بعد مرة، حتى يسقط باطلهم ويضمحل كما سقط الذي قبله...فالحمد لله.

٥٣٢. يا أخي، فلْتعلمْ أن هناك الكثير من المسرفين في الأرض، الذين أكثروا فيها جورًا وظلمًا وقتلًا وتخويفًا، متجاوزين كل حد في البغي والعدوان، لكن رغم ذلك، كان صمود الشباب أو مجرد وجودهم أشد ما يقلق ويخيف هؤلاء المفسدين، لذلك كانوا هم الفئة الأكثر استهدافًا من أي مسرف ومن أي عدو!، فالخوف يأتي من هذه الطاقات الكامنة، والنصر يكون منها أيضًا!، والخسارة الكبرى هي أن يقتل الشباب في ذروة شبابهم، من خلال سفك دمائهم، أو سجنهم وتعذيبهم، أو تجهيلهم، أو محو عزتهم ورمي توافه الأمور لتكون أعظم أمنياتهم!، ولا يقال لهذه الفئة إلا أن اصبروا وصابروا ورابطوا على ما أنتم عليه من الحق، واستعينوا بالله -سبحانه وتعالى- واطلبوا النصر من عنده ولا تيأسوا، وتوكلوا عليه حق توكله، واسألوه الثبات فلا يفتننكم الظالمون، ولا يسلطوا عليكم، ولتكن عقولكم نيرة، وأبدانكم

قوية صحيحة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم النصر من عندك، ﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

٥٣٣. فلْتعلمْ يا أخي أن الشباب هم عنوان التغيير في المجتمعات فتجهيلهم وتعطيل طاقاتهم وإذلالهم وإضاعة أوقاتهم في توافه الأمور وتدمير معيشتهم وتسهيل الحرام وتصعيب الحلال سيُخرج جيلًا مهزومًا ضائعًا وأمة ضعيفة!، وسيزداد الأمر سوءًا حتى إذا ضاقت أتى الفرج من عند الله -سبحانه وتعالى-، فتنفجر هذه المشاكل والمظالم داعية للإصلاح...، ومع أن الشيوخ هم الأكثر رُشدًا وخبرة في هذه الحياة والأكثر تأنيًا وترويًا، فالشباب هم الأكثر استثارة ومثابرة وصبرًا وتحملًا، فهم أجلد على العمل، وأصبر على ما يريدون ومتحمسون للتغير، ونقصان هذه الفئة في أي أمة دليل على بوادر الضعف والعجز، ولهذا يطلق على أوروبا حاليًا بأنها "القارة العجوز"، وهذا ما حاولت العديد من الدول في هذه القارة من تفاديه من خلال العديد من الإجراءات منها استقبال اللاجئين أو سن قوانين تقدم دعم مالي للمرأة التي ستنجب متكفلين بالعديد من الأمور التي تخص الطفل..وغيرها، وكل هذا ليحافظوا على قوتهم وعلى قدرتهم في الاستمرار، قال تعالى في سورة يونس: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ ﴾، قال ابن كثير -رحمه الله-: "وهؤلاء هم الشباب؛ لأن سنة الله في الدعوة بَدءًا من نوح إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، إنما الذين يحملون همها هم الشباب."[1]، وقال السعدي -رحمه الله-: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ ﴾ أي: شباب من بني إسرائيل، صبروا على الخوف، لما ثبت في قلوبهم الإيمان. ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾ عن دينهم

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ٩٤١ | تفسير سورة يونس | الآية ٨٣ | دار ابن حزم | بيروت

﴿وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: له القهر والغلبة فيها، فحقيق بهم أن يخافوا من بطشته. ﴿و﴾ خصوصًا ﴿إِنَّهُۥ﴾ كان ﴿لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ أي: المتجاوزين للحد، في البغي والعدوان. والحكمة -والله أعلم- بكونه ما آمن لموسى إلا ذرية من قومه، أن الذرية والشباب، أقبل للحق، وأسرع له انقيادًا، بخلاف الشيوخ ونحوهم، ممن تربى على الكفر فإنهم -بسبب ما مكث في قلوبهم من العقائد الفاسدة- أبعد من الحق من غيرهم."[1]، قال تعالى في سورة الكهف: ﴿إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣﴾، قال ابن كثير -رحمه الله-: "فذكر تعالى أنهم فتية - وهم الشباب - وهم أقبل للحق، وأهدى للسبيل من الشيوخ، الذين قد عتوا وعسوا في دين الباطل؛ ولهذا كان أكثر المستجيبين لله ولرسوله ﷺ شبابًا. وأما المشايخ من قريش، فعامتهم بقوا على دينهم، ولم يسلم منهم إلا القليل. وهكذا أخبر تعالى عن أصحاب الكهف أنهم كانوا فتية شبابًا"[2]، وقال القرطبي -رحمه الله-: "وقوله تعالى: إنهم فتية أي شباب وأحداث حكم لهم بالفتوة حين آمنوا بلا واسطة"[3]، وقال البغوي -رحمه الله-: ﴿إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ﴾ شُبان ﴿ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾ إيمانًا وبصيرة"[4]، قال تعالى: ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ٦٠﴾، وفي السيرة النبوية الشريفة

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة يونس | الجزء الحادي عشر | الآية ٨٣ | الصفحة ٣٧١ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١١٤٧ | تفسير سورة الكهف | الآية ١٣ | دار ابن حزم | بيروت

(٣) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ١٣ | الصفحة ٢٢٢ | تفسير سورة الكهف | الآية ١٣ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٤) كتاب معالم التنزيل (تفسير البغوي) | أبي محمد البغوي | المجلد الخامس | تفسير سورة الكهف | الصفحة ١٥٦ | الآية ١٣ | دار طيبة | الرياض

العديد من الشواهد على أهمية الشباب، فكان آخر جيش جهزه الرسول ﷺ لإرساله بقيادة أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- ولم يكن حينها يتجاوز الثامنة عشر من عمره!، لذلك إن علمت هذا حفّز دور الشباب ما استطعت، واصنع منهم أبطالًا ما استطعت، ووجه طاقاتهم وقدراتهم لكل ما هو مفيد ونافع لهم ولأمتهم!، وجنبهم ما استطعت توافه الأمور وسوارق الأوقات!، ودع عنك ما يقولون من مصطلحات كتسمية البلوغ بالمراهقة!، مبررين لهذا المكلف الأخطاء بدعوى "المراهقة"!، والمراهقة في أصلها مشتقة من رَهَقِ وهي بمعنى الإثم، وتأتي بمعنى من عرف بجهله وخفة عقله!، والبلوغ مشتق من بلغ أي وصل، وفي الشرع هو سن التكليف! وشتان بين من علّم أبناءه وعاملهم بمعنى رهق وبين من عاملهم بمعنى بلغ!، فمن علم أنه وصل سن التكليف وأنه محاسب على أقواله وأفعاله، وأنه بدأ في مرحلة الرشد التي ينبغي أن يحسن فيها، أدرك أهمية ما وصل إليه وشعر بالمسئولية تجاه أفعاله، بينما من عامل أبناءه بالصورة النمطية للمراهقة في وضعنا الراهن زرع في مخيلته أنه إن أخطأ وتمادى فالمبرر حاضر وهو "مراهق"!، فاحذر من هذا الفخ، وليكن تعامل الأهل في هذه المرحلة في منتهى الحكمة مراعيين الاختلافات الفردية بين أبنائهم، والحمد لله رب العالمين.

ملاحظة: رهق قد تأتي بمعنى القرب، لكن مجمل المعاني التي ترادفت من الجذر رهق لها معنى قاسٍ، وهي: رَهِقَ الوَلَدُ: سَفِهَ، حَمُقَ، جَهِلَ، ورَهِقَ الرَّجُلُ: كَذَبَ، ورَهِقَ الشَّابُّ: غَشِيَ الْمَآثِمَ، ورَهِقَ: رَكِبَ الشرَّ والظُّلْمَ، وارْتَكَبَ رَهَقاً: إِثْماً، خَطيئَةً الجن آية ٦ فَزادَهُمْ رَهَقاً (قرآن)، وعُرِفَ بِرَهَقِهِ: بِجَهْلِهِ وَخِفَّةِ عَقْلِهِ، ورَماهُ بِرَهَقٍ: بِتُهْمَةٍ، ورهق: أتى بالشر والظلم. ورهق: كذب. ورهق: أسرع. ورهق السفر: قرب، حان وقته. ورهقه: قرب منه فإن ردت إلى أن أصلها راهق، أي من

اقترب من البلوغ أو قبل الرشد، وإن صح المعنى، إلا أنه يبقى أدنى من البلوغ!، في المعنى الظاهر والباطن!

٥٣٤. فلْتعلمْ يا أخي أن الإنسان إذا خاف على نفسه ولم يأمن مكر الظالمين وجور السلطان، وخشي الفتنة في دينه، فيجوز له أن يستتر عنهم ليأمن بطشهم، وذلك مثل موسى -عليه السلام- حين أمر قومه بالصلاة في بيوتهم بعد اشتداد فرعون وملائه في محاربة موسى -عليه السلام- وقومه، قال تعالى في سورة يونس: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

٥٣٥. فلْتعلمْ يا أخي أن الذي يؤمّن -أي يقول آمين-، يكون شريكًا للداعي في ذلك الدعاء، وهذا من فضل الله -سبحانه وتعالى- علينا، ونستأنس هنا بما روي عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- عن الرسول ﷺ قال: "ما حَسَدَتْكُمُ اليهودُ على شيءٍ ما حسَدَتْكُمْ على السَّلامِ والتَّأمينِ"(١)، فالسلام فيه من إفشاء المحبة والود بين المسلمين ما فيه، والتأمين خلف الإمام فيه بركة وفضل، واشتراك بين الداعي والمؤمّن، فالحمد لله رب العالمين.

٥٣٦. فلْتعلمْ يا أخي أن "جميع ما دب على وجه الأرض، من آدمي، أو حيوان بري أو بحري، فالله -سبحانه تعالى- قد تكفل بأرزاقهم وأقواتهم، فرزقهم على الله -سبحانه وتعالى-"(٢)، لذلك، اطمئن واقنع بما كتبه الله -سبحانه وتعالى- لك من

---

(١) الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترغيب الصفحة أو الرقم: ٥١٥ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

(٢) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة هود | الجزء الحادي عشر | الآية ٦ | الصفحة ٣٧٧ | مؤسسة الرسالة | بيروت

رزق، واحمد الله -سبحانه وتعالى- عليه، فالحمد لله!

٥٣٧. إياك يا أخي من اليأس والقنوط من رحمة الله -سبحانه وتعالى-، فإن ابتلاك رب العزة -جل في علاه- بعد رحمة ونعمة، فاصبر، واشكر الله -سبحانه وتعالى- على ما أنعم عليك، فهو بفضله وكرمه، ولا تنسَ أن دوام الحال من المُحال، ولتكن متيقنًا أن الله -سبحانه وتعالى- سيرد عليك رحمته، ويرزقك الخير أكثر مما أردت -في الدنيا والآخرة-!، وإياك يا أخي إن عادت إليك النعم، أن تصبح أكثر سوءًا وفسادًا، فتكفر بهذه النعم وتفاخر بها، وتنسى فضل الله -سبحانه وتعالى- عليك!، لذلك اصبر واشكر واعمل الصالحات، تفز بإذن الله -سبحانه وتعالى- في الدنيا والآخرة، والله المستعان.

٥٣٨. فلْتعلمْ يا أخي أن القرآن الكريم هو من عند الله -سبحانه وتعالى-، ولو كان من عند غيره لاستطاع العرب وهم أهل الفصاحة والبيان الإتيان بمثله، لكنهم لم يستطيعوا ذلك أبدًا، ولم يقدروا من ذلك على شيء، ولم يقدروا على أن يأتوا بعشر سور من مثل ما جاء به القرآن الكريم، ولا أقل من ذلك ولا أكثر!، ومع هذا تعنتوا واستكبروا بلا حجة ولا برهان ولا قدرة على ذلك!

٥٣٩. فلْتعلمْ يا أخي أن بعض الناس تَظُنُّ المُصلحين وعباد الله -سبحانه وتعالى- ملائكة يمشون على الأرض!، فلا يتقبلون فكرة أن هؤلاء بشر!، وأن البشر لا يمكن أن يصلوا لمرحلة الكمال والتمام، بل يعتريهم النقص والضعف، ويزداد إيمانهم وينقص، لذلك، إياك يا أخي من هذا الظنّ، وارحم المصلح في أقوالك وأفعالك إن زل وأخطأ، وادعُ له بالخير والهداية، واشدد على يده ليستمر على الحق، ويستغفر ربه ويتوب إليه بدلًا من جلده!، وإياك أن تنكص على عقبيك عندما ترى

من تحب والقدوة لك قد أخطأ وزل أو حتى انحرف من الحق إلى الضلال!، لأنك يجب أن تكون على يقين بأن ما يمكن أن يحصل من البشر كله في سقف المعقولات التي لا ينكرها العقل، وإنما نحن من يستبعدها فقط، لذلك إن جعلت سقف المعقولات أكبر من سقف الأمنيات والتوقعات كان ما يمكن أن يحدث من أفعال البشر وما قد يصيبك كله من ضمن المعقولات!، فلا يسوءك ما يحصل أكثر من بعض المشاعر التي لا يمكن للمرء التحكم فيها كالحزن مثلًا...، ومن كان حاله كهذا، فإنه لن ينكص على عقبيه، ولن يتأثر ما يحمله من الحق في قلبه فيرتد أو يتزعزع الإيمان في قلبه!، ولْتعلمْ أن نفسك أولى بهذا الكلام!، فإنك يجب أن تعلم يقينًا بأنك بشر، وأنك بعيد عن التمام والكمال، يملؤك النقص والضعف، وأنك بحاجة لما جعله الله -سبحانه وتعالى- عند الآخرين حتى تكمل نقصك!، فإن رأيت في نفسك من فضل الله -سبحانه وتعالى- عليك، فاشكره، واذكر نعمته عليك بأن أحسن خَلقك وخُلقك، فإن علمت أنك ناقص، هدأ روعك، واطمئن قلبك، ولم تخشَ الناس وقولهم لعلمك بأحوال هذا الإنسان وضعفه وقوته، وخشيت رب الناس -سبحانه وتعالى- لما وقع بك من خطأ، والله المستعان!

٥٤٠.فلْتعلمْ يا أخي أن الجدال نوعان، إما مذموم وإما محمود، فالجدال المحمود هو الجدال المنبثق عن علم صاحبه وإدراكه في المسألة التي يرغب في الجدال عنها، مع ترك التعنت والتعصب، ولهذا الجدال أثر وفائدة ومنفعة تظهر عند تمامه، أما المذموم فهو ما كان عكس ذلك، وعادة ما ينطلق من رغبة في الظهور، بالإضافة لجهل في المسألة أو صلب الموضوع، لذلك تكثُر مثل هذه الجدالات في أوساط عوام الناس، وعادة ما تنتهي بالغضب والمشاحنة!، ونستأنس هنا بقوله تعالى في سورة الكهف: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾، أي جدالًا مبنيًا على العلم

واليقين، ويكون أيضًا فيه فائدة، وقوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَلَا تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾، أي بحسن خلق ولين كلام، ودعوة للحق وتحسينه، واستهجان للباطل، وأن يكون المراد هو بيان الحق لهداية الخلق، أما الذي ظهر من حاله أنه ما يريد المجادلة إلا للمشاغبة والمغالبة فلا تُضع وقتك معه، ونستأنس بما رواه أبو أمامة الباهلي -رضي الله عنه- عن رسول الله ﷺ قال: "أنا زعيمٌ ببيتِ في رَبَضِ الجنةِ لمَن تَرَكَ المِراءَ وإن كان مُحِقًّا، وببيتِ في وسطِ الجنةِ لمَن تركَ الكذبَ وإن كان مازحًا، وببيتٍ في أعلى الجنةِ لمَن حَسُنَ خُلُقُه."(١)، فكانت الوصية بترك الجدال حتى وإن كنت محقًا -أي صادق القول، متحرٍ للحق لا للغلبة- في اللحظة التي يظن فيها أن الجدال سيؤدي للخصومة والتشاحن، وعند النقطة التي يظن فيها الشخص أنه سيذهب للكذب بعدها، أو أنه سيبدأ لينتصر لنفسه من حينها، وكل هذا مما يُهذب النفس في رغبتها في الظهور، ويبقي على الألفة والمودة بين الناس، ولكل مقام مقال، والله المستعان.

٥٤١. فلْتعلمْ يا أخي أن قصة سيدنا نوح -عليه السلام- من القصص والآيات التي منّ الله -سبحانه وتعالى- علينا بمعرفتها وبإنزالها على الرسول الكريم ﷺ، هذه القصة العظيمة فيها من الآيات والعبر والأحكام والترهيب ما فيها، فالناظر لقصة نبي الله -سبحانه وتعالى- نوح -عليه السلام- يعلم كم حرص واجتهد لينقذ قومه من كفرهم! فبعد كل الاجتهاد في الأقوال والأفعال لم يؤمن معه إلا قليل، بل إن من أهله من لم يؤمن معه كابنه الذي أُغرق!، ومع أنه نبي من أنبياء الله -سبحانه وتعالى- ، لم يستطع أن ينقذ ابنه من الكفر وهو من خير البشر!، فإنك لا تهدي من أحببت،

(١) الراوي: أبو أمامة الباهلي | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح أبي داود الصفحة أو الرقم: ٤٨٠٠ | خلاصة حكم المحدث: حسن

ولكن الله يهدي من يشاء!، وإنما دور الساعي لهداية الناس هو دعوتهم للحق وإظهاره، وإبطال الباطل الذي هم فيه وفضحه!، ثم نرى في هذه القصة العظيمة كيف أن الله -سبحانه وتعالى- بعد أن أعلم سيدنا نوح -عليه السلام- بعذاب قومه وأنه لن يؤمن أحد لم يكن قد آمن، أمره بالأخذ بالأسباب الموجبة للنجاة، فأمره ببناء الفلك، فقد حق على قومه العذاب فلم يكن لأحد أن يطلب من الله -سبحانه وتعالى- إيقاف هذا العذاب!، حتى حين شرع نبي الله -عليه السلام- في بناء الفلك، كان أهل الضلال والكفر يسخرون من نبي الله -عليه السلام- ومن آمن معه، بينما قول نبي الله -عليه السلام- ومن آمن معه، إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون، فإنكم قوم مغرقون!، بل إن أفعالهم وإجرامهم كانت أكبر من ذلك!، فحين نادى نوح -عليه السلام- ابنه ليركب معه في الفلك لينجو ولئلا يكون من المغرقين، قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء!، ولا أدري أهناك كبر واستكبار على الحق أعظم من هذا، وإصرار على الضلال أكثر من هذا؟!، لكن حقت كلمة الله -سبحانه وتعالى- فلم يدرك من كفر أن الأسباب لا تنفع ولا تغني من أمر الله -سبحانه وتعالى- شيئًا، فكان من كفر من المغرقين!، وهذا الفرق العظيم بين من أخذ بالأسباب ويعلم أن الأمر كله بيد رب الأسباب، وبين من أخذ بالأسباب واتكل عليها واكتفى!، وفيه من وعظ رب العزة -جل في علاه- لسيدنا نوح -عليه السلام- أن ابنه الذي أغرق ليس من أهله، أي أنه من أهل الكفر والعصيان، وليس من أهل الإيمان -كمن آمن من أبنائه-، فكان الإيمان أعظم وأقرب من قرابة الدم!، فقد حملت الشفقة في قلب نبي الله -عليه السلام- إلى قول مثل هذا القول -إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي- بعد أن ظنّ أن الله -سبحانه وتعالى- سينجي أهله على وجه العموم، لكن الله -سبحانه وتعالى- بيّن له ذلك فندم -عليه السلام- على قوله واستغفر الله -سبحانه

وتعالى- وطلب الرحمة والغفران لتتم له النجاة!، وهذا فيه حكم عظيمة وأنس للآباء الصالحين إن ظهر فساد أبنائهم، فإن الآباء لا يملكون من أمر صلاح أو فساد أبنائهم من شيء إن أراد الله -سبحانه وتعالى- ذلك، وإن الآباء عليهم تأدية حق أبنائهم بتربيتهم التربية الصحيحة وإظهار دين الله -سبحانه وتعالى- لهم والمجاهدة في ذلك، ثم نتائج ذلك لا يملكها إلا الله -سبحانه وتعالى-، وفيه أن من عرف الله -سبحانه وتعالى- كانت قرابة الإيمان في قلبه أعظم من قرابة الدم!، وفيه أن من مات على الكفر وإن قرب في الدم ما قرب، فلا يكون لغيره أن يسأل الله -سبحانه وتعالى- له الرحمة بعد ما تبين له أنه من أصحاب النار، ذلك لأنه كفر بالله -سبحانه وتعالى- وآياته!، وفي هذه القصة العظيمة أيضًا أن الإنسان يسأل الله -سبحانه وتعالى- أن ينجيه ويوفقه، وأن يبدأ أعماله ب ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي بيده كل شيء، وهو مالك الأمر، ﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ﴾، فما أجمل أن يبدأ الإنسان يومه وترحاله وعمله وطعامه وحياته كلها ببسم الله!، وفيها من الحث على الصبر على البلاء، والصبر على الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- والاجتهاد في ذلك ما فيها، فلا نيأس من الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- ولا نستكين!، وفيها أثر بركة الله -سبحانه وتعالى- على هذا الإنسان، فإن كل من على هذه الأرض من بني آدم -عليه السلام- هو من ذرية من آمن ونجا مع نبي الله -عليه السلام-، فبارك الله -سبحانه وتعالى- فيهم، وجعل من ذرياتهم أقوامًا ملئوا الأرض، فمن ذراريهم من حق عليه العذاب ووقع، ومنهم من نجا وآمن، ومنهم من ينتظر الوعد الحق، ولا حول ولا قوة إلا بالله!، اللهم اجعلنا هداة مهديين مهتديين بفضلك وكرمك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

ملاحظة: فلْتعلمْ يا أخي أن قصة سيدنا نوح -عليه السلام- في سورة هود من

القصص العظيمة التي لا يمكن وصفها وذكر ما فيها من النعم والجمال والأحاسيس التي تصل إلى القلب بتاتًا إلا بطريق واحدة، وهي أن تقرأ تلك الآيات الكريمة العظيمة -وهذا حال آيات الله سبحانه وتعالى كلها- كما أخبرنا بها رب العزة -جل في علاه-، ففيها والله لجمال الوصف وروعة الإحساس والشعور وكأنك تعيش في ثناياها، وكأنك على ظهر سفينة سيدنا نوح -عليه السلام- مثلك كمن آمن معهم فأنجاهم وأنجانا الله -سبحانه وتعالى- بفضله وكرمه!، فيا الله، ما أعظمك!

٥٤٢. فلْتعلمْ يا أخي أن الاستغفار والتوبة إلى الله -سبحانه وتعالى- من أسباب القوة -البدنية أو المعنوية-، ومن أسباب الرزق بالمال والأبناء، ومن أسباب نزول الغيث متتابعًا، يروي الشعاب والوهاد، ويحيي البلاد والعباد، وهذه النعم من أعظم النعم التي يسعى الناس للحصول عليها في هذه الحياة الدنيا! قال تعالى في سورة هود: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾، وقال في سورة نوح: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴿١٢﴾﴾، ونحن نمتثل لما أمرنا فنقول، أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله العظيم وأتوب إليه!

٥٤٣. فلْتعلمْ يا أخي أن المصطلحات والمفردات التي تُطلق على أي أمر لها تأثير مباشر على الإنسان، وعي ذلك أم لم يعِ ذلك!، ومن أشهر هذه المصطلحات في عصرنا الحالي الاستعمار، لكن كذب من قال ذلك، فإن الاحتلال هو احتلال وليس استعمار، الاستعمار يعني البناء، وهذا قد يوحي لنا بأنهم ما قدموا لأرضنا إلا رغبة في مساعدتنا!، لكن الحقيقة أنهم محتلين، ارتكبوا جرائم شنيعة لا تغتفر -وما زالوا بطرق متنوعة-، سرقوا ونهبوا ثرواتنا، ودمروا ثقافتنا وحاربوا تاريخنا، ونستأنس

هنا بقوله تعالى في سورة هود: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾، ومعنى استعمركم فيها أي "استخلفكم فيها، جعلكم عمارها وسكانها"!، لذلك احذر من هذه الأفخاخ، فهي كثيرة في أيامنا هذه، فتجد الربا يسمونه فائدة، وتجد الخمور والمُسكرات يسمونها "مشروبًا"!، وتجد تمييعًا وتحريفًا لأوامر الله -سبحانه وتعالى- فيسمونها وسطية!، يقول الدكتور سامي عامري -رحمه الله-: "من أهمّ الإشكالات الّتي يُعانيها الواقعُ العلميّ والدّعويّ في الأمّة، تمييعُ المصطلحات، وتعويمُها، وتمطيطها. وأخطر ما يكون هذا الأمر إذا كان مُتعلّقا بقضايا شرعيّة ذات عمق عقيديّ متّصل بماهيّة التّوحيد كما جاء به النّبويّون. وإنّ للانضباط الاصطلاحيّ ووضوح دلالات الخطاب قيمةٌ عُليا في نسق الخطاب الإسلاميّ، اقتداءً بطابع الخطابين القرآني والنّبويّ، فقد قالت أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كان كلام رسول الله ﷺ كلامًا فصلًا يفهمه كلُّ مَن سَمعه»، ولا سبيل لفهم الخطاب دون وضوح معاني الألفاظ في سياقاتها المختلفة، ولا رجاء في تحقيق هذا الانضباط دون العمل على منع تسلّل التّحريف الاصطلاحيّ إلى الخطاب الشّرعيّ، وهو ما حذّر منه الرّسول ﷺ بإنبائه أنّه من علامات الفتنة في آخر الزّمان أن يخرج بعض اللّفظ عن مدلوله الأصليّ إلى دلالات أخرى لا ترضاها الشّريعة، فقد قال ﷺ: «لَيشربَنَّ أُناسٌ من أمّتي الخَمرَ يُسمّونها بغير اسمِها»... ولم يكن الأمر قاصرًا على التّحذير من فتنةٍ آتيةٍ، وإنّما نهى الشّرع عن الاستعمالات العُرفيّة لبعض الألفاظ الرّاسخة في اللّسان العربيّ، وذلك لدلالتها على أمورٍ هي من عين الفساد أو هي ذريعةٌ إليه – وإن دقَّ الأمر. ومن هذا الباب قول الرّسول ﷺ: «ولا يقولَنَّ أحدكم للعِنَبِ الكَرْمَ فإنَّ الكَرْمَ الرَّجُل». قال النَّوَوي: «سَبَبُ كراهة ذلك

أنَّ لفظة "الكَرْمِ" كانت العربُ تُطلقها عل شجر العِنَب، وعلى العِنَب، وعلى الخَمر المُتّخذة من العِنَب، سَمَّوها كَرْمًا لكونها مُتَّخَذةٌ منه، ولأنّها تَحمل على الكَرَمِ والسَّخاء، فَكَرِهَ الشّرع إطلاق هذه اللّفظة على العنب وشجره؛ لأنّهم إذا سمعوا اللّفظة ربما تَذَكّروا بها الخمر، وهيّجت نفوسهم إليها، فوقعوا فيها، أو قاربوا ذلك. وقال: إنّما يستحقُّ هذا الاسم الرّجل المسلم، أو قلب المؤمن؛ لأنّ الكرم مُشتقّ من الكَرَم بفتح الرّاء، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] فَسَمّى قلب المؤمن كرمًا لما فيه من الإيمان، والهدى، والنّور، والتّقوى، والصّفات المستحقّة لهذا الاسم. وكذلك الرّجل المسلم»."(١)، والله المستعان.

٥٤٤. يا أخي، كن ذا همة ولا ترضى بالكسل!، فإن الله -سبحانه وتعالى- استخلفك في هذه الأرض، وعمارة هذه الأرض والمحافظة عليها مما يُحقق معاني الاستخلاف، فلا تكن كسولًا، واعمل على بنائها وزراعتها، فتنال ثوابًا بذلك -إن قصدت وجه الله سبحانه وتعالى-، وليكن زرعك وبناؤك لمن يأتي بعدك، فيستعينوا بها أيضًا على تحقيق معاني الاستخلاف كما استطعت أنت ذلك من قبلهم، ونستأنس هنا بما رواه أنس بن مالك -رضي الله عنه- عن النبي الكريم ﷺ قال: " إنْ قامَتِ السَّاعةُ وفي يدِ أحدِكُم فَسيلةً فإنِ استَطاعَ ألا تَقومَ حتَّى يغرِسَها فلْيغرِسْها"(٢)، فيظهر في هذا الحديث الشريف معنيين مهمين، وهما: الحرص على عمارة الأرض وفعل الخير حتى آخر رمق وإن لم ينتفع بها صاحبها أو زارعها! فأي تشريع أجمل من

(١) منقول بإيجاز | كتاب العالمانية طاعون العصر | سامي عامري | الفصل الأول | المبحث الأول | المطلب الرابع | الصفحة ٤٣-٤٤ | الطبعة الأولى | تكوين

(٢) الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الأدب المفرد الصفحة أو الرقم: ٣٧١ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

هذا؟!، الحمد لله.

٥٤٥. فلْتعلمْ يا أخي أن هناك أناسًا يسعون دومًا لأن يكونوا خاسرين في الدنيا والآخرة، يقع عليك منهم من الضرر ما يؤنس وحشتهم بأنهم مشتركون مع غيرهم في العذاب والذنوب والمعاصي!، وهم كثر، كأهل الكفر والشرك والضلال، وأصحاب السوء، وأهل السوء وغيرهم، فاحذرهم، واحذر حيلهم، فلا تستجب لصديق أو عدو يقول لك تعالَ نعصي الله -سبحانه وتعالى- فتجيب دعوته -كمن يقول لصديقه تعال أطلق بصرك، وصادق الفتيات، أو لتشرب الخمور، أو لنؤذي الآخرين...ونحو ذلك، مما قد يبدأ بخطوة بسيطة ثم لشيء عظيم والعياذ بالله-!، واتبع دومًا سبيل المؤمنين، واتخذ ممن يعينك على الحق والإيمان خليلًا!، والزم ما أمرك الله -سبحانه وتعالى- به تفز، وأنصحك لوجه الله -سبحانه وتعالى-، إذا رأيت في نفسك رقة في القلب لدين الله -سبحانه وتعالى- فلا تُضعها بالمعاصي العابرة التي قد تذهب بهذا الشعور الذي لا يمكن تعويضه بسهولة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٥٤٦. فلْتعلمْ يا أخي أن أوامر الله -سبحانه وتعالى- لا عجب فيها إن أدركنا قدرة رب العزة -جل في علاه-، فهي تقبع تحت مشيئة الله -سبحانه وتعالى- وسلطانه المطلق، ومن اللطائف على هذا الأمر، قصة البشارة التي بشر بها سيدنا إبراهيم -عليه السلام- بإسحاق-عليه السلام- وكيف تعجبت زوجته من هذا الأمر، قال -تعالى- في محكم التنزيل: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾، لذلك لا تقنط من رحمة الله -سبحانه وتعالى- مهما مضى من عمرك ومهما حدث، وتذكر أن الله -سبحانه وتعالى- إن قدّر أمرًا فهو الخير النافذ وعليك بالامتثال لأوامره والصبر على بلائه، فإن كنت ممن لم يرزق

بالأبناء فادعُ الله -سبحانه وتعالى- أن يكرمك بهم وأن يجعلهم من الصالحين، وإن وجدت في نفسك أو أهلك مرض فادعُ الله -سبحانه وتعالى- أن يزيله ولا تقنط مهما وصل المرض من مراحل في منتهى الخطورة، واجعل من هذا الأمر بشارة لك في كل وقت، فلا تتعجب من أمر الله -سبحانه وتعالى- إن أتى، واحمد الله -سبحانه وتعالى- حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، واستغفره كثيرًا، وسبحه كثيرًا، تفز بإذن الله -سبحانه وتعالى- في الدنيا والآخرة.

٥٤٧. فلْتعلمْ يا أخي أن من أولى خطوات الدعوة للإصلاح أن تبدأ بنفسك!، فيرى الناس فعلك قبل قولك، ومن أشهر الأمثلة على ذلك، التاجر الذي يتعاون/ يتشارك مع مجموعة من التجار على الغش والخداع، هذا التاجر عليه أن يبدأ بنفسه فيتوقف عن هذا الغش والخداع، ويعلن ذلك لأصحابه ويدعوهم للخير، وليكن المقصد هو أن تنصلح الأحوال وتستقيم المنافع، والله ولي التوفيق...

٥٤٨. إياك يا أخي أن تحملك معاداتك ومخالفتك لأحدهم ومشاققتك له على ألا تنظر لقوله فترى أحق هو، أم باطل!، فإن تبينت، فكفى!

٥٤٩. فلْتعلمْ يا أخي أنّ الودود من أسماء الله -سبحانه وتعالى- الحسنى، وهو يعني أن الله -سبحانه وتعالى- يحب عباده المؤمنين، وعباده المؤمنين يحبونه، فيجتمع المعنيين في كلمة واحدة، فيا رب برحمتك اجعلنا ممن أحببت، واجعلنا برحمتك ممن أحبك.

٥٥٠. إياك يا أخي أن تضجر من النصائح والمواعظ، فهي إن أتت على القلب رقّقته، فإن لم تمنعك من معصية، رققت قلبك للاستغفار والتوبة، وفتحت لك بابًا في قلبك قد تدخل الهداية منه، فتتم نعمة الله -سبحانه وتعالى- عليك أن هداك، ويسر لك السبل لذلك! فاللهم اهدنا برحمتك يا أرحم الراحمين يا الله.

٥٥١. فلْتعلمْ يا أخي أن الجماعة أو العشيرة أو القبيلة التي تنصر مظلومًا وتحميه وتمنع عنه أعداءه، والتي تنصر ظالمها -بأن تمنعه من ظلمه وتكفه عن ذلك- فهي نعم القبيلة والعشيرة والجماعة!، والعكس بالعكس بالضرورة!

٥٥٢. فلْتعلمْ يا أخي أن المال الذي خولك إياه الله -سبحانه وتعالى- ليس لك أن تتصرف فيه كما تشاء!، لأن هذا المال أمانة من الله -سبحانه وتعالى-، وهذه الأمانة لها حقوق، فيجب أن تقيم في هذا المال حق الله -سبحانه وتعالى- وما أوجبه عليك، ويجب أن يكون مصدر هذا المال والمكاسب المترتبة عليه حلال، وأن يبتعد الإنسان عن الحرام!، وهذا الأمر من أكثر ما يُمَيزُ به المؤمنون عن المشركين والفاسقين!، فإن المشركين كانت دعواهم دومًا "هذه أموالنا، نفعل بها ما نريد"!، ونحن نقول، هذا ما رزقنا الله -سبحانه وتعالى- إياه، فيارب أرشدنا واهدنا إلى الطريق المستقيم، وأعنا على ما ائتمنتنا عليه، فنقوم بحقه كما أمرت، ونستأنس هنا بقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ٨٧ ﴾، فسبحان الله العظيم، كيف كان لهؤلاء المشركين أن يقولوا مقالتهم هذه أمام خطيب الأنبياء شعيب -عليه السلام-!، فكان سيدنا شعيب -عليه السلام- هو الحليم الرشيد لا كما أرادوا، وكانوا هم الأسفلين فأخذهم العذاب المقيم!، فمن رأى هذا الحال، علم أن المال مهما كان عزيزًا على النفس، فهو ليس بأعز من الله -سبحانه وتعالى-، وأن هذا المال، وهذا الإنسان ملك لله -سبحانه وتعالى-، فلا يحق للإنسان أن ينسب الفضل لنفسه، وأن يسنب المال إليه!، ومن العجائب أنهم لا ينسبون الفقر لأنفسهم عادة!، ولْتعلمْ أن المؤمن يحرص أشد الحرص على مصادر دخله، ومصادر إنفاقه، يبالي

كيف أتاه هذا المال، وفيما أنفقه، ونستأنس هنا بما روي عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "لاَ تزولُ قدَمُ ابنِ آدمَ يومَ القيامةِ من عندِ ربِّهِ حتَّى يسألَ عن خمسٍ: عن عمرِهِ فيمَ أفناهُ، وعن شبابِهِ فيما أبلاهُ، **وعن مالِهِ من أينَ اكتسبَهُ وفيمَ أنفقَهُ**، وماذا عملَ فيما علِمَ"[١]، كما أن من اللطائف في الآية الكريمة أن الصلاة كانت هي الآمر بترك عبادة العباد، وفعل المنكرات!، وكأن الصلاة لها شأن عظيم، في كل وقت وكل حين؟!، ونستأنس هنا في قوله تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فبمداومتك على الصلاة، وذكر الله سبحانه وتعالى، يبقى قلبك متعلقًا بالله -سبحانه وتعالى-، مدركًا أنك ستعود إلى الله -سبحانه وتعالى- إما في صلاة كتبت عليك في موعدها، وإما في موت لن يخلفك!، فمن أدرك هذا علم شناعة المنكرات، فهو يحاربها ويبعدها حتى لا يقع فيها، فإن وقع في شيء منها، عاد واستغفر وأناب!، وهي من باب أولى، مدعاة للخير آمرة بالمعروف، فهل أدركت كم هي ركن عظيم من أركان الإسلام؟!، فالحمد لله رب العالمين الذي أوجب علينا بفضله صلاة تقربنا منه كلما أخذتنا الحياة بزخرفها، فردنا إليه ردًا جميلًا، وأبعد الدنيا وزخرفها عن قلوبنا! الحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٥٥٣. فلْتعلمْ يا أخي أن الإنسان مطالب بالإصلاح فيما يقدر عليه، وهو غير ملوم فيما لا يقدر عليه!، فمن قام بما يقدر عليه لم يكن ملومًا لتركه ما لا يقدر عليه!، لذلك، اسعَ لصلاح نفسك في أول الأمر لقدرتك عليها، وبادر ما استطعت لإصلاح

---

(١) الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترمذي الصفحة أو الرقم: ٢٤١٦ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

غيرك، والأمر كله لله.

٥٥٤. فلْتعلمْ يا أخي أن الإنسان يجب عليه أن يستعين بالله -سبحانه وتعالى- ويتوكل عليه في كل ما يصيبه، فإن رأى من أسباب التوفيق ما رأى فيجب أن ينسبه لله -سبحانه وتعالى-، لأن هذا التوفيق ما كان إلا بفضل من الله -سبحانه وتعالى-!، وفي هذا حفظ للنفس من الكبر والغرور، فلا يتكل الإنسان على نفسه ولا يميل إليها ولو شيئًا قليلًا لما يراه من مفاخر تحققت له!، ونستأنس هنا بما روي عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- عن الرسول ﷺ قال لِفاطمةَ رضي الله عنها: "ما يمنعُكِ أن تسمَعي ما أُوصيكِ به؟ أن تقولي إذا أصبحْتِ وإذا أمسَيتِ: يا حيُّ يا قيُّومُ برحمتِك أستغيثُ، أَصلِحْ لي شأني كلَّه، ولا تَكِلْني إلى نفسي طرفةَ عَيْنٍ"(١)، فلا تكلني لنفسي طرفة عين، أي فلا تترك إعانتي يا الله ولو لحظة صغيرة، بل أعني بقدرتك وقوتك دومًا، فإننا نستعين بك، ونستهديك، وما توفيقنا إلا بك، فاللهم لا تكلنا لأنفسنا طرفة عين.

٥٥٥. فلْتعلمْ يا أخي أن الناس يوم القيامة شقان، إما شقي وإما سعيد، فالشقي: هو كل من كفر بالله -سبحانه وتعالى- وكذّب رسله، والسعيد هو كل من آمن بالله -سبحانه وتعالى- وصدّق رسله، فالذين حُكم عليهم بالشقاوة هم أهل النار خالدين فيها -والعياذ بالله-، من شدة ما ينالونه من العذاب هم في شهيق وزفير -والمراد أشنع الأصوات وأقبحها-، وأما الذين آمنوا فهم في جنات وعيون، تجري من تحتهم الأنهار، خالدين فيها بفضل من الله -سبحانه وتعالى- ورضوانه -يا رب اجعلنا منهم-، فالعاقل إذا نظر إلى هذه الحياة القصيرة بكل ما فيها من نعيم، وبكل

(١) الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الجامع الصفحة أو الرقم: ٥٨٢٠ | خلاصة حكم المحدث: حسن

ما فيها من عذاب، ووضعها أمام نعيم الجنة وعذاب الآخرة، سيدرك تمامًا تفاهة الحياة الدنيا أمام الآخرة، بل إن أهل الشقاوة سيعضون أصابعهم ندمًا على ما فرطوا في هذه الدنيا من الأعمال الصالحة، بينما من آمن سيكون فرحًا بما آتاه الله من فضله، قال تعالى في سورة هود: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾، وفي معنى ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ ذكر السعدي في تفسيره: "خالدين فيها أبدًا، إلا المدة التي شاء الله، ألا يكونوا فيها، وذلك قبل دخولها، كما قاله جمهور المفسرين، فالاستثناء على هذا، راجع إلى ما قبل دخولها، فهم خالدون فيها، جميع الأزمان، سوى الزمن الذي قبل الدخول فيها."[١]، وفي تفسير البغوي: "الاستثناء في أهل الشقاء يرجع إلى قوم من المؤمنين يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها، ثم يخرجهم منها فيكون ذلك استثناء من غير الجنس"[٢]، فاللهم نسألك رحمتك، ونخشى عذابك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٥٥٦. إياك يا أخي أن تميل إلى الظالمين فتؤيدهم على ما هم فيه من كفر أو ظلم أو ضلال، بل عليك ألا ترضى بأفعالهم ولا بأقوالهم التي تخالف ما أمر الله -سبحانه وتعالى- به، وما ارتضاه، وقد حذرنا الله -سبحانه وتعالى- من أن تمسنا النار إن فعلنا هذا الأمر، فإن مسنا العذاب -والعياذ بالله- لأجل معاونتنا الظالمين، أو الرضا بأعمالهم فإنهم لن يقدروا على عوننا وإنقاذنا من العذاب!، ثم إننا ملزمون

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة هود | الجزء الثاني عشر | الآية ١٠٧ | الصفحة ٣٩٠ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) كتاب معالم التنزيل (تفسير البغوي) | أبي محمد البغوي | المجلد الرابع | تفسير سورة هود | الصفحة ٢٠٠ | الآية ١٠٧ | دار طيبة | الرياض

بالأخذ بأيديهم لننجو وإياهم، لا أن نهلكهم بإعانتهم على ما هم فيه من ظلم وضلال، قال تعالى في سورة هود: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾، فالناظر لهذه الآية الكريمة، يعلم التحذير من هذا الميل والركون للظالمين، ومراضاتهم، واتخاذهم أولياء من دون الله -سبحانه وتعالى-!، لذلك كن عزيزًا بالإسلام الذي أكرمك الله -سبحانه وتعالى- به، وخذ بيد من تعرف لتنقذه من العذاب المقيم، فإن كنت تحبه حقًا، وتريد الخير له في الدنيا، فالأولى أن تطلب له الخير في الآخرة قبل الدنيا، فيتحقق له الخيران، ونستأنس هنا بقوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾.

٥٥٧. يا أخي، هل تريد بشارة تسعد القلب؟، لقد أخبرنا رب العزة -جل في علاه- في كتابه العزيز في سورة هود: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾، فالبشارة العظيمة في هذه الآية الكريمة أن إقامة الصلوات الخمس المفروضة، وما يقوم به الإنسان من أعمال صالحة حسنة يتقرب بها إلى الله -سبحانه وتعالى-، لا تأتي بالثواب الجزيل فقط، بل إنها تمحو السيئات أيضًا -بفضل الله سبحانه وتعالى ورحمته بنا-، فأي بشارة أعظم من هذا!، وفي هذا أننا إذا أخطأنا أو قصرنا في حق أنفسنا فأذنبنا، علينا أن نسارع إلى الخيرات، نسارع إلى عمل صالح، بحسنة تمحو سيئة، ونستأنس هنا بما روي عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن الرسول ﷺ قال: "الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إلى الجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إلى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ ما بيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ."[١]، فسبحان

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٣٣ | خلاصة

الرحمن الرحيم، الذي رحمنا رحمة عظيمة لا نبلغ منتهاها، فهذه بشارة عظيمة للنفس البشرية، فتطمئن بتكفير صغائر الذنوب إن أقام الإنسان صلواته الخمس، واجتنب الكبائر، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن الرسول ﷺ قال: "أَرَأَيْتُمْ لو أنَّ نَهْرًا ببَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ منه كُلَّ يَومٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هلْ يَبْقَى مِن دَرَنِهِ شيءٌ؟ قالوا: لا يَبْقَى مِن دَرَنِهِ شيءٌ، قالَ: فَذلكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو الله بهِنَّ الخَطَايَا."(١)، فشبه رسول الله ﷺ الصلوات بمن يغتسل، فمن اغتسل خمس مرات في اليوم ذهبت عنه الأوساخ وبقي نظيفًا طوال اليوم، وهذا مثل من صلى صلواته الخمس، يمحو الله -سبحانه وتعالى- بهن الخطايا حتى لا يبقى من درنه - وسخه- شيء!، ومن هذا نفهم أن الله -سبحانه وتعالى- عاملنا برحمته التي اقتضاها، وأرشدنا إلى الطريق المستقيم، فأهل الذكرى وأولوا الألباب إذا أدركوا عظمة رحمة الله -سبحانه وتعالى- وعظم فضله على عباده، انقادوا لما أمر الله -سبحانه وتعالى- وعظموا أوامره واجتنبوا نواهيه، واقتربوا وسعوا بكل جوارحهم لأن يكونوا على الصراط المستقيم، وهربوا من المعاصي والذنوب قدر ما استطاعوا، وهناك من خلطوا أعمالهم الصالحة بأخرى سيئة، فيمن الله -سبحانه وتعالى- بأن يغفر لهم لما يرى منهم من رغبة للتوبة، وتوفيق منه لهم فيها، لذلك يا أخي إن أذنبت بسيئة اتبعها بحسنة تمحوها بإذن الله، ويكفيك أن تعلم أن الحسنات قد تكون بأبسط الأمور التي قد نفعلها ولا ندرك بأنها من الحسنات العظيمة، عن أبي ذر -رضي الله عنه- عن

حكم المحدث: [صحيح]

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٦٦٧ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

الرسول ﷺ قال: "تبسُّمُكَ في وجْهِ أخيكَ لَكَ صدقةٌ وأمرُكَ بالمعروفِ ونَهيُكَ عنِ المنْكرِ صدقةٌ وإرشادُكَ الرَّجلَ في أرضِ الضَّلالِ لَكَ صدقةٌ وبصرُكَ للرَّجلِ الرَّديءِ البصرِ لَكَ صدقةٌ وإماطتُكَ الحجرَ والشَّوْكَ والعظمَ عنِ الطَّريقِ لَكَ صدقةٌ وإفراغُكَ من دلوِكَ في دلوِ أخيكَ لَكَ صدقةٌ"(١)، تخيل أن مجرد ابتسامة صدقة قد تمحو بها سيئة!، فسبحان الرحمن الرحمين!

٥٥٨. فلْتعلمْ يا أخي أن الصبر لا يكون على البلاء فقط، بل إن الصبر يكون أيضًا على الطاعة وفي مكافحة المعاصي، فالصبر على الطاعة يكون بإلزام هذه النفس التي تميل إلى الراحة والخمول والكسل بعمل يزيح عنها هذا الخمول والكسل، ويحفزها وينشطها، ومن هذا الصبر على الصلاة وإقامتها حق إقامتها، والصبر على ملذات الدنيا أثناء الصيام، والصبر على صيام النوافل، والصبر على قيام الليل، والصبر على العمل الشاق -كل عمل هو شاق- الذي تستعين به على عبادة الله -سبحانه وتعالى- فنطعم به أنفسنا وأهلينا، ونستر أنفسنا به، ونكون عونًا للسائل والمحتاج، ونستغني به عن السؤال، والصبر يكون أيضًا في المداومة على الأعمال الصالحة والحسنة، وكما أن الصبر يكون في الطاعة، فإنه يكون في مكافحة المعصية وردها، فهذا التاجر يستطيع أن يغش المشتري لكنه لا يغشه، وهذا العامل يستطيع أن يغش في عمله لكنه لا يفعل ويتقن عمله، وهذا الرجل يعرض عليه الزنا وتتوق نفسه لذلك لكنه ينأى عن ذلك ويقول إني أخاف الله، ونستأنس هنا بما روي عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن الرسول ﷺ قال: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله في ظِلِّهِ، يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ:

(١) الراوي: أبو ذر الغفاري | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترمذي الصفحة أو الرقم: ١٩٥٦ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

الإِمَامُ العَادِلُ، وشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ رَبِّهِ، ورَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسَاجِدِ، ورَجُلَانِ تَحَابَّا في الله اجْتَمعا عليه وتَفَرَّقَا عليه، ورَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وجَمَالٍ، فَقَالَ: إنِّي أَخَافُ اللَّهَ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ."(١)، ففي هذا الحديث الشريف ننظر إلى لفتة مهمة، أن العامل المشترك بين ما ورد فيه كان الصبر والمجاهدة، فالإمام العدل صابر على العدل مجاهدًا مكافحًا لملذات سلطته وإدارته، وهذا الشاب الذي نشأ في عبادة ربه جاهد نفسه وصبر ولم يغره طول الأمل، ولم تغره فتوة الشباب وعنفوانه في الميل عن طاعة الله -سبحانه وتعالى- وطريقه، بل كان شبابه بكل ما يحمله من قوة في سبيل الله -سبحانه وتعالى-، وهذا الرجل الذي علق قلبه في المساجد لم يزل صابرًا على الذهاب إلى بيت الله مؤديًا لحق الله -سبحانه وتعالى- فيها رغم المشقة التي قد تحصل منها، لكنه قلب تعلق ببيوت الله -سبحانه وتعالى- وفيما يقام فيها من فرائض، وهذان الرجلان اللذان تحابا في الله -سبحانه وتعالى- لم يكن حبهما لمصلحة دنيوية، بل تصاحبوا في الله -سبحانه وتعالى- فصبروا وتعاونا معًا ليكونوا إلى الله -سبحانه وتعالى- أقرب، مبعدين عن قلوبهم المحبة لأجل المصلحة، بل إن المصالح الدنيوية تتحقق بحرص كل واحد منهما على الآخر لأن هذا الحب لله وفي الله، فتجد كل واحد منهم ينتفض لنجدة أخيه في أي صغيرة وكبيرة ودون أن يطلب الصاحب من صاحبه، وفيه من الصبر أيضًا على زلات الحبيب لحبيبه، لأن الاجتماع والافتراق كان على أسمى أوجهه، وهذا رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فصبر

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٦٠ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

وكافح نفسه وجاهدها وقال إني أخاف الله، وهذا رجل صبر فأنفق من ماله رغم أن النفس تحبه ولا تحب فقدانه، ثم صبر بعدها فأنفق نفقة تخفى عن الناس، فصبر وصبر نفسه على ما تتوق له النفس من ظهور ومديح أمام الآخرين، وهذا رجل صبر على طاعة الله -سبحانه وتعالى- مختليًا مجاهدًا نفسه ليصبر على تلك الخلوة!، فجلس يذكر الله -سبحانه وتعالى- ففاضت عيناه الطاهرتان بكل صدق!، فسبحان من جعل الصبر كنز عظيم من كنوز هذا الدين العظيم! والبشرى لمن كان حاله مثل هذا، قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾.

٥٥٩. فلْتعلمْ يا أخي أن أهل الخير الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر هم حجة عليك إن استمررت على معصيتك بعدما رأيت منهم ما رأيت، أو سمعت منهم ما سمعت، ولْتعلمْ أن الأمم التي أهلكها الله -سبحانه وتعالى- لم ينجُ منها إلا قليل، هؤلاء الذين نجوا كانوا ممن آمنوا بالله -سبحانه وتعالى- واستجابوا لدعوة الرسل، لذلك فإن من سبل النجاة زرع بذور العلم والعلماء في هذه الأمة والاهتمام بها حتى يبقى هناك محافظين على خيوط الإصلاح بدون انقطاع، فيكونوا البذرة التي تنبت زرًعا بإذن الله، ووظيفة من هو حاله الآن في أعلى مراحل العلم والدعوة أن يساعد في بناء هذه البذور الطيبة وأن ينثرها في أماكن كثيرة حتى لا تندثر ولا تختفي لأي سبب من الأسباب، فلا بد من بقاء المصلحين، قال تعالى: ﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾، ذكر السعدي في تفسيره لهذه الآية الكريمة: "وفي هذا، حث لهذه الأمة، أن يكون فيهم بقايا مصلحون، لما أفسد الناس، قائمون بدين الله، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويبصرونهم من العمى. وهذه الحالة أعلى حالة يرغب فيها الراغبون،

وصاحبها يكون إمامًا في الدين، إذا جعل عمله خالصًا لرب العالمين."[١].

٥٦٠. فلْتعلمْ يا أخي أن الناس مختلفين عن بعضهم البعض، هذا الاختلاف يشمل المسائل الدينية، والمسائل الدنيوية، هذا الاختلاف نابع عن اختلاف في طريقة تفكير هذه العقول، وتنوعها، ومدى العلم التي تملكه، والبيئة التي عاشت فيها وغير ذلك، ولهذا الاختلاف فوائد عظيمة، وله مضار شنيعة، فبتنوع العقول وطرق تفكيرها تتنوع المعارف وطرق الحصول على المعلومات، وقد يتغير الإنسان بناءً على هذه المعلومات القادمة، فإما أن يكون تغييره للأفضل، وإما للأسوأ -والعياذ بالله-، هذا الاختلاف إن حوكم بمنهجية صحيحة وواضحة كان نعمة على صاحبه وعلى غيره، أما إن لم يوضع الاختلاف في موضعه ولم تكن هناك مرجعية واضحة للاحتكام ولم يتحلَ الإنسان بأدب الاختلاف، أصبح ذلك وسيلة للتباغض والتنافر، ومن الخير الذي نراه بسبب اختلاف العقول في التفكير وجود المذاهب الإسلامية، فالناظر للأئمة الأربعة -رحمهم الله- على سبيل المثال يعلم كم كانوا يبحثون عن الحق، ويستدلون بالنصوص والتي قد تكون نفسها فيصدر منها أحكامًا مختلفة متنوعة، ولكل واحد منهم حجته الدامغة، فكان هذا الاختلاف خيرًا لهذه الأمة، ونفعت به!، ومن الأمثلة اللطيفة على ذلك "مسألة فاقد الطهورين"، أما إذا وقع الاختلاف في النفوس والقلوب هنا ذهبنا إلى الاختلاف القبيح.

٥٦١. قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢﴾، ذكر ابن كثير في تفسيره: "وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس؛ فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات، على أشرف

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة هود | الجزء الثاني عشر | الآية ١١٦ | الصفحة ٣٩٢ | مؤسسة الرسالة | بيروت

الرسل، بسفارة أشرف الملائكة، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان، فكمل من كل الوجوه"[١].

٥٦٢. فلْتعلمْ يا أخي أن الرؤى حق، وقد تقع هذه الرؤى للمؤمن والكافر، الصغير والكبير، الذكر والأنثى، والرؤى يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام كما في الحديث الشريف: "إذا اقْتَرَبَ الزَّمانُ لَمْ تَكَدْ تَكْذِبُ، رُؤْيا المُؤْمِنِ ورُؤْيا المُؤْمِنِ جُزْءٌ مِن سِتَّةٍ وأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ وما كانَ مِنَ النُّبُوَّةِ فإنَّه لا يَكْذِبُ قالَ مُحَمَّدٌ: - وأنا أقُولُ هذِه - قالَ: وكانَ يُقالُ: **الرُّؤْيا ثَلاثٌ: حَديثُ النَّفْسِ، وتَخْوِيفُ الشَّيْطانِ، وبُشْرَى مِنَ الله**، فمَن رَأَى شيئًا يَكْرَهُهُ فلا يَقُصَّهُ علَى أحَدٍ ولْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ قالَ: وكانَ يُكْرَهُ الغُلُّ في النَّوْمِ، وكانَ يُعْجِبُهُمُ القَيْدُ، ويُقالُ: القَيْدُ ثَباتٌ في الدِّينِ."[٢]، ومن الرؤى الصادقة رؤيا سيدنا يوسف -عليه السلام-، ورؤيا الملك التي فسرها نبي الله يوسف -عليه السلام-، والرؤيا إن حدثت بها فلا تحدث بها إلا محبًا أو ذا علم، وأما إن رأيت ما تكره فلا تحدث به أحدًا، ونستأنس هنا بما روي عن عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه- قال: "إنْ كُنْتُ لأَرَى الرُّؤْيَا تُمْرِضُنِي، قالَ: فَلَقِيتُ أَبَا قَتَادَةَ، فَقالَ: وَأَنَا كُنْتُ لأَرَى الرُّؤْيَا فَتُمْرِضُنِي، حتَّى سَمِعْتُ رَسولَ الله ﷺ يقولُ: الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللهِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ ما يُحِبُّ، فلا يُحَدِّثْ بهَا إلَّا مَن يُحِبُّ، وإنْ رَأَى ما يَكْرَهُ فَلْيَتْفُلْ عن يَسَارِهِ ثَلَاثًا وَلْيَتَعَوَّذْ بالله مِن شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّهَا، وَلَا يُحَدِّثْ بهَا أَحَدًا فإنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ."[٣]، وفي أحكام الرؤى تفصيلات شرعية يرجع فيها لأهل

---

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ٩٧٤ | تفسير سورة يوسف | الآية ٢ | دار ابن حزم | بيروت

(٢) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٧٠١٧ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح] التخريج: أخرجه البخاري (٧٠١٧)، ومسلم (٢٢٦٣)

(٣) الراوي: عبد الرحمن بن عوف | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم:

الاختصاص والعلم الشرعي، ويمكن الرجوع للكتب الفقهية للاستزادة.

٥٦٣. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤﴾، ذكر السعدي في تفسير هذه الآية الكريمة: "فكانت هذه الرؤيا مقدمة لما وصل إليه يوسف عليه السلام من الارتفاع في الدنيا والآخرة. **وهكذا إذا أراد الله أمرًا من الأمور العظام قدّم بين يديه مقدمة، توطئة له، وتسهيلًا لأمره، واستعدادًا لما يرد على العبد من المشاق، لطفًا بعبده، وإحسانًا إليه**، فأوّلها يعقوب بأن الشمس: أمه، والقمر: أبوه، والكواكب: إخوته، وأنه ستنتقل به الأحوال إلى أن يصير إلى حال يخضعون له، ويسجدون له إكرامًا وإعظامًا، وأن ذلك لا يكون إلا بأسباب تتقدمه من اجتباء الله له، واصطفائه له، وإتمام نعمته عليه بالعلم والعمل، والتمكين في الأرض. وأن هذه النعمة ستشمل آل يعقوب، الذين سجدوا له وصاروا تبعًا له فيها[١] ..".

٥٦٤. فلْتعلمْ يا أخي أن الأخ هو من تستقوي به على أمرك، وتُعز به، وفي تعاون الأخوة قوة، قال تعالى في سورة القصص الآية ٣٥: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾، فالعاقل هو من ربى أبناءه على أن يكونوا أخوة يعين بعضهم بعضًا على الصلاح والتقى، فينصر كل واحد منهم أخاه في مظلمته، ويمنعه عن ظلمه، وقد وصى سيدنا يعقوب -عليه السلام- سيدنا يوسف -عليه السلام- بألا يقصّ رؤياه على إخوته حتى لا يدخل الحسد إلى قلوبهم، ويغرر الشيطان بهم، فأخذ بالأسباب التي قد تمنع وجود مثل هذا التنازع بين الإخوة لعلمه بأن هذه الرؤيا ستكون سببًا في كيدهم له،

٢٢٦١ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة يوسف | الجزء الثاني عشر | الآية ٤ | الصفحة ٣٩٣ | مؤسسة الرسالة | بيروت

لهذا إن كنت أبًا عاقلًا فاحذر من أن تثير النعرات فتدخل العدواة في قلوب أبنائك بدلًا من أن تمنعها، بل عليك معاملتهم بالعدل، ثم انظر إلى المصلحة العليا عند تعاملك معهم، لتكون سببًا من أسباب توحدهم وقوتهم بدلًا من أن تكون سببًا في تفرقهم وضياعهم وتناحرهم، ويمكن توسعة هذه الدائرة لتشمل الإخوة في الإسلام، فالأب والمعلم والعالم والمسئول وكل من له وصاية أو قدرة على توحيد المسلمين بأفعال وأسباب تمنع من تناحرهم وتزرع بذور الحب والإخاء والقوة فيما بينهم يجب عليه فعل ذلك، كفعل رسول الله ﷺ حين آخى بين المهاجرين والأنصار، فوحد قلوبهم وأجسادهم، ثم أنكر كل ما يثير الفتنة والعداوة فيما بينهم، وكانت نصوص الإسلام تدعو إلى توحيد القلوب، فلا فرق بين عربي وأعجمي، ولا أسود أو أبيض، ولا ذكر أو أنثى إلا بالتقوى، فترى أن الإسلام سعى لتوحيد هذه القلوب فتصبح قوية مثلها كمثل البنيان المرصوص، يشد بعضه بعضًا، فالحمد لله على هداه!.

٥٦٥. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- إذا أحب عبدًا واصطفاه يسر له من سبل الخير والعلم والصلاح والقوة ما يكون له عونًا في الدنيا والآخرة، وهذه من النعم العظيمة منّ الله -سبحانه وتعالى- على عباده، فإن رأى الإنسان من الأسباب ما يجعله أقرب لله -سبحانه وتعالى- فعليه أن يتشبث بها، وأن يأخذ بأسبابها حتى تتم له نعمة عظيمة -بإذن الله تعالى-، لذلك لا تُضع أسباب الخير والمنعة والقوة والعلم إن أتتك، بل تشبث بها وبأسباب تحصيلها تكن لك نجاة بإذن الله -سبحانه وتعالى- وتوفيقه، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦﴾، أي وكذلك يصطفيك ربك فعلمك تأويل الرؤى، وجعل فيك النبوة، قال

القرطبي: " **وكذلك**، أي كما أكرمك بالرؤيا فكذلك يجتبيك، ويحسن إليك بتحقيق الرؤيا"[١]، وقال السعدي: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾ أي: يصطفيك ويختارك بما يمنُّ به عليك من الأوصاف الجليلة والمناقب الجميلة، ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ أي: من تعبير الرؤيا، وبيان ما تئول إليه الأحاديث الصادقة، كالكتب السماوية ونحوها"[٢]، فالشاهد في تفسير هذه الآية الكريمة أن الله -سبحانه وتعالى- اصطفى يوسف -عليه السلام- **وعلّمه من علمه** وفضّله على إخوته، وكذلك قد يكون حال المؤمنين فيصطفيهم الله -سبحانه وتعالى- فيتدارك المؤمنون أسباب العلم والقوة التي أتتهم فيأخذونها فينالوا ما وفقوا له، فاللهم علمًا نافعًا ورحمة منك تغنينا عمن سواك.

٥٦٦. فلْتعلمْ يا أخي أن قصة سيدنا يوسف -عليه السلام- من أعظم القصص وأجلها، وفيها من العبر والمنافع الجليلة العظيمة ما فيها، وفيها من جمال السرد وقوة الكلمة والتأثير على القلب ما فيها، فإن أردت المنفعة في قصة جميلة مليئة بالعبر والآيات عليك بقراءة سورة يوسف، وتأكد أن قلبك سيطيب بها -بإذن الله تعالى-، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾، قال ابن كثير في تفسيره: "لقد كان في قصة يوسف وخبره مع إخوته آيات، أي عبرة ومواعظ

(١) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ١١ | الصفحة ٢٥٨ | تفسير سورة يوسف | الآية ٦ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة يوسف | الجزء الثاني عشر | الآية ٦ | الصفحة ٣٩٣ | مؤسسة الرسالة | بيروت

للسائلين عن ذلك، المستخبرين عنه، فإنه خبر عجيب، يستحق أن يستخبر عنه"[١]، وقال السعدي في قصة يوسف -عليه السلام-: "عبر وأدلة على كثير من المطالب الحسنة، ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ أي: لكل من سأل عنها بلسان الحال أو بلسان المقال، فإن السائلين هم الذين ينتفعون بالآيات والعبر، وأما المعرضون فلا ينتفعون بالآيات، ولا في القصص والبينات."[٢].

٥٦٧. فلْتعلمْ يا أخي أن التوبة قد لا تتحقق بمجرد العزم عليها، فإخوة يوسف -عليه السلام- قالوا اقتلوه أو ابعدوه عن هذه الأرض، ثم بعدها نتوب ونصبح صالحين!، فعزموا على التوبة قبل ارتكابهم للذنب فاستسهلت قلوبهم هذا الذنب ففعلوه، لكن كانت نتيجة ذلك أنهم استمروا في مكابرتهم على ما فعلوه ولم يقروا بذنبهم ولم يتوبوا حتى شاء الله -سبحانه وتعالى- لهم في ذلك، فالعاقل هو من يتجنب مثل هذه الطرق قدر ما استطاع، فهو لا يدري أسيوفق للتوبة بعد المعصية أم لا، ولا يعلم أسينتهي أجله قبل أن يتم توبته أم سينتهي أجله وهو في معصيته؟!، لذلك نسأل الله -سبحانه وتعالى- حسن الخاتمة، ونعوذ به من أن نستصغر الذنوب وأن يغرنا طول الأمل.

٥٦٨. فلْتعلمْ يا أخي أن من أعظم البلاء الذي قد يقع للمرء هو البلاء الداعي للزنا، وأعظم ذلك أن يأتي الزنا إليك بدلًا من تأتيه، وأن يكون من امرأة ذات حسن وجمال، فتغلق الأبواب والمنافذ فتأمن نفسك بأن الناس غير مطلعون عليك، فلا

---

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ٩٧٧ | تفسير سورة يوسف | الآية ٧ | دار ابن حزم | بيروت

(٢) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة يوسف | الجزء الثاني عشر | الآية ٧ | الصفحة ٣٩٤ | مؤسسة الرسالة | بيروت

يحول بينك وبين هذا الفحش من أسبابه شيء، ووالله إنه لبلاء عظيم، والنجاة من هذا الفحش لا تكون إلا ب﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ﴾، ﴿ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ ﴾، ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾، فيستعين العبد بالله -سبحانه وتعالى- لينقذه مما هو فيه، ويستعيذ بالله -سبحانه وتعالى- من هذا الفحش، ويتذكر نعم الله -سبحانه وتعالى- عليه، فإن مجابهة النفس لمثل هذا واجتنابه والهرب منه يحتاج إلى توفيق عظيم من الله -سبحانه وتعالى- وهمة وعزيمة للنجاة من هذا الفحش بعد أن اجتمعت كل دواعيه، يحتاج إلى مخزون من الأعمال الطيبة كحفظ النفس والبصر، وحفظ العقل مما رأى البصر، فيكون غض البصر عن النظر، وغض العقل عن التفكير فيما رأى البصر، ومن قدم إيمانه على نفسه نجا -بإذن الله-، قال تعالى في سورة يوسف: ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ ﴾.

٥٦٩. فلْتعلمْ يا أخي أن الجمال الذي يعطى للبشر يتفاوت فيما بينهم، فإن رزقت جمالًا مميزًا لفت أنظار الناس إليك فعليك أن تعلم أن لهذا الجمال حق عليك، وهو حفظه من السوء والفحش الذي قد يأتيك بأسهل الطرق!، أو قد تأتيه أنت فيكون لك مراد السوء بأسهل الطرق!

٥٧٠. فلْتعلمْ يا أخي أن صاحب الحظ العظيم هو كل من أنقذه الله -سبحانه وتعالى- من الشرك والكفر، وهداه ويسر له سبل الإسلام، فآمن بالله -سبحانه وتعالى- وبرسله وبما أنزل، ولو كانت هذه النعمة هي النعمة الوحيدة التي رزقنا الله -سبحانه وتعالى- إياها لكفى بها!، فعذاب الدنيا يهون أمام عذاب الآخرة، ونعيم الآخرة أعظم وأجل من الدنيا وما فيها، بل إن ما يجب فعله هو حمد الله -سبحانه وتعالى- والثناء عليه لما أنعم علينا ظاهرًا وباطنًا، وأن نذكر هذه النعمة ونبجلها

ونذكر إحسان الله -سبحانه وتعالى- علينا بأن جعلنا من المسلمين، بينما كل من رفض الهدى وسبله بعد أن أتاه وتبين له الحق فهو خاسر عظيم -والعياذ بالله-، "اللهمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى. وفي روايةٍ: وَالْعِفَّةَ."[١]

٥٧١.قال تعالى في سورة يوسف: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾، هذه الآية الكريمة فيها معنى جميل، وهي النعمة الحقيقة التي يمكن أن ينالها الإنسان، هي نعمة "حفظ الإيمان"! في هذه الآية الكريمة استجاب رب العزة -جل في علاه- لسيدنا يوسف -عليه السلام-، وأنقذه من الفاحشة وكيد النسوة، فكان فضل الله -سبحانه وتعالى- ونعمته على سيدنا يوسف -عليه السلام- بحفظ إيمانه هي النعمة الحقيقية، وهي النعمة التي يتلاشى ما دونها إن ذهبت -والعياذ بالله-! وهذا يقودنا لنقطة مهمة، أن كثير ممن ابتلي نظر إلى ما ينقصه ووجه قلبه وجوارحه لنقصه! وكأن هذا النقص هو أعظم شيء في هذه الحياة، وفقدانه لهذا الشيء مدعاة للسخط -والعياذ بالله-، انظر مثلًا للفقير فتجده يقول لا أجد ما أطعم به زوجتي وأبنائي، فما قيمة الحياة بدون مال؟! ويقول الغني، انظر ما فائدة مالي وأنا لم أرزق بأبناء؟! ويقول المريض ما فائدة ما أنا عليه من علم؟ وما فائدة ما لدي من مال؟ إن لم يكن لدي صحة تعينني على الزواج أو تعييني على قضاء حاجتي؟ وكذلك قول من لم يتزوج وقول السجين...إلى آخره من الأمثلة الكثيرة، هذه الأمثلة وغيرها تشترك جميعها في نظرة أصحابها لما نقصهم وتسليط الضوء على هذا النقص، أي أنهم جميعًا فقدوا كنز القناعة والرضا، القناعة التي تريح القلب من

---

(١) الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٧٢١ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

تتبع ما عند الآخرين من نعيم، ألم تسمع قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٣٢﴾، لاحظ أن هذه الآية الكريمة تحرص على حفظ النفوس من السخط؛ وذلك بنهيها عن تمني ما لا يليق بها مجردًا! وإنما تحث الإنسان على أن يسأل الله -سبحانه وتعالى- من فضله ويسعى لأجل ذلك...، وهذا يذكرنا بحديث رسول الله ﷺ: "انظروا إلى من هو أسفلَ منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقَكم، **فإنه أجدَرُ أن لا تزدَروا نعمةَ الله عليكم**"[(١)]، لاحظ أن أخطر ما قد يصيب القلب عند فقدان القناعة هو ازدراء نعمة الله -سبحانه وتعالى-! لذلك، تذكر دومًا أن ما ينقصك ليس هو أهم شيء! وتذكر أن الله -سبحانه وتعالى- تفضل على سيدنا يوسف -عليه السلام- بسجنه! فحفظ إيمانه، وجعل من محنة السجن منحة عظيمة له!، وهذا كله من حسن الظن بالله

-سبحانه وتعالى-، أن ترى ما فيك من محنة هو منحة لحكمة تعلمها أو لا تعلمها، وتراها منحة لأنها من الله -سبحانه وتعالى- العالم بأحوالنا والمقدر لأقدارنا، العدل الحكيم!، لهذا، اعلم أن مقومات الحياة كثيرة، وأن نعم الله -سبحانه وتعالى- عليك كثيرة عظيمة، حتى أنك قد اعتدت عليها لطول بقائها وغمرها لك، أفلا تكون عبدا شكورا؟!، لذلك أسأل الله -سبحانه وتعالى- الرضا والقناعة بحكمه وقضائه، واسأله برحمته أن نكون من عباده الشكور، وتذكر دوما أن محنة الحياة الدنيا لا تدل على سوء بالضرورة!، كما لا يدل النعيم في الحياة الدنيا على حسن وثواب

---

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: ٢٥١٣ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

بالضرورة!، وتذكر أن ثواب الإيمان في الآخرة هو محل النظر، انظر لما قاله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾، لاحظ أن الله -سبحانه وتعالى- من على سيدنا يوسف -عليه السلام- بحفظ إيمانه أولا، فكانت محنته في السجن منحة عظيمة!، ثم أخبرنا الله -سبحانه وتعالى- أن الخير والأجر الحقيقي ليس في خروج سيدنا يوسف -عليه السلام- من السجن ليصبح عزيز مصر!، بل الخير الحقيقي هو ثواب الآخرة الذي أُعد لعباده الذين آمنوا وكانوا يتقون!، فهل أدركت الآن عظم الرضا بقضاء الله -سبحانه وتعالى-؟!، أأدرت أهمية العمل وتحديد الوجهة الخاصة بهذا العمل؟!، أأدركت ما هو المهم وما هو الأهم؟، ويكفي للمؤمن أن ينال ما وعده الله -سبحانه وتعالى- لعباده من الطمأنينة والسكينة، قال تعالى في سورة يونس: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾، فاللهم اجعلنا منهم برحمتك يا أرحم الراحمين يا الله.

٥٧٢. فلْتعلمْ يا أخي أن الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- تكون في أي وقت، وعلى أي حال، وهذا نهج الأنبياء -عليهم السلام-، فهذا يوسف -عليه السلام- يدعو إلى الله -سبحانه وتعالى- وتوحيده وهو في سجنه، ويخبر صاحبي السجن بأن ما رأوه من فضل هو من عند الله -سبحانه وتعالى-، فإن أرادوا أن يسلكوا سبل المحسنين فعليهم السير كما سار بأن يؤمنوا بالله -سبحانه وتعالى-...، وهذا من تمام النعمة، أن تكون داعيًا إلى لله -سبحانه وتعالى- مهما أصابك من هم أو غم ما دمت قادرًا على ذلك، اللهم اجعلنا دعاة للخير هادين مهتدين بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

٥٧٣. فلْتعلمْ يا أخي أن "**لا أعلم**" هي كلمة صدق تخرج من صادق صدق نفسه، وعرف قدره، وجزم على أن يقول ما يعرف دون ما لا يعرف، وهذه السمة من أطيب السمات لأي إنسان منا، مهما بلغ من العلم!، أما من تقوّل وغاص في غير بحره فإنه مغرق لا محالة بين زيادة في الجهالة ونقصان في القدر، لذلك كن صادقًا مع نفسك قبل غيرك، قال الإمام مالك -رحمه الله-: "من فقه العالم أن يقول لا أعلم"، وقال مجاهد: "سئل ابن عمر عن فريضة من الصلب، فقال: لا أدري؛ فقيل له: فما منعك أن تجيبه؟ فقال: سئل ابن عمر عما لا يدري، فقال: لا أدري"[١]، انظر لصدق النفس، سئل عما لا يدري، فقال لا أدري...بكل بساطة!، فكن عالمًا بعلمك وأخلاقك.

٥٧٤. فلْتعلمْ أن من تمام حسن الخلق ألا تعنف من نسيك!، وأن تقدم حسن الظن في أمره بدلًا من سوء الظن!، وهذه لو فقهها بنو قومي لهان عليهم الأمر، فمع وسائل التواصل الحديثة والسريعة، ومع تسارع الأحداث وسهولة الوصول، أصبحت أخلاق التواصل أقل بكثير عما كانت عليه، وهذه من الجوانب السيئة التي تضاعف وجودها مع تنوع وانتشار طرق التواصل التقنية، فأصبح الأخ يلوم أخاه إن لم يجبه مباشرة أو تأخر عليه في الرد، وأصبح مغاضبًا لكل من تجاهله أو نسيه، أو لكل من لم يرد على ما يرسله بشكل جماعي دون تخصيص -رسائل المجموعات أو رسائل التحديد عمومًا-!، وأضف إلى ذلك التركيز على سوء الظن في التعامل مع مثل هذه المواقف!، وهذا كله بدلًا من أن يتصرف الإنسان منا بحكمة، فبدلًا من أن يعاتب من نسيه ويغاضبه، لو أرسل رسالة طيبة فيها التذكير بالحاجة لهان الأمر، ولو

---

(١) كتاب صحيح جامع بيان العلم وفضله | الحافظ ابن عبد البر رحمه الله | الباب الثامن والأربعون | فصل ما يلزم العالم إذا سئل عما لا يدريه من وجوه العلم | الصفحة ٣٠٩ | مكتبة ابن تيمية | القاهرة

سأل المرسل إليه ما إذا كانت تزعجه بعض الرسائل لهان الأمر أيضًا، ولو أحسن الظن لقال بانشغال صاحبه أو انقطاعه لسبب ما لم يطقه، إذن لهان عليه الأمر أيضًا وهكذا، ومهما ظننت أهمية أمرك فلا أظن أن أمرك أهم وأعلى شأنًا من سيدنا يوسف -عليه السلام-، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾﴾، فلم يعاتب سيدنا يوسف -عليه السلام- الرجل الناجي بأن لم يذكره، وهو في السجن ظلمًا ويطوق للحرية!، بل على العكس من ذلك، أتم إحسانه إحسانًا فأجابه على سؤاله ولم يحدد له شرطًا، ولم يقل له اذكرني مجددًا!، أي إحسان هذا وأي أخلاق هذه!، سبحان الله!، اللهم إنا نسألك حسن الخلق والخلق.

٥٧٥. فلْتعلمْ يا أخي أن العاقل هو من يدخر بعض ما لديه لوقت حاجته، فلا يسرف فينفق كل ماله، ولا يقتر فلا يُرى ماله! وادخار المال أمر طيب طالما أخرجت حقه، وحقه يكون في زكاته إذا بلغ النصاب، وفي الإنفاق على من تجب لهم النفقة...ونحو ذلك، ضمن الضوابط الشرعية.

٥٧٦. فلْتعلمْ يا أخي أن أيام الإنسان تحوي في ثناياها أيام خصاب، وأيام عجاف، فالعاقل من تزود في أيامه الخصاب قدر ما استطاع من أمور الدين والدنيا، فيعمل على زيادة إيمانه وتقواه ويكثر من الأعمال الصالحة فيقوي رصيده الإيماني، ويعمل على إصلاح وتقوية بدنه فيمارس الرياضة ولا يفرط في الأكل، ويدخر بعض المال...ونحو ذلك، فيقوي رصيد البدن، ولتكن مدركًا أن هذه الأيام الخصاب لا تدوم لأحد إلا بفضل الله -سبحانه وتعالى-، فإن مَنّ على أحد بأن يبقيه في نعيم

وأيـام خصـاب فـلا راد لحكمـه، بـل إننـا نسـعى لأن نحصـل عـلى مثـل هـذا النعـيم فندعو الله -سبحانه وتعالى- أن يديم علينا فضله وكرمه، وأن يصبرنا إذا ما ابتلينا، أما إذا وقعت في أيام عجاف فعليك بالصبر وذكر الله -سبحانه وتعالى- والأخذ بأسباب النجاة في الدين والدنيا، ثم إذا علمت هذا، استيقن أن الله -سبحانه وتعالى- سيبعث لك أيامًا تغاث فيها، فينشرح قلبك، وتبتسم فيها روحك! فإن لم تكن هذه في أيام الدنيا، فبإذن الله -سبحانه وتعالى- بعد الدنيا! فلا تقنطْ من رحمة الله.

٥٧٧. فلْتعلمْ يا أخي أن الإنسان إذا أطلق العنان لنفسه دون أن يلجمها، كانت النتيجة هي نفس أمارة بالسوء قوية مسيطرة، تقوده إلى السوء -والعياذ بالله-، ولجم هذه النفس الأمارة بالسوء يكون برحمة الله -سبحانه وتعالى- لعبده، وتيسير سبل الهداية له، وبما أنزله الله -سبحانه وتعالى- إلينا من آيات ومواعظ وعبر وأوامر ونواهٍ، فمن أدرك أن نفسه هي نتاج دمج الروح والجسد، أيقن أن نفسه ستطلب العلا أو ستهبط في قعر مظلمة، فمن أراد طلب العلا عمل على إثراء الروح بالإيمان وطاعة الرحمن والسير كما أمر، والنظر فيما أنزل وهدى به البشر، وعمل على تقوية الجسد وإعطائه من حقوقه ما يلزم كما عمل مع الروح، فالغذاء والرياضة والجنس والنوم...ونحو ذلك من أمور الجسد -والتي لا ينكر حاجتها وأهميتها إلا جاهل أو متجاهل-، وهي من النعم التي أنعم الله -سبحانه وتعالى- علينا بها، بل إنه رزقنا الشهوة والحاجة والميل لمثل هذه الحاجات الحسية، وبهذا تنعم الروح **بذكر** ربها، وينعم الجسد **بنعيم** ربه، وتكون النفس بين هذا وذاك مطمئنة مستقرة، لكن احذر، فإن شهوات الجسد يجب أن تضبط وتلجم عن طريقك أنت!، لا أن تلجمك هي!، فتكون أنت قائدها لا هي من تقودك !، وهذا لا يكون بتمامه إلا بهدى رزقه الله -سبحانه وتعالى- عباده، فترى أن الإسلام أقر شهوة الجنس لكنه وضعها في الزواج

أو ملك اليمين، وحرم ما دون ذلك من الزنا وعمل قوم لوط ونحو ذلك! كما أقر بحاجة الإنسان للطعام لكنه حرم عليه ما يضره!...ونحو ذلك، فإن فعلت، فزت بنفس مطمئنة -بإذن الله سبحانه وتعالى-، وصرت عالمًا بها وقادرًا عليها بتوفيق من الله -سبحانه وتعالى-، أما إن أهملت جانب الروح، وأطلقت العنان لشهواتك، قادتك هي لسوء بعد سوء، وفحش بعد فحش، وهذا ما نراه بأعيننا في وقتنا الحاضر في بعض دول الغرب، فقد أطلقوا العنان لشهواتهم فلا ضابط لها، فكان الزنا عندهم حتى إذا ملت أنفسهم ذهبوا لزنا المحارم!، وذهبوا للجنس العنيف -فيه ضرب وتنكيل وامتهان، دون حفظ ومراعاة لحق المرأة وحتى شعورها!-، ثم للشذوذ الجنسي، فقننوه وبدأوا بمحاربة من أنكر هذا عليهم! ثم ذهبوا لزنا الأطفال والقاصرات ومحاولة تقنينه!، حتى إذا تم لهم ذلك ذهبوا إلى ممارسة الجنس مع الحيوانات!، تخيل مقدار الانحطاط الذي صارت إليها نفوسهم!، ونستأنس هنا بما روي عن أبي برزة الأسلمي -رضي الله عنه- عن رسول الله ﷺ قال: "إنما أخشى عليكم شهواتِ الغَيِّ في بطونكم وفروجِكم، ومُضِلَّاتِ الهوَى"(١)، فالناظر لهذا الحديث الشريف يعلم مقدار الخطر في التساهل في الميل إلى شهوات النفس وطلباتها، وقد ذكر البطن والفرج لعظم اللذة المتحققة منهما!، فمن أراد النجاة لم يتبع هواه ولم يترك نفسه لشهواتها، وفي هذا ذكر الله -سبحانه وتعالى- في كتابه العظيم في سورة يوسف قول امرأة العزيز: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥٣﴾، فسبحان الله العظيم الذي أعطى لكل شيء

---

(١) الراوي: أبو برزة الأسلمي نضلة بن عبيد | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترغيب الصفحة أو الرقم: ٢١٤٣ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

حقه وقدره بأفضل ما يكون، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ونسألك اللهم بفضلك ورحمتك وعفوك أن تعيذنا من أمراض القلوب...يا الله.

٥٧٨. يا أخي، إذا رأيت من شخص تقوى وورع، وأمانة وصدق وعفة وإخلاص، فإياك أن تفرط فيه أو تؤذيه! بل أكرمه واجعله مقربًا لديك! فبمثل هؤلاء يقوى العزم، وتُحفظ الأسرار، وينصر القوم!

٥٧٩. فلْتعلمْ يا أخي أن ذكر محاسن النفس ومدحها له وجهان، إما مذموم وإما محمود، والمذموم منها: ما كان لكبر أو غرور أو رفعة عن الناس أو لغير حاجة، والمحمود منها: ما كان فيه مصلحة للدين أو الدنيا، كالذي يدعو الناس فيظهر حاله لهم ليكون قوله أقرب لقلوبهم، أو من وجد في نفسه قدرة على شيء فذكر قدرته ليس من باب الغرور، وإنما من باب التعريف وبيان ما يؤهله للقيام بالأمر، مثل ما يذكره المتقدم لوظيفة من قدراته ومهاراته، فهذا كله لا بأس به، قال تعالى على لسان يوسف -عليه السلام: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾، وفي هذه الآية قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ -رحمه الله-: "فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ مَدَحَ نَفْسَهُ بِهَذَا الْقَوْلِ، وَمِنْ شَأْنِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ التَّوَاضُعُ؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّهُ لَمَّا خَلَا مَدْحُهُ لِنَفْسِهِ مِنْ بَغْيٍ وَتَكَبُّرٍ، وَكَانَ مُرَادُهُ بِهِ الْوُصُولَ إِلَى حَقٍّ يُقِيمُهُ، وَعَدْلٍ يُحْيِيه، وَجَوْرٍ يُبْطِلُهُ: كَانَ ذَلِكَ جَمِيلًا جَائِزًا."[١].

٥٨٠. فلْتعلمْ يا أخي أنك مهما بلغت من العلم فإن هناك من هو أعلم منك،

---

(١) كتاب زاد المسير في علم التفسير | ابن الجوزي | الطبعة الثالثة | الجزء الرابع | الصفحة ٢٤٤-٢٤٥ | تفسير سورة يوسف | الآيات ٥٤-٥٧ | المكتب الإسلامي | بيروت

ومهما بلغت من القوة فهناك من هو أقوى منك، ومهما بلغت أموالك وأولادك فهناك من هو أغنى منك وأكثر أولادًا، ومهما بلغت في شيء فهناك من هو أفضل منك!، فإن ملكت هذه كلها وكنت أكثر أهل الأرض حظًا فإنك ضعيف أمام ملكوت الله -سبحانه وتعالى- وعلمه وقدرته وخاضع له، لذلك لا تحسد أخاك على ما تراه فيه من قوة، فقد يكون أقوى منك، لكنك أعلم منه، وقد يكون أغنى منك، لكنك رزقت بالأولاد ولم يرزق هو...فاحمد الله -سبحانه وتعالى- على نعمه، وعلى حكمته وتمام قدرته وعلمه! الحمد لله.

٥٨١. فلْتعلمْ يا أخي أن من اتقى الله -سبحانه وتعالى- فابتعد عن المحرمات وصبر على الآلام والبلاءات، عُد من المحسنين، والله -سبحانه وتعالى- لا يضيع أجر المحسنين، قال تعالى في سورة يوسف: ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾، فسبحان الله العظيم، عندما صبر سيدنا يوسف -عليه السلام- على السجن والبعد، واجتنب الزنا بعد أن أتى له، كان من المحسنين، فرفعه الله -سبحانه وتعالى- ليصبح عزيز مصر، واختاره الله -سبحانه وتعالى- وفضّله على باقي إخوته بمكارم الأخلاق والمنزلة، بل إن سيدنا يوسف -عليه السلام- وصل في إحسانه لمستوى عظيم، فسامح إخوته دون تعييرهم بما سبق منهم، ودعا لهم بالمغفرة والرحمة، وهذا لا يصدر إلا من خيار الخلق، فاللهم اجعلنا من المحسنين، على خُطا المرسلين.

٥٨٢. يا أخي، إن عفوت عمن أساء إليك، وأردت أن تكون محسنًا في عفوك، انتبه لألفاظك ودلالاتها! ولا تُذكّر من عفوت عنه بإساءته ولا تُذكِّره بعفوك!، وهذا من تمام الإحسان، ولنصل إلى هذا علينا أن نهتم بكلماتنا ودلالاتها قبل أن نلقيها إلى

غيرنا في موضع اللين وموضع الشدة، وموقع الرضا وموقع الغضب، ولْتعلمْ أن هذه الكلمات إما أن تُألف بين القلوب وتجمعها، وإما أن تبعدها وتشتتها، قال تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾، فانظر إلى بهاء هذا الأدب في الخطاب، قال السعدي -رحمه الله- في تفسيره: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ ﴾ إحسانًا جسيمًا ﴿إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ ﴾ وهذا من لطفه وحسن خطابه عليه السلام، حيث **ذكر حاله في السجن، ولم يذكر حاله في الجب**، لتمام عفوه عن إخوته، وأنه لا يذكر ذلك الذنب، **وأن إتيانكم من البادية من إحسان الله إليّ. فلم يقل: جاء بكم من الجوع والنصب**، ولا قال: **أحسن بكم**، بل قال ﴿أَحْسَنَ بِىٓ ﴾ جعل الإحسان عائدًا إليه، فتبارك من يختص برحمته من يشاء من عباده، ويهب لهم من لدنه رحمة إنه هو الوهاب. ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ﴾ فلم يقل **نزغ الشيطان إخوتي، بل كأن الذنب والجهل، صدر من الطرفين**، فالحمد لله الذي أخزى الشيطان ودحره، وجمعنا بعد تلك الفرقة الشاقة."[١].

٥٨٣. فلْتعلمْ يا أخي أن سوء الظن هو "امتلاء القلب بالظنون السيئة بالناس؛ حتى يطفح ذلك على اللسان والجوارح"[٢]، وهو تخوين الناس بدون دلائل أو براهين، وهذا كله مذموم ونستعيذ بالله منه، ومحرم في حق المسلمين، لكن إن

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة يوسف | الجزء الثالث عشر | الآية ١٠٠ | الصفحة ٤٠٥ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) منقول بتصرف | كتاب الروح | ابن القيم | المجلد الثاني | فصل الفرق بين الاحتراز وسوء الظن | الصفحة ٦٦٧ | مجمع الفقه الإسلامي | جدة

اقترنت دلائل وبراهين أدخلت ريبة للقلب، اختلف الأمر فلم يُسمَ هذا سوء ظن، قال تعالى في سورة الحجرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾، وسوء الظن يختلف عن الاحتراز، فالاحتراز هو التحفظ والاحتراس مما قد يسوء الإنسان، كمن يخرج في ماله فتراه حريصًا عليه، والفرق بين سوء الظن والاحتراز أن سوء الظن يؤذي الغير لما يظهر على الجوارح منه -من فعل أو قول-، وقد يقوده ذلك لتجنب الناس والابتعاد عنهم دون دليل أو بينة لمجرد سوء ظن أدخله الشيطان لقلبه، بينما الاحتراز فهو يقود لمخالطة الناس ونصحهم والتعامل معهم مع الاحتراس اللازم دون أن يؤذي غيره بقول أو فعل، وفي هذا نستأنس بحديث صفية أم المؤمنين -رضي الله عنها- قالت: "كانَ رَسولُ الله ﷺ مُعْتَكِفًا فأتَيْتُهُ أزُورُهُ لَيْلًا، فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ فَانْقَلَبْتُ، فَقامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي، وكانَ مَسْكَنُهَا في دَارِ أُسَامَةَ بن زَيْدٍ، فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الأنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَيَا النبيَّ ﷺ أسْرَعَا، فَقالَ النبيُّ ﷺ: علَى رِسْلِكُما إنَّهَا صَفِيَّةُ بنْتُ حُيَيٍّ فَقالَا سُبْحَانَ الله يا رَسولَ الله قالَ: إنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وإنِّي خَشِيتُ أنْ يَقْذِفَ في قُلُوبِكُما سُوءًا، أوْ قالَ: شيئًا."(١)، فالناظر هنا في هذا الحديث الشريف يرى عظم رحمة رسولنا الكريم ﷺ وإشفاقه على المسلمين، فإنه أولًا خشي عليهم من الشيطان من أن يلقي في قلوبهم سوء، فينمي في قلوبهم سوء الظن، وسوء الظن بالأنبياء من الأمور العظيمة التي تقود صاحبها للكفر -والعياذ بالله-، ثم فيه من الحكمة التي ينبغي أن نتعلم منها، فهذا رسول الله ﷺ، خير البشر، وهم من الصحابة -رضوان الله عليهم-، ومع

---

(١) الراوي: صفية أم المؤمنين | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٣٢٨١ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

ذلك نبههم أنّ هذه صفية -رضي الله عنها-، وهذا فيه أن الإنسان يستحسن أن يدفع عن نفسه السوء قبل أن يقع!، فيطّهر قلبه وقلب غيره.

٥٨٤. فلْتعلمْ يا أخي أن الإنسان يدعو ربه بأن يتوفاه مسلمًا، وأن يلحقه بالصالحين، وهذا الدعاء دعاء رجاء بأن يكون المرء حين يتوفاه الله -سبحانه وتعالى- على أحسن حال، مسلمًا لله -سبحانه وتعالى-، ويسأله اللحاق بركب الصالحين ممن سبقوه، فيكون معهم، فيناله من الخير ما ينالهم، أما تمني الموت فهو أمر لا يليق بمسلم، فإن كان ولا بد فليقل كما أوصانا الحبيب المصطفى ﷺ: "لا يَتَمَنَّيَنَّ أحَدُكُمُ المَوْتَ مِن ضُرٍّ أصابَهُ، فإنْ كانَ لا بُدَّ فاعِلًا، فَلْيَقُلْ: **اللهمَّ أحْيِنِي ما كانَتِ الحَياةُ خَيْرًا لِي، وتَوَفَّنِي إذا كانَتِ الوَفاةُ خَيْرًا لِي**"(١)، وهذا فيه لفتة من التأدب الجميل مع الله -سبحانه وتعالى-، فإن هذا الدعاء يَترُكُ الخِيرَةَ لله -سبحانه وتعالى-، فإن ظن الإنسان بنفسه الضعف والهوان، ولم يحتمل -حسب ظنه- ما أصابه من شر -يحسبه-، كان هذا الدعاء تنفسيًا عنه، ورجاءً من الله -سبحانه وتعالى- بفرج قريب، فالحمد لله.

٥٨٥. فلْتعلمْ يا أخي أن كثير من الناس حريصون على الدنيا وملذاتها أكثر من حرصهم على إيمانهم وما ينفعهم من أمور دينهم وأخراهم، فاحذر أن تكون منهم!

٥٨٦. فلْتعلمْ يا أخي أن الآيات التي نراها في السماء والأرض فيها من الإعجاز والإبهار ما يقود الإنسان الصادق لمعرفة عظم خالق هذه الآيات، فتّفكر فيها ولا تدع ما يبهر عقلك من إبداع الخالق يمر أمام عقلك من دون أن تتذكر قدرة الله -سبحانه وتعالى- وعظم خلقه وجمال صنعه، وهذا يقودنا لنقطة مهمة انتشرت عند

---

(١) الراوي: أنس بن مالك | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٥٦٧١ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

كثير من الناس -للأسف-، وهي ممارسة بعض الأعمال الشركية بقصد أو غير قصد، سواء أكان ذلك شرك أكبر أو شرك أصغر، أو كان ذلك شعوذة أو تدليس! وذلك مثل اليوجا[١] والريكي[٢] وقانون الجذب[٣] وغيرها! والذي ساهم في نشر هذه الخرافات والأساطير، وهذه الممارسات والتأملات البوذية والهندوسية الوثنية وغيرها هو أمران، الأول نشر هذه السفاسف باسم العلم، والعلم بريء منه! والثاني من خلال نزع العادات والمعاني الوثنية منه لتقديمه بصبغة رياضية أو نفسية علاجية، أو بصبغة إسلامية من خلال ربطها ببعض الآيات أو الأحاديث! وذلك عدا عن النظر إليها وتسويقها على أنها إحدى الممارسات الحضارية لجذب الشباب أو المخدوعين والخاضعين لسلطة الثقافة الغالبة! وما نريد قوله هنا، أن التأمل مثلًا من خلال اليوجا وجلساتها ليست الوسيلة الصحيحة للتأمل والتدبر! بل هي في أغلب ممارساتها وسيلة للخمول والكسل، وذلك في أفضل أحوالها!، لذلك، من التدليس وصف اليوجا على أنها رياضة وليس على أنها فلسفة! لذلك صنفتها اليونسكو ضمن الميراث الشعبي الشرق آسيوي وذلك في الأول من شهر كانون الأول لعام ٢٠١٦ ميلادي! والمراد من هذا كله، **أن التفكر والتدبر الذي يختص به أهل العقول الرشيدة هي تلك الممارسات البعيدة عن الممارسات الوثنية والشركية، والتي في ثناياها يتفكر**

---

(١) اليوجا في أصلها هي تطبيق من تطبيقات التأملات البوذية والهندوسية الوثنية، وهي اصطلاحًا ممارسة وتطبيق سلوك مقتبس من الفلسفات الآسيوية تهدف للتوحد مع الروح الكلية -والعياذ بالله من هذا الشرك وغيره-. (الإلحاد الروحي وخطره على العقيدة والعقل - ص ١٥)

(٢) الريكي هو عملية علاجية يتم فيها فتح الشاكرات على يد خبير الطاقة -المشعوذ- ويبدأ في شحن الطاقة الكونية لتملأ الهالة المحيطة بالجسم!، وصنف في دليل أكسفورد للطب النفسي ضمن العلوم الزائفة. (الإلحاد الروحي وخطره على العقيدة والعقل - ص ٨٤)

(٣) قانون الجذب يعني أن تضبط ذبذبتك على ذبذبة ما تريد من الكون من حولك فيأتيك = = -بزعمهم-!، وهو شرك أكبر والعياذ بالله! (الإلحاد الروحي وخطره على العقيدة والعقل - ص ١٦)

الإنسان بخلق الله -سبحانه وتعالى- وعظيم صنعه، ودون أن يشعر بقدرته على جذب ما يريد من الكون إذا تصادفت ذبذبته مع ذبذبات ما يريد -الحمد لله الذي عافانا من هذا الجهل وهذا الشرك-! ولا يمنع نفسه عن الطعام والشراب والعمل لمدة ١٨ ساعة متواصلة كجلسة اللوتس[١]!، فهذه كلها جلسات سكون لا جلسات تدبر! بينما من تدبر آيات الله -سبحانه وتعالى- المبهرة أو آياته ومعجزاته وكلامه وتفكر فيها، فهو على غير هذه الحال! انظر لجمال ما قاله السيوطي -رحمه الله-: "صفة التدبر أن يشغل القارئ قلبه بالتفكر في معنى ما يتلفظ به فيعرف معنى كل آية، ويتأمل الأوامر والنواهي، ويعتقد قبول ذلك، فإن كان قصر عنه فيما مضى من عمره اعتذر واستغفر، وإذا مر بآية عذاب أشفق وتعوّذ، أو تنزيه نزّه وعظّم، أو دعاء تضرع وطلب"، **ولاحظ أننا بفهمنا لمعنى التدبر والتفكر في خلق الله -سبحانه وتعالى-، أننا نكون في حالة تفكر وانشغال، وتزكية للنفس وتهذيبها، ومراجعة للذنوب والآثام، وعزم على عمل الصالحات والخيرات...إلى آخره**، لذلك يا أخي، احذر مما يصدر لنا وتقلب حقائقه، وتدبر وتفكر كما أمرت، بما يحمله التفكر والتدبر في خلق الله -سبحانه وتعالى- وآياته وجميل صنعه من معاني تُقوي النفس وتشحذ الهمم لعبادة الله -سبحانه وتعالى- والخضوع له والإيمان بأسمائه وصفاته كما ينبغي لها أن تكون، فسبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.[٢]

٥٨٧. فلْتعلمْ يا أخي أن العدل في معاملة الأبناء من الأمور المهمة التي يصلح

---

(١) جلسة اللوتس هي جلسة بوذية يجلس صاحبها لمدة ١٨ ساعة دون طعام وشراب، في سكون تام وتفريغ للذهن، وهي نوع من الجلسات التي تتسبب ببعض الهلوسات...(الإلحاد الروحي وخطره على العقيدة والعقل - ص ١٢)

(٢) لقد تحدث الدكتور هيثم طلعت -رحمه الله- حول هذا الموضوع على شكل أسئلة وأجوبة في كتابه الإلحاد الروحي وخطره على العقيدة والعقل، وهو كتاب جميل أنصحك بقراءته.

بها المنزل، وتصلح بها قلوب الأبناء، فيأتلف الأخوة ويشد بعضهم بعضًا، والعدل يشمل الحب وإظهاره فيما بينهم، أما ما كان في القلب مما ليس للإنسان سلطان عليه، فليبقى في القلب دون أن يظهر على الجوارح في تفريق بين الإخوة بالتعامل أو الأعطيات.

٥٨٨. يا أخي، إياك من الإفراط في حب البشر وحب الدنيا وملذاتها، بل ضع ميزانًا للحب فلا تغلو فيه -زيادة أو نقصان-، فإن امرأة العزيز فعلت ما فعلت بسبب الحب الذي أغشى على قلبها من أن ترى غيره!، ونستأنس هنا بما ينسب إلى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قال: "أحببْ حبيبَك هونًا ما عسى أن يكونَ بغيضَك يومًا ما، وأبغضْ بغيضَك هونًا ما عسى أن يكونَ حبيبَك يومًا ما"(١)، وهذا فيه لفتة طيبة للتعامل مع المشاعر التي في القلوب، فإن رأيت ميلًا مفرطًا للزيادة فاذكر لنفسك من المعقولات ما قد يسوءك أو يفرحك!، فإنه من المعقول أن من أحببت أن يصبح عدوك يومًا، والعكس صحيح، وهذه دعوة لضبط المشاعر وليس لسوء الظن -والعياذ بالله-!، بل إننا نقول لما في صدورنا على رسلك فيما تبدي وفيما تخفي، تفز وتنم قرير العين!، واعمل واسعَ وصاحب من أحببت وافدِه بروحك ومالك، فهذا كله من صدق الحب للمحبوب، وبهذا فإن الحب في أجمل معانيه هو ما يقودك للأعمال الصالحة، والمخلصة للمحبوب، لا ما يؤذيه وما يسوءه ويضره من كل فعل وقول قبيح.

---

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: السيوطي | المصدر: الجامع الصغير الصفحة أو الرقم: ٢٢٢ | خلاصة حكم المحدث: حسن | *: روي هذا الكلام في أكثر من موضع بين الضعيف والحسن والصحيح حسب كل محدث، ونحن أخذنا أحدها واعتمدنا من قال بأن هذا القول موقوف عند علي -رضي الله عنه-، مع أن بعض العلماء قال بصحة الرفع.

٥٨٩. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- خلق البشر وفي كل واحد منهم نقص يتمه الآخر في تكافل عجيب فيما بينهم لتستقيم هذه الحياة، فهناك الطبيب والمزارع والمعلم والمهندس والحرفي...إلى آخره، كلهم في تكافل فيما بينهم، ويستعين بعضهم ببعض حتى يتمكنوا من الاستمرار في هذه الحياة، وهذا الأمر من بديهيات الحياة، فلا يضر إنسان أن يستعين بغيره إن وقع عليه من الضرر ما يمكن لغيره أن ينزعه عنه -بإذن الله سبحانه وتعالى-، لكن عليه أن يعلم أن الأمر أوله وآخره بيد الله -سبحانه وتعالى-، والعاقل من علم أسباب النجاة فاستعان بالله -سبحانه وتعالى-، ثم أخذ بأسباب الدنيا حتى تتم له النعم.

٥٩٠. فلْتعلمْ يا أخي أن الشهادة على أمر ما لا تكون إلا بإدراك ما عند الشاهد من رؤية شاهدها أو خبر علمه من ثقة، ولْتعلمْ أن الكذب خزي عظيم ومهانة، لكن يمكن للإنسان التعريض في قوله إن أراد التملص من إجابة لا يرغب بها ودون أن يكذب، انظر لهذه اللفتة: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾، فقيل **وجدنا متاعنا عنده** ولم يقل **من سرقنا أو من سرق متاعنا**، وهكذا أخذ سيدنا يوسف -عليه السلام- أخاه.

٥٩١. قال تعالى في سورة يوسف: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾، هذه الآية الكريمة فيها إرشاد خفي لموعد الفرج!، فمتى وصل الإنسان لمرحلة اليأس من المخلوقين؛ لم يتبقَ إلا الرجاء في الخالق العظيم!، وهذه اللحظة كنز، يجب عليك اغتنامها، فهي اللحظة التي يوقن قلبك فيها بأن لا منجى ولا ملجأ من الله إلى إليه!، في هذه اللحظات دعوة من قلبك الطيب المخلص لله -سبحانه وتعالى- سيكون فيها الفرج بإذن الله تعالى، هي اللحظة التي تكون فيها قد تعلمت درسًا جديدًا واكتسبت

قوة جديدة، هي تلك اللحظة التي تنظر فيها إلى ثمرة صبرك ورضاك على ما قُضي لك!، إنها اللحظة التي لا ترى أجمل منها؛ ففيها استعنت بالله -سبحانه وتعالى- وحده لا شريك له، ولم يكن للشيطان عليك سبيلًا فيها، اللحظة التي يُخلص القلب فيها نجواه لرب العباد -جل في علاه-، اللحظة التي يحب القلب فيها خالقه ويلجأ له ويخشاه!، هي اللحظة التي يأتي الفرج فيها، **هي لحظة اليأس، لكن أي يأس؟!، إنه اليأس من المادة وأسبابها!، حينها ستجد قلبك معلقًا برب الأسباب -جل في علاه- دون سواه!**، انظر لقوله تعالى في سورة يوسف: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾، انظر لعظم هذا المعنى، لا تقنطوا من رحمة الله -سبحانه وتعالى-، واسعوا واجتهدوا في التفتيش عن أخويكم، ودعوا عنكم اليأس فهو مدعاة للتثاقل والتباطؤ، وأولى ما يرجوه المؤمن هو فضل الله -سبحانه وتعالى- ورحمته، وهذا ما كان لسيدنا يعقوب -عليه السلام-، فقد منّ الله -سبحانه وتعالى- عليه فرد عليه أبناءه وألف بين قلوبهم، ورد له بصره!، سبحانه ما أكرمه!، والقصص من هذا النوع كثير، فانظر إلى سيدنا محمد ﷺ حين خاطب الصديق -رضي الله عنه-، قال تعالى في سورة التوبة: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾، في قمة الشدة والصعوبة، وحين خشي الصديق -رضي الله عنه- على الحبيب المصطفى ﷺ وعلى دعوة الإسلام، يطمئنه الحبيب المصطفى ﷺ، ويلهم الله -سبحانه وتعالى- نبيه: "لَا تَحْزَنْ إِنَّ الله مَعَنَا"، فما يكون لهما إلا النصر من عند الله -سبحانه وتعالى-!، وانظر لسيدنا أيوب -عليه السلام-، قال تعالى في سورة الأنبياء:

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾، في قمة بلائه ومرضه، في اللحظة التي تصل فيها النفس إلى رجاء الله -سبحانه وتعالى- ورحمته، يُلهمك الله -سبحانه وتعالى- دعوة فيفرج عنك ما أنت فيه!، سبحانه ما أرحمه!، الكثير والكثير من الأمثلة التي لا يسع ذكرها هنا من قصص الأنبياء -عليهم السلام- والصالحين -رضوان الله عليهم-، يرى الناظر لهم عظم بلائهم وعظم صبرهم وعظم يقينهم بالله -سبحانه وتعالى-، عظم إخلاصهم لله -سبحانه وتعالى- وعظم لجوئهم إليه، تركوا الدنيا وأسبابها وكان ملجأهم رب الدنيا -جل في علاه-، **هم لم يتركوا العمل، بل تركوا تعلق قلوبهم بالأسباب وربطوها برب الأسباب!**، اجتهدوا في دعوة قومهم حتى لم يبق أي عذر لمن كفر، فيسأل نبي الله -سبحانه وتعالى- النصر، فيؤيده بنصره، وبذلك يفرح المؤمنون!، لذلك يا أخي، لا تقنط من رحمة الله -سبحانه وتعالى-، واشدد العزم على التوجه إلى رب الأسباب -جل في علاه-، وما أن تجد في قلبك محل دعوة طيبة في قمة ما تراه من محنة؛ إلا وبادرت في الدعاء مستذكرًا أن فرج الله -سبحانه وتعالى- بات قريبًا، والحمد لله رب العالمين.

٥٩٢. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- غفور رحيم، يغفر الذنوب، ويرحم عباده، ويمهلهم فلا يستعجل عذابهم، وهو شديد العقاب، فإنه إن عاقب فعقابه أليم شديد، لا مرد له!، لذلك، لا تستهن بفعلك المعاصي، ولا تقل لكل من أراد نصحك أو أمرك بالمعروف ونهاك عن المنكر بقولك "إن الله غفور رحيم"!، وكأن الناصح لك لا يعلم بأن الله -سبحانه وتعالى- غفور رحيم؟!، ثم لماذا لا تذكر قول الله -سبحانه وتعالى- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾؟!، يا أخي، إيمانك

برحمة الله -سبحانه وتعالى- لازم من لوازم الإيمان، لكن أن تفعل المعاصي والذنوب وتصر عليها وترد الآمرين بالمعروف عنك ثم تقول مثل هذا القول، فهذا دليل جهل محض!، وإلا ما الداعي لبعث الأنبياء -عليهم السلام-؟ وما الداعي لأن يعمل العاملون، ويجتهد المصلحون؟ وما الداعي من إقامة الحدود على الزاني والسارق؟ وما الداعي من محاربة الله -سبحانه وتعالى- ورسوله لأهل الربا؟ وما الداعي من تحريم الغيبة والنميمة؟...إلى آخره، ما الداعي من كل هذا إن كان فاعلها والممتنع عنها سواء لديك! ونستأنس هنا بقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٨﴾﴾، وقال في سورة الرعد: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٦﴾﴾، فالعاقل هو من كان راغبًا فيما عند الله راهبًا من عقابه لا متمنيًا من غير حق، وقد ذكر السيوطي -رحمه الله-: "أن أبا بكر الصديق حين حضرته الوفاة قال: ألم ترَ أن الله ذكر آية الرخاء عند آية الشدة، وآية الشدة عند آية الرخاء، ليكون المؤمن راغبًا راهبًا، لا يتمنى على الله غير الحق، ولا يلقي بيده إلى التهلكة"(١)، فاللهم إنا نسألك رحمة من عندك تغنينا بها عمن سواك، ونعوذ بك من غضبك وسخطك والنار، ولا حول ولا قوة إلا بك.

٥٩٣. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- له العلم المطلق، الذي لا يغيب عنه شيء، ولا يجهل شيئًا، ومن إحاطته أنه يعلم جنس ما تحمل كل أنثى ذكرًا كان أم أنثى، وكذلك يعلم أشقيٌ هو أم سعيد، ويعلم أسيكتمل الحمل وتتم الولادة أم ينتهي ويضمحل قبل ذلك، وهذا كله من علم الله -سبحانه وتعالى-، يعلم متى سنموت، وفي أي أرض وبأي ساعة، يعلم متى ينزل الماء وما هو مقداره على كل

---

(١) كتاب الدر المنثور في تفسير المأثور | السيوطي | الجزء الثالث | الصفحة ٢٠٣ | تفسير سورة المائدة | الآية ٩٨ | دار الفكر | بيروت

أرض، يعلم ما سيكون من أحوالنا في الغد الذي لم نره بعد، يعلم ما لا نعلم، حتى إن جميع العلوم البشرية من آدم عليه السلام إلى الآن، لا تكاد تصل إلى نقطة في بحر إذا قورنت بعلم الله -جل في علاه-، وهذا كله لا ينافي الأخذ بالأسباب في توقع ما سيكون بما يسره الله -سبحانه وتعالى- لنا من وسائل لذلك، فهذا مما علمنا، فمثلًا قد وهب الله -سبحانه وتعالى- لنا من العلوم ما ينتفع بها في متابعة الجنين من أول أيامه وحتى نهايتها، لكن هذا الأمر ليس مانعًا من أن يموت الجنين أو أن يجهض!، وكذلك الطقس، فقد تتوقع الأرصاد الجوية هطول المطر أو الثلوج في وقت ما، لكن لا يمكن الجزم بذلك قبل وقوع البراهين على هذا!، لذلك كن يا أخي موقنًا بأن الله -سبحانه وتعالى- هو العالم بكل شيء، وهو من وهب للبشر سبلًا من هذا العلم كيفما شاء وكما شاء، فمن أخذ وتعلم وعلم مما علمه الله -سبحانه وتعالى-، يعلم أن الجزم والعلم اليقيني في أمور الغيب لا يكون إلا لله -سبحانه وتعالى-، وأن ما نأخذ به هو من مجمل الأسباب، ومن مجمل ما علمنا من العلوم، فتكون رؤيتنا لأمر غيبي هي رؤية على سبيل التوقع لا الجزم إلا إن ظهرت البراهين التي دلنا الله -سبحانه وتعالى- عليها والتي تقودنا للجزم، ومن عقل يعلم أن هذا الجزم هو من أمر الله -سبحانه وتعالى-، فله الأمر إن أراد عكس ما رأينا كان ذلك لا راد لحكمه، ونستأنس هنا بما رواه عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: "مَفاتِيحُ الغَيْبِ خَمسٌ، لا يَعْلَمُها إلَّا الله: لا يَعْلَمُ ما تَغِيضُ الأرْحامُ إلَّا الله، ولا يَعْلَمُ ما في غَدٍ إلَّا الله، ولا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتي المَطَرُ أحَدٌ إلَّا الله، ولا تَدْرِي نَفْسٌ بأَيِّ أرْضٍ تَمُوتُ إلَّا الله، ولا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إلَّا الله."(١)، فمن علم أن هذه الأمور من

(١) الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٧٣٧٩ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

الغيبيات التي علمها عند الله -سبحانه وتعالى- اطمئن، وعمل بمقتضى ما وهبه الله -سبحانه وتعالى- من العلم، وجزم بأن الأمر بيد الله -سبحانه وتعالى-، واستعان به على ذلك، والله المستعان، وإليه الأمر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٥٩٤. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ، فإن كنت مداومًا على المعاصي والذنوب، أو مداومًا على الكفر، فغير للإيمان تفز بتغيير الحال، وكفى بنقاء القلب وتعلقه بالله -سبحانه وتعالى- نعمة!، وإن كنت على الإيمان والطاعة، فاحذر من أن ينقلب حالك للكفر والفسوق والعصيان، وكفى بها نقمة أن تصير إلى ما صار إبليس -لعنه الله-، وأن تئول إلى ما آل إليه، واتبع السيئة الحسنة تمحها -بإذن الله-، واعمل حتى يكون تغييرك تغير زيادة وفضل في الإيمان والإحسان، لا تغيير خسارة ونقصان، وهذا الأمر يكون على مستوى الفرد والجماعة، والتغيير على مستوى الجماعة من الإيمان إلى الكفر، ومن الطاعة إلى المعصية تغيير خطير يصيب القوم كلهم، فيصل السوء لكل واحد منهم -والعياذ بالله-، ونستأنس هنا فيما روته زينب بنت جحش -أم المؤمنين، رضي الله عنها- قالت: "أنَّ النبيَّ ﷺ، دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يقولُ: لا إلَهَ إلَّا الله، ويْلٌ لِلْعَرَبِ مِن شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليومَ مِن رَدْمِ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ مِثْلُ هذِه وحَلَّقَ بإصْبَعِهِ الإبْهَامِ والَّتي تَلِيهَا، قالَتْ زَيْنَبُ بنْتُ جَحْشٍ فَقُلتُ يا رَسولَ الله: **أَنَهْلِكُ وفينَا الصَّالِحُونَ؟ قالَ: نَعَمْ إذَا كَثُرَ الخَبَثُ.**"[١]، والخبث هو الفُسوقُ والفجورُ والمعاصي، فإن كثُر الخبث في قوم هلك القوم مما يصيبهم إما من عذاب وإما سوء حال من فقر ومرض وذل ومآل، لكن الصالحون منهم ينجون، ونجاتهم تكون إما بنجاة من العذاب أو

(١) الراوي: زينب أم المؤمنين | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٧٠٥٩ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

بحساب عدل على أعمالهم صالحة وما في قلوبهم من نوايا طيبة، قالت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-: "يا رسولَ الله إنَّ الله إذا أنـزَل سَطوتَه بأهلِ الأرضِ وفيهم الصَّالحونَ فيهلِكونَ بهلاكِهم؟ فقال: **يا عائشةُ إنَّ الله إذا أنـزَل سَطوتَه بأهلِ نِقمَتِه وفيهم الصَّالحونَ فيُصابونَ معهم ثمَّ يُبعَثونَ على نيَّاتِهم وأعمالِهم**"[(١)]، فاللهم اجعلنا من الصالحين المصلحين، وأدم علينا ذلك، وزد لنا في إيماننا وتقوانا، ونعوذ بك من أن ينقلب حالنا من الإيمان إلى الكفر، ومن الطاعة إلى المعصية، يا أرحم الراحمين يا الله.

٥٩٥.فلْتعلمْ يا أخي أن السحاب والرعد والبرق من آيات الله -سبحانه وتعالى- العظيمة، التي تجتمع فيها مشاعر الرجاء والإحساس بالطمع، ومشاعر الخوف!، يجتمع فيها العلم بقدرة الله -سبحانه وتعالى- وعظمته وقوته وضعفنا وقلة حيلتنا، فنرى السحاب فنفرح بالماء الذي فيه نجاتنا ونجاة زرعنا ودوابنا، ونخشى أن يبقى فيصير فيضانًا يدمرنا ويغرقنا -والعياذ بالله-، نسمع صوت الرعد، ونرى بريق البرق فنشعر بهيبة عظيمة في قلوبنا نابعة من شعورنا بعظمة الله -سبحانه وتعالى-، ونخشى أن يصيبنا منها سوء كضربة من البرق تحرق الجسد أو الزرع أو المال، وترى فيها من جمال إبداع الخالق وعظمة خلقه ما ترق له الأفئدة!، قال تعالى في سورة الرعد: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾، فسبحانَ الَّذي يسبِّحُ الرَّعدُ بحمدِهِ والملائِكةُ من خيفتِهِ، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

---

(١) الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان الصفحة أو الرقم: ٧٣١٤ | خلاصة حكم المحدث: أخرجه في صحيحه

٥٩٦. يا أخي، إن سُئلت:" من خالق السماوات والأرض؟ "، فقل الله -جل في علاه-، دون تردد وبيقين تام، ولْتعلمْ أن ما دون الله -سبحانه وتعالى- لن ينفعك ولن يضرك ما لم تكن مشيئة الله -سبحانه وتعالى- كذلك، ولْتعلمْ أن الحاكم ومن دونه من الوزراء ومن دونهم من المسئولين وغيرهم لا يستحقون العبادة كما لا تستحق الأوثان العبادة!، فإن كانت عبادة الأوثان بالتقرب إليها وبذْل الأموال من أجلها وبنائها وترميمها، فعبادة الحكام والمسئولين تكون بالتقرب منهم والعمل معهم ومعاونتهم على ما هم فيه من ظلم وفساد وإفساد، فإن كان قربك لهم من باب الأمر بالمعروف والنصح ومنعهم من باطل هم قائمون عليه كان لك الأجر -بإذن الله تعالى-، ونِعم البطانة الصالحة للحاكم الصالح!، ونِعم العالم العدل، ونستأنس هنا بما رواه أبو سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن الرسول ﷺ قال: "أفضلُ الجهادِ كلمةُ عدلٍ عند سُلطانٍ جائرٍ – أو أميرٍ جائرٍ –"[(١)]، اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه.

٥٩٧. فلْتعلمْ يا أخي أن من خاف الحساب، امتنع، ومن تجرأ بعد ذلك، فلا يلومن إلا نفسه!، وهذا الأمر يشمل الدنيا والآخرة، فمن خاف حساب الآخرة، عمل لأجل هذا الحساب كل ما في وسعه، فأثرى صحيفة أعماله بالطاعات واجتناب المعاصي، فمن لم يفعل ذلك، كان حسابه عسيرًا وعذابه عظيمًا، وفي الأمثال يقولون: "من أمن العقاب أساء الأدب!"، فمن كان يريد السرقة وعلم أنه لن يُعاقب، سرق!، فسبحان من جعل الحساب تأديبًا وزجرًا!

٥٩٨. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- يبسط الرزق لمن يشاء،

(١) الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح أبي داود الصفحة أو الرقم: ٤٣٤٤ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

ويقبضه عمن يشاء، فإن علمت هذا فلا تنظر لرزق غيرك، واجعل بصرك إلى ما رزقك الله -سبحانه وتعالى- وفضّلك به عن غيرك، إن فعلت هذا قوي عزمك، واطمئن قلبك، وسكن بصرك عن تتبع الآخرين، فالحمد لله الرب الكريم على ما أنعم علينا بفضله وكرمه، الحمد لله.

٥٩٩. قال تعالى في سورة الرعد: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾، هذه الآية العظيمة فيها من الجمال والرحمة والطمأنينة ما يجعل القلب يسكن والعين تترقرق، فسبحان من جعل ذكره غذاء للروح، ومحيي للنفوس، ومؤنس للإنسان بخالقه ومذكر به، فالمؤمن إذا سمع كلام الله -سبحانه وتعالى- رق قلبه، وإذا ذكر الله -سبحانه وتعالى- أمامه وجل قلبه، وإذا قرأ القرآن اطمئن بصدقه وعلم قدرة الله -سبحانه وتعالى- وإعجازه وعظم بيانه، وإذا ذكر الله -سبحانه وتعالى- فسبح وهلل وحوقل واستغفر...ونحو ذلك، بقي قلبه متصلًا بالله -سبحانه وتعالى- راجيًا رحمته خاشيًا عذابه! فاللهم اجعل قلوبنا مطمئنة بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا الله.

٦٠٠. فلْتعلمْ يا أخي أنك مهما استعجلت النصر أو الرزق أو الموت...ونحو ذلك، فلن يكون هذا لك إلا إن شاء الله -سبحانه وتعالى-، ومتى أراد ذلك! فلا تستعجل الغيب فإنه آتيك!

٦٠١. يا أخي، ذكرْ من حولك دومًا بنعيم الله -سبحانه وتعالى- وكرمه عليك وعليهم، واشدد أزرهم وارفع من عزائمهم ليتركوا ما هم فيه من إحباط ويأس من رحمة الله -سبحانه وتعالى-، فيخرجوا من مصيدة الشيطان إلى نور الرحمن -بإذن الله تعالى-. ومن ضيق الدنيا إلى وسع الآخرة، ومن عكر الحياة إلى صفائها، وذكّرهم بعذاب الله -سبحانه وتعالى- وعقابه، وذكّرهم بأحوال الأمم السابقة

وبأحوال الكافرين ومآلهم، فلكل نفس ما يحفزها وما يخوفها، فاللهم اجعلنا هداة مهديين مهتدين بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا الله.

٦٠٢. فلْتعلمْ يا أخي أن شكر الله -سبحانه وتعالى- على نعمه والثناء عليه في الظاهر والباطن واجب على كل مسلم، ويكون ذلك في الباطن بما خفي من القلب من دوام الشكر لله وحمده والثناء عليه -سبحانه وتعالى- والإقرار بنعمه، ويكون ذلك بالظاهر بما ظهر من أعمال الجوارح في استعمال نعم الله -سبحانه وتعالى- لما هدانا إليه لا فيما نهانا عنه، فمن شكر زاد الله له في الخير والنعيم، ومن كفر بنعم الله -سبحانه وتعالى- فإنه من الخاسرين، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾.

٦٠٣. فلْتعلمْ يا أخي أن الأرض التي تقتل وتطرد مُصلِحيها أرض شارفت على الانهيار والهلاك، وكلما زاد طغيانها وظلمها اقترب موعد حسابها وعذابها! فإن رأيت مثل ذلك في أي أرض فاعلم أن النهاية قريبة لا محالة! واعلم أن العاقبة لمن خاف الله -سبحانه وتعالى- وخاف وعيد، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٦٠٤. فلْيستبشرْ المستضعفون في الأرض من أن مصير كل جبار عنيد هو العذاب الأليم الشديد، وسيُسقى من ماء صديد شديد الحرارة خبيث الرائحة، لا يستطيع شربه مرة واحدة وهو محتاج لشربه، فإذا شرب منه تقطعت أمعاؤه، ومن شدة ألوان العذاب الذي يذوقه يرى الموت في كل واحد منها، لكن الله -سبحانه وتعالى- قضى لهم بالحياة دون الموت فلا موت حينها!، وما يصيبهم من العذاب لا يعلم شدته ووصفه إلا الله -سبحانه وتعالى-، فاللهم إنا نعوذ بك من أن نكون منهم، أو أن يسلطوا علينا، وأرنا بهم عجائب قدرتك، وعظيم عذابك، ولا حول ولا قوة إلا بك.

٦٠٥. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- أرسل الرسل فأخبرونا بوعد الله وبكل الشواهد التي تجعل القلب يؤمن بالله -سبحانه وتعالى- ويصدقه، ولقد وعد الشيطان وعدًا ودعا إليه أتباعه فاتبعوه، فما كان وعده إلا أن كذب عليهم وزين لهم الشهوات والملذات حتى صاروا تبعًا له، فالذي اتبع وعد الله -سبحانه وتعالى- فاز ونجا، وأما من اتبع وعد الشيطان فإنه والشيطان في العذاب، لا يحمل أحد عن أحد شيئًا، بل إن الشيطان يتبرأ ممن اتبعه فيقول لهم ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾، لهذا اعلم أنك المسئول الأول والأخير عن ذنوبك وأن الشيطان متبرئٌ منك، وأن الشيطان لم يكن له قدرة عليك إلا بدعوتك إلى الباطل وتزيينه لك ولا تظن أن هذا الأمر بسيط أو سهل! بل هذا باب عظيم يدخل الشيطان منه، فما دعاؤه لك إلا لأن تكون من أصحاب السعير، قال تعالى في سورة فاطر: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾، والعدو لا يُترك باب له من دون احتراز، ولا يجوز تركه بلا مدافعة ومقاومة، ولا يصح استصغار أمره، ولا يصح إعطاؤه حجمًا أكبر من حجمه، فيكون خوفك من الشيطان أعظم من رجائك بالله -جل في علاه-! بل أعطِ كل شيء قدره! وأيقن أن من استمسك بحبل الله -سبحانه وتعالى- لن يكون للشيطان عليه سبيلًا، وهذا مما يفرح به المؤمنون! فإن علمت هذا فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم، وقوي عزمك واتبع أمر الله -سبحانه وتعالى- واتبع ما جاء به رسوله، وأغلق أبواب الشر تفتح لك أبواب الخير، ولتكن مستعينًا بالله -سبحانه وتعالى- طالبًا للهداية والتثبيت والتوفيق من الله -سبحانه وتعالى-، والأمر كله لله -جل في علاه-، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٦٠٦. فلْتعلمْ يا أخي أنّ لا إله إلا الله هي أعظم غرس قد يُزرع في قلب

الإنسان، هذا الغرس إن كبر ونما جذره في القلب وثناياه، حصد الإنسان ثمار الإيمان، فيُرى من صاحب هذا الغرس الكلام الطيب والعمل الطيب، ويكون جزاؤه أن يثبته الله -سبحانه وتعالى- على "لا إله إلا الله"، ويجعله مؤمنًا مصدقًا بها، ويبعده عن الشهوات لأن "لا إله إلا الله" محراك للإرادة الجازمة ليقدم الإنسان ما يحبه الله -سبحانه وتعالى- على ما تحبه نفسه، وتجده ثابتًا أمام الشبهات لأن الله -سبحانه وتعالى- يثبته ويهديه إلى اليقين الذي ينبذ هذه الشبهات، و"لا إله إلا الله" هي ما يتمناه كل واحد منا عند الموت، فترى كل واحد منا يسأل الله -سبحانه وتعالى- حسن الخاتمة، وأن يثبته الله -سبحانه وتعالى- على قول "لا إله إلا الله، محمد رسول الله"، وترى كل واحد منا يسأل الله -سبحانه وتعالى- الثبات عند سؤال الملكين في القبر، فمن وفقه الله -سبحانه وتعالى- لأن تكون "لا إله إلا الله" أعظم عنده من نفسه وأهله وماله فاز والله ونجا، وسعد في الدنيا والآخرة، فاللهم اجعلنا من أهل "لا إله إلا الله"، واجعلنا برحمتك ممن سما بها وعقلها، وممن غُرست في قلبه غرسًا لا تنفك عنه وعما فيه، قال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾، ولْتعلمْ أن لا إله إلا الله تعني أن المسلمين أخوة، ما يصيب أحدهم يصيب سائرهم، ولْتعلمْ أن لا إله إلا الله تعني أنك أيها الرجل لست أعظم من المرأة، وأن المرأة ليست أعظم من الرجل، بل معيار التعاظم هو التقوى، ولْتعلمْ أن لا إله إلا الله تعني أن الأنساب والأعراق والألوان تتلاشى أمامها فتصبح علاقة الإيمان الذي في القلوب أعظم من قرابة الدم والعرق والأرض!، ولْتعلمْ أن لا إله إلا الله تعني أننا نوحد الله -سبحانه وتعالى- ونقر بأن لا إله ولا معبود سواه، وأننا إليه كما أمرنا وكما أراد لنا، نقر بذنوبنا ونستغفره ونتوب إليه عن تقصيرنا وزلاتنا وخطايانا،

ونتقرب إليه بكل ما يحب، وبكل ما نقدر عليه من أعمال الخير التي أمرنا بها، وحببنا في فعلها، فاللهم إني أشهد أنك لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمد ﷺ عبدك ورسولك، اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمد رسول الله.

٦٠٧. فلْتعلمْ يا أخي أن نعم الله -سبحانه وتعالى- كثيرة عديدة متنوعة، لا يمكن إحصاؤها ولا عدها، ولا يمكننا القيام بشكر الله -سبحانه وتعالى- على كل هذه النعم واحدة واحدة لأننا لن نستطيع عدها!، لكن الله -سبحانه وتعالى- من رحمته جعل قليل الشكر متقبلًا عن كثير من النعم، فلو أننا عبدنا الله -سبحانه وتعالى- من يوم ولادتنا وحتى وفاتنا لم نؤدِه حق نعمة واحدة من نعمه، ولن نؤديه! لكن رحمة الله -سبحانه وتعالى- وهدايته لنا جعلت ثناء القلب وشكر اللسان وعمل الجوارح مما يظهر عظيم الشكر والامتنان لله -سبحانه وتعالى-، وقد قال طلق بن حبيب -رحمه الله-: "إن حق الله أثقل من أن يقوم به العباد، وإن نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد، ولكن أصبحوا توابين وأمسوا توابين"(١)، لذلك، كن دومًا شاكرًا لله -سبحانه وتعالى- مثنيًا عليه، فاللهم لك الحمد حمدًا كما ينبغي لجلالك وعظيم سلطانك، الحمد لله رب العالمين على ما أنعمت علينا، ما علمنا منه وما لم نعلم، الحمد لله.

---

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٠٣٦ | تفسير سورة إبراهيم | الآية ٣٤ | دار ابن حزم | بيروت

٦٠٨. فلْتعلمْ يا أخي أن هناك محطات مصيرية لا يمكنك التراجع بعد تجاوزها والمضي في ثناياها، فكن شجاعًا لتتحمل نتاجها كما كنت جريئًا حين اقتحمتها، فإن علمت نتاج طريقك ووجدت معبراً هنا أو هناك فانظر إليه أيقود لخير أم شر! فإن كان يقود لخير فتوكل على الله وامض، وأصلح ما كنت فيه من الشر، أو زد إصلاحًا لصلاحك، وأما إن كان لشر فاحذر أن تترك الخير لتعود إلى الشر، أو تزد شر على الشر الذي كنت فيه!

٦٠٩. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- تكفل بحفظ القرآن الكريم فلا يدخله تغيير ولا تبديل، قال تعالى في سورة الحجر: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾، وها نحن الآن وبعد أكثر من ١٤٠٠ عام على نزول الوحي ما زال الله -سبحانه وتعالى- حافظًا كتابه من أي تبديل أو تغيير، وسيبقى كذلك معجزة سارية في كل العصور والأوقات وحتى قيام الساعة، فالحمد لله.

٦١٠. فلْتعلمْ يا أخي أن أمر الله -سبحانه وتعالى- إن حق على قوم، فإنه لا يمنعه مال ولا سلطان ولا عتاد ولا عدة، فأمر الله -سبحانه وتعالى- نافذ ولا فكاك منه، فافهم ذلك جيدًا!

٦١١. يا أخي، لكل بيت من البيوت أسراره كما لبيتك أسرار، لا أحد يعلم ما تخفيه تلك البيوت خلف جدرانها من أتراح وأفراح، ومن آلام وجراح، ومن كد وجهد وعمل، ولا من قرار نفس ولا من حياة أهي سعيدة هنيئة أم حزينة مريرة!، لهذا لا تنظر إلى ما تراه عيناك فتقول يا ليت لي مثل ما لهم!، فإنك لا تدري ما هو حالهم إلا ما ظهر منهم، وكذلك قد يتمنى غيرك مثل حالك!، فكل من نظر وتتبع أحوال الناس بعمق، وكل من كُشف له من أسرار البيوت سرٌّ، علم أن هذه الدنيا لا تكتمل

لأحد، وأن البلاء فيها واقع على كل واحد فينا، إن لم يكن في المال فهو في الصحة، فإن لم تكن في الصحة ففي الأبناء أو في الزوجة أو في الأهل أو في النسب وغيرها، لذلك، لا تنظر لما عند غيرك، بل انظر إلى فضل الله -سبحانه وتعالى- عليك فتغنى، ولْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- أغنى عباده بالقرآن، فمن استغنى بالقرآن الكريم أغناه الله -سبحانه وتعالى- عن غيره من متاع الحياة الدنيا، فالله -سبحانه وتعالى- عوضنا خير من هذه الدنيا ومتاعها بالقرآن الكريم، ولا تنظر يا أخي إلى ما عند الغرب من متاع وأموال فتتمناها تمني الضعيف الذي لا طاقة له بشيء!، فمن عرف الله -سبحانه وتعالى- واستغنى بالقرآن الكريم، كان له الغنى في النفس قبل غنى الجسد، ولْتعلمْ أن من اتقى الله -سبحانه وتعالى- واستغنى بالقرآن فإن الله -سبحانه وتعالى- مُغنيه، ومن علم هذا علم أنه لا ينظر نظرة المُتمني الضعيف أو الحاسد، بل يعمل بما فضّله الله -سبحانه وتعالى- به عن غيره ويسعى للأفضل، والأفضل هو كتاب الله -سبحانه وتعالى- ثم ما يأتي لك من الدنيا من غنى أنعم الله -سبحانه وتعالى- عليك به، وهذا هو الفوز، فوز بالآخرة، ونعيم بالدنيا، وطمأنينة في النفس وفرح في الجوارح، قال تعالى في سورة الحجر: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾، ذكر السعدي في تفسيره: "لا تعجب إعجابًا يحملك على إشغال فكرك بشهوات الدنيا التي تمتع بها المترفون، واغترَّ بها الجاهلون، واستغنِ بما آتاك الله من المثاني والقرآن العظيم"(١)، وذكر البغوي: "قوله تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ يا محمد ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الحجر | الجزء الرابع عشر | الآية ٨٨ | الصفحة ٤٣٤ | مؤسسة الرسالة | بيروت

مِّنۡهُمۡ ﴾ أصنافا ﴿مِّنۡهُمۡ ﴾ أي: من الكفار متمنيًا لها. نهى الله -تعالى- رسوله ﷺ عن الرغبة في الدنيا ومزاحمة أهلها [عليها]. ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾ أي: لا تغتم على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا."(١)، وذكر ابن كثير: "استغنِ بما آتاك الله من القرآن العظيم عما هم فيه من المتاع والزهرة الفانية. ومن هاهنا ذهب ابن عيينة إلى تفسير الحديث الصحيح: ليس منا من لم يتغنَ بالقرآن، إلى أنه يستغنى به عما عداه، وهو تفسير صحيح، ولكن ليس هو المقصود من الحديث"(٢)، ونستأنس هنا بما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "انظروا إلى من هو أسفلَ منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقَكم، فإنه أجدَرُ أن لا تزدَروا نعمةَ الله عليكم"(٣)، فالحمد لله الذي حبب إلينا القرآن، ونسأله برحمته أن نكون من أهله وممن استغنى به عن غيره، الحمد لله.

٦١٢. فلْتعلمْ يا أخي أن عبادة الله -سبحانه وتعالى- لا تنتهي إلا بأمر واحد مانع، وهو الموت!، لذلك استمر على عبادة الله -سبحانه وتعالى- والتقرب إليه في كل أوقاتك وفي جميع أحوالك ما استطعت وبالكيفية التي يمكنك من خلالها أن تؤدي العبادة، وأن تتقرب بها إلى الله -سبحانه وتعالى-، ونستأنس هنا بما روي عن عمران بن الحصين -رضي الله عنه- قال: "كَانَتْ بي بَوَاسِيرُ، فَسَأَلْتُ النبيَّ ﷺ عَنِ

---

(١) كتاب معالم التنزيل (تفسير البغوي) | أبي محمد البغوي | المجلد الرابع | تفسير سورة الحجر | الصفحة ٣٩٢ | الآية ٨٨ | دار طيبة | الرياض

(٢) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٠٥٢ | تفسير سورة الحجر | الآية ٨٨ | دار ابن حزم | بيروت

(٣) الراوي: أبو هريرة | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي الصفحة أو الرقم: ٢٥١٣ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

الصَّلَاةِ، فَقالَ: صَلِّ قَائِمًا، فإنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فإنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ."[١]، وهذا فيه من فضل الله -سبحانه وتعالى- على عباده الكثير، ففيه أن الشريعة الإسلامية أتت ورفعت الحرج عن الناس، وفيها من اليسر ما يحفز الإنسان على القيام بالعبادة عند الحرج، وفيها من الحث على المواصلة على العبادة ما استطاع الإنسان لها سبيلًا! فلا يقطع الروح عن الاتصال باريها!، قال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾، أي واعبد ربك حتى يأتيك الموت!، فسبحان الله العظيم وبحمده، سبحان الله الكريم.

٦١٣. إياك يا أخي أن تكون ميتـًا يسير على الأرض!، وهذا يكون إن سرت وعشت في هذه الحياة من غير أن تسمع وتبصر وتعقل شيئًا!، فإنك في هذه الحالة لا يختلف حالك عن حال من مات سوى ما تقوم به من مجموع الحركات! ولْتعلمْ أنك بمقدار ما تسمع وتبصر وتعقل تزداد حياة، وهذا يسمو بسمو ما تسمع وتبصر وتعقل، وخير ما يسمو به السمع والبصر والفؤاد هو ما يقود لله -سبحانه وتعالى-، فسبحان من يحيي العظام وهي رميم، وسبحان من يحيي العقول بوحيه، والقلوب بذكره، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، لذلك يا أخي كن من أهل الحياة الذين يسعون للقيام بما طُلب منهم على أحسن وجه، فتراهم يعبدون الله -سبحانه وتعالى- كما يحب ويرضى، ويسعون لعمارة الأرض، ويعمرون الإنسان كما يعمرون البنيان، هم ليسوا بالجهال، وليسوا بالأشرار، عرفوا طريقهم ومآلهم، وعملوا بما تقتضيه تلك الطرق والمآلات!، وهذه المعرفة قد يشترك فيها كل الناس، وينقص حالهم بنقصان ما أدركوه، وأعظم نقصان هو الجهل -أو التجاهل- بالله

(١) الراوي: عمران بن الحصين | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ١١١٧ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

-سبحانه وتعالى- وبقدرته وإعجازه وعظيم خلقه! وأعظم زيادة هي أن تعرف الله -سبحانه وتعالى- وتعبده كما أمر، فإن علمت هذا فأنت حي، فحافظ على حياتك ولا تكن ميتًا يسير على الأرض...

٦١٤. فلْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- جعل للإنسان الإرادة الحرة التي تمكنه من اختيار الطريق الذي سيسير فيه، وأرسل الرسل لهداية الناس وإرشادهم للطريق المستقيم، فمن عصى وتمرد عن الحق المبين فهو من جعل نفسه في محل السؤال والعذاب الأليم، وأبطل الأباطيل أن يقوم هذا المحتال بعد أن حق عليه العذاب أن يقول لو شاء الله -سبحانه وتعالى- لهداني أو لمنعني من القيام بمثل هذه الأمور، وهذا فيه من الأباطيل الكثيرة فهو تناسى أن الله -سبحانه وتعالى- وهبه الإرادة الحرة لاتخاذ الطريق والمسار، وتناسى أن هذه الإرادة من الأمور الحسية والعقلية التي لا يمكن إنكارها، وهذا ما يثبت دور الرسل -عليهم السلام-، فهم ما جاءوا إلا مبشرين ومنذرين، مبينين للحق داعين الناس إليه، فهناك من اتبعهم وهناك من كذبهم، وكلا الفريقين تلقوا نفس الدعوة، لكن هناك قلوب أرادت الحقيقة واتبعت الرسل لذلك وفقت بفضل الله -سبحانه وتعالى- إلى النجاة، وهناك قلوب منكرة تبحث عن شهواتها وملذاتها وسلطانها ومصالحها، فضلت وأضلت! لذلك يا أخي لا ترمِ بذنبك وعجزك على القضاء والقدر، بل ألقه على نفسك، وسارع للنجاة سائلًا الله -سبحانه وتعالى- التوفيق، وبإذنه ستكون من المهتدين، قال تعالى في سورة النحل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٣٥﴾.

٦١٥. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- إذا أراد أمرًا فإنما يقول له "كن

فيكون"، وهذا من قدرة الله -سبحانه وتعالى- المطلقة التي لا يحدها شيء، ولا يمنعها شيء، وأمره منفذ من المرة الأولى دون أن يكرر أمره، فإن أمر ببعث الناس من قبورهم فإنما أمره "كن فيكون"، وإن أراد أن يهلك الناس جميعًا فإنما يقول له "كن فيكون"، له الحكم وهو القهار الذي قهر بسلطانه وعظمته كل شيء، فإن علمت هذا فاعلم أن البعث بعد الموت حاصل لا محالة، وأن الله -سبحانه وتعالى- جامع الناس ليوم لا ريب فيه، واعلم أن البعث بعد الموت هو إحدى النعم العظيمة التي منّ الله -سبحانه وتعالى- علينا بها، ففيها يُقتص من الظالم، وتُرجع الحقوق إلى أصحابها، ويحاسب المحسن على إحسانه، ويجازى المذنب على ذنبه، يومٌ يفوز به عباد الرحمن، ويخسر به عباد الشيطان، ولا أدري كيف يحتمل العيش من يظن أن هذه الحياة هي مجرد مدة زمنية تنقضي على هذه الأرض ثم ننتهي بلا حساب ولا عقاب!، فأين حق المظلومين وأين حق المستضعفين؟!، وأين جزاء المحسنين وأين جزاء المصلحين؟! فإن لم يكن هناك بعث، فلبئس الحياة هي!، لكن، الحمد لله على نعمة اليوم الآخر، الحمد لله.

٦١٦. فلْتعلمْ يا أخي أن الجهل ليس عيبًا، وإنما العيب أن تبقى على جهلك!، ولْتعلمْ أن دروب الجهل كثيرة، لكن احذر من جهل يجعلك تظن أنك تعلم وأنت تجهل أنك لا تعلم!، ولْتعلمْ أن أهل العلم الصادقين هم محل السؤال ومنبع العلم، فإن جهلت أمرًا ما فلا تستحِ أن تسأل هؤلاء الصادقين عما جهلت لتسد جهلك وتثري معرفتك، وعلى أهل العلم أن يتواضعوا لسائلهم وألا يزكوا أنفسهم ما استطاعوا ذلك، قال تعالى في سورة النحل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾، فالناظر لهذه الآية الكريمة؛ يدرك أهمية السؤال وفئة المسئول وطبيعة السائل، فلا يبقى السائل على جهله، ولا يكتم

العالم علمه، ويوجه السؤال لأهل العلم حقًا دون غيرهم، وقد وردت الأخبار الكثيرة في الحث على العلم في كتاب الله -سبحانه وتعالى- وسنة رسوله ﷺ، ونستأنس بما ذكره صفوان بن عسال -رضي الله عنه- قال: "أَتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ وهو في المسجدِ مُتَّكِئٌ على بُرْدٍ له أحمَرُ، فقلتُ له: يا رسولَ اللهِ، إنِّي جِئتُ أَطلُبُ العِلمَ، فقال: مَرحَبًا بطالِبِ العِلمِ، إنَّ طالِبَ العِلمِ تَحُفُّه الملائِكةُ بأَجْنِحَتِها، ثمَّ يركَبُ بعضُهم بعضًا حتَّى يَبلُغوا السَّماءَ الدُّنيا مِن مَحَبَّتِهم لِمَا يَطلُبُ."[١]، وروى أبو الدرداء -رضي الله عنه- عن الرسول ﷺ قال: "من سلك طريقًا يطلبُ فيه علمًا، سلك الله به طريقًا من طرقِ الجنةِ، وإنَّ الملائكةَ لتضعُ أجنحتَها رضًا لطالبِ العِلمِ، وإنَّ العالِمَ ليستغفرُ له من في السماواتِ ومن في الأرضِ، والحيتانُ في جوفِ الماءِ، وإنَّ فضلَ العالمِ على العابدِ كفضلِ القمرِ ليلةَ البدرِ على سائرِ الكواكبِ، وإنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ، وإنَّ الأنبياءَ لم يُورِّثُوا دينارًا ولا درهمًا، ورَّثُوا العِلمَ فمن أخذَه أخذ بحظٍّ وافرٍ"[٢]، فسبحان من أعز العلم والعلماء، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم.

٦١٧. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- جعل الأبناء نعمة عظيمة وزينة في الحياة الدنيا، والأبناء هم الذكور والإناث لا فرق بينهم!، فإذا رُزقت بذكر أو أنثى فافرح واشكر نعم الله -سبحانه وتعالى- عليك، ولا تكن جاهلًا جهالة من سبقك من السابقين! فيصيبك الغم والحزن والغضب إذا بُشرت بالأنثى! قال تعالى في سورة

---

(١) الراوي: صفوان بن عسال | المحدث: المنذري | المصدر: الترغيب والترهيب الصفحة أو الرقم: ١/ ٧٥ | خلاصة حكم المحدث: إسناده جيد | التخريج: أخرجه الطبراني (٨/ ٦٤) (٧٣٤٧)

(٢) الراوي: أبو الدرداء | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح أبي داود الصفحة أو الرقم: ٣٦٤١ | خلاصة حكم المحدث: صحيح | التخريج: أخرجه أبو داود (٣٦٤١) واللفظ له، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد (٢١٧١٥).

النحل: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٥٨﴾ ﴾، بل والله من كان له أم أو أخت أو بنت أو زوجة فحفظها وأحسن معاملتها وجد عندها من المحبة والرحمة والألفة ما قد تفتقده عند الذكور! وإنهن لحسن الصاحب! ونستأنس هنا بما رواه أنس بن مالك -رضي الله عنه- عن الرسول ﷺ قال: "مَن عال ابنتينِ أو ثلاثًا أو أختينِ أو ثلاثًا حتَّى يَبِنَّ أو يموتَ عنهنَّ كُنْتُ أنا وهو في الجنَّةِ كهاتينِ - وأشار بأُصبُعِه الوسطى والَّتي تليها"(١)، وروى عبد الله بن العباس -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ: "ما مِن رجلٍ تدرِكُ لَهُ ابنتانِ، فيُحسِنُ إليهما ما صحِبتاهُ أو صحبَهُما إلَّا أدخَلَتاهُ الجنَّةَ"(٢)، أرأيت عظيم الأجر والثواب؟، أرأيت جمال الكلمات؟، لقد حثك على الإحسان في المعاملة وألا تكتفي بالواجب! ولقد حثك على الصحبة ولم يكتفِ بصفة القرابة أو الرعاية! ولقد حثك على الاستمرار على هذا حتى يتوفاك الله -سبحانه وتعالى- أو يتوفاهن الله -سبحانه وتعالى-، فأي دين أعظم من هذا؟! وأي رحمة أعظم من هذه؟!، بل إن جمال المنهج الذي هدانا الله -سبحانه وتعالى- إليه؛ يتجلى في أجمل صوره في حياتنا عند تطبيقنا له!، وسأذكر هنا قصتي مع أخواتي الحبيبات -حفظهن الله-، لقد ولدت في مجتمع يعتز ويفتخر بالذكور بشكل كبير، وهذا كان له أثر كبير في طريقة نظرتي لأخواتي، فلم أكن أنظر إليهن إلا أنهن عبء من أعباء هذه الحياة!، لكن؛ كان أساس التعامل فيما بيننا هو مجموعة من القواعد التي نستمدها من الشريعة الإسلامية، فلم أكن لأظلمهن أو أجور عليهن، لكن لم أكن لأحبهن أو أرغب بمصاحبتهن!، لكن شيئًا فشيئًا وبامتثال ما أمرنا به رب العزة

---

(١) الراوي: أنس بن مالك | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان الصفحة أو الرقم: ٤٤٧ | خلاصة حكم المحدث: أخرجه في صحيحه

(٢) الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح ابن ماجه الصفحة أو الرقم: ٢٩٧٥ | خلاصة حكم المحدث: حسن

-سبحانه وتعالى- ومن خلال سيرة الحبيب المصطفى ﷺ أصبح القلب يتقلب شيئًا فشيئًا باتجاه حبهن ورعايته! بل إنني أصبحت أتقرب إليهن وأتودد لهن بكل ما يحببنه حتى أراهن سعيدات -مما أحله الله ورضاه-، ثم أصبحت مجموعة القواعد والواجبات المناطة لكل منا ما هي إلا وسيلة يثبت بها المحبوب حبه لحبيبه وليست مجرد قواعد ولوازم، وأصبح ما كان يحزننا ويهمنا بالأمس هو ما يفرحنا اليوم، وأصبحت خليلهن وموضع سرهن وهن كذلك!، وكلما نظرت لمقدار حبهن لي، وحبي لهن ضحكت متعجبًا من حالي قبل هذا!، **وتعجبت أكثر مما تخفيه وتحتويه أحكام رب العباد من خير دفين في فحواها، وأيقنت حينها أن الالتزام بأوامر رب العباد أول الأمر سمعًا وطاعة أو خوفًا ورهبًا، ستثمر بعدها حلاوة في القلب وسعادة في الحياة لا يمكن وصفها إلا لمن ذاقها، سعادة تملأ قلبك وقلب من حولك، فسبحان من خلق وهدى، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.**

٦١٨. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- خلق الأنفس ويتوفاها حين يشاء، وقد يرد الله -سبحانه وتعالى- بعضها إلى أرذل العمر، وهو العمر الذي يصل فيه الإنسان للهرم، أي كبر السن الذي يضعف فيه الباطن والظاهر -العقل والجسد-، ونحن بدورنا نستعيذ بالله -سبحانه وتعالى- من أن نصل إلى أرذل العمر، لأن فيه نقصان العقل بفقدانه أو اختلاله، وضعف الجسد عن الطاعات والأعمال، وضعف الحواس وكل ما قد يسوء المرء منا، ونستأنس بما رواه سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- عن الرسول ﷺ قال: "اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنَ البُخْلِ، وأَعُوذُ بكَ مِنَ الجُبْنِ، **وأَعُوذُ بكَ أنْ أُرَدَّ إلى أرْذَلِ العُمُرِ**، وأَعُوذُ بكَ مِن فِتْنَةِ الدُّنْيَا

- يَعْنِي فِتْنَةَ الدَّجَّالِ - وأَعُوذُ بكَ مِن عَذَابِ القَبْرِ."[١]، وأوصيك يا أخي خيرًا بمن وصل لمثل هذا العمر، فهو كالطفل الذي يحتاج إلى العون والمداراة والأنس والمساعدة، فلا تتأفف من قوله فتؤذيه، ولا تظهر امتعاضك من مجالسته فتحزنه، ولا تكسر قلبه إن كان لا يملك لنفسه من آداب قضاء الحاجة من شيء، وعامله بلطف وبابتسامة تعينه فيها على ما هو فيه من بلاء، وذكره بالله -سبحانه وتعالى- وبكل جميل يحبه فيه، فإن كان فيه نقص واختلال في العقل، فكن إنسانًا رحيمًا وتذكر أنك كنت يومًا كذلك، وأنك قد تعود وتصير إلى مثل ما صار، وتذكر أن لك أجرًا عند الله -سبحانه وتعالى- على هذا العمل الصالح، فكن رحيمًا به لتنالك بإذن الله -سبحانه وتعالى- رحمة من الله، روى عبد الله بن عمرو -رضي الله عنه- عن رسول الله ﷺ قال: **"الراحمون يرحمُهم الرحمنُ. ارحموا من في الأرضِ يرحمْكم من في السماءِ،** الرحمُ شِجنةٌ من الرحمنِ فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه اللهُ"[٢]، فاللهم إنا نعوذ بك أن نرد إلى أرذل العمر، اللهم اجعل قلوبنا رحيمة وارزقنا رحمة من عندك.

٦١٩. فلْتعلمْ يا أخي أن الإنسان يبدأ ضعيفًا عاجزًا لا يعلم شيئًا!، وكلما مرت الأيام ازداد قوة واتسعت مداركه حتى يصل إلى ذروة سنام عمره ثم يبدأ بالهبوط مجددًا من القوة إلى الضعف، لذلك إن علمت أنك بدأت ضعيفًا وستعود ضعيفًا فاستعد أحسن استعداد في مرحلة قوتك وفتوتك لعجزك، فاعمل من الصالحات والطاعات ما تثري به صحيفتك، واعمل لجسدك ما تقويه قبل هرمه -كممارسة

---

(١) الراوي: سعد بن أبي وقاص | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٣٩٠ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) الراوي: عبد الله بن عمرو | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي الصفحة أو الرقم: ١٩٢٤ | خلاصة حكم المحدث: حسن صحيح

الرياضة وتناول الطعام المفيد-، وادخر من مالك قليلًا فلا تنفقه كله وتقعد آخر عمرك تطلب الكفاف من الناس، والعاقل من اغتنم شبابه قبل هرمه وصحته قبلَ سقمِه، وغناه قبل فقرِه، وفراغه قبل شُغلِه، وحياته قبل موتِه، قال تعالى في سورة يس: ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾. فهذه الآية الكريمة تُشير إلى دورة الحياة التي يعيشها بني آدم، فمن عُمّر أي طال عمره، نُكس في الخلق أي رُد إلى الضعف بعد القوة، وعاد إلى الحال التي ابتدأ منها، فإن كان النقصان هو الحال، فعلى العاقل أن يستدرك قوته بطاعة ربه قبل أن يفوت الآوان، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٦٢٠. قال تعالى في سورة النحل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾، هذه الآية العظيمة جامعة **لجميع الأوامر والنواهي** التي يمكن أن تمر على الإنسان في حياته، قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: "أجمع آية في القرآن هذه الآية"، ويمكن الرجوع لكتب التفاسير للاطلاع على المعاني العظيمة في هذه الآية الكريمة، لكنني سأذكر هنا لفتة خطيرة رواها عكرمة مولى ابن عباس -رحمه الله- وهي: "قصَّةُ الوليدِ بن المغيرةِ أنَّهُ قالَ لرسولِ الله ﷺ اقرأ عليَّ فقرأ عليهِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[النحل:٩٠] قال أعِدْ فأعادَ النَّبيُّ ﷺ فقالَ **واللهِ إنَّ لهُ لحلاوةً، وإنَّ عليهِ لطلاوةً، وإنَّ أعلاهُ لمثمرٌ، وإنَّ أسفلَهُ، لمغدقٌ وما يقولُ هذا بشرٌ**، وقالَ لقومِهِ: "واللهِ ما فيكم رجلٌ أعلمُ بالأشعارِ منِّي، ولا أعلمُ برجزِهِ ولا بقصيدتِهِ منِّي، ولا بأشعارِ الجنِّ واللهِ ما يشبهُ هذا الَّذي يقولُ شيئًا من هذا، واللهِ إنَّ لقولِهِ الَّذي يقولُ حلاوةً، وإنَّ عليهِ لطلاوةً وإنَّهُ لمثمرٌ أعلاهُ مغدقٌ أسفلُهُ، وإنَّهُ ليعلو وما يُعلَى وإنَّهُ

ليحطِّمُ ما تحتَهُ"[١]!، العجيب هنا أن الوليد بن المغيرة لم يسلم بعد قوله هذا! بل إنه لم يكتفِ بذلك: ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾[٢]، فكان ذا وجهين، فتوعده الله -سبحانه وتعالى- بعذاب شديد، وهذا مثال عملي لمن عرف الحق ثم استكبر والعياذ بالله! فالحمد لله رب العالمين الذي أنجانا مما وقع به الوليد، والحمد لله الذي هدانا للإسلام، الحمد لله رب العالمين.

٦٢١. يا أخي، إذا أحسن من هو تحت ولايتك فيما كلفته به من أعمال، فأحسن جزاءه كما أحسن عمله، ولا تنتقص من حقه شيئًا!، ونستأنس هنا بما رواه عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: "أَعْطُوا الأجيرَ أجرَهُ، قبلَ أنْ يجفَّ عرقَه"[٣]، وهذا من الإحسان فتعطي الأجير حقه دون مماطلة وتأخير، ومن الإحسان أيضًا إذا قدم العامل لديك من العمل المتقن ما قدم، وأحسن إليك فقدمَ لك نصيحة أو فكرة وفرت عليك بعضًا من المال، أو أضافت كسبًا جديدًا إليك من خلالها، أن تعطيه نصيبًا أو مكافأة قيمة بمقدار هذا الإحسان، فالمحسن في عمله الأمين على مصلحة سيده لا يُقدر بثمن، وهو كنز يصعب تعويضه! والسيد صاحب المال المحسن إلى عماله كنز لا يقدر بثمن، وهو كنز يصعب تعويضه! **ولْتعلمْ أن الموظف وصاحب العمل بينهما علاقة منفعة تقتضي بتأدية المهام مقابل أجر معلوم، فلا فضل لأحد منهما على الآخر!**

---

(١) الراوي: عكرمة مولى ابن عباس | المحدث: البيهقي | المصدر: الاعتقاد للبيهقي الصفحة أو الرقم: ٣١٠ | خلاصة حكم المحدث: مرسل

(٢) سورة المدثر

(٣) الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: السيوطي | المصدر: الجامع الصغير الصفحة أو الرقم: ١١٥٩ | خلاصة حكم المحدث: حسن | وصححه الألباني

٦٢٢. قال تعالى في سورة النحل: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧ ﴾، هذه الآية العظيمة بشرى لكل ذكر وأنثى ممن يعمل الصالحات وهو مؤمن بالله -سبحانه وتعالى- ورسوله -عليه الصلاة والسلام-، فالحياة الطيبة فيها سكون النفس والطمأنينة والقناعة بما أعطاه الله -سبحانه وتعالى- وبما قضاه، وفيها الرزق الحلال الطيب، وفيها السعادة والفرح بالطاعة والانشراح لها، وفيها الفوز بالجنة بإذنه، فسبحان من جعل الإيمان والأعمال الصالحة سببًا للحياة الطيبة في الدنيا والآخرة! والحمد لله على ذلك.

٦٢٣. فلْتعلمْ يا أخي أن من كفر بعد الإيمان وقدّم الدنيا على الآخرة حق عليه غضب الله -سبحانه وتعالى- وله عذاب عظيم، ويستثنى من هذا الكلام من أُكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان، وهذا من رحمة الله -سبحانه وتعالى- بعباده، فرخص لهم حفظ نفوسهم وراعى التباين بين الأنفس، فأعطى الأمان لمن كفر عند الإكراه وقلبه مطمئن بالإيمان، وقد قال البغوي -رحمه الله-: "أجمع العلماء على: أن من أكره على كلمة الكفر، يجوز له أن يقول بلسانه، وإذا قال بلسانه غير معتقد لا يكون كفرًا، وإن أبى أن يقول حتى يقتل كان أفضل"[١]، ونستأنس هنا بما رواه ابن كثير -رحمه الله-: "أخذ المُشرِكونَ عمَّارَ بن ياسِرٍ فلم يترُكوه حتَّى سَبَّ النَّبيَّ ﷺ وذكَر آلِهتَهم بخيرٍ، ثُمَّ ترَكوه، فلمَّا أتى رسولَ الله ﷺ قال: ما وراءَك؟ قال: شرٌّ يا رسولَ اللهِ، ما تُرِكْتُ حتَّى نِلْتُ منكَ وذكَرْتُ آلِهتَهم بخيرٍ، قال: كيف تجِدُ قلبَكَ؟

(١) كتاب معالم التنزيل (تفسير البغوي) | أبي محمد البغوي | المجلد الخامس | تفسير سورة النحل | الصفحة ٤٦ | الآية ١٠٦ | دار طيبة | الرياض

قال: مُطْمَئِنًّا بالإيمانِ، قال: إن عادُوا فعُدْ."[١]، فالحمد لله رب العالمين العالم بنفوسنا وأحوالها، والعالم بمواطن قوتها وضعفها، الحمد لله.

٦٢٤. يا أخي، إياك أن تتصدر الفتوى وأنت لست أهلًا لذلك! وإياك من التحليل والتحريم بدون علم أو بناء على هواك!

٦٢٥. فلْتعلمْ يا أخي أن ليوم الجمعة أهمية عظيمة عند المسلمين، وأهمية هذا اليوم تكمن في تعظيم الله -سبحانه وتعالى- لهذا اليوم عن سائر الأيام، فجعل فيه من الأحداث العظام والمزايا الكبرى ما جعلت من هذا اليوم يومًا عظيمًا يعظمه المسلمون، ونالوا شرف ذلك بفضل الله -سبحانه وتعالى- والذي لم ينله اليهود ولا النصارى، ويوم الجمعة يمتاز بصلاة الجمعة، قال ابن القيم رحمه الله: "صلاة الجمعة خصت من بين سائر الصلوات المفروضات بخصائص لا توجد في غيرها، من الاجتماع، والعدد المخصوص، واشتراط الإقامة، والاستيطان، والجهر بالقراءة"[٢]، وروى أبو الجعد الضمري -رحمه الله- عن الرسول ﷺ قال: "مَن ترَك ثلاثَ جُمَعٍ تَهاوُنًا، طبَع الله على قَلْبِه."[٣]، وقد روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن الرسول ﷺ قال: "نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَومَ القِيامَةِ، أُوتُوا الكِتابَ مِن قَبْلِنا وأُوتِيناهُ مِن بَعْدِهِمْ، فَهذا اليَوْمُ الذي اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَهَدانا الله فَغَدًا لِلْيَهُودِ، وبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصارَى فَسَكَتَ. ثُمَّ قالَ: حَقٌّ على كُلِّ مُسْلِمٍ، أنْ يَغْتَسِلَ في كُلِّ سَبْعَةِ أيَّامٍ يَوْمًا يَغْسِلُ

---

(١) الراوي: عمار بن ياسر | المحدث: ابن كثير | المصدر: إرشاد الفقيه الصفحة أو الرقم: ٢/ ٢٩٥ | خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح وزاد بعضهم وفي هذا أنزلت: { مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ }.. الآية

(٢) كتاب زاد المعاد في هدي خير العباد | الصفحة ١٢٩ | خواص يوم الجمعة -الحادية والعشرون- | مؤسسة الرسالة | الطبعة الأولى | بيروت

(٣) الراوي: أبو الجعد الضمري | المحدث: النووي | المصدر: الخلاصة الصفحة أو الرقم: ٢/ ٧٥٨ | خلاصة حكم المحدث: إسناده حسن

فيه رَأْسَهُ وجَسَدَهُ."(١)، وقال حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ: "أضَلَّ الله عَنِ الجُمُعَةِ مَن كانَ قَبْلَنا، فَكانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وكانَ لِلنَّصارَى يَوْمُ الأحَدِ، **فَجاءَ الله بنا فَهَدانا الله لِيَومِ الجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الجُمُعَةَ، والسَّبْتَ، والأحَدَ، وكَذلكَ هُمْ تَبَعٌ لنا يَومَ القِيامَةِ، نَحْنُ الآخِرُونَ مِن أهْلِ الدُّنْيا، والأوَّلُونَ يَومَ القِيامَةِ، المَقْضِيُّ لهمْ قَبْلَ الخَلائِقِ** وفي رِوايَةٍ واصِلٍ المَقْضِيُّ بيْنَهُمْ. [وفي رواية]: هُدِينا إلى الجُمُعَةِ، وأَضَلَّ الله عَنْها مَن كانَ قَبْلَنا، فَذَكَرَ بمَعْنَى حَديثِ ابْنِ فُضَيْلٍ."(٢)، قال تعالى في سورة الجمعة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾، وروى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن الرسول ﷺ: "الصَّلاةُ الخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إلى الجُمْعَةِ، كَفَّارَةٌ لِما بيْنَهُنَّ، ما لَمْ تُغْشَ الكَبَائِرُ"(٣)، وروى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "خَيْرُ يَومٍ طَلَعَتْ عليه الشَّمْسُ يَوْمُ الجُمُعَةِ، فيه خُلِقَ آدَمُ، وفيهِ أُدْخِلَ الجَنَّةَ، وفيهِ أُخْرِجَ مِنْها"(٤)، وروى أبو هريرة -رضي الله عنه-: "أنَّ رَسولَ الله ﷺ ذَكَرَ يَومَ الجُمُعَةِ، فَقالَ: فيه سَاعَةٌ، لا يُوَافِقُهَا عبد مُسْلِمٌ، وهو قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ الله تَعَالَى شيئًا، إلَّا أعْطَاهُ إيَّاهُ وأَشَارَ بيَدِهِ يُقَلِّلُهَا."(٥)، والحديث يطول في ذكر أهمية يوم

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٨٩٦ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) الراوي: حذيفة بن اليمان | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٨٥٦ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٣) الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٣٣ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٤) الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٨٥٤ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٥) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٩٣٥ |

الجمعة ومنزلته لدى المسلمين، ففيه من المناقب والمزايا ما يفتخر المسلمون بها، ويشكرون الله -سبحانه وتعالى- عليها، فهل أدركت عظم هذا اليوم؟! وهل أدركت ما فيه من الخير والبركة والحث على الطاعات؟!، فالحمد لله الذي اختصنا به، الحمد لله رب العالمين.

٦٢٦.قال تعالى في سورة النحل: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾، قال السعدي -رحمه الله-: "أي: ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح ﴿بِٱلْحِكْمَةِ ﴾ أي: كل أحد على حسب حاله وفهمه وقوله وانقياده. ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب"(١)، فإن علمت هذا يا أخي فامتثل أمر الله -سبحانه وتعالى- في الدعوة إليه بحكمة، وموعظة حسنة، وليكن جدالك جدال دعوة للحق لا جدال غلبة للنفس!، ونستأنس هنا بما رواه سهل بن سعد الساعدي -رضي الله عنه- عن النبي محمد ﷺ قال: "فَوَاللهِ لَأَنْ يُهْدَى بكَ رَجُلٌ واحِدٌ خَيْرٌ لكَ مِن حُمْرِ النَّعَمِ"(٢).

خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة النحل | الجزء الرابع عشر | الآية ١٢٥ | الصفحة ٤٥٢ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) الراوي: سهل بن سعد الساعدي | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٢٩٤٢ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

٦٢٧. فلْتعلمْ يا أخي أن الصبر الذي تسعى إليه النفس جاهدة امتثالًا لأمر الله -سبحانه وتعالى- لا يجب أن ينفك عن اليقين بأن ما نحن فيه من صبر ما هو إلا بفضل من الله -سبحانه وتعالى- ومعونته وتوفيقه، ولا ينفك عن سؤال الله -سبحانه وتعالى- التوفيق من عنده للمداومة على هذا الصبر، فإن عقلت هذا علمت النفس ضعفها وقلة حيلتها وعلمت مواطن قوتها!، فضعفها يتحقق إن تُركت وحيدة تواجه المصاعب والمآسي والآلام!، وقوتها تكمن بالصبر الذي يجاهد الإنسان به المصاعب امتثالًا لأوامر الله -سبحانه وتعالى- ويقينًا بأن الله -سبحانه وتعالى- هو من يعين النفس على ذلك الصبر!، فاللهم إنا نعوذ بك من يأس حاصل من فقدان صبر أو قلة يقين!، اللهم صبرًا عندك!

٦٢٨. فلْتعلمْ يا أخي أن الصبر أو الإحسان لا يعني أن تتحمل أذى غيرك وظلمه الواقع عليك وأنت قادر على رده أو منعه أو نصح صاحبه! فمثلًا إن رأيت ما يسوءك من جارك لإلقائه القمامة أمام بيتك فلا تكتفِ بالصبر، بل يمكنك أن تخبره بأن هذا يؤذيك، وأن تنصحه بألا يفعل هذا، ومن أخذ من حقك شيئًا وأنت قادر على استرداده فخذه، فهو حق لك، فإن أردت أن تحسن إليه وتصفح عما فعل وأنت قادر على ذلك فافعل! والمراد هنا أن الصبر على البلاء أو على ما يقع من إيذاء مقصود وغير مقصود من الناس لا يُنافي منع الأذى واسترداد الحق، فالموازنة بين المفاهيم التي ذكرناها والحقوق التي تنبغي لنا هي ما تعطي لهذه المعانى قيمتها، وحينها ندرك حقًا مواطن الصبر فنصبر ونزيد صبرًا ونعلم متى يرتبط الصبر مع ضبط النفس حتى تسترد الحقوق فلا تترك سدى، وأن الحق الذي يحق لي هو ما لا يترك إلا بإحسان مني، فالمؤمن ليس إمعة ولا لقمة سائغة! وليس متجبرًا متكبرًا! بل هو من ينظر في ميزان الحق ويمضي، فيصبر ويحسن ويقدر وفق ما وهبه الله -سبحانه وتعالى- من

معرفة عواقب الأمور ونتاجاتها، فإن شاء صفح وصبر وهو أعلم بما عنده وبما في نفسه، وأحسن وهو عالم بإحسانه! فاللهم اجعلنا من المحسنين الصابرين برحمتك يا أرحم الراحمين.

٦٢٩. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- فضّل ثلاثة مساجد على هذه الأرض عن بقية المساجد، هذه المساجد هي المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى، وقد جعل الله -سبحانه وتعالى- لهم مكانة عظيمة في قلوب المسلمين، وقد روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إلى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هذا، وَمَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الأقْصَى"(١)، وفي فضل الصلاة فيهن روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "صَلاةٌ في مَسْجِدِي هذا خَيْرٌ مِن ألْفِ صَلاةٍ فِيما سِواهُ، إلَّا المَسْجِدَ الحَرامَ"(٢).

٦٣٠. فلْتعلمْ يا أخي أنه يكفينا دليل على بطلان الأديان الأخرى أنهم وكلوا أمرهم إلى مخلوقات لا تغني عنهم شيئًا ولا تنفعهم ولا تضرهم أكثر مما قدره الله -سبحانه وتعالى- لهم!، إنسًا كانوا أو جان! حيوانات كانوا أو جمادات! فهل من له إله واحد أحد قادر مقتدر كمثل من أشرك بالله -سبحانه وتعالى- أو اتخذ من دونه وكيلًا وآلهة؟! لا والله! وهل من يقول أن لله -سبحانه وتعالى- ولد أو من يقول أن الله -سبحانه وتعالى- يأكل ويشرب، أو من يقول أن الله -سبحانه وتعالى- يتعب أو من يفتري على الله -سبحانه وتعالى- الكذب هو صاحب عقل راجح وفطرة

---

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ١٣٩٧ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ١١٩٠ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

سوية؟! لا والله! بل إن العاقل يعلم أن الإله يجب أن يكون العظيم الأعظم، الذي ليس كمثله شيء، بعيد عن الضعف، بعيد عن العجز، بعيد عما يتصف به الإنسان من ضعف وهوان وخبائث، إنه الله -سبحانه وتعالى- جل في علاه، الذي أمرنا بتوحيده، فأرسل الأنبياء -عليهم السلام- موحدين داعين لذلك! إنه الله جل في علاه، سبحانه وتعالى عما يصفون!

٦٣١. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- ذكر عبده ونبيه نوح -عليه السلام- فوصفه بالعبد الشكور، قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾، هذه الآية الكريمة فيها دلالات طيبة، الأولى: أن الله -سبحانه وتعالى- ذكر نبيه وأثنى عليه بصفة الشكر لله -سبحانه وتعالى-، لهذا يا من أنتم من ذريته وذرية من نجا معه، كونوا مثل نبي الله نوح -عليه السلام- عبيدًا لله -سبحانه وتعالى-، شاكرين لأنعمه، حافظين لها، مداومين على ذكره والثناء عليه، والثانية: أننا من القوم الناجين الذين نجوا من الطوفان، ومن كل عذاب مر بالأمم من بعدهم حتى وصلنا اليوم إلى ما نحن فيه!، وهذه نعمة عظيمة تستحق الثناء العظيم، فالله -سبحانه وتعالى- اصطفانا لأن نكون من ذرية من نجا، ونسأل الله -سبحانه وتعالى- بعد أن وصلنا هنا أن نكون أيضًا من الناجين وأن تكون ذرارينا من الناجين، وهذا فيه باب آخر لشكر الله -سبحانه وتعالى- أن أنجانا من العذاب الذي وقع على من قبلنا، وأنجانا من الكفر وهدانا للإسلام، فيا ربي يا منان، أدم علينا نجاتك وهدايتك وفضلك، لك الحمد ولك الشكر على ما أنعمت علينا، لك الحمد والثناء كما ينبغي لك، الحمد لله رب العالمين.

٦٣٢. لقد أخبرنا الله -سبحانه وتعالى- بأن بني إسرائيل عندما علوا في الأرض قاموا بالمعاصي والذنوب والآثام، فلم يستمروا على الطاعات ولم يستمروا

على ما أمرهم الله -سبحانه وتعالى- به، ولأنهم عصوا استحقوا العقاب، وكان عقابهم بأن سلط الله -سبحانه وتعالى- عليهم أمم أخرى أكثر منهم عدة وقوة، أثقلوا فيهم وانتصروا عليهم!، لذلك، إن أردنا أن ننجو مما أصاب بني إسرائيل فعلينا أن نلتزم بما أمر الله -سبحانه وتعالى-، وأن نبتعد عما نهانا الله -سبحانه وتعالى- عنه، والناظر لحالنا وحال من سلط علينا أدرك المراد!، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٦٣٣. إياك يا أخي أن تكون عجولًا!، والعَجول هو الإنسان الذي يفعل الأمر أو يسرع إليه قبل أوانه، فيطلب حدوث أمر يريده استبطأ عليه دون أن يتأنى!، ومن الأمثلة على ذلك استعجال الخير أو استعجال الشر، ومنها الاستعجال بالدعاء، ونستأنس هنا بما روي عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ، ما لَمْ يَدْعُ بإِثْمٍ، أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، **ما لَمْ يَسْتَعْجِلْ** قيلَ: يا رَسُولَ اللهِ، ما الاسْتِعْجَالُ؟ قالَ: يقولُ: قدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذلكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ."(١)، فتأنى قبل أن تقول أو تفعل ما تستعجله، ولا تطلب الشيء قبل أوانه، فإن كان ما تستعجله لك أتاك، وإلا ذهب عنك ولن تصيبه ما حييت! ولْتعلمْ أن من تأنَّى أصاب أو كاد ومن عجِلَ أخطأ أو كاد!، والله المستعان.

٦٣٤. يا أخي، إن أردت القيام بمصلحة أو منفعة لك في هذه الدنيا كالإقدام على التجارة أو الزراعة أو الصناعة، أو الإقدام على وظيفة أو مهنة أو زواج...ونحو ذلك، فعليك أن تعلم أقل المتطلبات اللازمة لما ستُقدم عليه، وعليك أن تدرك ما ستقوم به وما هي النتائج المترتبة على هذا الإقدام، فمن أراد التجارة قام بحساب

---

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٧٣٥ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

التكاليف والأرباح المتوقعة والفئة المستهدفة ونحو ذلك من متطلباتها، فلا تكون التجارة من نظرة دون حساب، وكذلك الزواج، فلا يجب أن يُقدم على الزواج إلا من أدرك عظم ما سيقدم عليه، وأنه متوجه إلى واحدة من أكبر نعم الله -سبحانه وتعالى- عليه، وأن هذه النعمة تستلزم حفظها، وحفظها يكون بأن تقوم بحقها من المعاملة الطيبة والإحسان والإنفاق ونحو ذلك!، والعامل المشترك هنا هو العلم الكافي لحساب نتاج ما سيقدم عليه الإنسان، فإن وُجد العلم والإقدام، كانت هذه شجاعة محمودة أحسن صاحبها، وإن وجد الإقدام دون علم وحساب كان تهوّرا وندامة، وإن وجد العلم دون إقدام قُتل هذا العلم في عقل صاحبه ولم ينتفع به هو ولا غيره! فكن شجاعًا مقدامًا عالمًا بما تقوم به، مدركًا لنتاجه، تكن ناجحًا بإذن الله -سبحانه وتعالى- حتى وإن لم تحقق ما صبوت إليه! فاللهم نسألك الهداية والهدى، ونسألك العلم والغنى، ونسألك ما رضيت لنا، ونعوذ بك مما يغضبك، والحمد لله رب العالمين.

٦٣٥. قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤ ﴾، فمن عدل الله -سبحانه وتعالى- وإنصافه أن جعل كل واحدٍ منا يقرأ كتابه -صحيفة أعماله-، فهو يراها كاملة لا تنقص ولا تزيد مثقال ذرة عما فعله في الدنيا!، لذلك إن كنت عاقلًا حقًا، حاسب نفسك واقرأ أفعالك وأعمالك قبل أن تقرأها في يوم لا تبديل فيه ولا رجوع!، ولقد ذكر القرطبي -رحمه الله- قولًا لطيفًا لبعض الصالحين: "هذا كتاب، لسانك قلمه، وريقك مداده، وأعضاؤك قرطاسه، أنت كنت المملي على حفظتك، ما زيد فيه ولا نقص منه، ومتى أنكرت منه شيئًا يكون فيه الشاهد منك عليك"[١]، فإن علمت هذا فاحرص جيدًا على ما تكتبه وتمليه! والله

(١) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ١٣ | الصفحة ٤١ |

المستعان.

٦٣٦.فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- أمر ببر الوالدين، وبر الوالدين هو الإحسان إليهما بالقول والفعل، وقد جاء الإسلام حريصًا مشددًا على هذا المعنى وعلى هذا الأمر، ومن هذا أننا نهينا عن قول "أف" لهما، وهذه الكلمة تشير إلى أدنى كلمة تقال أمام الوالدين وتسوءهم، وبالتأكيد ما عظم عن هذه الكلمة كان أكبر إثمًا ووقعًا، وقد نهينا عن زجرهم فلا نحدثهم بكلام خشن لا يليق بهم!، ولقد أمرنا أن نحدثهم بالكلام الطيب، وأن نعاملهم بالأفعال الطيبة، وأن نحدثهم حديثًا حسنًا يحبونه، وأن نطيعهم إن أمروا بما أحله الله -سبحانه وتعالى- وأباحه، وهذا الأمر يشمل الوالدين مسلمين كانوا أو مشركين!، فإن أُمرت بمعصية أو أُمرت بما حرم الله -سبحانه وتعالى- أو أُمرت بما ليس للوالدين حق فيه فلا تطعهما، وصاحبهما في الدنيا معروفًا، فلا تطع ولكن صاحب، أحسن، تصرف بخلق وإحسان، أضحكمها ولا تبكيهما، ولا تنسَ فضلهما عليك، وعاملهما برحمة وتذلل إليهما تذلل المحب الرحيم بهم، فلا تفعل هذا الخير رغبة لمنفعة ترجوها منهما ولا خوفًا تخشاه منهما!، بل افعله ابتغاء مرضاة الله -سبحانه وتعالى- والتزامًا بأوامره، وقل دومًا ربي ارحمهما كما ربياني صغيرًا!، ونستأنس هنا بما رواه عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "أَفْضَلُ الأعْمالِ، أوِ العَمَلِ، الصَّلاةُ لِوَقْتِها، وبِرُّ الوالِدَيْنِ"(١)، وروى عبد الله بن عمرو -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "الكَبائِرُ:

تفسير سورة الإسراء | الآية ١٤ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(١) الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٨٥ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

الإشْراكُ باللهِ، وعُقُوقُ الوالِدَيْنِ، وقَتْلُ النَّفْسِ، واليَمِينُ الغَمُوسُ"[١]، وروى أيضا: "مِنَ الكَبائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ والِدَيْهِ قالوا: يا رَسولَ اللهِ، وهلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ والِدَيْهِ؟ قالَ: نَعَمْ يَسُبُّ أبا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أباهُ، ويَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ."[٢]، وقد روت أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما-: "قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وهي مُشْرِكَةٌ في عَهْدِ قُرَيْشٍ، إذْ عَاهَدُوا رَسولَ الله ﷺ ومُدَّتِهِمْ مع أَبِيهَا، فَاسْتَفْتَتْ رَسولَ الله ﷺ، فَقالَتْ: يا رَسولَ الله إنَّ أُمِّي قَدِمَتْ عَلَيَّ وهي رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُهَا؟ قالَ: نَعَمْ صِلِيهَا."[٣]، ولْتعلمْ يا أخي أنك مهما فعلت فلن توفي والديك حقهما، ولْتعلمْ أنهما حب ودفء وأمان يسير على الأرض من بين البشر، فاشكر الله -سبحانه وتعالى- على نعمته هذه، وقل دومًا ربي اغفر لي ولوالدي، ربي ارحمهما كما ربياني صغيرًا! قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾، والحمد لله رب العالمين.

٦٣٧. قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾، وقال تعالى في سورة الفرقان: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ

(١) الراوي: عبد الله بن عمرو | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٦٧٥ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) الراوي: عبد الله بن عمرو | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٩٠ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٣) الراوي: أسماء بنت أبي بكر | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٣١٨٣ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾، وقال تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾، وقال تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾، هذه الآيات الكريمة العظيمة فيها تربية للنفوس وتهذيب لها ووضعها على الميزان القويم لكي لا تقع هذه النفوس في مذمات البخل أو حسرات الإسراف!، بل توضع هذه النفوس في ميزان الحق، قوامها وسط بلا بخل وبلا إسراف!، قال السعدي -رحمه الله-: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ لأن الشيطان لا يدعو إلا لكل خصلة ذميمة فيدعو الإنسان إلى البخل والإمساك، فإذا عصاه، دعاه إلى الإسراف والتبذير. والله تعالى إنما يأمر بأعدل الأمور وأقسطها ويمدح عليه، كما في قوله عن عباد الرحمن الأبرار ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[(١)]، وقال ابن كثير -رحمه الله- ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ أي: ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أهليهم فيقصرون في حقهم فلا يكفونهم، بل عدلًا خيارًا، وخير الأمور أوسطها"[(٢)]، قال القرطبي -رحمه الله-: "ولا تبذر أي لا تسرف في الإنفاق في غير حق. قال الشافعي -رضي الله عنه-: والتبذير إنفاق المال في غير حقه، ولا تبذير في عمل الخير. وهذا قول الجمهور. وقال

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الإسراء | الجزء الخامس عشر | الآية ٢٧ | الصفحة ٤٥٦ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٣٦٤ | تفسير سورة الفرقان | الآية ٦٧ | دار ابن حزم | بيروت

أشهب عن مالك: التبذير هو أخذ المال من حقه ووضعه في غير حقه، وهو الإسراف، وهو حرام لقوله - تعالى -: إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين"[١]، وقال أيضًا: "من أنفق ماله في الشهوات زائدًا على قدر الحاجات وعرضه بذلك للنفاد فهو مبذر. ومن أنفق ربح ماله في شهواته وحفظ الأصل أو الرقبة فليس بمبذر. ومن أنفق درهمًا في حرام فهو مبذر، ويحجر عليه في نفقته الدرهم في الحرام، ولا يحجر عليه إن بذله في الشهوات إلا إذا خيف عليه النفاد"[٢]، فاللهم نسألك رزقًا حلالًا طيبًا، ونسألك هداية ترشدنا في إنفاقنا فلا نكن من المبذرين أو المقترين، وأن نكون بين ذلك قوامًا!، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٦٣٨. يا أخي، إن جاءك من يعرفك من أقاربك أو أصدقائك يطلب مساعدة مالية منك ليقضي حاجة من حاجاته، وأنت لست بقادر على مساعدته لضيق حالك، فاعتذر منه بأسلوب طيب يطمئن قلبه، وادعُ له بمحبة ورحمة، واسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يرزقك الخير فتساعد به نفسك، وتقضي به عن غيرك ما وقع فيه من ضيق، ولْتعلمْ أن الصبر عند الحاجة جزئين، صبر على ما أنت فيه من ضيق وكد وتعب، وصبر على انتظار رزق الله -سبحانه وتعالى- ورحمته.

٦٣٩. يا أخي، لا تكن غليظًا فلا تطاق، ولا إمعة فتُقاد، وكن بين ذلك قوامًا!، وهذا يقودنا إلى مفهوم مهم، وهو الوسطية!، فالإعلام المعاصر ودعاة التخريب عادة

---

(١) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ١٣ | الصفحة ٦٤ | تفسير سورة الإسراء | الآية ٢٦ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ١٣ | الصفحة ٦٥ | تفسير سورة الإسراء | الآية ٢٧ | مؤسسة الرسالة | بيروت

ما يستخدمون هذا المصطلح في غير محله، ويتأولون ذلك من القرآن الكريم!، لكن غاب عنهم أن القرآن الكريم ذكر الوسطية في موضع المدح وموضع الذم!، قال تعالى في سورة الفاتحة: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾، هذه السورة الكريمة التي نقرؤها في كل ركعة وفي كل صلاة، تخبرنا دومًا بأهمية سؤال الله -سبحانه وتعالى- الصراط المستقيم، ثم يأتي التساؤل، ما هو هذا الصراط؟ فيكون الجواب، هو صراط الذين أنعم الله -سبحانه وتعالى- عليهم، وهو الصراط الذي يقود إلى الله سبحانه وتعالى ويمتثل فيه الصالحون لأوامر ربهم، ويتبعون ما جاء به الأنبياء ويسيرون كما سار الصالحون، وحذّرهم أن يكونوا كاليهود أو النصارى، فهذه وسطية محمودة!، وبهذا نفهم قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةً وَسَطًا ﴾، فكنا عدولًا أخيارًا، أي أننا من حيث الإسلام كله وسطًا، فلم نغلُ في ديننا ولم نترك صلاتنا!، لم نُحرّم كل شيء، ولم نبح كل شيء!، امتثلنا لما أُمرنا، والحمد لله!، وقد وردت آيات كثيرة تشير إلى الوسيطة المحمودة، فقال تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾، فالسبيل هنا وسطية بين المجاهرة والمخافتة، وكذلك في الإنفاق، قال تعالى في سورة الفرقان: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾، فالوسطية هنا ألا تكون مسرفًا ولا مقترًا، بل قوامًا بين ذلك!، هذه الآيات الكريمة تتحدث عن الوسيطة المحمودة، لكن ماذا عن الوسطية التي ذمها القرآن الكريم؟!، قال تعالى في سورة النساء: ﴿ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، وهنا وسطية مذمومة، فمن كان بين الحق والباطل لم يكن على حق!، وهذا يقودنا لنقطة مهمة جدًا ذكرها إبراهيم السكران -رحمه الله- وأحسن في ذكرها، حيث قال: "أن الوسطية المطلوبة في القرآن تجدها دومًا **حق بين باطلين**، أما الوسطية المرفوضة في

القرآن فتجدها دومًا **وسط بين الحق والباطل**"[١]، ويشهد على هذا قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾، لذلك، **إذا سمعت دعوات الوسطية فانظر إلى ما حوته تلك الدعوة وقارنها بما دعا إليه القرآن الكريم، فإن كانت وسطية محمودة تقف بين باطلين لأنها حق، فذلك مما يحمد اتباعه، وأما إن كانت وسطية مذمومة تسعى "لتقريب المسافات" بين المعسكر الإسلامي والمعسكر الغربي، فاحذر منها وحاربها!، فإن من يتنازل عن الحق الذي لديه لا بد له أن يسقط في وحل الباطل!**، وهذا ما نرى نتاجه الآن من دعوة لاتباع الإبراهيمية و"تقريب الأفكار" بإخراج الآيات عن سياقها والأحاديث الشريفة عن مضمونها!، وكل ذلك بدعوى الوسطية!، حال هؤلاء ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾!، قال تعالى في سورة النساء: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَا﴾، فسبحان الله العظيم!، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٦٤٠. فلْتعلمْ يا أخي أن الجاهلية الأولى كانت تخشى الفقر فتقتل أبناءها لذلك!، وفي الجاهلية المعاصرة يقتل الناس أطفالهم لأنهم أطفال جاءوا في نزوات في الفراش لم يرد أي أحد منهم ذلك الطفل المسكين، فيقتلونه! يقتلون أبناءهم من دون أي إحساس ورحمة، ومن دون أي أخلاق وقيم، وبدون أي إنسانية! فإن نظرت للجاهلية الأولى والجاهلية المعاصرة، علمت أنهما وجهان لعملة واحدة!، فإياك يا أخي أن تكون قاتلًا وجاهليًا معاصرًا! ونستأنس هنا بما رواه عبد الله بن مسعود

---

(١) كتاب سلطة الثقافة الغالبة | إبراهيم السكران | الصفحة ٦١ | الطبعة الأولى | دار الحضارة | الرياض | * ملاحظة: تأثرت في هذه النقطة بما كتبه الشيخ إبراهيم السكران -رحمه الله-، ويظهر ذلك جليًا في طريقة كتابتي لهذه النقطة، وأنصح بقراءة كتابه، فهو كتاب قيم مليء بالكنوز النفيسة.

-رضي الله عنه- قال: "سَأَلْتُ - أوْ سُئِلَ - رَسولُ الله ﷺ: أيُّ الذَّنْبِ عِنْدَ الله أكْبَرُ، قالَ: أنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وهو خَلَقَكَ قُلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ **قالَ: ثُمَّ أنْ تَقْتُلَ ولَدَكَ خَشْيَةَ أنْ يَطْعَمَ معكَ** قُلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: أنْ تُزانِيَ بحَلِيلَةِ جارِكَ قالَ: ونَزَلَتْ هذِه الآيَةُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ رَسولِ الله ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَ﴾[1]، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

٦٤١. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- كما أمر ببر الوالدين أمر بحقوق للأبناء على الآباء، فالشريعة الإسلامية ميزان عظيم قويم، قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖ ....﴿٣١﴾﴾، وقال في سورة النساء: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ .....﴿١١﴾﴾، وقال في سورة التحريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ......﴿٦﴾﴾، وهذا كله فيه شهادة على أن رحمة الله -سبحانه وتعالى- بالعباد أعظم من رحمة الوالدين بأبنائهم! فنهانا الله -سبحانه وتعالى- عن قتل أبنائنا، وأمرنا بتقواه، وحث أبناءنا وأزواجنا على تقواه! والأبناء عندنا ودائع قد أوصانا الله -سبحانه وتعالى- عليهم، فعلينا القيام بمصالحهم، وأن نؤدي احتياجاتهم -بقدر ما يقدر عليه الإنسان دون تكليف للنفس ما لا تطيق-، وأن نعلمهم ونؤدبهم ونكفهم عن المفاسد التي فيها فساد دنياهم وأخراهم! ونستأنس هنا بما رواه أبو الليث السمرقندي: "وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ الله تَعَالَى عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَيْهِ بِابْنِهِ فَقَالَ: إِنَّ ابْنِي هَذَا يَعُقُّنِي. فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ الله تَعَالَى عَنْهُ لِلِابْنِ: أَمَا تَخَافُ الله فِي عُقُوقِ وَالِدِكَ، فَإِنَّ مِنْ حَقِّ الْوَالِدِ كَذَا، وَمِنْ حَقِّ الْوَالِدِ كَذَا، فَقَالَ الابْنُ: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: أَمَا لِلابْنِ عَلَى وَالِدِهِ حَقٌّ؟ قَالَ: نَعَمْ حَقُّهُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَنْجِبَ

---

(١) الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٤٧٦١ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

أُمَّهُ. يَعْنِي لَا يَتَزَوَّجُ امْرَأَةً دَنِيئَةً لِكَيْلَا يَكُونَ لِلْابْنِ تَعْيِيرٌ بِهَا. قَالَ: وَحُسْنِ اسْمِهِ وَيُعَلِّمَهُ الْكِتَابَ. فَقَالَ الابْنُ، فَوَاللهِ مَا يَكُونُ لِلْابْنِ تَعْيِيرٌ بِهَا. فَقَالَ الابْنُ، فَوَاللهِ مَا اسْتَنْجَبَ أُمِّي، وَمَا هِيَ إِلَّا سِنْدِيَّةٌ اشْتَرَاهَا بِأَرْبَعِ مِائَةِ دِرْهَمٍ، وَلَا حَسَّنَ اسْمِي. سَمَّانِي جُعْلًا ذَكَرَ الْخُفَّاشِ. وَلَا عَلَّمَنِي مِنْ كِتَابِ اللهِ آيَةً وَاحِدَةً. فَالْتَفَتَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ إِلَى الْأَبِ وَقَالَ: تَقُولُ ابْنِي يَعُقُّنِي! فَقَدْ عَقَقْتَهُ قَبْلَ أَنْ يَعُقَّكَ. قُمْ عَنِّي"[1]، فكن رحيمًا يا أخي بأبنائك، وأعنهم على برك، وأعنهم على دينهم، وإياك أن تكن أنت والمفسدات مطارق تطرق قلوبهم الطيبة الرحيمة! وإياك أن تظن أن سعيك وراء المادة وتلقين أولادك كل ما يحتاجونه من المادة؛ أنك بهذا أديت حقهم وقمت بالذي عليك! بل إنك جعلت ابنك ودينه وحياته على خطر عظيم! وهذا ما نراه واضحا جليا في زماننا هذا! فتجد الآباء يعملون ويسعون لجلب كل ما يطلبه أطفالهم، من الألعاب ووسائل الاتصال وغيرها، دون رقابة ودون حساب! ودون تنظيم، ودون ميزان بين الحرمان والعطاء! ويضاف إلى ذلك "دلال أو دلع" زائد يجعل الطفل محرومًا من كل مسؤولياته حتى على مستوى تنظيف فراشه أو تناول طعامه! وكل هذا يضاف له المصيبة الأعظم بتوجيه الطفل وصقله بالحياة المادية البحتة ونزع التعظيم لدين الله -سبحانه وتعالى- وحتى نسكه! وأشهر مثال من واقعنا المعاصر، تجد الأهل يشفقون على ولدهم من "إيقاظه" على صلاة الفجر، ثم تراهم بحالة هستيرية إن لم يستيقظ ولدهم للذهاب إلى المدرسة! تراهم يبذلون الأموال لتعليم أولادهم لغة أجنبية ويحرصون على ذلك بدعوى أنها مهمة لحياتهم! ثم يتجاهلون بل ويتنكرون ويتملصون من تعليم أولادهم لغة القرآن الكريم

---

(١) كتاب تنبيه الغافلين | أبو الليث السمرقندي | الطبعة الثالثة | الصفحة ١٣٠ | باب حق الولد على الوالد | دار ابن كثير | بيروت

والاعتزاز بها، أو يقولون لك، يمكنه تعلمها في أي وقت! وكأن حياة الطفل معزولة عن لغته الأم وإثراء عقله بالمصطلحات والقدرة على التعبير، وكأن هذا كله غير مهم في هذه الحياة! وكأن هذه اللغة التي يتلى بها القرآن الكريم ليست من أهم ما في هذه الحياة! وبعد هذا كله، لا أدري ما الذي سيزرع في عقول هؤلاء الأطفال إذا رأوا كل هذا الحرص على "المدرسة" في مقابل ما رأوه من استهتار في المحافظة على صلاة الفجر! ورأوا هذا الحرص على "اللغة الأجنبية" مع تجاهل متعمد "للغة العربية"! والأمثلة كثيرة لا تحصى، وملخص ما أريد قوله: اعلم أن التربية فيها ثواب وفيها عقاب! فيها مدح وفيها توبيخ! فيها حرمان وفيها عطاء!فيها صدق في الكلام وصدق في الأفعال! فلا يكذب الحال اللسان! والتربية يجب أن تركز وتنمي مفهوم الفوز، لكن ليس الفوز المادي! بل الفوز الأخروي! فالفوز الحقيقي هو فوز الآخرة، وما دونه خسارة مهما بلغ! فإن لم تجد ولدك في الجنة يتنعم، فبأي فوز تتغنى؟! وتأكد أنك إن كنت متزنًا، تعي أهمية التربية وخطورتها، وتدرك أنك تبني الإنسان ليعمر هذه الأرض كما أمر خالقها؛ فتأكد أن الدنيا ستأتي صاغرة لولدك، مطيعة له! ويكفيك أن تدرك أن الإسلام -بفضل الله تعالى- دين عظيم، ومنهاج حياة متكامل! فالمال والعلم النافع وحسن الخلق وقوة البدن وكل ما هو من الخير ستجده في ديننا العظيم ويحث عليه ويهذب النفوس لذلك! فالحمد لله الذي أعزنا بالإسلام، وجعل عمارة الأرض من وظائف هذا الإنسان، ثم علّم هذا الإنسان كيف يعيش على هذه الأرض وكيف يبني نفسه وينمي قدراته ومواهبه وعقله، وجعل هذا كله من الخير الذي يمكن أن يناله الإنسان! فالحمد لله رب العالمين.

٦٤٢. قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾، لقد نهانا الله -سبحانه وتعالى- عن الزنا!، بل إن من عظم الله -

سبحانه وتعالى- أنه نهانا عن الاقتراب من الزنا قبل الزنا!، وهذا نهي عن الدنو إلى أبواب الزنا والتجرؤ على مقدماته ودواعيه كالخلوة بامرأة أجنبية مثلًا أو إطلاق البصر إلى ما حرم الله -سبحانه وتعالى-...ونحو ذلك، وقد روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنه قال: "كُتِبَ علَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا، مُدْرِكٌ ذلكَ لا مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُما النَّظَرُ، وَالأُذُنَانِ زِنَاهُما الاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الكَلَامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا البَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذلكَ الفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ."[١]، ولْتعلمْ أن الزنا من الكبائر، ومن الذنوب العظيمة التي قد تصيب أمة، وأثر الزنا وضرره كبير على الأفراد والمجتمع!، فهذه الفاحشة العظيمة فيها انتهاك لما حرم الله -سبحانه وتعالى- وانتهاك للمرأة وأهلها وزوجها، وفيه من اختلاط الأنساب وتناقل الأمراض ما فيها من المصائب العظيمة!، وقد روى أبو الدرداء -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنه قال: "أنَّهُ أَتَى بامْرَأَةٍ مُجِحٍّ علَى بَابِ فُسْطَاطٍ، فَقالَ: لَعَلَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُلِمَّ بهَا، فَقالوا: نَعَمْ، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: لقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَلْعَنَهُ لَعْنًا يَدْخُلُ معهُ قَبْرَهُ، **كيفَ يُوَرِّثُهُ وَهو لا يَحِلُّ له؟ كيفَ يَسْتَخْدِمُهُ وَهو لا يَحِلُّ له؟**"[٢]، وفي الزنا فقدان لمعنى عظيم؛ وهو السكن والمودة والرحمة التي تكون بين الأزواج ولا تكون بين الزاني والزانية! فلا تنتهي الحياة الزوجية بقضاء شهوة الفراش كما تنتهي ليلة الزاني والزانية!، وقد روي عن أبي أمامة الباهلي -رضي الله عنه- أن قال: "إنَّ فتًى شابًّا أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله ائذنْ لي بالزِّنا فأقبل القومُ عليه فزجَروه وقالوا: مَهْ مَهْ فقال: ادنُهْ فدنا منه قريبًا قال: فجلس قال: أَتُحبُّه لِأُمِّكَ؟ قال:

---

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٦٥٧ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) الراوي: أبو الدرداء | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ١٤٤١ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

لا واللهِ جعلني الله فداءَك قال: ولا الناسُ يُحبونَه لأُمهاتِهم قال: أفتُحبُّه لابنتِك قال: لا واللهِ يا رسولَ الله جعلني الله فداءَك قال: ولا الناسُ يُحبونَه لبناتِهم قال: أفتُحبُّه لأُختِك قال: لا واللهِ جعلني الله فداءَك قال: ولا الناسُ يُحبونَه لأَخَواتِهم قال: أَفتُحبُّه لعمَّتِك قال: لا واللهِ جعلني الله فداءَكَ قال: ولا النَّاسُ يُحبُّونَه لعمَّاتِهم قال: أفتُحبُّه لخالتِك قال: لا واللهِ جعلني الله فداءَكَ قال: ولا النَّاسُ يحبونَه لخالاتِهم قال: فوضع يدَه عليه وقال: اللهمَّ اغفرْ ذنبَه وطهِّرْ قلبَه وحصِّنْ فرْجَهُ فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفتُ إلى شيءٍ"[١]، فأصحاب الفطر السليمة يرفضون هذا الأمر على أمهاتهم وبناتهم وأخواتهم وعماتهم وخالاتهم، ولا يقبل بهذه الفاحشة لهن إلا ديوث لا يغار على عرضه ولا يبالي بمن دخل عليهن! ولْتعلمْ يا أخي أن الزنا درجات، وأعظم الزنا فُحشًا هو الزنا بزوجة الجار! ونستأنس هنا بما رواه عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– قال: "سَأَلْتُ – أوْ سُئِلَ – رَسولُ الله ﷺ: أيُّ الذَّنْبِ عِنْدَ الله أكْبَرُ، قالَ: أنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وهو خَلَقَكَ قُلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: ثُمَّ أنْ تَقْتُلَ ولَدَكَ خَشْيَةَ أنْ يَطْعَمَ معكَ قُلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ **قالَ: أنْ تُزَانِيَ بحَلِيلَةِ جَارِكَ** قالَ: ونَزَلَتْ هذِه الآيَةُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ رَسولِ الله ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَ﴾[٢]، فاللهم نعوذ بك من الزنا، ونعوذ بك من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ونعوذ بك يا الله مما يقربنا لذلك، اللهم آمين.

---

(١) الراوي: أبو أمامة الباهلي | المحدث: الألباني | المصدر: السلسلة الصحيحة الصفحة أو الرقم: ١/ ٧١٢ | خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح

(٢) الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٤٧٦١ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

٦٤٣. يا أخي، اجعل ميزانك للحق واضحًا! ولتكن أوزان حكمك عادلة!، فلا تزن بمثقالين أحدهما ثقيل إن كان لمصلحتك! والآخر خفيف إن كانت المصلحة متحققة لغيرك!

٦٤٤. إياك يا أخي من أن تظلم الناس شيئًا فتتهمهم أو تحدث عنهم بحديث لا علم لك به، فلا أنت سمعته، ولا أنت رأيته! فيكون قولك مجرد وهم وخيال!، وهذا الكلام لا يذهب هباءً!، بل هو في سجلات لا تضيع! وقد روي عن شكل بن حميد العبسي -رضي الله عنه- قال: "أتيتُ النَّبيَّ ﷺ فقُلتُ: يا رسولَ الله علِّمني تَعوُّذًا أتعوَّذُ بِهِ. قالَ: فأخذَ بكفي فقالَ: قُل: اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ مِن شرِّ سمعي، ومِن شرِّ بصَري، ومِن شرِّ لِساني، ومِن شرِّ قلبي، ومن شرِّ مَنيِّي يَعني فرجَهُ"[1]، ولْتعلمْ أن من الافتراء أن يُري الإنسان نفسه شيئًا لم يره! كأن يكذب فيقول رأيت حلمًا وهو لم يره!، فقد روى عبد الله بن العباس -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: "**مَن تَحَلَّمَ بحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أنْ يَعْقِدَ بيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، ولَنْ يَفْعَلَ**، ومَنِ اسْتَمع إلى حَديثِ قَوْمٍ، وهُمْ له كارِهُونَ، أوْ يَفِرُّونَ منه، صُبَّ في أُذُنِهِ الآنُكُ يَومَ القِيامَةِ، ومَن صَوَّرَ صُورَةً عُذِّبَ، وكُلِّفَ أنْ يَنْفُخَ فيها، وليسَ بنافِخٍ"[2]، وهذا الحديث فيه لفتة طيبة وهي أن العقاب من جنس العمل، فكما تكلف وكذب بأنه رأى ولم يرَ، فقد عوقب بعقد حبتين من الشعير معا!، ولْتعلمْ يا أخي أن التنصت والتسمع لأحاديث الآخرين الذين يكرهون منك سماع حديثهم أو يذودون عنك مبتعدين لكي لا تسمع حديثهم من

---

(١) الراوي: شكل بن حميد العبسي | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترمذي الصفحة أو الرقم: ٣٤٩٢ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

(٢) الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٧٠٤٢ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

الأمور المنهي عنها والتي توجب عقابًا شديدًا -كما ورد في الحديث الشريف-، فمن فعل هذا صب في أذنه الآنك -وهو الرصاص-، فكما تلذذ بسماع ما لا يجب سماعه، كان عقابه أن يُعذب في موضع سمعه الذي تلذذ به!، وهذا كله مما ينظم العلاقات بين الناس، وهو من الخير العظيم -الحمد لله-!، فكل واحد منا لديه أسراره التي لا يحب أن يطلع عليها أحد، فلا تتجسس وتتنصت على أخيك فتكن وضيعًا في الدنيا، معاقبًا في الآخرة!، وعامل الناس بخلق حسن، ولْتعلمْ أن كل ما ذكرناه يشترك فيه حاستين هما "السمع والبصر"!، فلا يجب أن يفتري اللسان الكذب على الناس في التأول على الآخرين، أو في التأول على نفسه لحاجة يقضيها! فيقول ما لم يسمع وما لم يرَ!، بل يجب عليك أن تمنع سمعك وبصرك من تتبع ما أخفاه الناس عنك، فتغض الطرف عنها ساترًا عليهم لا فاضحًا لهم! ونستأنس هنا بأبيات للشافعي -رحمه الله-:

إذا رُمتَ أنْ تَحيا سَليمًا مِن الأذى ... ودينُكَ مَوفورٌ وعِرْضُكَ صَينٌّ

لِسانُكَ لا تَذكُرْ بِهِ عَورَةَ امرئٍ ... فَكُلُّكَ عَوراتٌ وللنّاسِ ألسُنُ

وعَيناكَ إنْ أبدَتْ إليكَ مَعايِبًا ... فَدَعها وَقُلْ يا عَينُ للنّاسِ أعيُنُ

وعاشِرْ بِمَعروفٍ وسامِحْ مَن اعتَدى ... ودَافع ولكن بالتي هِيَ أحسَنُ

٦٤٥. يا أخي، إياك أن تمشي على الأرض متعاظمًا على الخلق متكبرًا عليهم! ترى نفسك أفضل منهم متجبرًا فيهم متبخترًا -متمايلًا في مشيتك متباطئًا-! فهذا كله مما يُذم به الإنسان ويُكره ويحتقر!، ولْتعلمْ أنك مهما بلغت من قوة ومنعة ومال ستجد أسفل قدميك رفات من كان أكثر منك قوة ومنعة ومالًا! فلا تتكبر وتواضع لله -سبحانه وتعالى- الذي أكرمك، وتواضع لخلق الله -سبحانه وتعالى- تفز ويعلو قدرك!، ولْتعلمْ أن هذا الحكم من الأحكام التي قد تتغير بتغير الأحوال! فمثلًا التبختر والتباهي أمام العدو عند القتال مما يحبه الله -سبحانه وتعالى-!، وفيه من إغاظة العدو وتثبيط عزائمهم ما فيه! وهذا موضع فيه التفاخر والتباهي أمر محبب، ونستأنس هنا بما روي عن جابر بن عتيك -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "مِنَ الغَيرةِ ما يحبُّ الله ومِنها ما يُبغِضُ اللهُ، فأمَّا الَّتي يحبُّها الله فالغيرةُ في الرِّيبةِ، وأمَّا الغيرةُ الَّتي يُبغِضُها الله فالغَيرةُ في غيرِ ريبةٍ، وإنَّ منَ الخُيَلاءِ ما يُبغضُ اللهُ، ومنها ما يحبُّ اللهُ، **فأمَّا الخيلاءُ الَّتي يحبُّ الله فاختيالُ الرَّجلِ نفسَهُ عندَ القتالِ، واختيالُهُ عندَ الصَّدَقةِ، وأمَّا الَّتي يبغضُ الله فاختيالُهُ في البغيِ والفخرِ**"(١)، فالخيلاء في موضع القتال والخيلاء عند الصدقة -أي فَلا يَسْتكْثِرُ كثيرًا ولا يُعطِي مِنها شَيئًا إلَّا وهو يَحْسَبُه قَليلًا- محببة، وعكس ذلك فهو مما يبغضه الله -سبحانه وتعالى- وتبغضه القلوب النقية!، فاللهم بغّض إلينا الكبر والخيلاء، واجعلنا برحمتك من أهل التواضع والصفاء.

٦٤٦. فلْتعلمْ يا أخي أن اللسان إما أن يكون بنّاءً وإما هدّامًا!، فيكون اللسان بنّاءً إذا كان قوله الخير والكلام الحسن الطيب، فيكون اللسان ذاكرًا لله -سبحانه

---

(١) الراوي: جابر بن عتيك | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح أبي داود الصفحة أو الرقم: ٢٦٥٩ | خلاصة حكم المحدث: حسن

وتعالى-، آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، قارئًا لآيات الله -سبحانه وتعالى-، ومستذكرًا للعلم الذي علّمه الله -سبحانه وتعالى- إياه، فيكون قوله لطيفًا لينًا في حديثه وخطابه، شديدًا في مواقع الشدة والعزم لا يخرج منه السوء ولا الكلام القبيح المذموم، يتخير القول فيختار أحسنه وأفضله وأنفعه! ويكون اللسان هدامًا إن كان مدعاة للشر مغلاقًا للخير، كلامه بذيء وقوله قبيح، وهذا مما نعوذ بالله منه!، وقد قال عبد الله بن عمرو -رضي الله عنه-: "قيل لرسولِ الله ﷺ أيُّ الناسِ أفضلُ قال **كلُّ مخمومِ القلبِ صدوقِ اللسانِ** قالوا صدوقُ اللسانِ نعرفُه فما مخمومُ القلبِ؟ قال:هو التقيُّ النقيُّ لا إثمَ فيه ولا بغيَ ولا غِلَّ ولا حسدَ"(١)، وأما صدوق اللسان فالمراد به اللسان المبالغ في الصدق في أقواله، وهذا فيه حث على الصدق، وتحسين اللسان لأن يكون أطيب ما يكون فيجتمع نقاء القلب مع نقاء اللسان!

٦٤٧.فلتعلم يا أخي أن صفاء النفس معين على إنجاز المطالب، فبصفائها يسكن الفؤاد وتزداد الهمة، ومما يعين على صفاء النفس أمور عديدة، أذكر منها "الصفاء من المقارنة"!، ويقصد بهذا أن تتخلص النفس من المقارنات مع الآخرين، فكثيرًا ما تجد من الناس من يقارن حاله بحال شخص آخر، وقد يكون أشهر ما نسمعه: "هذه هي فتاة الأحلام! جميلة ليست كالتي عندي في الدار!"، و"هذا هو شاب الأحلام! هذا ما تمنيته، فهو غني ووسيم، ليس كحال زوجي!"، و"لماذا لم أرزق بالأطفال حتى الآن، مع أن غيري رزقن!"، و"لماذا لم أتزوج مع أنني أجمل من فلانة!"...إلى آخره!، وحقيقة؛ فإن كمية المصائب في أمثال هذه الكلمات كثيرة!، فهذه الكلمات دليل على تعكر النفس وتشوهها، ودليل على عدم الرضا والقناعة!،

---

(١) الراوي: عبد الله بن عمرو | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح ابن ماجه الصفحة أو الرقم: ٣٤١٦ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

ودليل على جهل بطبيعة الحياة، وطبيعة من يعيش في هذه الحياة!، ويتناسى من قال هذا قوله تعالى في سورة البلد: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾، وقوله تعالى في سورة طه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾، **ومن العجيب في هذه المقارنات أنها تأخذ جانبًا أُعجب به الناظر وعمّي عن الجوانب الأُخر!، ثم تجد هذا الناظر عمّي عن الحسنات التي عنده ورأى ما ينقصه أو ما يظنه عيبًا وسلط عليها الضوء فلم يعد يرى غيرها!**، يتناسى صاحب هذا القول أن الإنسان خلق في دار بلاء، كل من فيها مبتلى، ولكل واحد من البلاء ما يطيقه وما لا يطيقه غيره!، فتجد أحدهم يقول، سبحان الله ما أصبره على مرضه! إنه لبلاء عظيم، ويقول هذا المريض سبحان الله ما أصبر هذا المسكين على ظلمه وسجنه!...إلى آخره، وهذا كله يمكن علاجه إن بدأ الإنسان بتقوى الله -سبحانه وتعالى- وجعل هذه التقوى وتحصيلها شغله الشاغل!، فإن فعل هان ما بعدها، وحصد ثمارها في صفاء نفسه وسكونها وتقواها!، فاللهم اشغلنا بتقواك وطاعتك، ولا حول ولا قوة إلا بك.

٦٤٨. فلْتعلمْ يا أخي أن الشيطان يعمل جاهدًا لأن ينزغ بين الناس، وهذا يكون بحث الناس على قول السوء أو عمل السوء، ففي قول السوء نشرٌ للكراهية والبغضاء بين النفوس، فيصير لسان من اتبعه مدعاة للسوء والقبح والفحش، فيفسد ذلك بين الناس ويثير العداوة فيما بينهم، وفي عمل السوء حثٌّ على إيذاء الآخرين أو الاستخفاف بما قد يؤذي الآخرين بفعله فيقع وبال ذلك عليه، ونستأنس هنا بما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "لا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ إِلى أَخِيهِ بالسِّلاحِ،

فإنَّه لا يَدْرِي أحَدُكُمْ لَعَلَّ الشَّيْطانَ يَنْزِعُ في يَدِهِ فَيَقَعُ في حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ"[١]، فكان حرص النبي ﷺ على المسلمين وتمام أخلاقهم وتأليف قلوبهم من أتم الحرص وأشده، فكان هذا الحديث رادًا للمزاح أو الإشارة بالسلاح على أي مسلم!، لما في ذلك من بلاء عظيم، فقد يقع من هذا السلاح السوء وما ينزغ بين المسلمين في لحظة غضب أو جهل أو إهمال فتلحق مصيبة بالجاني والمجني عليه، وكم سمعنا عن أناس فقدوا أحبابهم بسبب إشارة بسلاح خرجت منه رصاصة عن طريق الخطأ فقتلت!، أو أناس أصابوا نفسًا بسوء في لحظة غضب؛ فصارت له ندامة طول عمره!، قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴿٥٣﴾ ﴾، ولقد ذكر ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره لهذه الآية: "يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة فإنه إذلم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم وأخرج الكلام إلى الفعال ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة فإن الشيطان عدو لآدم وذريته من حين امتنع من السجود لآدم فعداوته ظاهرة بينة ولهذا نهى أن يشير الرجل إلى أخيه المسلم بحديدة"[٢]، فاللهم ألف بين قلوبنا واجعلنا عبادًا لك إخوانًا.

٦٤٩. فلْتعلمْ يا أخي أن استخدام الترهيب في التربية أو إرشاد الناس وتخويفهم مما يعملون من معاصٍ من الأساليب التي قد تعطي نفعًا كبيراً، لكن عليك أن تعلم أن الترهيب قد يقود الإنسان لأحد طريقين، إما أن يرتدع فيمتنع عما

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٧٠٧٢ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١١٢٣ | تفسير سورة الإسراء | الآية ٥٣ | دار ابن حزم | بيروت

يفعل من باطل، وإما أن يزداد هذا الإنسان طغيانًا وسوءًا فوق سوءه، وحينها لا مجال إلا للعقاب، والعقاب يكون لمن استحق، وبالقدر الذي استحقه!، لذلك أنصحك بأن تستخدم الترهيب في وقته ومحله وليس في كل وقت، فلكل مقام مقال، وليكن استخدامك لهذا الترهيب دون إفراط أو تفريط، بل يكون بالقدر اللازم أو المانع الذي تراه في قلوب من أمامك!، وليكن خطابك فيه مزيج من الترهيب والترغيب!، فلا هو ترهيب دومًا، ولا هو ترغيب دومًا، فإن قلب الإنسان مجبول على الخوف والرجاء، فمن أدرك ذلك ووازن بين خوفه ورجائه، استوت نفسه فاستقر قلبه واطمئن! ومن اطمئن قلبه واستوت نفسه حسن خلقه! قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾ ﴾، وقال أيضًا: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ﴿٥٩﴾ ﴾، وقال أيضًا: ﴿وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٠﴾ ﴾، فسبحان الله العظيم الحكيم وبحمده!

٦٥٠. فلتعلم يا أخي أن هناك مجموعة من الركائز الأساسية التي تبنى عليها النفس السوية، سنذكر منها الثبات والاطمئنان والبينة، ونقصد بالثبات هو أن تثبت على الحق وإن خالفتك الأمم كلها!، والثبات أسمى ما يكون بقول صادق وعمل صادق وقلب صادق، ويتناقص الثبات بتناقص الصدق وذهاب الحق!، ألم تسمع قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾، هذه الآية الكريمة فيها من فضل الله -سبحانه وتعالى- ورحمته بعباده ما فيها، ففيها البشارة بتثبيت الله -سبحانه وتعالى- لعباده ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ على القول الصادق الذي لا شك فيه، فهم متمسكين بالحق ثابتين عليه بفضله ورحمته عليهم!، وهذا التثبيت لا

يأتي من فراغ، لاحظ أن الله -سبحانه وتعالى- قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، أي أن هناك قلب مؤمن يسعى بصدق للنجاة ويبحث عنها، وفيها أيضًا أن الله -سبحانه وتعالى- جعل القرآن الكريم سبيلًا ليدرك الباحثون عن الحق الساعون له سبيل النجاة بقول حق لا يأتيه الباطل أبدًا!، وفيها يظهر أعظم ثبات وأعظم قول يجب أن يثبت عليه المسلم، وهو "لا إله إلا الله، محمد رسول الله"، ومما ورد في هذا الباب أيضًا قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢﴾، فهذه الآية الكريمة تشير لمعنى التثبيت أيضًا، فهذا خير البشر -عليه الصلاة والسلام- نزل عليه القرآن الكريم متفرقًا ليتقوى به قلبه، وكان لهذا الأمر خير عظيم -الحمد لله-، فكان النزول عند الأسباب أدعى للخير والاطمئنان والثبات على حكم الله -سبحانه وتعالى- لعباده المؤمنين في زمن الحبيب -عليه الصلاة والسلام-، ولمن أتى بعده!، فكم مرة تذكرت آية من كتاب الله -سبحانه وتعالى- أو سمعتها؛ فكانت لك منجاة من شر ما، أو محفزًا لعمل ما؟!، قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ٧٤﴾، هذه الآية الكريمة تخبرنا بأن سيدنا محمد ﷺ كان معصومًا بفضل الله -سبحانه وتعالى-، فلم يركن للمشركين ولم يقترب من ذلك! -الحمد لله-، وهذه الآية الكريمة فيها هداية وإرشاد للأمة بألا يركنوا إلى المشركين في شيء من أحكام الله -سبحانه وتعالى- وشرائعه، ولكي لا تركن إليهم، عليك بالثبات على الحق الذي أنت فيه!، وأن تسأل الله -سبحانه وتعالى- التوفيق والثبات لا من سواه!، والتثبيت يحتاج للتذكير، فتظهر هنا أهمية الموعظة وأهمية الذكرى!، قال تعالى في سورة الذاريات: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٥﴾، فإن نسي المؤمن أو غفل أو جهل، كان التذكير منبهه وموقظه!، وهذا يقودنا إلى الجزء الثاني، فإذا ثبت الإنسان

على الحق، حصلت له الطمأنينة، والطمأنينة كنز لا تُدرك قيمته، إلا لمن ذاق حلاوته!، قال تعالى في سورة الرعد: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾، انظر لجمال هذا المعنى، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ من عباد الله -سبحانه وتعالى- تطمئن قلوبهم وتفرح وتسكن بذكر الله -سبحانه وتعالى-، لاحظ أن هذه الطمأنينة جاءت للذين آمنوا حق الإيمان، وي كأن الثبات على الحق تلحقه الطمأنينة؟!، قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤﴾، انظر إلى هذه الآيات الكريمة، ثبات لحقه زيادة في الإيمان، نتج عنه بفضل من الله -سبحانه وتعالى- فوز عظيم، وفضل عظيم!، ما ظنك بحال المؤمنين -رضوان الله عليهم- حين عادوا وقد نصرهم الله -سبحانه وتعالى؟!، أي طمأنينة وأي فرح وأي سكينة كانوا بها؟!، وهذا يقودنا للجزء الثالث، البينة!، فإن كان الإنسان ثابتًا مطمئنًا، فإنه محتاج للبينة!، والبينة يمكن تقسيمها لأقسام عدة، نذكر منها البرهان والحجة والعلم والصبر وانشراح الصدر، وهذا كله يبرز أهمية البينة، فهي دالة على الهدى داعية إليه!، وهي في ذاتها لمن امتلكها دالة على الهدى حتى قبل أن ينطق صاحبها بالحق الذي يحمله!، فكان خير البشر ﷺ وقدوتنا أقوى الناس حجة وأكثرهم علمًا وصبرًا، وفوق هذا صدره منشرح مليئ بالخير والتقوى، وبرهانه بيّن يدمغ الباطل فيبطله!، لذلك كان حبيبي رسول الله ﷺ تحبه القلوب قبل أن تسمع حجته، وتؤمن بصدقه قبل أن تسمع برهانه!، لذلك، من أراد الخير والدعوة إلى الهدى، فعليه بكتاب الله -سبحانه وتعالى- وسنة الحبيب المصطفى ﷺ، قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبۡتُم بِهِۦۚ مَا عِندِي مَا

تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾، بهذا كله، تجتمع لدينا ركائز الخير التي يمكن أن تتقوى النفس بها وتستند عليها!، وهذا كله بتوفيق الله -سبحانه وتعالى- فمنه الثبات، ومنه الطمأنينة، ومنه البينة والهدى!، فسبحان من جعلنا على هداه بهداه!، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم!

٦٥١. فلْتعلمْ يا أخي أن لله -سبحانه وتعالى- سننًا في هذا الكون لا تتغير ولا تتبدل -إلا بمشيئته-، هذه السنن تسير على المسلم والكافر، والفقير والغني، والذكر والأنثى...إلى آخره، ومن هذه السنن ما هو على مستوى الأفراد كالموت، وما هو على مستوى الأمم كتقلب الأمم بين القوة والضعف، وبين نهاية أمم وأقوام وحلول آخرين مكانهم، وما هو على مستوى الكون كتعاقب الليل والنهار وتعاقب الفصول والكسوف والخسوف ونحو ذلك!، وإدراك هذا مهم جدًا وفيه حل لمشاكل عقلية ونفسية كثيرة قد يكون أهمها أنها تقدم إجابة مباشرة لحل معضلة أو مشكلة الشر!، فالأم التي تذهب بنفسها إلى الطبيب لتعالج طفلها هي نفسها التي قد تذهب به لتقتله -تجهضه-، فما تغير هنا نحو الخير أو الشر هو سلوك الأم وطريقة تفكيرها وإرادتها لذلك!، أيضًا، ومن خلال فهم هذه السنن يُفهم أن ربط الأحداث الكونية بخيالات وتفسيرات ما أنزل الله -سبحانه وتعالى- بها من سلطان هي مجرد أوهام واستجهال للمتلقي!، وفي هذا نستأنس بما روته أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- عن النبي ﷺ قال: "إنَّ الشَّمْسَ والقَمَرَ آيَتانِ مِن آياتِ اللهِ، لا يَخْسِفانِ لِمَوْتِ أحَدٍ ولا لِحَياتِهِ، فإذا رَأَيْتُمْ ذلكَ، فادْعُوا اللهَ، وكَبِّرُوا وصَلُّوا وتَصَدَّقُوا."(١)، هذا الحديث الشريف قد قاله حبيبي رسول الله ﷺ بعد أن توهم بعض الناس أن كسوف الشمس قد حصل

(١) عائشة أم المؤمنين | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ١٠٤٤ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

لموت إبراهيم ابن نبينا الحبيب -عليه الصلاة والسلام-، فكان هذا الرد لتعليم الناس أن هذا الأمر من آيات الله -سبحانه وتعالى- التي لا تحدث بسبب موت أحد أو حياته! فسبحان من جعلنا مسلمين، وسبحان من أكرمنا بالعقل وهدانا للحق! سبحانه وتعالى عما يصف الجاهلون!

٦٥٢. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- جعل مواقيت للعبادات لتؤدى فيها هذه العبادات!، فمثًلا لا يؤدى صيام شهر رمضان إلا في رمضان، ولا يصح أن يصلي المرء كل صلواته عند الفجر لأن لكل صلاة وقتها الذي فرضه الله -سبحانه وتعالى-!، فإن علمت هذا فقم بتأدية العبادة التي أمرك الله -سبحانه وتعالى- بها في وقتها، ولا تؤجلها أو تقربها في وقت وميعاد لا تصح فيه هذه العبادة!، وهذا يقودنا للفتة مهمة، وهي أن هذه الحياة فيها مجموعة من القواعد التي لا يصح تجاهلها، وتجاهلها يعني -عادة- خسارة ما متحققة لصاحبها!، فمثلًا من رأى نارًا تلتهم ثيابه لن ينتظر بضع دقائق حتى يحترق، بل سيحاول إخماد النار بكل الطرق الممكنة!، ومن علم أن زراعة بعض المحاصيل لا تكون إلا في وقت محدد من العام فلن يزرع هذه المحاصيل إلا في هذا الوقت لتجنب الخسارة، ومن علم أن فترة فراغه فترة مهمة وجب عليه أن يستغلها في كل ما هو مفيد!، فهي وقت محدد في عمره المحدد!، والغاية هنا أن ندرك أن من يريد أن يتم عمله على أكمل وجه؛ وجب عليه أن يبادر لتحقيق ذلك في الوقت المناسب، فلا يؤجل ولا يقدم فيخسر!، كمثل المزارع الذي ينثر البذور في غير موعدها ثم يقول قد خسرت!، ومن هذا نعلم أن العمل يحبذ في أول وقت قدرت عليه وليس خارج هذا الوقت! فما خرج لن يعود وإن تم ما تريد!، ونستأنس هنا فيما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "**بادِرُوا بالأعْمالِ** سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِن مَغْرِبِها، أوِ الدُّخانَ، أوِ الدَّجّالَ، أوِ الدّابَّةَ، أوْ خاصَّةَ

أَحَدِكُمْ، أَوْ أَمْرَ العامَّةِ."[١]، وفي هذا الحديث إرشاد لأهمية القيام بالأعمال الصالحة قبل ستة مواقيت وعلامات، والمشترك هنا أن الوقت للأعمال الصالحة قد ينفذ ويذهب وأنت لا تدري، فتصبح بلا عمل وقد بطل وقت الأعمال!، فالموت مثلًا قاطع للأعمال فمن لم يعمل صالحًا خسر!، ومن طلعت الشمس عليه من مغربها ولم يتب قبل طلوعها فقد خسر!، ومن لم يدرك فراغه قبل انشغاله خسر هذا الوقت وجلس متحسرًا على ما فاته! لذلك، فلتدرك أهمية الوقت ولتقل اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك!

٦٥٣. يا أخي، إن أنعم الله -سبحانه وتعالى- عليك بجزيل النعم فكن شاكرًا لأنعمه دائم الثناء والحمد!، وإياك وبطر النعمة!، وبطر النعمة هو استخفافها واستقلالها وكفرها بنكرانها!، وإن مسك السوء كالمرض أو الفقر كن صابرًا محتسبًا لله -سبحانه وتعالى- غير متذمر ولا ساخط ولا يائس! ولْتتذكر نعيم الله -سبحانه وتعالى- عليك حتى وأنت في خضم بلاء!، ولْتتذكر النعم التي كنت فيها قبل أن تصير إلى ما صرت عليه! فكما عشت في النعم، أفلا تصبر على النقم؟! اللهم إنا نسألك دوام النعم، ونعوذ بك من أن نسخط أو نضل!، قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ﴿٨٣﴾ ﴾، قال السعدي -رحمه الله-: "هذه طبيعة الإنسان من حيث هو، إلا من هداه الله، فإن الإنسان- عند إنعام الله عليه - يفرح بالنعم ويبطر بها، ويعرض وينأى بجانبه عن ربه، فلا يشكره ولا يذكره. ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ كالمرض ونحوه ﴿كَانَ يَـُٔوسٗا﴾ من الخير قد قطع ربه رجاءه، وظن أن ما هو فيه دائم أبدًا. **وأما من هداه الله فإنه- عند النعم -يخضع لربه،**

---

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٩٤٧ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

ويشكر نعمته، وعند الضراء يتضرع، ويرجو من الله عافيته، وإزالة ما يقع فيه، وبذلك يخف عليه البلاء."[١]

٦٥٤. فلْتعلمْ يا أخي أن لكل واحد منا طباعه المختلفة، والتي تنعكس إما إيجابًا وإما سلبًا على سلوكياتنا مع أنفسنا أو مع الآخرين، وفي استقبال سلوكيات الآخرين والتعامل معها!، فهناك من هو لين رحيم، وهناك من هو غليظ عنيد!، وهناك من هو سريع الغضب، وهناك من هو حليم!...ونحو ذلك، وهذا كله يقودنا للتفكير بعدة أمور وهي: أن نحسن التعامل فيما بيننا، وأن ندرك صفاتنا وصفات الآخرين، وأن ندرك ما يزعجنا وما يزعجهم، ثم يعبر كل واحد منا عما يزعجه، ثم ينظر في نفسه أيقدر على الصبر مع مثل هذه الطباع والتصرفات أم لا! فيترك بالمعروف أو يبقى بالمعروف!، ومنها أننا يمكن أن ننتقي من هم أهل للخير والصفات أو الطباع الحميدة فيكونوا صحبة طيبة لنا، مدركين للاختلاف الواقع فيما بيننا محسنين للتعامل معها!، ومنها ندرك أهمية الخطوط الفاصلة بين هذه الطباع وكيف يمكن أن تتغير إلى الأفضل أو إلى الأسوء!، فمن كان من طبعه الشتم والذم عليه أن يُعلّم نفسه كيف يتوقف عن هذا فيحسن من طباعه!، ولْتعلمْ أن كل واحد منا يعمل بناءً على الأخلاق التي ألفها! فيظهر على جوارحه ما أخفى قلبه واعتادت جوارحه فعله!

٦٥٥. فلْتعلمْ يا أخي أن المصلحين ليسوا ملائكة ترى من خلالهم المعجزات! بل هم مجرد أشخاص علموا الحق وكرهوا الباطل، وعملوا جاهدين مجاهدين أنفسهم وغيرهم لمساعدة أنفسهم وغيرهم على النجاة من أي سوء، فلا

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الإسراء | الجزء الخامس عشر | الآية ٨٣ | الصفحة ٤٦٥ | مؤسسة الرسالة | بيروت

تنتظر المعجزات منهم ولا تنظر إليهم نظرة الملائكية!، إن وقع منهم خطأ نكصت وصُدمت! فنحن بشر، وأي واحد منا معرض للضعف والنقص!، لذلك اسأل الله -سبحانه وتعالى- لهم الهداية والثبات، وادعُ الله -سبحانه وتعالى- أن نكون من الصالحين.

٦٥٦. فلْتعلمْ يا أخي أن تهذيب النفس في التعامل مع المشاعر المتضادة أمر جلل لا يتقنه إلا من هذّب نفسه وأرشدها ودرّبها لما فيه خيرها! ومن هذا مثلًا أن الإنسان قد يميل إلى الشح والبخل بما لديه من مال ونعيم!، لكنه إن كان ممن أنعم الله -سبحانه وتعالى- عليه وأرشد قلبه فسيكون منفقًا في سبيل الله -سبحانه وتعالى-، فيتلاشى ما به من بخل أمام ما في قلبه من إنفاق! وكذلك حال الكبر والتواضع، والأنانية والإيثار، والقوة والضعف، والشجاعة والجبن...ونحو ذلك، لذلك يا أخي هذب نفسك ما استطعت، وتمسك بكتاب الله -سبحانه وتعالى- وسنة رسوله ﷺ تجد ما تبحث عنه، واسأل الله -سبحانه وتعالى- التوفيق في أمرك تقر عينًا -بإذن الله-، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٦٥٧. يا أخي، تدبر القرآن وتفكر في آياته، وطبق ما تعلمته منه في حياتك تجد نفسك غير الذي كنت!، ولْتعلمْ أن من عرف الله -سبحانه وتعالى- وإعجاز كتابه وبيانه وقدرته العظيمة وعلمه اللامنتهي، خر متواضعًا متذللًا لله -سبحانه وتعالى-، ساجدًا شاكرًا لأنعمه، ذاكرًا فضله وكرمه على ما وهبه الله -سبحانه وتعالى- من علم وهدى يتمناه كل سعيد حظ! ويكون لسان حاله سبحان ربنا وتعالى عما يصف الجاهلون، ثم ترى عينيه تفيضان من الدمع لما عرف من خشية الله -سبحانه وتعالى- وعظيم شأنه ورحمته!، فاللهم الهداية من عندك، والخشوع من عندك، والعلم من عندك، والخير من عندك، لا إله غيرك، ولا حول ولا قوة إلا بك!.

٦٥٨. يا أخي، اضبط صوتك عند الحديث مع غيرك فلا ترفعه بالشكل المزعج المؤذي، ولا تخفضه فلا يسمع صوتك أحد غيرك! وابتغ بين علو الصوت وانخفاضه درجة وسطى!

٦٥٩. قال تعالى في سورة الكهف: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾، ذكر السعدي -رحمه الله- في تفسيره: "في هذه الآية ونحوها عبرة، فإن المأمور بدعاء الخلق إلى الله، عليه التبليغ والسعي بكل سبب يوصل إلى الهداية، وسد طرق الضلال والغواية بغاية ما يمكنه، مع التوكل على الله في ذلك، فإن اهتدوا فبها ونعمت، وإلا فلا يحزن ولا يأسف، فإن ذلك مضعف للنفس، هادم للقوى، ليس فيه فائدة، بل يمضي على فعله الذي كلف به وتوجه إليه، وما عدا ذلك، فهو خارج عن قدرته، وإذا كان النبي ﷺ يقول الله له: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ ﴾ وموسى عليه السلام يقول: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِي ﴾ الآية، فمن عداهم من باب أولى وأحرى، قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[1].

٦٦٠. يا أخي، إن أتتك الفتن من كل مكان، وعلمت أن فيك ضعفًا ونقصًا، وعلمت أنك ستقع في هذه الفتن إن بقيت في موضعك، فاهرب بدينك ونفسك من المكان الذي أنت فيه! وكن كفتية الكهف حين فروا بدينهم من بين الظالمين، فثبتهم الله -سبحانه وتعالى- وسلمهم من هذه الفتن! ومن هذا إن كنت جالسًا في مكان تحققت به الخلوة مع امرأة أجنبية ففر بدينك ونفسك من سوء الفاحشة

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الكهف | الجزء الخامس عشر | الآية ٦ | الصفحة ٤٧٠ | مؤسسة الرسالة | بيروت

بأنواعها البصرية أو السمعية أو القلبية أو زنا الفرج -والعياذ بالله منها جميعًا-! وإن كنت في دولة تمنع ذكر الله -سبحانه وتعالى- فيها وتحارب أهل الإيمان والصلاح، وتحارب من يقول لا إله إلا الله، وتمنعك من ممارسة دينك وحفظ أبنائك من تعاليم الكفر، فاهرب بنفسك وبهم من هذه الأرض الخبيثة وتذكر قوله تعالى في سورة النساء: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا.....﴿٩٧﴾﴾، وتذكر قوله تعالى في سورة التحريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ...﴿٦﴾﴾، ولْتعلمْ أن ما عند الله -سبحانه وتعالى- خير وأبقى! ولْتعلمْ أن الدين المغروس في قلبك وقلب أبنائك أهم وأعظم من متاع الحياة الدنيا -وإن كثر-! ونستأنس بما رواه المقداد بن عمرو الأسود -رضي الله عنه- عن الرسول ﷺ قال: "إنَّ السَّعيدَ لمن جُنِّبَ الفتنَ إنَّ السَّعيدَ لمن جُنِّبَ الفتنَ إنَّ السَّعيدَ لمن جُنِّبَ الفتنَ ولمنِ ابتُلِيَ فصبرَ فواهًا"(١)، فاللهم جنبنا الفتن، ما ظهر منها وما بطن، ولا حول ولا قوة إلا بك.

٦٦١. يا أخي، إن **عزمت** على أمر ترغب في فعله في المستقبل فقل **إن شاء الله،** فإننا نستعين بالله -سبحانه وتعالى- على ما ننوي القيام به، ونعلم يقينًا أن هذا الأمر يقع تحت مشيئة الله -سبحانه وتعالى-، ولا نعلم إن كان سيكون أم لا! لهذا تأدب مع الله -سبحانه وتعالى- وقل عند عزمك **إن شاء الله!** وإياك ثم إياك يا أخي من كلمة حق يُراد بها باطل!، فنراك تقول إن شاء الله فيما **لم تعقد العزم** عليه، وإنما ذكرتها كوعد لا يراد تنفيذه! وهذا حال كثير من أبناء أمتنا الآن -للأسف-! فبدلًا من أن تكون **إن شاء الله** كلمة تدل على العزم أصبحت تستخدم عند بعض شبابنا لوعد لا يراد تنفيذه! فاحذر أن تكون منهم! واحذر من أن تعلم أبناءك الكذب من خلال

(١) الراوي: المقداد بن عمرو بن الأسود | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح أبي داود الصفحة أو الرقم: ٤٢٦٣ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

قولك **إن شاء الله** وأنت لا تدري، لأن أقوالك سترتبط في أذهانهم بأن **إن شاء الله** = لن يأتي ما نريد! فإن نسيت يا أخي قول **إن شاء الله** فقلها حين تذكرها ولو كان ذلك بعد مدة طويلة! فاللهم اجعلنا ممن يقول القول فيتبع أحسنه!

٦٦٢. يا أخي، إذا نسيت أمرًا كنت تنوي القيام بفعله أو الحديث عنه فاذكر الله -سبحانه وتعالى- لعل الله -سبحانه وتعالى- أن يرد عليك ضالتك!

٦٦٣. إياك يا أخي أن تتبع من اتبع هواه، فمن اتبع هواه يسعى لإدراك كل ما تشتهيه نفسه ولو كان في ذلك هلاكه وخسرانه! فإن تبعته كنت مثله وسرت كما يسير في تتبع شهواتك وشهواته التي ستصبح شهواتك وأنت لا تدري! وهذا ما نشاهده للأسف من بعض شبابنا الذي فتنوا بشهوات ما يعرض في الأفلام والمسلسلات والتي يبنون ثقافتهم وتوجهاتهم عليها! اللهم نسألك العفو والعافية! ولْتعلمْ أن الاتباع يكون لمن اتبع أمر الله -سبحانه وتعالى- لا من اتبع هواه، وخير من نكون له تبعًا هو خير البشرية سيدنا محمد ﷺ والأنبياء والصحابة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

٦٦٤. فلْتعلمْ يا أخي أن من قمة الجهل أن يفاخر المرء غيره بما لديه من أموال وأولاد ورهط وعشيرة...ونحو ذلك!، مع أن هذا كله مما لا يمكن التحكم فيه! فالمال رزق الله -سبحانه وتعالى- إليك! والأولاد من رزق الله -سبحانه وتعالى-، فهو رزقك إياهم بمشيئته، ولو شاء لجعلك عقيمًا! ورهطك وعشيرتك لم تخترهم! فكيف تفاخر بما لا تملكه! ونستأنس هنا بما رواه أبو مالك الأشعري -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "أَرْبَعٌ في أُمَّتي مِن أمْرِ الجاهِلِيَّةِ، لا يَتْرُكُونَهُنَّ: الفَخْرُ في

الأَحْسابِ، والطَّعْنُ في الأَنْسابِ، والاسْتِسْقاءُ بالنُّجُومِ، والنِّياحَةُ وقالَ: النَّائِحَةُ إذا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِها، تُقامُ يَومَ القِيامَةِ وعليها سِرْبالٌ مِن قَطِرانٍ، ودِرْعٌ مِن جَرَبٍ."[١].

٦٦٥. إياك أن يغرنك يا أخي ما لديك من أموال وأولاد! فتظن أنها لن تفنى ولن تذهب لكثرتها! فإن الله -سبحانه وتعالى- إن أراد أن ينتزعها منك نزعها ولم تكن لتملك لنفسك شيئًا! لذلك، احمد الله -سبحانه وتعالى- على ما أعطاك، وقل الحمد لله الذي رزقني هذا من غير حول لي ولا قوة، وقل **ما شاء الله لا قوة إلا بالله** إن أعجبك ما لديك من كثرة النعيم! فاللهم ارزقنا من عظيم رزقك وفضلك، واجعلنا بما رزقتنا أقرب إليك حامدين شاكرين لأنعمك.

٦٦٦. فلْتعلمْ يا أخي أن المال والبنون زينة الحياة الدنيا، هذه الزينة إما أن تكون نعمة أو نقمة، نعمة إن أدى حقها ورزق برها، فكانت له من الصالحات التي تبقى له حتى بعد موته، ونقمة إن كانت وسيلة لتجبُّره واستكباره على الناس وتفاخره على الناس من حوله!، لتكون له متاعًا في الدنيا -مع احتمالية زوالها- وفي الآخرة هو من الخاسرين -والعياذ بالله-! ولْتعلمْ أن ما يبقى للإنسان هو الباقيات الصالحات، قال تعالى في سورة الكهف: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾، وذكر السعدي-رحمه الله- أن الباقيات الصالحات تشمل "جميع الطاعات الواجبة والمستحبة من حقوق الله، وحقوق عباده، من صلاة، وزكاة، وصدقة، وحج، وعمرة، وتسبيح، وتحميد، وتهليل، وتكبير، وقراءة، وطلب علم نافع، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وصلة رحم، وبر والدين، وقيام

---

(١) الراوي: أبو مالك الأشعري | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٩٣٤ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

بحق الزوجات، والمماليك، والبهائم، وجميع وجوه الإحسان إلى الخلق"[١]، وقال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: "المال والبنون حرث الدنيا والأعمال الصالحة حرث الآخرة وقد يجمعها الله لأقوام"[٢]، فمن جمع له حرث الدنيا والآخرة فقد فاز بتوفيق من الله -سبحانه وتعالى-، فاللهم اجعلنا ممن وفقتهم وأحببتهم ورضيت لهم من الخير والصلاح ما تغنينا به عمن سواك، اللهم آمين.

٦٦٧. فلْتعلمْ يا أخي أن العلم لا يُنال إلا بجزم وعزم وشدة رغبة في تحصيله وطلبه، أما ما دون ذلك من التمني والكسل وقلة المذاكرة والاطلاع فإنها لا تعطي شيئًا! وإن أعطت كان الفتات الذي لا يسمن ولا يغني من جوع!

٦٦٨. فلْتعلمْ يا أخي أن ما تستطيع القيام به أنت، وما تستطيع الصبر عليه أنت، ليس بالضرورة أن يستطيع عليه غيرك! فإن كنت تستطيع حمل مئة كيلو من الحديد فليس بالضرورة أن يستطيع ذلك غيرك من الناس! وليس بالضرورة أنك ستستطيع حمل أكثر من ذلك كما استطاع غيرك! وكذلك الصبر، فإنك قد ترى في غيرك صبراً على الفقر فتقول ما أشد صبره! وهو يرى فيك صبرك على المرض فيقول ما أشد صبره! وكأن كل واحد منا لديه من البلاء ما يقدر عليه وبما هو في قدرته واستطاعته!، وهذا ينطبق على جل الأعمال والأفكار، فابنك الذي أمامك ليس مثل أخيه! وليس مثل أمه وأبيه! وليس مثل ابن خاله وابن عمه! فلكل واحد مما ذكر سماته الشخصية

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الكهف | الجزء الخامس عشر | الآية ٤٦ | الصفحة ٤٧٩ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) كتاب معالم التنزيل (تفسير البغوي) | أبي محمد البغوي | المجلد الخامس | تفسير سورة الكهف | الصفحة ١٧٤ | الآية ٤٦ | دار طيبة | الرياض

التي يتميز بها! لهذا لا تحاول أن تقولب ابنك ليصبح طبيبًا كما أصبح أخيه من قبل! فإنه قد لا يطيق هذا! بل انظر لما يطيقه ويستطيع القيام به حتى ترى الشغف فيما سيقدم!

٦٦٩. فلْتعلمْ يا أخي أن الإنسان قد ينسى وقد يخطئ، فإن كان هذا ما وقع حقًا ولم يكن هذا عادة وتكرار، فاصفح ولا تؤاخذ من أخطأ ونسي كما تؤاخذ من تعمد الضرر وألحق بك الأذى أو تكرر منه ذلك!

٦٧٠. يا أخي، فلْتعلمْ أن الإنسان يجب أن يتأدب مع معلمه وأن يخاطبه بلطف ويعامله بكل حسن وأدب، وعلى الإنسان ألا يتعالى على معلمه ولا يخاطبه خطاب الند للند في علمه الذي قدم لتعلمه منه أصلًا!، وعلى الإنسان وإن كان أكثر علمًا من معلمه في أبواب أخرى أن يتواضع لمن سيعلمه ما ينقصه، ويتأدب معه ويحسن معاملته، وهذا كله من آداب طالب العلم، ومن سمات ذوي الفضل من العلماء وأهل العلم.

٦٧١. يا أخي، إذا يسر الله -سبحانه وتعالى- لك أسباب النجاح كالقدرة على الحفظ والفهم أو المال ونحو ذلك من الأسباب التي تعينك على أي عمل ترغب القيام به، فاستعملها على وجهها المراد! وذلك يكون من خلال فهم ما لديك من الأسباب مع قدرتك على استخدام هذه الأسباب والعمل بها! والأمر كله لله -جل في علاه-!

٦٧٢. فلْتعلمْ يا أخي أن تعلم اللغة العربية وإتقانها من أولى الأولويات قبل أي لغة أخرى! فإن تعلمتها وأتقنتها فتعلم من اللغات الأخرى ما تسد به ثغرًا من ثغور الإسلام فتدافع عنه، وتدعو إليه! وإياك من أن تطغى لغة تعلمتها على العربية! فهي لغة القرآن وبه أنزل! والله المستعان.

٦٧٣. فلْتعلمْ يا أخي أن المال ليس كل شيء، ففي بعض الأحيان قد تملك المال لكنك لا تملك الرجال! فقوة الأبدان لا تقل أهمية عن قوة المال! ومن هذا مثلًا من أراد بناء منزل وإن ملك المال ولم يجد الأبدان لم ينفعه ماله! والمراد هنا أن المواقف في هذه الحياة تتنوع حاجاتها بين المال والأبدان! قال تعالى في سورة الكهف: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ﴾، في هذه الآية الكريمة كان لذي القرنين من الخير الذي أعطاه الله -سبحانه وتعالى- ما يغنيه عما سيدفعه القوم له لبناء السد، لكنه قال لهم أعينوني بقوة منكم -القوة البشرية- حتى يتم بناء ما طلبتم، وهذا فيه إشارة مهمة لأهمية استغلال القوة المتوفرة عند أمة ما وعدم الركون للكسل، وخطورة التمني وترك العمل، وخطورة ترك الانتفاع بالإمكانات المتاحة وما تواجد من موارد وقوة! وتأكد أنك في اللحظة التي ستضعف فيها وتكسل عن العمل، سيأتي عدو ما ليأخذ ما عندك من خيرات! لذلك، انهض واعمل واجتهد لتحافظ على ما ائتمنت عليه! والأمر كله لله -جل في علاه-، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٦٧٤. قال تعالى في سورة الكهف: ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴾، ذكر السعدي -رحمه الله- في تفسيره: "فلما فعل هذا الفعل الجميل والأثر الجليل، أضاف النعمة إلى موليها وقال: ﴿ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ﴾ أي: من فضله وإحسانه عليَّ، وهذه حال الخلفاء الصالحين، إذا منَّ الله عليهم بالنعم الجليلة، ازداد شكرهم وإقرارهم، واعترافهم بنعمة الله كما قال سليمان عليه السلام، لما حضر عنده عرش ملكة سبأ مع البعد العظيم، قال: ﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ بخلاف أهل التجبر والتكبر والعلو في الأرض فإن النعم الكبار، تزيدهم أشرًا وبطرًا. كما قال قارون -لما آتاه الله من الكنوز، ما إن مفاتحه

لتنوء بالعصبة أولي القوة- قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾[١]، لذلك يا أخي أُسلك سبل الأنبياء والصالحين وكن من الذين أقروا بنعم الله عليهم وشكروا الله -سبحانه وتعالى- عليها، ونسبوا الفضل إليه لا إلى أنفسهم، وإياك أن يكون مثلك مثل قارون عندما نال حظًا من الدنيا فكفر بأنعم الله -سبحانه وتعالى- وقال هذا الذي جمعته من علم عندي! فما كان مصيره إلا الخسف -والعياذ بالله-!

٦٧٥. فلتعلم يا أخي أن البلاء في هذه الدنيا قد يكون في العطاء كما يكون في الأخذ!، وهذا يذكرنا بنقطة مهمة وهي قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ ١٦٥﴾، الناظر لهذه الآية الكريمة يرى يقينًا أن الله -سبحانه وتعالى- عندما فضّل الناس على بعض، كان هذا التفضيل نوعًا من البلاء! وهذا فيه من الجمال ما فيه، فيعلم الرئيس أنه في بلاء في رياسته! ويعلم المرءوس أنه في بلاء لكونه مرءوسًا!، ويعلم الغني أنه مبتلى في ماله!، أفيضعه في سبل الخير أم سبل الشيطان؟ ويعلم الفقير أن مبتلى بفقره، أفيصبر أم سيحسد ويسخط؟ والأمثلة كثيرة جدًا ولا يمكن حصرها! لكن هذين المثالين يقودان لمثل عظيم ورد في القرآن الكريم على هذين الصنفين من البشر، فانظر إلى سيدنا سليمان -عليه السلام- كيف ملك ما لم يملك غيره، وكيف كان عبدًا شكورًا!، وانظر إلى فرعون -لعنه الله- كيف كان ملكه وكيف كان عبدًا كفورًا!، قال تعالى في سورة ص: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٣٨ هَٰذَا

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الكهف | الجزء السادس عشر | الآية ٩٨ | الصفحة ٤٨٦-٤٨٧ | مؤسسة الرسالة | بيروت

عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٠﴾﴾، وقال تعالى في سورة الزخرف: ﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾، وانظر إلى ذي القرنين -رضي الله عنه-، فقد آتاه الله -سبحانه وتعالى- الأسباب، فأتبع سببًا!، وانظر إلى قارون -لعنه الله- حيث صار من أصحاب الغنى الفاحش فعتا عن أمر ربه!، قال تعالى في سورة الكهف: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾، وقال تعالى في سورة القصص في حق قارون -لعنه الله-: "فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨١)"، هذه الأمثلة كلها تعطينا حكمًا عظيمة جليلة، فالإنسان عليه أن يسأل الله -سبحانه وتعالى- الهداية والتوفيق والصلاح بغض النظر عن حاله، وعلى الإنسان أن يعلم أن الغنى ليس حجة للطغيان، وأن الملك ليس حجة للجبروت والعصيان!، وتعلمنا هذه الأمثلة أن الإنسان هو "موقف"، إن أحسن اتخاذ موقفه ووفق لذلك، كان ممن رضي الله سبحانه وتعالى عنه، وإلا كان من المغضوب عليهم -والعياذ بالله-...، فاحرص على اتخاذ موقفك ونهج حياتك بحذر!، فإنك إما ناجٍ وإما هالك!، فاللهم هدايتك نرجو، ولا حول ولا قوة إلا بك.

٦٧٦. فلْتعلمْ يا أخي أن من أكبر المصائب أن يظن الإنسان أنه على شيء وهو ليس على شيء! فيظن نفسه محسنًا وهو بالباطل منغمس! مثل الذي يسرق ويقطع الطريق ثم يقدم ما سرقه للفقراء! ولْتعلمْ أن الغاية لا تبرر الوسيلة!

٦٧٧. فلْتعلمْ يا أخي أن من إحسان المؤمنين لبعضهم البعض أن يدعو كل واحد منهم لأخيه بظهر الغيب، فقد روى أبو الدرداء -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "ما مِن عبد مُسْلِمٍ يَدْعُو لأَخِيهِ بظَهْرِ الغَيْبِ، إلَّا قالَ المَلَكُ: وَلَكَ بمِثْلٍ."[١]، ولْتعلمْ أن التوجه إلى الله -سبحانه وتعالى- في الدعاء خفية وسرًا قد يكون أعظم وأكثر إخلاصًا منه علنًا! قال تعالى في سورة مريم: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾، ذكر السعدي -رحمه الله-: "وناداه نداء خفيًا، ليكون أكمل وأفضل وأتم إخلاصًا"[٢]، فاللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك رحيم مجيب سميع الدعوات، اللهم آمين.

٦٧٨. فلْتعلمْ يا أخي أن اعتراف الإنسان بضعفه وقلة حيلته أمام عظم جلال الله -سبحانه وتعالى- أمر محمود محبب، فإنك هنا تشهد بضعفك وعجزك أما قوة الله -سبحانه وتعالى- وعظمته وقدرته التي لا مثيل لها!، وهذا من أساليب الدعاء! فتذكر ضعفك وتشهد بقوة الله -سبحانه وتعالى- وقدرته وعظمته، ثم تتذكر نعم الله -سبحانه وتعالى- عليك وتسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يتم عليك إحسانه كما أحسن إليك من قبل، قال تعالى في سورة مريم: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤﴾، قال ابن كثير -رحمه

---

(١) الراوي: أبو الدرداء | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٧٣٢ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة مريم | الجزء السادس عشر | الآية ٣ | الصفحة ٤٨٩ | مؤسسة الرسالة | بيروت

الله-: "المراد من هذا: الإخبار عن الضعف والكبر، ودلائله الظاهرة والباطنة، وقوله (ولم أكن بدعائك رب شقيا) أي: ولم أعهد منك إلا الإجابة في الدعاء، ولم تردني قط فيما سألتك"[١]، فسبحانك ربي ما أعظمك!

٦٧٩. فلْتعلمْ يا أخي أن واحدة من أهم مقاصد الزواج هو حصول النسل الصالح الطيب وتكثير سواد المسلمين البررة!، فبالنسل الصالح تجد من يقف بعدك ناصرًا لدين الله -سبحانه وتعالى- داعيًا له!، وتجد من يدعو لك بعد موتك فترى أجرًا لا ينقطع بدعاء نسلك الصالح لك!، روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "إِذَا مَاتَ الإنْسَانُ انْقَطَعَ عنْه عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، **أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له**."[٢]، وقد كان من جملة دعاء الأنبياء أن يرزقهم الله -سبحانه وتعالى- من الصالحين، قال تعالى في سورة الصافات على لسان نبيه إبراهيم -عليه السلام-: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾، وقال تعالى في سورة مريم على لسان نبيه زكريا -عليه السلام-: ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾، ولْتعلمْ يا أخي أن تمني الولد هو مما تطلبه النفوس الصالحة، وقد أثنى الله -سبحانه وتعالى- على المؤمنين إذ قال في سورة الفرقان: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾، ولْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- إن رزقك الولد الصالح فهذا من النعم العظيمة التي تستلزم دوام الحمد والثناء، وإن لم ترزق بأبناء فهذه أيضًا من النعم العظيمة التي تستلزم دوام

---

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١١٧٩ | تفسير سورة مريم | الآية ٤ | دار ابن حزم | بيروت

(٢) الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ١٦٣١ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

الدعاء لله -سبحانه وتعالى- بأن يرزقك ما تشتهي من الذرية الصالحة، فإن لم يكن ذلك ممكنًا فعليك بدوام حمد الله -سبحانه وتعالى- على نعمته هذه عليك! فهو أعلم وأدرى منك بحالك لو رزقت بهم، فكل ما قدره الله -سبحانه وتعالى- خير ونعمة ورزق منه ورحمة، سواء أدركنا هذا أم لم ندركه! فالحمد لله!، وقد ذكر السيوطي -رحمه الله- في ذم من ترك طلب الولد قولًا جميلًا فقال: "وبعضهم يقول: الذي يريد الولد أحمق، فلا نال الدنيا ولا الآخرة، إن أراد أن يأكل أو ينام أو يجامع نغص عليه، وإذا أراد أن يتعبد شغله أيضًا -غلط عظيم لأنه لما كان مراد الله تعالى من إيجاد الخلق اتصال دوامها إلى أن ينقضي أجلها، حث الله تعالى الآدمي على ذلك تارة من حيث الطبع بإيقاد نار الشهوة، وتارة من باب الشرع بقوله: وأنكحوا الأيامى منكم. وقد طلب الأنبياء الأولاد، وتسبب الصالحون إلى وجودهم، ورب جماع حدث منه ولد صالح كالشافعي وأحمد كانا خيرًا من عبادة ألف سنة، وقد جاء الخبر بإثابة الجماع بقوله ﷺ: وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته وله فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في الحرام كان عليه وزر، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر."(١)، ونحن نقول، اللهم هب لنا من الصالحين، اللهم هب لنا من لدنك وليًّا، اللهم هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين، واجعلنا للمتقين إمامًا...اللهم آمين.

٦٨٠. يا أخي، إياك أن تضيع وقت ابنك فيما لا ينفع! بل اجعل وقته مليئًا بالكنوز الثمينة التي تجعله أقرب إلى الله -سبحانه وتعالى- وأنفع لنفسه

---

(١) منقول بتصرف من كتاب الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع | جلال الدين السيوطي | الطبعة الأولى | الصفحة ٢١٤ - ٢١٦ | فصل الزواج: بدعية تركه وحكمه | الجزء: ذم ترك طلب الأولاد | دار ابن القيم | الدمام

وللمسلمين!، وليكن الإقبال على كتاب الله -سبحانه وتعالى- وسنة نبيه ﷺ من أولى أولويات طفلك العقلية والقلبية، واجعل الرياضة من أولى أولوياته الجسدية! وفي هذا كسب عظيم على مستوى العقل والقلب والجسد! وقد روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: **"الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى الله مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وفي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ علَى ما يَنْفَعُكَ،** وَاسْتَعِنْ باللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وإنْ أَصَابَكَ شيءٌ، فلا تَقُلْ لو أَنِّي فَعَلْتُ كانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ الله وَما شَاءَ فَعَلَ، فإنَّ لو تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ."[١]، ففي هذا الحديث الشريف توصية طيبة، ففيه جمع بين الإيمان وبين القوة التي يمكن أن تشمل معاني كثيرة منها صلابة الجسد وقوته، ومنها عزيمة الإنسان وهمته، ومنها ما يملك الإنسان فيكون قوة له تحثه على الخير وتعينه على ذلك...، وإياك من أن يكون وقت طفلك ومصدر علمه المسلسلات والأفلام!، وإياك من أن يكون وقته فارغًا من أي عمل! وإياك أن يكون قدوته الممثلين والممثلات والمشاهير من أهل المجون، فهذا والله خسران واضح مبين! والله المستعان.

٦٨١. فلْتعلمْ يا أخي أن العفة هي زينة الرجال والنساء!، ولْتعلمْ أن هذه الزينة كلما ازدادت وعظمت ازداد جمالها وعَظُم!، ولْتعلمْ أن المرأة العفيفة هي كنز من كنوز هذه الدنيا! وقد كرّم الله -سبحانه وتعالى- مريم -عليها السلام- فذكرها في كتابه العزيز لأجل ما كان منها من سعي فاضل في عبادة الله -سبحانه وتعالى- وعفة عظيمة بذلتها في البعد عن الفحش وأسبابه! قال تعالى في سورة مريم: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٦٦٤ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾، فسبحان الله العظيم الذي جعل من عفتها وقصتها ذكرًا يتذاكره المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، وفي الليل والنهار، وفي أعظم كتاب على وجه هذه الأرض! وقد قال سبحانه وتعالى في سورة التحريم: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ وقال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾، هذه الآيات العظيمة كلها تشهد وتعظم عفة مريم -عليها السلام-، وتحث النساء على أن يقتدوا بها وأن يسيروا على خطاها!، ولقد ذكر ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ أي: لما تبدى لها الملك في صورة بشر، وهي في مكان منفرد وبينها وبين قومها حجاب، خافته وظنت أنه يريدها على نفسها، فقالت: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ أي: إن كنت تخاف الله. تذكير له بالله، وهذا هو المشروع في الدفع أن يكون بالأسهل فالأسهل، فخوفته أوّلا بالله، عز وجل"(١)، ثم انظر لعظم الثواب الذي جعله الله -سبحانه وتعالى- لهذه العفة بأن جعل لها معجزة من معجزاته الخالدة، فرزقها الله -سبحانه وتعالى- رسول كريم وآية من آياته على هذه الأرض! قال تعالى في سورة يس: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾، فسبحان من خلق آدم -عليه السلام- من غير أب ولا أم، وسبحان من

---

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١١٨٢ | تفسير سورة مريم | الآية ١٨ | دار ابن حزم | بيروت

خلق عيسى -عليه السلام- من أم بغير أب!

٦٨٢. فلْتعلمْ يا أخي أن الصمت في بعض المواقف أعظم وأسمى من الخطاب والمجادلة! ولْتعلمْ أن بالصمت قد ينال ما لا يناله بالكلام!

٦٨٣. يا أخي أحسن الظن والتمس الأعذار إن رأيت من غيرك عجبًا لا تفهمه! فقد يخفى عليك من العلم بحالهم ما يجعلك تظلمهم وتفتري عليهم السوء لجهلك بما أُخفي عنك! قال ابن سيرين -رحمه الله-: "إذا بلغك عن أخيك شيء فالتمس له عذرًا، فإن لم تجد له عذرًا فقل: لعل له عذرًا"(١).

٦٨٤. فلْتعلمْ يا أخي "إنَّك لنْ تَدَعَ شَيئًا للهِ إلَّا بدَّلَك الله به ما هو خَيرٌ لك منه"(٢)، فمن ترك شيئًا لله -سبحانه وتعالى- عوضه الله -سبحانه وتعالى- خيرًا مما ترك!، لهذا إن أتاك عمل فيه حرام فاتركه لله -سبحانه وتعالى- وتأكد بأن الله -سبحانه وتعالى- سيبدلك خيرًا منه في الدنيا أو/ و الآخرة، وكذلك في أي أمر من أمور هذه الدنيا الفانية!...ولا حول ولا قوة إلا بالله!

٦٨٥. يا أخي، فليكن قلبك محبًا لأخيك من صلب أبيك ومن غير صلبه -أي أخوة الإسلام-! وليكن لسان حالك الدعاء لهم في كل خير تتمناه لنفسك! وتستعيذ بالله -سبحانه وتعالى- من أن يصيبهم أي سوء كما تتمنى ألا يصيبك من ذلك شيء! ومن أظهر الأمثلة لمثل هذا ما طلبه موسى -عليه السلام- لهارون -عليه السلام-!

---

(١) كتاب شعب الإيمان | أبي بكر البيهقي | الطبعة الأولى | الجزء السادس | الصفحة ٣٢٣ | باب في حسن الخلق | فصل في ترك الغضب | دار الكتب العلمية | بيروت

(٢) الراوي: رجال من الصحابة | المحدث: شعيب الأرناؤوط | المصدر: تخريج المسند الصفحة أو الرقم: ٢٣٠٧٤ | خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح التخريج: أخرجه أحمد (٢٣٠٧٤) واللفظ له، وأبو عبيد في «الخطب والمواعظ» (٧)، وهناد في «الزهد» (٢/ ٤٦٦)

فقد طلب من الله -سبحانه وتعالى- أن يهبه النبوة! هذه هي النفوس المخلصة والقلوب الصادقة النقية الطاهرة! ذكر ابن كثير -رحمه الله-: "قال بعض السلف: ما شفع أحد في أحد شفاعة في الدنيا أعظم من شفاعة موسى في هارون أن يكون نبيًا"(١)، فاللهم طهر قلوبنا واجعلنا من عبادك المخلصين، اللهم آمين.

٦٨٦. يا أخي، فلتكن مقيمًا لأمر الله -سبحانه وتعالى- في نفسك قبل غيرك! فإن أقمته فانصح أهلك ليقيموا ذلك في نفوسهم أيضًا! وهذا يكون بحثهم على طاعة الله -سبحانه وتعالى-، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر! قال تعالى في سورة التحريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾﴾، ومن خير من مدحه الله -سبحانه وتعالى- في هذا الأمر سيدنا إسماعيل -عليه السلام- في سورة مريم: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾﴾، وقد روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "رحِمَ الله رجلًا قامَ منَ اللَّيلِ فصلَّى وأيقظَ امرأتَهُ فصلَّت فإن أبَت نضحَ في وجهِها الماءَ رحِمَ الله امرأةً قامَت منَ اللَّيلِ فَصلَّت وأيقَظَت زَوجَها فإن أبَى نضَحَت في وجهِهِ الماءَ"(٢)، فهذا الحديث الشريف فيه لفتة طيبة لأن يشجع الأهل بعضهم بعضًا على القيام بالعبادات والطاعات، وأن يلاطفوا بعضهم بعضًا حتى يتشجعوا على القيام بالنوافل والطاعات، ونعم الأهل من كان حالهم مثل هذا! وقد

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١١٩١ | تفسير سورة مريم | الآية ٥٣ | دار ابن حزم | بيروت

(٢) الراوي: أبو هريرة | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح أبي داود الصفحة أو الرقم: ١٤٥٠ | خلاصة حكم المحدث: حسن صحيح

روى أبو سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "مَن استَيقظَ مِن اللَّيلِ وأيقظَ امرأتَهُ فصلَّيا ركعتَينِ جميعًا كُتِبا مِن الذَّاكرينَ الله كثيرًا والذَّاكراتِ"[١]، فاللهم اجعل بيوتنا بيوتًا عامرة بالإيمان، ذاكرة لله -سبحانه وتعالى- آناء الليل وأطراف النهار، اللهم آمين.

٦٨٧. يا أخي، عوّد نفسك على سماع ما هو مفيد ونافع، وابتعد عن سماع ما لا ينفعك!، وابتعد عن سماع التافه من القول، وابتعد عن سماع ما يضرك أو يؤذيك!، وما تأثم عليه! ويكفي أن من نعيم الجنة التي وصفها الله -سبحانه وتعالى- لنا في سورة مريم: ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ٦٢﴾، فكانت هذه من النعم العظيمة في الآخرة، فمن استطاع أن يمنع سمعه ما استطاع عن كل لغو نال جزء من هذا النعيم في قلبه وعقله! ولتكن حال حواسك كلها كذلك!

٦٨٨. فلْتعلمْ يا أخي أن من نعم الله -سبحانه وتعالى- على عباده المؤمنين غرس المحبة لهم في قلوب الصالحين! فقد روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "إِذَا أَحَبَّ الله العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ الله يُحِبُّ فُلَانًا فأحْبِبْهُ، فيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فيُنَادِي جِبْرِيلُ في أهْلِ السَّمَاءِ: إنَّ الله يُحِبُّ فُلَانًا فأحِبُّوهُ، فيُحِبُّهُ أهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ له القَبُولُ في الأرْضِ."[٢]، وقال تعالى في سورة مريم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾، ولْتعلمْ أن من أحبه الله -سبحانه وتعالى- فقد فاز والله، ومن أبغضه الله -سبحانه وتعالى- فقد خسر والعياذ بالله!،

---

(١) الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح أبي داود الصفحة أو الرقم: ١٤٥١ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

(٢) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٣٢٠٩ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

فمن كان مؤمنًا محبوبًا في الدنيا فإنه محبوب في الآخرة بإذن الله -سبحانه وتعالى-، فاللهم اجعلنا ممن أحببت، وحبب فينا عبادك الصالحين، وحببنا فيهم، ولا حول ولا قوة إلا بك.

٦٨٩. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- ما أرسل الرسل، وما أنزل الكتب، وما شرع الشرائع إلا لنعبده كما أمر، لنصل بذلك للسعادة في الدنيا والآخرة! ولنعلم كيف يمكننا أن نحيا في هذه الحياة، وكيف يمكننا أن نغذي قلوبنا وأرواحنا، وكيف يمكننا أن ننمي عقولنا ونحفظ أبداننا!، وليس المقصود بذلك كله أن يشقى الإنسان! بل إن شقيت وعجزت علمت أنك إما مخطئ وإما جاهل فيما تقوم به من أعمال! ومن هذا ألا يشق الإنسان على نفسه فيما لا يقدر عليه مثل من يريد أن يصوم فلا يفطر، فدين الله -سبحانه وتعالى- دين سمح!، لا إفراط ولا تفريط، فلا تشق على نفسك ما لم تؤمر به وما لا تقدر عليه!، ولْتعلمْ أن لكل واحد منا ما يميزه عن الآخر، فتجد أحدنا نشط في صيام النوافل، وآخر في قراءة القرآن، وآخر في قيام الليل...إلى آخره، فاللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

ملاحظة: المراد بالمشقة هو كل عمل تعجز عنه قوى الإنسان، فتحمّل نفسك وجسدك ما لا يستطيع تحمله!

٦٩٠. قال تعالى في سورة طه: ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾، ذكر ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره: "وقوله: ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ المراد بهذا الخطاب آحاد المكلفين، أي: لا تتبعوا سبيل من كذّب بالساعة، وأقبل على ملاذه في دنياه، وعصى مولاه، واتبع هواه، فمن

وافقهم على ذلك فقد خاب وخسر"[١]، وهنا إشارة مهمة لضبط بوصلة القدوة لتكون موجهة لمن هو مؤمن صادق غير متبع لهواه!، لا قدوة نتنة يفوح منها كل كريه!، وقد روى أبو سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن قَبْلَكُمْ شِبْرًا بشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بذِرَاعٍ، حتَّى لو سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قُلْنَا يا رَسُولَ اللهِ: اليَهُودَ، وَالنَّصَارَى قالَ: فَمَنْ."[٢]، لذلك يا أخي اضبط البوصلة، واحفظ قلبك وبدنك من كل ما يصدك عن عبادة الله -سبحانه وتعالى- وشريعته، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٦٩١. قال تعالى في سورة طه على لسان نبيه موسى -عليه السلام-: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾﴾، قال البغوي -رحمه الله-: "(قال) موسى: ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾ وسعه للحق، قال ابن عباس: يريد حتى لا أخاف غيرك، وذلك أن موسى كان يخاف فرعون خوفًا شديدًا لشدة شوكته وكثرة جنوده، وكان يضيق صدرًا بما كُلف من مقاومة فرعون وحده، فسأل الله أن يوسع قلبه للحق حتى يعلم أن أحدًا لا يقدر على مضرته إلا بإذن الله، وإذا علم ذلك لم يخف فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده."[٣]، فإن علمت هذا يا أخي، علمت أنك محتاج لأن تسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يوسع عليك صدرك فلا تهاب ما ستقدم عليه، ولا يتكدر قلبك ويضيق صدرك فتفشل قبل أن تؤدي ما ترغب بتأديته!، ومن هذا فنحن نسأل الله

---

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٢٠٨ | تفسير سورة طه | الآية ١٦ | دار ابن حزم | بيروت

(٢) الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٣٤٥٦ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٣) كتاب معالم التنزيل (تفسير البغوي) | أبي محمد البغوي | المجلد الخامس | تفسير سورة طه | الصفحة ٢٧٠ | الآية ٢٥ | دار طيبة | الرياض

-سبحانه وتعالى- أن يشرح صدورنا عند ذهابنا للامتحان حتى لا تضيق صدورنا فتنكمش عقولنا رهبة من بضعة أسئلة، ومنها عند مقابلة العمل، ومنها عند الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى-، ومنها عند الإصلاح بين الناس،...إلى آخره، ولا ننسى أن نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يفتح لنا سبل الخير ويسهلها لنا حتى نصل إلى ما نحتاجه بعد أن يشرح الله -سبحانه وتعالى- صدورنا لما ننوي القيام به!، فيا ربي يا رحمن، اشرح صدورنا للإيمان، ويسر لنا أمرنا في طاعتك، ولا حول ولا قوة إلا بك.

٦٩٢.فلْتعلمْ يا أخي أن القول اللين، السهل الذي يصل إلى القلوب قبل الآذان، الذي لا فُحش فيه ولا قدح ولا فظاظة، والمليء بالعلم والحكمة، هو القول المحبب عند دعوة الناس إلى الله -سبحانه وتعالى-، قال تعالى في سورة طه: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾، وقال تعالى في سورة النحل: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾، وقال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ... ﴿١٥٩﴾ ﴾، فإن علمت هذا، وعلمت أن هذه الوصايا كانت لخير البشر، علمت ما لها من الأثر في القلوب والنفوس، و**علمت أنها أول طريق الدعوة، وأول السبل لجذب القلوب،** وهذا كله يكون عند مقام الدعوة، أما ما كان في مقام الإنكار، فقد يحتاج الداعي إلى الله -سبحانه وتعالى- إلى الشدة أو التوبيخ أو الحزم أو التعنيف أيضًا، ومن هذا قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾، فكانت هنا الدعوة في مجاهدتهم والحرص على الغلظة عليهم!، وهذا كله بما تقتضيه المصلحة بحسب الحال، ومن الأمثلة كذلك على الحزم والتوبيخ قال عليه الصلاة والسلام: "بِئْسَ الخَطِيبُ أَنْتَ"، ومع أن

الأمثلة كثيرة في كتاب الله -سبحانه وتعالى- على اللين والشدة، فكثير من المتساهلين يأخذون جزء من النص ويتركون جزء آخر، فكثير من الناس يستشهدون بقوله تعالى في سورة طه: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ وهي مقام دعوة، ثم يتجاهلون قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾، وهذا مقام إنكار! ويتناسون حزم سيدنا موسى -عليه السلام- مع سيدنا هارون -عليه السلام- في سورة الأعراف: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾، وهذه دعوة طيبة لإعطاء لكل مقام حقه، فيوازن في الدعوة والإنكار بين اللين والحزم، والرحمة والشدة، ونحو ذلك بما تقتضيه المصلحة حسب الحال، والأمر كله لله -جل في علاه-، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٦٩٣. فلْتعلمْ يا أخي أن الخوف هو من الطبائع البشرية التي قد تصيب أي إنسان في أي زمان وأي مكان وفي أي حال!، فإن اشترك البشر في وجود الخوف في قلوبهم فإنهم يختلفون في كيفية التعامل مع هذا الخوف وإلى ما سيقودهم!، فمنهم من يُوفق فيربط على قلبه ومنهم من يجزع جزعًا يفقده عقله!، ومنهم من يأتيه الخوف بدرجة خفيفة على شكل هواجس تصيب القلب وما تلبث أن تذهب، ومنها ما يصيب القلب ويستقر فيه ما شاء الله -سبحانه وتعالى- له أن يكون! لهذا يا أخي، إن علمت أن وجود الخوف من الطبائع البشرية علمت أنك يجب أن تحاربه حتى لا يظل في قلبك فيستقر، فإن لم تستطع ذلك قللت من أثره، وأهم طريق يحد من الخوف هو العلم -نقيض الجهل- أو المعرفة بالأمر الذي يخيفنا، ففي الأثر: "الإنسان عدو ما يجهل"، ويمكننا القول أن الذي يجب أن يكون مزروعًا في عقولنا

وقلوبنا في بادئ الأمر هو ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ﴾، ثم العلم بماهية الشيء الذي يخيفنا وكيف يمكن التعامل معه، فمن جهل أمرًا خاف منه، فمثلًا من يخاف من القطط لو علم أن هذه القطة لن تؤذيه إن لم يؤذِها وأنه يمكن أن يمر بجانبها وأن تمر بجانبه دون أدنى مشكلة لخف عنه ما يشعر به، ثم العلم بالنفس -أي ما أدركه عن ذاتي- فهذا مهم لتحديد ما أخاف منه، وكيف سأتعامل معه، وكيف يمكنني تدريب نفسي على مكافحة هذا الخوف، لأن من علم ضعفه أدرك الحل!، ومن علم ضعفه أدرك مواطن ضعفه فلا يقتحمها حتى يعالجها، فإن هي اقتحمته قبل ذلك كان عالمًا بأن ما يصيبه لن يكون إلا ما أراده الله -سبحانه وتعالى- وقدره، وإليه اللجوء، وبعلم الإنسان المسبق بالضعف الذي يعتريه وماهيته سيقل جزعه لأنه مدرك له! لهذا يا أخي، كن شجاعًا لتتخلص من خوفك، تعلم وانبذ جهلك ليطمئن قلبك، قال تعالى في سورة طه: ﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ ﴾، فهنا أوجس سيدنا موسى -عليه السلام- خوفًا -إما من الطبيعة البشرية أو خوفًا على الناس من أن يضلوا- إلا أن الله -سبحانه وتعالى- أوحى إليه لاتخف، إنك أنت الأعلى الذي ستقهرهم وستظهر عليهم، فعندما علم ذلك ذهب عنه هذا الهاجس والحمد لله. اللهم إنا نعوذ بك من الخوف صغيره وكبيره، اللهم اربط على قلوبنا وثبتنا فإنه لا حول ولا قوة إلا بك.

٦٩٤. يا أخي، إن علمت الحق وأيقنت به، فلا تنتظر الإذن من أحد حتى تسير على ما علمت وأيقنت! ومن أجمل الأمثلة التي ضربت في مثل هذه المواقف ما ذكره -سبحانه وتعالى- في سورة طه: ﴿ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ

ٱلدُّنۡيَآ ﴿٧٢﴾﴾، أي وقعوا سجدًا لله -سبحانه وتعالى- فورًا ولم ينتظروا إذن فرعون -لعنه الله-، وبدلًا من أن يخضع فرعون -لعنه الله- لما رآه من آية بينة، استكبر وقاد قومه إلى الضلال، ثم زاد على ذلك بأن اتهم من جمعهم بالباطل ليطبق عليهم عقوبة باطلة فيها من الوعيد والترهيب ما تقشعر منه الأبدان! إلا أنهم بعد أن علموا الحق، وسألوا الله -سبحانه وتعالى- الثبات، لم يعد يعنيهم أمر فرعون -لعنه الله- وقضائه!، فإن ما هو قادر عليه معلوم، ولا يقدر على أكثر من ذلك! فسبحان من هدى القلوب وسبحان من ثبتها وسبحان من أزاح عنها الخوف، وسبحان من رزقها النعيم الأبدي، فسبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

٦٩٥. فلْتعلمْ يا أخي أن الإسلام يجب ما قبله، وهذا من فضل الله -سبحانه وتعالى- ورحمته بالبشر، فلم يؤاخذ الكافر الذي أسلم على ذنوبه التي فعلها قبل الإسلام، بل عفا عنه وأسقط ذنبه ورحمه! فسبحان الرحمن الرحيم! ونستأنس بما رواه ابن شماسة -رحمه الله- قال: "حَضَرْنا عَمْرَو بنَ العاصِ، وهو في سِياقَةِ المَوْتِ، يَبْكِي طَوِيلًا، وحَوَّلَ وجْهَهُ إلى الجِدارِ، فَجَعَلَ ابنُهُ يقولُ: يا أبَتاهُ، أما بَشَّرَكَ رَسولُ الله ﷺ بكَذا؟ أما بَشَّرَكَ رَسولُ الله ﷺ بكَذا؟ قالَ: فأقْبَلَ بوَجْهِهِ، فقالَ: **إنَّ أفْضَلَ ما نُعِدُّ شَهادَةُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ**، إنِّي قدْ كُنْتُ علَى أطْباقٍ ثَلاثٍ، لقَدْ رَأَيْتُنِي وما أحَدٌ أشَدَّ بُغْضًا لِرَسولِ الله ﷺ مِنِّي، ولا أحَبَّ إلَيَّ أنْ أكُونَ قَدِ اسْتَمْكَنْتُ منه، فَقَتَلْتُهُ، فلوْ مُتُّ علَى تِلكَ الحالِ لَكُنْتُ مِن أهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ الله الإسْلامَ في قَلْبِي أتَيْتُ النبيَّ ﷺ، فَقُلتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلأُبايِعْكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي، قالَ: ما لكَ يا عَمْرُو؟ قالَ: **قُلتُ: أرَدْتُ أنْ أشْتَرِطَ، قالَ: تَشْتَرِطُ بماذا؟ قُلتُ: أنْ يُغْفَرَ لِي، قالَ: أما عَلِمْتَ أنَّ الإسْلامَ يَهْدِمُ ما كانَ قَبْلَهُ؟ وأنَّ الهِجْرَةَ تَهْدِمُ ما كانَ قَبْلَها؟ وأنَّ الحَجَّ يَهْدِمُ ما كانَ قَبْلَهُ؟** وما كانَ أحَدٌ أحَبَّ إلَيَّ مِن

رَسولِ الله ﷺ، ولا أجَلَّ في عَيْنِي منه، وما كُنْتُ أُطِيقُ أنْ أمْلأَ عَيْنَيَّ منه إجْلالًا له، ولو سُئِلْتُ أنْ أصِفَهُ ما أطَقْتُ؛ لأنِّي لَمْ أكُنْ أمْلأُ عَيْنَيَّ منه، ولو مُتُّ علَى تِلكَ الحالِ لَرَجَوْتُ أنْ أكُونَ مِن أهْلِ الجَنَّةِ، ثُمَّ ولِينا أشْياءَ ما أدْرِي ما حالِي فيها، فإذا أنا مُتُّ فلا تَصْحَبْنِي نائِحَةٌ، ولا نارٌ، فإذا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّراب شَنًّا، ثُمَّ أقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ ما تُنْحَرُ جَزُورٌ ويُقْسَمُ لَحْمُها، حتَّى أسْتَأْنِسَ بكُمْ، وأَنْظُرَ ماذا أُراجِعُ به رُسُلَ رَبِّي."(١)، فالحمد لله على رحمته، الحمد لله.

٦٩٦. فلْتعلمْ يا أخي أن الإنسان عليه أن يزكي نفسه!، وتزكية النفس هي تنقية القلوب مما يشوبها من خبائث والعمل على إنماء ما في القلب من خيرات!، ومن زكيت روحه أزهرت من جسده الروائح الطيبة، فلا يغدو مكانًا إلا ويبقى له فيه أثرٌ طيبٌ! وسميت الزكاة زكاة لأنها نماء وزيادة، قال تعالى في سورة طه: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾، فإن زكيت نفسك وأتيت الله -سبحانه وتعالى- مؤمنًا تعمل الصالحات فأنت ممن لهم الدرجات العلى بإذن الله -سبحانه وتعالى-، في جنات تجري من تحتها الأنهار!، ولْتعلمْ يا أخي أن من زكى نفسه أدرك أهمية وجوده، وأدرك أهمية تنمية نفسه في هذا الوجود، وأدرك أهمية ما يقوم به من أعمال، فهو لم يخلق عبثًا، ولم يكن إمعة ولا شيطانًا، ولم تكن أعماله مجرد أعمال مادية ولا أعمال بلا حساب!، فيا رب اجعلنا ممن آمن بك فتزكى!، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ملاحظة: التزكية لغة تعني التطهير، وتأتي بمعنى الزيادة، وبهذا يكون المعنى

---

(١) الراوي: ابن شماسة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ١٢١ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

الاصطلاحي بأبسط صوره: هو تطهير النفس والبدن من كل رجس ودنس وباطل، والزيادة في الخيرات والطاعات، وهذه التزكية لا تعني رفع النفس فوق قدرها لتنال مديح من الناس أو لتظهر عليهم أو حتى الادعاء بأن الله -سبحانه وتعالى- سيغفر ذنب هذه النفس بلا وجه حق، كما قالت اليهود والنصارى من قبل! قال تعالى في سورة النساء: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾.

٦٩٧. احذر يا أخي من كل ضال مضل، صاحب سطوة ولسان، احذرهم فإنهم لن يهدوك إلى الحق أبدًا، ولن يأخذوا بيدك لطريق النجاة أبدًا!، واستحضر قصة فرعون -لعنه الله- كيف أضل قومه وما هداهم، قال تعالى في سورة طه: ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ ﴾، فاحذر من فرعون كل زمان! مهما كان لقبه ومهما كانت سطوته وقدرته على التأثير فيك! والله المستعان.

٦٩٨. قال تعالى في سورة طه: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾، ذكر السعدي -رحمه الله- قولًا جميلًا في تفسير هذه الآية، فقال: "ولما كانت عجلته ﷺ، على تلقف الوحي ومبادرته إليه، تدل على محبته التامة للعلم وحرصه عليه، أمره الله تعالى أن يسأله زيادة العلم، فإن العلم خير، وكثرة الخير مطلوبة، وهي من الله، والطريق إليها الاجتهاد، والشوق للعلم، وسؤال الله، والاستعانة به، والافتقار إليه في كل وقت. ويؤخذ من هذه الآية الكريمة، الأدب في تلقي العلم، وأن المستمع للعلم ينبغي له أن يتأنى ويصبر حتى يفرغ المملي والمعلم من كلامه المتصل بعضه ببعض، فإذا فرغ منه سأل إن كان عنده سؤال، ولا يبادر بالسؤال وقطع كلام ملقي العلم، فإنه سبب للحرمان، وكذلك المسئول، ينبغي له أن يستملي سؤال السائل، ويعرف المقصود

منه قبل الجواب، فإن ذلك سبب لإصابة الصواب."[١]، فسبحان العليم الذي حثنا على العلم وطلبه! فإن علمت هذا يا أخي؛ اسعَ بكل جوارحك لتجمع ما استطعت من العلوم النافعة وأعظمها العلم بالقرآن الكريم، واسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يزيدك علمًا وإيمانًا ويقينًا، والحمد لله رب العالمين!

٦٩٩. فلْتعلمْ يا أخي أن الإنسان من طبعه النسيان، لكن الله -سبحانه وتعالى- من رحمته بنا عفا عمن نسي ولم يؤاخذه بما نسي! ونستأنس هنا بما روي عن عبد الله بن العباس -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: "إنَّ الله تعالى وضع عن أُمَّتي الخطأَ، **والنسيانَ**، وما اسْتُكرِهوا عليه"[٢]، وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦** ﴾، لكن قد يترتب على هذا النسيان أحكام أيضًا، مثلًا من نسي أداء الصلاة وخرج وقتها ثم تذكرها، وجب عليه قضاؤها! روى أنس بن مالك -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ: "مَن نَسِيَ صَلَاةً، أَوْ نَامَ عَنْهَا، فَكَفَّارَتُهَا أَنْ يُصَلِّيَهَا إِذَا ذَكَرَهَا"[٣]، فالحمد لله رب العالمين.

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة طه | الجزء السادس عشر | الآية ١١٤ | الصفحة ٥١٤ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الجامع الصفحة أو الرقم: ١٨٣٦ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

(٣) الراوي: أنس بن مالك | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٦٨٤ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

٧٠٠.قال تعالى في سورة طه: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾، هذه الآية الكريمة فيها تحذير ووعيد، وهي من الآيات الكريمة، التي يخشى الإنسان على نفسه من أن تُصيبه! فكل إنسان أعرض عن ذكر الله -سبحانه وتعالى-، من خلال مخالفة أوامره -جل في علاه-، ثم اتبع الباطل من دون الحق، وكذّب بالله -سبحانه وتعالى- أو بكتبه أو برسله -عليهم السلام- دخل في هذه الآية -نسأل الله سبحانه وتعالى السلامة-، والضنك كلمة شديدة، تصف حالة شديدة! فهي تشير إلى الضيق والشقاء، إلى الهم والغم والحزن، إلى الآلام وما يلحق بالإنسان من عذاب -والعياذ بالله-! هذا الضنك قد يصيب الباطن دون الظاهر، وقد يصيب الظاهر والباطن! وقيل: لا يُعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه، وكان في عيشة ضنك، لذلك يا أخي، لا تكن كحال من أعرض عن ذكر الله -سبحانه وتعالى-، ولا تتشبه بهم! وابقَ دوما ذاكرًا لله -سبحانه وتعالى-، مجتهدًا، وأفضل ما يُذكر الله -سبحانه وتعالى- به هو ما فرضه علينا، ثم ما قدّرك الله -سبحانه وتعالى- عليه من النوافل، وعليك بكتاب الله -سبحانه وتعالى-، فإن القرآن شفاء لما في الصدور! فإن شفي ما في صدرك؛ وجدت ذلك من أعظم النعم التي رُزقتها بفضل من الله -سبحانه وتعالى- وتوفيقه! وهذا مدعاة للعمل والنشاط، وترك الكسل والخمول، ورفع الهمم...، فاللهم اجعلنا ممن يذكرك كثيرًا ويسبحك كثيرًا، ولا حول ولا قوة إلا بك.

٧٠١.قال تعالى في سورة طه: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾، ذكر السعدي -رحمه الله- في تفسيره: "أي: لا تمد عينيك معجبًا، ولا تكرر النظر مستحسنًا إلى أحوال الدنيا والممتعين بها، من المآكل والمشارب اللذيذة، والملابس الفاخرة، والبيوت

المزخرفة، والنساء المجملة، فإن ذلك كله زهرة الحياة الدنيا، تبتهج بها نفوس المغترين، وتأخذ إعجابًا بأبصار المعرضين، ويتمتع بها -بقطع النظر عن الآخرة- القوم الظالمون، ثم تذهب سريعًا، وتمضي جميعًا، وتقتل محبيها وعشاقها، فيندمون حيث لا تنفع الندامة، ويعلمون ما هم عليه إذا قدموا في القيامة، وإنما جعلها الله فتنة واختبارًا، ليعلم من يقف عندها ويغتر بها، ومن هو أحسن عملًا"(١)، وهذا الكلام جميل وخطير، فمن نظر إلى حال كثير من ناس وجدهم يتوقون لما عند بعض أهل الفساد والإفساد من مال كثير وفير، ويتمنون أن يصيروا إلى ما صاروا إليه! مع أن كل عاقل ذي قلب نقي يرى منهم كل كريه، فلا يطيق حالهم، ولا يتمنى مالهم بما تقتضيه أحوالهم! وهذه الآية الكريمة، وأحوال الناس في هذا الوقت، تذكرنا بقول الله -سبحانه وتعالى- في سورة القصص: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾، هذه الآيات العظيمة تبين لنا حال الناس بين من آتاه الله -سبحانه وتعالى- العلم وبين من أراد الحياة الدنيا ونسي الآخرة، فمن عرف أن الله -سبحانه وتعالى- هو من يبسط الرزق ويقدر، اطمئن قلبه وعلم أن ما آتاه الله -سبحانه وتعالى- من خير هو له، وما لم يأته هو خير له، لأن الله -سبحانه وتعالى- هو الحكيم العليم بأحوال عباده، وكفى للإنسان نعمة أن ينجو من الكفر وأن يكون

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة طه | الجزء السابع عشر | الآية ١٣١ | الصفحة ٥١٦-٥١٧ | مؤسسة الرسالة | بيروت

في زمرة المؤمنين الذين أنجاهم الله -سبحانه وتعالى- من ظلمات الكفر، وهذا لا ينفي أهمية السعي لكسب المال الحلال، والسعي للغنى، لكن بعد أن يدرك الإنسان أن هذا الكسب وهذا المال هو وسيلة ونعمة وبلاء، والعاقل من أدرك أسباب النجاة، والجاهل من باع أخراه بدنياه، والحمد لله رب العالمين.

٧٠٢. فلْتعلمْ يا أخي أن الموت قادم لا محالة!، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، ولْتعلمْ أن الموت قد اقترب، وأن الساعة قد اقتربت، وأن الحساب قد اقترب! فلا تركن للدنيا فتكن هي همك وملء قلبك!، وحاسب نفسك قبل أن تحاسب!، واعمل من الخير والصالحات كأنك علمت موعد موتك! ونستأنس بما رواه أنس بن مالك -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "من كانتِ الآخرةُ هَمَّهُ جعلَ الله غناهُ في قلبِهِ وجمعَ لَه شملَهُ وأتتهُ الدُّنيا وَهيَ راغمةٌ، ومن كانتِ الدُّنيا همَّهُ جعلَ الله فقرَهُ بينَ عينيهِ وفرَّقَ عليهِ شملَهُ، ولم يأتِهِ منَ الدُّنيا إلَّا ما قُدِّرَ لَهُ"[١]، وقال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ۝١﴾، يقول إبراهيم السكران -رحمه الله-: "حين يتمعّن الإنسان في هذه الحقيقة الكبرى، حقيقة الموت؛ تسري به سلسلة التساؤلات إلى هذه المفارقة التي نعيشها يوميًا، أعني التناقض بين العقيدة والسلوك، إذا كُنَّا نؤمن فعلًا بأن لحظة توديع الدنيا قريبة مِنَّا، قريبة مِنَّا جدًا، إنها لحظة بالأبواب، إنها على طرف الثمام، وقد أخذت أعدادًا ممن ساكنونا وآكلونا وناقشونا وزاملونا ودرّسونا؛ فكيف يا تُرى نغفل ونحن نرى أخبار الموتى لا تتوقف؟"[٢]، وفعلًا إن هذا لشيء عجيب! كيف يمكن للإنسان أن يستمر في غفلته

(١) الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترمذي الصفحة أو الرقم: ٢٤٦٥ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

(٢) كتاب رقائق القرآن | إبراهيم السكران | ذهول الحقائق | الصفحة ١٩ | الطبعة الأولى | دار الحضارة

مع علمه بقرب أجله؟! كيف يمكن له أن يركن إلى ما تبقى من عمره وهو لا يعلم مقدار ما تبقى له؛ آخذًا بالأمل مؤجلًا للعمل؟!، وقال تعالى في سورة المؤمنون: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٠٠﴾، وقال تعالى في سورة النساء: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٨﴾، لذلك يا أخي، اعلم أنك الآن في فسحة، يمكنك الرجوع والتوبة، يمكنك التصدق وفعل الخيرات، يمكنك مواصلة طريقك بالأعمال الصالحة، وذلك حتى يأتيك الموت!، فإنها فرصة قد أوتيتها! فإن علمت هذا فاجعل الآخرة هي همك، تأتك الدنيا رغما عنها! ومن عمر قلبه بالإيمان، بني جسده وقوي على الأعمال! ومن علم أن الموت قريب، لم يركن إلى ما قدم بل يشد على إزاره حتى يبقى كما كان، بل وأفضل! فاللهم نسألك حسن الخاتمة.

٧٠٣. يا أخي، لا تأخذ ما يأتيك من الحق ومن العلم هزوًا ولعبًا! فتتجاهل ما يُلقى إليك، فلا تنصت لما أتاك من الحق ومن العلم! وإن أنصت لم تعتبر ولم تتعظ ولم تتعلم وتشاغلت عما وصل إليك! وهذا كله مضيعة للعلم، وزيادة في الجهل! فمن أراد التعلم أنصت، ومن أراد العظة أنصت، ومن أراد الجهل تجاهل وتشاغل!

٧٠٤. فلْتعلمْ يا أخي أن الجاهل لا يُستفتى في أمر هو جاهله! بل الفتيا تكون من أهل العلم والاختصاص دون غيرهم! قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣﴾.

٧٠٥. فلْتعلمْ يا أخي أن الكتب كنوز دفينة، فيها من الخبايا والمفاجآت ما

تُذهل العقول! لكن هذه الكنوز ستبقى دفينة ما لم تستخرجها! واستخراجها يكون بقراءتها والتفكر بما وجدت فيها من خبايا! وخير كتاب وأنفع كتاب هو القرآن الكريم! كنوزه عظيمة، ومفاجآته مبهرة! ولْتعلمْ أن الكتب نوعان، كتب مفيدة تثري صاحبها وتنفعه! وكتب تُفقر صاحبها وتضره! لذلك ابحث عن كنزك بحرص، حتى تجد ما يذهلك!

٧٠٦. فلْتعلمْ يا أخي أن كل ما يلقيه أهل الباطل من شبهات ليست سوى شبهات باطلة، ما أن تأتي الحجة الدامغة حتى تنسف ما جيء به من باطل! لذلك اعلم أن كل شبهة يلقيها أهل الباطل يمكن دحضها وتبيان بطلانها بسهولة؛ إن رجعت لأهل العلم! ولْتعلمْ أن القرآن الكريم فيه الحجة الدامغة التي تقضي على أي شبهة باطلة! فالحمد لله.

٧٠٧. قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾، هذه الآية العظيمة فيها حكمة عظيمة، وحجة دامغة على كل من أشرك بالله -سبحانه وتعالى- وجعل معه آلهة! سبحانه وتعالى عما يصفون! قال السعدي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: "ولهذا قال: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ﴾ أي: في السماوات والأرض ﴿ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ في ذاتهما، وفسد من فيهما من المخلوقات. وبيان ذلك: أن العالم العلوي والسفلي، على ما يرى، في أكمل ما يكون من الصلاح والانتظام، الذي ما فيه خلل ولا عيب، ولا ممانعة، ولا معارضة، فدل ذلك، على أن مدبره واحد، وربه واحد، وإلهه واحد، فلو كان له مدبران وربان أو أكثر من ذلك، لاختل نظامه، وتقوضت أركانه فإنهما يتمانعان ويتعارضان، وإذا أراد أحدهما تدبير شيء، وأراد الآخر عدمه، فإنه محال وجود مرادهما معا، ووجود مراد أحدهما دون الآخر، يدل على عجز الآخر، وعدم اقتداره واتفاقهما على مراد واحد

في جميع الأمور، غير ممكن، فإذن يتعين أن القاهر الذي يوجد مراده وحده، من غير ممانع ولا مدافع، هو الله الواحد القهار، ولهذا ذكر الله دليل التمانع في قوله: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١ ﴾[1]، فسبحان الله العظيم الذي تنزه وتقدس عن كل نقص ومن كل عيب! سبحانه وتعالى أن يتخذ ولدًا أو أن يتخذ صاحبة أو أن يتخذ شريكًا! سبحان الله عما يصفون، والحمد لله رب العالمين.

٧٠٨. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- سائل عباده وهو غير مسئول منهم! فهو الله -جل في علاه- الحاكم العظيم ذو الحكمة والكبرياء، ونحن الضعفاء العاجزين أمام عظمته وقدرته! قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ۝٢٣ ﴾، لذلك إن علمت أمر الله -سبحانه وتعالى- ولم تصل حكمة أمره إليك، فقل سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير!، ولْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- لا يأمر بظلم ولا جور، ولا يأمر بما لا نقدر عليه، ولا يأمر بما هو شر لنا! فاللهم اجعلنا من عبادك المخلصين.

٧٠٩. فلْتعلمْ يا أخي أن الخير الكثير الوفير قد يكون بلاءً على الإنسان، وفيه فتنته التي تسقطه إلى الجحيم -والعياذ بالله-، وقد يكون ذلك الخير خيرًا له في الدنيا والآخرة، فاسأل الله -سبحانه وتعالى- الهداية لذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

٧١٠. فلتعلم يا أخي أن تعظيم الله -سبحانه وتعالى- يكون أسمى ما يكون لمن عرف الله -سبحانه وتعالى- حق المعرفة، وتغلغل ذلك إلى قلبه فملأه تعظيما

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | = = الطبعة الأولى | تفسير سورة الأنبياء | الجزء السابع عشر | الآية ٢٢ | الصفحة ٥٢١ | مؤسسة الرسالة | بيروت

وإجلالا لرب السموات والأرض -سبحانه-، لذلك، كان أسمى من عظم الله -سبحانه وتعالى- وخشيه الملائكة -عليهم السلام-، والأنبياء -عليهم السلام-، لأنهم أكثر الناس معرفة بربهم؛ فكانوا أكثرهم خشية!، فإن كان هذا، كان من تشبه بهم أكثر تعظيما وخشية لله -سبحانه وتعالى-، وبهذا نفهم قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾، العلماء الذين ازدادوا علما ومعرفة فازدادوا تعظيما وخشية لله -سبحانه وتعالى-، فالعلماء ورثة الأنبياء!، ثم انظر إلى الملائكة الكرام -عليهم السلام-، قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾، الملائكة الكرام -عليهم السلام- بكل ما وهبهم الله -سبحانه وتعالى- من قوة وعظمة، إلا أنهم أمام ما عرفوه من عظمة الله -سبحانه وتعالى- مشفقون، سبحان الله!، بل إن الأنبياء -عليهم السلام- كانت دعوتهم إلى الله -سبحانه وتعالى- دعوة مبنية على أصل عظيم قائم على تعظيم الله -سبحانه وتعالى-، انظر لقوله تعالى في سورة نوح: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾، فكيف لمن خُلق أطوارا أن لا يُعظم الله -سبحانه وتعالى-؟!، وهذا يذكرنا في قول ابن القيم -رحمه الله-: "وهذه المنزلة -يقصد منزلة التعظيم- تابعة للمعرفة. فعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالى في القلب. وأعرف الناس به: أشدهم له تعظيمًا وإجلالًا. وقد ذم الله تعالى من لم يعظمه حق عظمته. ولا عرفه حق معرفته. ولا وصفه حق صفته. وأقوالهم تدور على هذا. فقال تعالى: ما لكم لا ترجون لله وقارًا قال ابن عباس ومجاهد: لا ترجون لله عظمة. وقال سعيد بن جبير: ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته؟ وقال الكلبي: لا تخافون لله عظمة."(١)، فسبحانه ما أعظمه!، بل إنني لأظن أن هذا التعظيم وهذا

---

(١) كتاب مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين | ابن القيم الجوزية | الجزء الثاني | منزلة

الإجلال يزهر في القلب لينبت حبًا لله -سبحانه وتعالى- كما أمر!، حبًا منبته تعظيم الله -سبحانه وتعالى- وإجلاله!، فيا رب يا رحمن، اجعلنا ممن أحببت، وارزقنا حبك، واجعلنا ممن عظمك في قلبه قبل لسانه، وفي لسانه قبل قلبه، والأمر إليك، ولا حول ولا قوة إلا بك.

٧١١. قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾، ذكر السعدي -رحمه الله- في تفسيره: " أي: خلق عجولًا، يبادر الأشياء، ويستعجل بوقوعها، فالمؤمنون، يستعجلون عقوبة الله للكافرين، ويتباطئونها، والكافرون يتولون ويستعجلون بالعذاب، تكذيبًا وعنادًا، ويقولون: ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ والله تعالى، يمهل ولا يهمل ويحلم، ويجعل لهم أجلًا مؤقتًا ﴿ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ ولهذا قال: ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى ﴾ أي: في انتقامي ممن كفر بي وعصاني ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ ذلك"[1]، لذلك يا أخي، إن علمت أن من طَبع الإنسان العجلة، فاسعَ إلى ضبطها وتقييدها ولا تطلق العنان لها! ومما يهذبها حلمٌ وصبر! فالحلم يدعو صاحبه للتمهل والتفكر والتعامل مع المواقف والمستجدات بقلب رشيد! والصبر يدعو صاحبه للثبات حتى يأتي ما يطلب، أو يصير الطريق لما يطلب سالكًا! والله المستعان.

٧١٢. فلْتعلمْ يا أخي أن واحدة من أهم أسباب العمى استمرار النعيم وطول زمانه، حتى يظن صاحب النعيم أنه على حق بسبب استمراره! وهذا فيه مشاكل عدة،

التعظيم | الصفحة ٥١٦-٥١٧ | الطبعة الأولى | دار الكتب العلمية | بيروت

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الأنبياء | الجزء السابع عشر | الآية ٣٧ | الصفحة ٥٢٣ | مؤسسة الرسالة | بيروت

وهي أن من نظر هذه النظرة تجاهل الحق الظاهر وأبصر النعيم الذي يعيشه بعين الباطل، وذلك لأنه لم ينظر إلى حال من كان قبله ولم ينظر لحاله أو حال من يرثه من بعده! والأشد عجبًا من ذلك، أن ترى الناظر إلى من أُنعم عليه منبهرًا به متبعًا له متمنيًا ما عنده، لسان حاله هذا هو صاحب الحق، ألا ترى أنه صاحب نعيم! ولْتعلمْ يا أخي أن الناظر لأحوال الناس والأمم يرى تقلبها بين الفقر والغنى، والكثرة والقلة، فإن طال الأمد لإحدى الأمم فقد طال لغيرها! لكن المصير سيكون واحدًا! وأهل الكفر في زمن الحبيب المصطفى ﷺ كانوا في النعيم وكانوا أكثر قوة وأكثر نفرًا، لكن هذا لم يمنع الحق من الظهور فوق ما لدى أهل الكفر من نعيم حتى نقص الكفار وزاد المسلمون وظهروا عليهم بما لديهم من حق! بل كان من فضل الله -سبحانه وتعالى- على المسلمين أن ملكهم الدنيا وظهروا على غيرهم ما شاء الله لهم، **فإن علمت هذا فاتبع الحق تجد النعيم، ولا تتبع النعيم حتى تجد الحق**، فإن المال الوفير لا يدل على الحق، بينما الحق يدل على نفسه وينعم الإنسان بما يجده فيه ومنه! فالحمد لله، والله المستعان.

٧١٣. فلْتعلمْ يا أخي أن الشذوذ الجنسي من أقبح الأفعال وأشدها خبثًا! فإياك أن توافق أو تؤيد هذه الأفعال بدعوى الحرية! بل عليك بمعادتها ظاهرًا وباطنًا! فهي مناقضة لكل فطرة سوية، ومناهضة لكل عقل راجح! قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾، وقال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾﴾، فسبحان الله، وصف رب العزة -جل في علاه- لوط -عليه السلام- بالعلم والحكمة، بينما وصف المجرمين أصحاب الخبائث ب﴿قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾، لهذا فكل قوم وكل

شخص فعل فعلهم وأيدهم على خبيث فعلهم كان ممن يلحق بهم في الوصف! فهم قوم سوء! وكل من حارب فعلهم وعاداه -طلبًا لرضا الله- كان لديه من العلم والحكمة والفطرة السوية ما يقتضي هذه المعاداة! ونستأنس بما رواه عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- عن الرسول ﷺ قال: "ملعونٌ مَنْ سبَّ أباهُ، ملعونٌ مَنْ سَبَّ أُمَّهُ، ملعونٌ مَنْ ذبَحَ لغيرِ اللهِ، ملعونٌ مَنْ غَيَّرَ تُخومَ الأرضِ، ملعونٌ مَنْ كَمَهَ أَعْمَى عَنْ طريقٍ، ملعونٌ مَنْ وقعَ على بهيمَةٍ، **ملعونٌ مَنْ عمِلَ بعمَلِ قومِ لوطٍ**"[١]، فاللهم إنا نعوذ بك من هذا الخبث وما يقود إليه، ونعوذ بك من موالة أهل الباطل والخبائث!

٧١٤.روى سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "دعوةُ ذي النُّونِ إذ دعا وهو في بطنِ الحوتِ **لا إلهَ إلَّا أنتَ سبحانَك إنِّي كنتُ من الظالمينَ** فإنَّه لم يدعُ بها رجلٌ مسلمٌ في شيءٍ قطُّ إلَّا استجاب الله له"[٢]، قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾، يا أخي، إن الله -سبحانه وتعالى- أكرمنا بقصص الأنبياء وأحوالهم وأقوالهم وأفعالهم، ففيها ما يجعل قلوبنا وعقولنا تتعجب مما عندهم من الخير!، فهم مَن مدحهم الله -سبحانه وتعالى- في كتابه العزيز وأثنى عليهم، وذكر صفاتهم الحميدة التي كرمها فجعلها ذكرى للذاكرين إلى يوم الساعة!

---

(١) الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الجامع الصفحة أو الرقم: ٥٨٩١ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

(٢) الراوي: سعد بن أبي وقاص | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترمذي الصفحة أو الرقم: ٣٥٠٥ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

فترى منهم الصبر والصدق والحكمة والعلم ونقاء القلوب وصفاءها، وترى الإيمان في أجمل صوره، وترى اليقين بأعظم حالاته! وترى منهم الإنابة والاستغفار، وترى منهم العفاف والغنى! وترى في قصصهم كل بلاء قد يصيب أي واحد منا، فهذا في المرض وذاك بالولد وذاك بالتكذيب وآخر بالتعذيب...إلى آخره، وترى أيضًا في قصصهم نجاتهم وتوفيقهم من الله -سبحانه وتعالى- وثوابهم، وهذا كله يعطي للإنسان راحة وطمأنينة، فالأنبياء -عليهم السلام- خير البشر، كان بلاؤهم أعظم البلاء، وثوابهم أجزل الثواب، وكذلك حال كل من سار على طريقهم، يقول إبراهيم السكران -رحمه الله-: "ومن وجوه الانتفاع بالقرآن - أيضًا- تدبر أخبار الأنبياء التي ساقها القرآن وكررها في مواضع متعددة، وبدهي أن هذه الأخبار عن الأنبياء ليست قصصًا للتسلية، بل هي (نماذج) يريد القرآن أن يوصل من خلالها رسائل تضمينية، فيتدبر قارئ القرآن ماذا أراد الله بهذه الأخبار؟ مثل التفطن لعبودية الأنبياء وطريقتهم في التعامل مع الله كما قال الإمام ابن تيمية: والقرآن قد أخبر بأدعية الأنبياء، وتوباتهم، واستغفارهم"[(١)]، ولْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- كما أنجى يونس -عليه السلام- من ظلمات ثلاث -البحر والليل وبطن الحوت-، سينجي الله -سبحانه وتعالى- عباده المؤمنين من الغم ويثيبهم على صبرهم في الدنيا والآخرة، ومن خير ما يُدعى به "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين".

٧١٥. إياك يا أخي أن تزدري أخاك أو تعايره على بلاء قد أصابه، فقُلب حاله من حال إلى حال! بل عليك أن تقف بجانبه وتؤازره بما قدرت عليه!، وذكر نفسك وصاحبك بهذا الدعاء: "رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين".

---

(١) كتاب الطريق إلى القرآن | إبراهيم السكران | فصل من مناطق التدبر | الصفحة ٥٥

٧١٦. فلْتعلمْ يا أخي أن جميع الأنبياء والرسل هم أئمتنا، نقتدي بهم، ونهتدي بهديهم، فالرب واحد، والصراط المستقيم واحد، وجميعهم جاءوا بدعوة واحدة، وهي توحيد الله -سبحانه وتعالى- وامتثال أوامره وتجنب نواهيه! لذلك، أرسل الله -سبحانه وتعالى- الرسل بدين واحد، وهو الإسلام! قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ....﴿١٩﴾ ﴾، وقال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾، ولْتعلمْ أن لكل أمة من الأمم شريعتها التي ارتضاها الله -سبحانه وتعالى- لهم بما تقتضيه مصلحة كل أمة من الأمم، حتى نسخ الله -سبحانه وتعالى- كافة الشرائع بشريعة نبينا محمد ﷺ، وكانت للناس كافة وحتى قيام الساعة! فإن أردت أن تنجو فعليك اتباع ما جاء به الرسل من توحيد الله -سبحانه وتعالى- واتباع أوامره وتجنب نواهيه، واتباع شريعة محمد ﷺ وما جاء به، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمد رسول الله.

٧١٧. فلْتعلمْ يا أخي أن من فضل الله -سبحانه وتعالى- ورحمته علينا أن من عمل صالحًا وهو مؤمن بالله -سبحانه وتعالى- وبرسله وبما أنزل؛ كان أجره محفوظًا في صحف لا تضيع ولا تفنى، بل إن الله -سبحانه وتعالى- لا يكفر سعيه فلا يضيعه ولا يبطله! بل يضاعف له الأجر والثواب بفضله ورحمته وكرمه، قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾، وقال تعالى في سورة هود: ﴿ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾، وقال تعالى في سورة الأنعام: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾، فيا رب ضاعف لنا أجورنا واهدنا واغفر لنا وتقبلنا واجعلنا من عبادك المؤمنين الصالحين، اللهم آمين.

٧١٨.فلْتعلمْ يا أخي أن هناك علامات تسبق قيام الساعة، وهي كما روى حذيفة بن أسيد الغفاري -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "اطَّلَعَ النبيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقالَ: ما تَذَاكَرُونَ؟ قالوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قالَ: إنَّهَا لَنْ تَقُومَ حتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَرَ، الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِن مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بالمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بالمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بجَزِيرَةِ العَرَبِ، وَآخِرُ ذلكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ اليَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إلى مَحْشَرِهِمْ."[(١)]، هذا التذكير بأشراط الساعة مهم لأن في أشراطها آيات وفتن عظيمة، وفيها من الأحكام ما ليس بغيرها، فمثلًا إذا طلعت الشمس من مغربها فلن ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل! وكذلك في تذكرها دعوة للحذر من الفتن وإن عظمت كفتنة الدجال -والعياذ بالله-، وفي هذه الأشراط تحذير من الإقامة على الكفر والمعاصي، قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ۝٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٩٧ ﴾، هذه الآيات العظيمة شديدة الوقع على النفس لما فيها من القوة ما يوحي لك المشهد أمام عينيك وكأنك تراه -نسأل الله السلامة-، فإن الله -سبحانه وتعالى- ما أن يأذن ليأجوج ومأجوج بالخروج حتى تراهم من كل مكان ينسلون، وقد روت أم المؤمنين زينب -رضي الله عنها-: "أنَّ النبيَّ ﷺ، دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يقولُ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، ويْلٌ لِلْعَرَبِ مِن شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليومَ مِن رَدْمِ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ مِثْلُ هذِه وحَلَّقَ بإصْبَعِهِ

---

(١) الراوي: حذيفة بن أسيد الغفاري | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٩٠١ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

الإِبْهَامِ والَّتي تَلِيهَا، قالَتْ زَيْنَبُ بنْتُ جَحْشٍ فَقُلتُ يا رَسولَ اللهِ: أَنَهْلِكُ وفينَا الصَّالِحُونَ؟ قالَ: نَعَمْ إذَا كَثُرَ الخَبَثُ."[١]، وهذا فيه أن النبي ﷺ دخل موحدًا لاجئًا إلى الله -سبحانه وتعالى- من هول ما علم من حال يأجوج ومأجوج، فإن خروجهم لم يبقَ عليه وقت كثير -والعياذ بالله منهم-، بل كان سؤال أم المؤمنين -رضي الله عنها- "أَنَهْلِكُ وفينَا الصَّالِحُونَ؟ قالَ: نَعَمْ إذَا كَثُرَ الخَبَثُ"، إذا كثر الخبث يا إخواني، فاللهم رحمتك! وقد روى سعد بن سهل الساعدي -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "رَأَيْتُ رَسولَ الله ﷺ قالَ: بإصْبَعَيْهِ هَكَذَا، بالوُسْطَى والَّتي تَلِي الإبْهَامَ بُعِثْتُ والسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ."[٢]، فإن كان حبيبي رسول الله ﷺ بعث وبعثته دليل على اقتراب الساعة، فهذا كله يقود العاقل إلى التشبث بالإيمان واتباع ما جاء به الرسل، باتباع أوامر الله -سبحانه وتعالى- واللجوء إليه، والتضرع إليه، وسؤاله النجاة، وسؤاله الرحمة، والعمل على ذلك لتتحقق النجاة بتوفيق الله، فاللهم نسألك رحمتك، ونخشى عذابك، ولا حول ولا قوة إلا بك!

٧١٩. فلْتعلمْ يا أخي الحبيب، أن رسولنا الكريم محمد ﷺ أُرسل رحمة للعالمين، فهو الرحمة المهداة، فبعثه هدى الله -سبحانه وتعالى- العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، فأخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن ضيق الحياة الدنيا إلى نعيم الدنيا والآخرة، قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا

---

(١) الراوي: زينب أم المؤمنين | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٣٣٤٦ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) الراوي: سهل بن سعد الساعدي | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٤٩٣٦ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾، وروى أبو هريرة -رضي الله عنه-: "قِيلَ: يا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ علَى المُشْرِكِينَ قالَ: إنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وإنَّما بُعِثْتُ رَحْمَةً."[1]، فاللهم صل وسلم على سيدنا محمد ملء السماوات والأرض، ﷺ.

٧٢٠.فلْتعلمْ يا أخي أن بعض الناس لم يدخلوا في الإسلام إلا لحاجة في نفوسهم، ومنهم من كان مسلمًا عادة، ولد على الإسلام لكنه ضعيف الإيمان، لم يدخل الإيمان قلبه، ولم يعمل بما اقتضته دواعيه، هؤلاء إن أصابتهم نعمة من الله -سبحانه وتعالى- تراهم فرحين مسرورين بما آتاهم من فضل، وإن ابتلاهم الله -سبحانه وتعالى- تراهم يفرون ويسخطون، وتراهم منقلبين على أعقابهم! ومن ترك الإسلام خسر الدنيا والآخرة! والأصل في المسلم أن يعبد الله -سبحانه وتعالى- في جميع الأحوال، في الرخاء والبلاء، وفي الصحة والسقم، في الأمن والخوف...ونحو ذلك، فإن وجد في نفسه شبهة سدها بالعلم وبسؤال أهل العلم، وإن وجد في نفسه ضعف في الإيمان بحث وقرأ واستزاد في العلوم التي تقوده للإيمان حقًا، ومن أطهر الكتب وأشرفها كتاب الله -سبحانه وتعالى-، ففيه النجاة، وفيه العلم، وفيه الحكمة، وفيه ما تتوق له القلوب، فالحمد لله الذي جعلنا مسلمين، وعلمنا ما لم نكن نعلم، الحمد لله رب العالمين، قال تعالى في سورة الحج: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١﴾.

---

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٥٩٩ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

٧٢١. فلْتعلمْ يا أخي أن المسجد الحرام هو قبلة المسلمين التي ارتضاها الله -سبحانه وتعالى- لنا، فلا يحق لأحد منع مسلم من الوصول إلى المسجد الحرام، ولا فرق في هذا بين مقيم بأرض الحرم أو بعيد تفصل بينه وبين الحرم القارات والمحيطات! ولْتعلمْ أن المسجد الحرام ليس ملكًا لأحد من البشر!، ولا ملكًا لآباء أحد! وحرمته عظيمة، وقدره عظيم، ولا يُمنع أحد ظُلمًا إلا أن يكون مانعه ظالمًا مستبدًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٧٢٢. فلْتعلمْ يا أخي أن الحج إلى بيت الله الحرام فريضة عظيمة لمن استطاع إليها سبيلًا! ومن فضائل هذه الفريضة ما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- قال: "سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: مَن حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، ولَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَومِ ولَدَتْهُ أُمُّهُ"(١)، فاللهم ارزقنا حجة لبيتك الحرام!

٧٢٣. فلْتعلمْ يا أخي أن تأدية العبادات قد يتحصل منها المنافع الدنيوية والأخروية، وهذا لا يتنافى مع الإخلاص، بل هو من فضل الله -سبحانه وتعالى-على عباده، ومن الأمثلة على ذلك، من ذهب حاجًّا طائعًا لأمر ربه، وراغبًا في التجارة كان له ذلك، وهذا فيه تحقيق للمنفعة البدنية والمالية في الدنيا، وتحقيق للأجر والثواب في الآخرة -بإذن الله تعالى-، قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ...﴿١٩٨﴾﴾، قال تعالى في سورة الحج: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾، ذكر ابن كثير -رحمه الله- في

---

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ١٥٢١ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

تفسيره: "قال ابن عباس: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ قال: منافع الدنيا والآخرة؛ أما منافع الآخرة فرضوان الله، وأما منافع الدنيا فما يصيبون من منافع البدن والربح والتجارات. وكذا قال مجاهد، وغير واحد: إنها منافع الدنيا والآخرة"[١]، ومن هذا أيضًا الأطباء والعمالة الوافدة والشباب المتطوع الذين يأتون للعمل في وقت الحج، ويقومون بتأدية فريضة الحج، ويستغلون هذا الوقت في العمل وتحقيق مكاسب دنيوية، وهم مخلصين لله، فالحمد لله الذي رحم عباده وتفضل عليهم بفضله وعلمه وحكمته ورزقه وكرمه.

٧٢٤. فلْتعلمْ يا أخي أن الأضحية شعيرة من أجل الشعائر في قلوب المسلمين، هذه الشعيرة الجليلة العظيمة التي كرمنا الله -سبحانه وتعالى- بها، تزداد جمالًا إن قُدمت وأُطعِمَ منها الفقير المعدم، وأكلت منها أنت وتمتعت بفضل الله -سبحانه وتعالى-، وتصدقت وأهديت منها، فسبحان من رحم القلوب وألانها بهديه، سبحان الله الكريم العظيم.

٧٢٥. فلْتعلمْ يا أخي أن تعظيم شعائر الله -سبحانه وتعالى- تابع لتعظيم الله -سبحانه وتعالى-، وهذا من أكثر ما يبرهن على حقيقة التقوى والتي محلها القلب! فمن عظّم كل أمر أعلمنا الله -سبحانه وتعالى- به، قام بالعمل كما أُمر بأكثر ما يقدر عليه! وهذا يقودنا إلى نقطة مهمة يقع فيها الكثير من المسلمين هذا اليوم مع بعض الشعائر بقصد أو دون قصد، كما يحدث من إطلاق النكات على الأضاحي مثلًا! قال تعالى في سورة التوبة: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ

---

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٢٧١ | تفسير سورة الحج | الآية ٢٨ | دار ابن حزم | بيروت

أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾، وقال تعالى في سورة البقرة ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ...﴿٢٣١﴾﴾، قال تعالى في سورة الحج: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾، قال السعدي -رحمه الله-: "أي: ذلك الذي ذكرنا لكم من تعظيم حرماته وشعائره، والمراد بالشعائر: أعلام الدين الظاهرة، ومنها المناسك كلها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ ومنها الهدايا والقربان للبيت، **وتقدم أن معنى تعظيمها، إجلالها، والقيام بها، وتكميلها على أكمل ما يقدر عليه العبد، ومنها الهدايا، فتعظيمها، باستحسانها واستسمانها، وأن تكون مكملة من كل وجه،** فتعظيم شعائر الله صادر من تقوى القلوب، **فالمعظم لها يبرهن على تقواه وصحة إيمانه، لأن تعظيمها، تابع لتعظيم الله وإجلاله.**"[١]، ولْتعلمْ يا أخي أن الاستهزاء بالله -سبحانه وتعالى- أو رسوله ﷺ أو آيات الله وشعائره كفر محض والعياذ بالله!، ويمكن مراجعة الفقهاء للاستزادة.

٧٢٦. فلْتعلمْ يا أخي أن القلوب مخزن المشاعر والأفكار التي لا بد أن يظهر من أثرها على جوارح الجسد ولو بعد حين!

٧٢٧. فلْتعلمْ يا أخي أن الأضحية من المناسك العظيمة الجميلة المحببة للقلوب، والتي تدخل السرور على قلوب المسلمين، غنيهم وفقيرهم، وهي من نعم الله -سبحانه وتعالى- وشعائره العظيمة، فالحمد لله الذي أكرمنا بها!، ولْتعلمْ

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الحج | الجزء السابع عشر | الآية ٣٢ | الصفحة ٥٣٧ | مؤسسة الرسالة | بيروت

يا أخي أن الأضحية يمكن أن تكون من الغنم أو البقر أو الإبل، ويبدأ وقتها من بعد صلاة عيد الأضحى وحتى غروب شمس رابع أيام العيد، وقول أكثر أهل العلم على أنها سنة مؤكدة ويكره تركها للقادر، وللأضحية شروط يجب أن تتوافر بها وهي أن تبلغ السن المطلوب -للبقر سنتان وللإبل خمس سنوات وللمعز سنة وللضأن ستة أشهر-، وأن تكون سليمة من العيوب فلا تكون عرجاء أو عوراء...إلى آخره، ويستحب أن يمسك المضحي عن الأخذ من أظافره وشعره في أيام العشر من ذي الحجة حتى يضحي، كما لا يجوز بيع الأضحية أو بيع جزء منها أو إبدالها بعد تعيينها، ويقال عند الذبح، "**بسم الله**، والله أكبر، اللهم هذا منك ولك، هذا عني (وإن كان يذبح أضحية غيره قال: هذا عن فلان) اللهم تقبل من فلان وآل فلان (ويسمي نفسه)، والواجب من هذا النص هو التسمية"، ويمكن مراجعة الكتب الفقهية وأهل الاختصاص للمزيد من التفاصيل حول الأحكام الشرعية المتعلقة بالأضاحي.

٧٢٨. يا أخي، من الجميل أن يستذكر الإنسان عظم الله -سبحانه وتعالى- عند القيام بالعبادة مرة بعد مرة، لأن هذا يقود الإنسان للإخلاص لله -سبحانه وتعالى- وزرع العبادة ونزع العادة إن وقعت في القلب!

٧٢٩. قال تعالى في سورة الحج: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾، هذه الآية الكريمة بشارة من الله -سبحانه وتعالى- للمؤمنين من عباده، قال السعدي -رحمه الله-: "هذا إخبار ووعد وبشارة من الله، للذين آمنوا، أن الله يدافع عنهم كل مكروه، ويدفع عنهم كل شر -بسبب إيمانهم- من شر الكفار، وشر وسوسة الشيطان، وشرور أنفسهم، وسيئات أعمالهم، ويحمل عنهم عند نزول المكاره، ما لا يتحملون، فيخفف عنهم غاية التخفيف. كل مؤمن له

من هذه المدافعة والفضيلة بحسب إيمانه، فمستقل ومستكثر."[١]، وقال ابن كثير -رحمه الله-: "يخبر تعالى أنه يدفع عن عباده الذين توكلوا عليه وأنابوا إليه شر الأشرار وكيد الفجار، ويحفظهم ويكلؤهم وينصرهم"[٢]، فالحمد لله الذي تكفل بأن يدافع عن عباده المؤمنين!، ولْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- لا يحب كل من اتصف بالخيانة، فاحذر أن تكون خوانًا -والعياذ بالله-!

٧٣٠. فلْتعلمْ يا أخي أن مجازاة الظالم بمثل ما ظلم ليست ظلمًا ولا اعتداء، بل طلبًا للحق، فإن أراد المظلوم العفو عمن ظلمه فله ذلك، والله -سبحانه وتعالى- عفو غفور، ولْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- ينصر المظلوم، فإن أراد الظالم أن يبغي على المظلوم بعد أن اقتص المظلوم منه فإن الله -سبحانه وتعالى- ناصر لهذا المظلوم، فينبغي لكل ظالم معتدٍ الحذر، وكذلك كل مساند له، لأن الله -سبحانه وتعالى- هو ناصر المظلومين، قال تعالى في سورة الحج: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾﴾، فاللهم نصرك يا كريم.

٧٣١. فلْتعلمْ يا أخي أنّ الله -سبحانه وتعالى- لَطِيفٌ خَبِيرٌ، فهو "اللطيف الذي يدرك بواطن الأشياء، وخفياتها، وسرائرها، الذي يسوق إلى عبده الخير، ويدفع عنه الشر بطرق لطيفة تخفى على العباد، ومن لطفه، أنه يُري عبده، عزته في انتقامه

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الحج | الجزء السابع عشر | الآية ٣٨ | الصفحة ٥٣٩ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٢٧٨ | تفسير سورة الحج | الآية ٣٨ | دار ابن حزم | بيروت

وكمال اقتداره، ثم يظهر لطفه بعد أن أشرف العبد على الهلاك، ومن لطفه، أنه يعلم مواقع القطر من الأرض، وبذور الأرض في باطنها، فيسوق ذلك الماء إلى ذلك البذر، الذي خفي على علم الخلائق فينبت منه أنواع النبات، خَبِيرٌ بسرائر الأمور، وخبايا الصدور، وخفايا الأمور"[١]، فسبحان الله العظيم، سبحان اللطيف الخبير، من لطف بعباده ودلهم عليه، وأظهر لهم لطفه إن نسوه، فعلموا قليلًا من عظيم لطفه، وجهلوا كثيرًا، فالحمد لله اللطيف الخبير، الحمد لله.

٧٣٢. فلْتعلمْ يا أخي أن لكل واحد منا طريقه الخاص، طريقه الذي يبنيه حتى يصل إلى ما يظنه من السعادة بما يرتضيه لنفسه من طرق وأساليب، هذا الطريق هو جزء من طريق أكبر أنت فيه، وهو أحد المسارات التي تتشابك فيها أفكارك مع أفكار غيرك، وميولاتك مع ميولاتهم، على الرغم من وجود الامتيازات الفردية! وهذا يقودنا إلى نقطتين، الأولى: أنك مسئول عن بناء طريقك الخاص بأفضل طريقة وأحسن أسلوب، لأنك إن أحسنت فيه كان لك سهلًا، وإن تقاعست وأسأت كان وعرًا صعبًا!، والثانية: أنك مهما تميزت وكيفما سرت، هناك محطات ستتشابك فيها مع الآخرين، فإما أن تقودك هذه المحطات إلى صحراء مقفرة بلا طعام ولا ماء، وإما أن تقودك إلى طريق مستقيم! والعاقل من علم ما يملك، وعلم أسرار قوته وضعفه، ثم بنى طريقه بما علم من قوة، وتجنب ما يزيد من ضعفه، ولا أعلى من طريق الإيمان، ولا من طريق يصب في طريق الإيمان، وبؤسًا لمن كان طريقه الضلال ولم يعد لرشده! ولْتعلمْ أن أفضل ما يحكم به الإنسان طريقه ويضبطه هو العلم، العلم

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الحج | الجزء السابع عشر | الآية ٦٣ | الصفحة ٥٤٤ | مؤسسة الرسالة | بيروت

الـذي يقـود صـاحبه لمعرفـة الله -سـبحانه وتعـالى- والإيمـان بـه وبمـا أنـزل، واتبـاع أوامره، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٧٣٣.من الآيات العظيمة الدالة على عظم الله -سبحانه وتعالى- وقوته وجبروته، وضعفنا وضعف حيلتنا أننا لا نستطيع أن نخلق شيئًا خلقه الله -سبحانه وتعالى- ثم وهبه الحياة، بل أقل من ذلك، فإننا لا نستطيع رد ما سلبه الذباب منا إن هبط على طعامنا! قال تعالى في سورة الحج: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾، فإن علمت هذا علمت ضعفك وضعف غيرك أمام عظمة الله -سبحانه وتعالى- وقوته، ومن علم هذا إما أن يقر ويعترف، وإما أن يكابر ويعاند من غير حجة ولا حق ولا دليل، وفي النهاية هو من الخاسرين -والعياذ بالله-!، فإن كنا نعجز عن هذا التحدي البسيط، فكيف بمخلوقات هي أعظم من الذباب؟! سبحانه وتعالى عما يصف الكافرون!

٧٣٤.أخـي الحبيـب، قـال تعـالى في سـورة الحـج: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ .....﴿٧٨﴾﴾، قال ابن كثيـر -رحمـه الله-: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ أي: يا هذه الأمة، الله اصطفاكم واختاركم على سائر الأمم، وفضلكم وشرفكم وخصكم بأكرم رسول، وأكمل شرع. ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: ما كلفكم مـا لا تطيقون، وما ألزمكم بشيء فشق عليكم إلا جعل الله لكـم فَرَجًـا ومخرجًـا، فالصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام بعد الشهادتين تجب في الحضر أربعًا وفي السفر تقصر إلى ثنتين، وفي الخـوف يصـليها بعـض الأئمـة ركعـة، كمـا ورد بـه الحـديث، وتُصـلى رجالًا وركبانًا، مستقبلي القبلة وغير مستقبليها. وكـذا في النافلـة في السفر إلى القبلـة وغيرها، والقيام فيها يسقط بعذر المرض، فيصليها المـريض جالسًـا، فـإن لـم يسـتطع

فعلى جنبه، إلى غير ذلك من الرخص والتخفيفات، في سائر الفرائض والواجبات؛ ولهذا قال، عليه السلام: بعثت بالحنيفية السمحة، وقال لمعاذ وأبي موسى، حين بعثهما أميرين إلى اليمن: بشرا ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسرا. والأحاديث في هذا كثيرة؛ ولهذا قال ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ يعني: من ضيق"[١].

٧٣٥.يا أخي، إن سألت الله -سبحانه وتعالى- الجنة، فسله الفردوس الأعلى من الجنة، فإنها أعلى الجنان وأشرفها، وهي لمن اختصهم الله -سبحانه وتعالى- من المؤمنين السابقين بالخيرات، الذين اتبعوا ما أمروا به، والذين أقاموا صلاتهم وخشعوا فيها، والذين حفظوا فروجهم عن الحرام، والذين هم عن اللغو معرضون، فلا يقولون قول الشرك ولا يقولون قولًا يحرم عليهم، ويترفعون عن الكلام الذي لا خير فيه ولا فائدة، روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ: "مَن كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ **فَلْيَقُلْ خَيْرًا أوْ لِيَصْمُتْ**"[٢]، والذين هم للزكاة فاعلون، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون، فلا يخونون ولا ينكثون، وفي رمضان هم صائمون، روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "مَن آمَنَ باللهِ وبِرَسولِهِ، وأَقامَ الصَّلاةَ، وصامَ رَمَضانَ؛ كانَ حَقًّا علَى اللهِ أنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، جاهَدَ في سَبيلِ اللهِ أوْ جَلَسَ في أرْضِهِ الَّتي وُلِدَ فيها، فقالوا: يا رَسولَ اللهِ، أفَلا نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قالَ: إنَّ في الجَنَّةِ مِئَةَ

---

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٢٨٨ | تفسير سورة الحج | الآية ٧٨ | دار ابن حزم | بيروت

(٢) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٠١٨ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

دَرَجَةٍ، أعَدَّها الله لِلْمُجاهِدِينَ في سَبيلِ اللهِ، ما بيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كما بيْنَ السَّماءِ والأرْضِ، فإذا سَأَلْتُمُ اللهَ، **فاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ**؛ فإنَّه أوْسَطُ الجَنَّةِ وأَعْلَى الجَنَّةِ -أُراهُ- فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، ومِنْهُ تَفَجَّرُ أنْهارُ الجَنَّةِ."(١)، وقد روى أنس بن مالك -رضي الله عنه-: "أنَّ أُمَّ حَارِثَةَ أتَتْ رَسولَ الله ﷺ، وقدْ هَلَكَ حَارِثَةُ يوم بَدْرٍ، أصَابَهُ غَرْبُ سَهْمٍ، فَقالَتْ: يا رَسولَ اللهِ، قدْ عَلِمْتَ مَوْقِعَ حَارِثَةَ مِن قَلْبِي، فإنْ كانَ في الجَنَّةِ لَمْ أبْكِ عليه، وإلَّا سَوْفَ تَرَى ما أصْنَعُ؟ فَقالَ لَهَا: هَبِلْتِ، أجَنَّةٌ واحِدَةٌ هي؟ إنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وإنَّه في الفِرْدَوْسِ الأعْلَى. وقالَ: غَدْوَةٌ في سَبيلِ الله أوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما فِيهَا، ولَقَابُ قَوْسِ أحَدِكُمْ، أوْ مَوْضِعُ قَدَمٍ مِنَ الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما فِيهَا، ولو أنَّ امْرَأَةً مِن نِسَاءِ أهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إلى الأرْضِ لَأَضَاءَتْ ما بيْنَهُمَا، ولَمَلَأَتْ ما بيْنَهُما رِيحًا، ولَنَصِيفُهَا - يَعْنِي الخِمَارَ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما فِيهَا."(٢)، قال تعالى في سورة النساء: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾، وقال تعالى في سورة المؤمنون: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ

---

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٢٧٩٠ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) الراوي: أنس بن مالك | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٥٦٧ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾»، فيا أخي، سل الله -سبحانه وتعالى- الفردوس الأعلى، واعمل لذلك، واسأل صحبة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، فهم أهل الصحبة وأحقهم بها!، روى أنس بن مالك -رضي الله عنه-: "أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟، قَالَ: (وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا)؟ قَالَ: لاَ شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ ﷺ، فَقَالَ: **أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**. قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ، فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: (أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ) !! قَالَ أَنَسٌ: **فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ**"(١)، اللهم إنا نشهدك أننا نحبك ونحب رسولك ونحب أنبياءك ونحب الصديقين والشهداء والصالحين، فيا رب اجعلنا مع من أحببنا يا رحمن يا كريم، اللهم إنا نسألك صحبة نبيك محمد ﷺ، اللهم إنا نسألك الفردوس وما يقرب إليها من قول أو عمل، اللهم آمين، وصلى الله وسلم على نبيه وصحبه وآله وسلم.

٧٣٦. فلْتعلمْ يا أخي أن من الحكمة أن تقدر الأمور بقدرها، فلا تزيد أو تنتقص من قدر ما تمر به أو تتعامل به، فمثلًا من الحكمة أن تقدر ما يلزم زرعك من الماء فلا تسرف بالري ولا تقتر فيموت النبات أو تتضرر التربة! وكذلك في أمرك كله، قدّر ما تحتاج من طعام ثم اصنعه، قدر كم تحتاج من الوقت لإتمام أعمالك ثم ابنِ جدولك بناءً على ذلك! قدر النفقة على من أنت مسئول عنهم -ضمن قدرتك- فلا تكن مسرفًا ولا مقترًا!...إلى آخره، باختصار، أعطِ كل أمر قدره وحقه، بلا إسراف ولا تقتير.

---

(١) الراوي: أنس بن مالك | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٣٦٨٨ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

٧٣٧.يا أخي، فلْتعد ما ستحتاجه قبل أن تحتاجه! فإنك إن انتظرت حتى احتجته خسرت وتأخرت! وهذا ينطبق على كثير من أمور هذه الدنيا، فالدولة تصنع السلاح لتحمي نفسها قبل أن تحتاجه! والناس تتدرب على السلاح قبل أن تحتاج استخدامه، والطالب يقرأ ويبحث ويتعلم قبل أن يُمتحن، والناس تبدأ بالتحضير للشتاء قبل موعده، فإن جاء كان الكل على أتم الاستعداد له، والمسافر يجهز راحلته قبيل سفره لا يوم سفره! وطالب الآخرة يصنع عمله الصالح قبل موته!...ونحو ذلك!، لذلك دع عنك التقاعس والخمول، واجتهد، فما نال العز خمول ولا كسول!

٧٣٨.قال تعالى في سورة المؤمنون: ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾، لقد كانت هذه حُجة الملأ من القوم الظالمين في حق المرسلين! فكانت دعواهم أن لا تتبعوا المرسلين، فهم بشر! وإن اتبعتموهم في هذا فإنكم خاسرون نادمون، لسان حالهم، أليس لكم عقول تعقلون بها؟! فكيف تتبعون بشرًا من طين؟! **مع أنهم هم من يدعون الناس إلى اتباع البشر، وهم من يدعون الناس لطاعتهم والامتثال لأوامرهم! بينما دعوة جميع الرسل** ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾﴾، ومع كل ما يفعله الظالمين من شر في الأقوال والأفعال، أظهر الله -سبحانه وتعالى- الحق على الباطل، ونجى الله -سبحانه وتعالى- المرسلين وأتباعهم بفضل منه ورضوان، وخسر من اتبع بشرًا، وفاز من اتبع أمر الله -سبحانه وتعالى- باتباع المرسلين! وهذا يقودنا إلى قاعدة ذهبية، أن من جاء بالحق كانت دعوته إلى الله -سبحانه وتعالى- وممتثلًا لما أمر، بينما من كان يريد الشيطان، ومن كان يريد السلطان، ومن كان يريد الدنيا وجاهها، ستجده يقول: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾! يُبرهن على هذا في أقواله وأفعاله الظالمة المحاربة لما أمر به الله -سبحانه وتعالى-! وما مصير من آمن واتبع البشر من

دون الله -سبحانه وتعالى- إلا كمصير من تبع فرعون فُأغرق معه -والعياذ بالله-! فيا رب اجعلنا ممن اتبع أوامرك واتبع الأنبياء المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

٧٣٩. يا أخي، فلتعتبر بأحوال من سمعت عنهم من الناس، من هم على قيد الحياة، ومن هم تحت التراب! فالعاقل هو من اعتبر من أخطاء غيره وتعلم منها، ولم يقع فيما يقع فيه غيره! بجهل أو بعناد! والله المستعان.

٧٤٠. يا أخي، أنصت واستمع لما يُقال لك، ثم تحدث بعدها من الخير ما علمت! وإياك من أن تتحدث دون أن تنصت، وأن تنصت من دون أن تدرك ما يقال لك! ومما قيل في الإنصات: "وتراه مصغٍ للحديث بسمعه وبقلبه ولعله أدرى به"، قال ابن المقفع: "تعلم حسنَ الاستماعِ كما تتعلمُ حسنَ الكلامِ، ومن حسنِ الاستماع إمهالُ المتكلمِ حتى ينقضي حديثهُ، وقلة التلفت إلى الجوابِ، والإقبالُ بالوجهِ والنظر إلى المتكلمِ، والوعي لما يقولُ."[١]، ولْتعلمْ يا أخي أن من أحسن الإنصات، أحسن الحديث، وإحسان الحديث يشمل القول بالعلم، والقول بالحق، والاعتراف بالخطأ، والقول بلا أعلم لما لا يعلم...إلى آخره، فاللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه.

٧٤١. فلْتعلمْ يا أخي أن من تمام النعم أن الله -سبحانه وتعالى- أقام السماوات والأرض وما فيهن بالحق والعدل، ولو أنه جعل ذلك لأهواء البشر لفسدت الأرض والسماوات وما فيهن! ولتمنى كل واحد أمنية تخالف الأخرى، ولتعارض أول الناس وآخرهم! ولَتشابكت الحياة بحروب الهوى بما لا تستقيم معها

(١) كتاب أئمة الأدب (ابن المقفع) | تأليف خليل مردم | الجزء الثاني | نصوص من كلام ابن المقفع | الصفحة ٥٧ | مؤسسة هنداوي

أي حياة! فالحمد لله أنه الحق، ووعده الحق، وقوله الحق، الحاكم بالحق، مقدر الأمور بالحق، الحمد لله.

٧٤٢.يا أخي، قال تعالى في سورة المؤمنون: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾، هذه الآيات العظيمة المزلزلة للنفس البشرية توحي للنفس خطورة الضلال والكفر والإصرار على المعاصي -والعياذ بالله-، فإن الإنسان إذا حضره الموت لن يتمنى العودة إلى الحياة إلا ليعمل صالحًا!، عاملًا بطاعة الله -سبحانه وتعالى- متبعًا لأوامره، لكن هيهات هيهات أن يعود إلى الحياة وقد رأى ما رأى!، قال قتادة: "والله ما تمنى أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيرة، ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله، فانظروا أمنية الكافر المفرط فاعملوا بها، ولا قوة إلا بالله"[1]، قال تعالى في سورة المنافقون: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾، فإذا حضر الموت، رفعت الأقلام، وجفت الصحف، وابتدت الحياة، وقد كان العلاء بن زياد يقول: "لينزل أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت، فاستقال ربه فأقاله، فليعمل بطاعة الله عز وجل"[2]، فاللهم اهدنا الصراط المستقيم، واجعلنا من عبادك المخلصين، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٣٠٥ | تفسير سورة المؤمنون | الآية ٩٩ | دار ابن حزم | بيروت

(٢) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٣٠٥ | تفسير سورة المؤمنون | الآية ٩٩ | دار ابن حزم | بيروت

٧٤٣. يا أخي، إياك أن تنشغل بالاستهزاء بالآخرين، فإن انشغالك بالاستهزاء سيقودك لنسيان حالك وما أنت فيه، وقد يقودك فتنسى ما خُلقت لأجله، وقد يقودك فتنسى ما يجب عليك القيام به!، فإن لم تتعظ، خسرت وندمت، وأضعت وقتك من دون فائدة تُرجى، فاتقِ الله ولا تفعل! ولْتعلمْ أن أشد أنواع الاستهزاء خطورة هو ذاك الاستهزاء المبني على الباطل، والمراد به باطل، والاستهزاء الذي يكون على الأنبياء والصديقين والشهداء وعباد الله الصالحين -والعياذ بالله-، اللهم اغفر لنا زلاتنا، وما علمنا وما لم نعلم، اللهم آمين.

٧٤٤. قال تعالى في سورة المؤمنون: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾، فهل تظن يا أخي أننا خلقنا في هذه الحياة عبثًا؟! بلا حساب ولا عقاب؟! بلا عمل ولا بلاء؟! بلا نعيم ولا شقاء؟!، كلا والله، بل إننا خلقنا لعبادة الله -سبحانه وتعالى- وهو الغني عنا، القادر فوق عباده، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، سبحان الله عما يصفون! قال القرطبي -رحمه الله-: "أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا أي مهملين كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب عليها؛ مثل قوله تعالى: أيحسب الإنسان أن يترك سدى يريد كالبهائم مهملًا لغير فائدة. قال الترمذي الحكيم أبو عبد الله محمد بن علي: إن الله تعالى خلق الخلق عبيدًا ليعبدوه، فيثيبهم على العبادة ويعاقبهم على تركها، فإن عبدوه فهم اليوم له عبيد أحرار كرام من رق الدنيا، ملوك في دار الإسلام؛ وإن رفضوا العبودية فهم اليوم عبيد أباق سقاط لئام، وغدًا أعداء في السجون بين أطباق النيران"(١)، قال البغوي -رحمه الله-: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا ﴾ لعبًا وباطلًا لا لحكمة،

(١) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ١٥ | الصفحة ٩٧-٩٨ | تفسير سورة المؤمنون | الآية ١١٥ | مؤسسة الرسالة | بيروت

وهو نصب على الحال، أي: عابثين. وقيل: للعبث، أي: لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب، وإنما خلقتم للعبادة وإقامة أوامر الله عز وجل، و﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ أي: أفحسبتم أنكم إلينا لا ترجعون في الآخرة للجزاء!"[١]، فاللهم آمنا بك، ورضينا بحكمك، وخضعنا لطاعتك طوعًا وكرهًا، فاللهم اجعلنا من الصالحين الناجين بفضلك ورحمتك ومنك يا أرحم الراحمين يا الله.

٧٤٥. فلْتعلمْ يا أخي أن القرآن كله عظيم، سوره وآياته، أحكامه وكلماته، فإن وجدت في كتاب الله -سبحانه وتعالى- ما يدعوك للنظر في سورة ما أو آية ما، فاعلم أنك ستطلع على كنز عظيم، وكلام عال رفيع، فيه من الخير الكثير، وخير مثال على هذا ما أخبرنا به رب العزة -جل في علاه- في سورة النور: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾﴾، أي أن هذه السورة العظيمة التي أنزلها الله -سبحانه وتعالى- فيها من الأحكام الواضحة الجلية ما يبين الحلال والحرام، هذه الآيات الجليلة تدعو كل مسلم من وقت نزولها وحتى قيام الساعة إلى الامتثال لما ورد فيها والاعتناء بأحكامها لما تحتويه من خير عظيم، وأول آية تلت الآية السابقة هي: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾، وهذه أول الأحكام العظيمة في هذه السورة العظيمة، فقد بينت هذه الآية الكريمة حد الزاني والزانية -الغير محصن- وهو الجلد مئة جلدة، وأوصانا الله -سبحانه وتعالى- ألا نرأف بهما فنعطل حداً من حدود الله!، وأن هذا الأمر يجب أن يشهده طائفة من المسلمين،

---

(١) منقول بتصرف طفيف | كتاب معالم التنزيل (تفسير البغوي) | أبي محمد البغوي | المجلد الخامس | تفسير سورة المؤمنون | الصفحة ٤٣٢ | الآية ١١٥ | دار طيبة | الرياض

والناظر لهذه الأحكام يرى كم حرص الإسلام على حفظ الرجل والمرأة من السوء، وحفظ المجتمع من عمل السوء، وحفظ النسل والأنساب، وأدّب كل من رغب بذلك ولم يمنعه عقله فيردعه العقاب، وفيها إظهار لأحكام الله -سبحانه وتعالى- وأوامره التي ارتضاها لنا، بل إن تنفيذ أحكام الله -سبحانه وتعالى- على صاحب الذنب هي بذاتها رحمة له ورحمة لنا!، فمن أقيم عليه الحد طهر بإذن الله تعالى، وبهذا فهو وإن نال العذاب في الدنيا إلا أنه نجا من عذاب الآخرة!، ونحن بذلك ننجو من عذاب الله سبحانه وتعالى وسخطه؛ لأننا لم نرضَ بالفحشاء والمنكر، وأقمنا الحد الذي أمر به رب العزة جل في علاه... وفي أحكام الزاني والزانية وطريقة تنفيذ الحد وشروطه تفصيلات فقهية يرجع فيها للكتب الفقهية.

٧٤٦. فلْتعلمْ يا أخي أن المؤمن بطبعه يبحث عن الزوجة المؤمنة، ذات الدين، التي تسره في دينه ودنياه، وكذلك المؤمنة، تبحث عن الرجل المؤمن، الذي يسرها في دينها ودنياها، وهذا الأمر يجعل كل واحد منهم يجتهد كل الجهد في البحث عن زوجه، فالمؤمن من أسلم نفسه لله -سبحانه وتعالى- وآمن بما أنزل وامتثل لأوامر الله -سبحانه وتعالى-، فحسن خلقه، وطاب العيش معه، وهذا بكل تأكيد لا ينفي البحث عن الجمال! فإن للجمال جزء مهم في اختيار الزوج! فوجود الحد الأدنى للجمال والذي يتقبله كلا الزوجين أمر مستحسن لتستقيم معه ما تطلبه النفس! ومع هذا، فإن الجمال يأتي بعد الدين في سلم الأولويات!، ونستأنس هنا بما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله ﷺ قال: "**تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأرْبَعٍ: لِمالِها ولِحَسَبِها وجَمالِها ولِدِينِها، فاظْفَرْ بذاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَداكَ**"(١)، ولهذا يا أخي اجتهد

---

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٥٠٩٠ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

في أن تبحث عن ذات الدين، وركز في بحثك على الأنثى بحق! لا المترجلة المتشبهة بالرجال! وإياكِ يا أختاه من أشباه الرجال المتشبهين بالنساء! فإنهم أعظم بلاء وأشد مصيبة! ولْتحذر يا أخي من أن تقارن العفيفة صاحبة الحياء بتلك البغي التي يسوق لها الإعلام! واحذري يا أختاه من مقارنة ما يصل إلى عقلك ومخيلتك من الإعلام فيما يخص فتى الأحلام! فالحياة مزيج متعدد النكهات عديد الخبايا، وبتكامل هذه النكهات وفي اكتشاف الخبايا يتشكل الواقع الذي إما أن يكون سعيدًا وإما أن يكون تعيسًا -والعياذ بالله-! ولْتعلمْ يا أخي أن غض البصر له نكهة عظيمة وثمرة قيمة في الدنيا والآخرة! وأهم ثمرة في الدنيا هي الحلاوة التي تجدها في قلبك لغض البصر! والحلاوة التي ترزق بها عند زواجك بصاحبة العفة والحياء! فستراها جميلة في كل أحوالها وفي كل ظروفها! وأنت يا أختاه إن صنت نفسك وكنت ذات حياء ونقاء، كان لك زوجك منبع الحنان، وركن الأمان، ولم يكن ليدخل الشيطان لقلبك في مقارنة ما مثله ذئب ليخدعك، أو فيما يبثه ثعلب الإعلام إلى قلبك وعقلك! وإياك يا أخي وإياك يا أختي من زوج السوء! وهو المشرك بالله، الكافر بما أنزل الله -سبحانه وتعالى-، وإياكم من المجاهر بالسوء المصر عليه!، وقد حذرنا الله -سبحانه وتعالى- من زوج السوء كالزاني والزانية، قال تعالى في سورة النور: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾، بل إن الله حرم نكاح الزاني والزانية إن لم يتوبا إلى الله، فسبحان من علم الإنسان وهداه! سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

٧٤٧. قال تعالى في سورة النور: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾، قال ابن كثير -رحمه الله-: "هذه الآية الكريمة فيها بيان حكم جلد القاذف للمحصنة، وهي الحرة

البالغة العفيفة، فإذا كان المقذوف رجلًا فكذلك يجلد قاذفه أيضًا، ليس في هذا نزاع بين العلماء. فأما إن أقام القاذف بينة على صحة ما قاله، رُد عنه الحد; ولهذا قال تعالى: (ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون)، فأوجب على القاذف إذا لم يقم بينة على صحة ما قاله ثلاثة أحكام: أحدها: أن يجلد ثمانين جلدة والثاني: أنه ترد شهادته دائمًا والثالث: أن يكون فاسقًا ليس بعدل، لا عند الله ولا عند الناس "[١]، وهذه الآية الكريمة من نعم الله -سبحانه وتعالى- على المجتمع المسلم، على مستوى الفرد والجماعة، ففيها ردع لمن يحب أن تشيع الفاحشة بين المسلمين، وفيها تحذير من التطاول على أعراض المسلمين، وفيها من الستر على المسلمين لعلهم إلى التوبة يسارعون، ولا يبقى بعد هذا إلا مجاهرًا أبى إلا أن يفضح نفسه، فهو غير مبالٍ بجزائه ومتكبر عن النصح-!، ولْتعلمْ أن للقاذف توبة، قال السعدي -رحمه الله-: "وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥﴾ فالتوبة في هذا الموضع، أن يُكذّب القاذف نفسه، ويقر أنه كاذب فيما قال، وهو واجب عليه، أن يكذب نفسه ولو تيقن وقوعه، حيث لم يأتِ بأربعة شهداء، فإذا تاب القاذف وأصلح عمله وبدل إساءته إحسانًا، زال عنه الفسق، وكذلك تُقبل شهادته على الصحيح، فإن الله غفور رحيم يغفر الذنوب جميعا، لمن تاب وأناب، وإنما يجلد القاذف، إذا لم يأتِ بأربعة شهداء إذا لم يكن زوجا"[٢]، فالحمد لله.

---

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٣١٣ | تفسير سورة النور | الآية ٤ | دار ابن حزم | بيروت

(٢) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة النور | الجزء الثامن عشر | الآية ٥ | الصفحة ٥٦٢ | مؤسسة الرسالة | بيروت

٧٤٨. فلْتعلمْ يا أخي أن اللعان هو أن يتهم الزوج زوجته بالزنا بدون شهود، وشهادات الزوج دارئة للحد عنه، ويدرأ الحد عن الزوجة أن تقابل شهادات الزوج بشهادات من جنسها، ويفرق بينهما للأبد، ويمكن مراجعة الكتب الفقهية للاطلاع على الأحكام الفقهية الخاصة باللعان وكيفيته.

٧٤٩. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- برّأ أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- من حادثة الإفك من فوق سبع سماوات، بل كانت هذه الحادثة خيرًا للمسلمين لا شرًا، وتوعّد الله -سبحانه وتعالى- بالعذاب الأليم من افترى هذه الفرية، قال تعالى في سورة النور: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١﴾، رضي الله عن عائشة وأبيها وأمها، ورضي الله عن أمهات المؤمنين، ورضي الله عن صفوان السلمي، ورضوان الله على صحابة رسول الله الأنقياء الأتقياء، ولعنة الله على المنافقين الكذابين أصحاب الإفك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٧٥٠. فلْتعلمْ يا أخي أن من يُشهد له بالإيمان وحاز ذلك الفضل بين الناس وانتشر خبره بينهم، لا يضره ولا يزيل عنه لباس الإيمان والصلاح إشاعة أو خبر محتمل! فلا يزول اليقين بالشك!، بل على المؤمن أن يظن الخير بأخيه المؤمن إن سمع ما يسوءه عنه، ويبرأه ويكذب القائل ما لم تكن هناك بينة دامغة! وحذاري حذاري من أعراض الصالحين، وحذاري حذاري من لحم إخوانك المسلمين! ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال تعالى في سورة النور: ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ١٢﴾.

٧٥١. يا أخي، إن من أقبح ما قد ينطق به لسانك هو قول باطل بلا علم، فاحذر

من هذا القبح!

٧٥٢. احذر يا أخي من كل قول وعمل، لا تلقي له بالًا، فتظنه هينًا سهلًا لا إثم فيه!، وهو عند الله عظيم -والعياذ بالله-!، روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "إنَّ العَبْدَ لَيَتكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِن رِضْوانِ اللهِ، لا يُلْقِي لها بالًا، يَرْفَعُهُ اللهُ بها دَرَجاتٍ، **وإنَّ العَبْدَ لَيَتكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِن سَخَطِ اللهِ، لا يُلْقِي لها بالًا، يَهْوِي بها في جَهَنَّمَ.**"[1]، فاحذر يا أخي، فإنه والله لأمر جلل! لذلك احترز من كل قول تظنه باطلًا أو فيه باطل أو يقود إلى باطل، لعل الله -سبحانه وتعالى- ينجينا من سخطه!، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٧٥٣. إياك يا أخي والخوض في أعراض المؤمنين!، فإن ما يجب عليك فعله هو أن تدرأ عن إخوانك الشبهات لا أن تُقومها!، وعليك أن تمنع كل مفترٍ كذاب من أعراض الناس، فلا تخض معهم، ولا تجالسهم ولا تقرهم على ما هم فيه من كذب وضلال وافتراء عظيم! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٧٥٤. قال تعالى في سورة النور: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾، فلْتعلم يا أخي أن الفاحشة هي الفعل القبيح المفرط القبح، فما من امرئ أحب أن تنتشر وتشيع الخبائث القبيحة بين المسلمين؛ إلا ووقع عليه العذاب الأليم والوعيد الشديد من الله سبحانه وتعالى -والعياذ بالله-، والخوض في أعراض الناس من الفواحش، والزنا من الفواحش...ونحو ذلك، والله -سبحانه وتعالى- أعلمنا بعظم هذا الذنب وعظم العذاب!، فالله -سبحانه وتعالى- العالم بأحوالنا، المرشد لنا، فاحذر من أن

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٤٧٨ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

تكون سببًا أو عاملًا في نشر الفواحش، كالذي يعمل أو يسوق للأعمال الإباحية ويهتك أعراض الناس ويسوق للشذوذ وغيرها من فواحش القول أو الفعل -والعياذ بالله-!، فإن كنت منهم، فعد إلى الله -سبحانه وتعالى- وتب وأصلح قبل أن يأتيك ما لا يرد، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٧٥٥.يا أخي صل الرحم، وترفق واعطف عليهم، واعطف على الفقراء والمساكين من رحمك وأقاربك والمساكين من المسلمين، ولا يمنعك ما رأيته منهم من أن يصل إحسانك إليهم!، ألا تحب أن يغفر الله لك؟!، قال تعالى في سورة النور: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾، قال ابن كثير -رحمه الله-: "يقول تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ ﴾ من الألية، [وهي: الحلف] أي: لا يحلف ﴿أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ أي: الطول والصدقة والإحسان ﴿وَٱلسَّعَةِ﴾ أي: الجدة ﴿أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا تحلفوا ألا تصلوا قراباتكم المساكين والمهاجرين. وهذه في غاية الترفق والعطف على صلة الأرحام؛ ولهذا قال: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾ أي: عما تقدم منهم من الإساءة والأذى، وهذا من حلمه تعالى وكرمه ولطفه بخلقه مع ظلمهم لأنفسهم. وهذه الآية نزلت في الصديق، حين حلف ألا ينفع مسطح بن أثاثة بنافعة بعدما قال في عائشة ما قال، كما تقدم في الحديث. فلما أنزل الله براءة أم المؤمنين عائشة، وطابت النفوس المؤمنة واستقرت، وتاب الله على من كان تكلم من المؤمنين في ذلك، وأقيم الحد على من أقيم عليه - شرع تبارك وتعالى، وله الفضل والمنة، يعطف الصديق على قريبه ونسيبه، وهو مسطح بن أثاثة، فإنه كان ابن خالة الصديق، وكان مسكينًا لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر، رضي الله عنه، وكان من المهاجرين في سبيل الله، وقد ولق ولقة تاب الله

عليه منها، وضرب الحد عليها. وكان الصديق، رضي الله عنه، معروفا بالمعروف، له الفضل والأيادي على الأقارب والأجانب. فلما نزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: فإن الجزاء من جنس العمل، فكما تغفر عن المذنب إليك نغفر لك، وكما تصفح نصفح عنك. فعند ذلك قال الصديق: بلى، والله إنا نحب - يا ربنا - أن تغفر لنا. ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة، وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا، في مقابلة ما كان قال: والله لا أنفعه بنافعة أبدا، فلهذا كان الصديق هو الصديق رضي الله عنه وعن بنته"[١]، رضي الله عن الصديق، رضي الله عن أمهات المؤمنين، رضي الله عن صحابة رسوله الكريم، رضي الله عنا وعنهم وعن المسلمين، أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ الله لَكُمْ؟ بلى والله، نحب ذلك ونسألك رضاك والجنة، برحمتك يا أرحم الراحمين يا الله.

٧٥٦. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- أمرنا بالاستئذان قبل الدخول إلى البيوت، وهذا الاستئذان دافع لكل شر، مانع للريبة والشك، فإن الاختلاس والتخفي من عادة اللصوص أو دعاة الشر، لا عادة أهل المكارم والأخلاق!، وفي الاستئذان حفظ للبصر من عورات البيوت، وحفظ لعورات البيوت من البصر! قال تعالى في سورة النور: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾، وقد روى أبو سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "إذا استأذَنَ أحدُكم ثَلاثًا فلمْ يُؤذَنْ له فلْيرجِعْ"[٢]، ولْتعلمْ أن من آداب الاستئذان ألا تقف أمام الباب ولا في مكان يكشف

---

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٣٢٢ | تفسير سورة النور | الآية ٢٢ | دار ابن حزم | بيروت

(٢) الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم:

أهل البيت قبل أن يأذن لك!، ومن الآداب أيضًا أن تستأذن ثلاث مرات، فإن لم يؤذن لك فارجع!، ومن الآداب أيضًا أن لا تغضب ممن لم يأذن لك، فهذا رب العزة -جل في علاه- يخبرك في سورة النور: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾، الموضوع بكل بساطة، إن لم يؤذن لك، فارجع، فذلك أزكى وأطهر! أما في آداب الاستئذان لبيوتنا فأذكر ما قاله القرطبي -رحمه الله-: "هذه الأحكام كلها إنما هي في بيت ليس لك، فأما بيتك الذي تسكنه فإن كان فيه أهلك فلا إذن عليها، إلا أنك تسلم إذا دخلت. قال قتادة: إذا دخلت بيتك فسلم على أهلك، فهم أحق من سلمت عليهم. فإن كان فيه معك أمك، أو أختك فقالوا: تنحنح، واضرب برجلك حتى ينتبها لدخولك؛ لأن الأهل لا حشمة بينك وبينها. وأما الأم والأخت فقد يكونا على حالة لا تحب أن تراهما فيها"(١)، ومن محاسن الأخلاق أن تُعلم أهلك بقدومك قبل دخولك البيت حتى تجد منهم ما يسرك!، ومما يترادف مع الاستئذان للدخول، التلفظ بالسلام، فيقال، "السلام عليكم أأدخل؟"، فأنت تسلم وتستأذن، فالحمد لله الذي علمنا بعلمه وهدانا بفضله إلى مكارم الأخلاق ومحاسنها! الحمد لله.

٧٥٧. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- أرشدنا إلى غض أبصارنا عن كل ما حرمه الله -سبحانه وتعالى- علينا، فغض البصر يحفظ القلب من كل فساد قد يقع على القلب بسببه، وغض البصر يشمل الرجال والنساء على حد سواء!، يقول ابن القيم -رحمه الله-: "وَالنَّظَرُ أَصْلُ عَامَّةِ الْحَوَادِثِ الَّتِي تُصِيبُ الْإِنْسَانَ، فَالنَّظْرَةُ

٦٢٤٥ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(١) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ١٥ | الصفحة ١٩٧ | تفسير سورة النور | الآية ٢٧ | مؤسسة الرسالة | بيروت

تُوَلِّدُ خَطْرَةً، ثُمَّ تُوَلِّدُ الْخَطْرَةُ فِكْرَةً، ثُمَّ تُوَلِّدُ الْفِكْرَةُ شَهْوَةً، ثُمَّ تُوَلِّدُ الشَّهْوَةُ إِرَادَةً، ثُمَّ تَقْوَى فَتَصِيرُ عَزِيمَةً جَازِمَةً، فَيَقَعُ الْفِعْلُ وَلَا بُدَّ، مَا لَمْ يَمْنَعْ مِنْهُ مَانِعٌ، **وَفِي هَذَا قِيلَ: الصَّبْرُ عَلَى غَضِّ الْبَصَرِ أَيْسَرُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى أَلَمِ مَا بَعْدَهُ**...، وَمِنْ آفَاتِ النَّظَرِ: أَنَّهُ يُورِثُ الْحَسَرَاتِ وَالزَّفَرَاتِ وَالْحَرَقَاتِ، **فَيَرَى الْعَبْدُ مَا لَيْسَ قَادِرًا عَلَيْهِ وَلَا صَابِرًا عَنْهُ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْعَذَابِ، أَنْ تَرَى مَا لَا صَبْرَ لَكَ عَنْ بَعْضِهِ، وَلَا قُدْرَةَ عَلَى بَعْضِهِ**"[١]، وأرشدنا الله -سبحانه وتعالى- لأن نحفظ فروجنا إلا على أزواجنا أو ما ملكت أيماننا، وفي حفظ البصر وحفظ الفرج حفظ للنفس الإنسانية، وزيادة في النقاء والطهر، فمن حفظهما فهو لغيرها أحفظ!، قال تعالى في سورة النور: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾، وقد حث الحبيب المصطفى ﷺ على حفظ البصر والفرج من أي شبهة فقال: "لا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إلى عَوْرَةِ الرَّجُلِ، ولا المَرْأَةُ إلى عَوْرَةِ المَرْأَةِ، ولا يُفْضِي الرَّجُلُ إلى الرَّجُلِ في ثَوْبٍ واحِدٍ، ولا تُفْضِي المَرْأَةُ إلى المَرْأَةِ في الثَّوْبِ الواحِدِ."[٢]، فمن حِفظ الفروج أن يبتدئ الإنسان بحفظ بصره من النظر إلى ما حرم الله -سبحانه وتعالى-، وإلى ما يفتنه ويقوده إلى حرام، فنُهينا أن ينظر الرجل إلى عورة الرجل، والمرأة إلى عورة المرأة، وأن يجتمع الرجل مع الرجل في رداء واحد أو على فرش واحد متجردين، والمرأة مع المرأة برداء واحد أو على فرش واحد متجردات، ومن باب أولى أن لا ينظر الجنس إلى الجنس الآخر أو يختلي به!، وقد روي عن بريدة

---

(١) كتاب الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (أو الداء والدواء) | ابن القيم الجوزية | الطبعة الأولى | الصفحة ٣٠٢ | مداخل المعاصي (مدخل المعاصي النظرة) | مكتبة ابن تيمية | القاهرة

(٢) الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٣٣٨ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

-رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "يا عليُّ لا تُتبعِ النَّظرةَ النَّظرةَ، فإنَّ لَكَ الأولى وليسَت لَكَ الآخرَةُ"(١)، وروى سهل بن سعد الساعدي -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "مَن يَضْمَن لي ما بيْنَ لَحْيَيْهِ وما بيْنَ رِجْلَيْهِ أضْمَن له الجَنَّةَ"(٢)، لذلك يا أخي، أوصيك بحفظ بصرك عن الحرام، وبحفظ بصرك عما يفتننك، وبحفظ بصرك عن كل ما يثير غرائزك، وبحفظ فرجك عن كل ما حرم الله -سبحانه وتعالى- كالزنا وعمل قوم لوط -والعياذ بالله-!، فعليك بحفظ فرجك من مقدمات الزنا وعمل قوم لوط كالقرب واللمس وغيرها! ولْتعلمْ أن العورة سميت عورة لأنها ما يُستر حياء من ظهورها، أو استقباحًا من النظر إليها، كما أنها الخلل والعيب الذي يُخشى من دخول العدو منه! لذلك ربِ نفسك وأهلك على الستر، وربهم على تجميل الستر بالحياء، واستقبح أن ترى ذلك وألا تغض بصرك!، ولْتعلمْ أن هذا الستر ينبغي ألا ينكشف إلا لزوجة أو لملك يمين، أو لحاجة لا تقضى إلا بهذا وبالقدر الذي يؤدي الغرض، والأمر كله لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٧٥٨. فلْتعلمْ يا أخي أن من حفظ الأعراض وحفظ الفروج وحفظ القلوب ألا تصف الزوجة لزوجها امرأة أخرى، وقد روى عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "لا تُباشِرُ المَرْأَةُ المَرْأَةَ، فَتَنْعَتَها لِزَوْجِها كَأنَّهُ يَنْظُرُ إلَيْها"(٣)، وعلى

(١) الراوي: بريدة بن الحصيب الأسلمي | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح أبي داود الصفحة أو الرقم: ٢١٤٩ | خلاصة حكم المحدث: حسن

(٢) الراوي: سهل بن سعد الساعدي | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٤٧٤ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٣) الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٥٢٤٠ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

الزوج أن يمتنع عن سماع مثل هذا الكلام، ونهي زوجه عن وصف النساء، وكل ذلك مما يحفظ الأعراض، ويحفظ القلوب، ويسد الذرائع لكل حرام قد يدخل للقلب أو العقل بسببه!

٧٥٩. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- أمر نساء المؤمنين بحفظ فروجهن، وإخفاء زينتهن، وأن يضربن بخمرهن على جيوبهن -إلا ما استثناه الله سبحانه وتعالى-، وهذا نص صريح بلزوم اللباس الشرعي، وهو الذي لا يصف ولا يشف ولا يكون زينة في ذاته فيلفت الأنظار، فضفاضًا غير ضيق، وأن لا يكون لباسًا يتشبه به في الرجال، قال تعالى في سورة النور: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ.... ﴿٣١﴾ ﴾، ولْتعلمْ يا أخي أن من صفات اللباس الشرعي للرجل أن يستر العورة، وألا يشف ما وراءها، وألا يتشبه الرجل بالنساء، ولْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- ما أمر أمرًا إلا وهو العالم الحكيم بما هو خير لنا ولأهلينا، ولْتعلمْ أنك أيها الرجل مسئول أمام الله -سبحانه وتعالى- عن رعيتك، فلا تفرط بها، واسعَ واعمل لأن يكون الله -سبحانه وتعالى- ورسوله ﷺ أعز ما تملكه قلوبهم، تفز ويفوزون بإذن الله، والأمر كله لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٧٦٠. فلْتعلمْ يا أخي أن الأطفال نوعان، طفل لم يظهر على عورات النساء فلا يميز ما يظهر من زينتهن ولا تأتيه الشهوة عليهن فهذا كمحارم المرأة، فلو شاهد ما بدى من زينتها فلا بأس، وطفل مميز يدرك زينة النساء ويقع في نفسه شيء من ذلك، فهذا مما يجب التستر عليه وألا يسمح له بالاطلاع على النساء، خصوصًا كلما اقترب من سن الحلم، وهذا فيه من عظائم الإرشاد والتربية الكثير، فالأولى أننا نعلم أطفالنا على الرجولة، والثانية نعلمهم على الحياء، والثالثة نجهزهم لمرحلة عمرية أخرى،

والرابعة فيها حفظ للمرأة من وصف مقصود أو غير مقصود من هذا الطفل لغيره من الرجال، والخامسة حفظ للمرأة من أن تشتهي من قارب على البلوغ...إلى آخره مما قد يقع من الفتن، فسبحان العليم الحكيم!

٧٦١. فلْتعلمْ يا أخي أن المرأة نهيت عن التعطر عند خروجها من بيتها، قالت زينب الثقفية -رضي الله عنها- عن النبي ﷺ قال: "إذا شَهِدَتْ إحْداكُنَّ العِشاءَ فلا تَطَيَّبْ تِلكَ اللَّيْلَةَ."[١]، فإن كان النهي عن التطيب عند الذهاب للمسجد، فهو لغيره أولى!، وقد روى أبو موسى الأشعري -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "أيما امرأةٍ استعطرتْ فمرتْ على قومٍ ليجدوا من ريحِها فهي زانيةٌ"[٢]، قال المناوي -رحمه الله-: "(فهي زانية) أي: هي بسبب ذلك متعرِّضةٌ للزنا، ساعيةٌ في أسبابه، داعيةٌ إلى طلابه، فسميت لذلك زانيةً مجازا....فربما غلبت الشهوة، فوقع الزنا الحقيقي، ومثل مرورها بالرجال قعودها في طريقهم ليمروا بها"[٣].

٧٦٢. فلْتعلمْ يا أخي أن المرأة يجب أن تراعي اللباس الذي ترتديه أمام محارمها، فلا يظهر منها أمام محارمها ما فيه ظهور للعورة وتحديدها، والأولى بها والأحوط أن تحافظ على حيائها وترتدي ما يستر بدنها دون إفراط أو تفريط...

٧٦٣. فلْتعلمْ يا أخي أن الزواج من سنة الحبيب المصطفى ﷺ، وقد حث عليه، فعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ

(١) الراوي: زينب امرأة عبد الله بن مسعود | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٤٤٣ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) الراوي: أبو موسى الأشعري | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح النسائي الصفحة أو الرقم: ٥١٤١ | خلاصة حكم المحدث: حسن

(٣) كتاب فيض القدير شرح الجامع الصغير | عبد الرؤوف المناوي | الطبعة الثانية | الجزء الأول | الصفحة ٢٧٦ | دار المعرفة | بيروت

فَلْيَتَزَوَّجْ، فإنَّه أغَضُّ لِلْبَصَرِ، وأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، ومَن لَمْ يَسْتَطِعْ فَعليه بالصَّوْمِ، فإنَّه له وِجَاءٌ"[١]، قال تعالى في سورة النور: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾، وقال تعالى في سورة الروم: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾، فالزواج هو السكن والمودة والرحمة، فتتلاقى من خلاله الأنفس قبل أن تتلاقى الأجساد، وفي الزواج استمرارية الحياة، فمنها ينتج ذرية مسلمة طيبة، وفيها طهارة القلب، وانصهار الناس فيما بينهم...إلى آخره من الخير الكثير الوفير، على مستوى الروح والجسد!، أما من لم يستطع الزواج لفقره وعدم استطاعته، فعليه بالصوم، فالصوم له وجاء، وإياك أن تخشى الفقر من الزواج، وإياك أن تخشى الزواج بداعي الفقر إن قدرت على ذلك!، فالله -سبحانه وتعالى- هو الغني، قال ابن كثير -رحمه الله-: " **أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح، ينجز [لكم] ما وعدكم من الغنى**، قال: ﴿**إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ**﴾. وعن ابن مسعود: التمسوا الغنى في النكاح، يقول الله تعالى: ﴿**إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ**﴾[٢]، وقد قال القرطبي -رحمه الله-: "إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله رجع الكلام إلى الأحرار؛ **أي لا تمتنعوا عن التزويج بسبب فقر الرجل والمرأة؛ إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله**. وهذا وعد بالغنى للمتزوجين طلبا رضا الله واعتصاما من معاصيه. وقال ابن مسعود: التمسوا الغنى في النكاح؛ وتلا هذه الآية. وقال عمر - رضي الله عنه -: عجبي ممن لا يطلب الغنى في

---

(١) الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ١٩٠٥ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٣٣١ | تفسير سورة النور | الآية ٣٢ | دار ابن حزم | بيروت

النكاح...فإن قيل: فقد نجد الناكح لا يستغنى؛ قلنا: لا يلزم أن يكون هذا على الدوام، بل لو كان في لحظة واحدة لصدق الوعد. وقد قيل: يغنيه؛ أي يغني النفس. وفي الصحيح ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس. وقد قيل: ليس وعد لا يقع فيه خلف، بل المعنى أن المال غاد ورائح، فارجوا الغنى. وقيل: المعنى يغنهم الله من فضله إن شاء؛ كقوله تعالى: فيكشف ما تدعون إليه إن شاء، وقال تعالى: يبسط الرزق لمن يشاء. وقيل: المعنى إن يكونوا فقراء إلى النكاح يغنهم الله بالحلال ليتعففوا عن الزنا، وهذه الآية دليل على تزويج الفقير، ولا يقول كيف أتزوج وليس لي مال؛ فإن رزقه على الله. وقد زوج النبي ﷺ المرأة التي أتته تهب له نفسها لمن ليس له إلا إزار واحد"(١)، وقد روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: " ثلاثةٌ حقٌّ على الله عونُهم: المُجاهِدُ في سبيلِ اللهِ، والمكاتَبُ الَّذي يُريدُ الأداءَ، والنَّاكِحُ الَّذي يريدُ العفافَ"(٢)، وهذا كله مما فيه نجاة من الفتن التي تتلقف الأبصار والأجساد، **وقد قال لي صديقي يومًا، لو أنك تركت الزواج بداعي التعلم أو رغبة بإنجاز بعض الأمور الدنيوية التي تأخرك عن الزواج وأنت قادر على ذلك، فلمن تترك الصالحات اللواتي ينتظرن رجلًا فيه من الصلاح ما يبحثن عنه! أتتركهن لأهل الفسق والفجور؟ أم تطيل عليهن حتى يمضي عليهن العمر؟**، وقد وقع كلامه في عقلي وقلبي موقع الماء من النار! ونظرت فقلت، ما الذي يمنع أن يصنع الإنسان ما يريده وزوجه بجانبه تعينه وتقويه في هذه الحياة على ما يريد، ومن الذي جعل الزواج عائقًا أصلًا عما يطلب تحقيقه! بل على العكس تمامًا، فإن باستقرار الزواج والرغبة إلى

---

(١) منقول بإيجاز | كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ١٥ | الصفحة ٢٣٢-٢٣٣ | تفسير سورة النور | الآية ٣٢ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) الراوي: أبو هريرة | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي الصفحة أو الرقم: ١٦٥٥ | خلاصة حكم المحدث: حسن

الله، يقترب كلانا إلى الله -سبحانه وتعالى- أكثر فأكثر، ويعين أحدنا الآخر على الطاعات، ويعين أحدنا الآخر على ما ينقص منه!، فتجد تناغمًا عجيبًا وقدرة عظيمة في قلبك لم تكن لتراها قبل زواجك!، فسبحان من جعل الزواج سكن ومودة ورحمة، وجعل فيه من الخير الكثير الوفير ما لا يمكن حصره وجمعه، ويكفي من الزواج نعمة أن يكون الزواج هو إحدى النعم التي أرشدنا الله -سبحانه وتعالى- إليها، فرزقنا بها وجعلها لنا من أجمل النعم الحسية والمعنوية، والتي لا يمكن تحقيقها إلا بالطريقة التي أحلها الله -سبحانه وتعالى- في الزواج!، وكم هو محروم طالب الفرج الحرام، فقد خسر الفرح الدائم مقابل متعة زائلة، والحمد لله الذي أرشدنا إلى ما فيه صلاحنا، والحمد لله الذي أرشدنا لما فيه صفاء قلوبنا وطهرها، الحمد لله رب العالمين.

٧٦٤. يا أخي، إياك أن تجبر أحدًا على الحرام إن كانت لك سلطة على إجباره أو استغلاله!، وإياك أن تجبر أحدًا على ما لا تملكه! وفي هذا تدخل أمور لا حصر لها نذكر منها، إجبار بعض الناس لبناتهم على الزنا -والعياذ بالله-، أو إجبار الأبناء على السرقة أو الكذب أو الإحتيال، أو أن تحتال على الناس باستخدامهم، ويدخل في ذلك أيضًا إجبار البنات على الزواج من شخص دون رضاهن! فكل هذا من أشنع القبائح وأشد الاعتداء على ما ليس لك به!، لذلك، اتقَ الله كما أمرت!، ولْتعلمْ أن ما سيأتيك من رزق وغنى مقدر لك، فاسعَ إلى طلب الحلال تُكفى بإذن الله، ولقليلٌ من الحلال وبركته أعظم من كثير الحرام، وغنى الحلال أعظم شأنًا من مال كُنز بالحرام!، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٧٦٥. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- أمرنا بالعفاف، والعفاف هو الامتناع عما لا يحل -الكف عن الحرام-!، ويشمل العفاف معاني عظيمة كالامتناع

عمَّا لا يليق، وتجنَّب سيِّئ القول والفعل، والاحتشام، ويشمل الترفع عن سفاسف الأمور والبعد عنها، قال تعالى في سورة النساء: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ .....﴿٦﴾﴾، و قال تعالى في سورة النور: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ....﴿٣٣﴾﴾، فكن يا أخي ذا عفة تزهو كزهرة عطرة، يشتم عطرها ويُنتفع بجمالها!

٧٦٦. قال تعالى في سورة النور: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾، هذه الآية العظيمة الجليلة، لا أَمَلُّ من قرائتها والنظر في معانيها الجميلة الجليلة، التي تلامس القلب بلا مانع!، فلا أجمل من أن تعلم أن الله -سبحانه وتعالى- نور السماوات والأرض، لا ينازعه منازع، ولا يتجلى لهذه المنزلة أحد سوى الله -سبحانه وتعالى- ، ولأنه تجلى وسمى على جميع مخلوقاته، كان الحكيم بنجاتهم، والهادي لهم، فكان هو مصدر الهداية في السماوات والأرض، وكان القرآن الذي رزقنا به، والإيمان الذي يغمر قلوب المؤمنين هو من نور الله -سبحانه وتعالى- الذي كان به هداية القلوب!، فاللهم اجعلنا ممن هديت واصطفيت، ولا حول ولا قوة إلا بك.

٧٦٧. فلْتعلمْ يا أخي أن المساجد هي البيوت التي أمر الله -سبحانه وتعالى- برفعها وتطهيرها من الدنس واللغو ومن كل فعل أو قول لا يليق!، وإقامة المساجد تكون بطريقين، الأول عمارة البنيان والتي تشمل بناء المساجد وصيانتها وإثراءها بما تحتاج إليه، والثاني عمارة ذِكر؛ وهي القيام بالصلاة فيها وذكر الله -سبحانه وتعالى- وقراءة القرآن والتعلم...ونحو ذلك، وقد حث النبي ﷺ على عمارة المساجد فقال:

"صَلَاةُ الجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةَ الفَذِّ بسَبْعٍ وعِشْرِينَ دَرَجَةً."(١)، وقال: "مَن تَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ فأسْبَغَ الوُضُوءَ، ثُمَّ مَشَى إلى الصَّلَاةِ المَكْتُوبَةِ، فَصَلَّاهَا مع النَّاسِ، أَوْ مع الجَمَاعَةِ، أَوْ في المَسْجِدِ غَفَرَ الله له ذُنُوبَهُ."(٢)، وقال: "مَن بَنَى مَسْجِدًا - قالَ بُكَيْرٌ: حَسِبْتُ أنَّه قالَ: يَبْتَغِي به وجْهَ الله - بَنَى الله له مِثْلَهُ في الجَنَّةِ"(٣)، وكل هذا من فضل الله -سبحانه وتعالى- على عباده، فضاعف لهم الأجر والثواب، وغفر لهم، وبنى لهم ورزقهم أفضل مما أنفقوا! ولْتعلمْ يا أخي أن بنيان المساجد لا يكون رياء ولا يكون مفاخرة وزينة، فقد روى أنس بن مالك -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى يتباهى النَّاسُ في المساجِدِ"(٤)، فصِلْ يا أخي البيوت التي أذن الله -سبحانه وتعالى- أن يذكر فيها اسمه، وكن من عمارها بنيانًا وذكرًا! قال تعالى في سورة النور: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾.

٧٦٨. يا أخي، هل تدري من هم الرجال حقًا؟ هم الذين لا تلهيهم الدنيا ومشاغلها عن ذكر الله -سبحانه وتعالى- والقيام بما أمر، لا تلهيهم الدنيا عن إقامة

---

(١) الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٤٥ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) الراوي: عثمان بن عفان | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٣٢ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٣) الراوي: عثمان بن عفان | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٤٥٠ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٤) الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح أبي داود الصفحة أو الرقم: ٤٤٩ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

الصلاة في وقتها! لا تلهيهم الدنيا عن حضور صلاة الجماعة، لا تلهيهم الدنيا ومتاعها عن إيتاء الزكاة وصوم رمضان، لا تلهيهم الدنيا فتشغل قلوبهم عما ينبغي أن تنشغل به القلوب حقًا! والرجل هو من يسعى لإنقاذ نفسه وأهله من العذاب المهين، وهو من يقول كلمة الحق ولو على رقبته، وهو من يطهر نفسه وبدنه من كل دنس وخبيث، الرجل هو من يصدق الله -سبحانه وتعالى- على ما عاهده عليه، ونستأنس هنا بقوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾، فالرجل هو من يقول ربي الله!، فإن كانت هذه أوصافك، وكان هذا قلبك، وهذه طريقك، كنت رجلًا حقًا، يزين خُلقك جوارحك، وكنت أنت نعم الرجل!

٧٦٩. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- خلق الليل والنهار والفصول، وجعلها عبرة ومنفعة للعباد، فبتعاقبهم تتحقق الحياة وتنجز الأعمال وينتفع البشر، ولكل وقت جماله وكينونته التي يتميز به عن الآخر، وينقص منه ما عند الآخر، وكل هذا مما يرينا نعيم الله -سبحانه وتعالى- وبركاته وفضله على البشر، فلو كانت الحياة كلها ليلًا لصعبت الحياة، ولو كانت كلها نهارًا لصعبت كذلك!، ولو كان دوام الفصول دون تعاقب طوال العام لصعبت الحياة، فبتعاقب الأوقات تتنوع مظاهر الحياة، فتزهر الثمار والأزهار، وتتنوع المآكل والمشارب، وتتنوع مظاهر الجمال للعين البشرية فيستمتع بها ويذكر فضل الله -سبحانه وتعالى- من خلالها، قال تعالى في سورة النور: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾، وإياك يا أخي من سب الزمن!، ويشمل هذا الوقت والفصول والأحداث التي يجريها الله -سبحانه وتعالى- في هذا الكون العظيم بما اقتضته حكمته، وقد روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "قَالَ الله تَعَالَى: يُؤْذِينِي ابنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ:،

وأنا الدَّهْرُ، بيَدِي الأمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ والنَّهارَ"(١)، ومعنى الحديث الشريف أن بني آدم يَنسُبَ إلى الله -سبحانه وتعالى- ما لا يَليقُ بجلاله -والعياذ بالله-، فالوقت واختلاف الليل والنهار ما هي إلا من أيام الله -سبحانه وتعالى- التي ينقضي من خلالها الزمن، فلا تكن كأهل الجاهلية يسبون الدهر غير مؤمنين بقضاء الله -سبحانه وتعالى- وحكمته!، وغير مؤمنين بما قدره الله -سبحانه وتعالى- في هذه الحياة، وغير مؤمنين بأن هذه الدنيا وما فيها ما هي إلا محل الاختبار ومكانه، وما على الممتحن إلا أن يقوم بأفضل ما لديه، فمثلًا لا تسب الشتاء لبرده واذكر فضل الله -سبحانه وتعالى- الذي جعل منه فصلًا ترزق به الأرض ماءً سائغًا فينتفع به من على هذه البسيطة...ونحو ذلك، وترى هذا الأمر يتجدد بأشكال مختلفة وبطرق متنوعة، فالناظر إلى الناس وقت البلاء يراهم شقين، الأول: ساخط يزداد عنادًا وتمرداً، ويزيد ذلك قبحًا باللعن والسب على ما وقع من بلاء أو وباء، والثاني: هم الصابرون على ما أصابهم، المستغفرون لله -سبحانه وتعالى- المداومين على الطاعات الراضين بقضاء الله -سبحانه وتعالى- وحكمته حتى يرفع الله -سبحانه وتعالى- البلاء والوباء، أو يتوفاهم عنده صابرين محتسبين، وقد قالت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-: "سَأَلْتُ رَسولَ الله ﷺ عَنِ الطَّاعُونِ، **فأخْبَرَنِي أنَّه عَذَابٌ يَبْعَثُهُ الله علَى مَن يَشَاءُ، وأنَّ الله جَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ**، ليسَ مِن أحَدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ، فَيَمْكُثُ في بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، يَعْلَمُ أنَّه لا يُصِيبُهُ إلَّا ما كَتَبَ الله له، إلَّا كانَ له مِثْلُ أجْرِ شَهِيدٍ."(٢)، وهذا كله فيه إرشاد وتهذيب للقلوب وما يجري على اللسان، وفيه توجيه

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٤٨٢٦ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم:

إلى ما قد يستخف به الناس وهو عظيم، والعاقل هو من أدرك أن هذه الدنيا وما فيها من تقدير العزيز العليم، الذي لا يُسأل عما يفعل، ونحن نُسأل عما نفعل!، فهو الذي وضع سنن هذا الكون وحدد مجراه، وخلق الإنسان وأرشده إليه، لا تبديل لحكمه!، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٧٧٠. فلْتعلمْ يا أخي أن تعدد أشكال الدواب على هذه الأرض كالإنسان والطيور والسباع والحيتان والأفاعي والأنعام وغيرها مما لا يمكن تصوره أو حصره، كلها دليل على وجود خالق عليم حكيم، خلقها بعلمه وقدرته اللامتناهية!، فلا محل هنا للصدفة أو العشوائية فيها! بل هي نظام بديع متقن، والجاهل هو من يظن عكس ذلك!

٧٧١. فلْتعلمْ يا أخي أن المؤمن يقبل حكم الله -سبحانه وتعالى- لأنه الحق والعدل المطلق!، وهذا القبول يجب أن يكون في حالة الموافقة لما في نفوسنا وشهواتها أو حين مخالفتها! فلا يحق للجد أن يأخذ أكثر من نصيب حفيدتيه!، ولا يحق عند التخاصم رفض حكم الحاكم عند حكمه بالعدل، ولا يحتكم المؤمن بشريعة غير الإسلام فيما حكم فيه الله -سبحانه وتعالى-!، وهذا كله مدعاة لنقطة مهمة، وهو توحيد الله -سبحانه وتعالى- بما تقتضيه "لا إله إلا الله" حقيقة، أي أن المعنى بأبسط صورة؛ أنك مؤمن بالله -سبحانه وتعالى-، عاملا بمقتضى أوامره الكونية والشرعية، وهذا يعني أنك تحتكم وترجع إلى الله -سبحانه وتعالى- في كل أمورك، صغرت أم كبرت!، قال تعالى في سورة النور: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى

٣٤٧٤ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾، هذه الآيات العظيمة ملأى بالخير، فهي تنتشل الإنسان من عبادة العباد، إلى عبادة رب العباد!، تنتشله من الذل والهوان لشهواته ولغيره، إلى العز الذي ارتضاه الله -سبحانه وتعالى- لعباده، والخير الذي رزقهم إياه!، وهذا لا يكون إلا بدستور سماوي، فيه الحق وإليه الاحتكام!، وهذا لا تجده إلا في كتاب الله -سبحانه وتعالى- وبما أوحى فيه إلى نبيه ﷺ!، بل وحذرت هذه الآيات من الانتكاس والاحتكام لغير الله -سبحانه وتعالى- حتى لا يخرج الإنسان من دائرة الإيمان -والعياذ بالله-!، وهذا كله يدعو المسلم لأن يحذر ويفر من الاحتكام إلى غير الإسلام، كحال الفار من الموت!، وعليه أن لا يُحكم هواه فينظر، هل ستتحقق له المنفعة الأكبر من الاحتكام لشرع الله -سبحانه وتعالى- أم من الاحتكام لقانون وضعي!، فإنه وإن ذهب لحكم الله -جل في علاه-، فإنه ما ذهب إليه إلا لأنه اتبع هواه الذي قاده لما هو أكثر نفعا له، ولو وجد أن حكم القانون الوضعي كان أكثر منفعة له؛ لذهب إليه!، وهذه حال خطيرة من التذبذب!، فالأصل أن يتبع الإنسان الحق إن كان له أو عليه!، وأن يرضى بالحكم العدل على أي حال!، بل إن حال المسلم النقي ذو القلب الصادق أن يقول إذا سمع حكم الله -سبحانه وتعالى- أو دُعي إليه أن يقول: سمعنا وأطعنا، فإن هذا لهو طريق الفلاح، في الدنيا والآخرة!، وإنني لأزعم أن هذه الآيات لوحدها، كفيلة بإخراج المسلم من براثن العبودية لنور الحرية، من براثن العالمانية المقيتة وما شاكلها إلى نور الهدى والقلب السوي والعقل الراجح!، وقد ذكر الدكتور سامي عامري -رحمه الله- قولا جميلا في هذا الباب، فقال: "فحقيقة الإقرار بالربوبيَّة لا تتمثّلُ في إفراد الله – جل وعلا – بالخلق والتدبير الكوني فحسب؛ بل تمتدُّ لتشمل إِفرادَهُ تعالى بالأمر والقضاء الشرعيّ،

وقبول ما جاء به رسوله ﷺ من الهُدى والشّرائع؛ وذلك لأنَّ المنازعة في الأمر الشرعي كالمنازعةِ في الأمر الكونيُ ولا فَرْقَ، فإِنَّ الذي أَوْجَبَ الرّضا بقدَرِه هو الذي أَوْجَبَ التحَاكُمَ إلى شَرْعِه، وهو القائل: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠]، والقائل: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، والإقرار المقصود في هذا المقام هو الإقرار الانقيادِيُ الذي يَعْني إنشاء الالتزام، وليس مَجرَّدَ الإقرار الخبريّ الذي لا يتجاوز دائرة التُصديقِ والإخبار، فلو أن رجلًا أقرّ بصدق ما جاء به النبي ﷺ ولم يتبعه على ذلك بل حاربه وعاداه فإنه لا يكون مُوحدًا بحالٍ من الأحوال!"(١)، ولا حول ولا قوة إلا بالله..

٧٧٢. فلْتعلمْ يا أخي أن الله –سبحانه وتعالى– عندما وضع الأحكام؛ وضعها لمصلحة العباد، فلم تكن أحكامه مجردة مرصوصة دون معانٍ تملؤها الحياة!، فالله –سبحانه وتعالى– برحمته لعباده يسر لهم سبل الوقاية قبل العلاج!، وسبل النجاة قبل العقاب!، وهذه نقطة مهمة لنتعامل بها مع أنفسنا ومع غيرنا ومع أطفالنا ومع كل سائل أو مكروب!، فمثلاً، لو سألك طفلك أو أحد ما عن حكم الانتحار، ووجدت في عينه ما يدعو لذلك، فالقول واحد، حرام ومن كبائر الذنوب، لكن، لا تكتفِ بهذه الإجابة، بل أخبر السائل بسبل النجاة وعالج ما تراه من قلبه العليل، فمثلًا إن كان الفقر أو التنمر أو المشاكل والأزمات أو المرض...إلى آخره هو السبب، فأخبره بأن الدنيا في ذاتها لا تدوم، فكيف بحال من يعيش فيها؟!، فإن كان من يعيش فيها لا يدوم، فكيف يدوم المصاب؟!، فإن دام المصاب والكرب حتى الوفاة؛ فماذا أعد الله –سبحانه وتعالى– لعباده الصابرين من ثواب ونعيم؟!، أخبره عن كتاب الله –سبحانه

---

(١) كتاب العالمانية طاعون العصر | سامي عامري | الفصل الثالث | المبحث الأول | المطلب الرابع | الصفحة ٢٠٢ | الطبعة الأولى | تكوين

وتعالى-، وساعده في تربية نفسه وتزكيتها حتى تنال السلام من الداخل والخارج!، واسأله، هل يظن أن بلاءه بلا معنى؟!، أخبره أن المؤمن يدرك أن أمره كل خير، وهو في كل أحواله في خير!، فإن لم يدرك محل الخير ساعتها، فإنه مدركها ولو بعد حين!، أخبره أن رضا الناس ليست غاية!، وأن الإنسان مهما تجبر وعتا، ومهما ارتفعت منزلته واغتنى، فإنه لا يخرج عن كونه ترابًا كحال غيره من البشر!، علمه أن حسن الظن بالله -سبحانه وتعالى- كنز عظيم، ما أن تدركه النفس حتى تنجو!، وأخبره أن الصعاب والكُرب التي يتلاقها، قد تكون بذاتها هي سبيل نجاته!، فمثلًا لو لم يكن ذاك الشخص مشلولًا لتجبر في الأرض، ولو كان ذاك الشخص غنيًا لطغى!...إلى آخره، والأجمل من هذا كله أن لا تنتظر السائل حتى يسأل، بل ربِ في نفوس من رأيت هذه المعاني قبل أن تصطدم هذه النفوس بشبهات الحياة!، خصوصًا مع أهل بيتك، خصوصًا مع أطفالك!، ومن هذه المعاني الجميلة أيضا، أن يربي الراعي رعيته على تزكية النفوس قبل الحاجة لوجود ما يدعو لذلك!، فمثلًا، الفتاة التي ترتدي الحجاب، إما أن تكون راضية سعيدة بحكم ربها -جل في علاه-، ترى في حكمه سترًا وعفة وطهارة، وترى في حكم ربها اصطفاء لها بالإسلام، وتفضيل لها عن غيرها ممن لم يمتثلن لأمر الله -سبحانه وتعالى- أو كفرن به!، ترى نفسها تلك الفتاة التي اصطفاها الله -سبحانه وتعالى- لتمتثل لأمره!، وبين تلك التي تجد نفسها مقيدة، مبتلاة بالإسلام وأحكامه!، والفرق بينهما عظيم، فالأولى مطمئنة والثانية على حرف!، وهذا درس مهم للراعي؛ عليه أن يُعلم أهل بيته أهمية إسلامهم وقيمتهم فيه وأهميتهم في هذه الحياة!، عليه أن يربي فيهم روح العزة، بل وأن يرفعوا رءوسهم لأعالي السماء بما امتن الله -سبحانه وتعالى- عليهم من الإسلام والإيمان!، علّمهم كيف يمكن أن يعيشوا مسلمين وأن يموتوا مسلمين، ازرع في عقولهم وقلوبهم

قدوات لا تزول!، حدّثهم عن النبي ﷺ وسيرته، حدّثهم عن الصحابة -رضوان الله عليهم-، وحدّثهم عن العلماء، وحدثهم عن الأبطال، وحدثهم عن الصالحين، وحدثهم عن عظماء هذا الدين!، إن تاريخنا مليء بالأبطال الحقيقيين، والذين تحسدنا عليهم كل الأمم!، بل إن الأمم الأخرى تصطنع قدوات وأبطال ليزرعوا في أبنائهم معاني البطولة!، فما ظنك بأمة فيها من الأبطال والرجال ما لا نحصيه عدًا ولا ذكرًا؟!، لهذا يا أخي، علّم نفسك وأهلك ومن حولك أهمية أحكام الله -سبحانه وتعالى-، وعظّم أوامره، عظم الله -سبحانه وتعالى- في نفوسهم، ليعظموا أوامره!، ثم اسعَ لزرع قوي متين في نفوس أبنائك، علمهم ألا يتبعوا خطوات الشيطان، ولا تدع حكم الله -سبحانه وتعالى- هو الرادع الوحيد وخط الدفاع الأول والأخير أمام الشبهات!، بل اجعل في قلوبهم وعقولهم من التزكية والفكر ما يدفع عنهم الشبهات والنزوات، وهذا لا يكتمل إلا بحكم صريح مُعظم، وتزكية للنفس ورفعة بالإسلام وعزة به في قلوبهم، وحسن ظن بربهم وحسن توكل عليه، وحسن استعانة به!، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٧٧٣. يا أخي، لا تقسم بالله على أمر إلا وأنت عازم على فعله!، وإياك والقسم على ما فيه معصية!، ومذموم من أكثر الحلف!، والأحب إلى قلبي تجنب القسم ما استطعت!

٧٧٤. قال تعالى في سورة النور: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾، هذه الآية الكريمة فيها وعد من الله -سبحانه وتعالى- لعباده المؤمنين بأن يستخلفهم في الأرض، وقد حصل ذلك بفضل الله

-سبحانه وتعالى- في عهد الرسول ﷺ وفي عهد الخلفاء الراشدين من بعده، وهذا الوعد مما يحيي النفوس، ففيه أن الاستخلاف للمسلمين سيكون لهم ما أن يؤمنوا بالله -سبحانه وتعالى- وما أنزل وأرسل، يعملون الصالحات، ويتقربون بها إلى الله -سبحانه وتعالى-، قال السعدي -رحمه الله-: "فوعدهم الله الاستخلاف في الأرض والتمكين فيها، والتمكين من إقامة الدين الإسلامي، والأمن التام، بحيث يعبدون الله ولا يشركون به شيئًا، ولا يخافون أحدًا إلا الله، فقام صدر هذه الأمة، من الإيمان والعمل الصالح بما يفوقون على غيرهم، فمكنهم من البلاد والعباد، وفتحت مشارق الأرض ومغاربها، وحصل الأمن التام والتمكين التام، فهذا من آيات الله العجيبة الباهرة، ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة، مهما قاموا بالإيمان والعمل الصالح، فلا بد أن يوجد ما وعدهم الله، وإنما يسلط عليهم الكفار والمنافقين، ويديلهم في بعض الأحيان، بسبب إخلال المسلمين بالإيمان والعمل الصالح."(١)، وقد روى جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: **"لا تَزالُ طائِفَةٌ مِن أُمَّتي يُقاتِلُونَ علَى الحَقِّ ظاهِرِينَ إلى يَومِ القِيامَةِ،** قالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ ﷺ، فيَقولُ أمِيرُهُمْ: تَعالَ صَلِّ لَنا، فيَقولُ: لا، إنَّ بَعْضَكُمْ علَى بَعْضٍ أُمَراءُ تَكْرِمَةَ اللهِ هذِه الأُمَّةَ."(٢)، فمن شهد هذا التمكين وحضر كثرة النعم وأمان الحال، فعليه بمداومة العمل الصالح والتقرب إلى الله -سبحانه وتعالى-، حتى تبقى هذه النعم ما شاء الله -سبحانه وتعالى- لها أن تكون!، فاللهم النصر من عندك، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

---

(١) منقول بتصرف | كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة النور | الجزء الثامن عشر | الآية ٥٥ | الصفحة ٥٧٣ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) الراوي: جابر بن عبد الله | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ١٥٦ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

٧٧٥. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- لا يعجزه شيء في هذا الكون العظيم، وإنه وإن أمهل الظالمين والكافرين لم يهملهم!، وهو القادر عليهم، متى أراد أمرًا فإنما يقول له كن فيكون!، ولله -سبحانه وتعالى- سنن وقوانين لا تتبدل -إلا بإذنه-، فإن علمت هذا فلتهدأ نفسك، ولتقر عينك، وإنما عليك السعي لمرضاة الله -سبحانه وتعالى- بكل ما أوتيت من قوة، أما الكافرين والظالمين فأمرهم إلى الله -سبحانه وتعالى-، وما الآخرة عنا ببعيد!

٧٧٦. يا أخي، علّم أبناءك الاستئذان!، فلا يدخلون عليك أو على غيرك من غير إذن، واحرص عليهم في ذلك، واحرص على تعليمهم عن أكثر الأوقات حرجًا، وهي من قبل الفجر ووسط النهار -عند القيلولة- وبعد العشاء، فلا تُنتهك هذه الأوقات من غير إذن!، ومع أن من نعم الله -سبحانه وتعالى- علينا وجود ما يسترنا كالأبواب والنوافذ وغيرها، إلا أن هذا الأدب يجب أن يبقى محفورًا في رءوس المسلمين، وهذا الأمر واجب على من قصد بيتًا ولم يكن له ما يستره فيه من الأبواب والنوافذ، كبيوت الشعر!، فسبحان العليم الحكيم، سبحان من علمنا ولم نكن شيئًا! سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

٧٧٧. إياك يا أخي أن تشغلك ملذات الدنيا ومتاعها وشهواتها عن عبادة الله -سبحانه وتعالى- والقيام بما أمرت، فإن رزقك الله -سبحانه وتعالى- ورزق آباءك من قبل الخير الكثير الوفير، فكن شاكرًا مدوامًا على شكر الله -سبحانه وتعالى-، منتفعًا مما رزقك الله -سبحانه وتعالى- ورزق آباءك من كل خير، لا معتديًا تقوم بكل شر وكل ضلال -والعياذ بالله-!

٧٧٨. قال تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً

أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ﴿٢٠﴾، هذه الآية العظيمة فيها إرشادات عظيمة للناس، ففيها أن المرسلين كانوا من البشر، يأكلون الطعام ويبتغون منافعهم، وفيها إرشاد عظيم لفهم التفاوت في هذه الحياة! وقد ذكر القرطبي -رحمه الله- قولًا جميلًا في تفسيره فقال: " قوله تعالى: وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون أي إن الدنيا دار بلاء وامتحان، فأراد سبحانه أن يجعل بعض العبيد فتنة لبعض على العموم في جميع الناس مؤمن وكافر، **فالصحيح فتنة للمريض، والغني فتنة للفقير، والفقير الصابر فتنة للغني. ومعنى هذا أن كل واحد مختبر بصاحبه، فالغني ممتحن بالفقير، عليه أن يواسيه ولا يسخر منه. والفقير ممتحن بالغني، عليه ألا يحسده ولا يأخذ منه إلا ما أعطاه، وأن يصبر كل واحد منهما على الحق؛ كما قال الضحاك في معنى أتصبرون: أي على الحق. وأصحاب البلايا يقولون: لِمَ لم نعاف؟ والأعمى يقول: لِمَ لم أجعل كالبصير؟ وهكذا صاحب كل آفة.** والرسول المخصوص بكرامة النبوة فتنة لأشراف الناس من الكفار في عصره. وكذلك العلماء وحكام العدل. ألا ترى إلى قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم. **فالفتنة أن يحسد المبتلى المعافى، ويحقر المعافى المبتلى. والصبر: أن يحبس كلاهما نفسه، هذا عن البطر، وذاك عن الضجر.** أتصبرون محذوف الجواب، يعني: أم لا تصبرون. فيقتضي جوابا كما قال المزني، وقد أخرجته الفاقة فرأى خصيا في مراكب ومناكب، فخطر بباله شيء فسمع من يقرأ الآية: أتصبرون فقال: بلى ربنا! نصبر ونحتسب."(١)، وهذا فيه من الحكم الكثير، **فالدنيا لا تجتمع لأحد**، ولكل واحد منا ما فضّله الله -سبحانه وتعالى- به على غيره، **وقد أكرمنا الله -سبحانه وتعالى- بفضله ونعمه بما لا نقدر**

(١) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ١٥ | الصفحة ٣٩٠ | تفسير سورة الفرقان | الآية ٢٠ | مؤسسة الرسالة | بيروت

على إحصائه وسرده، والواحد منا إما أن ينظر إلى نعيم الله -سبحانه وتعالى- إليه فيرى ما فيه من كثرة النعم ووفرتها في الصحة أو المال أو الأهل أو الأرض أو الأمن...ونحو ذلك، ويرى قلة ومحدودية ما وقع عليه من البلاء أو ما نقص منه، وإما أن يغلق عينيه فلا يرى إلا البلاء والفتن ويتناسى ويستصغر ما به من نعم! فالله الله في أنفسنا وأهلينا، الله الله في صبرنا وشكرنا، الله الله في نعيمنا وبلائنا ونظرنا وتفكيرنا!، وقد روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "إذا نَظَرَ أحَدُكُمْ إلى مَن فُضِّلَ عليه في المالِ والخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إلى مَن هو أسْفَلَ منه"(١)، فسبحان من علِم ما في نفوسنا وما تصير إليه، فهدانا لصلاح نفوسنا وتقواها، فالحمد لله رب العالمين حمدًا يليق بعظمته، الحمد لله.

٧٧٩. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- كرّم المؤمنين ومايزهم في كثير من الأمور عن الكافرين، وإحدى هذه الأمور ما يحدث من أهوال وفزع في يوم القيامة، قال تعالى في حق الكافرين في سورة الفرقان: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾، وقال تعالى في سورة المدثر: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾، فإن كان ذلك اليوم على الكافرين عسيرًا فهو على المؤمنين يسيرًا!، قال تعالى في سورة الأنبياء في حق المؤمنين: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾، وقد روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ: "يومَ يقومُ الناسُ لربِّ العالمين مقدارَ نصفِ يومٍ من خمسين ألفِ سنةٍ فيهونُ ذلك على

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٤٩٠ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

المؤمنِ كتدلِّي الشمسِ للغروبِ إلى أن تغربَ"(١)، فلو كانت هذه لوحدها مزية المؤمن عن الكافر لكفى بها من نعمة! فيا رب اجعلنا من المؤمنين الذين لا يحزنهم الفزع الأكبر، وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون!

٧٨٠. يا أخي، إذا أردت انتقاء خليلًا لك، أو حتى صاحب فاحرص أشد الحرص على أن يكون هذا الخليل ممن يأخذ بيدك إلى الصلاح وإلى الحق وإلى العدل وإلى العمل الصالح وإلى الحب النقي والقلب المخلص، وإياك ممن يضلك عن دين الله -سبحانه وتعالى- وذكره، وإياك أن تكون ممن قال الله فيهم في سورة الفرقان: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾، ولْتعلمْ أن من اتخذ خليلًا يضله عن الحق فهو ظالم لنفسه، فإن أردت أنت تنظر لنفسك أنظر لخليلك! والخليل هو الصديق الخالص، الذي تخللت محبتُه القلبَ فصارت في خلاله، وتمهل وتأنى قبل أن تطلق هذا اللفظ لأحد! فهذا اللفظ عظيم المعنى، شديد الأثر، إما لك وإما عليك!

٧٨١. قال تعالى في سورة الفرقان: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾، قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: "يقول تعالى مخبرًا عن رسوله ونبيه محمد - صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين - أنه قال: ﴿ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾، وذلك أن المشركين كانوا لا يصغون للقرآن ولا يسمعونه، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فصلت: ٢٦] وكانوا إذا تُلي عليهم القرآن أكثروا اللغط

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترغيب الصفحة أو الرقم: ٣٥٨٩ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

والكلام في غيره، حتى لا يسمعوه. فهذا من هجرانه، **وترك علمه وحفظه أيضًا من هجرانه، وترك الإيمان به وتصديقه من هجرانه، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه، والعدول عنه إلى غيره - من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره - من هجرانه،** فنسأل الله الكريم المنان القادر على ما يشاء، أن يخلصنا مما يسخطه، ويستعملنا فيما يرضيه، من حفظ كتابه وفهمه، والقيام بمقتضاه آناء الليل وأطراف النهار، على الوجه الذي يحبه ويرضاه، إنه كريم وهاب"(١).

٧٨٢. فلْتعلمْ يا أخي أن الإنسان قد يجد حوله الأحباب، وقد يجد حوله الأعداء، وقد يجتمع كلاهما معًا!، فعلى أي حال كنت، فهذا كله مما يوجب على الإنسان أن يتفقه وأن ينظر كيف يمكنه أن يدبر أمره بأفضل طريقة بلا إفراط أو تفريط! وبدون مداهنة ونفاق! وأول ما يمكن القيام به هو طلب الهداية من الله - سبحانه وتعالى- في كل الأمور وفي جميع الأحوال! ثم أن ينظر إلى نفسه فيدرك مواطن ضعفها وقوتها فيجبر ضعفها ويعزز قوتها، ثم ينظر إلى من حوله، فإن وجد حبيبًا بنى جسرًا معه في صفاء وإخلاص، وإن وجد عدوًا احترس منه، فإن وجد باب للخير فيه دعاه إليه لعل أن ينقلب العدو يومًا فيصير حبيبًا!

٧٨٣. يا أخي، هل تعلم متى يكون الصبر مذمومًا؟!، عندما يكون الصبر على الباطل والضلال وما يترتب عليه من نتائج، فهذا يكون صبرًا مذمومًا!، وعندما يكون الصبر على الأذى صبر ضعف وذل وهوان، صبر لا يراد به إلا بضع لقيمات تحت سوط ظالم، صبر لا يخرج صاحبه من ذل إلا أوقعه في ذل أكبر منه!، فهو صبر يذم

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٣٥٧ | تفسير سورة الفرقان | الآية ٣٠ | دار ابن حزم | بيروت

صاحبه عليه!، أما الصبر في مواضع الحق والبلاء والضعف والتمهل حتى يتسنى أسباب الفوز بعد الصبر، فهذا كله من الصبر المحمود!، ومن الأمثلة على الصبر المذموم حال مشركين قريش، فقد صبروا على إشراكهم بالله -سبحانه وتعالى- وتواصوا على ذلك!، قال تعالى في سورة الفرقان: ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾، فاللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه!

٧٨٤. فلْتعلمْ يا أخي أن الداعي إلى الله -سبحانه وتعالى- يجب أن يجاهد نفسه ما استطاع في تبليغ دعوة الله -سبحانه وتعالى-، فكما أن داعي الشيطان لا يتوقف عن الدعوة إلى الباطل، على الداعي إلى الله -سبحانه وتعالى- ألا يتوقف عن الحق -وهو الأحق بذلك!-، فإن أصاب هذا الداعي تقلب وفتور، عليه أن يجدد نفسه وعزمه فلا يطيل الغياب!، وهذا الأمر ينطبق على نواحي الحياة كلها، فعلى العالم أن يكافح ليبقى مستمرًا مواكبًا لأحدث العلوم، فإن أصابه الفتور فعليه شد العزم والعودة للقراءة ومتابعة العلوم مجددًا، والعامل الذي جمع بعض المال ثم فتر عن العمل يجب أن يشد عزمه وينهض لعمله حتى لا يضيع قليل ما ادخره، وعلى الطالب أن يدرس ويجتهد حتى إذا جاء الامتحان بذل جل وسعه، فإن كان في فتور نفض عن نفسه ذلك وداوم على الجد والعلم،...ونحو ذلك، **ولْتعلمْ أن الجزء الصعب يكون في ترك الكسل والفتور لا في المداومة على الجد والاجتهاد! ولَمشقةٌ تجلب نفعًا لصاحبها خير من راحة لا تجلب إلا بؤسًا!** والله المستعان.

٧٨٥. فلْتعلمْ يا أخي أن المال الحلال الطيب قد يأتي أثناء الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- من أوجه الحلال الكثيرة، وهذا لا ينفي ولا يشكك في شخص الداعي إلى الله -سبحانه وتعالى- ورسالته!، فمثلًا لا ينفي أن يكون للداعي تجارة

أو عمل، ولا ينفي أن ينتفع من كتاب أو علم، ولا يذم العالم فيما وهبه الناس له عن طيب نفس منهم! لكن المشكلة تكمن فيمن له قلب مريض يقولب أو ينافق باسم الدين أو العلم حتى يحقق مآربه الشخصية ومنافعه، أو منافع سلطان ظالم أو منتفع له معه منفعة! ولا حول ولا قوة إلا بالله!

٧٨٦. فلْتعلمْ يا أخي أن السجود لله -سبحانه وتعالى- عزة ورفعة، وأقرب ما يكون فيه العبد لربه، وقد روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "أَقْرَبُ ما يَكونُ العَبْدُ مِن رَبِّهِ، وهو ساجِدٌ، فأكْثِرُوا الدُّعاءَ."[١]، وقد حث الرسول ﷺ على السجود فقال: "عَلَيْكَ بكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فإنَّكَ لا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً، إلَّا رَفَعَكَ الله بهَا دَرَجَةً، وحَطَّ عَنْكَ بهَا خَطِيئَةً"[٢]، والسجود لا يكون لغير الله!، فكن عزيزًا!، وعزتك لا تتم إلا بخضوعك لله -سبحانه وتعالى-، وترفعك عن التذلل للناس!، فسبحان من خضعت له الرقاب، سبحان العزيز الحكيم، سبحانه وتعالى عما يصفون!

٧٨٧. فلْتعلمْ يا أخي أن اجتناب مقارعة الجاهلين بالطريقة التي يسلم بها الإنسان من جهلهم، ويسلمون هم من مقابلة جهلهم بجهل، من الأفعال التي لا تصدر إلا من صاحب حلم وتواضع وعقل رزين، فاحرص على أن تكون منهم، قال تعالى في سورة الفرقان: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾، قال ابن كثير -رحمه الله-: "وقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٤٨٢ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) الراوي: ثوبان مولى رسول الله ﷺ | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٤٨٨ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾ أي: إذا سفه عليهم الجهال بالسيئ، لم يقابلوهم عليه بمثله، بل يعفون ويصحون، ولا يقولون إلا خيرًا، كما كان رسول الله ﷺ لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا"(١)، وقال البغوي -رحمه الله-: ﴿ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾ قال مجاهد: سدادًا من القول. وقال مقاتل بن حيان: قولًا يسلمون فيه من الإثم. وقال الحسن: إن جهل عليهم جاهل حلموا ولم يجهلوا، وليس المراد منه السلام المعروف. وروي عن الحسن: معناه سلموا عليهم، دليله قوله - عز وجل -: وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم"(٢)، فإذا نظرت إلى أول الآية علمت أن الله -سبحانه وتعالى- وصف عباده المؤمنين بهذه الأوصاف الجليلة، فهي ترشد إلى بعض صفاتهم كالحلم والتواضع والسكينة، وطريقة مشيتهم التي ليس فيها تبختر ولا بطر!، ولا تصنع ولا رياء!، ومن صفاتهم أنهم يقومون الليل ويحرصون على ذلك، يدعون ربهم بأن يصرف عنهم عذاب جهنم، إن عذابها كان غرامًا، وهم ليسوا مسرفين ولا مقترين في إنفاقهم، وهم موحدين لله -سبحانه وتعالى- لا يشركون به شيئًا، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا يزنون، بل يعملون أعمالًا صالحة إثر بعضها البعض، تالله فاز من اجتمعت له، فاللهم اجعلنا برحمتك من عبادك المؤمنين.

٧٨٨. فلْتعلمْ يا أخي أن توبة صادقة إلى الله + إيمان صحيح بالله -سبحانه وتعالى- وبما أنزل + عمل صالح = ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ ﴾، قال

---

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٣٦٣ | تفسير سورة الفرقان | الآية ٦٣ | دار ابن حزم | بيروت

(٢) كتاب معالم التنزيل (تفسير البغوي) | أبي محمد البغوي | المجلد السادس | تفسير سورة الفرقان | الصفحة ٩٣ | الآية ٦٣ | دار طيبة | الرياض

تعالى في سورة الفرقان: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾، قال السعدي -رحمه الله-: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ لمن تاب يغفر الذنوب العظيمة ﴿ رَّحِيمًا ﴾ بعباده حيث دعاهم إلى التوبة بعد مبارزته بالعظائم ثم وفقهم لها ثم قبلها منهم"، وقد روى أبو ذر الغفاري -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "إنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا الجَنَّةَ، وآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْها، رَجُلٌ يُؤْتَى به يَومَ القِيامَةِ، فيُقالُ: اعْرِضُوا عليه صِغارَ ذُنُوبِهِ، وارْفَعُوا عنْه كِبارَها، فَتُعْرَضُ عليه صِغارُ ذُنُوبِهِ، فيُقالُ: عَمِلْتَ يَومَ كَذا وكَذا كَذا وكَذا، وعَمِلْتَ يَومَ كَذا وكَذا كَذا وكَذا، فيَقولُ: نَعَمْ، لا يَسْتَطِيعُ أنْ يُنْكِرَ وهو مُشْفِقٌ مِن كِبارِ ذُنُوبِهِ أنْ تُعْرَضَ عليه، فيُقالُ له: **فإنَّ لكَ مَكانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً**، فيَقولُ: رَبِّ، قدْ عَمِلْتُ أشْياءَ لا أراها هاهُنا. **فَلقَدْ رَأَيْتُ رَسولَ الله ﷺ ضَحِكَ حتَّى بَدَتْ نَواجِذُهُ.**"[١]، فالحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام، والحمد لله الذي أكرمنا بعبادته والعلم برحمته ومغفرته، والحمد لله أن كنا من أمة الحبيب المصطفى ﷺ، ونسأل الله -سبحانه وتعالى- أن نرى ضحك الحبيب ﷺ في الدنيا والآخرة، والحمد لله رب العالمين.

٧٨٩. فلْتعلمْ يا أخي أن من قرة عين المرء أن يرى حبيبه / زوجه / ذريته طائعين لله -سبحانه وتعالى- مستسلمين له، وهي من أعظم ما قد يرى الإنسان من النعم التي تُدخل على القلب السرور والسكون والطمأنينة، ومن تمام الهمة والعزم

---

(١) الراوي: أبو ذر الغفاري | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ١٩٠ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

والتنافس أن يتنافس هؤلاء على طاعة الله -سبحانه وتعالى- والعلم بما أمر وعما نهى، والتقرب إلى الله -سبحانه وتعالى- ساعين لأن يكونوا من الصديقين وعباد الله الصالحين، قال تعالى في سورة الفرقان: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾، هذه الآية الكريمة تحث المسلم على الدعاء بأن يرزقه الله -سبحانه وتعالى- مما يقر به العين، ويسكن به القلب، من الذراري الطيبة والزوج الحسنة، ليخرجوا من باب الفتنة والعذاب الذي قد يصيب الأهل بسبب الأبناء أو الزوج!، وفيها دعاء للنفس مع الدعاء للزوج والأبناء بالصلاح والتقوى، والتنافس على ذلك، فاللهم اجعلنا للمتقين إمامًا!

٧٩٠. فلْتعلمْ يا أخي أن الإنسان قد يصيبه من ضيق الصدر والخوف ما قد يمنعه عن الإقدام، فمن صار له ذلك فليأخذ بما أتيح له من الأسباب، والتي قد تذهب عنه ضيق صدره وخوفه! ولْتعلمْ أن الإقدام على أمر ما لا يكون مقامرة أو انتحارا!، بل الإقدام أن تدرك ما ستفعل وتعقل ما فيه قدر ما استطعت، ثم تعزم وتتقوى بما لديك من أسباب ثم تتقدم إلى ما تريد فعله.

٧٩١. يا أخي، لا تجحد فضل من رباك وأحسن تربيتك، ولا تجحد فضل من أحسن إليك، بل اشكر لهم ذلك ما حييت، لكن لا تبالغ فتطع أمرهم وتسير على نهجهم إن خالفوا ما أمر به الله -سبحانه وتعالى-، ولا تتركهم من غير شكر ولا رد للفضل والإحسان إن قدرت على ذلك.

٧٩٢. فلْتعلمْ يا أخي أن من عادة الظالمين والمستبدين أن يستخفوا بعقول قومهم وأتباعهم، وأن يستغلوا مصالح حاشيتهم ويخوفوهم بخسرانها وفقدانها، ومن عادتهم أيضًا أن يدفعوا الأموال الطائلة وأن يبذلوا كل نفيس في سبيل دحض الحق حتى ولو ترتب على ذلك ما ترتب!، إلا أن يخسر سلطانه أو عزه!، ومن عادتهم أيضا

تقريب من هم على شاكلتهم، ومن يرغب في قربهم، ولكي يكون هؤلاء الظالمين هم من يتصدى لأنصار حق، ورؤساؤهم يتنعمون في ملذات الدنيا، غير مبالين بأي روح أزهقت!، وهذا من أكثر ما نشاهده في زماننا هذا، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

٧٩٣. فلْتعلمْ يا أخي أن من أشد العجب أن يعمل الظالمين والمفسدين في الأرض لدنياهم دون أخراهم!، فيجمعون ما يجمعون ليمتعوا أحشائهم وفروجهم!، مع أنهم لو طلبوا الآخرة وعملوا لها، وأقاموا العدل والحق في شعوبهم لأمنوا وتمتعوا، ولجُمع لهم نعيم الآخرة ومتاع الدنيا!، لكنهم البسو أنفسهم لباس الخوف والذل، ورضوا بما فعلوه من حرام وظلم واستبداد إلى أن يأتي يوم لا مرد له، فإن أتى؛ أخذهم الله -سبحانه وتعالى- أخذ عزيز مقتدر!، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٧٩٤. فلْتعلمْ يا أخي أن من توكل على الله -سبحانه وتعالى- حق توكله، وأيقن أن التدبير بيد الله -سبحانه وتعالى-، أدرك أن ما تراه العين وتحسبه شرًا؛ سيراه القلب خيرًا بما فيه من يقين بأن أمر الله -سبحانه وتعالى- كله خير، فبعد انقضاء ما تراه العين، وانقضاء ما يحسبه الإنسان شرًا، سيجد الإنسان الخير الكثير في العناية الإلهية التي تغمدته، وسيعلم أن ما حسبه شرًا كان خيرًا، فإن لم يُرى أثر ذلك في الدنيا، فهو في الآخرة أحق وأعظم! ومن الآيات الجميلة التي تشير لهذا المعنى؛ ما ذكره رب العزة -جل في علاه- على لسان موسى -عليه السلام- في سورة الشعراء: ﴿ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾، يقين عظيم بصدق وعد الله -سبحانه وتعالى- مع عظم البلاء واقتراب الأعداء!، فاللهم نسألك يقينًا بك لا يتزعزع، وتوكلًا عليك لا يتزعزع، والحمد لله رب العالمين.

٧٩٥. فلْتعلمْ يا أخي أن اتباع الآباء -وإن علوا- بما كانوا عليه شقين، إما اتباع مذموم، وإما اتباع محمود! والاتباع المذموم هو اتباع يسلم الأبناء -مهما نزلوا- به عقولهم فيتبعون من سبقهم في الضلال والكفر، وفي الفسوق والمعاصي، في الفجور، وفي كل محرم أو شرك أو كفر، فهذا كله مما يذم الأبناء عليه إن اتبعوا آباءهم! قال تعالى في سورة الشعراء: ﴿ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾، لكن لم يكن ليغني آباؤهم عنهم شيئًا من عذاب الله -سبحانه وتعالى-، نعوذ بالله من مثل هذا الاتباع! وأما الاتباع المحمود فهو اتباع الإيمان والصلاح، واتباع الكرم والجود، واتباع الإخلاص والرحمة وحب الخير ومساعدة الناس، كل هذا مما يشكر عليه الأبناء!، قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾، فقال أبناء يعقوب -عليه السلام- مطمئنين أبيهم؛ أنهم يعبدون الله -سبحانه وتعالى- وحده، فلا يشركون به شيئًا، مسلمين له، وهذا ما ينفع الأبناء، قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾، أي لكل منكم عمله، وستجازون على ما كنتم تعملون، فإن عمل الآباء الصالحات أو المعاصي ثم خالفتموهم أو اتبعتموهم فإن لكم حسابكم ولهم حسابهم، لهذا يا أخي، اطلب الهداية من الله -سبحانه وتعالى-، واجعل أعمالك خالصة له، واسأله أن يرحمك ويجعلك من عباده المخلصين، واتبع الحق وسبل الخير تنجو بإذن الله تعالى، وابتعد عن سبل الكفر والفجور والعصيان تنجو بإذن الله، ويساق لك خير الدنيا والآخرة!، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٧٩٦. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- هو الشافي لا أحد سواه!، فإذا

مرضت فوجه قلبك وبصرك إلى الله -سبحانه وتعالى-، وادعوه بقلب صادق أن يشفيك، ولتكن هذه الخطوة أول أمر تفكر فيه، وأول أمر تقوم به، وليبقى هذا الأمر في فكرك وقلبك حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولًا!، ثم بعد ذلك خذ بأسباب الشفاء كزيارة الطبيب وأخذ الدواء، لكن أبقِ في ذهنك أن الطبيب والدواء ما هم إلا أسباب يسرهم الله -سبحانه وتعالى- لك، فلا تنظر للدواء أو الطبيب على أنهم مصدر الشفاء -والعياذ بالله-، بل هم سبب، والله -سبحانه وتعالى- هو الشافي المعافي، قال تعالى في سورة الشعراء على لسان نبيه إبراهيم -عليه السلام-: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾، قال ابن كثير -رحمه الله-: "وقوله: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ **أسند المرض إلى نفسه، وإن كان عن قدر الله وقضائه وخلقه، ولكن أضافه إلى نفسه أدبا،...أي: إذا وقعت في مرض فإنه لا يقدر على شفائي أحد غيره، بما يقدر من الأسباب الموصلة إليه.**"(١)، وقال البغوي -رحمه الله-: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ ﴾ أضاف المرض إلى نفسه وإن كان المرض والشفاء كله من الله، استعمالًا لحسن الأدب كما قال الخضر: "**فأردت أن أعيبها**"، وقال: " **فأراد ربك أن يبلغا أشدهما** ﴿ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ أي: يبرئني من المرض"(٢)، وقد روت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-: "أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يُعَوِّذُ بَعْضَ أهْلِهِ، يَمْسَحُ بيَدِهِ اليُمْنَى ويقولُ: اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أذْهِبِ البَاسَ، اشْفِهِ وأَنْتَ الشَّافِي، لا شِفَاءَ إلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا"(٣)، وهذا الفعل من الحبيب المصطفى ﷺ فيه إقرار بقدرة الله -سبحانه

---

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٣٧٥ | تفسير سورة الشعراء | الآية ٨٠ | دار ابن حزم | بيروت

(٢) كتاب معالم التنزيل (تفسير البغوي) | أبي محمد البغوي | المجلد السادس | تفسير سورة الشعراء | الصفحة ١١٨ | الآية ٨٠ | دار طيبة | الرياض

(٣) الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم:

وتعالى- على شفاء الناس، دون أن يكون ذلك لأحد غيره!، وهذا الدعاء من الأفعال الطيبة، والسنة النبوية في التعامل مع المريض والدعاء له! وقد حث رسول الله ﷺ على زيارة المريض، فقال: "مَن عادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ في خُرْفَةِ الجَنَّةِ، قيلَ يا رَسولَ اللهِ، وما خُرْفَةُ الجَنَّةِ؟ قالَ: جَناها"(١)، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال، قال رسول الله ﷺ: "حَقُّ المُسْلِمِ علَى المُسْلِمِ سِتٌّ قيلَ: ما هُنَّ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: إذا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عليه، وإذا دَعاكَ فأجِبْهُ، وإذا اسْتَنْصَحَكَ فانْصَحْ له، وإذا عَطَسَ فَحَمِدَ الله فَسَمِّتْهُ، **وإذا مَرِضَ فَعُدْهُ** وإذا ماتَ فاتَّبِعْهُ."(٢)، وما يستحب قوله عند زيارة المريض "**لا بأسَ، طهورٌ إن شاء اللهُ**"، وهناك آداب كثيرة لزيارة المريض منها اختيار الوقت المناسب، وغض البصر، وأن يخفف الجلوس فلا يطيل، وأن يقلل السؤال، وأن يظهر الاهتمام به، وأن يبادر في سؤاله عن حاله دون خوض في تفاصيل، ودون تخصيص وذكر لما يسبب الحرج له!

٧٩٧. فلْتعلمْ يا أخي أن الموت والحياة بيد الله -سبحانه وتعالى-، لا أحد يقدر على شيء منها، فإن انتهى عمر الإنسان، مات بأي سبب من الأسباب التي سخرها الله -سبحانه وتعالى- لذلك، وكما وهبك الحياة في اللحظة التي شاء، قدر لك عمرك فوجب عليك الموت حينها!، لهذا وإن كانت النفوس تهاب الموت، إلا أن النفوس يجب ألا تصاب بالهلع منه! فرهبة الموت حقيقة، لكن الهلع والخوف

٥٧٤٣ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(١) الراوي: ثوبان مولى رسول الله ﷺ | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٥٦٨ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢١٦٢ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

الغير مبرر والذي يجعل الإنسان ميتًا في حياته فهذا غير مبرر!، لأن الله -سبحانه وتعالى- أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، والإنسان منا يمتثل لأمر الله -سبحانه وتعالى- فيتبع الرسل، وباتباعهم يعلم يقينًا أن هناك آخرة، وهناك حساب، **فالموت ما هو إلى بداية الحياة!** فإن الرهبة وإن عظمت في القلب؛ فذلك لأن الإنسان لا يعلم مصيره، أهو في الجنة أم في النار -والعياذ بالله-!، لكن من علم أن الله -سبحانه وتعالى- رحيم عدل لا يظلم مثقال ذرة، ومن علم أن الله -سبحانه وتعالى- وعد عباده المخلصين بالجنة وبالحياة الأبدية، ومن علم أن الله -سبحانه وتعالى- سيرد لأصحاب الحقوق حقوقهم، وسيجزي الظالمين على ظلمهم؛ لأحب الموت كما يحب الحياة!، **ومن أحسن ظنه بالله -سبحانه وتعالى- هدأ روعه**، ونبض قلبه بالحياة مجددًا، الحياة التي يكون فيها الإنسان بين الخوف والرجاء، ويكون أمره من الموت رهبة وخوفًا من أن يلقى الإنسان منا رب العزة -جل في علاه- على غير حال يرضاها لنا، وذلك هو الخوف والله، هذا الخوف يجب أن يقود صاحبه للعمل الصالح وحسن الظن بالله -جل في علاه-! لا أن يقوده لتقاعس وتكاسل وسوء ظن -والعياذ بالله-، أما أحق الناس بالهلع؛ من هم للشيطان عابدين -والعياذ بالله-!، فاللهم نسألك برحمتك التي وسعت كل شيء، أن تجعل الموت لنا راحة من كل شر، نرى فيه وبه من رحمتك رحمات عظيمة، ونستبشر به برضاك والجنة، ونستبشر به بمغفرتك ورضوانك ورحمتك التي وسعت كل شيء، فاللهم رحمتك وعفوك وغفرانك، ولا حول ولا قوة إلا بك، والحمد لله رب العالمين.

٧٩٨. فلْتعلمْ يا أخي أن أشد ما يطمع فيه الإنسان في حياته؛ هو أن يغفر الله -سبحانه وتعالى- له ذنوبه يوم الحساب! فيرجو الإنسان من ربه برحمته التي وسعت كل شيء غفران الذنوب كلها، صغيرها وكبيرها، يرجو من الله -سبحانه

وتعالى- ويطمع في أن يجعله مع الصالحين، وأن يجمعه مع الأنبياء والصالحين والصديقين والشهداء، وحسن أولئك رفيقًا! وهذا كله مما لا ينبغي إلا برحمة الله -سبحانه وتعالى- ورضوانه، والذي لا يمكن أن نناله بأعمالنا ولو بلغت عنان السماء! قال تعالى في سورة الشعراء على لسان نبيه إبراهيم -عليه السلام-: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾، قال القرطبي -رحمه الله-: "قوله تعالى: والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي "أطمع" أي أرجو. وقيل: هو بمعنى اليقين في حقه، وبمعنى الرجاء في حق المؤمنين سواه"(١)، وقد روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "لَنْ يُدْخِلَ أحدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ. قالوا: ولا أنْتَ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: لا، ولا أنا، إلَّا أنْ يَتَغَمَّدَنِي الله بفَضْلٍ ورَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا وقارِبُوا، ولا يَتَمَنَّيَنَّ أحَدُكُمُ المَوْتَ: إمَّا مُحْسِنًا، فَلَعَلَّهُ أنْ يَزْدادَ خَيْرًا، وإمَّا مُسِيئًا، فَلَعَلَّهُ أنْ يَسْتَعْتِبَ."(٢)، فاللهم رحمتك وغفرانك ورضوانك!

٧٩٩. فلْتعلمْ يا أخي أن من جملة دعاء الأنبياء سؤالهم رب العزة -جل في علاه- العلم الكثير، الذي يقودهم لمعرفة الحلال والحرام، ويقودهم لطاعة الله -سبحانه وتعالى-، ويقودهم لعبادة الله -سبحانه وتعالى- ودعوة الناس إليه، ويقودهم لتحقيق المنافع المختلفة في هذه الدنيا فيتحقق فيها مفهوم الاستخلاف، فتعمر الأرض، وينبت الزرع، ويقضي الناس حوائجهم منها، ويقودهم هذا العلم للحكم بين الناس بالعدل، وهذا مما يستحب الدعاء به أسوة بالأنبياء والصالحين،

---

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٥٦٧٣ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ١٦ | الصفحة ٤٠ | تفسير سورة الشعراء | الآية ٨٢ | مؤسسة الرسالة | بيروت

قال تعالى في سورة الشعراء على لسان نبيه إبراهيم -عليه السلام-: ﴿ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣ ﴾، والحكم هنا على أقوال المفسرين هو الفهم والعلم، والمعرفة بحدود الله -سبحانه وتعالى- وأحكامه، وسأل كذلك -عليه السلام- أن يلحقه الله -سبحانه وتعالى-، بالصالحين، قال ابن كثير -رحمه الله-: "وقوله: ﴿ وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ أي: اجعلني مع الصالحين في الدنيا والآخرة، كما قال النبي ﷺ عند الاحتضار: ["اللهم الرفيق الأعلى" قالها ثلاثًا. وفي الحديث في الدعاء]: اللهم أحينا مسلمين وأمتنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مبدلين"(١)، فاللهم أحينا مسلمين وأمتنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مبدلين، اللهم آمين.

٨٠٠. قال تعالى في سورة الشعراء على لسان نبيه إبراهيم -عليه السلام-: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤ ﴾، قال السعدي -رحمه الله-: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ أي: اجعل لي ثناء صدق، مستمر إلى آخر الدهر. فاستجاب الله دعاءه، فوهب له من العلم والحكم، ما كان به من أفضل المرسلين، وألحقه بإخوانه المرسلين، وجعله محبوبًا مقبولًا معظمًا مثنًى عليه، في جميع الملل، في كل الأوقات."(٢)، وهذا الدعاء الطيب من جملة الأدعية التي يستحب للإنسان الدعوة بها أسوة بنبي الله -عليه السلام-، وهذا فيه إشارة طيبة للترغيب في عمل كل ما هو طيب، مما يورث ذكرًا جميلًا طيبًا، وقد روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي

---

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٣٧٥ | تفسير سورة الشعراء | الآية ٨٣ | دار ابن حزم | بيروت

(٢) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الشعراء | الجزء التاسع عشر | الآية ٨٤ | الصفحة ٥٩٣ | مؤسسة الرسالة | بيروت

ﷺ قال: "إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنْه عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له."[1]، وهذا كله مما يورث الذكر الطيب، قال الشافعي -رحمه الله-: "قَد مَاتَ قَومٌ وَمَا مَاتَت فَضَائِلُهُم وَعَاشَ قَومٌ وَهُم فِي النَّاسِ أَموَاتُ"، قال تعالى في سورة مريم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾﴾ أي سيجعل لهم حبًا في قلوب عباده، على أن يكون القصد من هذه الأعمال الطيبة هو رضا الله -سبحانه وتعالى-، فاللهم اجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ.

٨٠١. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- أرسل الرسل جميعًا برسالة واحدة تقتضي توحيد الله -سبحانه وتعالى- لا نشرك به شيئًا، ولكل رسول أرسله الله -سبحانه وتعالى- شريعته التي تناسب قومه، لذلك، فمن كذب برسالة من رسالات المرسلين التي أنزلها الله -سبحانه وتعالى- كذَّب بكل الرسل والرسالات!، قال تعالى في سورة الشعراء: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾، قال السعدي -رحمه الله-: "جعل تكذيب نوح، كتكذيب جميع المرسلين، لأنهم كلهم، اتفقوا على دعوة واحدة، وأخبار واحدة، فتكذيب أحدهم، تكذيب، بجميع ما جاءوا به من الحق"، أما تكذيب ما نراه من باطل فيما عند نصارى اليوم، أو اليهود أو المجوس أو أي طائفة غير الإسلام فهذا مما ينبغي القيام به!، فالحجة قائمة عليهم بدعواهم الكاذبة! وعلماء المسلمين -جزاهم الله كل خير- بينوا ذلك وأظهروا ذلك بشكل جلي لا يقبل النقاش، وبفضل الله -سبحانه وتعالى- فقد دخل الكثير من الناس في الإسلام، وما زالوا، بل إنه أصبح الدين الأكثر انتشارًا بفضل الله -سبحانه

---

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ١٦٣١ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

وتعالى-، وهذا كله بفضل الله -سبحانه وتعالى-، فجعل الحق الذي أرسله عاليًا لا يعلى عليه!، لا يأتيه الباطل من أي مكان!، فالحمد لله، ولا يسعنا هنا إلا أن نذكر أسد الدعوة وفارسها الشيخ أحمد ديدات -رحمه الله-، فما قدمه من خير والله لا يقدر بثمن، فجزاه الله عنا وعن المسلمين كل خير..

٨٠٢.يا أخي لا تبحث في سرائر الناس!، فإن لك ما ظهر منهم، أما ما خفي منهم فهذا مما ليس لك به!، فلا يمكن لأحد أن يصيب دائمًا -إلا من عصمه الله-! فاترك السرائر لعالم السرائر، ودع عنك أمر الناس، واهتم بأمرك لتنجو!، قال رسول الله ﷺ: "...**إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم**..."(١)، وقد روى أسامة بن زيد -رضي الله عنهما-: "بَعَثَنَا رَسولُ الله ﷺ إلى الحُرَقَةِ مِن جُهَيْنَةَ، قالَ: فَصَبَّحْنَا القَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، قالَ: ولَحِقْتُ أنَا ورَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ رَجُلًا منهمْ، قالَ: فَلَمَّا غَشِينَاهُ قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللهُ، قالَ: فَكَفَّ عنْه الأنْصَارِيُّ، فَطَعَنْتُهُ برُمْحِي حتَّى قَتَلْتُهُ، قالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ ذلكَ النبيَّ ﷺ، قالَ: فَقالَ لِي: يا أُسَامَةُ، **أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ ما قالَ لا إلَهَ إلَّا الله قالَ: قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، إنَّما كانَ مُتَعَوِّذًا، قالَ: أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ ما قالَ لا إلَهَ إلَّا الله قالَ: فَما زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ، حتَّى تَمَنَّيْتُ أنِّي لَمْ أكُنْ أسْلَمْتُ قَبْلَ ذلكَ اليَومِ** [وفي رواية لمسلم: أقالَ لا إلَهَ إلَّا الله وقَتَلْتَهُ؟ قالَ: قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، إنَّما قالَها خَوْفًا مِنَ السِّلاحِ، **أفَلا شَقَقْتَ عن قَلْبِهِ حتَّى تَعْلَمَ أقالَها أمْ لا؟**]"(٢)، قال النووي -رحمه الله-: "قوله ﷺ: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها ـ معناه أنك إنما

(١) الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٤٣٥١ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) الراوي: أسامة بن زيد | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٨٧٢ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

كلفت بالعمل بالظاهر وما ينطق به اللسان، وأما القلب فليس لك طريق إلى معرفة ما فيه، فأنكر عليه امتناعه من العمل بما ظهر باللسان، وقال أفلا شققت عن قلبه لتنظر أقالها القلب واعتقدها وكانت فيه أم لم تكن فيه؟ بل جرت على اللسان فحسب - يعني - وأنت لست بقادر على هذا، فاقتصر على اللسان فحسب - يعني - ولا تطلب غيره، وقوله: حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ - معناه لم يكن تقدم إسلامي، بل ابتدأت الآن الإسلام ليمحو عني ما تقدم، وقال هذا الكلام من عظم ما وقع فيه"(١)، لهذا يا أخي دع عنك ما في السرائر، والزم ما ظهر من أفعال أو أقوال!، وهذا لا يمنع الحذر إن وجد السبب!، والله المستعان.

ملاحظة: كثيرا ما يروج الإعلام لأفكار فيها من الشذوذ ما فيها، أو من الحق الذي يراد به باطلًا!، يروجون لظاهر تحسبه صحيحًا، ثم تراه فاسدًا مفسدًا في سياق كله فساد في فساد!، هذه الأفكار يوجهونها لتصيب القلوب النقية والنفوس الضعيفة، حتى يعكروا صفاء قلب الأول، ويزرعوا شبهات في قلب الثاني؛ وذلك كله حتى ينتزعوا الخير من قلوب أصحابه، ومما اشتهر من الإعلام على لسان كثير من الناس؛ القول مثلًا: بأن المرأة المتبرجة أو الراقصة أو المغنية قد تكون أفضل من المحتشمة المتحجبة!، مطلقين مثل هذه العبارات الرنانة ليشوهوا على الناس فطرتهم، وليعكروا صفاء قلوبهم، وليدعوا ضعاف النفوس وضحاياهم لنشر هذه الأفكار والإيمان بها دون وجه حق!، وهذا القول يمثل صورة حية لتطبيق ما ورد أعلاه، **فإن قلنا أن الحكم على الناس لا يكون إلا بما ظهر من أفعالهم أو أقوالهم، وأن ما تخفيه**

---

(١) كتاب المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج | بشرح النووي | الطبعة الثانية | الجزء الثاني | كتاب الإيمان | باب ٤١ | الصفحة ١٣١ | مؤسسة قرطبة

القلوب من المحال الوصول إليه، علمنا أن ما يظهر من الحشمة والحجاب على فتاة، هو مرآة لما في قلبها وما فيه من الخير والامتثال لأوامر الله -سبحانه وتعالى-!، فالأفعال والأقوال هي مرآة الباطن، وأما من تبرجت -دون إنكار له- فهي عاصية، عصت أمر ربها، لا تقارن بمن التزمت بأوامر ربها!، وهنا المفارقة العجيبة لدعاة الشر، يأخذون هذه المتبرجة فيقولون لك: انظر لباطنها، فقد يكون باطن هذه المتبرجة أفضل من باطن تلك المحجبة!، في تلاعب عجيب، يأخذون ظاهر العصيان والشر، ثم يدخلون إلى باطنه ليقولون لك، انظر، قد تجد خيرًا هناك، ثم ينظرون للخير ويقولون انظر في باطنه، قد تجد شرًا هناك!، وهؤلاء أنفسهم تُناقض أقوالهم أفعالهم، فلن تجد واحدًا منهم يزوج ابنته مجرمًا خطيرًا لأن قلبه الطيب قد يكون أفضل من قلب الغني الذي تقدم لابنته!، ولن تجده يوظف في شركته من لا ينجز عمله؛ لأن قلبه طيب، ويترك من يعمل ويدخل له المال لأن قلبه قد يدعوه للكسل عن العمل!، ولا تجد قاضيًا يحكم على شخص بالقتل لأنه رأى في قلبه شرًا أراد استئصاله قبل ظهوره!...إلى آخره، هذا كله يقودنا للقول، بأن ما ظهر من أقوال أو أفعال هو الظاهر الذي يتحاكم عليه الإنسان، أما ما أُخفي عنهم، فهو لن يكون إلا لله -سبحانه وتعالى- في يوم الحساب والجزاء، ومعيار التفاضل هو إن أكرمكم عند الله أتقاكم، والتقوى محلها القلب، فلا يعلمها إلا الله جل في علاه، لذلك وبناء على ما سبق، فإن الجواب هو أن المحجبة المحتشمة أفضل من المتبرجة بحكم الظاهر، وتسهيل الحرام واختلاق أعذار واهية لا تنقذ صاحبها ولا سامعها من الحساب والسؤال أمام ملك الملوك يوم الحساب، فذلك قمة الجهل، والسخف تهوين الحرام، والدفاع عنه هي دعوى باطلة، وهي صفة المنافقين وأعداء الدين، لا صفة المؤمنين اللوامين!، أضف إلى ذلك أنهم يذكرون مثل هذه الأقوال ولا يذكرون

معها: "صِنْفانِ مِن أهْلِ النَّارِ لَمْ أرَهُما، قَوْمٌ معهُمْ سِياطٌ كَأَذْنابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بها النَّاسَ، ونِساءٌ كاسِياتٌ عارِياتٌ مُمِيلاتٌ مائِلاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المائِلَةِ، لا يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ، ولا يَجِدْنَ رِيحَها، وإنَّ رِيحَها لَيُوجَدُ مِن مَسِيرَةِ كَذا وكَذا."[1]، ثم يتناسى هؤلاء وأمثالهم قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾، ويتناسون قوله تعالى في سورة الزلزلة: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾، ويتناسون قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾، وهذا كله يدلك على جمال الإسلام، جمال العدل الرباني، جمال الحكم الإلهي، جمال الاتزان عند المسلم، بين حرصه على تزكية نفسه والعمل بمقتضى هذه التزكية، باطنًا وظاهرًا -الحمد لله-!، نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يثبت **أخواتنا** المحجبات المحتشمات على بره وطاعته، وأن يهدي **أخواتنا** المتبرجات لحكم الله -سبحانه وتعالى- والالتزام بأوامره، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٨٠٣. فلْتعلمْ يا أخي أن من اتبع دين الله -سبحانه وتعالى-، وسلم أمره إليه، هو أخي وقطعة مني، وكنت أنا منه وهو مني، حتى وإن اختلفت أحوالنا بين الغنى والفقر، وبين الجاه والنسب إلى آخره! لأننا إخوة، وأكرمنا عند الله أتقانا، وأخوة الدين أعظم من أخوة الدم! لذلك فإن المسلم الذي يؤذى في أي مكان على وجه الأرض ومن أي جهة كانت؛ فهذا يؤذيني، لا يقل ألمي عن ألمه، بل ألمي أكبر! فهذا

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢١٢٨ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

أخي يهان ويذل وكلي عزم على نصره ومؤازرته مهما كان حالي، وعلى أي حال كنت!، ووالله فكل من قتل مسلمًا أو اغتصب مسلمة أو أهانهم أو أذلهم أو أخذ أطفالهم أو منعهم من دينهم فهو عدو لي إلى يوم الدين!، وسأعلم أبنائي ذلك، وسأجعل ذلك نبراسًا في عقولهم، وسأزرع في قلوبهم العزة والشجاعة ومعرفة العدو والإعداد له!، فإذا جاء أمر الله -سبحانه وتعالى- في زماننا كنا أول من ينصر المستضعفين في الأرض، أول من ينصر لا إله إلا الله -وهو غني عنا-، أول من ينصر الإسلام، ونسأل الله -سبحانه وتعالى- التوفيق لذلك، فذلك فضله يؤتيه من يشاء!، وإن لم يكن في زماننا، كان في زمان أبنائنا الذين أُعدوا لمثل هذا اليوم، فنسأل الله -سبحانه وتعالى- حينها الأجر، قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢﴾، وقد روى جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "ما من امرئٍ يخذل امرءًا مسلمًا في موطنٍ يُنتَقَصُ فيه من عِرضِه، ويُنتهَكُ فيه من حُرمتِه، إلا خذله الله تعالى في موطنٍ يحبُّ فيه نُصرتَه، وما من أحدٍ ينصر مسلمًا في موطنٍ يُنتقَصُ فيه من عِرضِه، ويُنتهَكُ فيه من حُرمتِه، إلا نصره الله في موطنٍ يحبُّ فيه نُصرتَه"(١)، فالحمد لله على نعمة الإسلام، الحمد لله على نعمة التوحيد، الحمد لله الذي جعل لي أخوة في أصقاع الأرض كلها، أُحبهم ويحبونني، دون أن أعرفهم ودون أن يعرفوني! فالحمد لله على عظمتك يا الله، الحمد لله.

٨٠٤. فلْتعلمْ يا أخي أن المؤمن كما يحب النجاة لنفسه، يحب النجاة لإخوانه، وكما يحب الخير له، يحب الخير لهم، وكما يكره الكفر والشرك لنفسه،

(١) الراوي: جابر بن عبد الله وأبو طلحة بن سهل وأبو أيوب الأنصاري | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الجامع الصفحة أو الرقم: ٥٦٩٠ | خلاصة حكم المحدث: حسن

يكرهما لهم، وكما يكره الفجور والفسوق والعصيان لنفسه، يكرهه لهم، فالمؤمن صاحب خير داعٍ له، كارهٌ للكفر محارب له، يأخذ بأيدي إخوانه وإن كان له من الذنوب ما كان، فالمؤمن كاره للمعاصي مستغفر لله -سبحانه وتعالى-، يتمنى من إخوانه ألا يقعوا في مثل ما وقع به من الذنوب!، وإن عمل خيرًا، تمنى لو أن كل المؤمنين صنعوا مثل ذلك الخير وفي قلبه شعلة التنافس حتى يسبقهم، عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ."[١]، ولْتعلمْ أن المؤمن يسعى بكل جهده لأن يكون إلى الله -جل في علاه- أقرب، فيتبع كل ما بعثه الله -سبحانه وتعالى- من الحق، ويجتنب كل ما نهانا عنه، ويكثر من الصالحات، ويكثر من التوبة والاستغفار، وهذا هو مضمار التنافس، قال تعالى في سورة المطففين: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾، فليتنافس الجميع ولْيعمل العاملون أقصى ما لديهم حتى ينالوا رضوان الله -سبحانه وتعالى- وجنانه ونعيمه ومغفرته ورحمته، ولْنتنافس في تقوى الله -سبحانه وتعالى- وحبه وتعظيمه ورضاه، اللهم حبك ورضاك ومغفرتك وعفوك وإحسانك وكرمك يا رحمن يا رحيم، والحمد لله رب العالمين.

٨٠٥. يا أخي، لا تُضع أموالك ووقتك في عمل لا ينفع، واستثمر ما أعطاك الله -سبحانه وتعالى- فيما فيه خير لك في الدنيا والآخرة، أما ما يضيع المال والوقت والجهد مما لا فائدة فيه ولا منفعة في الدين أو الدنيا فدعها، فذلك كله من العبث الذي لا فائدة منه، والأحرى أن نفعل ونعمل ما فيه خير لنا، وفيه خير للناس، وفيه منفعة لهذه الأرض ولمن فيها، لذلك استثمر وقتك، واستثمر مالك وجهدك ولا

(١) الراوي: أنس بن مالك | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ١٣ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

تعبث بهم فتضعهم بلا فائدة، كما أن هذا الأمر يجب أن يكون أعظم وأجل على مستوى الشعوب والأمم، فالأمة التي تهتم بوقت وجهد ومال أفرادها تسمو، وما أن تبدأ بإضاعة أموالها هنا وهناك بلا فائدة ترجى؛ تركت مكانها في منحنى الحضارة وبدأت في السقوط!، والتاريخ يخبرنا الكثير من القصص حول إضاعة المال للأمم في وقت قوتها أو ضعفها وبلا فائدة ترجى، وكيف كان أثر ذلك على الأمة واقتصادها وقوتها، قال تعالى في سورة الشعراء: ﴿ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعۡبَثُونَ ١٢٨ ﴾، هذه الآية الكريمة مما قاله نبي الله هود -عليه السلام- لقوم عاد، ناصحًا لهم في التوقف عن العبث، قال السعدي -رحمه الله-: "أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ أي: مدخل بين الجبال آيَةً أي: علامة تَعْبَثُونَ أي: تفعلون ذلك عبثًا لغير فائدة تعود بمصالح دينكم ودنياكم"(١)، وقال البغوي -رحمه الله-: ﴿تَعۡبَثُونَ﴾ بمن مر بالطريق، والمعنى: أنهم كانوا يبنون المواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة فيسخروا منهم ويعبثوا بهم"(٢)، وقال ابن كثير -رحمه الله-: ﴿ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ أي: معلمًا بناء مشهورًا، تعبثون، وإنما تفعلون ذلك عبثًا لا للاحتياج إليه; بل لمجرد اللعب واللهو وإظهار القوة; ولهذا أنكر عليهم نبيهم، عليه السلام، ذلك، لأنه تضييع للزمان وإتعاب للأبدان في غير فائدة، واشتغال بما لا يجدي في الدنيا ولا في الآخرة."(٣)، فمن علم هذا، أدرك أنه ملزم باستغلال وقته وماله وجهده في كل ما هو نافع ومفيد، حتى يثمر عمله في

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الشعراء | الجزء التاسع عشر | الآية ١٢٨ | الصفحة ٥٩٥ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) كتاب معالم التنزيل (تفسير البغوي) | أبي محمد البغوي | المجلد السادس | تفسير سورة الشعراء | الصفحة ١٢٢ | الآية ١٢٨ | دار طيبة | الرياض

(٣) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٣٧٨ | تفسير سورة الشعراء | الآية ١٢٨ | دار ابن حزم | بيروت

الدنيا ويجني حصاده في الآخرة، وبدلًا من إضاعة الأموال عبثًا، فننفق المال على للعلم والأخذ بأسباب القوة، ومساندة الفقراء والمساكين والمحتاجين وبناء أمة قوية في كل طبقاتها؛ فهذا مما ينفع وينتفع به!، ومن الخطب الجميلة في هذا الموضع ما ذكره ابن كثير-رحمه الله-: "أن أبا الدرداء، رضي الله عنه، لما رأى ما أحدث المسلمون في الغوطة من البنيان ونصب الشجر، قام في مسجدهم فنادى: يا أهل دمشق، فاجتمعوا إليه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ألا تستحيون! ألا تستحيون! تجمعون ما لا تأكلون، وتبنون ما لا تسكنون، وتأملون ما لا تدركون، إنه كانت قبلكم قرون، يجمعون فيرعون، ويبنون فيوثقون، ويأملون فيطيلون، فأصبح أملهم غرورًا، وأصبح جمعهم بورًا، وأصبحت مساكنهم قبورًا، ألا إن عادًا ملكت ما بين عدن وعمان خيلًا وركابً، فمن يشتري مني ميراث عاد بدرهمين؟"[(١)]، فاللهم نعوذ بك من العبث، نعوذ بك من إضاعة ما رزقتنا إياه بلا فائدة ترجى، اللهم نسألك علمًا نافعًا، وعملًا متقبلًا وذنبً مغفورا، اللهم آمين.

٨٠٦.يا أخي، إن أعطاك الله -سبحانه وتعالى- قوة وبأس، فلا تستخدمها للبطش بعباد الله -سبحانه وتعالى- من غير حق!، والبطش أقله الوكز والدفع، وهذا بطش اليد، يلي ذلك السوط والعصا، ويلي ذلك الحديد، وكلما اشتدت وطأة البأس اشتد البطش والإثم، وأي ظلم أكبر من أن تتخذ ما وهبك الله -سبحانه وتعالى- من قوة في أن تكون مع الجبارين بدلًا من أن تكون ناصرًا للمظلومين!، والجبارون كلمة تُطلق على كل متسلط متكبر متعال عن قبول الحق، يجبر غيره ويكرهه على ما يريده، ويصل به الأمر حتى يقتل من غير وجه حق!، فإياك أن تكون منهم!، بل كن سندًا

---

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٣٧٨ | تفسير سورة الشعراء | الآية ١٢٩ | دار ابن حزم | بيروت

وعونًا للمستضعفين بالأرض، وقوتك هي قوة لهم، فكما أن الغني يقف بماله بجانب الفقير، فالقوي يجب أن يقف بجانب الضعيف بقوته -بالحق-، قال تعالى في سورة الشعراء: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ۝١٣٠﴾، قال السعدي -رحمه الله-: "وَإِذَا بَطَشْتُمْ بالخلق بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ قتلًا وضربًا، وأخذ أموال. وكان الله تعالى قد أعطاهم قوة عظيمة، وكان الواجب عليهم أن يستعينوا بقوتهم على طاعة الله، ولكنهم فخروا، واستكبروا، وقالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ واستعملوا قوتهم في معاصي الله، وفي العبث والسفه، فلذلك نهاهم نبيهم عن ذلك."(١)، فاللهم هب لنا قوة من عندك؛ تكون لنا سندًا وعونا في ديننا ودنيانا. اللهم آمين.

٨٠٧. فلْتعلمْ يا أخي أن القرآن الكريم نزل باللغة العربية على الحبيب المصطفى ﷺ، بلسان عربي فصيح بين شامل!، قال تعالى في سورة الشعراء: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾، وقد أثار أصحاب الفتن شبهة هنا فقالوا كيف بلسان عربي مبين وقد حوى بعض الكلمات الأعجمية!، وهذا طبعًا من جهلهم وقلة حيلتهم، وقد ذكر علماء المسلمين ما فيه رد شافي على هذه الشبهة، قال القرطبي -رحمه الله-: "لا خلاف بين الأئمة أنه ليس في القرآن كلام مركب على أساليب غير العرب، وأن فيه أسماء أعلامًا لمن لسانه غير لسان العرب; كإسرائيل وجبريل وعمران ونوح ولوط."(٢)، واختلفوا: هل فيه "ألفاظ أعجمية مفردة"؟. فذهب الجمهور إلى عدم وجود ألفاظ أعجمية في القرآن، وذهب آخرون إلى وجودها، وتوسط طرف ثالث

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الشعراء | الجزء التاسع عشر | الآية ١٣٠ | الصفحة ٥٩٥ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء الأول | الصفحة ١١٠ | باب هل ورد في القرآن كلمات خارجة عن لغات العرب، أو لا | مؤسسة الرسالة | بيروت

فتأول وجودها على أنها مشتركة بين العرب وغيرهم، وعلى أن العرب استعملوها وعرَّبوها فصارت تنسب إليهم، لا باعتبار أصلها، بل باعتبار استعمالها وتعريبها، وفي جميع الآراء لا يخرج القرآن عن كونه بلسان عربي مبين!، فهذا مما لا شك فيه!، ثم نضيف إلا ما ذكرناه شواهد تُسقط هذه الشبهة بسهولة، فمنها أن العرب لم ينكروا هذه الكلمات عندما تُليت عليهم!، ولا أنكرها من أتى بعدهم!، وكان الشعراء يستعملون كلمات كتلك في أشعارهم ولم يعيب عليهم أحد!، ولم يُنتقص شعرهم لأجلها ولم يقل أحدهم يومًا أن هذا الكلام ليس بشعر وليس بعربي!، وهذا مثل كلمة "السجنجل" التي ذُكرت في **معلقة** امرئ القيس!، قال البغوي -رحمه الله-: "(بلسان عربي مبين) قال ابن عباس: بلسان قريش ليفهموا ما فيه."[١]، فما سمعه عربي إلا وعلم المعنى وفهمه فلا يخفى عليه!، فإن خفي عليه المعنى لم ينكر اللغة وأقر بجهله للمعنى!، ولسان قريش أفصح الألسن وأبينها، ولا يدرك عظمة القرآن ومعانيه وكلماته إلا من قرأه، فهو المعجز الذي أعجز البشر من يوم أنزل وإلى قيام الساعة، فلم يجدوا خطأً واحدًا، لغويًا كان أو نحويًا، منطقيًا كان أو علميًا!، ولم يقدروا على شيء منه، ولم يقدروا أن يأتوا بسورة من مثل ما جاء به القرآن، فسبحان القادر فوق عباده، سبحانه وتعالى عما يصفون.

٨٠٨. فلْتعلمْ أن لذة الدنيا وشهوتها تزول وتضمحل بعد انقضائها! لكن عذاب الآخرة لا ينقضي ولا يضمحل!، ولْتعلمْ أن ما تجده في الحلال أعظم قدرًا وأرفع شأنًا من الحرام وما فيه! وفيه منفعة الدنيا ونعيم الآخرة -بإذن الله-، فهل تظن أن عاقلًا قد يشتري الحياة الدنيا بدلا من الآخرة؟! لا والله!، فاللهم هدايتك ورحمتك

---

(١) كتاب معالم التنزيل (تفسير البغوي) | أبي محمد البغوي | المجلد السادس | تفسير سورة الشعراء | الصفحة ١٢٨ | الآية ١٩٥ | دار طيبة | الرياض

بنا، ولا حول ولا قوة إلا بك

٨٠٩. فلْتعلمْ يا أخي أن المسلم يجب أن يبدأ بإصلاح نفسه وتزكيتها، ثم أهل بيته وأقرب الناس إليه، ثم الأقرب فالأقرب إلى أن يصل إلى عموم الناس، وهذا فيه خير كثير، ففيه يتقوى الإنسان ويشتد عزمه وعضده، فيزرع بذور الحب والرحمة والإحسان لمن حوله، ويقع الإحسان منه إلى أولى الناس به، وفيه يتذكر الإنسان أن عليه لأهله وأقاربه معروفًا وإحسانًا، وللمسلمين عمومًا، وعلى كل واحد منا ألا يفرط في أمر الخير من شيء ما قدر على ذلك! فاللهم لك الحمد.

٨١٠. يا أخي، إن وهبك الله -سبحانه وتعالى- من نعيمه ووليت من أمر الناس شيئًا فلا تغلظ عليهم إلا بالحق!، ولْتعلمْ أن التودد واللين ولطف الخطاب والرحمة في التعامل وحسن الخلق كلها من صفات من حسن خلقه، وبهن يتم ما لا يتم بالغلظة والشدة! وكذلك حال المسلم مع إخوانه، فيدعوهم لكل خير، ويكره لهم كل شر، يخاطبهم برحمة وحسن خطاب، يستغفر لهم ويعاونهم ولا يعين الشيطان عليهم! واحذر من غلظة القلب وقسوته، وسوء الأدب وفظاظة القول وبذاءته! فكلها دلائل سوء خلق! والعاقل من أدرك مواضع اللين والشدة، وعمل بما يقتضيه ذلك بغير إسقاط ولا تبديل للحق! والله المستعان.

٨١١. فلْتعلمْ يا أخي أن اللين والرحمة وصلة الناس لا تعني أبدًا أن ترضى بالفجور والفسوق والعصيان والضلال الذي يحصل منهم، وهذا مثل الوالدان المشركان بالله، فينبغي لهما حسن الصحبة، ولا تنبغى طاعتهما في معصية الله -سبحانه وتعالى-!، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٨١٢. فلْتعلمْ يا أخي أن الشعر إما حسن وإما قبيح، فما حسن منه كان مباحًا،

وما قبح منه كان حرامًا، فما يحسن من الشعر هو الكلام الطيب الصادق، والكلام الذي يذود به المسلم عن دينه ونبيه والمسلمين، وما قبح من الشعر فهو كل ما حوى في ثناياه الباطل أو الضلال أو قبيح القول وما حرم منه، ويشمل هذا الإفراط في المدح أو الذم على حد سواء، فذلك كله من صيغ الباطل التي تعكر على الناس حياتهم، ولْتعلمْ أن الشعر والكلام المنثور كلاهما كلام، فالكلام المنثور إن حرم في باب، حرم الشعر كذلك فيه، وإن استحسن في باب، استحسن كذلك الشعر فيه!، فلا يختلف صف الكلمات والقوافي في الشعر عن صفها في الكلام المنثور من ناحية المعنى!، قال ﷺ: "الشعرُ بمنزلةِ الكلامِ، فحسَنُه كحسنِ الكلامِ، وقبيحُه كقبيحِ الكلامِ"[1]، ولْتعلمْ أن من زاغ عن الحق اتبع ضلال الأقوال من الشعر أو النثر!، وكان أصحاب هذه الأقوال أولى بالضلال ممن تبعهم!، قال تعالى في سورة الشعراء: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾، قال القرطبي -رحمه الله-: "والشعراء جمع شاعر مثل جاهل وجهلاء؛ قال ابن عباس: هم الكفار يتبعهم ضلال الجن والإنس. وقيل (الغاوون) الزائلون عن الحق، ودل بهذا أن الشعراء أيضا غاوون؛ لأنهم لو لم يكونوا غاوين ما كان أتباعهم كذلك. وقد قدمنا في سورة (النور) أن من الشعر ما يجوز إنشاده، ويكره، ويحرم"[2]، وقال السعدي -رحمه الله-: ﴿ أَلَمْ تَرَ﴾ غوايتهم وشدة ضلالهم ﴿أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ﴾ من أودية الشعر، ﴿يَهِيمُونَ ﴾

---

(١) الراوي: عبد الله بن عمرو وعائشة | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الجامع الصفحة أو الرقم: ٣٧٣٣ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

(٢) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ١٦ | الصفحة ٨٦ | تفسير سورة الشعراء | الآية ٢٢٤ | مؤسسة الرسالة | بيروت

فتارة في مدح، وتارة في قدح، وتارة في صدق، وتارة في كذب، وتارة يتغزلون، وأخرى يسخرون، ومرة يمرحون، وآونة يحزنون، فلا يستقر لهم قرار، ولا يثبتون على حال من الأحوال، ﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ أي: هذا وصف الشعراء، أنهم تخالف أقوالهم أفعالهم"(١)، وقال القرطبي -رحمه الله-: "ثم استثنى شعر المؤمنين: حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وكعب بن زهير ومن كان على طريقهم من القول الحق؛ فقال إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا في كلامهم. وانتصروا من بعد ما ظلموا وإنما يكون الانتصار بالحق، وبما حده الله عز وجل، فإن تجاوز ذلك فقد انتصر بالباطل. وقال أبو الحسن المبرد. لما نزلت: " والشعراء " جاء حسان وكعب بن مالك وابن رواحة يبكون إلى النبي ﷺ ; فقالوا: يا نبي الله ! أنزل الله تعالى هذه الآية، وهو تعالى يعلم أنا شعراء؟ فقال: اقرءوا ما بعدها إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات - الآية - أنتم وانتصروا من بعد ما ظلموا أنتم أي بالرد على المشركين. قال النبي ﷺ: انتصروا ولا تقولوا إلا حقًا ولا تذكروا الآباء والأمهات فقال حسان لأبي سفيان:

هجوت محمدًا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

وإن أبي ووالدتي وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

أتشتمه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء

لساني صارم لا عيب فيه وبحري لا تكدره الدلاء"(٢)، هذه الآيات العظيمة

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الشعراء | الجزء التاسع عشر | الآية ٢٢٥-٢٢٦ | الصفحة ٦٠٠ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ١٦ | الصفحة ٩٦-

ترشدنا إلى أحكام كثيرة عظيمة، ففيها دلالة على أن اللسان يقاتل كما تقاتل الأبدان مع السيوف، وفيها أن المؤمن لا يعتدي، وأنه يلتزم بالحق ولا يسرف، وفيها أن ذكر الله -سبحانه وتعالى- يجب أن يعلو ولا يعلى عليه!، فلا ينشغل الإنسان بالشعر وينسى ذكر الله -سبحانه وتعالى-، ولا ينشغل بالكلام فينسى ملء قلبه بكتاب الله -سبحانه وتعالى- ولسانه بتلاوة كتابه العزيز!، قال رسول الله ﷺ: "إنَّ المؤمنَ يُجاهدُ بسيفِه ولسانِه، والذي نفسي بيدِه لكأنَّ ما ترمونهم به نضْحَ النَّبلِ"(١)، وهذا فيه حث على الكلام الحسن وقوة الخطاب!، وقال ﷺ: "لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا خَيْرٌ له مِن أنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا."(٢)، وهذا من باب ذم الشعر القبيح، أي من سيشغله الشعر عن القرآن وذكر الله -سبحانه وتعالى-، يهجو المسلمين ويقول الباطل، ويفرقهم وينال من أعراضهم؛ فليملأ جوفه قيحًا خيرًا له من ذلك!، لذلك يا أخي، إن تكلمت تكلم بالحق، واصدق، وإن مدحت فامدح المرء بما فيه ولا تداهن، وإن ذممت، فلا تعتدَ!، واجعل ميزان الحق فوق لسانك حتى تزن كل كلمة في فيك قبل أن تخرج منه!، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٨١٣. فلتعلم يا أخي أن اختيار الإنسان هو قطعة من عقله!، أي أنك أعملت عقلك لتختار، فما يترتب على ذلك الاختيار من نتائج؛ ما هي إلا مرآة تعكس صورة عن جزء من طريقة تفكيرك، وهذا الأمر مهم جدًا، وخطير، ويبرز هذا الخطر بوجود الإعلام ووسائل التواصل المرئية والمسموعة، فمن الوسائل التقنية المستخدمة

---

٩٧ | تفسير سورة الشعراء | الآية ٢٢٧ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(١) الراوي: كعب بن مالك | المحدث: شعيب الأرناؤوط | المصدر: تخريج صحيح ابن حبان الصفحة أو الرقم: ٥٧٨٦ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

(٢) الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦١٥٤ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

للبحث عن اهتمامات الأشخاص هو النظر في طريقة تفكيرهم واهتماماتهم والبحث عنها، والأمر لا يقف عند هذا الحد، بل إن المواقع الكبيرة تنظر في بحثك وبحث الآخرين، ثم تبني مجموعة من العلاقات المرتبة ضمن مجموعات، أفراد كل مجموعة منها يتشاركون في اهتمام معين، وهذا يعني أن ما يبحث عنه شخص آخر في هذه المجموعة، سيكون موضوعًا مقترحًا لجذبك أو استهدافك من خلاله، أو طريقة للترويج لسلعة معينة أو فكرة معينة!، وهذا الأمر وإن كان مفيدًا في جوانب كثيرة، وإن كان هدفه ربحي للمواقع والأنظمة التي تستخدمه لأهدافها الربحية، إلا أنها كذلك قد تستخدم لإيصال فكرة معينة وترويجها إلى مجموعة معينة، وإظهار مجموعة على مجموعة أخرى، كما حدث في بعض الحروب أو لأغراض سياسية كالانتخابات، والأمر لا يقف عند هذا الحد، بل يتجاوزه، ولنفترض مثلًا أنك تجاوزت هذه الحلقة ودخلت لأول مرة إلى هذا العالم، فإن ما ستراه من اقتراحات سيكون منبثقًا من الدائرة المحيطة بك، انطلاقًا من المنطقة الجغرافية التي تقطن فيها، وصولًا للدولة ومجموعة الدول المحيطة بك...، وهذا كله يعود مجددًا أن اختيارات الناس وتصرفاتها وتعاملاتها هي مرآة تعكس ما يفكرون فيه داخل عقولهم!، وهنا يكمن الخطر من ناحيتين، خطورة الإعلام على العقل الجمعي، وخطورة ضياع من أضاع عقله وبحث عن سفاسف الأمور وتوافهها، ألا تدرك خطورة أن يكون كل ما تشاهده وتسمعه لا يخرج إلا من رويبضة وجاهل؟!، ألا تدرك خطورة أن يكون كل سمعك ومشاهداتك لا تخرج إلا من حاقد على الدين عدو له؟!، بل كثير من عوام الناس يقول، "انظر لكمية الإعلانات المزعجة واللا أخلاقية التي تظهر أمامي"، **ولا يعلم المسكين أنه ضحية لقطعة من أفكاره التي كان يبحث عنها ويهتم بها** -نستثني من ذلك وجود خطأ تقني أو خطأ في الاستهداف أو اقتراحات المنطقة الجغرافية

ونحوها-! أرأيت بعد كل هذا خطورة أن تكون القطعة التي اقتطعتها من عقلك على طريق غير سوي أو على ضلال؟!، وهذا يقودنا إلى جزئية أخرى مهمة، وهي خطورة الإعلام، قال تعالى في سورة الشعراء: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾، هذه الآية الكريمة لو نظرنا لها لوجدنا الإعلام فيها!، فالإعلام في عصرهم كان من خلال الشعر، فكان من شعرهم ما يرفع أقوامًا ويضع أقوامًا! والحال لا يختلف كثيرًا إلا بازدياد خطورة الإعلام وتأثيره في هذا الزمان!، وفوق ذلك، أصبح الكل يتحدث ويفتي في كل مجال من مجالات الحياة دون رقيب!، وهذه من المصائب التي بُلينا بها في هذا الزمان!، والتأثر من الإعلام واقع لا محالة!، مهما زعمت أنك لم تتأثر!، والتأثير هذا إما أن يكون لخير وإما أن يكون لشر -والعياذ بالله-، وهذا يقودنا لمجموعة من النقاط المهمة، في كيفية التعامل مع ما يحيط بنا من مخاطر وملوثات، منها تزكية النفس وضبط ميزان الحق!، وهذا يلزمه علم نافع، وعزم على اتباع الحق ومجاهدة النفس!، بالإضافة لوجود سعي وتخطيط ومجاهدة للنفس في التعامل مع التقنية ووسائلها، فلا يليق بك -مثلا- أن تدخل وسائل التواصل فقط لإضاعة الوقت!، وإن سعيت للقراءة واستثمار وقتك، فباعد بينك وبين الملهيات، خصوصًا إن لم تستطع كبح جماح فضولك عند وصول أي إشعار!، وعليك الحذر أشد الحذر من الإدمان الشبكي[1] ومكافحته ومجاهدة نفسك ما استطعت! وليتحقق هذا كله

---

(١) الإدمان الشبكي: يمكن تعريفه اختصارًا بإدمان المحتوى الموجود على شبكة الإنترنت، وتحديدا شبكات التواصل الاجتماعي ومواقع الألعاب وغرف المحادثات ومواد الزنا (الإباحية) ومواقع الفيديو وغيرها، وتكمن خطورة هذا النوع من الإدمان من قدرته على جذب الأشخاص ونزعهم من بحر العلم والصلاح إلى عالم الضياع وتوافه الكلام والأخبار وغيرها، خصوصًا فيما يتركز في مواقع التواصل الاجتماعي والتي قد تكون أشدها فتكًا وتأثيرًا وجذبًا للعقول، بل وأكثرها تميزًا في إضاعة الوقت على توافه الأمور!، ومن هذا المصطلح ظهرت مصطلحات خطيرة مرتبطة بالإدمان الشبكي،

علينا أن نهيئ البيئة المناسبة لتحقيق هذه المعاني!، واحرص على ما تشاهده وتشاركه وتبدي إعجابك به، واحذر من كل ضال مضل، واحذر من توافه الأخبار والأشرار!، واحذر قبل أن تتخذ القرار، فهذا القرار سيكون له أثر عليك، سلبًا أو إيجابًا، فاحرص على اختيار حصادك بدقة!، والأمر كله لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٨١٤. فلْتعلمْ يا أخي أن الراعي يجب أن يحفظ رعيته في دينهم ودنياهم، فلا يفسد عليهم دينهم، بل يعلمهم كتاب الله -سبحانه وتعالى- وسنة نبيه ﷺ، ويحثهم على الخير وسبله، ويدعوهم إلى فضائل الأعمال وأحسنها، يخبرهم عن الآخرة ويعدهم لها!، ويحفظ لهم دنياهم فيسعى لجمع الرزق الحلال الطيب وإنفاقه عليهم في حلال طيب، وأن يحميهم ويقيهم حر الصيف وبرد الشتاء، وأن يأمن مطعمهم ومشربهم، وأن يأمن طريقهم ومسكنهم، وأن يحفظ أرواحهم وحقوقهم وأموالهم...إلى آخره، وكل بقدر استطاعته، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، ولا

منها التصفح القصري؛ وهو السلوك القهري الذي يقودك مرارًا وتكرارًا لفتح مواقع التواصل الاجتماعي أو الإشعارات ونحو ذلك في الأوقات المخصصة للمهام، والعجيب أن هذا الإدمان هو أحد أساليب الهروب النفسية لتحاشي مشكلة معينة، حقيقية كانت أو متخيلة!، فهي مجرد وسيلة = = لتنفيس الضغط النفسي والهروب من الواقع، مثل الطالب وقت الامتحانات، أو العازم على العبادة في رمضان! بل إن المضحك المبكي حول إدمان الشبكة، أن كثير من الناس يخفون مدة مكوثهم الحقيقية على شبكات التواصل وعلى الإنترنت، والتركيز على اعتباره وقتًا قليلًا وعابرًا!، ثم هو ذاته تجده مصاب بمرض العمى الزمني! فلا يكاد يجلس حتى يتفاجئ أن الليل قد أفل، وأن الساعات الطوال قد مضت! وأن ما يترتب عليك من علم وانشغال يجب إتمامه لم يتم...!. - أنصح بقراءة كتاب الماجريات لإبراهيم السكران، فصل الماجريات الشبكية، وهو فصل قيم يتطرق فيه إبراهيم السكران -رحمه الله- إلى هذا الموضوع بشيء من الجمال وعذوبة اللسان وقوة المعنى! حتى أن هذا الاختصار بالطرح يظهر به تأثري بروعة تعبير إبراهيم السكران -رحمه الله-؛ حتى أنني تركت الكلام التقني الجامد، واستأثرت بعذوبة كلماته في هذا الباب!

حول ولا قوة إلا بالله.

٨١٥. يا أخي، كلما زاد فضل الله -سبحانه وتعالى- ونعيمه عليك، زد في الحمد والشكر له، وتذكر أنه فضّلك على كثير من عباده، فالحمد لله.

٨١٦. يا أخي، إن أردت النجاة فلا تسعَ للنجاة وحدك!، بل اسعَ لنجاتك ونجاة غيرك، وقدّم ما استطعت من العون لإخوانك، وتذكر أنك إن كنت قادرًا اليوم، فأنت عاجز غدًا، وتذكر أن أخاك إن احتاجك اليوم، فأنت محتاجٌ له غدًا!، ونستأنس بما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "مَن نَفَّسَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ الله عنْه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ، وَمَن يَسَّرَ علَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ الله عليه في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَن سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ الله في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَن سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا، سَهَّلَ الله له به طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ، وَما اجْتَمع قَوْمٌ في بَيْتٍ مِن بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عليهِم السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ الله فِيمَن عِنْدَهُ، وَمَن بَطَّأَ به عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ به نَسَبُهُ"(١).

٨١٧. فلْتعلمْ يا أخي أن إيذاء الحيوانات وتعذيبها أمر حرمه الشارع، فقد روى عبد الله بن عمر -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ في هِرَّةٍ، سَجَنَتْها حتَّى ماتَتْ، فَدَخَلَتْ فيها النَّارَ، لا هي أطْعَمَتْها وسَقَتْها، إذْ هي حَبَسَتْها، ولا هي تَرَكَتْها تَأْكُلُ مِن خَشاشِ الأرْضِ."(٢)، وقد قال جابر بن عبد الله -رضي الله عنه-:

---

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٦٩٩ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٢٤٢ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

"نَهى رَسولُ الله ﷺ أَنْ يُقْتَلَ شيءٌ مِنَ الدَّوَابِّ صَبْرًا"[١]، ومعنى صبرًا أن يُحْبَسُ الحَيوانُ الحيُّ حتَّى يَموتَ، أو أَنْ يُحبَسَ في مَكانٍ فيُجعَلَ هَدفًا يُرمَى عليه حتَّى يَموتَ، بل إن الإسلام أحسن إلى الحيوان حتى في أحكام الذبح، فقد روى شداد بن أوس -رضي الله عنه-: "ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُما عن رَسولِ الله ﷺ، قالَ: إنَّ اللهَ كَتَبَ الإحْسَانَ علَى كُلِّ شيءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فأحْسِنُوا القِتْلَةَ، وإذَا ذَبَحْتُمْ فأحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ"[٢]، لذلك يا أخي، احرص على الإحسان في كل أمرك، وحتى للحيوان، وتذكر أن الأذى الذي أوقعته بحيوان لا ذنب له؛ هو دين في رقبتك ستحاسب عليه!، فسارع إلى التوبة واستغفر الله -سبحانه وتعالى-، ويمكنك الرجوع للكتب الفقهية للاستزادة حول أحكام الحيوانات والتفصيلات الشريعة حول هذا الموضوع.

٨١٨. فلْتعلمْ يا أخي أن ما وقع من الإنسان من غير قصد ولا شعور أو نسيان؛ رفع الله -سبحانه وتعالى- المؤاخذة عليه!، وهذا من عظيم كرمه ورحمته، ومع ذلك فقد يترتب على ذلك بعض الأحكام والحقوق؛ كمن قتل شخصًا عن طريق الخطأ؛ فله الدية، ومن نسي الصلاة؛ أقامها حين ذكرها...ونحو ذلك، وقد روى عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: "إنَّ اللهَ تعالى وضع عن أُمَّتي الخطأَ، والنسيانَ، وما اسْتُكرِهوا عليه"[٣]، فلذلك، كن رحيمًا بنفسك يا أخي،

---

(١) الراوي: جابر بن عبد الله | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ١٩٥٩ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) الراوي: شداد بن أوس | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ١٩٥٥ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٣) الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الجامع الصفحة أو الرقم: ١٨٣٦ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

فالله -سبحانه وتعالى- بعظمته ورحمته رحمنا وخفف عنا، وكن بدورك رحيمًا بمن أدركت خطأ منه من غير قصد أو نسيان، والله المستعان، والحمد لله رب العالمين.

٨١٩. فلْتعلمْ يا أخي أن الإنسان إذا وكل بأمر فعليه العزم والحزم على إتقانه وإتمامه، وعليه حسن التنظيم والتدبير، وإدارة وسياسة من وكل أمرهم، وعليه أن لا يضيع شيئًا من مسؤولياته، فكلما أضاع شيئًا من مسؤولياته وقصر بها، سقط ما كان يقوم عليها، وأضر غيره بقصد أو بغير قصد، فاحرص على ما وكلت به أشد الحرص، وكن صاحب عقل رشيد وقلب حليم، ونستأنس هنا بقوله تعالى في سورة النمل: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ٢٠﴾، فسليمان -عليه السلام- قد أكرمه الله -سبحانه وتعالى- بنعم عظيمة لم تنبغِ لأحد غيره، فكان له ملك عظيم، ومع هذا لم ينسَ تفقد رعيته، لم ينسَ تفقد الطير الذي ملكه!، فإن كان هذا مع الطير، فكيف مع الإنسان؟!، فاللهم أعنا على ما وكلنا به، واغفر لنا تقصيرنا ووفقنا لما تحب وترضى، اللهم آمين.

٨٢٠. فلْتعلمْ يا أخي أن الثواب والعقاب، متضادان لا تستقيم الحياة إلا بهما، فمن أذنب عوقب، ومن أحسن أُثيب، وإسقاط أحدهما إسقاط لسنة من سنن هذه الحياة!، لذلك فليكن في نفسك الضدان، فمثلًا، إن أحسن ابنك كافئه، وإن أساء فعاقبه، ولكن لا تعتدِ!

٨٢١. يا أخي، فلتكن دقيقًا في مواعيدك، ملتزمًا بها، فإن طرأ طارئ دعاك للخروج أو المغادرة أو التأخر ولم تستطع منعه، فأسرع بتقديم اعتذارك لمن ارتبطت معه، ولا تطل عليه ذلك؛ فتضيع وقته وتعكر صفوه!

٨٢٢. يا أخي، عالج ما يأتيك من مدخلات ونقها وتحقق منها، ثم تصرف

يكن تصرفك رزينًا!، ولا تصدق كل ما يقال لك!، ولا تكذب كل ما يقال لك!، واستخدم عقلك في معالجة الأقوال والأفعال!، واسأل الله -سبحانه وتعالى- الهداية والتوفيق لذلك!، والله المستعان.

٨٢٣. قال تعالى في سورة النمل على لسان بلقيس: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾﴾، هذه الآية العظيمة فيها إرشاد مهم للوصول إلى الفلاح والرشد في الأمر، هذا الإرشاد هو الشورى!، والشورى تعني الأخذ بآراء الغير في مسألة ما، قال القرطبي -رحمه الله-: "في هذه الآية دليل على صحة المشاورة. وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ: وشاورهم في الأمر في (آل عمران) إما استعانة بالآراء، وإما مداراة للأولياء. وقد مدح الله تعالى الفضلاء بقوله: وأمرهم شورى بينهم. والمشاورة من الأمر القديم وخاصة في الحرب; فهذه بلقيس امرأة جاهلية كانت تعبد الشمس: قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرًا حتى تشهدون لتختبر عزمهم على مقاومة عدوهم، وحزمهم فيما يقيم أمرهم، وإمضائهم على الطاعة لها، بعلمها بأنهم إن لم يبذلوا أنفسهم وأموالهم ودماءهم دونها لم يكن لها طاقة بمقاومة عدوها، وإن لم يجتمع أمرهم وحزمهم وجدهم كان ذلك عونا لعدوهم عليهم، وإن لم تختبر ما عندهم، وتعلم قدر عزمهم لم تكن على بصيرة من أمرهم، وربما كان في استبدادها برأيها وهن في طاعتها، ودخيلة في تقدير أمرهم، وكان في مشاورتهم وأخذ رأيهم عون على ما تريده من قوة شوكتهم، وشدة مدافعتهم; ألا ترى إلى قولهم في جوابهم: نحن أولو قوة وأولو بأس شديد"(١)، وقال السعدي -رحمه الله-: ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ أي: ما كنت مستبدة بأمر

---

(١) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ١٦ | الصفحة ١٤٥-١٥٥ | تفسير سورة النمل | الآية ٣٢ | مؤسسة الرسالة | بيروت

دون رأيكم ومشورتكم."[١]، وفي أحكام الشورى نقتبس بعض ما ذكره القرطبي -رحمه الله-: "والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام; من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب. هذا ما لا خلاف فيه. وقد مدح الله المؤمنين بقوله: وأمرهم شورى بينهم. قال أعرابي: ما غبنت قط حتى يغبن قومي; قيل: وكيف ذلك؟ قال لا أفعل شيئًا حتى أشاورهم. وقال ابن خويز منداد: واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون، وفيما أشكل عليهم من أمور الدين، ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب، ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح، ووجوه الكتاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها. وكان يقال: ما ندم من استشار. وكان يقال: من أعجب برأيه ضل،...قال رسول الله ﷺ: المستشار مؤتمن. قال العلماء: وصفة المستشار إن كان في الأحكام أن يكون عالما دينا، وقلما يكون ذلك إلا في عاقل. قال الحسن: ما كمل دين امرئ ما لم يكمل عقله. فإذا استشير من هذه صفته واجتهد في الصلاح وبذل جهده فوقعت الإشارة خطأ فلا غرامة عليه،...وصفة المستشار في أمور الدنيا أن يكون عاقلا مجربا وادا في المستشير"[٢]، قال تعالى في سورة الشورى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٨ ﴾، قال السعدي -رحمه الله-: ﴿وَأَمْرُهُمْ﴾ الديني والدنيوي ﴿شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ أي: لا يستبد أحد منهم برأيه في أمر من الأمور المشتركة بينهم، وهذا لا يكون إلا فرعًا عن اجتماعهم وتوالفهم وتوادهم وتحاببهم وكمال عقولهم، أنهم إذا

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة النمل | الجزء التاسع عشر | الآية ٣٢ | الصفحة ٦٠٤ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ٥ | الصفحة ٣٨٠-٣٨٢ | تفسير سورة آل عمران | الآية ١٥٩ | مؤسسة الرسالة | بيروت

أرادوا أمرًا من الأمور التي تحتاج إلى إعمال الفكر والرأي فيها، اجتمعوا لها وتشاوروا وبحثوا فيها، حتى إذا تبينت لهم المصلحة، انتهزوها وبادروها، وذلك كالرأي في الغزو والجهاد، وتولية الموظفين لإمارة أو قضاء، أو غيره، وكالبحث في المسائل الدينية عمومًا، فإنها من الأمور المشتركة، والبحث فيها لبيان الصواب مما يحبه الله، وهو داخل في هذه الآية."(١)، وقال ابن كثير -رحمه الله-: ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ أي: لا يبرمون أمرا حتى يتشاوروا فيه، ليتساعدوا بآرائهم في مثل الحروب وما جرى مجراها، كما قال تعالى: ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ولهذا كان عليه [الصلاة] والسلام، يشاورهم في الحروب ونحوها، ليطيب بذلك قلوبهم. وهكذا لما حضرت عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] الوفاة حين طعن، جعل الأمر بعده شورى في ستة نفر، وهم: عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنهم أجمعين، فاجتمع رأي الصحابة كلهم على تقديم عثمان عليهم، رضي الله عنهم"(٢)، فسبحان من حثنا على الشورى وذكرها لنا في مواضع عدة، وقد قال المفسرون -رحمهم الله- عظيم القول في الشورى وأحكامها ومعاني الآيات التي ذكرت الشورى في ثناياها؛ مما لا يدع مكانًا لكلماتي، لذلك أنصح بالرجوع للكتب الفقهية وكتب التفاسير للاستزادة حول الشورى وأحكامها، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الشورى | الجزء الخامس والعشرون | الآية ٣٨ | الصفحة ٧٦٠ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٦٧٢ | تفسير سورة الشورى | الآية ٣٨ | دار ابن حزم | بيروت

٨٢٤. فلْتعلمْ يا أخي أن التهادي وقبول الهدية من سنة الحبيب المصطفى ﷺ، فالتهادي يزيد المحبة والألفة بين الناس ويذهب الحقد والبغضاء من القلوب!، لذلك يسن قبول الهدية مع انتفاء المانع!، وقد روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "لَوْ دُعِيتُ إلى ذِراعٍ أوْ كُراعٍ لَأَجَبْتُ، ولو أُهْدِيَ إلَيَّ ذِراعٌ أوْ كُراعٌ لَقَبِلْتُ"(١)، وهذا فيه توجيه من الحبيب المصطفى -عليه الصلاة وسلام-؛ فقد أخبر بأنه يقبل الهدية حتى وإن قلت!، وهذا فيه من التواضع وتطيب الخاطر ومراعاة شعور مقدم الهدية ما فيه!، لذلك انشر البهجة في قلوب إخوانك بقبول هديتهم أو بإهدائهم رحمك الله!

٨٢٥. فلْتعلمْ يا أخي أن عادة المفسدين في الأرض رفع الأذلة حتى يصيروا أعزة في أعين الناس، وتذليل الأعزة حتى تنكسر شوكة الحق في النفوس فتهاب وتخاف!، لذلك، إذا أردت أن تنظر في أحوال الملوك والولاة، انظر إلى أشراف رعيتهم من أهل الحق والعلم؛ أين هم وما هو حالهم، وانظر إلى دين الله -سبحانه وتعالى- في حكمهم وفعلهم وقوانينهم، فإن فعلت؛ وجدت حينها الجواب الكافي لحالهم وحال رعيتهم، والله المستعان.

٨٢٦. فلْتعلمْ يا أخي أن أهل السوء يعيبون على أهل الطهارة طهارتهم!، وما العيب إلا استحسانهم الخبث والسوء!، وجعلهم فضل الطهارة بمنزلة الخبث!، ومنزلة أفضل الأعمال وأحسنها بمنزلة أخبثها وأنتنها! فلا تبتئس يا أخي من كلامهم، فوالله ما فاز إلا طهور، وما خسر إلا ذو السوء!، أتبتئس وأنت على الحق وهم على

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٢٥٦٨ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

الباطل؟!، أتبتئس ولك النجاة ولهم العذاب؟!، أتبتئس ولك حسن الدنيا وجمالها ولهم خبيثها وقبيحها؟!، ألا يكفي للطهارة شرفًا أنها تسمو فوق السوء وأهله؟!، قال تعالى في سورة النمل: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾، هذه الآية العظيمة، تحوي في ثناياها كلام يتكرر بعدة أشكال وأفعال، وعلى مر العصور، حتى أننا نرى ذلك ونشاهده جهارًا، ليلًا ونهارًا!، فمن أراد الطهر حورب، ومن أراد الطهر طُرد وسجن، ولسان حال المعتدين، إنهم أناس لا يفعلون السوء مثلنا، فلا نريد أن يبقى معنا من يتطهر عن أفعالنا!، يعيبون على أهل الطهر طهارتهم، والعيب فيهم ومنهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٨٢٧. فلْتعلمْ يا أخي أن من لا يؤمن بالله -سبحانه وتعالى- ولا يؤمن باليوم الآخر ولا بالحساب والبعث، ولا يؤمن بأنه خُلق لغاية عظيمة وأنه لم يخلق عبثًا، سيكون عالقًا في مشاكل واضطرابات كثيرة، فتجد أكثرهم أشد الناس ظُلمًا وطلبًا للفواحش، واستصغارًا للذنوب، واعتداءً على الغير!، ولا تجد لهم مرجعية واضحة، وكل واحد منهم يتخبط خلف كهنوت الإنسانية[١]، أو تحت قوانين الدولة، أو تحت

(١) الإنسانية هو مصطلح هلامي يستخدمه كثير من الناس للإشارة أو الدلالة على سلوك ما على أنه أخلاقي أو صحيح، وتمريره على أن من الواجب اتباعه أو أنه الأولى بالاتباع! ويعرف على أنه الاعتداد بالفكر الإنساني ومقاومة الجمود والتقليد لنبذ المبادئ والمذاهب والمعتقدات التي يتمتع بها الناس بهدف توحيدهم، ويعتبر الإنسان هو المرجع الأساسي لهذا الاعتقاد، باعتبار الحرية التي يتمتع بها الإنسان وينطلق من خلالها، وباعتباره القيمة والمقياس لكل شيء -بحسب زعمهم-! لكن العجيب أنهم خلقوا دينًا يصيحون به ليعتقده الناس، فزادوا الفرقة فرقة ولم يصلوا لهدفهم -الظاهر- ! وعادة ما تترادف هذه الكلمة مع الدين، فتجد بعض الناس يقولون: "الإنسانية أولا ثم اعتنق ما شئت من الأديان"، وهذه مصيبة وطامة عظمى! فالمصيبة الأولى في هذا القول، أنه جعل الإنسانية

ما يُسمى بالعلم!، وبالنهاية لم يستطيعوا حل مشكلة الشر ولم يجيبوا على الأسئلة الوجودية الكبرى!، بل ضاعوا أكثر فأكثر، وذلك لأنهم حسب كبيرهم "مجرد حثالة كيميائية"، فلا فرق بينهم وبين صُرصار!، ففرق كبير بين من يرى نفسه حثالة كيميائية وبين من يرى نفسه مخلوقًا عظيمًا سُخرت له الدنيا وما فيها لينتفع بها وليعلم قدرة الله -سبحانه وتعالى- بها، فسبحان الله كيف يصنعون! وأما أنت يا أخي، فخذ بأيدي المساكين منهم إلى كتاب الله -سبحانه وتعالى-، فادعوهم إليه وأحسن دعوتك، فإن لم تكن قادرًا على ذلك، فسل الله -سبحانه وتعالى- لهم الهداية، وكن عزيزًا بدينك، متمسكًا به داعيًا إليه بأخلاقك وأفعالك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٨٢٨. فلْتعلمْ يا أخي أن الغيب الذي نؤمن به لا نأخذه إلا عما أخبرنا به الله -سبحانه وتعالى- في كتابه العزيز، أو على لسان نبيه محمد ﷺ، أما أي ادعاء في الغيب لم يقم عليه الدليل فهو لا يتعدى الكذب إذا خالف القرآن الكريم أو السنة وأما ما لا

دين وهي تفتقر لمقومات الدين الحقيقي، وما هو فيها لا يخرج عن كونه بقايا من الأديان أو الفطرة السليمة التي فطرها الله -سبحانه وتعالى- في عباده، والمصيبة الثانية أنه جعل الإسلام جنبًا إلى جنب مع الأديان الباطلة! والمصيبة الثالثة أن الإنسانية هلامية فلا مرجعية لها، فهي تتغير باختلاف المكان والزمان! فالشذوذ كان قبيحًا فيما مضى عند الغرب، وأصبح الآن من الجرم مناهضتها أو رفضها! والشذوذ نفسه حسب الإنسانوية مباح ويجرم من يرفضه، وفي مكان آخر يجرم من يفعله! فمن منهم إنسانيًا؟!، هناك من يقتل الجنين ويَعد فعله إنسانيًا! وهناك من يقتل المرضى ويَعد فعله إنسانيًا! وهناك من تزني زوجته وإنسانيته لا تمنع ذلك، بل هو يزني بغيرها أيضًا، وكلاهما يعد فعله إنسانيًا!، =

= فيا لقبحها وفحشها من دعوة! لذلك، أي دعوة للخير تأكد أنها فيما فطر الله -سبحانه وتعالى-، وفطرة الله -سبحانه وتعالى- خُلقت فينا، وأرشدنا رب العزة لسبيل الهداية للحفاظ على الفطرة نقية بيضاء، فالخير كله لن تجده إلا في الإسلام! الإسلام فقط ولا شيء دونه! فإذا كنت تتحدث عن المحبة أو العزم أو الرأفة أو الرحمة أو الصدق أو العقاب أو الاتزان وغيرها، كلها ستجدها في الإسلام وبأجمل ما يليق بها من معاني! فكن مسلمًا مخلصًا لله -سبحانه وتعالى- لا تشرك به شيئًا!.

يمكن إثباته مما ورد في الكتب الأخرى ولم تخالف أو توافق القرآن الكريم، فلا نأخذ بها.

٨٢٩. يا أخي، لا تجعل من قوتك وسطوتك أو قوة قبيلتك وعشيرتك أو ملكك وسلطانك علوًا في الأرض لتفسد فيها!، فتستبد بالضعفاء والمساكين ومن هم غير قادرين على منعك من فسادك إذا فعلت!، فتكشر عن أنيابك على من لا أنياب له!، بل إن ما يجب عليك فعله هو نصرهم ومعاونتهم إذا ظُلموا وإذا احتاجوا لك!، وتذكر أن القوة والسلطان لا تدوم لأحد، وأن العشيرة القوية اليوم قد تصبح ضعيفة مهزومة في الغد، وأن السلطان المستبد قد يُرى سلطانه نهارًا وترى جثته ذليلًا ليلًا!، ومهما كنت قويًا ومهما علوت في الأرض فإنك لا تساوي عند الله -سبحانه وتعالى- جناح بعوضة! فانظر أين ترى نفسك وعلى أي حال تكون؟!

٨٣٠. يا أخي، إن كنت من المستضعفين في الأرض، ودارت الدائرة ووهبك الله -سبحانه وتعالى- الملك وأورثك الدنيا؛ فاعمل لأن تكون من أئمة الهدى، مقيمًا للحق والعدل، باسطًا جناحك للمؤمنين والمساكين والمستضعفين، لا تظلم أحدًا ولا يُظلم عندك أحد!، فإذا نجحت نجوت، وإذا فشلت كنت كمن سبقك من الفاسدين! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٨٣١. فلْتعلمْ يا أخي أن وعد الله -سبحانه وتعالى- حق، فمتى جاء فلا مفر منه، ووعده الحق له موعد لا يتأخر عنه ولا يتقدم!، لكن استعجالنا لوعد الله -سبحانه وتعالى- هو الذي يوهمنا أنه تأخر!، لذلك كن على يقين بأن وعد الله -سبحانه وتعالى- متحقق لا محالة، وله سنن بالحياة تسير على هذا الكون، فاستعجالك للخير أو الشر لن يقدم أو يؤخر أمر الله -سبحانه وتعالى-، فمتى أراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون، فالحمد لله.

٨٣٢. فلْتعلمْ يا أخي أن الإسلام حث على إغاثة الملهوف، والملهوف هو العاجز أو المظلوم أو المكروب!، فإذا أردت سعادة في قلبك فكن في عون أخيك، فإن اللحظة التي يوفقك الله -سبحانه وتعالى- بها حتى ترى فرحة أخيك عند انفراج كربته ورد مظلمته لأعظم من متاع الدنيا وما فيها!، ولقد روى أبو موسى الأشعري -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، فقالوا: يا نَبِيَّ اللهِ، فمَن لَمْ يَجِدْ؟ قالَ: يَعْمَلُ بيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ ويَتَصَدَّقُ قالوا: فإنْ لَمْ يَجِدْ؟ قالَ: **يُعِينُ ذا الحاجَةِ المَلْهُوفَ** قالوا: فإنْ لَمْ يَجِدْ؟ قالَ: فَلْيَعْمَلْ بالمَعروفِ، ولْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فإنَّها له صَدَقَةٌ"(١)، ففي الحديث على أن إغاثة كلِّ مَن وقعَتْ له مُصيبةٌ واستغاثَ عليها فعونه صدقة، بل إن إغاثة الملهوف إحدى الطرق التي يظهر بها حمد الله -سبحانه وتعالى- على نعمه، لأن من أعطي مثلًا قوة فنصر أخاه الملهوف؛ فهو استخدم القوة التي رزقها الله -سبحانه وتعالى- له في موضع من مواضعها! وبهذا فإن ابتلي الملهوف بالضعف، ابتليت أنت بالقوة!، ولكل منكم اختباره، والنتيجة إما فوز وإما خسارة -والعياذ بالله-، فاللهم وفقنا لما تحبه وترضاه.

٨٣٣. يا أخي، لا تعن أحدًا على معصية، ولا تبادر في تسهيل المعصية له حتى يقع فيها!، فإنك إن فعلت؛ كنت وإياه سواء، فلقد أجرمت إذ سهلت عليه المعصية، وأجرم هو بارتكابها، فاتقِ الله -سبحانه وتعالى- فيما أنعم عليك ولا تكونن ظهيرًا للمجرمين!

٨٣٤. يا أخي اسعَ لأن تكون ناصحًا أمينًا!، ولْتعلمْ يا أخي أن النصح يحتاج إلى السعي، فالناصح يسعى لإيصال نصحه بأحسن طريقة لمن يتلقاها، ويسعى لأن

---

(١) الراوي: أبو موسى الأشعري | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ١٤٤٥ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

تكون في وقتها لا بعد فوات الآوان!، ويسعى في تحري الحق في نصحه، ويسعى في تبيان جوانب الأمر، ويدل صاحبه على ناصح أمين إن لم يكن أهلًا لذلك!...إلى آخره، فاحرص على السعي في طرق الخير، وابحث عمن يسعون للخير في نصحهم وأعمالهم فتنجو وينجون، والله المستعان.

٨٣٥.قال تعالى في سورة القصص: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٥﴾، هذه الآية العظيمة فيها من عظم الكلام والدروس والمعاني ما يملأ القلب خُلقًا وأدبًا!، فمن قرأ هذه الآية الكريمة أدرك عفة وحياء هذه المرأة، وأدرك عظم ما قالته من كلمات بحيث لا تدع مجال للريبة ولا تفتح أبوابًا للشيطان!، نص مختصر وصريح يوصل المعنى المطلوب ويوضح الغاية، قال السعدي -رحمه الله-: "فأرسل أبوهما إحداهما إلى موسى، فجاءته ﴿تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ وهذا يدل على كرم عنصرها، وخلقها الحسن، فإن الحياء من الأخلاق الفاضلة، وخصوصًا في النساء. ويدل على أن موسى عليه السلام، لم يكن فيما فعله من السقي بمنزلة الأجير والخادم الذي لا يُستحى منه عادة، وإنما هو عزيز النفس، رأت من حسن خلقه ومكارم أخلاقه، ما أوجب لها الحياء منه، فـ﴿قَالَتِ﴾ له: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ أي: لا لِيمُنَّ عليك، بل أنت الذي ابتدأتنا بالإحسان، وإنما قصده أن يكافئك على إحسانك"(١)، وقال ابن كثير -رحمه الله-: "لما رجعت المرأتان سراعًا بالغنم إلى أبيهما، أنكر حالهما ومجيئهما سريعًا،

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة القصص | الجزء العشرون | الآية ٢٥ | الصفحة ٦١٤ | مؤسسة الرسالة | بيروت

فسألهما عن خبرهما، فقصتا عليه ما فعل موسى، عليه السلام. فبعث إحداهما إليه لتدعوه إلى أبيها قال الله تعالى: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ أي: مشي الحرائر، كما روي عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، أنه قال: كانت مستترة بكم درعها. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا [أبي، حدثنا] أبو نعيم، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون قال: قال عمر رضي الله عنه: جاءت تمشي على استحياء، قائلة بثوبها على وجهها، ليست بسلفع خراجة ولاجة. هذا إسناد صحيح. قال الجوهري: السلفع من الرجال: الجسور، ومن النساء: الجريئة السليطة، ومن النوق: الشديدة. ﴿قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَا﴾، وهذا تأدب في العبارة، لم تطلبه طلبًا مطلقًا لئلا يوهم ريبة، بل قالت: ﴿إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَا﴾ يعني: ليثيبك ويكافئك على سقيك لغنمنا"[(١)]، ومن هنا أدعوك أخي لتربي بناتك على مثل هذه الأخلاق العظيمة، وأن تختار زوجة بمثل صفات هذه المرأة الحيية، وهذه الحال تشترك فيها كل امرأة حيية عفيفة، صانت نفسها وحفظت فرجها وأمسكت لسانها إلا بالحق، وأدعوك لأن تكون رجلًا حقًا، فتحفظ بنات المسلمين وتغض بصرك عنهن وتصون أعراضهن، وتطهر قلبك وعقلك في أي خطاب وأي موقف بينك وبين البنات والنساء عمومًا وبنات المسلمين ونساء المسلمين خصوصًا!، فاللهم وفق شباب المسلمين لمثل هذه الحال، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٨٣٦.يا أخي، اختر دوما أجيراً ذا قوة وأمانة، لأن اجتماع القوة والأمانة تعين على إتمام العمل على أفضل وجه، فإن وجدت من لديه القوة على إنجاز المهام

---

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٤١٢-١٤١٣ | تفسير سورة القصص | الآية ٢٥ | دار ابن حزم | بيروت

الموكلة إليه، والأمانة لإتمامها على أفضل وجه ودون خيانة لك، فتشبث به، لأنه نعم الأجير!

٨٣٧. فلْتعلمْ يا أخي أن الولي الصالح هو من يبحث لابنته عن الرجل الصالح كما يبحث لابنه!، فمن وجد في نكاح ابنته صلاحًا ونفعًا، ووجد رجلًا صالحًا فله أن يعرض عليه نكاح ابنته، وإن وجد في ابنته رغبة في الزواج وقدرة عليه فعليه أن يسعى لنكاح ابنته، ولقد روى عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قصة لطيفة في هذا الباب، فقال: " أنَّ عُمَرَ بن الخَطَّابِ، حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بنْتُ عُمَرَ مِن خُنَيْسِ بن حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، وكانَ مِن أصْحَابِ رَسولِ الله ﷺ، فَتُوُفِّيَ بالمَدِينَةِ، فَقالَ عُمَرُ بن الخَطَّابِ: أتَيْتُ عُثْمَانَ بن عَفَّانَ، فَعَرَضْتُ عليه حَفْصَةَ، فَقالَ: سَأَنْظُرُ في أمْرِي، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ لَقِيَنِي، فَقالَ: قدْ بَدَا لي أنْ لا أتَزَوَّجَ يَومِي هذا، قالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، فَقُلتُ: إنْ شِئْتَ زَوَّجْتُكَ حَفْصَةَ بنْتَ عُمَرَ، فَصَمَتَ أبو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إلَيَّ شيئًا، وكُنْتُ أوْجَدَ عليه مِنِّي على عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ خَطَبَهَا رَسولُ الله ﷺ، فأنْكَحْتُهَا إيَّاهُ، فَلَقِيَنِي أبو بَكْرٍ، فَقالَ: لَعَلَّكَ وجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أرْجِعْ إلَيْكَ شيئًا؟ قالَ عُمَرُ: قُلتُ: نَعَمْ، قالَ أبو بَكْرٍ: فإنَّه لَمْ يَمْنَعْنِي أنْ أرْجِعَ إلَيْكَ فِيما عَرَضْتَ عَلَيَّ، إلَّا أنِّي كُنْتُ عَلِمْتُ أنَّ رَسولَ الله ﷺ قدْ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسولِ الله ﷺ، ولو تَرَكَهَا رَسولُ الله ﷺ قَبِلْتُهَا."(١)، فلا أظنك خيرًا من عمر -رضي الله عنه-، ولا أظن ابنتك خيرًا من حفصة -رضي الله عنها-، ومع هذا لم يجد حرجًا رضوان الله عليه من أن يبحث لابنته عن زوج يكفلها...، قال تعالى في سورة القصص: ﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ

---

(١) الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٥١٢٢ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧﴾، قال القرطبي رحمه الله: "قال إني أريد أن أنكحك الآية. فيه عرض الولي بنته على الرجل; وهذه سنة قائمة"[1]، فالحمد لله الذي رفع الحرج عن عباده وأرشدهم لصلاحهم وصلاح موكلاتهم....الحمد لله.

ملاحظة: يجب على ولي الفتاة ألا يخجل من هذا الفعل، بل عليه أن يكون فخورًا بعمله هذا، وعلى المجتمع أن يعي أن العيب يكمن في جعل ما أحله الله سبحانه وتعالى أو أباحه عيبًا!، وعلى كلا الفريقين أن يعي أن الهدى الذي جاء به الإسلام أو حث عليه لا يأتي إلا بخير، وما نضعه نحن من عقبات لا يزيد الأمر إلا سوءًا، فاتبعوا سنة المصطفى ﷺ واقتدوا بفعل الصحابة -رضوان الله عليهم-، يدخل الفرح إلى قلوبكم، وتنالوا سعادة الدنيا والآخرة، ولفطنة الولي وأسلوبه دور عظيم في الوصول إلى هذا الهدف بأسمى طريقة ممكنة...

٨٣٨. فلْتعلمْ يا أخي أن الإنسان يستأنس بمن يشاطره الأفكار والتوجه، لذلك إن وجدت أنيسًا لك؛ فتعاونا سويًا على ما تتشاطرا فيه من أفكار، فإن كنت على حق فاسعَ لإظهاره وتَقَوّى بمن يأنسك في إقدامك، وإن وجدت أنك على باطل وضلال؛ فتوقف مباشرة وادعو أصحابك للخير الذي وجدت، واستعن بالله -سبحانه وتعالى-، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٨٣٩. فلْتعلمْ يا أخي أن كثيرًا من الناس يتمنون لو أنهم كانوا في زمن الرسول ﷺ، لكنهم يتناسون أنهم لو كانوا هناك لما علموا حالهم، أهُم على الكفر أم على

---

(١) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ١٦ | الصفحة ٢٦١ | تفسير سورة القصص | الآية ٢٧ | مؤسسة الرسالة | بيروت

الإيمان!، فهذا أبو طالب مات كافرًا وهو عم الرسول ﷺ وحاميه، وهذا أبو لهب عم الرسول ﷺ لكنه بُشر بالنار -والعياذ بالله منها-!، لذلك اعلم يا أخي أنك في نعمة عظيمة!، فلقد ولدت على الإسلام دون عناء!، بينما هم جاهدوا وحاربوا وطردوا وهجروا لأجل لا إله إلا الله، فهل أدركت معنى هذا؟!، بل إن كثير من بني قومي يقولون مثل هذا القول ولا يسعون حتى إلى القيام بالفرائض دون السنن! ولا يقدمون على نصرة النبي -عليه الصلاة والسلام- بالامتناع عن منتجات العدو -على أقل تقدير- لا على محاربتهم!، وهذا التفكير يخيفني؛ فإذا كان هذا حالنا في هذا الزمان، فكيف لو كنا في زمن النبي -عليه الصلاة والسلام-؟!، مع أي فرقة سنكون؟!، لذلك أقول دومًا، الحمد لله رب العالمين الذي أنعم علينا بالإسلام، ووهبنا بفضله الإسلام نعمة عظيمة، ورثناها قبل أن ندرك جمالها، فلما أدركنا جمال الإسلام ورأينا قبح غيره فرحنا بما وهبنا الله -سبحانه وتعالى-، فأقول لجميع من يتمنى مثل هذا، إن كنت صادقًا حقًا وذا قلب صادق، أو كنت ضعيفًا تتمنى وجودك في زمن النبي ﷺ لتتقوى باتباعه، ومع أي فريق كنت فعليك أن تشكر الله -سبحانه وتعالى- على ما وهبك من نعمة الإسلام، ولْتعلمْ أنك في زمن صعب، مليء بالفتن والشهوات والشبهات، وأنك في هذا الزمان تحتاج لأن تجاهد نفسك، وتجاهد عدوك، وأنك بحاجة لأن تعرف دينك فتنصره، وأن الرسول ﷺ وإن مات، فإن دعوته التي جاء بها لن تموت!، فهي دعوة رب السماوات والأرض -جل في علاه-، والتي تكفل بحفظها وجعلها آخر الرسالات، وحفظها بحفظه، وإن كان رسول الله ﷺ قد مات، فإن الله -سبحانه وتعالى- حي لا يموت، قوي عزيز لا يرد من دعاه، قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ

ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾، فاللهم بارك لنا في إسلامنا، واهدنا، وأعزنا بالإسلام، وأعز الإسلام بنا، اللهم آمين.

٨٤٠. فلْتعلمْ يا أخي أن الفسق والكفر والمعاصي كلما ازدادت وظهرت؛ غطت على العقل بمقدار ذلك، فترى من فساد عقول الفساق ما يُتعجب منه!، وترى كيف يستخفون عقول الناس وكيف لعبوا بعقولهم فتتعجب من سخافة الطرح ومن سخافة الأتباع!، لكنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور!، قال تعالى في سورة القصص: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾، وقال تعالى في سورة الزخرف: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾، هذه الآيات الكريمة تظهر تكبر فرعون وعتوه!، وتظهر كيف استخف قومه!، وكيف أطاعوه!، مع أنهم كانوا إما من الأشراف أو التجار أو الناجحين في حياتهم الدنيوية بمعايير المادة، إلا أنهم فشلوا وسقطوا في أمور الآخرة، بل عقولهم كانت سفيهة فلم تقدهم للحق، وذلك كله بسبب فسقهم!، قال الله تعالى في سورة النمل: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ وهذا أشد ما يخشاه الواحد منا، ألا يُهدى لذنوبه ومعاصيه، فلا يدركها ولا يعرفها -ظنًا منه أنه على خير لكثرة استكباره عن الحق، فيخفق في الآخرة-، وإن عرف ذنوبه ومعاصيه فلا يُهدى إلى التوبة منها -والعياذ بالله-!، فاللهم يا مقلب القلوب والأبصار، ثبت قلبي على دينك، ويا رب لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

٨٤١. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- بعدما أنزل التوراة على سيدنا

موسى -عليه السلام- **لم يعذب أمة بعامة**، وكان آخر هلاك قبل نزول التوراة هو هلاك فرعون وجنوده بأمر الله -سبحانه وتعالى-، وآخر عقوبة بعد نزول التوراة ما ذكره أبو سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "ما أَهْلَكَ اللهُ قَوْمًا، ولا قَرْنًا، ولا أُمَّةً، ولا أهلَ قَرْيَةٍ مُنْذُ أنْزَلَ التوراةَ على وجْهِ الأرضِ بِعَذابٍ مِنَ السَّماءِ، غيرَ أهلِ القَرْيَةِ التي مُسِخَتْ قِرَدَةً، ألَمْ تَرَ إلى قَوْلِهِ تعالى: ولقدْ آتَيْنا مُوسَى الكتابَ من بَعْدِ ما أهلَكْنا القُرُونَ الأُولَى بَصائِرَ لِلنَّاسِ وهُدًى ورَحْمَةً لعلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ"(١)، وبعد ذلك، فإن الأمر كان بمقاتلة المؤمنين لأعداء الله -سبحانه وتعالى-، وهذا له معانٍ مهمة، وهي أن التوراة وما بعدها من الكتب السماوية ستفرق الحق والباطل، وسينقسم الناس بين مؤمنين وكافرين، بين مطبقين لأحكام الله -سبحانه وتعالى- وبين عصاة ورافضين، والنصر على أعداء الله -سبحانه وتعالى- سيكون بالجد والعمل والسير كما أمر الله -سبحانه وتعالى-، وطلب العون منه، والهزيمة متحققة إذا ابتعد المؤمنون عن كتبهم، **وكأن قانون الهلاك قُيد على أيدي المؤمنين بما وهبهم الله -سبحانه وتعالى- من أحكام وشرائع في الكتب السماوية، فإن أدوا ما أمروا به، وأعدوا العدة كما أمروا، صير الله -سبحانه وتعالى- النصر على أيديهم، وإلا كانت الدنيا وعتادها وعدتها**، قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾، وقال تعالى في سورة محمد: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾، وإلى الله الأمر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: الألباني | المصدر: السلسلة الصحيحة الصفحة أو الرقم: ٢٢٥٨ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

٨٤٢. فلْتعلمْ يا أخي أنك مهما استضعفت، ومهما ظلمت، ومهما استضعفت أمتك، ومهما ضعفت، فعليك ألا تيأس وألا تكف عن المطالبة بحقك والمكافحة لأجله، بكل الطرق التي تقدر عليها، وفي كل الأوقات التي يمكنك استغلالها!، وإياك من الكسل وقلة الهمم عند ضعف الأمة!، فالأمة بحاجة إلى الهمم أثناء ضعفها لترتقي أكثر من أي وقت!، والأمة التي تجتهد في ضعفها لرفع الظلم عنها تفز بإذن الله تعالى، لذلك كن ذا همة، ودع عنك الكسل، واعمل لنهضة أمتك، وتأكد أن النصر من عند الله -سبحانه وتعالى-، وقد روى أنس بن مالك -رضي الله عنه-: "أنَّ رَسولَ الله ﷺ كانَ يَدْعُو: **اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنَ العَجْزِ والكَسَلِ**، والجُبْنِ والهَرَمِ، وأَعُوذُ بكَ مِن فِتْنَةِ المَحْيا والمَماتِ، وأَعُوذُ بكَ مِن عَذابِ القَبْرِ.."[1]، فاقتدِ بنبيك -عليه الصلاة والسلام- تنجو وتفز بإذن الله تعالى، والأمة التي تركت حقها وركنت، خسرت دينها ودنياها، وضاع حقها، وعاشت ذليلة لأنها رضت بالذل، وكذلك الإنسان إن ترك حقه ونام على جنبه لا يسأل عنه ولا يطلبه!، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٨٤٣. فلْتعلمْ يا أخي من أن مكارم الأخلاق وأتمها أن يحسن صاحب العمل إلى أجيره فلا يشق عليه، ويرحمه ويحسن إليه، قال تعالى في سورة القصص: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧ ﴾، قال ابن كثير -رحمه الله-: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ

(١) الراوي: أنس بن مالك | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٢٨٢٣ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ أي: **لا أشاقك، ولا أؤاذيك، ولا أماريك**"[1]، فإن علمت هذا؛ فكن من أهل الأخلاق ومكارمها.

٨٤٤.فلْتعلمْ يا أخي أن كثير ممن لا ينصرون الحق أو يعادونه يقولون للصالحين إذا أرادوا قتال عدوهم ودفع الضر عن أمتهم، إنكم بقتالكم لهذا العدو ستعرضونا للقتل والأسر ونهب الأموال، وبقتالكم هذا سيحاربنا العالم، لذلك ارضوا بالذل واقعدوا معنا!، ومع أن هذا الكلام فيه من الذل والخنوع ما فيه، إلا إنه اشتمل على سوء ظن بالله -سبحانه وتعالى- أيضًا!، ثم الناظر لحال الأمم بوجود عدوها يرى القتل والفقر والتشريد والاستعباد والأسر، يرى سرقة الخيرات وتولية الظلام، ولا يُرى خيرًا منهم إلا ما كان فيه خير لهم، وإن أعطوا أعطوا الفتات ثم تسلط إعلام الطغاة شكرًا وتهليلًا بفتات الأعداء -وهو من خيراتنا-، وغرد من لا ينصر الحق: "أرأيتم أننا لولاهم لكنا في الحضيض!"، ونحن نقول أن "لولا هذا العدو لكنا نتنعم بنعم الله -سبحانه وتعالى- من غير جور ولا ظلم ولا حوربنا في ديننا ولا معاشنا ولا رأينا مهزومين الداخل وأذناب الخارج ينطقون...."، ولا أظن ما نراه ونسمعه الآن يختلف كثيرًا عما قاله المكذبين من قريش سابقا، قال تعالى في سورة القصص: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾، والله المستعان.

٨٤٥.يا أخي، فليكن مبتغاك الدار الآخرة، فهي دار القرار ودار المقام، ولا تنسَ نصيبك من الدنيا، وليكن عملك في الدنيا ما هو إلا تمكين لما سيكون في

---

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٤١٣ | تفسير سورة القصص | الآية ٢٧ | دار ابن حزم | بيروت

الآخرة، ولتكن حياتك وأفعالك بما أباحه الله -سبحانه وتعالى- لك، فتمتع بما أحله الله -سبحانه وتعالى- لك، من زواج ومأكل ومشرب ومسكن ونحو ذلك وبالطريقة التي ارتضاها، فلكل شيء حقه، فلجسدك عليك حق، ولروحك عليك حق، ولأهلك عليك حق...ونحو ذلك، ولْتعلمْ يا أخي أن طلب الآخرة لا يعني أن تهمل جسدك ونفسك وأهلك، ولا يعني أن تنفق كل مالك فلا تبقي لك ولأهلك ما يقيهم حاجة السؤال، بل أنفق وأحسن بلا حساب كيفما تشاء، لكن أبقي لك ولأهلك ما ينفعكم، ولْتعلمْ يا أخي أن الإنسان إن أحس نعمة الله -سبحانه وتعالى- عليه بكل جوارحه وعرف إحسانه عليه، أحسن وأحب أن يحسن بأكبر قدر يقدر عليه، لأن من عرف فضل الله -سبحانه وتعالى- ونعيمه وكرمه بكل جوارحه، أحب أن يحسن إلى الناس بكل جوارحه بنفس الطريقة التي استشعر بها هو إحسان الله -سبحانه وتعالى- إليه، فتراه حامدًا شاكرًا لإحسان الله -سبحانه وتعالى-، فيما آتاه، وفي طريقة إنفاقه، قال تعالى في سورة القصص: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾، قال السعدي -رحمه الله-: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ الله الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ أي: قد حصل عندك من وسائل الآخرة ما ليس عند غيرك من الأموال، فابتغ بها ما عند اللّه، وتصدق ولا تقتصر على مجرد نيل الشهوات، وتحصيل اللذات، ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي: لا نأمرك أن تتصدق بجميع مالك وتبقى ضائعًا، بل أنفق لآخرتك، واستمتع بدنياك استمتاعًا لا يثلم دينك، ولا يضر بآخرتك، ﴿وَأَحْسَنْ﴾ إلى عباد الله ﴿كَمَا أَحْسَنَ الله إِلَيْكَ﴾ بهذه الأموال، ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالتكبر والعمل بمعاصي الله والاشتغال بالنعم عن

المنعم، ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ بل يعاقبهم على ذلك، أشد العقوبة."[١]، وقال البغوي -رحمه الله-: ﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ [أي: أحسن بطاعة الله] كما أحسن الله إليك بنعمته. وقيل: أحسن إلى الناس كما أحسن الله إليك ﴿وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من عصى الله فقد طلب الفساد في الأرض ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[٢]، فاللهم اجعلنا بفضلك ورحمتك من المحسنين، ونعوذ بك أن نكون من المفسدين، اللهم آمين.

٨٤٦. يا أخي، لا تنسب الفضل فيما جمعته من أموال وكنوز إلى نفسك وعلمك وعملك وحيلتك!، بل انسب هذا الفضل لمن رزقك إياه وأكرمك به، وأكرمك بالعلم والعمل حتى قدرت على جمع ما كتب لك من رزق! وإياك والقول أن الله -سبحانه وتعالى- رزقك هذا لأنك تستحق ذلك وأنك أهل لذلك -والعياذ بالله-!،، وإياك أن تقول لمن لم يرزق كما رزقت بأن الله -سبحانه وتعالى- يراه لا يستحق ذلك!، فمن أنت حتى تقول ذلك!، قال تعالى في سورة القصص على لسان قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨﴾، قال ابن كثير -رحمه الله-: "يقول تعالى مخبراً عن جواب قارون لقومه، حين نصحوه وأرشدوه إلى الخير (قال إنما أوتيته على علم عندي) أي: أنا لا أفتقر إلى ما تقولون، فإن الله تعالى إنما أعطاني هذا المال لعلمه بأني أستحقه، ولمحبته لي فتقديره: إنما

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة القصص | الجزء العشرون | الآية ٧٧ | الصفحة ٦٢٣ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) كتاب معالم التنزيل (تفسير البغوي) | أبي محمد البغوي | المجلد السادس | تفسير سورة القصص | الصفحة ٢٢١-٢٢٢ | الآية ٧٨ | دار طيبة | الرياض

أعطيته لعلم الله في أني أهل له"[١]، وقال السعدي -رحمه الله-: "فـ﴿ قَالَ﴾ قارون -رادا لنصيحتهم، كافرًا بنعمة ربه-: ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ أي: إنما أدركت هذه الأموال بكسبي ومعرفتي بوجوه المكاسب، وحذقي، أو على علم من الله بحالي، يعلم أني أهل لذلك، فلم تنصحوني على ما أعطاني للّه تعالى؟ قال تعالى مبينًا أن عطاءه، ليس دليلًا على حسن حالة المعطي: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ الله قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ فما المانع من إهلاك قارون، مع مُضِيِّ عادتنا وسنتنا بإهلاك من هو مثله وأعظم، إذ فعل ما يوجب الهلاك؟. ﴿ وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ بل يعاقبهم الله، ويعذبهم على ما يعلمه منهم، فهم، وإن أثبتوا لأنفسهم حالة حسنة، وشهدوا لها بالنجاة، فليس قولهم مقبولًا، وليس ذلك دافعًا عنهم من العذاب شيئًا، لأن ذنوبهم غير خفية، فإنكارهم لا محل له، فلم يزل قارون مستمرًا على عناده وبغيه، وعدم قبول نصيحة قومه، فرحًا بطرًا قد أعجبته نفسه، وغره ما أوتيه من الأموال"[٢].

٨٤٧. فلْتعلمْ يا أخي أن من أراد الحياة الدنيا ومتاعها ونسي الآخرة؛ وجه بصره ونظره لأصحاب الحظوظ من الدنيا، وعلق قلبه بهم، وعمل ليجاريهم، فإن لم يستطع داهنهم وطاوعهم وتمنى أن يكون مثلهم، أما أهل العلم والخير والصلاح، فإنهم يأسفون على أحوال هؤلاء، ويذكّرونهم بأن الدنيا زائلة، وأن الآخرة هي دار

---

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٤٢٥ | تفسير سورة القصص | الآية ٧٨ | دار ابن حزم | بيروت

(٢) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة القصص | الجزء العشرون | الآية ٧٨ | الصفحة ٦٢٤ | مؤسسة الرسالة | بيروت

المقام، وصاحب الحظ العظيم من كانت دنياه كنز أعماله ودار صلاحه، فتكون الآخرة له دار النعيم!، وهناك مفارقة عجيبة، وهي أن **كثير من الناس ينظرون إلى أصحاب الحظوظ من المفسدين في الأرض ولا ينظرون إلى أصحاب الحظوظ من المصلحين فيها، وكأنهم يتمنون الفساد لا غيره**، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٨٤٨. قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ ﴾، هذه الآية العظيمة فيها درس مهم لكل عاقل، فرب العزة -جل في علاه- يخبر الناس بأنهم لن يتركوا بدون بلاء ولا اختبار، وهذه من سنن الله -سبحانه وتعالى- في خلقه!، لأن في هذا يظهر التمايز، ويبين الصادق من الكاذب، ولكل واحد من الذين آمنوا بلاءه الذي يصيبه بقدر إيمانه، فإما صبر وإما جزع -والعياذ بالله-!، وهذه الآية الكريمة فيها إجابة مهمة على سؤال كثير ما نسمعه من الناس عند وقوعهم في كرب ومصاب، أو يطول عليهم الأمد في بلاء ما، فتراه يقول "ألست أدعو، ألست مؤمنًا، ألست صابرًا، لماذا طال البلاء...ونحو ذلك"، هذه الأسئلة كلها تجيب عنها الآية الكريمة إجابة قاطعة لا مرد لها، ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾؟!، فإنك ستبتلى إما في مالك وإما في أهلك وإما في صحتك وإما في عدوك وإما في رهطك...ونحو ذلك، وقد سأل سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- الرسول ﷺ فقال: "يا رسولَ الله ! أيُّ الناسِ أشدُّ بلاءً؟ قال: الأنبياءُ، ثم الصالحون، ثم الأمثلُ فالأمثلُ، يُبتلى الرجلُ على حسبِ دِينِه، فإن كان في دِينِه صلابةٌ، زِيدَ في بلائِه، وإن كان في دِينِه رِقَّةٌ، خُفِّفَ عنه ولا يزالُ البلاءُ بالمؤمنِ حتى يمشي على الأرضِ وليس عليه خطيئةٌ"(١)، أرأيت؟، أشد الناس بلاء

(١) الراوي: سعد بن أبي وقاص | المحدث: الألباني | المصدر: الإيمان لابن تيمية الصفحة أو الرقم: ٧٨ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

الأنبياء، ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل، قال البغوي -رحمه الله-: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ ﴾ أظن الناس ﴿ أَن يُتْرَكُوٓاْ ﴾ بغير اختبار ولا ابتلاء) ﴿ أَن يَقُولُوٓاْ ﴾ أي: بأن يقولوا ﴿ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ لا يبتلون في أموالهم وأنفسهم؟ كلا لنختبرنهم لنبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب."[(١)]، وقال السعدي -رحمه الله-: "يخبر تعالى عن تمام حكمته وأن حكمته لا تقتضي أن كل من قال "إنه مؤمن" وادعى لنفسه الإيمان، أن يبقوا في حالة يسلمون فيها من الفتن والمحن، ولا يعرض لهم ما يشوش عليهم إيمانهم وفروعه، فإنهم لو كان الأمر كذلك، لم يتميز الصادق من الكاذب، والمحق من المبطل، ولكن سنته وعادته في الأولين وفي هذه الأمة، أن يبتليهم بالسراء والضراء، والعسر واليسر، والمنشط والمكره، والغنى والفقر، وإدالة الأعداء عليهم في بعض الأحيان، ومجاهدة الأعداء بالقول والعمل ونحو ذلك من الفتن، التي ترجع كلها إلى فتنة الشبهات المعارضة للعقيدة، والشهوات المعارضة للإرادة، فمن كان عند ورود الشبهات يثبت إيمانه ولا يتزلزل، ويدفعها بما معه من الحق وعند ورود الشهوات الموجبة والداعية إلى المعاصي والذنوب، أو الصارفة عما أمر الله به ورسوله، يعمل بمقتضى الإيمان، ويجاهد شهوته، دل ذلك على صدق إيمانه وصحته. ومن كان عند ورود الشبهات تؤثر في قلبه شكا وريبا، وعند اعتراض الشهوات تصرفه إلى المعاصي أو تصدفه عن الواجبات، دلَّ ذلك على عدم صحة إيمانه وصدقه. والناس في هذا المقام درجات لا يحصيها إلا الله، فمستقل ومستكثر، فنسأل الله تعالى أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يثبت قلوبنا على دينه، فالابتلاء والامتحان للنفوس بمنزلة الكير، يخرج خبثها

---

(١) كتاب معالم التنزيل (تفسير البغوي) | أبي محمد البغوي | المجلد السادس | تفسير سورة العنكبوت | الصفحة ٢٣١ | الآية ٢ | دار طيبة | الرياض

وطيبها."[١]، فسبحان ربي ما أعظمه وما أرحمه، قبل أن يبتلي عبده أخبره بأنه مبتلٍ، وهداه، وألهمه القدرة على تحمل هذا البلاء، ولم يحمله ما لا طاقة له به، ويسر له سبل الصبر، ولم يبق على العبد سوى الرضوخ لمولاه -جل في علاه- والتسليم لأمره والصبر على قضائه وقدره!، فاللهم أدم علينا حبك وشكرك ونعيمك، وألهمنا برحمتك الصبر والهدى والتوبة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٨٤٩. فلْتعلمْ يا أخي أن النفس بطبعها قد تتثاقل عن العمل وقد تعتاد الكسل!، لذلك كان لجهاد النفس منزلة عظيمة في ديننا الحنيف، فمجاهدة النفس لدينا منهاج حياة، لأننا نجاهدها لنبتعد عن الحرام، ونجاهدها لنعمل الصالحات، ونجاهدها لضبط النفس وحسن الخلق...ونحو ذلك، فمن قدر على ذلك وانتصر على نزواته وسقطاته؛ انتصر! وإن انتصر على نفسه؛ سهل عليه مجاهدة غيره من الشياطين وأعداء الدين، ونستأنس هنا بما رواه عبد الله بن عمرو -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "أفضلُ المؤمنينَ إسلامًا من سَلِمَ المسلمونَ من لسانِه ويدِه، وأفضلُ المؤمنينَ إيمانًا أحسنُهم خُلقًا؛ وأفضلُ المهاجرين من هجر ما نهى الله تعالى عنه، **وأفضلُ الجهادِ من جاهد نفسَه في ذاتِ الله عز وجل**"[٢]، وهذا فيه إشارة مهمة لعظم مجاهدة النفس في الإقبال على طاعة الله -سبحانه وتعالى- وترك المعاصي والمنكرات، والله المستعان.

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة العنكبوت | الجزء العشرون | الآية ٢ | الصفحة ٦٢٦ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) الراوي: عبد الله بن عمرو | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الجامع الصفحة أو الرقم: ١١٢٩ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

٨٥٠. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- لم يُمكن عباده من التصرف في بعض ما آتاهم من فضله وبما ارتضاه لهم من سنن، ومن هذا؛ الحياة، فالحياة التي وهبها الله -سبحانه وتعالى- لك لا يحق لك انتزاعها لأنها ليست ملكك، وكذلك الأمر للذنوب والآثام، فلا يحق لأحد أن يقول لك: أنا أحمل عنك وزرك وإثمك ولتفعل ما آمرك به أو أخبرك به، لأن هذا الحق لم يعطه الله -سبحانه وتعالى- لعبيده، فحتى وإن رضيت أنت بهذا، فأنت محاسب على ما أذنبت ولن يحمل عنك وزرك!، فلا تزر وازرة وزر أخرى، وقد قال الله -سبحانه وتعالى- في سورة العنكبوت: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ ﴾، أي أن كفار قريش قالوا للمؤمنين اتبعوا سبيلنا ونحن نحمل عنكم آثامكم -إن كان هناك آثام حسب اعتقادهم-، وهم كاذبون في هذا، فلا يملكون هذا الأمر حتى يقروه، لذلك يا أخي احذر من كل شخص يدعوك إلى الذنوب والمعاصي، ويتبجح بقوله "ضعها برقبتي" ولنفعل كذا، فهذا كله باطل في باطل، وإنك محاسب وإنه محاسب!، بل إن من أضل عباد الله -سبحانه وتعالى- له نصيب من أوزارهم لتسببه في ذلك، وهذا لا ينقص من إثم الفاعل!، ولْتعلمْ أن هذا العقاب يشمل عقاب الدنيا والآخرة، فمثلًا، إن اشترك في الجريمة اثنان، فلا يحمل أحدهما جرم الآخر، ولكل منهما عقابه، وسبحان الله، نجد هذه الدعوة تتكرر مرارًا وتكرارًا، وبأساليب متنوعة ليضلوا الناس عن الصراط المستقيم، لكن الله -سبحانه وتعالى- ناصر عبده موهن كيد الكافرين، فاللهم نعوذ بك من دعوة السوء، وطريق السوء، ورفيق السوء، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٨٥١. قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾، هذه الآية الكريمة

ترشدنا للعديد من الأمور التي ينبغي علينا فهمها جيدًا، فهذا سيدنا نوح -عليه السلام- لبث في قومه ٩٥٠ عامًا يدعوهم للإيمان بالله -سبحانه وتعالى- وتوحيده، ومع هذا لم يؤمن معه إلا قليل، وأخذ الباقي العذاب وهم ظالمون لأنفسهم مستحقون للعذاب!، وهذه الأولى، فإن الإنسان عليه أن يسعى وأن يبذل جهده كما أمره الله -سبحانه وتعالى-، ويسعى في ذلك كل سعيه، أما النتائج فهي بيد الله -سبحانه وتعالى-، فإنك لا تهدي من أحببت، لكن الله -سبحانه وتعالى- يهدي من يشاء!، فالله -سبحانه وتعالى- أعلم بما في صدور عباده، وهو أعلم بالمتقين، وهو أعلم بالظالمين!، والثانية: أن الإنسان عليه أن يكون حليمًا صابرًا على عمله ودعوته وكل ما يقربه إلى الله -سبحانه وتعالى- ما استطاع، فهذا نبي الله نوح -عليه السلام- لبث ٩٥٠ عامًا يدعو قومه ولم يكف عن دعوته ولم يتوقف حتى كان كفرهم لا يزول إلا إذا رأوا العذاب الأليم -والعياذ بالله-!، والثالثة: أن الله -سبحانه وتعالى- ناصر عبده لا محالة!، وأن النصر يكون بعدة أشكال وطرق بما تقتضيه حكمة الله -سبحانه وتعالى- وعلمه الذي سبق كل شيء، والرابعة: أن الله -سبحانه وتعالى- يستجيب دعاء عباده بما تقتضيه حكمته -جل في علاه-، فقد دعا نبي الله نوح -عليه السلام- ربه بعد أن اعتدى قومه واشتد كفرهم وطغيانهم وعتوهم عن أمر ربهم، فقال ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾، فاستجاب الله -سبحانه وتعالى- لنبيه -عليه السلام- وأغرقهم بالطوفان، والخامسة: أن الإنسان إن طال عليه الأمد في دعوته أو عمله أو أي أمر من أمور الحياة، عليه أن لا يفتر عن أداء ما كلف به، فإن أصابه التقصير يومًا، نفض الغبار عن قلبه ثم عاد مجددًا حتى يتم الله -سبحانه وتعالى- أمره، ويقض أمرًا كان مفعولًا، والحمد لله رب العالمين.

٨٥٢. قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ

بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾، هـذه الآيـة الجليلة ترشدنا للتفكر في أحوال الأمم السابقة والاعتبار من مساكن وآثار من سبقنا من الأمم حتى نتعظ فلا نسقط كما سقطوا -والعياذ بالله-، وفيها التفكر في قدرة الله -سبحانه وتعالى- على البعث بعد الموت، فمن أنشأ هذه الحياة ابتداءً قادر على أن يعيد من مات وفنى إلى حياة أخرى لا موت فيها!، قال القرطبي -رحمه الله-: "قوله تعالى: قل سيروا في الأرض أي قل لهم يا محمد سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق على كثرتهم وتفاوت هيئاتهم واختلاف ألسنتهم وألوانهم وطبائعهم، وانظروا إلى مساكن القرون الماضية وديارهم وآثارهم كيف أهلكهم; لتعلموا بذلك كمال قدرة الله. ثم الله ينشئ النشأة الآخرة"[١]، وقال السعدي -رحمه الله-: ﴿قُلْ﴾ لهم، إن حصل معهم ريب وشك في الابتداء: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بأبدانكم وقلوبكم ﴿فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ فإنكم ستجدون أممًا من الآدميين والحيوانات، لا تزال توجد شيئًا فشيئًا، وتجدون النبات والأشجار، كيف تحدث وقتًا بعد وقت، وتجدون السحاب والرياح ونحوها، مستمرة في تجددها، بل الخلق دائمًا في بدء وإعادة، فانظر إليهم وقت موتتهم الصغرى -النوم- وقد هجم عليهم الليل بظلامه، فسكنت منهم الحركات، وانقطعت منهم الأصوات، وصاروا في فرشهم ومأواهم كالميتين، ثم إنهم لم يزالوا على ذلك طول ليلهم، حتى انفلق الإصباح، فانتبهوا من رقدتهم، وبعثوا من موتتهم، قائلين: "الحمد للّه الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور" ولهذا قال: ﴿ثُمَّ الله﴾ بعد الإعادة ﴿يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ وهي النشأة التي لا تقبل موتًا ولا نومًا، وإنما هو الخلود والدوام في إحدى الدارين. ﴿إِنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

---

(١) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ١٦ | الصفحة ٣٥٢-٣٥٣ | تفسير سورة العنكبوت | الآية ٢٠ | مؤسسة الرسالة | بيروت

فقدرته تعالى لا يعجزها شيء وكما قدر بها على ابتداء الخلق، فقدرته على الإعادة من باب أولى وأحرى."(١).

٨٥٣. فلْتعلمْ يا أخي أن من أقبح الناس خُلقا وأكثرهم شرًا هم أهل الشذوذ والداعين إليه، والقاطعين الطريق والمعتدين على الناس بظلم وعدوان، والذين إذا اجتمعوا في مجالسهم أو ساحاتهم كانت لهم مكانًا للفجور والمجون، أو مكانًا لنزع الحياء وقلة الأدب، أو مكان للشتم والقدح والإتيان بأنواع الذنوب والمعاصي على أشكالها، فإن اجتمعت هذه كلها شكلت من القبح ما تشمئز منها النفوس، فإن أضيف إلى ذلك الكفر بالله -سبحانه وتعالى- وفرض المنكرات وطرد الطهارة فاعلم أنك ترى أسوأ ما يمكن أن يراه المرء في دنياه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ونعوذ بالله من ذلك.

٨٥٤. يا أخي، لا تدع مجلسًا جلست فيه في يومك إلا وذكرت الله -سبحانه وتعالى- فيه، فهذا فيه خير كثير، فلا يكون هذا المجلس لهوًا وعبثًا دون فائدة، وقد روى أبو سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ الله عز وجل إِلَّا حَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عليهمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ الله فِيمَن عِنْدَهُ."(٢)، والعاقل من جعل له في كل مكان محلًا لذكر الله -سبحانه وتعالى-، ومكانًا لدعوة الناس إلى رب العباد -جل في علاه-، ومكانًا

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة العنكبوت | الجزء العشرون | الآية ٢٠ | الصفحة ٦٢٨-٦٢٩ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) الراوي: أبو سعيد الخدري وأبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٧٠٠ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومكانًا تطهر به القلوب من ملوثات الحياة الدنيا، ومكانًا نسأل الله -سبحانه وتعالى- فيه رضاه وتوفيقه، والحمد لله رب العالمين.

٨٥٥. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- لم يذكر مثلًا في القرآن الكريم إلا لسبب عظيم، ولمنفعة عظيمة، لذلك كان تدبر هذه الأمثال وفهمها وتعقلها والعمل بمقتضى ما فيها من الحكمة، عمل عباد الله الصالحين المخلصين، فالمتدبرون لما أنزل الله -سبحانه وتعالى- هم أولى الناس باتباع ما أنزل، واجتناب سخطه -جل في علاه-، وهؤلاء هم أصحاب العقول، الذي تمركز العلم في عقولهم، وبات في صدورهم، قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

٨٥٦. قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾، هذه الآية العظيمة فيها مجموعة من الإرشادات العظيمة التي تقود صاحبها لخير عظيم، ففيها أمر من الله -سبحانه وتعالى- لقراءة القرآن الكريم ونشره بين الناس، وفيها من التعقل والتدبر في كتاب الله -سبحانه وتعالى- ما يرشدنا إلى ما أمرنا به وما نهانا عنه، وفيها إشارة إلى أهمية الصلاة في الإسلام، وكيف أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فمن أراد أن يطهر قلبه ويصلح صدره فعليه بالصلاة، ففيها تشترك الجوارح كلها، وفيها يقرأ القرآن، وفيها يذكر الله -سبحانه وتعالى-، ويا سعده من أتم صلاته كما أمرنا بها رب العزة -جل في علاه-، فهو والله لفائز فوز عظيم!، ويا سعده من كانت الصلاة ملجأه حتى يهرب من الفواحش والمنكرات، ويا سعده من منعته صلاته مِن الفحشاء والمنكر، ويا سعده من جدد

إيمانه وتقواه في كل صلاة، وكلما استشعر الإنسان عظم الله -سبحانه وتعالى- في قلبه كلما رأى من توفيق الله -سبحانه وتعالى- له وهدايته الشيء العجاب!، ثم من أراد أكثر من ذلك، فعليه بذكر الله -سبحانه وتعالى- ذكرًا كثيرًا في كل أحواله وأفعاله ما استطاع ذلك، فمن كان لسانه رطبًا بذكر الله -سبحانه وتعالى- وقلبه مليء بذكر الله -سبحانه وتعالى-، كان ذلك له وقاء من المعصية -بإذن الله-، فمن ذكر الله -سبحانه وتعالى- في قلبه وجوارحه إذا رأى منكرًا أو فحشًا كرهه ورفضه، وكل ذلك بفضل الله -سبحانه وتعالى- وتعظيمًا له، فإن وقع لم يقع كما يقع غيره، وإن ضعف واستكان، فما يلبث أن يعود فيتوب ويعمل من الصالحات، والأحسن من هذا كله أن يذكرنا الله -سبحانه وتعالى- في الملأ عنده، فهذا والله لهو الخير!، وأما من لم ينطبق عليه هذا القول، فأقولها حقيقة، أن من لم يقرأ القرآن الكريم ويعقله، ولم يعمل بما جاء به، ولم يذكر الله -سبحانه وتعالى- ولم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر؛ فحق له أن يخاف -ونعوذ بالله أن نكون من هذا الصنف-، فاللهم اجعلنا من الذاكرين كثيرًا والذاكرات، ونسألك برحمتك أن تجعل صلاتنا وقيامنا ونسكنا ومحيانا ومماتنا إليك، ونسألك أن تحفظنا من الفواحش والمنكرات، ما ظهر منها وما بطن، والأمر كله إليك، ولا حول ولا قوة إلا بك.

٨٥٧. فلْتعلمْ يا أخي أن الحق لا يرد لأن صاحبه عدو لك أو لأنك لا تحب صاحبه أو لأنك ترغب في أن تنتصر لنفسك، بل إنك إن أيقنت الحق في أمر ما فعليك أن تنصف صاحبه، ومن الإنصاف أن تذكر أن ما جاء به هو حق!

٨٥٨. فلْتعلمْ يا أخي أن الرسول ﷺ كان أميًّا، لا يقرأ ولا يكتب، وهذه من معجزاته، فهو لم يقرأ كتب الأولين، ولم يكتب، فلما بعثه الله -سبحانه وتعالى- جاء بكتاب عظيم، استحال على البشر أن يأتوا بمثله، فكانت معجزة أخرى، فمن كان لا

يقرأ فكيف له أن يسرد أخبار الأولين؟!، وهو لم يخالط أهل الكتاب فيأخذ منهم، ولم يقرأ كتبهم؟!، ثم جاء ببيان عجز عنه كل العرب، فلم يستطع أحد أن يأتي بمثله فضلًا عن الإتيان بخير منه!، ومع هذا، فإن الله -سبحانه وتعالى- أغدق العلم على قلب نبيه، فعلمه من علمه، وأنزل عليه القرآن الكريم وتكفل بحفظه، وقد أمرنا أن نتعلم وأن نقرأ وأن نسعى إلى أسباب العلوم النافعة ما استطعنا، فالعالمون هم خير الناس في معرفة الحق واتباعه، وحث الناس إليه ودعوتهم إليه.

٨٥٩. فلْتعلمْ يا أخي أن الجاهل في علم من العلوم لا يحق له المجادلة فيه ومناهضته بغير دليل ولا علم، وأهل العلم وأولو الألباب في مجالاتهم المتنوعة هم من يَنُوءون عن غيرهم وكل حسب مجاله!، فلا يرد على الفيزيائي لأجل الرد، من غير علم في المسألة المراد الرد عليها ولا حيثياتها، وكذلك أمر العلوم، وأسمى العلوم وأعظمها القرآن الكريم، فأشد العجب لمن يتقول على القرآن بما ليس فيه!، ويدعي وجود أخطاء لغوية وهو لا يقدر على كتابة جملة واحدة صحيحة، ولم يقرأ في علوم اللغة ونحوها، ويعجز عن الإتيان بسورة واحدة من سور القرآن الكريم!، فسبحان الله ما أعظمه! وما أعجز عبيده!

٨٦٠. قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾، في هذه الآية الكريمة نص صريح لأمر الله -سبحانه وتعالى- لعباده بالهجرة إلى الأرض التي يتمكنون فيها من تأدية عباداتهم كما أمروا، لكنها ليست هجرة كأي هجرة، إنها هجرة إلى الله -سبحانه وتعالى- ورسوله!، قال تعالى في سورة النساء: ﴿وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٠﴾﴾، قال ابن كثير -رحمه الله-: "هذا أمر من الله لعباده المؤمنين بالهجرة من البلد

الذي لا يقدرون فيه على إقامة الدين، إلى أرض الله الواسعة، حيث يمكن إقامة الدين، بأن يوحدوا الله ويعبدوه كما أمرهم؛ ولهذا قال: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾، ولهذا لما ضاق على المستضعفين بمكة مقامهم بها، خرجوا مهاجرين إلى أرض الحبشة، ليأمنوا على دينهم هناك، فوجدوا هناك خير المنزلين، أصحمة النجاشي ملك الحبشة، رحمه الله، آواهم وأيدهم بنصره، وجعلهم سيوما ببلاده. ثم بعد ذلك هاجر رسول الله ﷺ وأصحابه الباقون إلى المدينة النبوية يثرب المطهرة"(١)، ولْتعلمْ يا أخي أن الأرض كلها لله -سبحانه وتعالى-، وأنك في أي بقعة ذهبت إليها لا يحق لأحد أن يمن عليك أنك وطئتها، فإن ضيق عليك في هذه الأرض، فاعلم أنك وطئت أرض سوء لم تراعِ حق الله -سبحانه وتعالى- ولم يعرف أهلها أو حكامها سوى معنى الحيوانية والقومية والعرقية وما شابه ذلك!، فاللهم ألف بين قلوب المسلمين، ووحد شملهم، واجعل كيد الكافرين وأعداء الدين في نحورهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٨٦١.فلْتعلمْ يا أخي أنك لن تجد أظلم ممن افترى على الله -سبحانه وتعالى- كذبًا، فجعل له شركاء أو ولدًا -سبحانه وتعالى عما يصفون-، أو افترى كذبًا على سيد الخلق محمد ﷺ وكذّب رسالته!، لذلك يا أخي، احذر أن تقول ما لا تعلم عن الله -سبحانه وتعالى-، واحذر من أن تكذب على لسان نبيك محمد ﷺ، واحذر من أن تُكذب الرسالة التي أرسلها الله -سبحانه وتعالى- هداية للعالمين!، **ولْتعلمْ يا أخي أن الإسلام لا يحتاج للكذب والخرافة حتى ينتشر!، بل إنه ينتشر**

---

(١) منقول بإيجاز | كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٤٤١ | تفسير سورة العنكبوت | الآية ٥٦ | دار ابن حزم | بيروت

بالحق الذي فيه!، فلا تظن أن كذبك وافتراءك على دين الله -سبحانه وتعالى- لغاية تظنها نبيلة؛ أنها فعل نبيل!، بل هي فساد وإفساد وفوق ذلك طريق تضلل به عباد الله -سبحانه وتعالى- الباحثين عن الحق!، ولْتعلمْ أن الغاية لا تبرر الوسيلة!، ومن أشهر طرق الكذب التي نراها الكذب من خلال الحديث، فتراه ينسب حديثًا للرسول ﷺ في موقف ما، والرسول -عليه الصلاة والسلام- بريء منه ومن قوله -الحمد لله على نعمة علم الحديث!-، ومن ذلك أيضًا حبة بندورة فيها لفظ الجلالة أو شجرة ساجدة أو غيمة عليها اسم محمد-عليه الصلاة والسلام- ونحو ذلك!، ومع أنها خرافات واضحة كوضوح الشمس، إلا أنها تنتشر كالنار في الهشيم بين عوام الناس!، ويتناسى الناس أن الله -سبحانه وتعالى- عظيم، جعل في الشواهد التي أخبرنا عنها شواهد على عظمة الله -سبحانه وتعالى- وقدرته، كخلق الإنسان وتعاقب الليل والنهار والسماوات والأرض ونحو ذلك!، والإسلام مليء بدلائل الحق، والرسول ﷺ والرسالة التي جاء بها جاءت بالحق، فلا يدخلها الباطل!، **والإسلام انتشر بين الناس كضياء الشمس حين بزوغها بما جعل الله -سبحانه وتعالى- فيه من الحق!**، لذلك يا أخي، لا تكذب على الله -سبحانه وتعالى-، ولا تكذب على نبيه ﷺ، ولا تكذب على دين الله -سبحانه وتعالى- لتصد عنه، ولا تُصدق كل من تقول على دين الله -سبحانه وتعالى- أمرًا لم يذكره الله -سبحانه وتعالى- في كتابه، ولا أخبرنا عنه نبينا محمد ﷺ، ولا كان من نهجه وسيرته!، قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾، وقد روى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "لَا تَكْذِبُوا عَلَيَّ، فإنَّه مَن كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَلِجِ النَّارَ"[1]، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) الراوي: علي بن أبي طالب | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم:

٨٦٢. فلْتعلمْ يا أخي أن جهاد اللسان من أنواع الجهاد العظيمة، فكما أن جهاد السيف يدرأ مفسدة السيف، فإن جهاد اللسان يدرأ افتراءات اللسان؛ للكافرين والمنافقين!، ولْتعلمْ يا أخي أن طلب العلم الشرعي والجد والاجتهاد في طلبه؛ جهاد!، وأن من نعم الله -سبحانه وتعالى- على عبيده أن يلهمهم من الطاعات ما لم يكن في خاطرهم ولا في حسابهم إذا عملوا بمقتضى ما علّمهم الله -سبحانه وتعالى- وجاهدوا أنفسهم للقيام بما عُلموا!، ويا سعده من وفق لذلك!، قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾، قال البغوي -رحمه الله-: "وقيل: المجاهدة هي الصبر على الطاعات. قال الحسن: أفضل الجهاد مخالفة الهوى. وقال الفضيل بن عياض: والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به. وقال سهل بن عبد الله: والذين جاهدوا في إقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة. وروي عن ابن عباس: والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا"(١)، وقال السعدي -رحمه الله-: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ وهم الذين هاجروا في سبيل الله، وجاهدوا أعداءهم، وبذلوا مجهودهم في اتباع مرضاته، ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي: الطرق الموصلة إلينا، وذلك لأنهم محسنون. ﴿وَإِنَّ الله لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالعون والنصر والهداية. دل هذا، على أن أحرى الناس بموافقة الصواب أهل الجهاد، وعلى أن من أحسن فيما أمر به أعانه الله ويسر له أسباب الهداية، وعلى أن من جد واجتهد في طلب العلم الشرعي، فإنه يحصل له من الهداية والمعونة على تحصيل مطلوبه أمور إلهية، خارجة عن مدرك اجتهاده، وتيسر له أمر

---

١٠٦ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(١) كتاب معالم التنزيل (تفسير البغوي) | أبي محمد البغوي | المجلد السادس | تفسير سورة العنكبوت | الصفحة ٢٥٦ | الآية ٦٩ | دار طيبة | الرياض

العلم، فإن طلب العلم الشرعي من الجهاد في سبيل الله، بل هو أحد نَوْعَي الجهاد، الذي لا يقوم به إلا خواص الخلق، وهو الجهاد بالقول واللسان، للكفار والمنافقين، والجهاد على تعليم أمور الدين، وعلى رد نزاع المخالفين للحق، ولو كانوا من المسلمين."[١]، فاللهم اجعلنا ممن وفقتهم للهدى والعلم النافع والعمل الصالح، اللهم آمين.

٨٦٣.فلْتعلمْ يا أخي أن الغيب لا يعلمه إلا الله -سبحانه وتعالى-، وقد أجرى الله -سبحانه وتعالى- بعض الغيبيات على نبيه محمد ﷺ أو أنزلها في كتابه العزيز، لتكون معجزة من المعجزات التي أجراها الله -سبحانه وتعالى-، ومن الأمثلة الجلية على ذلك، نصر الروم على الفرس!، فقد بشر الله -سبحانه وتعالى- المسلمين في سورة الروم فقال: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾﴾، أي أن الله -سبحانه وتعالى- أخبر بأن الروم سيغلبون الفرس في بضع سنين، أي من ثلاث إلى تسع سنين، وقد تحقق ما أخبر الله -سبحانه وتعالى- به المسلمين، ورأى الناس ذلك بأم أعينهم، ومن أصدق من الله قيلًا؟!، وقد فرح المسلمون بنصر الروم على الفرس فرحًا عظيمًا، وذلك لأن الروم كانوا أهل كتاب وهم أقرب إليهم من الفرس، والفرس مجوس، وهم أقرب للمشركين، لذلك لما انتصرت الفرس على الروم فرح المشركون بذلك، فأنزل الله -سبحانه وتعالى- هذه البشارة للمسلمين، فلما تحققت فرح المؤمنون فرحًا عظيمًا،

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة العنكبوت | الجزء الحادي والعشرون | الآية ٦٩ | الصفحة ٦٣٦ | مؤسسة الرسالة | بيروت

ونكص المشركون على أعقابهم، فالحمد لله رب العالمين.

٨٦٤. قال تعالى في سورة الروم: ﴿ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧ ﴾، قال ابن كثير -رحمه الله-: "وقوله: ﴿ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴾ أي: أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وأكسابها وشئونها وما فيها، فهم حذاق أذكياء في تحصيلها ووجوه مكاسبها، وهم غافلون عما ينفعهم في الدار الآخرة، كأن أحدهم مغفل لا ذهن له ولا فكرة. قال الحسن البصري: والله لبلغ من أحدهم بدنياه أنه يقلب الدرهم على ظفره، فيخبرك بوزنه، وما يحسن أن يصلي. وقال ابن عباس في قوله: ﴿ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴾ يعني: الكفار يعرفون عمران الدنيا، وهم في أمر الدين جهال."[1]، **وقلت، سبحان الله، ما أشبه البارحة باليوم!، وما أشبه كفار الأمس بكفار اليوم!، وما أشبه المغيبين بالأمس عن المغيبين اليوم!، فقد وصل الناس قديمًا لأن علموا في أمور الدنيا ما ظنوا أنهم ملكوها وقدروا عليها، وعلموا في أمور الدنيا ما يُتعجب منه!، لكنهم مع ذلك لم تتفتح بصائرهم ولم يروا أبعد من ملذاتهم وشهواتهم!، وهذا هو حال ملحدين اليوم ومن شابههم ومن هو على شاكلتهم!**، فترى منهم أعمالا وإنجازات عظيمة في الحياة الدنيا، وانحطاطا وبعدا عن الله -سبحانه وتعالى- وما أمر وأخبر، ولو أن هذه الأعمال "قارنها الإيمان وبنيت عليه لأثمرت الرُّقِيَّ العالي والحياة الطيبة، ولكنها لما بني كثير منها على الإلحاد لم تثمر إلا هبوط الأخلاق وأسباب الفناء والتدمير"[2]، وهذا ما يُرى جليًّا بين أصحاب العقول النيرة والقلوب

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٤٤٨ | تفسير سورة الروم | الآية ٧ | دار ابن حزم | بيروت

(٢) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة

البصيرة، وبين من هم دونهم من أصحاب القلوب المظلمة التي أعمت أصحابها عن الحق، فضلوا وأضلوا، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم اجعلنا من أصحاب القلوب البصيرة، والعقول النيرة، اللهم آمين.

٨٦٥. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- جعل اختلاف الناس في ألوانهم وألسنتهم دليل على كمال قدرته، فمن علم أن الإنسان منبته واحد، وهو أبونا آدم وأمنا حواء -عليهما السلام-، ووجد ألوانهم ولغاتهم تختلف وتتنوع إلا أقر بهذا الإعجاز العظيم، فلو تشارك الناس في حواسهم، إلا أن ما تنطق به حواسهم أو ما تشاهده تتمايز فيما بينهم!، فسبحان الله!، فذاك صوته خشن، وذاك صوته لين، وذاك عيناه زرقاوان، وذاك أسمر البشرة، ونحو ذلك، وما زلت أذكر أيام رمضان التي قضيتها في وسط السوق، كيف كنا نتجمع على سفرة واحدة من مختلف الأجناس، ومسرورين وسعداء بإخواننا، فرحون بإسلامنا وطاعتنا لله -سبحانه وتعالى-، وأشد العجب أن تكون آية التدبر هذه والتفكر هي مسار العنصرية والفوقية والقومية ومن سبل الغرور والاستكبار!، ولم أرَ يومًا في حياتي من كان يرى نفسه أو عرقه أو لونه أفضل من غيره إلا جاهل أو مريض!، قال تعالى في سورة الروم: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾، قال ابن كثير -رحمه الله-: "إلى غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله من اختلاف لغات بني آدم، واختلاف ألوانهم وهي حلاهم، فجميع أهل الأرض -بل أهل الدنيا- منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة: كل له عينان وحاجبان، وأنف وجبين، وفم وخدان. وليس يشبه واحد منهم الآخر، بل لا بد أن يفارقه بشيء من السمت أو الهيئة أو

الأولى | تفسير سورة الروم | الجزء الحادي والعشرون | الآية ٧ | الصفحة ٦٣٧ | مؤسسة الرسالة | بيروت

الكلام، ظاهرًا كان أو خفيًا، يظهر عند التأمل، كل وجه منهم أسلوب بذاته وهيئة لا تشبه الأخرى. ولو توافق جماعة في صفة من جمال أو قبح، لا بد من فارق بين كل واحد منهم وبين الآخر، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴾[1]، وقال السعدي -رحمه الله-: ﴿و﴾كذلك في ﴿ اخۡتِلَافُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَانِكُمۡ﴾ على كثرتكم وتباينكم مع أن الأصل واحد ومخارج الحروف واحدة، ومع ذلك لا تجد صوتين متفقين من كل وجه ولا لونين متشابهين من كل وجه إلا وتجد من الفرق بين ذلك ما به يحصل التمييز. وهذا دال على كمال قدرته، ونفوذ مشيئته. ومن عنايته بعباده ورحمته بهم أن قدر ذلك الاختلاف لئلا يقع التشابه فيحصل الاضطراب ويفوت كثير من المقاصد والمطالب."[2]، فاللهم كما وحدت صفوفنا في الصلاة، وحد قلوبنا بالإيمان والإسلام، اللهم آمين.

٨٦٦. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- له كل ما في السماوات والأرض، كل له قانتون خاضعون، لا يعصون الله -سبحانه وتعالى- ما أمرهم، وإنما أمره إذا قال لشيء إنما كن، فيكون!، لا ينازعه على حكمه أحد، ولا يشاركه في ملكه أحد، كل الخلق أمام عظمة الله -سبحانه وتعالى- خاضعون له، طوعًا وكرهًا!، فالحمد لله أننا نعبد إلهًا كاملًا لا يعتريه النقص ولا الضعف ولا العيب!، لا يحتاج إلى شريك في أمره ولا يحتاج لعون فيما قضى! الحمد لله الذي هدانا إليه، الحمد لله!

---

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٤٥٠ | تفسير سورة الروم | الآية ٢٢ | دار ابن حزم | بيروت

(٢) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الروم | الجزء الحادي والعشرون | الآية ٢٢ | الصفحة ٦٣٩ | مؤسسة الرسالة | بيروت

٨٦٧. فلْتعلمْ يا أخي أن الفطرة التي خلقها الله -سبحانه وتعالى- في عبيده من الآيات المعجزة والأدلة الدامغة على وجود الله -سبحانه وتعالى- وقدرته!، والتي عجز بسببها الملحدون وغيرهم، فهي التي أرقتهم وأذلتهم ولم يجدوا مفرًا منها إلا كما جرت العادة؛ بأكاذيب تلحقها أكاذيب، وتكهنات تلحقها تكهنات!، ومن أجمل ما في الفطرة التي رزقنا الله -سبحانه وتعالى- إياها الحق والرغبة إليه، فكل واحد منا مجبول على الحق باحثًا عنه متقبلًا للدين، سائلًا عن الغاية ومهتمًا بمصيره، ونحو ذلك، لكن هذه الفطرة السليمة قد تلوثت بسبب تأثير خارجي ففسدت، روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: **"كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ علَى الفِطْرَةِ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أوْ يُنَصِّرَانِهِ، أوْ يُمَجِّسَانِهِ**، كَمَثَلِ البَهِيمَةِ تُنْتَجُ البَهِيمَةَ هلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ"[١]، والفطرة حتى وإن لوثت تبقى تميل للحق، فما أن تسمع كلام الله -سبحانه وتعالى- إلا وتذعن في قرار نفسها، فإما أن تكفر وتستمر في طغيانها ويزداد بعدها أكثر فأكثر، وإما أن تنيب وتؤمن وتقر بالإسلام؛ فيظهر صفاء الفطرة مجددًا!، أما إن فسدت الفطرة ووصلت إلى مرحلة الطمس التام، فقد هلك صاحبها -والعياذ بالله-!، فالحمد لله رب العالمين.

٨٦٨. فلْتعلمْ يا أخي أن الأقوام من قبلنا اختلفوا وتفرقوا وكانوا شيعًا، فظهرت الآراء والملل الباطلة!، وكل فرقة منهم تزعم أنها على شيء، وتزعم أنها على حق، وهي ليست على شيء!، وذلك مثل اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الأديان!، وفي الإسلام ظهرت الفرق وافترق الناس بينها، وكل يزعم أنه على حق كحال من سبقنا من أهل الأديان!، لكن، هناك فرق جوهري بيننا وبين من سبقنا، وهو أن كتاب الله -

---

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ١٣٨٥ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

سبحانه وتعالى- محفوظ في الصدور والسطور، لم يدخله التحريف ولا التبديل، وهذه هي مرجعيتنا الأولى التي نستمد منها الحق، وهذا ما لا يتواجد عند أهل الأديان الأخرى!، ولهذا فإن لم يعرف أهل الأديان الأخرى أي فرقهم كانت على حق، علمنا نحن من هي الفرقة الناجية!، وذلك لأن مرجعيتنا ما زالت محفوظة -والحمد لله-، ثم أضف لذلك، أن سنة الحبيب المصطفى ﷺ من أقواله وأفعاله وصلت إلينا بسند!، وهذا ما لا يوجد عند أهل الملل الأخرى، وهي نعمة عظيمة أخرى!، وبهذا فالمرجع الثاني للإسلام وصلنا في أعلى مرجعية وطريقة علمية يمكن أن تُنقل بها العلوم -والحمد لله-، وبهذا، فإن من أراد أن يعرف الحق، وأن يعرف الفرقة الناجية، فعليه بكتاب الله -سبحانه وتعالى-، وسنة نبيه ﷺ من أفعال وأقوال، وعلينا بالنظر إلى أفعال الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم-، فهم صفوة البشر وخيرهم، وهم من وجدوا مع الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام-، وعاشوا الإسلام معه!، فمن نظر إلى كتاب الله -سبحانه وتعالى- اهتدى، ومن عرف سنة المصطفى ﷺ وأعمال الصحابة عرف الحق وأيقن، وهذا كله لا يتواجد عند أي من الأديان الأخرى على هذه الأرض -والحمد لله-، وبهذا فإن اختصمت فرقتين من المسلمين، كان كتاب الله -سبحانه وتعالى- وهدي النبي ﷺ هو الحكم بينهم، وكذلك إجماع الأمة، فمن وافقهم كان على حق، ومن خالفهم كان على باطل!، فالحمد لله الذي هدانا للحق، وأنعم علينا بالإسلام، وجعل الحق واضحًا كضياء الشمس، وجعل الباطل مظلمًا كظلام الليل، الحمد لله.

٨٦٩. قال تعالى في سورة الروم: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ٣٩ ﴾، هذه

الآية العظيمة فيها لفتة مهمة عمن يهب الناس لمقصد في نفسه، كأن ينال ما هو أعظم منها!، ومع أن هذا الأمر مباح، إلا أنه لا يثاب صاحبه عليه، بل الأصل أن يقصد رضا الله -سبحانه وتعالى-، قال ابن كثير -رحمه الله-: "أي: من أعطى عطية يريد أن يرد الناس عليه أكثر مما أهدى لهم، فهذا لا ثواب له عند الله - بهذا فسره ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وعكرمة، ومحمد بن كعب، والشعبي- وهذا الصنيع مباح وإن كان لا ثواب فيه إلا أنه قد نهى عنه رسول الله ﷺ خاصة، قاله الضحاك، واستدل بقوله: ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾ [المدثر: ٦] أي: لا تعط العطاء تريد أكثر منه. وقال ابن عباس: الربا رباءان، فربا لا يصح يعني: ربا البيع؟ وربا لا بأس به، وهو هدية الرجل يريد فضلها وأضعافها. ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾. وإنما الثواب عند الله في الزكاة؛ ولهذا قال: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ أي: الذين يضاعف الله لهم الثواب والجزاء، كما [جاء] في الصحيح: وما تصدق أحد بعدل تمرة من كسب طيب إلا أخذها الرحمن بيمينه، فيربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله، حتى تصير التمرة أعظم من أحد"[1]، وقال القرطبي -رحمه الله-: "وعن الضحاك في هذه الآية: هو الربا الحلال الذي يهدى ليثاب ما هو أفضل منه، لا له ولا عليه، ليس له فيه أجر وليس عليه فيه إثم. وكذلك قال ابن عباس: وما آتيتم من ربا يريد هدية الرجل الشيء يرجو أن يثاب أفضل منه؛ فذلك الذي لا يربو عند الله ولا يؤجر صاحبه ولكن لا إثم عليه، وفي هذا المعنى نزلت الآية. قال ابن عباس وابن جبير وطاوس ومجاهد:

---

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٤٥٤ | تفسير سورة الروم | الآية ٣٩ | دار ابن حزم | بيروت

هذه آية نزلت في هبة الثواب"[١]، فإن كنت مقدمًا على هبة، فاسعَ لأن تكون لله -سبحانه وتعالى-، فتكسب بذلك دينك ودنياك، فإن لم تفعل كسبت دنياك ولم تتزود لأُخراك!، ولله الأمر من قبل ومن بعد، والحمد لله رب العالمين.

٨٧٠. فلْتعلمْ يا أخي أن المعاصي والفساد والظلم والشرك والكفر كلها من مواحق البركة، وأن طاعة الله -سبحانه وتعالى- والتقرب إليه والعمل بالصلاحات ونبذ المحرمات طريق البركة، بل إن الله -سبحانه وتعالى- يجعل البركة في السماء والأرض إن صلح أهل الأرض، ويمحق البركة منهما في الذنوب والمعاصي، قال تعالى في سورة الروم: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾، قال القرطبي -رحمه الله: "ظهرت المعاصي في البر والبحر فحبس الله عنهما الغيث وأغلى سعرهم ليذيقهم عقاب بعض الذي عملوا. لعلهم يرجعون لعلهم يتوبون. وقال: بعض الذي عملوا لأن معظم الجزاء في الآخرة"[٢]، وقال ابن كثير -رحمه الله-: "ومعنى قوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾ أي: بان النقص في الثمار والزروع بسبب المعاصي. وقال أبو العالية: من عصى الله في الأرض فقد أفسد في الأرض؛ لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة؛ ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود: " لحد يقام في الأرض أحب إلى أهلها من أن يمطروا أربعين صباحًا ". والسبب في هذا أن الحدود إذا أقيمت، انكف الناس - أو أكثرهم، أو كثير منهم - عن تعاطي المحرمات، وإذا

---

(١) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ١٦ | الصفحة ٤٣٧ | تفسير سورة الروم | الآية ٣٩ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ١٦ | الصفحة ٤٤٣ | تفسير سورة الروم | الآية ٤١ | مؤسسة الرسالة | بيروت

ارتكبت المعاصي كان سببًا في محاق البركات من السماء والأرض"[١].

٨٧١. فلْتعلمْ يا أخي أن من تمام نقصك وعجزك وضعفك أمام عظمة الله -سبحانه وتعالى- وكماله وقدرته، أنك خلقت من ضعف ثم صرت إلى قوة ثم عدت إلى ضعف تارة أخرى!، **وأي نقص للإنسان أعظم من أن تكون ذروة سنام حياته محفوفة بين ضعفين!، وكل العجب لمن يغتر بقوته وشبابه، وينسى ضعفه الذي سبق قوته، ويتناسى ضعفه الذي ينتظره!**، لذلك يا أخي، فليكن شبابك هو أفضل أوقاتك وأعظمها أعمالًا، ولتعمل بها ما استطعت من الخير، ولا تُضع وقتك وقوتك في أعمال تكون هباء منثورًا!، والعاقل من اغتنم شبابه قبل هرمه، فإن لم تفعل هذا وأضعت قوتك في شبابك، فلا تيأس وحاول اغتنام ما تبقى لك من قوة لعل الله -سبحانه وتعالى- أن يجعل في ذلك خيرًا كثيرًا!، **ولْتعلمْ أن المسلم معطاء حتى آخر رمق في حياته، ما أن يجد فرصة للخير إلا وانتهزها وعمل بها بقدر ما استطاع من قوة،** ومن أروع الأمثلة التي ضربت في مثل هذه المواقف لأشرف الرجال هو موقف أبو أيوب الأنصاري -رضي الله عنه-، فإنه استمر في الجهاد في سبيل الله -سبحانه وتعالى- حتى شارك في آخر غزوة وعمره يقارب الثمانين عامًا!، لذلك يا أخي كن ذا همة تصل إلى القمة -بإذن الله سبحانه وتعالى وتوفيقه-، وتأكد أن ما تقدمه اليوم لن يضيع!، حتى وإن لم تحصد ثماره أنت!، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

٨٧٢. قال تعالى في سورة الروم: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾، هذه الآية الكريمة فيها إرشاد مهم لكل داع للخير، عامل

---

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٤٥٤ | تفسير سورة الروم | الآية ٤١ | دار ابن حزم | بيروت

لأجل الإسلام وأهله، وهو أن الصبر لأمثال هؤلاء رديفة لا تنفك عن أعمالهم!، وصبرهم منبعه التصديق بما وعد الله -سبحانه وتعالى-، فإن الله -سبحانه وتعالى- لا يخلف وعده!، فمن علم أن عمله لن يضيع، وأن أمر الله -سبحانه وتعالى- قائم لم يخذله كثرة المخالفين، بل إن الله -سبحانه وتعالى- حذرنا من أن يستخفنا أصحاب القلوب المريضة والضعيفة فتميل النفوس إليهم وتتبعهم -والعياذ بالله-، قال السعدي -رحمه الله-: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ أي: قد ضعف إيمانهم وقل يقينهم فخفت لذلك أحلامهم وقل صبرهم، فإياك أن يستخفك هؤلاء فإنك إن لم تجعلهم منك على بال وتحذر منهم، وإلا استخفوك وحملوك على عدم الثبات على الأوامر والنواهي، والنفس تساعدهم على هذا وتطلب التشبه والموافقة وهذا مما يدل على أن كل مؤمن موقن رزين العقل يسهل عليه الصبر، وكل ضعيف اليقين ضعيف العقل خفيفه. فالأول بمنزلة اللب والآخر بمنزلة القشور فاللّه المستعان"[١].

٨٧٣. فلْتعلمْ يا أخي أن من أسوأ ما نراه في بيوت المسلمين في هذه الأيام هو إدخال لهو الحديث الذي يضل عن سبيل الله -سبحانه وتعالى- إلى بيوتهم بأيديهم!، فترى مثلًا مصائب شرعية وانتهاك لحرمات الله -سبحانه وتعالى- في خير أيام الله -سبحانه وتعالى- تعرض على أبناء المسلمين من خلال الوسائل المتعددة كالتلفاز ومقاطع الصوت والصورة وغيرها دون مانع ولا رادع، فلا دولة تمنع، ولا قانون يردع، ولا شعب يدفع!، بل إنك لتجد الآباء يجلسون ويضحكون قبل الأبناء!

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الروم | الجزء الحادي والعشرون | الآية ٦٠ | الصفحة ٦٤٦ | مؤسسة الرسالة | بيروت

في سخف ومرض عجيب! وإن سألتهم عن هذا قالوا "حتى المتعة تمنعوننا منها!"، وكأن المتعة تكون في الاعتراض على شرائع الله -سبحانه وتعالى- أو الاستهزاء بها أو بعرض المحرمات ونحو ذلك!، قال تعالى في سورة لقمان: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦﴾ ، قال السعدي -رحمه الله-: "أي: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ﴾ هو محروم مخذول ﴿يَشْتَرِي﴾ أي: يختار ويرغب رغبة من يبذل الثمن في الشيء. ﴿لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ أي: الأحاديث الملهية للقلوب، الصادَّة لها عن أجلِّ مطلوب. فدخل في هذا كل كلام محرم، وكل لغو، وباطل، وهذيان من الأقوال المرغبة في الكفر، والفسوق، والعصيان، ومن أقوال الرادين على الحق، المجادلين بالباطل ليدحضوا به الحق، ومن غيبة، ونميمة، وكذب، وشتم، وسب، ومن غناء ومزامير شيطان، ومن الماجريات الملهية، التي لا نفع فيها في دين ولا دنيا. فهذا الصنف من الناس، يشتري لهو الحديث، عن هدي الحديث ﴿لِيُضِلَّ﴾ الناس ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: بعدما ضل بفعله، أضل غيره، لأن الإضلال، ناشئ عن الضلال."(١)، ثم قال تعالى في الآية التالية: ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٧﴾، قال ابن كثير -رحمه الله-: "أي: هذا المقبل على اللهو واللعب والطرب، إذا تليت عليه الآيات القرآنية، ولى عنها وأعرض وأدبر وتصام وما به من صمم، كأنه ما يسمعها; لأنه يتأذى بسماعها، إذ لا انتفاع له بها، ولا أرب له فيها، (فبشره بعذاب أليم) أي: يوم القيامة يؤلمه، كما تألم بسماع كتاب الله وآياته"(٢)،

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة لقمان | الجزء الحادي والعشرون | الآية ٦ | الصفحة ٦٤٧ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٤٦٠ | تفسير

وهذا كلام خطير، يجب أن يعيه المسلمون، **فالإنسان إنما بعث لغاية عظيمة، وجب عليه العمل لأجلها، فمن جاء لينتزع هذه الغاية العظيمة من نفوس أصحابها وجب علينا محاربته وعدم الرضوخ له وعدم الميل للنفس وهواها!**، بل إن الآيات الكريمة التي سبقت هذه الآية إنما تحدثت عن كتاب الله -سبحانه وتعالى-، على أنه الكتاب المحكم، وهو الهداية التي جعلها الله -سبحانه وتعالى- للمحسنين!، وأن هؤلاء المحسنين هم الذين هداهم الله -سبحانه وتعالى- وهم المفلحون!، قال تعالى في سورة لقمان: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾، والنقطة الفارقة هنا أن الآية السادسة جاءت فيمن لم يكن من المفلحين -والعياذ بالله-!، لذلك يا أخي، دع عنك البرامج التافهة، والأفلام والمسلسلات الهابطة!، والكلام المحرم، وكل كلام لا يدعو إلى خير ويدعو إلى شر، واجعل قلبك مليء بالقرآن، واجعل آذانك منصتة له!، ووالله إن القرآن إذا دخل إلى القلب أحدث أمرًا عجبًا!، ووالله إنه لكتاب عظيم! وبقدر ما امتلأ قلبك بالقرآن، وعقلك بمعانيه؛ بقدر ما أفلحت وأدركت فساد وتفاهة كثير من الأمور التي كنت تظنها سابقًا شيئًا وما هي بشيء!، وهذا كله بفضل الله -سبحانه وتعالى- وتوفيقه لعباده، فالحمد لله الهادي العظيم!

٨٧٤. فلْتعلمْ يا أخي أن من أعظم ما يقدمه الوالدين لأبنائهم الوعظ والإرشاد، فهذه مهمة عظيمة ينبغي تأديتها بأفضل ما يكون، **وأعظم الوعظ وأجله هو ذاك الذي يخبر عن الله -سبحانه وتعالى- ودينه، ويدعو إلى ترك الكفر والشرك والعصيان، وترك المعاصي والذنوب والبعد عنها، والتوبة عند الخطأ والزلل...ونحو ذلك**، فمن

سورة لقمان | الآية ٧ | دار ابن حزم | بيروت

تنصل من هذه المهمة ولم يعمل لها؛ أضاع كثير من الخير على أبنائه!، **فاحرص على أن تكون واعظًا لأبنائك، واعظًا لهم في أمور دينهم كما تكون واعظًا لهم في أمور دنياهم!، بل أشد من ذلك!؛ لأن الدنيا مهما عظمت وتزخرفت لم تكن شيئًا أمام الآخرة في نعيمها أو عذابها -والعياذ بالله-!، ولا في بقائها وزمانها!**، ولْتعلمْ أن الوعظ يكون بالأفعال والأقوال، ولا يطلب منك أن تكون عالمًا لتقوم بذلك!، فالإنسان الصالح الذي يؤدي عباداته كما أمره الله -سبحانه وتعالى- هو واعظ عظيم، ومن يعظم شعائر الله -سبحانه وتعالى- فهو واعظ عظيم، ومن يقرأ القرآن ويلتزم في تدبره وورده فهو واعظ عظيم، ومن يعمل فيتقن عمله، ومن يصدق الناس في قوله، ومن يمتنع عما لا يعنيه فهو في وعظ عظيم...وهكذا، وكل ذلك من الوعظ الذي يصل القلوب قبل العقول!، وهنا نشير إلى نقطة مهمة، **أن الأبناء عليهم أن يفتخروا بآباءهم إن كانوا صالحين واعظين كما تقدم من أقوال أو أفعال، وألا يحملوهم ما لا يطيقون! وألا يطالبوهم بما لا يقدرون على تحقيقه!، كأن يكونوا علماء أو مشاهير ونحو ذلك!، فالناس في درجات في العلم والعمل والرزق!، بل يكفيك من صلاحهم أنهم كانوا على ثغر من ثغور الإسلام فأعطى كل واحد منهم حق ذلك الثغر!**، وعلى الوالدين ألا يستحيا من وظائفهم وطبيعة أعمالهم ونحو ذلك؛ إذا أدوا الحق الذي أمروا به!، وعلى كل الأطراف أن تسعى للأفضل في أمور دينها ودنياها، وأن يعين جميع الأطراف بعضهم بعضًا لا أن ينتقص بعضهم بعضًا، وهذا كله من الخير العظيم الذي تحويه لبنة الأسرة في مجتمعاتنا الإسلامية، وما علينا إلا إنماؤها والحرص عليها وإظهارها، والحث عليها لمن تركها، والله المستعان، والحمد لله رب العالمين.

٨٧٥. فلْتعلمْ يا أخي أن أفعالك مهما صغرت ومهما كبرت؛ سيأتي بها الله -سبحانه وتعالى-، وستحاسب عليها!، فلا تستصغر من الأعمال شيئًا، فإنه آتيك

حسابها!، ولْتعلمْ أن الله -سبحانه وتعالى- لا تخفى عليه خافية في السماوات ولا في الأرض!، فاحرص على طاعته في السر والعلن، واستعذ بالله -سبحانه وتعالى- من كل سوء، وجدد توبتك ما استطعت، وعلى الله فليتوكل المؤمنون!

٨٧٦. فلْتعلمْ يا أخي أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا بد وأن يبتلى!، ولا بد من الصبر! وأول ابتلاء هو حمل النفس على ذلك ومجاهدتها! فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له مشقة في النفس، ومشقة عليها!، فالأولى مما يلزم الإنسان لمجاهدة نفسه وحثها وتقويمها، والثانية مما قد يصيب النفس من كد وأذى في سبيل ذلك!، وأول من يُبدأ به عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الإنسان نفسه!، فينكر على نفسه ما يفعل من السوء، ويأمرها بالتوبة والعزم على ذلك، ويأمرها بعمل الصالحات، فإن قدر على نفسه فقد نال خيرًا عظيمًا!، ثم ينظر إلى غيره فيفعل، وكل واحد منا حسب طاقته وقدرته وجهده، فلا يكلف الله -سبحانه وتعالى- نفسا إلا وسعها!، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٨٧٧. فلْتعلمْ يا أخي أن من آداب الكلام أن توجه وجهك إلى الناس إذا كلمتهم أو كلموك!، وأن تبسط وجهك إليهم، وأن تسمع صغيرهم كما تسمع كبيرهم، وتسمع وضيعهم كما تسمع شريفهم!، وهذا كل من التواضع، وعكس ذلك من الكبر، كأن تلقى الناس فتحدثهم ووجهك لا يواجههم كبرًا، وإذا حدثوك أعرضت عنهم كبرًا!، قال تعالى في سورة لقمان: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾، قال ابن كثير -رحمه الله-: "وقوله: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ يقول: **لا تعرض بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك، احتقارًا منك لهم، واستكبارًا عليهم** ولكن ألن جانبك، **وابسط وجهك**

إليهم، كما جاء في الحديث: **ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط**، وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة، والمخيلة لا يحبها الله"[١]، وكانت العرب تقول

"وكُنَّـــا إذَا الجبَّـــارُ صـــعَّرَ خـــدَّهُ أقمْنـــا لـــهُ مـــنْ ميْلِـــهِ فتقَوَّمـــا"

وقالوا:

"إِذا المَلِـــكُ الجَبّـــارُ صَـــعَّرَخَدَّهُ مَشَـــينا إِلَيـــهِ بِالسُـــيوفِ نُعاتِبُـــه"

وقالوا:

"وَكُنّـــا إِذا الجَبّـــارُ صَـــعَّرَ خَـــدَّهُ ضَـــرَبناهُ حَتّـــى تَســـتَقيمَ الأَخـــادِعُ"

لذلك يا أخي، ابسط وجهك لإخوانك، وأظهر الأنس والاستئناس معهم، ولا تتكبر عليهم ولا على أقوالهم، ولا تنظر لنفسك نظرة الجبار المصعر خده، حتى لا تضرب من كل جانب؛ لتستقيم!، وقد أوصانا الله -سبحانه وتعالى- في نفس الآية الكريمة بألا نمشي وكلنا خيلاء!، متبخترين متكبرين لغير سبب ولا حاجة!، بطريين بنعم الله -سبحانه وتعالى- معجبين بأنفسنا معظمين لها!، وهذا لا يكون في كل المواضع، فمواضع القتال مثلًا يستحب فيها التبختر وإظهار العظمة أمام الأعداء!، وهذا بكل تأكيد لا يعني ألا تتمتع بنعم الله -سبحانه وتعالى-، فقد روى عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَن كانَ في قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِن كِبْرٍ قالَ رَجُلٌ: إنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أنْ يَكونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا ونَعْلُهُ حَسَنَةً، قالَ: إنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وغَمْطُ النَّاسِ"[٢]، فاللهم نعوذ بك من الكبر،

---

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٤٦٣ | تفسير سورة لقمان | الآية ١٨ | دار ابن حزم | بيروت

(٢) الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٩١ |

ونعوذ بك من الجهل! ونسألك نعيمك وحبك ورضاك، اللهم آمين.

٨٧٨. قال تعالى في سورة لقمان: "وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩)"، هذه الآية الكريمة فيها حكم عظيمة، ففيها أن يراعي الإنسان سيره فيتوسط، فلا يسرع ولا يبطئ!، وفيها أدب من آداب الكلام، وهو أن يتحدث المرء بمستوى الصوت المناسب فلا يبالغ في رفعه ولا خفضه!، وإن رفع الصوت والجهر به لغير حاجة عمل بغيض، شبهه الله -سبحانه وتعالى- بصوت الحمار، وهو النهيق!، قال القرطبي -رحمه الله-: "واغضض من صوتك أي انقص منه; أي لا تتكلف رفع الصوت وخذ منه ما تحتاج إليه; فإن الجهر بأكثر من الحاجة تكلف يؤذي. والمراد بذلك كله التواضع; وقد قال عمر لمؤذن تكلف رفع الأذان بأكثر من طاقته: لقد خشيت أن ينشق مريطاؤك! والمؤذن هو أبو محذورة سمرة بن معير. والمريطاء: ما بين السرة إلى العانة. إن أنكر الأصوات لصوت الحمير أي أقبحها وأوحشها; ومنه أتانا بوجه منكر. والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة، وكذلك نهاقه؛ ومن استفحاشهم لذكره مجردًا أنهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح فيقولون: الطويل الأذنين؛ كما يكنى عن الأشياء المستقذرة. وقد عد في مساوئ الآداب أن يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من أولي المروءة"(١).

٨٧٩. قال تعالى في سورة لقمان: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾، هذه

خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(١) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ١٦ | الصفحة ٤٨٣-٤٨٤ | تفسير سورة لقمان | الآية ١٩ | مؤسسة الرسالة | بيروت

الآية العظيمة تخبرنا عن عظمة الله -سبحانه وتعالى- وسعة علمه، فلو أن أشجار الأرض كلها كانت أقلام يكتب بها، وجعل البحر مدادًا ومده سبعة أبحر، لتكسرت الأقلام ونفدت البحار ولم تنفد كلمات الله -سبحانه وتعالى-، وهذا كله من عظمة الله -سبحانه وتعالى- اللامتناهية، بل إنني أقول، أننا في كتاب الله -سبحانه وتعالى- الذي أُنزل إلينا، وبعد أكثر من ١٤٠٠ عام، إلا أننا ما زلنا نتعلم من كلام الله -سبحانه وتعالى- وننهل من عظيم حكمه وفوائده بلا انقطاع، بل ألفت المجلدات والكتب خلال الألف وأربعمائة عامًا وما زالت، وستبقى، ولم ينفد ما جعله الله -سبحانه وتعالى- في هذا الكتاب من حكم وعبر وفوائد ومناقب ومنافع ودواء لما في القلوب والعقول!، فسبحان من وسع علمه كل شيء، ولم نسع من علمه شيء!، وقد روت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- عن رسول الله ﷺ قال: "اللَّهُمَّ أعُوذُ برِضَاكَ مِن سَخَطِكَ، وبِمُعَافَاتِكَ مِن عُقُوبَتِكَ، وأَعُوذُ بكَ مِنْكَ **لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أنْتَ كما أثْنَيْتَ علَى نَفْسِكَ.**"[(١)]، فأسماء الله -سبحانه وتعالى- وصفاته لا يمكن حصرها ولا يمكن الإحاطة بها!، فكيف بعلم الله -سبحانه وتعالى- كله؟!، فسبحان العليم الحكيم! سبحان الله العظيم! سبحان من تعالى عمن في السماوات والأرض، سبحانه ما أعظمه وما أعظم شأنه!

٨٨٠. يا أخي، إذا رأيت من آيات الله -سبحانه وتعالى- المبهرات المعجزات، وإذا منّ الله -سبحانه وتعالى- عليك فأنقذك من الهلاك بعد أن رأيته رأي العين، فعليك أن تكون ممن يسابق إلى الخيرات!، فلا تكفر نعمة الله -سبحانه وتعالى- عليك، ولا يبقى حالك كما هو!، بل تزيد من أعمالك الطيبة، وتزيد في الثناء

---

(١) الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٤٨٦ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

والحمد لله -سبحانه وتعالى- ما استطعت، ولله الأمر كله، والحمد لله رب العالمين.

٨٨١.يا أخي، إنك لن تدرك مكان موتك ولا موعده!، لذلك انشغل في الإعداد لهذا اليوم وتلك الساعة، ودع عنك ما دون ذلك!، اشتغل بأن تكون حياتك لله -سبحانه وتعالى-، ومماتك لله -سبحانه وتعالى-، فيكون شعارك قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ وبإذن الله تعالى لن تنال إلا خيرًا، قال تعالى في سورة النحل: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾، وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ الله قِيلًا؟!

٨٨٢.قال تعالى في سورة السجدة: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾، هذه الآية العظيمة المبشرة، فيها من التشويق للنعيم الذي لا يخطر على قلب بشر من الله -سبحانه وتعالى- لعباده الذين استحقوا مثل هذا الأجر العظيم!، وقد قال الله -سبحانه وتعالى- فيهم في سورة السجدة: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾، فهم الذين إذا ذكروا خروا سجدًا، وسبحوا، وأطاعوا، ولم يستكبروا وأنفقوا في سبيل الله -سبحانه وتعالى- في الفرائض والنوافل!، تركوا فرشهم الدافئة وقاموا في الليل المظلم متوجهين إلى الله -سبحانه وتعالى- والناس نيام!، همهم أن يتقبل الله -سبحانه وتعالى- منهم أعمالهم، راجين رحمته خائفين من عذابه -والعياذ بالله-!، فكان جزاؤهم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر!، قال السعدي -رحمه الله-: "وأما جزاؤهم، فقال: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ﴾ يدخل فيه جميع نفوس الخلق، لكونها نكرة في سياق النفي. أي: فلا يعلم أحد ﴿ مَا

أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ من الخير الكثير، والنعيم الغزير، والفرح والسرور، واللذة والحبور، كما قال تعالى على لسان رسوله: "أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر" فكما صلوا في الليل، ودعوا، وأخفوا العمل، جازاهم من جنس عملهم، فأخفى أجرهم، ولهذا قال: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(١)، فاللهم اجعلنا منهم، برحمتك يا أرحم الراحمين يا الله.

٨٨٣. فلْتعلمْ يا أخي أن الأضداد لا تجتمع معًا في قلب رجل واحد!، فلا يمكن أن يكون القلب مؤمنًا وكافرًا في ذات الوقت!، ولا يمكن أن يكون القلب على الهدى والضلال في ذات الوقت!، ولا يمكن أن يجتمع توحيد الله -سبحانه وتعالى- والشرك به في ذات الوقت!،... ونحو ذلك، فإما مؤمن وإما كافر!، إما موحد وإما مشرك!، إما على الهدى وإما على الضلال!، بينما قد تتفاوت درجة ومتانة كل مزية وصفتها في كل قلب، فالإيمان مثلًا قد يكون عظيمًا في قلب الإنسان فيكون كالصديقين، وقد يكون ذا إيمان بسيط فلا يُكاد يُرى!، والأصل في المرء أن يكافح قلبه حتى يصير أفضل في أمور دينه ودنياه، والأصل أن ينظر لقلبه فيرى مواطن قوته ونشاطه ومقداره، ومواطن ضعفه وشره ومقداره، فإن فعل ذلك، أدرك من أين تؤكل الكتف! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٨٨٤. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- أنزل الحق على نبيه، فقوله الحق، وتشريعه الحق، والحق ما جاء به، والشر ما نهى عنه!، ومما جاء به تشريعنا العظيم أن الله -سبحانه وتعالى- جعل نسب الولد لأبيه، نسبًا لا ينفك عنه، فحرم

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة السجدة | الجزء الحادي والعشرون | الآية ١٧ | الصفحة ٦٥٥ | مؤسسة الرسالة | بيروت

التبني!، والتبني هو إلحاق الرجل به طفلا مجهول النسب أو معلومه، فيُدعى الولد للمتبني بدلًا من أن يدعى باسم أبيه الحقيقي!، وهذا درب من دروب الكذب!، قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾، قال المفسرين أن هذه الآية نزلت في شأن زيد بن حارثة -رضي الله عنه-، فقد كان يُدعى قبل نزولها بزيد بن محمد، وقد تبناه الرسول ﷺ قبل الإسلام، لكن الله -سبحانه وتعالى- أحق الحق بشرعه، وأرشد عباده إلى سبيل الحق، ونسخ حكم التبني الذي كان معمولًا به في الجاهلية وأول الإسلام!، قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾، صدق الله العظيم.

٨٨٥. فلْتعلمْ يا أخي أن شرار الناس وقت الحرب هم المثبطون لأهل الإيمان والجهاد!، فتراهم فوق انهزامهم يدعون غيرهم ليكونوا مثلهم!، فلا يكفيهم جُبْنهم، بل يدعون غيرهم لذلك!، هذه الفئة تجدها تتكرر على مر العصور بأشكال مختلفة وكلمات واحدة!، فقد قال المنافقون يوم الأحزاب ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾، وفريق آخر يتهرب من الجهاد، ويتهرب من وظيفته ومسؤوليته، ويتهرب من الواجب الذي يقع على عاتقه!، وهذان الصنفان لا ترى أسرع منهم في موالاة العدو وطلب رضاه!، ولا أسرع منهم في بيع أنفسهم وأهليهم!، وكما تهرب المنافقون وضعاف النفوس يوم الأحزاب، فإن هذا الأمر تجده على مر القرون، حتى أننا نشاهد هذا بأعيننا في كل يوم!، فترى فئة صابرة أحاط بها أعداؤها من كل ناحية، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، ثم يأتيك المتخاذلين الجبناء

فيقولون: "استسلموا تعيشوا أذلاء وتنعموا!"، رامين بعرض الحائط دينهم وأعراضهم وكرامتهم -إن وجدت عندهم!-، ومع هذا فإن الله -سبحانه وتعالى- إن نصر جنده فلا غالب لهم، لذلك يا أخي، إن وجدت مثل هذه الفئة فاحذرها، وامنعها من نشر فسادها إن قدرت على ذلك، وكن ذا همة في تحفيز الأمة لجهاد عدوهم والدفاع عن دينهم وأعراضهم وأنفسهم وأموالهم، ولا ترمِ أذنك إلى دعاة الخذلان، واعمل بمقتضى الإيمان حتى يتم الله أمره، والحمد لله رب العالمين.

٨٨٦. فلْتعلمْ يا أخي **أن كل إنسان على هذه الأرض؛ له ولاء وبراء كامن في أعماقه!، لكن الناس يختلفون فيمن يستحق هذا الولاء والبراء!، فتجد بعضهم ولاءهم وبراءهم للأرض، وآخرون لفئة سياسية، وآخرون لفئة اقتصادية...إلى آخره، لكن المسلمين ولاؤهم وبراؤهم لا يستحقه إلا الله -سبحانه وتعالى-**، أي أن المسلمين يحكمون علاقاتهم وأعمالهم بقدر قرب هذه العلاقات والأعمال من الله -سبحانه وتعالى- أو البعد عنه!، **لذلك تجد القرآن الكريم يقيم العلاقات وينظمها منطلقًا من العقيدة التي ارتضاها الله -سبحانه وتعالى- لنا، بينما من كان ولاؤه وبراؤه للأرض مثلًا، سيعيب عليك أن تصافح عدو الأرض، لكنه لن يعيب عليك أن تصافح عدو الله -سبحانه وتعالى- ورسوله!، بل قد تعتبرك هذه الفئة متخلفًا فكريًا، قادمًا من العصور المظلمة!**،وهذه نقطة خطيرة، قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ﴾، انظر إلى أهمية هذه الآية الكريمة، فقد مكر المنافقين فيها، فنادوا "يا أهل يثرب" وذلك إشارة مباشرة إلى أن اشتراكهم في الأرض / الوطن هو العامل الأساسي في قلوبهم، لا أخوة الإسلام!، سبحان الله كيف يحكمون!، لذلك يا أخي، **احذر من الأفخاخ التي تجعلك تود عدوك على حساب**

أخيك!، واعلم أن أي علاقة قلبية تنظمها في قلبك **تخرج** عن أوامر الله -سبحانه وتعالى- وما ارتضاه، فهي باطلة لا تأتي إلا بالباطل وإن حسبته خيرًا!، فاللهم اجعلنا ممن ارتضى حكمك وعمل به، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ملاحظة: يقصد بالولاء والبراء، الولاء لله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ وللمؤمنين، والبراء من كل من حادّ الله ورسله، أو بعبارة أخرى، أن يكون البراء والولاء لله -سبحانه وتعالى- فيتبرأ الإنسان من كل ما تبرأ الله - سبحانه وتعالى- منه، من أشخاص أو أعمال! وأن يحب الله -سبحانه وتعالى-، ويحب أوامر الله، وأن يحب ما أحبه الله وارتضاه لعباده، وأن يحب أنبياءه وعباده المؤمنين، وأن يبغض أعداء الدين ويعاديهم ولا ينصرهم، وأن يبغض الكفر في قلوب الكافرين والمشركين، وأن يقرب إليه المؤمنين وأن ينصرهم ويشفق عليهم...، ويُرجع لأهل الاختصاص أو لكتب العقيدة للاستزادة.

٨٨٧. يا أخي، إياك أن تكون عند أمنك شجاعًا مقدامًا، تصدح بالأقوال العظيمة، ثم عند الامتحان والبلاء جبانًا ضعيفًا لا تنطق إلا بالجبن والخذلان!، ولأجل هذا يعمل العاملون قبل بلائهم وامتحانهم، فلا يكونوا شحيحين بأموالهم ولا أبدانهم ولا أعمالهم على أمر الله -سبحانه وتعالى-، ولا فيما استخلفهم عليه وملكهم إياه، فمن بذل ماله في سبيل الله -سبحانه وتعالى-، وبدنه فيما أمر الله -سبحانه وتعالى-، وجعل قلبه وعقله معلقًا بالله -سبحانه وتعالى- ورسوله، نجا بإذن الله تعالى وفاز، وأما من شح بماله وبدنه، كان من الخاسرين -والعياذ بالله-، فاللهم أسألك توفيقك ورضاك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٨٨٨. فلْتعلمْ يا أخي أن الحاكم أو القائد أو المسئول وكل من وُلي أمرًا من

أمور المسلمين؛ يجب أن يتخذ قدوة، ويجب أن يراعي مكانه كقدوة!، أما الشق الأول، فخير قدوة يتخذها المرء على مر الزمان والعصور هو خير البشر؛ سيدنا محمد ﷺ، ثم الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ومن سلك مسلكهم وسار على دربهم، هذه الأسوة الحسنة يسير لها المرء وهو يرجو رحمة الله -سبحانه وتعالى- بما يحمله الإنسان من إيمان بالله -سبحانه وتعالى- وبما أنزل، والخوف من عذابه وعقابه، وبهذا فإنه يسعى للقدوة الحسنة، فيتبع أحسن ما عند القدوة وعلى أكثر ما يقدر عليه!، وأما الشق الثاني فعلى كل من ولي أمرًا من أمور المسلمين أن يتقي الله -سبحانه وتعالى- فيهم، سواء كان حاكم أو حتى الوالدين، فالأبناء ينظرون لآبائهم، والشعب ينظر لقادته، والموظف ينظر لرئيسه...إلى آخره، فمن وفق ونجح في الأولى، كان في الثانية من باب أولى، فهو قدوة حسنة لمن ينظر إليه، داعيًا للخير بفعله قبل قوله، وبقوله قبل فعله!، وهنا لا تطالب بأن تكون ملاكًا أو نبيًا أو صديقًا!، بل يلزمك أن تؤدي ما ائتمنت عليه كما أمرك الله -سبحانه وتعالى- وبقدر استطاعتك، فالخطأ والتقصير وارد، وتصحيح ذلك ممكن، وإن للإنسان ما سعى، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٨٨٩.يا أختاه، لا تثقلي على زوجك بأمور الدنيا، ولا تثقلي عليه بما لا يطيق!، فإن الدنيا فانية، والزوج الصالح نعمة، ورزق الله -سبحانه وتعالى- آتٍ، إن لم يكن في الدنيا؛ ففي الآخرة!، ولْتعلمْي أن صلاح زوجك رزق لك، لا يعوضه المال مهما كثر، ولْتعلمْ يا أخي أن لزوجك عليك حق، فلا تكن مقترًا فتثقل عليها، ولا تكن مسرفًا فتُعيين الدنيا عليها!، وليكن كلاكما يسعى لإرضاء الله -سبحانه وتعالى-، وليكن كلاكما ينظر لشريكه بعين التقدير والاحترام، بعين السكن والمودة والرحمة، وليدفع كل واحد منكما ما استطاع من الخير لشريكه، وليكن تنافسكم لله

ورسوله، تنافس خير ورحمة لا تنافس سيطرة وسطوة!، وليعلم كل واحد منكما مكانه وما وكل إليه وما ائتمن عليه، وليتقِ كل واحد منكما ربه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٨٩٠. فلْتعلمْ يا أخي أن الغيرة من خُلق الكرام!، والغيرة نعمة تُشكر لصاحبها ما كان معتدلًا فيها، فإن تطرفت ذُم لأجلها!، والغيرة محمودة للرجال والنساء على حد سواء!، بل إن الإسلام رفع من شأن الغيرة وهذبها، فقال رسول الله ﷺ: "من قاتل دون مالِه، فقُتل فهو شهيدٌ، ومن قاتل دونَ دمِه، فهو شهيدٌ، ومن قاتل دونَ أهلِه، فهو شهيدٌ"[١]، فمن دافع عن أهله وزوجته من المعتدين فهو شهيد بإذن الله!، وقال رسول الله ﷺ: "مِنَ الغَيرةِ ما يحبُّ الله ومِنها ما يُبغِضُ اللهُ، فأمَّا الَّتي يحبُّها الله فالغيرةُ في الرِّيبةِ، وأمَّا الغيرةُ الَّتي يُبغِضُها الله فالغَيرةُ في غيرِ ريبةٍ"[٢]، فالغيرة في الريبة هي تلك التي يغار فيها الرجل إذا انتهكت حرمات الله -سبحانه وتعالى-، أو رأى من أهله وزوجه فعلًا محرمًا أو كشف عورة ونحو ذلك! وأما الغيرة من غير ريبة فهي تلك التي يغار فيها الرجل دون حق له في ذلك، كغيرة الرجل إذا تزوجت أمه رجلًا غير أبيه، أي الغيرة فيما أحله الله -سبحانه وتعالى-!، وقال عليه الصلاة والسلام: "إنَّ الله يَغارُ، وغَيْرَةُ الله أنْ يَأْتِيَ المُؤْمِنُ ما حَرَّمَ اللهُ."[٣]، ولْتعلمْ يا أخي أن الغيرة لا تعني سوء الظن!، والغيرة لا تعني أن تتبع ما ستره الله عنك، ولا تعني أن تسرف فيها

(١) الراوي: سعيد بن زيد | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح النسائي الصفحة أو الرقم: ٤١٠٥ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

(٢) الراوي: جابر بن عتيك | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح أبي داود الصفحة أو الرقم: ٢٦٥٩ | خلاصة حكم المحدث: حسن

(٣) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٥٢٢٣ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

فتضيق الحياة على زوجك!، وعلى كل منكما حفظ مشاعر الآخر، فلا يستعرض الرجل بطولات فسقه مع النساء!، ولا يذكر إعجابه بالنساء أمام زوجته ليشعل نار الغيرة في قلبها!، وعلى المرأة أن تكبح جماح غيرتها لتكون ضمن الاعتدال، وألا تتمنى المرأة رجل أمام زوجها!، فالله الله في أنفسكم وأزواجكم وأهليكم! واتقوا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٨٩١. فلْتعلمْ يا أخي أن القناعة بما قدره الله -سبحانه وتعالى- وارتضاه لعبده كنز ثمين، ونعمة عظيمة، يطمئن لها القلب، وينشرح لها الفؤاد، وتسكن بها الجوارح!، أما السخط وعدم الرضا فهي مدعاة للقلق والتوتر والاضطراب، لذلك؛ كن دومًا ساعيًا للخير داعيًا له، مجاهدًا لأن تصبح أفضل في كل يوم، وفي كل لحظة!، وارضَ بما آتاك الله -سبحانه وتعالى- وقسمه لك، وإياك والسخط!، وإياك والكسل والخذلان ثم القول بالرضا أو السخط!، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٨٩٢. قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ ﴾، هذه الآية الكريمة فيها وصايا عظيمة لنساء المسلمين، فأمهات المؤمنين هن قدوة النساء وخيرهن من زمن رسول الله ﷺ وإلى قيام الساعة، قال ابن كثير -رحمه الله-: "هذه آداب أمر الله تعالى بها نساء النبي ﷺ، ونساء الأمة تبع لهن في ذلك، فقال مخاطبًا لنساء النبي ﷺ بأنهن إذا اتقين الله كما أمرهن، فإنه لا يشبههن أحد من النساء، ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة، ثم قال: ﴿ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ ﴾، قال السدي وغيره: يعني بذلك ترقيق الكلام إذا خاطبن الرجال; ولهذا قال: ﴿ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ ﴾ أي: دغل، ﴿ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴾: قال ابن زيد: قولًا حسنًا جميلًا معروفًا في الخير، ومعنى هذا: أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم، أي: لا تخاطب

المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها"[1]، وقد التفت السعدي -رحمه الله- لمعنى مهم في هذه الآية؛ فقال: "دل قوله: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ مع أمره بحفظ الفرج وثنائه على الحافظين لفروجهم، والحافظات، ونهيه عن قربان الزنا، أنه ينبغي للعبد، إذا رأى من نفسه هذه الحالة، وأنه يهش لفعل المحرم عندما يرى أو يسمع كلام من يهواه، ويجد دواعي طمعه قد انصرفت إلى الحرام، فَلْيَعْرِفْ أن ذلك مرض. فَلْيَجْتَهِدْ في إضعاف هذا المرض وحسم الخواطر الردية، ومجاهدة نفسه على سلامتها من هذا المرض الخطر، وسؤال الله العصمة والتوفيق، وأن ذلك من حفظ الفرج المأمور به"[2]، وهذا كله فيه إرشاد مهم؛ لأمرين، أولهما؛ أن العاقل يعمل ويتحدث بالطريقة السليمة التي لا تثير الريبة ولا الشكوك، وبطريقة لا تجذب أصحاب القلوب المريضة!، وثانيهما؛ أن من وجد في قلبه مرض فعليه أن يشخصه ويعالجه ما استطاع، وألا يكتفي بالسير وراء قلبه المريض أو تركه على حاله!، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٨٩٣. فلْتعلمْي يا أختاه أن التبرج وإظهار الزينة وإبراز المحاسن للرجال؛ كلها أفعال محرمة، تُرجع المرأة للجاهلية الأولى!، بل إن من تمام رُقي النفس ونضج العقل أن تستر المرأة نفسها وتصونها وتعف عن المحرمات!، وأن ترفض أن يتعامل معها الرجال لما يبدو من زينتها بدلًا من أن يُنظر لعقلها ومنطقها!، فاللهم نسألك

---

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٤٩٦ | تفسير سورة الأحزاب | الآية ٣٢ | دار ابن حزم | بيروت

(٢) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الأحزاب | الجزء الثاني والعشرون | الآية ٣٢ | الصفحة ٦٦٤ | مؤسسة الرسالة | بيروت

العفاف والتقى، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٨٩٤. فلْتعلمْي يا أختاه أن قرار المرأة في بيتها وسكونها فيه؛ فيه خير عظيم لها ولأهل بيتها!، ولْتعلمْي يا أختاه، أن الزوجة العفيفة والمربية الصالحة امرأة عظيمة، ومثلها مثل كنز عظيم ولبنة ذهبية في لبنات هذه الأمة!، وهي على باب من أبواب الجهاد، فهي تجاهد نفسها وتحارب إعلام الفجر ونسويته في هذا الزمان، وأكثر من أي وقت مضى!، وتجاهد في بيتها لتربي أبناءها، وتجاهد في زوجها لتكون له عونًا ومؤنسًا وصاحبًا في هذه الدنيا، فنسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يجعل من كان مثلهن كالمجاهدين في سبيل الله -سبحانه وتعالى- على أرض الوغى!، اللهم آمين.

٨٩٥. فلْتعلمْ يا أخي أن مجاهدة النفس على ترك الحرام والذهاب إلى الحلال تحتاج إلى عزيمة عظيمة، وكذلك الصبر ومجاهدة النفس على نتائج هذا القرار والرضا بها يحتاج إلى **صبر وعزيمة عظيمة**!، ونتيجة ذلك حتمًا؛ فوز في الدنيا والآخرة بإذن الله -سبحانه وتعالى-، فمثلًا قد يعمل العامل في بنك ربوي، فيتركه غيرة على دينه، طلبًا للحلال وكرهًا للحرام، فيفقد من راتبه وامتيازاته ما يصعب تحصيله من منظور دينيوي، فيلزمه هنا عزيمة على ترك هذا الحرام حتى يُقدم على تركه، وعزيمة أخرى للصبر والعمل والسعي في الحلال، فيصبر ويعزم على عدم العودة للحرام!، والله -سبحانه وتعالى- بفضله وكرمه سيجعل لمن فعل مثل ذلك؛ عوض خير وثواب في الدنيا والآخرة -بإذن الله-، بل إن الله -سبحانه وتعالى- قد يكرمك بأحسن مما كنت فيه، وقد يكرمك بالبنين وقد يكرمك بصلاحهم، وقد يكرمك بصحتك أو صحة أهلك، وقد يكرمك ببركة عظيمة فيما اكتسبته من مال...إلى آخره، فهذا كله من فضل الله -سبحانه وتعالى - الذي قد يؤتى إليك لما أقدمت على فعله من ترك للحرام وأهله، وقرب للحلال وأهله، وفوق هذا كله

والأهم من كل ما سبق، رضا الله -سبحانه وتعالى- وثوابه ونعيمه، ومن الأمثلة كذلك، ترك الزنا مع سهولة الوصول إليه وتوفره، مع صعوبة الحلال -للأسف-، ومع ذلك تجد شباب المسلمين -ولله الحمد- صابرين محتسبين يسعون إلى الحلال كارهين للحرام!، وكثير ممن وقع بذلك الجرم، تابوا وأنابوا وسعوا للحلال ولم يعودوا للحرام بعدها -الحمد لله-، فقد عزموا على تركها، وصبروا على ما فقدوه من لذة في حرام، وعزموا على ألا يعودوا إلى تلك الفاحشة، بل وسعوا للحلال -الحمد لله-!، والكثير الكثير من الأمثلة!، لذلك اسعَ للحلال أينما كان، وفر من الحرام فرارك من الأسد الجائع، واسأل الله -سبحانه وتعالى- الهداية والتوفيق والعزيمة والصبر، وإلى الله -جل في علاه- الأمر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٨٩٦. فلْتعلمْ يا أخي أن أوامر الله -سبحانه وتعالى- وتوجيهاته لنا تصب في مصلحتنا نحن، هذه الأوامر والتوجيهات وإن بدا في ظاهرها حرج أو مشقة إلا أنها تكون في مقدورنا!، بل فيها تزكية النفوس وتطهيرها وتحسين أخلاقها!، لذلك علينا شكر الله -سبحانه وتعالى- عليها وحمده والثناء عليه لأن هدانا ووفقنا إليها!، فالحمد لله رب العالمين.

٨٩٧. قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾، هذه الآية العظيمة من الآيات التي تدخل الفرح والسرور على قلب كل من أسلم أمره لله -سبحانه وتعالى-، ففيها أعمال الخير العظيمة، والثواب العظيم والحمد لله، لكن هناك لفتة طيبة في هذه الآية، وهو ذكر

التذكير والتأنيث على حد السواء، وهذا فيه إشارة وتأكيد على أن الرجل والمرأة في جزاء الأعمال لا فرق ولا تفوق لأحد منهما على الآخر إلا بالتقوى!، فتتفاضل الأنثى على الذكر، ويتفاضل الذكر على الأنثى في أيهم أقرب لله سبحانه وتعالى-!، قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥﴾، فالحمد لله رب العالمين.

٨٩٨.قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ٣٦﴾، قال السعدي -رحمه الله-: "أي: لا ينبغي ولا يليق، ممن اتصف بالإيمان، إلا الإسراع في مرضاة الله ورسوله، والهرب من سخط الله ورسوله، وامتثال أمرهما، واجتناب نهيهما، فلا يليق بمؤمن ولا مؤمنة ﴿إِذَا قَضَى الله وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾ من الأمور، وحتَّما به وألزما به ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ أي: الخيار، هل يفعلونه أم لا؟ بل يعلم المؤمن والمؤمنة، أن الرسول أولى به من نفسه، فلا يجعل بعض أهواء نفسه حجابًا بينه وبين أمر الله ورسوله. ﴿وَمَنْ يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُبِينًا﴾ أي: بَيِّنًا، لأنه ترك الصراط المستقيم الموصلة إلى كرامة الله، إلى غيرها، من الطرق الموصلة للعذاب الأليم، فذكر أولاً السبب الموجب لعدم معارضته أمر الله ورسوله، وهو الإيمان، ثم ذكر المانع من ذلك، وهو التخويف بالضلال، الدال على العقوبة والنكال."[١].

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الأحزاب | الجزء الثاني والعشرون | الآية ٣٦ | الصفحة ٦٦٥ | مؤسسة الرسالة | بيروت

٨٩٩. فلْتعلمْ يا أخي أن أفعالك تسبق كلماتك، فاحرص على أفعالك كما تحرص على لسانك!، فأفعالك صورة متحركة عما تخفيه بقلبك، وما قد ينطق به لسانك، ومن أكثر ما أدخل الناس بالإسلام في عصورنا الذهبية هم تجار المسلمين بما أبدوه من أخلاق حسنة عكست صورة الإسلام!، وأول وأكثر ما ينظر له الولد ويطبقه هو ما يراه من أبويه! فاتق الله في أفعالك واحرص عليها!، فإن جمع لك حسن الأفعال والأقوال؛ نلت خيرًا عظيمًا وثوابًا جزيلًا، فاللهم نسألك أحسن الأقوال والأفعال، ولا حول ولا قوة إلا بك.

٩٠٠. قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾﴾، وقال تعالى في نفس السورة: ﴿وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٣٥﴾﴾، وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾، وقال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾، هذه الآيات الكريمة وغيرها الكثير تشير إلى عمل عظيم يغفل عنه الكثيرون مع أنه ذو ثواب عظيم وفضل كبير!، وهو ذكر الله -سبحانه وتعالى- في كل الأوقات وفي جميع الأحوال -ما لم يمنع مانع كالتبول - ما استطاع الإنسان ذلك!، فالصلاة ذكر لله -سبحانه وتعالى-، وذكر اللسان بالتسبيح والتهليل والتكبير والحمد وغيرها كلها من ذكر الله -سبحانه وتعالى-، وتفكرك في خلق الله -سبحانه وتعالى- ونعيمه والتدبر في آياته ومعجزاته كلها من ذكر الله -سبحانه وتعالى-، وكلها جعل الله -سبحانه وتعالى- فيها خيرًا عظيمًا وثوابًا جزيلًا، وروت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-: "كانَ النبيُّ ﷺ يَذْكُرُ الله علَى كُلِّ أحْيانِهِ"[1] -كل

---

(١) الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٣٧٣ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

هنا لا تفيد الكلية، بل تفيد معظم أو أكثر أحيانه-، وهذا حال خير البشر، ونحن أولى الناس باتباعه واتباع سنته!، فإن علمت هذا يا أخي؛ فاسعَ لذكر الله -سبحانه وتعالى- قائمًا وقاعدًا وعلى جنبك، ترجو رحمة ربك، وتخشى عذابه، بل إن أجمل لذة أراها لمن عُد من الذاكرين الله -سبحانه وتعالى- كثيرًا هي تلك اللذة برؤية القلب متصلًا بخالقه في كل الأحوال، ورؤية اللسان رطبًا بذكر الله -سبحانه وتعالى-، يُذكّر قلبه لسانه بالذكر فينطق به، وينطق اللسان بالذكر فيسعد القلب به، فإذا انشغل وانشغل الناس وجد نفسه ذاكرًا لله -سبحانه وتعالى- متفكرًا في خلقه شاكرًا أنعمه لاجئًا إليه...، ويا لها من نعمة عظيمة، وهذا يقودنا إلى كنز من كنوز هذا القرآن العظيم، كنز عظيم ينطلق من أهمية أن يتعلق قلب الإنسان بالله -سبحانه وتعالى- في كل أحواله، فتجد ذكر الله -سبحانه وتعالى- دومًا متوهجًا في قلب هذا الإنسان، انظر لجمال الذكر وأهميته من وصية جمعت أفضل اثنين من بني آدم، وصية نبي الله إبراهيم

-عليه الصلاة والسلام- إلى نبينا محمد ﷺ: "لَقيتُ إبراهيمَ ليلةَ أُسْريَ بي فقالَ: يا محمَّدُ، أقرئ أمَّتَكَ منِّي السَّلامَ وأخبِرْهُم أنَّ الجنَّةَ طيِّبةُ التُّربةِ عذبةُ الماءِ، وأنَّها قيعانٌ، وأنَّ غِراسَها **سُبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولا إلَهَ إلَّا اللهُ واللهُ أَكْبرُ**"(١)، تخيل أن يكون أعظم لقاء بين سادات البشر هذا بيانه؟!، إنها الآخرة وما يسوق إليها -سبحان الله-!، وانظر واسمع وأنصت لما قاله -سبحانه وتعالى- في كتابه العزيز، في أكثر من موقف وأكثر من موقع لتذكير الناس بأهمية الذكر!، ولربط القلوب بالله -سبحانه وتعالى- من خلال الحرص على هذا الذكر!، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟

---

(١) الراوي: عبدالله بن مسعود | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترمذي | الصفحة أو الرقم: ٣٤٦٢ | خلاصة حكم المحدث: حسن | التخريج: أخرجه الترمذي (٣٤٦٢) واللفظ له، والطبراني (١٠/ ٢١٤) (١٠٣٦٣)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٢/ ٢٩٢) باختلاف يسير.

نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾﴾، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٠٢﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ﴿٢٠٠﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴿٤٢﴾ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴿٢﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾﴾...إلى آخره، سبحان الله!، الآيات كثيرة جدًا حول هذا المفهوم وأهميته لكل مسلم، وقليل من المسلمين يدرك هذا المعنى وأهميته!، بل إنني لأظنها رسالة من الله -سبحانه وتعالى- لك لتربط قلبك وعقلك به في جميع مواقفك، تمعن في الآيات السابقة بعقل رشيد وستجد ذكر الله -سبحانه وتعالى- كان في الحرب والسلم، وفي الخوف والطمأنينة، وفي الرخاء والشدة، بل بعد الذنب وبعد العبادة!، بل حتى عند مجابهة أعتى طواغيت الأرض، فكان ذكر الله -سبحانه وتعالى- هو المظلة الكبرى لسيدنا موسى وهارون -عليهما

السلام-!، فبذكر الله -سبحانه وتعالى- تتقوى القلوب، وتوقن "أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ الله إِلَّا إِلَيْهِ"، وما النصر إلا من عنده!، وما الأخذ بالأسباب إلا وسيلة لتحقيق ما جعله الله -سبحانه وتعالى- من سنن كونية في هذه الدنيا!، فاللهم برحمتك اجعلنا من الذاكرين كثيرًا، في قيامهم وقعودهم وعلى جنوبهم، واجعل قلوبنا عامرة بذكرك، وألسنتنا رطبة بذكرك، اللهم آمين.[١]

٩٠١.قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٤٩﴾﴾، قال القرطبي -رحمه الله-: " النكاح حقيقة في الوطء، وتسمية العقد نكاحًا لملابسته له من حيث إنه طريق إليه. ونظيره تسميتهم الخمر إثمًا لأنه سبب في اقتراف الإثم. ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله إلا في معنى العقد، لأنه في معنى الوطء، وهو من آداب القرآن، الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشي والإتيان"[٢]، وهذا قول حسن، وفيه لفتة مهمة وهي أهمية انتقاء الكلمات والألفاظ عند الحديث أو الكتابة!، وإشارة إلى أهمية الكناية في لغتنا العربية وأثرها على المتلقي، فيصل المعنى المراد بأكثر الطرق أدبًا وجمالًا، ومما يستوقفني أيضًا في القرآن الكريم في مثل هذه الآداب قصة سيدتنا مريم -عليها السلام-، قال تعالى في سورة مريم: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ

---

(١) لقد تحدث إبراهيم السكران -رحمه الله- في كتابه الطريق إلى القرآن، وتحديدا في فصل دوي الليالي الرمضانية عن مجموعة من المعاني الطيبة والرائعة، خصوصا ما يتعلق بربط القرآن الكريم بقلب المسلم، فأنصح بقراءة ما كتبه هناك، إذا رغبت بمزيد من الاستشهادات...

(٢) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ١٧ | الصفحة ١٧٤-١٧٥ | تفسير سورة الأحزاب | الآية ٤٩ | مؤسسة الرسالة | بيروت

إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾، جمال المعنى ودقة الوصف وروعة الأدب! فسبحان الله العظيم!، كما يمكننا أن نتعلم هنا دروسًا عظيمة في طريقة التعامل مع الأطفال في مختلف أعمارهم، **فإذا علمنا أن اختيار الكلمات والعناية بالمعنى والاهتمام بالكناية أمر عظيم وأدب لا مثيل له، علمنا أننا يجب أن ننتقي لأبنائنا في أعمارهم المختلفة ومراحلهم المتغيرة ما يناسبهم من كلمات وكنايات، تجيب عن أسئلتهم وتروي شغفهم، دون زيادة مطردة ولا كلمات لا حاجة لها!، وهذا ينطبق في الكلام والتعامل مع العقول المتنوعة من مختلف المجتمعات!،** وفيها أن من أدب المرء أن يتحدث بأطيب القول وأفضله، مبتعدًا عن الفحش والبذاءة، وهذا كله من دلالات علم المرء وحسن أخلاقه، روى عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "ليسَ المؤمنُ بالطَّعَّانِ ولا اللَّعَّانِ ولا الفاحشِ ولا البَذيءِ"[(١)]، فاللهم نسألك علمًا نافعًا، وخلقًا حسنًا، ورحمة من عندك تغنينا بها عمن سواك، اللهم آمين.

ملاحظة: هذه الآية حوت في ثناياها الكثير من الأحكام الشرعية والفقهية، والتي ذكرها المفسرون ولم نذكرها ها هنا، لذلك يمكنك الاطلاع على جمال المعاني والأحكام الفقهية في هذه الآية الكريمة، وتمام عناية الله -سبحانه وتعالى- في أدق التفاصيل وحرصه على إكرام المرأة مراعيًا قدرة الرجل ومنظمًا للعلاقة فيما بينهم في جميع أحوالهم! سبحانه ما أعظمه وما أعلمه! سبحان الله وبحمده،

---

(١) الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترمذي الصفحة أو الرقم: ١٩٧٧ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

سبحان الله العظيم!

٩٠٢. فلْتعلمْ يا أخي أن من تمام رحمة الله -سبحانه وتعالى- بعباده أن جعل حسابهم على العدل على ما قدروا عليه وغفر لهم ما لم يقدروا عليه، وذلك مثل العدل بين الزوجات، فالرجل ملزم بالعدل بينهن، لكن غُفر لهذا الرجل ما كان في قلبه من ميل لواحدة على الأخرى!، على ألا يظهر هذا الميل على الجوارح فيظلم إحداهما على الأخرى كأن يمنع حق الأولى يومها وليلتها!، فسبحان العدل!

٩٠٣. فلْتعلمْ يا أخي أن الرجل مهما بلغ من الإيمان والصلاح فعليه ألا يختلي بامرأة أجنبية مهما بلغت من الإيمان والصلاح! فذلك أدعى للطهر وأنقى من الريبة وأطهر للقلب وأحصن للفرج!، وهذا يقودنا إلى نقطة مهمة وخطيرة، وهي دخول الشيطان من أبواب متعددة ليجعل أهل الخير من شباب هذه الأمة يقعون في الحرام!، ومن هذه الأبواب "الأعمال الخيرية"!، فهذه الأعمال من اسمها خيرية، لكن وجد في زماننا هذا؛ باب يدخل منه الشيطان بكثرة لقلوب شبابنا، وهو الاختلاط الذي أودى بكثير من الشباب والشابات -ممن نحسبهم على خير- إلى منحنى الحرام أو طرقه -والعياذ بالله-، **ومع حسن مقاصدهم في أول الأمر، إلا أن النزعة البشرية في الميل إلى الجنس الآخر توجد وتزداد، ومع مرور الزمن تكسر الحواجز التي بينهم، ومع وجود شياطين الجن والإنس الذين لا يكلون ولا يملون؛ تغيرت المقاصد وتبلدت أو على أقل تقدير؛ تشوهت!** لذلك برز علماؤنا -جزاهم الله كل خير- في التحذير من هذا الخطر، وتحدثوا عن مجموعة من الضوابط والنصائح لحماية شبابنا واستثمار طاقاتهم، ومنها الحرص على القيام بالأعمال الخيرية دون اختلاط، فإن كان ولا بد -لوجود مانع أو سبب- فالحرص أشد الحرص على ضبط طرق التواصل وكيفيتها -بالفعل والقول-، ومن اللفتات الجميلة التي تطرق لها علماؤنا

-جزاهم الله كل خير- هي التحذير من خطورة التواصل المباشر بين الرجل والأنثى من خلال وسائل التواصل المنتشرة حاليا، والتحذير من استخدام "الوجوه والرسوم المعبرة" بين الجنسين -مثل قلب الحب-، والتحذير من خطر الخلوة في المحادثات النصية والمرئية، والتحذير من التواصل في الأوقات التي يتستر فيها الإنسان عن الناس ونحو ذلك، فالناظر لهذا الكلام الطيب يعلم يقينًا أهميته وأهمية الحاجة إليه، في زمن كثرت فيه الفتن، وانتشر في الخبث، وصعب فيه الحلال، وسهل فيه الحرام!، حتى أصبح الواحد فينا يجاهد نفسه أيما مجاهدة حتى يمتنع عن الحرام -والعياذ بالله-، ولولا توفيق الله -سبحانه وتعالى- وهدايته لنا، لكنا من الضالين، لكن فضل الله -جل في علاه- على أمة الإسلام -خصوصًا-، وخلقه عمومًا، عظيم لا يدرك منتهاه، لذلك يا أخي، تذكر دومًا الآداب التي أخبرنا بها رب العزة -جل في علاه-، ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القصص]"، وقوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ [الأحزاب]"، وروى أسامة بن زيد -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ: "مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ"، وروى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ-: "كُتِبَ علَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا، مُدْرِكٌ ذلكَ لا مَحالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِناهُما النَّظَرُ، وَالأُذُنانِ زِناهُما الاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الكَلَامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا البَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذلكَ الفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ"، وقد أشار الجوزي -رحمه الله- إلى ذلك فقال: **"ومن التفريط القبيح الذي جر أصعب الجنايات على النفس: محادثةُ النساء الأجانب، والخلوة بهن، وقد كانت عادةً لجماعة من العرب، يَرَون أنَّ ذلك**

ليس بعار، ويثقون من أنفسهم بالامتناع من الزنا، ويقنعون بالنظر والمحادثة، وتلك الأشياء تعمل في الباطن وهم في غفلة عن ذلك، إلى أن هلكوا، وهذا هو الذي جنى على مجنون ليلى وغيره، ما أخرجهم به إلى الجنون والهلاك، وكان غلطهم من وجهين: أحدهما: مخالفة الشرع الذي نهى عن النظر والخلوة. والثاني: تعريض الطبع لما قد جُبل على الميل إليه، ثم معاناة كفه عن ذلك، فالطبع يغلب، فإن غَلب وقعت المعاصي، وإن غُلب حصل التلف بمنع العطشان عن تناول الماء"[١]، والحديث هنا يطول، والآيات والأحاديث كثيرة والحمد لله، وسيرة المصطفى ﷺ فيها من المواقف والآثار ما يغني النفس عن غيرها، فاحرص يا أخي أشد الحرص على ضوابط الاختلاط وطرق التواصل، ودع شرع الله -سبحانه وتعالى- أمام ناظريك، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

ملاحظة: إن الحديث مع النساء الأجنبيات يقسم إلى جزئين، الأول حديث لحاجة، وحديث لغير حاجة، وشدد العلماء في الحديث مع الشابة دون غيرها لوقع ذلك في النفوس، والأصل في الحديث مع النساء الأجنبيات لحاجة الجواز، ولكن يجب مراعاة الآداب المتعلقة بذلك، ومنها الاقتصار على قدر الحاجة من الحديث، مما يتعلق بالشأن المهم المقصود، من غير توسع ولا تشعب في أطراف المواضيع، وتجنب النكات والمزح والضحك، وانتقاء الكلمات النقية التي لا تدع مجالًا للريبة، وألا يكون في الكلام خضوع في القول، والحرص على غض البصر والحرز من الخلوة...إلى آخره، ويرجع للكتب الفقهية والفقهاء للاستزادة حول تفصيلات الحكم الشرعي لهذا الباب، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) كتاب ذم الهوى | ابن الجوزي | الباب التاسع والأربعون في ذكر أدوية العشق | الصفحة ٤٩٨ | الطبعة الأولى | دار الكتاب العربي | بيروت

٩٠٤.فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- ما ترك أمرًا وفيه صلاح لنا وخير لنا إلا وأرشدنا إليه -والحمد لله-، ومن هذا أن الله -سبحانه وتعالى- أرشدنا إلى العديد من الآداب التي إن اتبعها الناس حسنت معيشتهم وسكنت قلوبهم، ومن ذلك الاستئذان، فلا يدخل قوم على قوم دون استئذان، ولا يباغتونهم دون موعد، ولا يتربصون موعد الطعام والشراب فيأتون حينه، ولا قبله منتظرين الطعام بعد انقضاء حاجتهم!، ولا يتحرجون ولا يثقل في قلوبهم إن لم يؤذن لهم بالدخول! أو لم يؤذن لهم في المكوث لوقت الطعام!، ومن الآداب التي وهبت لصاحب الدار أن يمنع من يشاء عن بيته!، وألا يسمح بدخول أحدهم إلا بعد إذنه أو في وقت حدده وسمح به!، ومن حقه إن أطال قوم المكوث أن يخرجهم، ومع أن أدب الكرام قد يمنع ذلك، لكن الحق أقوى، فلا حاجة لتعطيل ما كنت عازم عليه لوجود بعض الثقلاء!، ومن الآداب ألا ينظر القوم إلى عورات البيوت وأن يحفظوا ستر البيت وما كشف لهم فيه!، ومع أن هذه الآداب مما تطيب به النفوس إلا أن كثير من الناس يتحرج منها -الضيف والمضيف- أو يغضب لأجلها ويصيبه الحزن والهم لذلك!، مع أن هذه الآداب إن غرست بالنفوس كان ذلك أقرب للألفة بين القلوب!، وأحسن لمصالح الناس ومعايشها!، وبكل تأكيد، هذه الآداب لا تعني الإساءة، بل تعني أن يتأدب كل فريق لينسجموا مع هذا الأدب! والحمد لله رب العالمين، قد وفقني الله -سبحانه وتعالى- لتنفيذ هذه الآداب من زمن، ولم أكن أبالي بالنتائج، إلا أنني اكتشفت بعدها أن من أتعامل معهم من الناس كانوا مرتاحين معي في ضيافتي وكذلك في ضيافتهم لي، فلا خجل ولا تكلف! وما يجري على اللسان موافقًا للقلب خير مما يجري في القلب ولا يوافقه اللسان!، فسبحان من أدب القلوب وآلانها!، ومن الآيات الجميلة في هذه المعاني قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا

تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾، ومن اللطائف التي ذكرها القرطبي -رحمه الله-: "قال إسماعيل بن أبي حكيم: وهذا أدب أدب الله به الثقلاء. وقال ابن أبي عائشة في كتاب الثعلبي: حسبك من الثقلاء أن الشرع لم يحتملهم"(١)، وقال البغوي -رحمه الله-: "وروي عن ابن عباس أنها نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله ﷺ فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك ثم يأكلون ولا يخرجون، وكان رسول الله ﷺ يتأذى بهم فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ﴾ يقول: إلا أن تدعوا ﴿إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ فيؤذن لكم فتأكلونه ﴿غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ غير منتظرين إدراكه ووقت نضجه، يقال: أنى الحميم: إذا انتهى حره، وإنى أن يفعل ذلك: إذا حان، إنى بكسر الهمزة مقصورة، فإذا فتحتها مددت فقلت الإناء، وفيه لغتان إنى يأنى، وآن يئين، مثل: حان يحين. ﴿وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ﴾ أكلتم الطعام ﴿فَٱنتَشِرُواْ﴾ تفرقوا واخرجوا من منزله ﴿وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ ولا طالبين الأنس للحديث، وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون طويلًا فنهوا عن ذلك. ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ أي: لا يترك تأديبكم وبيان الحق حياء."(٢)،

---

(١) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ١٧ | الصفحة ٢٠٣ | تفسير سورة الأحزاب | الآية ٥٣ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) كتاب معالم التنزيل (تفسير البغوي) | أبي محمد البغوي | المجلد السادس | تفسير سورة الأحزاب | الصفحة ٣٧٠ | الآية ٥٣ | دار طيبة | الرياض

فاللهم نسألك حسن الخُلق!

٩٠٥. قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦ ﴾، هذه الآية العظيمة تغني عن أي قول وأي وصف، لجمالها وكمال رفعتها وعلوها وعظم قدرها!، قال السعدي -رحمه الله-: "وهذا فيه تنبيه على كمال رسول الله ﷺ، ورفعة درجته، وعلو منزلته عند الله وعند خلقه، ورفع ذكره. و﴿إِنَّ اللهَ﴾ تعالى ﴿وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ﴾ عليه، **أي: يثني الله عليه بين الملائكة، وفي الملأ الأعلى، لمحبته تعالى له، وتثني عليه الملائكة المقربون**، ويدعون له ويتضرعون. ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ اقتداء باللّه وملائكته، وجزاء له على بعض حقوقه عليكم، وتكميلًا لإيمانكم، وتعظيمًا له ﷺ، ومحبة وإكرامًا، وزيادة في حسناتكم، وتكفيرًا من سيئاتكم وأفضل هيئات الصلاة عليه عليه الصلاة والسلام، ما علّم به أصحابه: اللّهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد"(١)، وروى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ: **"مَن صَلَّى عَلَيَّ واحِدَةً صَلَّى الله عليه عَشْرًا."**(٢)، وروى عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ: " إذا سَمِعْتُمُ المُؤَذِّنَ، فَقُولوا مِثْلَ ما يقولُ **ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فإنَّه مَن صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى الله عليه بها عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا الله لِيَ**

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الأحزاب | الجزء الثاني والعشرون | الآية ٥٦ | الصفحة ٦٧١ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٤٠٨ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

الوَسِيلَةَ، فإنَّها مَنْزِلَةٌ في الجَنَّةِ، لا تَنْبَغِي إلَّا لِعَبْدٍ مِن عِبادِ اللهِ، وأَرْجُو أنْ أكُونَ أنا هُوَ، فمَن سَأَلَ لي الوَسِيلَةَ حَلَّتْ له الشَّفاعَةُ."[١]، لذلك يا أخي، إذا سمعت اسم الحبيب المصطفى ﷺ يذكر أمامك فلا تبخل بالصلاة عليه، وقل "اللّهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد"، فاللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ونبيك محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم.

٩٠٦. يا أخي، لا تؤذِ الناس ولا الحيوان بأفعالك أو أقوالك القبيحة، والأذى يكون بما وقع منك على غيرك من القبح سواء بالفعل أو القول وبغير وجه حق!، ومن الأذى القبيح الخوض في أعراض الناس وانتقاصهم والاستهزاء بأعمالهم أو حسبهم ونسبهم أو لونهم أو بطولهم أو قصرهم أو بضعفهم أو مرضهم أو برمي القمامة في غير محلها أو إزعاجهم بالأصوات المنكرة وانتهاك خصوصيتهم ونحو ذلك!، ومن أذية الحيوان تجويعه وضربه وقتله لغير حاجة!، ولا يعد تعزير من يؤذي الناس بفعله أو لسانه من الأذى، بل هو تقويم وتأديب! فاللهم نعوذ بك أن نأذي أو نؤذى!

٩٠٧. يا أخي إياك أن تظن أن تقليد ملوك وأمراء ومشاهير الكفر والشرك والفسوق سينجيك من عذاب الله -سبحانه وتعالى-!، أو أن ذلك سيكون لك حجة لتنجو من العذاب!، بل هي حجة عليك لا لك، ألم يكن لديك عقل لتعقل؟!، وإرادة حرة لتفكر؟!، فكيف تتبع من ساقك للكفر والفسوق سوقًا ثم تلقي باللوم على غيرك؟!، كيف تكون ظالمًا تُعين ظالمًا ثم تقول: النجاة النجاة؟!، وما من سبيل إلى

---

(١) الراوي: عبد الله بن عمرو | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٣٨٤ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

ذلك إلا بتوبة صادقة قبل ظهور ما يمنعها!، وهذا يقودنا لجزئية أخرى مهمة، فإن كان من طبائع النفوس -كسلًا أو جهلًا- التأثر بالقدوات أو الحكام أو أهل الجاه والسلطان، فإن ذلك يُضفي مسئولية إضافية أخرى على هؤلاء الحكام والقدوات، لأن كثيرًا من الناس يقلدونهم، بل إن كثيرًا من الناس قد ينظر لأفعال هؤلاء القادة والقدوات ثم يتخذونها سبيلًا من دون تمحيص أو تحقيق!، **لذلك كانت رسائل القادة إلى شعوبهم بأفعالهم أبلغ من كلماتهم!، فتجد القادة الصالحون قدوات بأفعالهم التي تلامس القلوب قبل كلماتهم التي تلامس العقول، بينما يستغل قادة الضلال هذه القاعدة أيضًا لتقرير بعض أفكارهم أو تشريعاتهم الباطلة!**، وهذا يذكرني بموقف حصل وليس ببعيد، وهو موقف الطاهر بن عاشور -رحمه الله- حين قال: "صدق الله وكذب بورقيبة"، في تصدي مهيب لما أراد نشره بورقيبة من دعوى للإفطار في رمضان بحجة زيادة الإنتاجية!، سبحان الله!، قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ ﴾، فإن كنت قائد أو قدوة أو في مكان يُنظر إليك فيه، أو كنت مقلدًا لهؤلاء، فاحرص على الخير واتباع الحق!، واحذر من أن يعمى قلبك وأن يصم عقلك!، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم نسألك الهداية من عندك، ونعوذ بك من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا!

٩٠٨. قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ ﴾، قال السعدي -رحمه الله-: "يأمر تعالى المؤمنين بتقواه، في جميع أحوالهم، في السر والعلانية، ويخص منها، ويندب للقول السديد، وهو القول الموافق للصواب، أو المقارب له، عند تعذر اليقين، من قراءة، وذكر، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وتعلم علم وتعليمه، والحرص على إصابة الصواب، في المسائل العلمية، وسلوك كل طريق يوصل لذلك، وكل وسيلة تعين عليه. ومن القول السديد،

لين الكلام ولطفه، في مخاطبة الأنام، والقول المتضمن للنصح والإشارة، بما هو الأصلح."[١]، فإن فعلت هذا فإن الله -سبحانه وتعالى- أجزل الثواب لعبيده فقال بعدها: ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾، ففيها يصلح الله -سبحانه وتعالى- الأعمال ويغفر الذنوب، والفوز العظيم لمن أطاع الله ورسوله، فاللهم اجعلنا من المتقين الذين يقولون قولًا سديدًا! اللهم آمين.

٩٠٩. فلْتعلمْ يا أخي أن النصر له أركان وسنن لا يقوم من غيرها، ولْتعلمْ أن النصر لا يأتي بالأماني ولا يأتي على بساط من ذهب وحرير!، ولْتعلمْ أن أهل الحق عادة ما يكونون أقلية في العدد والعدة في مقابل عدد وعدة أعدائهم!، ولْتعلمْ أن الحق إن قاتل أو قوتل اجتمع عليه أهل الباطل وأهل النفاق، فحاربوه من داخلهم وخارجهم!، لكن الله -سبحانه وتعالى- يعز من يشاء، ويذل من يشاء!، ولْتعلمْ أن النصر عادة لا يأتي من جولة أو معركة واحدة، بل هي سلسلة من المعارك والجولات حتى يُحسم الأمر ويعود الحق لأصحابه، لذلك، فإن على أصحاب الحق أن يعملوا جاهدين بكل ما أوتو من السبل ليحافظوا على انتصاراتهم، فلا يتوقفون عن اللجوء إلى الله -سبحانه وتعالى-، وسؤاله التوفيق والصبر والثبات، ولا يرخون دفاعاتهم، ولا يدعون أمرًا فيه صلاح وخير إلا وفعلوه، وما رأوا أمرًا فيه شر وإفساد إلا منعوه، ولْتعلمْ أن جولة النصر قد يلحقها حصار شديد، وآلام عظيمة، وهنا يخضع أهل الحق إلى أكبر امتحان، امتحان يزلزل القلوب ويقتلعها من محلها، فإن نجح أهل

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الأحزاب | الجزء الثاني والعشرون | الآية ٧٠ | الصفحة ٦٧٣ | مؤسسة الرسالة | بيروت

الحق في هذا الامتحان كان ما بعده أيسر وأسهل، بل كان ما بعده من النصر حقيقة، ما لم يدع أهل الحق إيمانهم وعزمهم -إن شاء الله تعالى لهم النصر-!، ومن أعظم القصص التي نتعلم منها كيف للنصر أن يتم، وكيف للحق أن يظهر، وكيف للفئة القليلة أن تغلب فئة كثير بإذن الله، وكيف يؤيد الله -سبحانه وتعالى- عباده بالنصر ولو بدون قتال، قصة الأحزاب!، فهي قصة عظيمة فيها من الخير ما فيها، قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ۝١١﴾، جمال هذه الآيات وعظم بيانها يشعرك وكأنك في ذات الخندق!، فسبحان ربي ما أعظم بيانه، وما أعظم إيمان من كان هناك من المؤمنين!، فهذه الآيات فيها النصر والتوفيق من عند الله -سبحانه وتعالى-، وفيها تكالب أهل الكفر والنفاق على المؤمنين، وفيها الرهبة العظيمة، وفيها أن الأمر كلما اقترب من الفرج اشتد حتى يتسع!، وفيها من شدة الوقع والأثر في قلوب الناس ما فيها، وفيها عظم الثواب مع عظم البلاء!، وفيها خير البشر ﷺ وهو يشاور أصحابه!، وفيها توحد المسلمين وإخائهم، وفيها بروز الغدر لأهل الكفر والنفاق، وفيها الأخذ بالأسباب والإعداد للجهاد قبل وقوعه، وفيها الصبر والثبات عند وقوع الشدائد مهما بلغ ذلك، وفيها اتباع أوامر القائد والحرص على ذلك، وفيها اشتراك القائد والأفراد بالعمل وكل يبذل جهده ووسعه، وفيها تتجلى معاني الشجاعة والفتوة، وفيها **أن الحق قد يبدأ ضعيفًا في مواجهة أهل الكفر والنفاق، لكن لا يلبث أن يقوى فيرهبهم ويشتت شملهم، وهناك دومًا جولات فاصلة، وأعظمها هي تلك الجولة التي تقلب حال أهل الحق من الدفاع إلى الهجوم، ومن الانتظار للمبادرة!**،

والكثير الكثير مما لا يسع ذكره في بضع كلمات، لكننا نقول، الحمد لله الذي نصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، الحمد لله الذي أيد بنصره عباده المؤمنين، الحمد لله الذي ابتلى الناس بعضهم ببعض حتى يتوبوا ويرجعوا إلى أمر الله -سبحانه وتعالى-، فاللهم نسألك برحمتك نصرًا عزيزًا من عندك، وهداية لقلوب عبادك، ونصرًا يقلب الحال إلى أفضل حال، اللهم آمين.

٩١٠. فلْتعلمْ يا أخي أن تعلم الصنعة مزية للإنسان، فبها يعمل ويكسب رزقه، وبها ينجز ما يحتاجه لبيته وأهله، فإذا أضيف إلى هذه الحرفة علم وفضل زيد خيرًا على خير!، قال تعالى في سورة سبأ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾، وقال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾، هذه الآيات الكريمة تذكر فضلًا من الله -سبحانه وتعالى- وهبه لنبيه داود -عليه السلام-، فعلمه صنعة يغتني بها وينتفع الناس منها!، قال القرطبي -رحمه الله-: "في هذه الآية دليل على تعلم أهل الفضل الصنائع، **وأن التحرف بها لا ينقص من مناصبهم، بل ذلك زيادة في فضلهم وفضائلهم**؛ إذ يحصل لهم التواضع في أنفسهم والاستغناء عن غيرهم، وكسب الحلال الخليّ عن الامتنان. وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: (إن خير ما أكل المرء من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده)"[(١)]، وقال رحمه الله: "**هذه الآية أصل في اتخاذ الصنائع والأسباب، وهو قول أهل العقول والألباب، لا قول الجهلة الأغبياء القائلين بأن ذلك إنما شرع للضعفاء**، فالسبب سنة الله في خلقه فمن طعن في ذلك فقد طعن في الكتاب والسنة، ونسب من ذكرنا إلى الضعف وعدم المنة.

---

(١) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ١٧ | الصفحة ٢٦٣ | تفسير سورة سبأ | الآية ١٠ | مؤسسة الرسالة | بيروت

وقد أخبر الله تعالى عن نبيه داود - عليه السلام - أنه كان يصنع الدروع، وكان أيضا يصنع الخوص، وكان يأكل من عمل يده، وكان آدم حراثًا، ونوح نجارًا، ولقمان خياطًا، وطالوت دباغًا. وقيل: سقاء؛ فالصنعة يكف بها الإنسان نفسه عن الناس، ويدفع بها عن نفسه الضرر والبأس. وفي الحديث: إن الله يحب المؤمن المحترف الضعيف المتعفف ويبغض السائل الملحف"[١]، وقال تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾، فإن علمت هذا فاسعَ لأن تكون فاضلًا عالمًا صانعًا متقربًا إلى الله -سبحانه وتعالى- بها، تفز وتغنَ بنعيم الدنيا والآخرة بإذنه، فالحمد لله.

٩١١. فلْتعلمْ يا أخي أن التجرد من هوى النفس وما يدعمها طريق مهم للوصول إلى الحق في أعلى صوره!، فلا يَطلب الإنصاف إلا من تجرد من هوى نفسه ورغباته ثم نظر بعين الفاحص الباحث عن الحق حتى يجده!، ثم لا يدخر أي جهد في تحصيله!

٩١٢. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- بعث نبيه محمد ﷺ للناس كافة!، قال تعالى في سورة سبأ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾، ولأن رسولنا الكريم ﷺ آخر الرسل، اقتضت حكمة الله -سبحانه وتعالى- أن يكون نبيه -عليه الصلاة والسلام- للناس كافة ودون استثناء!، وهذا يعني أن العربي والأعجمي كلاهما سواء في الإسلام، وميزان التمايز بينهما هو التقوى والتي لا يعلم قدرها إلا الله -سبحانه وتعالى-، فمن

(١) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ١٤ | الصفحة ٢٥٤ | تفسير سورة الأنبياء | الآية ٨٠ | مؤسسة الرسالة | بيروت

كان لله -سبحانه وتعالى- أطوع، كان أقرب له -بإذن الله-!، وهذا يعني أن القرآن الكريم هو كتاب جامع، أحكامه عظيمة شاملة؛ يمكن لجميع الناس أن يندرجوا تحت لوائها، كما يمكنهم فهمها وتلاوتها والعمل بمقتضاها، كما أن هذه الآية جعلت المسلمون إخوة في مشارق الأرض ومغربها، كلهم على قلب رجل واحد، إن وقع على أحدهم ظلم أو قهر أو مرض تداعى لنصرته جميع إخوته فلا يكلوا حتى يردوا مظلمته وحتى يسندوا جانبه، فإن لم يقدروا لم ينسوا إخوانهم بالدعاء والعمل ما أمكن على نصرتهم!، روى جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أحَدٌ مِنَ الأنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وجُعِلَتْ لي الأرْضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا، وأَيُّما رَجُلٍ مِن أُمَّتي أدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وأُحِلَّتْ لي الغَنَائِمُ، **وكانَ النبيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وبُعِثْتُ إلى النَّاسِ كَافَّةً**، وأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ."[١]، فالحمد لله رب العالمين على نعمه العظيمة، وهدايته الجليلة، الحمد لله.

٩١٣. فلْتعلمْ يا أخي أن الاعتراف بالخطأ فضيلة عظيمة، تحتاج إلى جرأة جسيمة، وعمل دؤوب حتى تزرع في القلب بذور الشجاعة، والندم بعد الخطأ أول محطة تفصل بين الإقدام وبين الخذلان!، ثم بعد الندم إما اعتراف وإقدام لإصلاح ما أفسد، وإما خذلان ومكابرة أو مجاهرة!، وكل العجب لمن يسر الندامة ويصر على الخذلان بعد أن يرى انحطاطه وكشف أوراقه!، بل إن هناك من الأشخاص من يسرون الندامة ويحاولون إظهار أنهم على شيء، وأنهم ليسوا بنادمين، بل هم فخورون بما فعلوا من قبائح أو جرائم، أو على أقل تقدير ليسوا نادمين على قرار

---

(١) الراوي: جابر بن عبد الله | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٤٣٨ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

اتخذوه حتى ولو كان خاطئًا!، فإن كنت تعجب من هذا فإن هذا لا شيء أمام أهل الكفر الذين سيسرون الندامة عندما يرون العذاب!، تخيل، أن أهل الكفر في بعض مواقفهم يوم الحساب سيسرون الندامة تارة وسيظرهونها تارة أخرى!، أو أشد من هذا عجبًا!، قال تعالى في سورة سبأ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٣٣﴾، قال السعدي -رحمه الله-: "بل الذي دهانا منكم، ووصل إلينا من إضلالكم، ما دبرتموه من المكر، في الليل والنهار، إذ تُحَسِّنون لنا الكفر، وتدعوننا إليه، وتقولون: إنه الحق، وتقدحون في الحق وتهجنونه، وتزعمون أنه الباطل، فما زال مكركم بنا، وكيدكم إيانا، حتى أغويتمونا وفتنتمونا، فلم تفد تلك المراجعة بينهم شيئًا إلا تبري بعضهم من بعض، والندامة العظيمة، ولهذا قال: ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ أي: زال عنهم ذلك الاحتجاج الذي احتج به بعضهم على بعض لينجو من العذاب، وعلم أنه ظالم مستحق له، فندم كل منهم غاية الندم، وتمنى أن لو كان على الحق، وأنه ترك الباطل الذي أوصله إلى هذا العذاب، سرًا في أنفسهم، لخوفهم من الفضيحة في إقرارهم على أنفسهم. وفي بعض مواقف القيامة، وعند دخولهم النار، يظهرون ذلك الندم جهرا."(١)، وقال القرطبي -رحمه الله-: "وأسروا الندامة لما رأوا العذاب أي تبينت الندامة في أسرار وجوههم. قيل: الندامة لا تظهر، وإنما تكون في القلب، وإنما يظهر ما يتولد عنها، حسبما تقدم بيانه في سورة (يونس، وآل

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة سبأ | الجزء الثاني والعشرون | الآية ٣٣ | الصفحة ٦٨١ | مؤسسة الرسالة | بيروت

عمران). وقيل: إظهارهم الندامة قولهم: فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين. وقيل: أسروا الندامة فيما بينهم ولم يجهروا القول بها; كما قال: وأسروا النجوى"[١]، فتخيل هذا الموقف -والعياذ بالله-؟!، ومن العجائب اللغوية في هذه الآية الكريمة أن أَسَرُّوا النَّدَامَةَ هنا قد تأتي بمعنى "أظهروا الندامة"، أي من الأضداد، فإن كان هذا المعنى رأينا أن ما يخفيه الإنسان وما استكبر عليه في الدنيا سيقع له الندم على ذلك وسيظهر هذا الندم على وجوههم وستنطق به ألسنتهم وسيلقي بعضهم على بعض باللوم!، فلم يعد هناك مكان لاستكبارهم!، لذلك يا أخي إن أخطأت، فاعترف بخطئك -سرًا أو جهرًا بحسب ما تقتضيه الحكمة- وأصلح ذلك، ولا تكن مثل أهل الباطل عندما يروا العذاب -والعياذ بالله-!، فاللهم نعوذ بك أن نكون من أهل الباطل والضلال!، ولا حول ولا قوة إلا بك.

٩١٤. فلْتعلمْ يا أخي أن وفرة النعيم والخيرات أو شدة البلاء والصعوبات؛ لوحدها، ليست دليلًا على شيء مما يتبادر إلى أذهان الناس!، فإن الله -سبحانه وتعالى- يبسط الرزق ويقدر لمن يشاء وكيفما شاء!، لذلك لا تفرح فرح المغرور، ولا تحزن حزن السقيم؛ بما تراه قد أصابك من نعيم أو بلاء!، فإنما هي اختبار من اختبارات هذه الحياة، وإنما عليك الصبر وعليك تأدية الحق الذي اؤتمنت عليه!، فإن ترافق النعيم مع مبشرات خير ودلالات صالحة كانت فرحتان، وإن ترادف البلاء مع مبشرات صبر وإرشاد كانت فرحتين، فاللهم نسألك برحمتك بما أنعمت علينا من نعيم أو بلاء، أن تجعلنا أقرب إليك منقادين لك، والأمر كله إليك، ولا حول ولا

---

(١) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ١٧ | الصفحة ٣١٩-٣٢٠ | تفسير سورة سبأ | الآية ٣٣ | مؤسسة الرسالة | بيروت

قوة إلا بك.

٩١٥. قال تعالى في سورة سبأ: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾، هذه الآية الكريمة أشارت إلى معاني مهمة، فهي تخبرك بأن الله -سبحانه وتعالى- هو باسط الرزق لا أحد سواه!، وهو يقدر الرزق لا أحد سواه!، فإن علمت هذا لم تجزع لفقر أو غنى!، بل إن الله -سبحانه وتعالى- يخبرك أنك إن أنفقت في سبل الخير التي أوردها الشارع؛ فإن الله -سبحانه وتعالى- سيخلفه لك -بإذنه-، فيخلف لك في مالك خيرًا من الذي أنفقت؛ في الدنيا والآخرة!، وهو سبحانه خير الرازقين، فكرمه وعطاؤه لا حدود له!، فإذا طلبت الرزق فاطلبه من الله -سبحانه وتعالى-، وتأكد أن ما رُزقت به هو ما كان خيرًا لك!، فحكمة الله -سبحانه وتعالى- اقتضت هذا، فسبحان الحكيم العليم!، ونستأنس هنا بما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "ما مِن يَومٍ يُصْبِحُ العِبادُ فيه إلَّا مَلَكانِ يَنْزِلانِ، فيَقولُ أحَدُهُما: **اللَّهُمَّ، أعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا**، ويقولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ، أعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا."[(١)]، لذلك يا أخي، إياك أن تتوهم أن الزكاة والصدقات والإنفاق في سبل الخير مما ينقص الرزق -والعياذ بالله-!، بل هي وسيلة لأن يخلف الله -سبحانه وتعالى- لك خيرًا منها، في الدنيا والآخرة!، فقط وجه قلبك بصدق إلى الله -سبحانه وتعالى-، واجعل أعمالك خالصة له، كما أن هذه الآية الكريمة تشعرك بالطمأنينة والفرح بنعم الله -سبحانه وتعالى- عليك في الدنيا!، فإن الله -سبحانه وتعالى- يسر لك الرزق في الدنيا، فإن آتيت هذا الرزق حقه نعمت به في الدنيا والآخرة، واستخلفت خيرًا منه في الدنيا

---

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ١٤٤٢ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

والآخرة!، فالدنيا دار اختبار، وهي الطريق الموصل إلى الآخرة، وفيها نعبد الله -سبحانه وتعالى-، وفيها نرجو لقاءه ورحمته ومغفرته ونخشى عذابه!، قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾، بل إن كثير من الصالحين والأتقياء أتت لهم الدنيا وحصلت لهم أعلى الدرجات في الآخرة!، فهذا سيدنا سليمان -عليه السلام- أوتي ما لم يؤتَ لأحد غيره!، وهذا عثمان بن عفان -رضي الله عنه- وعبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه- من أثرياء الصحابة، بل وهم من العشرة المبشرين بالجنة!، لكن ما اشترك فيه هؤلاء الصالحين والأتقياء ومن سار على دربهم -رضوان الله عليهم جميعًا- هو أنهم استخدموا ما أنعم الله -سبحانه وتعالى- عليهم به في مرضاته وكانوا شاكرين لأنعمه!، وهذا كله فيه حث على الإنفاق وشكر نعم الله -سبحانه وتعالى-، والعمل على مرضاته فيما وهبك إياه، وهنا ننوه إلى نقطة ذكرها بعض المفسرين عن بعض التابعين، وهي أن هذا الإنفاق يكون بلا إسراف ولا تقتير!، وهو قول طيب وفيه نظر، فمن علم حاله وأدرك ما اعتاد عليه من الرزق، أدرك أنه ينبغي عليه ألا يسرف بالإنفاق؛ ليبقى له ما يصونه، وعليه أن لا يقتر؛ فيكن بخيلًا مانعًا لحق الله -سبحانه وتعالى- في نفسه وعباده!، والعاقل من أدرك ما له وما عليه، وأكثر الخير بما تطيب به نفسه ويقدر عليه!، ومع أنني أحب القول بالإنفاق بلا حساب، إلا أنني أعلم الحد الذي يضيق به على صدري فلا أتجاوزه لغير ضرورة، فلنفسك ولأهلك ولزوجك ولولدك عليك حق!، وإنفاقك عليهم صدقة وباب من أبواب الخير التي لا تسقط عن رقبتك!، لذلك، طهر قلبك بالإنفاق، وأنفق ينفق الله -سبحانه وتعالى- عليك، ويخلفك خيرًا مما أنفقت، واجتهد ما استطعت في سبل الخير واحمد الله -سبحانه وتعالى- على نعمه وفضله، تكن لك الدنيا والآخرة،

ونقول كما قال سيدنا موسى -عليه السلام-: ربي إني لما أنزلت إلي من خير فقير!، ونقول كما أمرنا؛ الحمد لله رب العالمين، الحمد لله على عطائك ونعيمك الذي لا ينقطع، الحمد لله، اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، اللهم آمين.

٩١٦. يا أخي، إياك أن تنكر فضل الله -سبحانه وتعالى- ونعيمه عليك!، بل اشكر الله -سبحانه وتعالى- بقلبك ولسانك، وليظهر شكرك لله -سبحانه وتعالى- على جوارحك!، فالله -سبحانه وتعالى- عظيم له الحمد والثناء كما ينبغي له!، وليستشعر الناس منك عظم فضل الله -سبحانه وتعالى- ونعيمه عليك مهما بلغ بك من بلاء!، وهذا لا يعني أن تبوح بأسرارك وخصوصياتك، بل يعني أن يظهر امتنانك لله -سبحانه وتعالى- بأقوالك وأفعالك، وليظهر أثر نعمه عليك، وأولى النعم بذلك نعمة الإسلام والتي تعني استسلامك لأوامر الله -سبحانه وتعالى- وانقيادك لها، وحسن الخلق، فاللهم لك الحمد كما ينبغي لك، والحمد لله رب العالمين.

٩١٧. قال تعالى في سورة فاطر: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾، وقال تعالى في سورة يونس: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾، هذه الآيات الكريمة تشير إلى معاني عظيمة تدخل الفرح والسرور لقلب كل مسلم على هذه الأرض، إن رحمة الله -سبحانه وتعالى- لا يردها ولا يمنعها مانع إن أرادها الله -سبحانه وتعالى- لعبد من عباده، يعطي الله -سبحانه وتعالى- رحمته وهو عزيز حكيم، فلا تجد بعد ذلك إلا فرحًا بهذه النعمة، لكن ليس أي فرح، بل إنه الفرح المقصود والمطلوب والذي قد لا يعلوه فرح!، هو الفرح بفضل الله -سبحانه وتعالى- ورحمته!، وهي خير مما يناله الإنسان ويجمعه من ملذات الدنيا

وشهواتها!، إن رحمة الله -سبحانه وتعالى- تجدها محيطة بك في كل جوانبك، تستشعر بعضها وتدرك بعضها ويغيب عنك بعضها، حتى ما أن تدرك أو ترى ما غاب عنك، أو ترزق رحمة فتدرك رحمة الله -سبحانه وتعالى- إلا وقد طار قلبك فرحًا بما استشعرت أو علمت أو أيقنت!، وأصبح فراشك الخشن ناعمًا لا تجد أجمل منه، أما إن أمسك الله -سبحانه وتعالى- رحمته عنك -والعياذ بالله-، فحري بك أن لا ترى الفرح بعدها، حتى وإن كان فراشك الحرير!، وقد ذكر سيد قطب -رحمه الله- قوًلا جميًلا في هذا الباب، فقال: "ورحمة الله تتمثل في مظاهر لا يحصيها العد؛ ويعجز الإنسان عن مجرد ملاحقتها وتسجيلها في ذات نفسه وتكوينه، وتكريمه بما كرمه؛ وفيما سخر له من حوله ومن فوقه ومن تحته؛ وفيما أنعم به عليه مما يعلمه ومما لا يعلمه وهو كثير...، وما من نعمة -يمسك الله معها رحمته- حتى تنقلب هي بذاتها نقمة. وما من محنة -تحفها رحمة الله- حتى تكون هي بذاتها نعمة.. ينام الإنسان على الشوك -مع رحمة الله- فإذا هو مهاد. وينام على الحرير -وقد أمسكت عنه- فإذا هو شوك القتاد. ويعالج أعسر الأمور -برحمة الله- فإذا هي هوادة ويسر. ويعالج أيسر الأمور -وقد تخلت رحمة الله- فإذا هي مشقة وعسر. ويخوض بها المخاوف والأخطار فإذا هي أمن وسلام. ويعبر بدونها المناهج والمسالك فإذا هي مهلكة وبوار!، ولا ضيق مع رحمة الله. إنما الضيق في إمساكها دون سواه. لا ضيق ولو كان صاحبها في غياهب السجن، أو في جحيم العذاب أو في شعاب الهلاك. ولا وسعة مع إمساكها ولو تقلب الإنسان في أعطاف النعيم، وفي مراتع الرخاء. فمن داخل النفس برحمة الله تتفجَّر ينابيع السعادة والرضا والطمأنينة. ومن داخل النفس مع إمساكها تدب عقارب القلق والتعب والنصب والكد والمعاناة!...، **ومن رحمة الله أن تحس برحمة الله! فرحمة الله تضمك وتغمرك وتفيض عليك. ولكن**

شعورك بوجودها هو الرحمة. ورجاؤك فيها وتطلعك إليها هو الرحمة. وثقتك بها وتوقعها في كل أمر هو الرحمة. والعذاب هو العذاب في احتجابك عنها أو يأسك منها أو شكك فيها. وهو عذاب لا يصبه الله على مؤمن أبداً. ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[١].

٩١٨. قال تعالى في سورة فاطر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٥﴾، قال القرطبي -رحمه الله-: "فلا تغرنكم الحياة الدنيا قال سعيد بن جبير: غرور الحياة الدنيا أن يشتغل الإنسان بنعيمها ولذاتها عن عمل الآخرة، حتى يقول: يا ليتني قدمت لحياتي...، وقال سعيد بن جبير: الغرور بالله أن يكون الإنسان يعمل بالمعاصي ثم يتمنى على الله المغفرة"[٢]، ما ذكره القرطبي -رحمه الله- عن سعيد بن الجبير -رحمه الله- مهم جدًا، وفيه إشارة لمعانٍ عميقة، فمن انشغل في الحياة الدنيا انشغل عن الآخرة، لأن الحياة الدنيا غررته بشهواتها وشبهاتها، فلم يكن بالدنيا حيًّا ليصل للآخرة، بل كان ميتًا يعيش حياة دنيا فخسر الآخرة-والعياذ بالله-، أما الإشارة الثانية فهي لمن يأخذ بظاهر النص وينسى ما ارتبط به من أحكام، وذلك مثل من يبني حكمًا ويصدر فتوى من رأسه اتباعًا لهواه، ثم يلقيان الأماني بلا برهان!، وهذا مثل من يقول إنه "يحسن الظن بالله" وهو غير

---

(١) منقول بإيجاز | كتاب في ظلال القرآن | سيد قطب | سورة فاطر | الآية ٢ | المجلد الخامس | الصفحة ٢٩٢٢ - ٢٩٢٣ | دار الشروق | القاهرة | ملاحظة: ما كتبه سيد قطب -رحمه الله- بقلمه مع كل ما فيها من أحاسيس الرحمة، كانت في أشد الظروف صعوبة ومشقة، بل إنه عبر عن ذلك بشكل صريح، فكان عيشه بهذه الآية واستشعاره لمعانيها طريقا لشعور جديد في حسه مليء بالرحمة والرضا، مع أن محيط جسده لم يتغير البتة...!

(٢) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ١٧ | الصفحة ٣٤٦ | تفسير سورة فاطر | الآية ٥ | مؤسسة الرسالة | بيروت

محسن!، قال ابن القيم -رحمه الله-: " ولا ريب أن حسن الظن إنما يكون مع الإحسان، فإن المحسن حسن الظن بربه أن يجازيه على إحسانه ولا يخلف وعده، ويقبل توبته. وأما المسيء المصر على الكبائر والظلم والمخالفات، فإن وحشة المعاصي والظلم والإجرام: تمنعه من حسن الظن بربه، وهذا موجود في الشاهد، فإن العبد الآبق المسيئ الخارج عن طاعة سيده لا يحسن الظن به. ولا يجامع وحشة الإساءة إحسان الظن أبدًا، فإن المسيء مستوحش بقدر إساءته. وأحسن الناس ظنًا بربه: أطوعهم له. كما قال الحسن البصري: إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل، وإن الفاجر أساء الظن بربه، فأساء العمل"[1]، قال تعالى في سورة فصلت: ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾، قال القرطبي -رحمه الله-: "قال النبي ﷺ: لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله، فإن قومًا أساءوا الظن بربهم فأهلكهم، فذلك قوله: وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم. وقال الحسن البصري: إن قوما ألهتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة، ويقول أحدهم: إني أحسن الظن بربي. وكذب، ولو أحسن الظن لأحسن العمل، وتلا قول الله تعالى: وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين. وقال قتادة: من استطاع منكم أن يموت وهو حسن الظن بربه فليفعل، فإن الظن اثنان: ظن ينجي وظن يردي. وقال عمر بن الخطاب في هذه الآية: هؤلاء قوم كانوا يدمنون المعاصي ولا يتوبون منها ويتكلمون على المغفرة، حتى خرجوا من الدنيا مفاليس، ثم قرأ: وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين"[2]،

---

(١) كتاب الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (أو الداء والدواء) | ابن القيم الجوزية | الطبعة الأولى | الصفحة ٥٦ | مغالطة النفس حول الأسباب | مكتبة ابن تيمية | القاهرة

(٢) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ١٨ | الصفحة

وقال ابن القيم -رحمه الله-: "فإن قيل: بل يتأتى ذلك، ويكون مستند حسن الظن سعة مغفرة الله، ورحمته وعفوه وجوده، وأن رحمته سبقت غضبه، وأنه لا تنفعه العقوبة، ولا يضره العفو. قيل: الأمر هكذا، والله فوق ذلك، وأجل وأكرم وأجود وأرحم، ولكن إنما يضع ذلك في محله اللائق به، فإنه سبحانه موصوف بالحكمة، والعزة والانتقام، وشدة البطش، وعقوبة من يستحق العقوبة "(١)، فمن علم هذا أدرك أنه يجب أن يخرج من مأزق المغالطات التي يقع بها جهلًا أو تمنيًا بلا علم ولا برهان!، وأدرك أن الله -سبحانه وتعالى- عظيم حكيم، ذو الجلالة والإكرام، فمن علم هذا عمل عملًا صالحًا وأحسن في ذلك ما استطاع، وأحسن الظن بربه لأن يهديه ويثبته وينصره ويرزقه ويجعله من أصحاب اليمين، وأما من أساء الظن أو أساء الفهم؛ أساء العمل وضل عن المراد!، ألم تقرأ آيات الله -سبحانه وتعالى- كيف تحث على العمل والأخذ بأسباب النجاة لا على الأماني!، ألم تسمع قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾، ألم تسمع قوله تعالى في سورة النحل: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾، ألم تسمع قوله تعالى في سورة الرعد: ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾، ألم

٤٠٩-٤١٠ | تفسير سورة فصلت | الآية ٢٣ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(١) كتاب الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (أو الداء والدواء) | ابن القيم الجوزية | الطبعة الأولى | الصفحة ٦١ | مغالطة النفس حول الأسباب | مكتبة ابن تيمية | القاهرة

تسمع قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾...إلى آخره، فهذا كتاب الله -سبحانه وتعالى-، وتلك سنة نبيه المصطفى ﷺ ترشدك وتأمرك بحسن الظن بالله -سبحانه وتعالى-، وحسن الظن بالله -سبحانه وتعالى- يكون كما أمر وأرشد، وكما فعل رسول الله ﷺ والصحابة من بعده!، ووالله لأني أستحي من الله -سبحانه وتعالى- أن أقول مثل هذا القول تأولًا، بل إن الإقرار بالمعاصي والذنوب، والإنابة إلى الله -سبحانه وتعالى- لهو أرجى وأحق، وبه يقع حسن الظن!، أما من قال بأنه يحسن الظن بلا عمل، فهو مثل من له أرض؛ فلم يحرثها ولم يزرعها، ولم يرمِ بذورها، ثم أحسن الظن بها منتظرًا ثمارها وجناها -ولله المثل الأعلى-!، فاللهم نسألك حسن الظن بك، ونسألك العلم والهدى، ونسألك الحق الذي لا يدخله الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا حول ولا قوة إلا بك.

٩١٩. فلْتعلمْ يا أخي أن أسوأ ما قد يقع للمرء أن يرى القبيح السيئ المنتن حسنًا وجميلًا في عينيه! فيرى الباطل حقًا، والحق باطلًا!، وهذا من أفظع ما قد يصيب القلب -والعياذ بالله-، لذلك نسأل الله -سبحانه وتعالى- دومًا الهداية والهدى، ونسأله في كل ركعة أن ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، ودومًا ندعو الله -سبحانه وتعالى- فنقول: "ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب"، لأن ضلال القلب وطمسه عن الحق -والعياذ بالله- أسوأ ما قد يصيب الإنسان؛ لأن ما بعد ذلك سيكون شرًا -والعياذ بالله-، ولا مرد لهذا القلب إلا

بهداية من الله -سبحانه وتعالى- ورضا منه، ولن يضيع الله -سبحانه وتعالى- عبدًا ناداه وناجاه بصدق، وطلب الهداية بلسان صدق!، فاللهم اهدنا الصراط المستقيم!

٩٢٠.يا أخي هل تريد العزة في الدنيا والآخرة؟، إن أردت ذلك، فكن بجوار العزيز!، والعزيز هو الله -جل في علاه-، الذي لا يذل من والاه، ولا يعز من عاداه، واحد أحد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد!، لذلك، إن طلبت العزة فاطلبها من الله -سبحانه وتعالى-، وكن في حلفه وجواره وفيمن والاه وأطاعه، تكن عزيزًا ما دمت حيا وميتًا -بإذن الله-!، بل إن شواهد التاريخ وشواهد الحاضر تثبت ذل من حارب الله -سبحانه وتعالى- ورسوله ﷺ، وتثبت عز من والى الله -سبحانه وتعالى- ورسوله ﷺ، ففي زماننا كم من عالم صالح وقف أمام جور الحكام وفجور الكفار؛ فكانت نهايته عزة ورفعة في قلوب الخلائق!، وكم من شيخ للسلطان وذنب للكفار صار ذليلًا خسيسًا تبغضه الخلائق وتكره نفثه وريحه!، قال تعالى في سورة النساء: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾، وقال تعالى في سورة فاطر: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ ﴾، وروي في الدعاء: "اللهمَّ اهدِنا فيمَن هدَيت، وعافِنا فيمَن عافيت وتولَّنا فيمَن تولَّيت، وباركْ لنا فيما أعطيت، وقِنا شرَّ ما قضيت، إنك تَقضي ولا يُقضى عليكَ، **إنه لا يَذِلُّ مَن والَيت، ولا يَعزُّ مَن عاديت**، تباركت ربَّنا وتعالَيت"[(١)]، ولْتعلمْ يا أخي أن من تذلل لله -سبحانه وتعالى- أعزه، وأن الذل لله -سبحانه وتعالى- عظمة، **فلذلك ينال العز من تذلل لله -جل في**

---

(١) الراوي: الحسن بن علي بن أبي طالب | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح أبي داود الصفحة أو الرقم: ١٤٢٥ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

علاه-، أما من تذلل للناس من دون الله -جل في علاه-، ازداد ذلًا فوق ذله، فلا هو اكتسب العزة، ولا هو تخلص من الذل!، فسبحان من أعز وأذل!، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

٩٢١. فلْتعلمْ يا أخي أن فقر المال هو أحد أصناف الفقر وجزء منها وليس كلها!، فالفقير قد يكون فقير الإيمان أو القوة أو الأخلاق أو العلم أو العمل أو المال أو الطعام أو السعادة أو الصحة أو الأبناء أو الزوجة ونحو ذلك!، وأصناف الفقر هذه تقع في كل البشر، فالفقر هو أي نقص ينتقص من الكمال والتمام!، لهذا كان الإنسان فقيرًا دومًا مهما بلغ من المراتب ومهما علا في الأرض!، فهو فقير يحتاج لمن يخلقه، ويحتاج لمن يرعاه، ويحتاج لمن يطعمه، ويحتاج للعمل وللزوجة وللأبناء...إلى آخره، بينما الغني حقًا؛ لا يحتاج أحدًا ولا ينقصه شيئًا، وهذا لا تجده في البشر، ولكنك ستجده عند رب البشر جل في علاه!، قال تعالى في سورة فاطر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾، فالناس كلهم وبمختلف أطيافهم وأجناسهم فقراء وناقصون وضعفاء وبحاجة إلى الله -سبحانه وتعالى-؛ لأن يوجدهم ويهديهم ويطعمهم ويرزقهم ويدبر أمرهم ونحو ذلك!، فسبحان الغني عن عباده!، لذلك يا أخي، إن علمت هذا فاحمد الله -سبحانه وتعالى- على ما أنعم عليك!، فإن وجدت في نفسك فقر المال فغيرك فقير العلم، وإن كنت فقير الأبناء فغيرك فقير الزوجة!، وإن كنت فقير القوة فغيرك فقير الصحة!، وهذا كله من حسن تدبير الله -سبحانه وتعالى- لهذه الحياة، ودرب من دروب الحكمة التي يظهر لنا جليًا فضلها وأثرها على البشر، ويخفى كثير من فضلها وعلمها عنا!، فاللهم نسألك الغنى ونعوذ بك من الفقر، اللهم آمين!

٩٢٢. قال تعالى في سورة فاطر: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ

أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾، فلْتعلمْ يا أخي أن فضل العلم والعلماء ما زال يذكر ويتكرر في مواضع متنوعة في كتاب الله – سبحانه وتعالى-، لأن من عقل وتفكر، علم وتعلم، ومن علم وتعلم كان أرجى أن يخشى الله -سبحانه وتعالى- أكثر من غيره!، قال السعدي -رحمه الله-: "فكل من كان باللّه أعلم، كان أكثر له خشية، وأوجبت له خشية الله، الانكفاف عن المعاصي، والاستعداد للقاء من يخشاه، وهذا دليل على فضيلة العلم، فإنه داعٍ إلى خشية الله، وأهل خشيته هم أهل كرامته، كما قال تعالى: ﴿رَضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾[(١)]، وقال البغوي -رحمه الله-: "قال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ قال ابن عباس: يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني، وعن مسروق عن عائشة رضي الله عنها: صنع رسول الله ﷺ شيئًا فرخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي -ﷺ- فخطب فحمد الله ثم قال: " ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية ". وقال النبي ﷺ: " لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا". وقال مسروق: **كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا**. وقال رجل للشعبي: أفتني أيها العالم، فقال الشعبي: إنما العالم من خشي الله – عز وجل -."[(٢)]، لذلك يا أخي، استعمل عقلك وتعلم وتفكر فيما يحيط بك من حوادث، وتفكر في إبداع الله -سبحانه وتعالى- فيها وعظم خلقه!، تدبر وتفكر وتأمل لتخشى! واسأل الله -سبحانه

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة فاطر | الجزء الثاني والعشرون | الآية ٢٨ | الصفحة ٦٨٩ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) كتاب معالم التنزيل (تفسير البغوي) | أبي محمد البغوي | المجلد السادس | تفسير سورة فاطر | الصفحة ٤١٩ | الآية ٢٨ | دار طيبة | الرياض

وتعالى- رضاه ورحمته وخشيته، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٩٢٣.فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- اصطفى هذه الأمة لتكون أرجى الأمم، ووهبها القرآن العظيم لترث خير العمل والقول من خير كتاب وجد على هذه الأرض!، ولْتعلمْ أن من أسلم وجهه لله -سبحانه وتعالى- هو على أحد ثلاثة، الأولى: أن يكون ظالمًا لنفسه، والثاني: أن يكون مقتصدًا، والثالث: أن يكون سابقًا في الخيرات بإذن الله، قال تعالى في سورة فاطر: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾، هذا التباين بين هذه الفئات يذكرنا بعظم عفو الله -سبحانه وتعالى- ومغفرته، وأنه قريب، وأن من ظلم نفسه فإن رحمة الله -سبحانه وتعالى- تسعه، وباب التوبة مفتوح، وشمول المقتصد والسابق للخيرات من فضل الله -سبحانه وتعالى- لهم جميعًا، وفيها أن السابق للخيرات عليه أن يواصل ويسعى في عمله، وألا يستكين لما عمل وفعل، بل يعمل جاهدًا ليحافظ على سبقه، وعليه أن يعلم علم اليقين أن ما كان سبقه للخيرات إلا بتوفيق من الله -سبحانه وتعالى- ورحمة منه وهدى!، فلا يغتر السابق بالخيرات بعمله!، وفيها أن المقتصد أعلى ممن ظلم نفسه وأدنى ممن كان سابق في الخيرات، فعليه أن يحذر من أن ينزل من مكانه فيصير ظالمًا لنفسه، وعليه أن يسعى ليزكي نفسه فيرتقي ليكون من السابقين في الخيرات!، ومن أجمل ما قرأته في تفسير وتبيان ماهية كل فئة من هذه الفئات هو ما ذكره القرطبي -رحمه الله-: "قيل: الضمير في يدخلونها يعود على الثلاثة الأصناف، على ألا يكون الظالم هاهنا كافرًا ولا فاسقًا. وممن روي عنه هذا القول عمر وعثمان وأبو الدرداء، وابن مسعود وعقبة بن عمرو وعائشة، والتقدير

على هذا القول: أن يكون الظالم لنفسه الذي عمل الصغائر. و(المقتصد) قال محمد بن يزيد: هو الذي يعطي الدنيا حقها والآخرة حقها؛ فيكون جنات عدن يدخلونها عائدًا على الجميع على هذا الشرح والتبيين وروي عن أبي سعيد الخدري. وقال كعب الأحبار: استوت مناكبهم - ورب الكعبة - وتفاضلوا بأعمالهم"[١]، وقال ابن كثير -رحمه الله-: "يقول تعالى: ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم، المصدق لما بين يديه من الكتب، الذين اصطفينا من عبادنا، وهم هذه الأمة، ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع، فقال: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ وهو: المفرط في فعل بعض الواجبات، المرتكب لبعض المحرمات. ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ وهو: المؤدي للواجبات، التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات. ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ وهو: الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات. قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾، قال: هم أمة محمد ﷺ ورثهم الله كل كتاب أنزله، فظالمهم يغفر له، ومقتصدهم يحاسب حسابًا يسيرًا، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب"[٢]، وهذا كله يا أخي فيه بشارة جميلة، وهي أن الله

-سبحانه وتعالى- بشر بالجنة كل من اصطفاه، ويشملهم بعفوه ومغفرته وثوابه، وفيه حث لأن يزكي الإنسان نفسه فلا يبقى كما هو!، وأن يسعى للتسابق في الخيرات، وأن يسأل التوفيق لذلك من الله -سبحانه وتعالى-، وأن يعمل لذلك وألا يغتر بما وصل

---

(١) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ١٧ | الصفحة ٣٧٩-٣٨٠ | تفسير سورة فاطر | الآية ٣٢ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٥٥٥ | تفسير سورة فاطر | الآية ٣٢ | دار ابن حزم | بيروت

إليه من عمل!، وفيها دوام الحمد والثناء لرب العزة -جل في علاه-، فهو المنعم على عباده، الذي خلقهم وهداهم واصطفاهم، وفوق هذا أثابهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار!، لهم فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر!، فكيف يخسر الإنسان دنياه وأخراه بعد كل هذا النعيم وهذا الفضل؟!، اللهم هدايتك وتوفيقك وعفوك وغفرانك، اللهم اجعلنا من السابقين للخيرات برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم آمين.

ملاحظة: ذكر المفسرون في تفسير هذه الآية العديد من الأقوال في تبيان هذه الفئات، لكننا وجدنا أرجى ما قيل؛ ما قالته أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنه- والصحابة الكرام كعمر وعثمان وابن مسعود وأبي الدرداء وعقبة بن عمرو -رضوان الله تعالى عليهم جميعًا-، وهو ما اعتمدنا عليه، والحمد لله.

٩٢٤. فلْتعلمْ يا أخي أن هناك نذائر تشير إلى قرب الموت!، هذه النذائر إن بدت لك؛ احرص كل الحرص على الاجتهاد والاستعداد للموت أكثر من أي وقت مضى!، ومع أن الأصل أن يسعى الإنسان للخير في كل أوقاته وأن يكون مستعدًا للموت حين يأتيه، إلا أن هذه النذائر تعطيك إشارات لتزيد من حرصك!، هذه النذائر كثيرة كبلوغ الستين من العمر، وبعد بلوغ الأربعين من العمر، وعند ظهور الشيب، وعند المرض والحمى!، وأعظم هذه النذائر من أطال الله -سبحانه وتعالى- في عمره فبلغ الستين وتجاوزه!، فإن هذا العمر وهذه المرحلة تورث يقينًا بأن العمر قد شارف على الانتهاء، وأن ما تبقى لن يكون كما مضى، والموت من أمامه وفي انتظاره، فيكون عالمًا بحاله وقادر على وزن أعماله وتصرفاته!، وقد روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "أَعْذَرَ اللهُ إلى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ، حتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ

سَنَةً."[١]، هذا الحديث الشريف يرشدنا أن من بلغ الستين لم يبقَ له عذرًا حتى يرتكب الخطايا ويستمر عليها فيرضى بالكفر والفسوق وكبائر الذنوب والعياذ بالله!، وكما أن في الستين مظنة الموت، ففي الأربعين إتمام مرحلة قد سبقت، والبدء بمرحلة قد تلت، فما بعد هذا السن ليس كما قبله، والشيب دليل على انقضاء مرحلة ونذير بدخول مرحلة أخرى، والحمى والمرض نذير بقرب الموت، فإما موت وإما شفاء!، لذلك يا أخي، على المسلم أن يسعى جاهدًا في كل وقته وفي جميع أحواله لأن يكون أفضل مما مضى!، مستعدًا للموت عاملا للآخرة!، فإن قصر في شيء عاد وأناب واجتهد، فإن لم يكن هذا هو الحال، فيجب أن يتغير الحال بقدوم النذائر!، فكيف يأمن الواحد منا على نفسه من الموت حتى بوجود نذائر تفيد بقرب الأجل؟!، قال تعالى في سورة فاطر: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾، ألم نعمركم؟!، اللهم نعوذ بك أن نكون من أصحاب الجحيم، ونسألك برحمتك أن نكون من أهل جنات النعيم!، اللهم نسألك حسن الخاتمة، اللهم آمين.

٩٢٥. قال تعالى في سورة فاطر: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ﴾، هذه الآية الكريمة تخبرنا عن حال العرب قبل بعثة النبي ﷺ، فهم كانوا يُقسمون بالله -سبحانه وتعالى-، إن أرسل الله -سبحانه وتعالى- نبيًا لهم ليكونن أهدى ممن سبقهم من الأمم!، أهدى من الذين كذبوا أنبياءهم وحاربوهم!، فلما بُعث سيدنا محمد ﷺ

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٤١٩ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

نفروا عنه ولم يؤمنوا به!، وهذا يذكرنا بأقوال كثيرة تسود بين الناس، لو أنني كنت مع الرسول ﷺ لفعلت كذا وكذا!، وآخرين لو أننا كنا في هذه المعركة أو في هذه الحرب لما هزمنا ولما خسرنا ولفعلنا كذا وكذا!، ونحو ذلك!، وهذا كله مما يخاف المرء منه، فإنه يخشى لو كان معهم أن يكون من أهل الكفر وأصحابه، ويخشى أن يكون من أهل الخذلان والخسران!، إلا أن يسأل المرء منا ربه -عز وجل- أن يهديه الصراط المستقيم!، وأن يعمل جاهدًا في حاضره فيصدق قلبه وجوارحه ما تمنى!، وإلا فلا فلاح!، وكثير ممن يتمنى مثل هذه الأماني لا يعمل في حاضره ولا يقدم أدنى مقومات التزكية والتمكين!، فما ظنك بحاله لو أقدم وكان مع غيره ممن سبقه من الأمم؟!، بل يكفي للإنسان أن يعلم أن ما اختاره الله -سبحانه وتعالى- له وما غيبه عنه؛ هو خير له!، فهذا من قسمة الله -سبحانه وتعالى- لك، ويكفينا نعمة أننا ولدنا من بطون أمهاتنا لا نشرك بالله -سبحانه وتعالى- شيئًا، مسلمين لله، مقبلين إليه بأعمالنا، وكفى بها من نعمة اختصصنا بها بلا قتال ولا عناء!، الحمد لله!، اللهم نسألك هداك، والقول الحق، وعزيمة إليك، وحبًا في قلوبنا لك، ولا حول ولا قوة إلا بك.

٩٢٦. فلْتعلمْ يا أخي أن الغافلين عن ذكر الله -سبحانه وتعالى-، الجاهلين بعظمة الله -سبحانه وتعالى-، البعيدين عن دين الله -سبحانه وتعالى- بسبب كفرهم أو معاصيهم لجهلهم أو ضلالهم أو إعراضهم بغير علم؛ مساكين ومرضى يحتاجون للعلاج!، والعلاج يكون بالوقوف معهم أمام شياطينهم وجهل عقولهم، وإرشادهم وتعليمهم وتذكيرهم بدين الله -سبحانه وتعالى-، فهؤلاء المساكين في أشد الحاجة إلى يد مبسوطة إليهم لتنتشلهم من ظلمات الكفر والفسوق والضلال، إلى نور الإيمان!، بحاجة ماسة لأن يعرفوا من هم، ولماذا هم هنا، ما الهدف وما الغاية؟، ما

الحياة وما الموت؟، كيف البداية وإلى أين النهاية؟...إلى آخره، يحتاجون لتذكيرهم بأهميتهم في هذه الحياة، وأنهم اللاعب الأساسي في هذه الحياة، وأنهم مكرمون أعزاء، لا يصابون بالذل إلا بتركهم العزة التي وهبها الله -سبحانه وتعالى- لهم!، فمن لم يرتقَ ويدرك إنسانيته التي خلقها الله -سبحانه وتعالى-، سقط بين فجوات الإلحاد والضلال والشرك، ومن أدرك الكتاب ولم يدرك ما فيه وما جاء به من الخير -فلم يقرأه ولم يتدبره ولم يعمل بما جاء فيه-، ضل وضاع وظن أنه على شيء وهو ليس على شيء!، وخير وسيلة لهذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعلم بدين الله -سبحانه وتعالى- والدعوة إليه بالفعل قبل القول، وبالأخلاق الفاضلة والقول الحق!، بإبراز جوانب الدين وإظهارها، فدين الحق ليس دينًا يضيع حق صاحبه، بل يصون الحق لصاحبه ويحفظه ويمنع صاحبه من أن يعتدي!، وهذا يقودنا لنقطة مهمة، **وهي أن الداعي إلى الله -سبحانه وتعالى-عليه أن يعتني بدعوته وألفاظه وما يدعو إليه، فلا يعني التلطف ذكر جانب وإخفاء جانب آخر لنظهر في منظر صممت قالبه أنت ليناسب هواك أو هوى الناس في هذا الوقت، بل إن للحق صوت رنان يصل إلى القلوب ويعانقها، فكن بارعًا في إيصال هذا الحق لا في تحريفه!**. اللهم هداك، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، اللهم آمين.

٩٢٧. قال تعالى في سورة يس: ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾، هذه الآية العظيمة تخبرنا عن رجل صالح لم يزل ناصحًا لقومه حتى بعد أن قتلوه!، فقبل موته جاء ساعيًا داعيًا قومه أن يتبعوا المرسلين، ويوحدوا الله -سبحانه وتعالى-، فأعانه الله -سبحانه وتعالى- فأظهر أسباب الهدى وبين بطلان عقائدهم بإيجاز بليغ وعظيم!، ومع هذا قتلوه لأنه

آمن بما جاءت به الرسل!، وهو لم يزل داعيًا لقومه حتى أفضى حاله إلى الموت فقيل له: ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ -سبحانه ما أجملها من بشرى!-، فقال هذا الرجل الصالح: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴾!، سبحان الله العظيم!، قلوب تتعجب من وجودها!، وتتعجب من صفائها!، وتتعجب من صدقها!، وتتعجب من ثباتها!، وتتعجب من حرصها على أهلها وعلى هدايتهم!، الحق والحق أقول، إن لمثل هؤلاء يقال "رجال"، نسأل الله -سبحانه وتعالى- قلبًا صادقًا نقيًا تقيًا مخلصًا ثابتًا حريصًا على الهداية والهدى، وعلى دين الحق، وكلمة لا إله إلا الله، محمد رسول الله!، ونسأله البشرى كما بُشر بها الصالحون من قبلنا ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَ ﴾، ونسأله هذا بحبنا إياه ورحمته بنا وعفوه ومغفرته وتجاوزه عن ذنوبنا وتقصيرنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال الشافعي -رحمه الله-:

أُحِبُّ الصالِحينَ وَلَستُ مِنهُم ... لَعَلّي أَن أَنالَ بِهِم شَفاعَه

وَأَكرَهُ مَن تِجارَتُهُ المَعاصي ... وَلَو كُنّا سَواءً في البِضاعَه

٩٢٨. يا أخي، إن كان لك علم أو دراية أو اطلاع أو خبرة أكثر ممن ائتمنت عليهم، فعليك أن تكون حليمًا عند جهلهم، كاظمًا للغيظ عند خطأهم، متلطفًا بهم عند دعوتهم وإرشادهم، منشغلًا بدعوتهم وتطهير قلوبهم، غير متشمت بهم!، وأشهر الأمثلة على ذلك، ولدك الذي من صلبك، فهو في مراحل نموه جاهل يكتسب ويتعلم منك حتى ينطلق ليبني علمه ومعرفته وخبرته، في هذه الفترة عليك أن تكون حكيمًا في إرشاده، ساعيًا لإنقاذه، كاظمًا للغيظ، منشغلًا بدعوتهم للحق وما ينفعهم، وكذلك أمر الداعي إلى الله -سبحانه وتعالى- فالأمر عنده أعظم وأشد!، وكذلك حال

المعلم والخطيب...إلى آخره!، فاحرص يا أخي أن تؤدي ما ائتمنت عليه بأفضل الصفات وأطهرها، وكن حكيمًا فتدرك مواقف الرحمة واللين، ومواقف الحزم والشدة، واسعَ لهدايتهم وإرشادهم فبذلك تكون نجاتهم، وإياك أن يكون هدفك نصر نفسك عليهم!، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٩٢٩. فلْتعلمْ يا أخي أن العلم بما جرى في الماضي قد يكون دليلًا وطريقًا لفهم الحاضر والاستعداد للمستقبل!، والشواهد على هذا كثيرة، منها أن أعداء الإسلام حاولوا على مر العصور ومن خلال أعتى الإمبراطوريات القضاء على الإسلام؛ لكنهم لم يستطيعوا ذلك!، كما أننا ندرك من خلال تلك الشواهد المراحل الانتقالية بين القوة والضعف للأمة الإسلامية وأسباب ضعفها وأسباب صحوتها وأسباب قوتها، فإذا أسقطنا تلك الشواهد على الواقع، رأينا أبعد مما نتصور، وأخذنا بأسباب النصر والنهوض والقوة كما هي حقًا، واستعجلنا بها، لا كما يسوقها رويبضات الإعلام وتوافه الناس!، بل إن هذه الشواهد قد تتكرر بذاتها وبكامل لمساتها، لكن بشخصيات مختلفة وطرق "أكثر حداثة"، وكأن لسان حالهم ﴿بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ﴾، بل نتبع ما يقوله "العلم التجريبي"، بل نتبع ما تقوله "النسوية"، بل نتبع ما يقوله "الرويبضة"...إلى آخره، وكما أن هذا ينطبق على عموم الأحداث، فهي تنطبق على الماضي الشخصي!، فإن العاقل يدرك ما قدم في ماضيه، ويجتنب سيئه في حاضره ويسعى للأفضل في مستقبله!، فاللهم اجعلنا ممن وسعتهم رحمتك وفضلك، ولا حول ولا قوة إلا بك.

٩٣٠. قال تعالى في سورة يس: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٥٣﴾

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾، هذه الآيات العظيمة من قرأها بقلبه وأبصرها بعقله، أدرك عظم بيانها، ومن أدرك عظمها ارتجف قلبه وارتعدت أطرافه!، ووالله إنها لآيات تزلزل القلوب!، وزلزلة القلوب هنا بين الخوف والرجاء، فقلوبنا ترتجف خوفًا من أن نكون مع الكافرين والضالين والفاسقين؛ فيقع الويل علينا وتنطق به ألسنتنا -والعياذ بالله-، وبين الرجاء أن نكون من المؤمنين الذين ما أن ينسلوا فينطلقوا فرحين بما وعدهم الله -سبحانه وتعالى- وبما وعدهم أنبياء الله -عليهم السلام-!، بل إن الله -سبحانه وتعالى- بعد هذه الآيات؛ ذكر ثواب أهل الجنة، ووعيد أهل النار، قال تعالى في نعيم أهل الجنة: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾، هذا النعيم العظيم الذي تتوق له الأنفس، وتشتهيه الأبدان والعيون، لهو نعيم الله -سبحانه وتعالى- لعباده ممن اصطفى!، فسبحان الكريم!، ومع أن هذا نعيم عظيم، فأعظم نعمة ذكرت في هذه الآيات -من وجهة نظري- هي قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾، هذه الآية العظيمة حوت في ثناياها ما يطمئن القلب ويسكنه!، إن فيها السلام من رب السماوات والأرض!، من رب رحيم!، على من؟، على عباده الصالحين!، هذا السلام وكأني أقرأه لأول مرة!، فقد جاء هذا السلام سلامًا لقلبي حقًا!، لقد أتت علاجًا لوسواس لا ينبغي له أن يكون في القلب! ولا ينبغي الخوف من أجله!، كأن يلقي الشيطان في القلب شك بالسلام بعد دخول الجنة، وربنا -جل في علاه- قال: "سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ"!، قال السعدي -رحمه الله-: "ولهم أيضا ﴿سَلَامٌ﴾ حاصل لهم ﴿مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ ففي هذا كلام الرب تعالى لأهل الجنة وسلامه عليهم، وأكده بقوله: ﴿قَوْلًا﴾ وإذا سلم عليهم الرب

الرحيم، حصلت لهم السلامة التامة من جميع الوجوه، وحصلت لهم التحية، التي لا تحية أعلى منها، ولا نعيم مثلها، فما ظنك بتحية ملك الملوك، الرب العظيم، الرءوف الرحيم، لأهل دار كرامته، الذي أحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبدا، فلولا أن الله تعالى قدر ألا يموتوا، أو تزول قلوبهم عن أماكنها من الفرح والبهجة والسرور، لحصل ذلك. فنرجو ربنا ألا يحرمنا ذلك النعيم، وأن يمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم."(١)، وقال البغوي -رحمه الله-: "قال مقاتل: تدخل الملائكة على أهل الجنة من كل باب يقولون: سلام عليكم يا أهل الجنة من ربكم الرحيم. وقيل: يعطيهم السلامة، يقول: اسلموا السلامة الأبدية."(٢)، فهل تجد راحة أعظم من هذه الراحة؟!، هل تجد سلامًا أعظم من هذا السلام؟!، إنها النجاة والله!، اللهم أسألك برحمتك أن نكون ممن أعطيتهم السلام في الدنيا والآخرة!، ولا حول ولا قوة إلا بك، رب رحيم.

٩٣١. فلْتعلمْ يا أخي أن رسول الله ﷺ كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب، ولم يكن شاعرًا ولم ينبغِ له ذلك!، قال تعالى في سورة يس: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾، ومع هذا، فإن هذه الخصائص فضائل للنبي الكريم ﷺ، وذلك لأن بها تمام الإعجاز والبيان فيما جاء به من القرآن الكريم!، وفيها إسقاط لمظنة السوء من أي جاهل!، وكما أن هذه السمة فضيلة في حق خير المرسلين

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة يس | الجزء الثالث والعشرون | الآية ٥٨ | الصفحة ٦٩٨ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) كتاب معالم التنزيل (تفسير البغوي) | أبي محمد البغوي | المجلد السابع | تفسير سورة يس | الصفحة ٢٣ | الآية ٥٨ | دار طيبة | الرياض

-صلوات الله وسلامه عليه-، إلا أن هذه السمة مذمة وعيب ونقص في غيره!، لذلك، لا ترمِ بعجزك وجهلك وأميتك لتسقطها على ما لا ينبغي، واحرص على ما أمرت، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٩٣٢. فلْتعلمْ يا أخي أن **أبناءك وأهلك يتمايزون، وتمايزهم هذا يجعل للنجاح أشكال متعددة، فلا يمكنك إسقاط أحد نماذج النجاح وتعميمها على جميع أبنائك متناسيًا الفروق الجسدية والعقلية التي بينهم، بل إن ما يحبه الأول قد يكرهه الثاني، وما يحبه الثاني قد لا تحبه أنت!، والمصيبة الأعظم من هذه أن تكون رغبتك هي إنشاء نسخ كربونية عنك تتمثل في أبنائك!**، والأولى بك أن تشجع وتكرم كل واحد منهم بحسب ما يصلح له، فمثلًا لا يعني إن كان ابنك الأكبر طبيبا أن يكون جميع أبنائك أطباء!، ولا إن كان ابنك صاحب حرفة أنه أقل شأنًا ونجاحًا من ابنك المهندس؟!، ولكل واحد منهم دوره في هذه الحياة، وهو على ثغر من ثغور الإسلام!، وهنا ننوه إلى مفهوم مهم وخطير يغفل عنه الكثير!، وهو معيار النجاح؟!، فمعيار النجاح عند معظم من نرى هي تلك الماديات التي تنتشر حولنا هنا وهناك، كعدد الشهادات واختلافها وتخصصها!، وهذا الأمر وغيره كله لا شيء لمن سقط في معيار النجاح الحقيقي، والذي يتمثل في أن تكون ناجحًا في الآخرة!، فإن نجحت هان ما بعدها!، بل إن من يسعى للآخرة تحصل له الدنيا؛ فيكون النجاح نجاحًا بصدق، وهذا ما يجب أن يزرع بالنفوس!، فمن منا يزرع في أبنائه أن "لا إله إلا الله" أولًا؟!، ومن منا يزرع في أبنائه معاني الآخرة، وطرق الفلاح والنجاح المؤدية إليها؟!، ومن منا يسعى مع ولده إلى الصراط مستقيم؛ فينظر لكل هذه الماديات على أنها وسائل للتقرب إلى الله -سبحانه وتعالى- والقيام بما أمرنا به، والحفاظ على أجسادنا وعقولنا؟!، من منا يعلم ابنه فيقول له "تعلم، وأحسن، فإنك على ثغر من ثغور

الإسلام"، تعلم واجتهد، وكن فيما رزقت من المال عونًا للفقراء والمحتاجين، مارس الرياضة وكن قويًا نصرة للضعفاء والمساكين، وعزة لنفسك وللمؤمنين؟!، من منا يعلم أبناءه أن الإيمان بالله -سبحانه وتعالى- يعني الجد والاجتهاد في هذه الدنيا لعمارتها وتحقيق معنى الاستخلاف فيها؟!، من منا يعلم أبناءه أن الدنيا ستأتي لاهثة إلى قلب مَن تركها فلا تجد محلًا لها إلا في يده؟!، ولن تجد الآخرة محلًا لها إلا في قلبه؟!...إلى آخره، فسبحان الله العظيم، الذي جعل الدنيا بابًا للآخرة، وسخر ما فيها لنا، وجعلنا أقرب إليه في ديننا ودنيانا، فالحمد لله رب العالمين.

٩٣٣. يا أخي، اجعل لك خبيئة من عمل صالح تكون بينك وبين الله -سبحانه وتعالى-، هذه الخبيئة الصالحة انتقها من أفضل ما قدرت عليه من الأعمال، فإن جاء يوم وأغلقت جميع الأبواب أمامك، فادعُ الله -سبحانه وتعالى- مخلصًا له مؤمنًا به مصدقًا لوعده بأن يرفع عنك ما أصابك، واذكر ما لك من خبيئة الخير، وإلى الله -سبحانه وتعالى- الأمر!، ونستأنس هنا بما رواه عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أنه قال: "سَمِعْتُ رَسولَ الله ﷺ يقولُ: انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كانَ قَبْلَكُمْ حتَّى أوَوُا المَبِيتَ إلى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَسَدَّتْ عليهمُ الغَارَ، فَقالوا: إنَّه لا يُنْجِيكُمْ مِن هذِه الصَّخْرَةِ إلَّا أنْ تَدْعُوا اللهَ بصَالِحِ أعْمَالِكُمْ، فَقالَ رَجُلٌ منهمْ: اللَّهُمَّ كانَ لي أبَوَانِ شَيخَانِ كَبِيرَانِ، وكُنْتُ لا أغْبِقُ قَبْلَهُما أهْلًا ولَا مَالًا، فَنَأَى بي في طَلَبِ شيءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عليهما حتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لهما غَبُوقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُما نَائِمَيْنِ وكَرِهْتُ أنْ أغْبِقَ قَبْلَهُما أهْلًا أوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ والقَدَحُ علَى يَدَيَّ، أنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُما حتَّى بَرَقَ الفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا، فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلكَ ابْتِغَاءَ وجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا ما نَحْنُ فيه مِن هذِه الصَّخْرَةِ. فَانْفَرَجَتْ شيئًا لا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ. قالَ النَّبيُّ ﷺ: وقالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لي بنْتُ عَمٍّ، كَانَتْ أحَبَّ النَّاسِ إلَيَّ، فأرَدْتُهَا عن

نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي، فأعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ ومِئَةَ دِينَارٍ علَى أنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وبيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ، حتَّى إذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قالَتْ: لا أُحِلُّ لكَ أنْ تَفُضَّ الخَاتَمَ إلَّا بحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وهي أحَبُّ النَّاسِ إلَيَّ، وتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذي أعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا ما نَحْنُ فِيهِ. فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، غيرَ أنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ منها. قالَ النَّبيُّ ﷺ: وقالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، فأعْطَيْتُهُمْ أجْرَهُمْ غيرَ رَجُلٍ واحِدٍ تَرَكَ الَّذي له وذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أجْرَهُ حتَّى كَثُرَتْ منه الأمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقالَ: يا عبد اللهِ، أدِّ إلَيَّ أجْرِي، فَقُلتُ له: كُلُّ ما تَرَى مِن أجْرِكَ مِنَ الإبِلِ والبَقَرِ والغَنَمِ والرَّقِيقِ، فَقالَ: يا عبد اللهِ، لا تَسْتَهْزِئُ بي! فَقُلتُ: إنِّي لا أسْتَهْزِئُ بكَ، فأخَذَهُ كُلَّهُ، فَاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ منه شيئًا، اللَّهُمَّ فإنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلكَ ابْتِغَاءَ وجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا ما نَحْنُ فِيهِ. فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ."[1]، وقال تعالى في سورة الصافات: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾، قال السعدي -رحمه الله-: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ أي: في وقته السابق بكثرة عبادته لربه، وتسبيحه، وتحميده، وفي بطن الحوت حيث قال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[2]، فاللهم اجعلنا في الرخاء أقرب إليك، وفي البلاء أقرب إليك، وفي كل أحوالنا وأوقاتنا أقرب إليك، ولا حول ولا قوة إلا بك.

٩٣٤. قال تعالى في سورة الصافات: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾

---

(١) الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٢٢٧٢ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الصافات | الجزء الثالث والعشرون | الآية ١٤٣ | الصفحة ٧٠٧ | مؤسسة الرسالة | بيروت

وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾، هذه الآيات العظيمة شديدة التأثير على القلوب!، وهذه الآيات هي ختام سورة الصافات!، هذه السورة ختمت في بيان عظيم، ورد شديد على الكافرين والمشركين الذين تجرأوا وقالوا ما لا يعلمون عن الله -جل في علاه-!، هذه الآيات حدثتنا عن تنزيه الله -سبحانه وتعالى- وجلاله وعظمته، فقهر من دونه، وتنزه عن كل سوء وصف به -والعياذ بالله-!، والعجب كل العجب من عقولهم الدنية؛ ألم تدرك عقولهم شناعة ما يصفون وعظم من يصفون؟!، ألم يتفكروا أن الله -سبحانه وتعالى- الخالق العظيم؛ لا يليق به إلا الجلال والعظمة والتنزيه والتقديس!، ألم يدركوا أنهم مخلوقات دنيئة وضيعة أمام عظمة الله -سبحانه وتعالى- وملكوته وجبروته وقدرته؟!، سبحان الله عما يصفون!، ثم حدثتنا هذه الآيات ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، فحصل للمرسلين الأمان من كل فزع، وحصل لهم الثناء الحسن، وحصل لهم السلام في الدنيا والآخرة!، ثم ختم هذا كله بالحمد والثناء على ذي الجلال والإكرام!، الحمد لله الذي جل في علاه على كل ما أنعم على عباده من النعم والرسل وما علمنا وما لم نعلم، في جميع أحوالنا، الحمد لله حمدًا يليق بعظمته وجلاله وسلطانه.

هذه الآيات العظيمة ترشدنا لأن نعظم الله -سبحانه وتعالى- كما ينبغي له، وأن ننزهه عن كل نقص وعيب!، وفيها إشارة لصفة الخالق، وهي الكمال والتمام الذي لا يشوبه أي نقص، ولا يدخله أي ضعف، الذي يترفع عن الولد والزوجة، ويترفع عن مخلوقاته القادر عليها، فإن دخل فيه النقص أو الضعف لم يكن إله، فالإله لا ينبغي له إلا الكمال والتمام المطلق، وهذا كله لا يكون إلا لخالق واحد، وهو العظيم الأعظم، الله -جل في علاه-، ولا تنبغي لغيره!، فمثلًا، إن وجود أكثر من خالق -والعياذ بالله- يعني تنافسهم فيما بينهم، ويعني أن كل خالق منهم سيعلو على الآخر،

ووجود التنافس والعلو صفة نقص وضعف!، لأنه لم يملك القدرة المطلقة!، ووجود الولد أو الزوجة دليل نقص وضعف!، فالولد والزوجة ما هما إلا وسيلة ليحصل من خلالهما سد نقص أو عجز أو رغبة، وهذا كله مما لا يليق بالخالق العظيم!، فهو الواحد الأحد، الذي لا ينبغي له أي نقص ليتمه مخلوق من خلقه!، سبحان الله عما يصفون، فمن علم هذا أدرك عظم ما قام به المرسلون من دعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- وتوحيده وترك الشرك والكفر به، وتنزيهه وتقديسه كما ينبغي له، فجزاهم الله -سبحانه وتعالى- عنا كل خير، والحمد لله ثم الحمد لله على إرساله الرسل وهدايته لنا، الحمد لله رب العالمين.

٩٣٥. يا أخي، إذا أحببت البحث عن عبادة تسمو روحك بها؛ فعليك بما أخبرنا به الله -سبحانه وتعالى- عن طريق نبيه محمد ﷺ، فقد أخبرنا الحبيب المصطفى -عليه الصلاة والسلام- عن أفضل الأعمال وأفضل الأوقات لكل عبادة، بل وذُكر لنا من قصص الأنبياء ما يثري القلب والعقل بأفكار طيبة للاجتهاد بالعبادات، وهذه إحدى الطرق الطيبة التي يجتهد بها الإنسان ليزكي نفسه، ومن الأمثلة على عبادات قد يجتهد فيها الإنسان -وقليل منا يفعلها- صيام الدهر، وصلاة الضحى، وقيام ثلث الليل، وتسبيح الله -سبحانه وتعالى- آناء الليل وأطراف النهار، وذكر الله -سبحانه وتعالى- ذكرًا كثيرًا، وصيام الاثنين والخميس والثلاث أيام البيض، والصبر...إلى آخره، فانظر لنفسك ما تحب من العبادات وخذ أو اسعَ لأفضل صفاتها، فإن وجدت في نفسك همة للصيام فاسعَ لأن يكون صومك كصيام داود -عليه السلام-، ونستأنس هنا بما رواه عبد الله بن عمرو -رضي الله عنه-: "قالَ لي رَسولُ الله ﷺ: أَحَبُّ الصِّيَامِ إلى الله صِيَامُ دَاوُدَ، كانَ يَصُومُ يَوْمًا ويُفْطِرُ يَوْمًا، وأَحَبُّ الصَّلَاةِ إلى الله صَلَاةُ دَاوُدَ، كانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ ويقومُ ثُلُثَهُ، ويَنَامُ

سُدُسَهُ"[١]، وهذا كله من أعمال التطوع والاجتهاد، فلا تكلف نفسك ما لا تطيق، وأدرك ما تقدر عليه، ودع عنك ما لا تقدر عليه، واسأل الله -سبحانه وتعالى- الثواب، واستعن به لعبادته، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٩٣٦. فلْتعلمْ يا أخي أن القدرة على تحليل الكلام والفصل بين الخصوم والقول بقول فصل عن علم ودراية من النعم العظيمة التي لا يبلغها كثير من الناس، وتتفاوت درجاتهم فيها، فإن وجدت في نفسك أثرًا لهذه النعمة فتجرد من شوائب الدنيا واسعَ لتمكينها -بالعمل الجاد والدءوب والعلم النافع واللغة المبينة- واحكم بالعدل، وافصل بين الناس بالحق، ولا تقل إلا الحق، فإنها نعمة عظيمة يحتاجها الناس، وهي نقمة كبيرة على من استخدمها في غير مكانها!، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٩٣٧. فلْتعلمْ يا أخي أن من العجائب التي نراها ويقع فيها كثير من الناس بجهل أو عدوان هي المساواة بين المؤمن والكافر!، أو بين الصالح والفاسق!، بل ليست مساواة في كثير من الأحيان؛ بل هي تفضيل للمخطئ على المصيب!، ومن أشهر الأمثلة على ذلك "هذه الفتاة ليست محجبة لكنها أحسن من تلك المحجبة"!!!، في مغالطات وتبريرات ساذجة!، ومحاولات بائسة لتبرير التبرج أو التقليل من هذا الخطأ والشعور بالذنب!، فإن كنا لا ندرك ما في القلوب، وليس إلينا حساب الناس، فإننا نلتزم بهذا، ونلتزم أيضًا بأن الله -سبحانه وتعالى- أمر المرأة بالحجاب، فمن التزمت بالحجاب هي أفضل ممن لم تلتزم به!، لأنها قامت بما أمرت، ومن تبرجت عصت وعتت عن أمر ربها!، وكذلك أمر الشاب الذي صان

(١) الراوي: عبد الله بن عمرو | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٣٤٢٠ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

نفسه وحصن فرجه وأقام صلاته وصيامه، فهو أفضل من ذلك الذي يتتبع عورات المسلمين وينتهك أعراضهم، وأفضل ممن لم يقم صلاته وصيامه!، **وهذا كله لأن الأول أقام ما أُمر به، والثاني عصى الله وعتا عن أمره -والعياذ بالله-!، والعجيب أن من يقول مثل هذا القول يريد أن ينفي طهارة الباطن عمن استقام ظاهره!، وفي ذات الوقت، لا يريد أن يسقط دنس الظاهر على باطن من ضل وعصى! فسبحان الله كيف يحكمون!**، وهنا ننوه إلى نقطة مهمة، أن من التزم بأمر ربه فعليه أن يسعى لأن يأخذ بيد صاحبه الذي عصى حتى يعود إلى أمر الله -سبحانه وتعالى-، وإن كان ما وقع به من الخطأ قد أقره، فذلك ليس مثل من أنكر معلومًا بالدين بالضرورة لأجل هواه!، ومن هذا من يقارن المسلمين المتقين بالكافرين الفجار!، ومن الآيات الجميلة في هذا المعنى، قوله تعالى في سورة ص: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾، فاللهم اجعلنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ونعوذ بك من أن نكون من الفجار، ولا حول ولا قوة إلا بك.

ملاحظة: الحجاب المقصود فيه في المثال أعلاه هو اللباس الشرعي وليس غطاء الرأس!، كما أن التفضيل المقصود في هذه النقطة هو ما ظهر من الأقوال والأفعال والتي تعكس أعمال القلوب، أما حساب القلوب وتفضيل الأشخاص بأعيانهم عند الله -سبحانه وتعالى- فهذا من أمر الله -سبحانه وتعالى- وحده!، ستر الله علينا وعلى جميع المسلمين.

٩٣٨. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- يحب العبد الذي يجتهد بالطاعة، ويبذل قوته في سبيلها، ويبتعد عن أسباب ضعف الطاعة وفتور الهمة كالكسل أو إهدار الوقت!، ومما يقوي هذا المعنى ما ذكره رب العزة -جل في علاه- في سورة ص: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٥﴾ ﴾، وقال

تعـالى: ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ١٧﴾، قـال السـعدي -رحمه الله-: "ومن أعظم العابدين، نبي الله داود عليه الصلاة والسلام ﴿ذَا الْأَيْدِ﴾ أي: القـوة العظيمـة علـى عبـادة الله تعـالى، في بدنـه وقلبـه. ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ أي: رجَّـاع إلـى الله في جميـع الأمـور بالإنابـة إليـه، بالحـب والتألـه، والخـوف والرجـاء، وكثـرة التضـرع والـدعاء، رجـاع إليـه عنـدما يقـع منـه بعـض الخلـل، بـالإقلاع والتوبـة النصوح."[١]، لـذلك يـا أخـي، احـرص علـى الاجتهـاد علـى الطاعـة، واحـرص علـى الإنابة والعودة لله -سبحانه وتعالى- في جميع أوقاتـك وفي كـل أحوالـك!، ولا حـول ولا قوة إلا بالله.

٩٣٩. يا أخي، إذا رزقك الله -سبحانه وتعالى- جمال الصـوت وعذوبتـه، فـلا تترك هذه النعمة تصبح هباءً منثورًا!، بل نمِ هذه النعمة الكريمة واحرص علـى إظهـار جمالها في تسبيحك لله -سبحانه وتعالى- وقراءة القرآن، واحذر من أن تضيعها علـى اللغو والغناء والغيبة والنميمة ونحوها!، ونستأنس هنا بما رواه أبـو موسـى الأشـعري -رضي الله عنه-: "أن النبي ﷺ قال له: يا أبا مُوسَى لقَدْ أُوتِيتَ مِزْمارًا مِن مَزامِيرِ آلِ داوُدَ"[٢]، فقد أثنى النبي ﷺ علـى أبي موسـى -رضـي الله عنـه- لحسـن صـوته بعـد سماعه لتلاوته للقـرآن الكـريم، وحسـن الصـوت لا يكـون إلا بحسـن الأداء، وحسـن الأداء يشمل الخشوع وحسن النطق بالحروف لتخرج مـن مخارجهـا بينـة واضـحة!،

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة ص | الجزء الثالث والعشرون | الآيـة ١٧ | الصـفحة ٧١١ | مؤسسـة الرسـالة | بيروت

(٢) الراوي: أبو موسى الأشعري | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٥٠٤٨ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

ولا يكون حسن الصوت بالتكلف في قراءة القرآن الكريم، ولا يكون بالانشغال بالمقامات الموسيقية ليقرأ بها القرآن الكريم! بدلًا من الاهتمام بالتجويد وقواعده، فيا لحظه من رزقه الله -سبحانه وتعالى- نعمة فأدى حقها ونفع بها وانتفع منها!، والحمد لله رب العالمين، ولأحكام قراءة القرآن الكريم بما يسمى بالمقامات الموسيقية يرجع لكتب الفقه وأهل الاختصاص.

٩٤٠. فلْتعلمْ يا أخي أن هناك عبادة تخفى عن كثير من الناس!، وهي العبادة التي يختلي بها الإنسان مع ربه، فيتضرع له ويسبحه ويذكره كثيرًا!، ويقيم ما شاء الله -سبحانه وتعالى- له من صلاة وقيام!، هذه العبادة تقدم معنى رائعًا ومنفعة عظيمة لصاحبها، أهمها الإخلاص لله -سبحانه وتعالى-، ودفع الدنيا وسبلها وطلب الآخرة!، وهذا معنى مهم!، أن تدفع الدنيا عنك فلا تشغل قلبك، ومن أعانه الله -سبحانه وتعالى- على مثل هذه العبادة وفق لخير عظيم، لأن أصفاد الدنيا لن تستطيع تكبيل من أخلص قلبه لله -سبحانه وتعالى-!، وهذا ما نشاهده جليًا في قوله تعالى في سورة ص: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾﴾، أي أن الخصمان احتاجا لأن يتسوروا المحراب ليصلوا لداود -عليه السلام- في محرابه وخلوته مع ربه -عز وجل-!.

٩٤١. يا أخي، إياك أن تدعي أمرًا ليس لك، ولا أن تقول قولًا من تلقاء نفسك بلا علم!، وإياك أن تحمل نفسك على إتيان ما يشق عليها، لأن هذا كله من التكلف المذموم!، **وعادة ما يراد من التكلف منفعة، إما اقتصادية وإما نفسية وإما اجتماعية!، فالاقتصادية هي كل تكلف لأجل كسب مادي، كأن يتكلف أحدهم ليحصل على حفنة من الدراهم أو يحقق عملية "نصب" ناجحة، وأما النفسية فهي تكلف ليشبع**

نفسه المريضة وليعطيها شعورًا أفضل من حقيقتها، وعادة ما يرتكب هذا جاهل أو كسول!، وذلك لرغبته في تحقيق ما ليس عنده دون جهد وعناء أو بجهل وكل ذلك لإثبات الذات!، أما الاجتماعية فهي التكلف لغرض الظهور اجتماعيًا بين الناس، في منظر المثقف أو العالم أو المفكر أو "الفهمان" أو "الثري الإتيكيت"، وكل هذا مما يذم صاحبه عليه، بل إنه من قبيح الأفعال، وقد تجتمع في نفس المتكلف رغبة في تحقيق المنافع كلها أو ما قدر على تحصيله منها!، وعادة ما يسقط هؤلاء من أعين الناس سريعًا عند أول مطب، وعادة لا يهتم بأمرهم إلا جاهل أو ممن هو على حالهم! لذلك يا أخي، **لا تتكلف لتعيش في غير واقعك، ولا تتكلف بما ليس عندك به علم، ولا تتكلف في إكرام ضيفك بطريقة لا تقدر عليها، ولا تتكلف في إظهار نفسك، ولا تتكلف طلبًا لرضا الناس!**...إلى آخره، لأن ذلك كله سيعود بالسوء عليك قبل غيرك، وأول من سيذمك هو من تكلفت أمامه أو لأجله أو من أقرب الناس إليك!، لذلك، استقم كما أمرت، ولا تحمل نفسك ما تطيق، واتق الله -سبحانه وتعالى- في قولك وعملك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٩٤٢. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- أمرنا بالإخلاص في عبادته، فلا نشرك معه أحدًا، فهو ملك الملوك، الذي إذا عبدناه لم نحتج لا لوسيط ولا لشفيع ولا لشريك!، يعلم ما تخفي الصدور وما يظهر منها، ولا يقبل أن يشرك به ولو بمثقال ذرة، أيُشرك بالله -سبحانه وتعالى- وهو الخالق العظيم؟!، أيُدعى له ولد -سبحانه- وهو الواحد القهار؟!، سبحان الله عما يصفون!، هذه النقطة تقودنا إلى نقطة مهمة جدًا، وهي: إن كان الله -سبحانه وتعالى- أمرنا أن نعبده مخلصين له الدين، فهذا يعني أن المركزية التي يجب أن ينطلق منها الإنسان هي دين الله -سبحانه وتعالى- الذي أنزله لنبيه -عليه الصلاة والسلام-، فما أمر به أتينا، وما نهانا عنه اجتنبنا!، فإن

قصرنا في تأدية ما أمرنا به أو فعلنا ما نهينا عنه أقررنا وشهدنا على أنفسنا بالضعف والتقصير والذنب، وشحذنا الهمم لنمتثل لما أمرنا به، ولما خلقنا لأجله!، وهذا عكس من يجعل مركزيته التي ينطلق منها أي شيء آخر غير دين الله -سبحانه وتعالى-، وأشهر ما نراه من أمثلة في وقتنا الحالي هي مركزية الإنسان أو الوطن أو العشيرة...إلى آخره!، **فمن قال بمركزية الإنسان جعل الإنسان هو الحكم الذي تتمحور الدنيا لأجله ومن خلاله!، وأصبحت العقائد الحقيقة والأفكار العظيمة لا قيمة لها إن لم يكن لها أتباع يؤمنون بها، وقد تكون قصة الشواذ وما حصل من معطيات لها في الغرب خير دليل على هذا!**، أما الوطن والعشيرة وغيرها، فهي أيضًا مما يتمركز حوله كثير من الناس بداعي الإيمان بالدستور الذي سيحمي حقه!، أو بداعي العشيرة التي تسند ظهره!، وكلا الأمرين لا يخرج عن منفعة "قد" تتحقق لصاحبها على حساب كثير من المظلومين!، **فكثير ممن يؤمن بالدستور يجد نفسه أمام الحائط عند مواجهة مشكلات مع دساتير أخرى!، فأيهما صاحب الحق؟!، ومن الظالم ومن المظلوم؟!، فما الذي سيجعل من هتلر سفاحًا لولا أنه هزم؟!، وأما من مركزيته العشيرة تراه ينصر ابن عشيرته في ظلمه وفي مظلمته!، ويتبع جموعهم بلا عقل ولا بصر!**، وكل هذا وغيرهم لا يخرج منهم إلا قيح؛ يشمئز لأجله من يصيبه ومن يراه!، **أما من جعل الله -سبحانه وتعالى- وما أمر به في صميم قلبه ومركزه، لن يهمه رضا الناس وغضبهم!، يتبع الحق ولا يبالي أكان مع "دستوره" أو "عشيرته" أو "قومه" أو "إنسانيته"...إلى آخره**، والعامل المشترك بينهم أن كل هذه المركزيات من أفكار البشر العاجزة والناقصة والضعيفة، بينما مركزية الدين الذي ارتضاه الله -سبحانه وتعالى- لعباده كاملة لا نقص فيها ولا اختلال، لأنها من القوي العظيم العزيز الحكيم!، فسبحان من هدى عباده للعزة ولما فيه صلاحهم!، ويا عجبا لمن

رضي بحكم البشر ولم يرضَ بحكم رب البشر!، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، قال تعالى في سورة الزمر: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ۝٣﴾، وقال تعالى في سورة غافر: ﴿قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦٦﴾.

٩٤٣. قال تعالى في سورة الزمر: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٩﴾، هذه الآية العظيمة الجليلة، من الآيات التي تطمئن النفوس بها، وتحثها على الاجتهاد في طاعة الله -سبحانه وتعالى-، تبين للإنسان ما يجب عليه أن يكون، فحاله بين الخوف والرجاء، **وتخبر المؤمن القانت لله -سبحانه وتعالى- بأن مثله ليس كمَثل الكافر، وليس كمَثل العاصي، وليس كمَثل من اتبع هواه!، فهل من يعلم كمن لا يعلم؟! وهل من يعمل كمن لا يعمل؟!**، ومن المعاني الجميلة في هذه الآية الكريمة ما ذكره ابن كثير -رحمه الله-: "وقوله: (يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) أي: في حال عبادته خائف راج، ولا بد في العبادة من هذا وهذا، وأن يكون الخوف في مدة الحياة هو الغالب؛ ولهذا قال: (يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه)، فإذا كان عند الاحتضار فليكن الرجاء هو الغالب عليه"[(١)]، وهذا فيه لفتة طيبة، **وهي أن الإنسان إن اجتمع في قلبه الخوف والرجاء عمل بهما هربًا من العذاب الشديد ورغبة**

---

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٦١٦ | تفسير سورة الزمر | الآية ٩ | دار ابن حزم | بيروت

في الثواب الجزيل!، فمن كان هذا حاله سبق خوفه رجاءه، فلما سبقه الخوف، عمل واجتهد فازداد ثوابه -بإذن الله تعالى-، ثم إن كان الموت واقترب الأجل، تجد المؤمن القانت لربه -عز وجل- يرجو رحمة ربه -عز وجل-، وهو محسن الظن به، وبالله وتالله لن يخلف الله وعده، وهو الحق وقوله الحق!، ومن المعاني الجميلة أيضًا ما ذكره السعدي -رحمه الله-: "هذه مقابلة بين العامل بطاعة الله وغيره، وبين العالم والجاهل، وأن هذا من الأمور التي تقرر في العقول تباينها، وعلم علمًا يقينًا تفاوتها، فليس المعرض عن طاعة ربه، المتبع لهواه، كمن هو قانت أي: مطيع للّه بأفضل العبادات وهي الصلاة، وأفضل الأوقات وهو أوقات الليل، فوصفه بكثرة العمل وأفضله، ثم وصفه بالخوف والرجاء، وذكر أن متعلق الخوف عذاب الآخرة، على ما سلف من الذنوب، وأن متعلق الرجاء، رحمة الله، فوصفه بالعمل الظاهر والباطن. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ ربهم ويعلمون دينه الشرعي ودينه الجزائي، وما له في ذلك من الأسرار والحكم ﴿وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ شيئًا من ذلك؟ لا يستوي هؤلاء ولا هؤلاء، كما لا يستوي الليل والنهار، والضياء والظلام، والماء والنار. ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ إذا ذكروا ﴿أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أي: أهل العقول الزكية الذكية، فهم الذين يؤثرون الأعلى على الأدنى، فيؤثرون العلم على الجهل، وطاعة الله على مخالفته، لأن لهم عقولًا ترشدهم للنظر في العواقب، بخلاف من لا لب له ولا عقل، فإنه يتخذ إلهه هواه."(١)، وهذه رسالة طيبة لشباب المسلمين في هذه الأيام المليئة بالفتن!، لا تنخدع بما يروجه الإعلام وشيوخ السلطان، ولا تتكل على ما سمعت بلا عمل ولا طاعة، متبعًا هواك بغير حق ولا علم ولا دليل!، تأخذ بظاهر نص وتترك جملة

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الزمر | الجزء الثالث والعشرون | الآية ٩ | الصفحة ٧٢٠ | مؤسسة الرسالة | بيروت

النصوص التي جاءت في نفس الباب، تترك العمل والطاعة لله -سبحانه وتعالى- متذكرًا رحمته -سبحانه- متناسيً عذابه وغضبه!، **وانظر لحالك وحال الأنبياء، وانظر رجاءك من رجائهم، وعملك من عملهم، وطاعتك من طاعتهم، وتوبتك من توبتهم، وذنبك من ذنبهم...إلى آخره، ثم انظر لحالك وحالهم، انظر كيف كانت قلوبهم وأجسادهم مقبلة على الآخرة، ومع ذلك لم يركنوا كما ركنت أنت!، ولم يجلسوا كما جلست أنت!، ولم يتمنوا على الله -سبحانه وتعالى- الأماني وأنت تتمنى!، وانظر لمن تشبه بهم جيلًا بعد جيل، كيف كان حالهم وكيف كانت همتهم!،** انظر للصحابة -رضوان الله عليهم-، انظر لعلماء الأمة ورموزها، انظر لقادتها وأصحاب العدل والجهاد فيها!، هل ترى منهم من ألقى الأماني بلا عمل؟!، قال ابن القيم -رحمه الله-: "كذلك كلُّ من بَشَّرَهُ رسولُ الله ﷺ بالجنة أو أخبره بأنَّه مغفورٌ له؛ لم يَفْهَمْ منه هو ولا غيرُه من الصحابة إطلاق الذنوب والمعاصي له ومُسامَحتَهُ بترك الواجبات، بل كان هؤلاء أشدَّ اجتهادًا وحذرًا وخوفًا بعد البشارة منهم قبلَها؛ كالعشرةِ المشهودِ لهم بالجنة، وقد كان الصدِّيقُ شديد الحذَر والمخافةِ، وكذلك عمرُ؛ فإنَّهم علموا أن البشارة المطلقة مقيَّدةٌ بشروطها والاستمرار عليها إلى الموت، ومقيَّدةٌ بانتفاءِ موانِعها، ولم يَفهمْ أحدٌ منهم من ذلك الإطلاقَ والإذنَ فيما شاؤوا من الأعمال"(١)، فهؤلاء المبشرون بالجنة -رضوان الله عليهم- لم يركنوا للأماني ولم يتركوا العمل! بل حرصوا واجتهدوا أشد الحرص على حفظ هذه النعمة!، لذلك يا أخي، طهّر قلبك وعقلك واسعَ لأن تكون من أولو الألباب، الذين يؤثرون العلم على الجهل، والعمل على الكسل، وطاعة الله -سبحانه وتعالى- على الهوى!،

---

(١) كتاب الفوائد | ابن القيم الجوزية | الصفحة ٢٣ | ليس المقصود من البشارة بالجنة لأحد إطلاق الذنوب والمعاصي له | دار عالم الفوائد

فسبحان الله الهادي العظيم، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

٩٤٤. فلْتعلمْ يا أخي أن أصحاب العقول الذكية والنيرة؛ يتبعون أحسن ما يصل إليهم من القول، ويتجاهلون قبيح ما يصل إليهم!، وهذه نعمة عظيمة، وهداية وتوفيق من الله -سبحانه وتعالى-!، قال تعالى في سورة الزمر: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾، والسماع هنا يلزمه تعقل، هذا التعقل هدفه فرز ما يصل إلى الأذن، فيسمع عقله وقلبه أحسن الحديث، ويرفض عقله قبيح الكلام فلا يسمح له بمخالطته!، ولا ينطق به لسانه، ولا تعمل به جوارحه!، فمن كان هذا منهجه نال خيرًا عظيمًا -بإذن الله تعالى-، ولم يكن إمعة ولا معزة في قطيع الظلام والتافهين والسفهاء ومن شاكلهم!، فاللهم هدايتك وتوفيقك! ولا حول ولا قوة إلا بك.

٩٤٥. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- لم يدع لنا أمرًا من أمور الدنيا إلا وأرشدنا لكل خير فيه!، ومن الخير الذي عُلمنا بفضل الله -سبحانه وتعالى- سنن النوم!، فالإنسان إذا ذهب إلى النوم تجهز للموت، واستعد للقاء الله -سبحانه وتعالى-، فإن أحياه الله -سبحانه وتعالى-؛ حمده وأثنى عليه!، ألم تسمع قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾، ألم ترى أن الموت الأصغر هو النوم؟!، وألم ترى أن الموت الأكبر هو ما قبضته الملائكة الكرام -عليهم السلام- من بدنك؟!، ألا تستبشر بلقاء الله -سبحانه وتعالى- فتحرص على لقائه؟!، ألا تستعد للقاء الحبيب المصطفى ﷺ والأنبياء عليهم السلام-؟! ألا تستعد للقاء الصديقين والشهداء والصالحين؟!، ألا تستعد للقاء الأحبة؟!، ألا تستبشر بنعيم الله ورضاه؟!، ألا تخشى

عذاب الله -سبحانه وتعالى- وسخطه -والعياذ بالله-؟!، فسبحان من خلق الحياة والموت، سبحان من أرانا الموت الأصغر، وسبحان من أحيانا بعده، فكأننا نرى البعث بعد الموت الأكبر!، فيا رَبِّ، رحمتك الواسعة!، ومن السنن التي أخبرنا بها حبيبنا المصطفى ﷺ: "إذا أَوَى أَحَدُكُمْ إلى فِراشِهِ، فَلْيَنْفُضْ فِراشَهُ بداخِلَةِ إزارِهِ؛ فإنَّه لا يَدْرِي ما خَلَفَهُ عليه، ثُمَّ يقولُ: باسْمِكَ رَبِّ، وضَعْتُ جَنْبِي، وبِكَ أرْفَعُهُ، إنْ أمْسَكْتَ نَفْسِي فارْحَمْها، وإنْ أرْسَلْتَها فاحْفَظْها بما تَحْفَظُ به عِبادَكَ الصَّالِحِينَ."(١)، هذه السنة العظيمة ترشدك لحفظ بدنك وحفظ روحك!، فحفظ بدنك بما ذكره الحبيب المصطفى -عليه الصلاة والسلام- من نفض الفراش، وحفظ الروح يكون باستوداعها عند خالقها الرحيم!، فسبحان من أرشدنا للهدى في أمور أخرانا ومعاشنا!، وروى حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه-: "كانَ النبيُّ ﷺ إذا أوَى إلى فِراشِهِ، قالَ: باسْمِكَ أمُوتُ وأَحْيا وإذا قامَ قالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ الذي أحْيانا بَعْدَ ما أماتَنا وإلَيْهِ النُّشُورُ."(٢)، وهذا فيه حمد لله -سبحانه وتعالى- على ما أنعم علينا فأحيانا ليوم جديد!، حمدًا لله -سبحانه وتعالى- لأنه أعطاك فرصة أخرى لتزيد من عملك الصالح، وتستغفر عن عملك الطالح!، وتسأل الله -سبحانه وتعالى- كل خير، وتعوذ به من كل شر!، فسبحان من أحيا وأمات!، اللهم لا تجعل نفوسنا إلا طيبة، في أجساد طيبة، لا تخرج إلا حميدة، مبشرة بروح وريحان، ورب غير غضبان، برحمتك

---

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٣٢٠ | خلاصة حكم المحدث: [أورده في صحيحه] وقال: تابعه أبو ضمرة وإسماعيل بن زكرياء عن عبيد الله. وقال يحيى بن سعيد وبشر عن عبيد الله عن سعيد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ. ورواه مالك وابن عجلان عن سعيد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

(٢) الراوي: حذيفة بن اليمان | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٣١٢ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

يا أرحم الراحمين يا الله.

٩٤٦. قال تعالى في سورة الزمر: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾، هذه الآية العظيمة تخبرنا عن حال كثير من الناس في هذه الأيام، فما أن تذكر لا إله إلا الله، وما أن تتبع أوامره، وما أن تقول قال الله - سبحانه وتعالى- أو قال رسول الله ﷺ إلا انقبضت قلوبهم ونفروا من قولك!، وإن حدثتهم فقلت لهم آخر "موضة" وآخر "صيحة" وآخر ما قاله "العالم" سين وصاد فرحوا واستبشروا!، وسبحان الله العظيم، وكأن التاريخ يعيد نفسه!، فلم يختلف الحال كثيرًا عما كان عليه كفار قريش!، وإنما اختلفت الرموز، **فبدلًا من عبادة صنم من حجارة عُبدت رموز باسم العلم -والعلم بريء منهم-!، بل صاروا دينًا!، واتبعوا "الموضة" بكل ما فيها من قبح كما اتبع الكفار "هُبل" بكل ما فيه من عجز!**، هؤلاء تجدهم يصرخون في كل مناسبة تمكنهم من إبراز حقدهم وغلهم ويسارعون إليها، فإن خاب مرادهم ذُلوا واسودت وجوههم واختبأوا وكأن على رءوسهم الطير!، فسبحان الله العظيم، الذي خلقنا لعبادته، وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين، فكانت هدايته وحكمته البالغة طريق لأصحاب العقول الذكية والنيرة، ولأصحاب القلوب الصافية الطيبة!، فاللهم اجعلنا برحمتك ممن هديت وبغّض إلينا الكفر والفسوق وسفاسف الدنيا وكل تفاهة فيها!، ولا حول ولا قوة إلا بك.

٩٤٧. فلْتعلمْ يا أخي أنك مهما أسرفت على نفسك من الذنوب والمعاصي، ومهما فعلت من الآثام، فإن لك باب إياك أن تُغلقه أو تخسره!، وهو باب الإنابة إلى الله -سبحانه وتعالى-!، ألم تسمع قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ

ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾، هذه الآية الكريمة فيها من الرحمة ما فيها!، فهذه الآية الكريمة؛ دعوة من الله -سبحانه وتعالى- لعباده لأن يغفر لهم؛ إن تابوا وأصلحوا حتى وإن كانت خطاياهم كزبد البحر!، وهذا من فضل الرحمن على عباده!، وفي هذا القول حكمة عظيمة لأصحاب القلوب الزكية!، فإياكم يا أصحاب القلوب الزكية أن تقولوا على الله -جل في علاه- ما ليس لكم به!، كأن تقولوا "والله لن يغفر الله -جل في علاه- لفلان"، أو "والله لا يدخل الجنة إلا إذا دخلها إبليس"...ونحو هذا القول!، وتذكروا ما رواه جندب بن عبد الله، أن الرسول ﷺ حدث أن رجلًا "قال: واللهِ لا يَغْفِرُ الله لِفُلانٍ، وإنَّ الله تَعالَى قالَ: مَن ذا الذي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أنْ لا أغْفِرَ لِفُلانٍ، فإنِّي قدْ غَفَرْتُ لِفُلانٍ، وأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ، أوْ كما قال"(١)، فإنكم لا تدرون أيكم أحق بها من صاحبه!، والله -سبحانه وتعالى- هو الحكيم العدل المتصرف بعباده من مقتضى عدله وحكمته!، لذلك، ادعُ الله -سبحانه وتعالى- أن يغفر لك، وأن يقيك كبائر الذنوب، وأن يغفر لك صغارها، وارجُ الهداية لغيرك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ملاحظة: أحسن الظن بربك؛ رب العزة -جل في علاه-، وكن توابًا ممتنعًا عن الذنب إذا أيقنت رحمة الله -سبحانه وتعالى- ووصلتك نفحاتها، وإياك أن تنوي فعل الذنوب ثم التوبة مستقبلًا كإخوة يوسف -عليه السلام-، فإنك لا تدري أستلحقك تلك التوبة أم ستفنى وأنت على ذنبك!، والأمر كله لله -جل في علاه-، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٩٤٨. سبحان الخالق العظيم القدير، الذي خلق هذا الكون المعجز، الذي

---

(١) الراوي: جندب بن عبدالله | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٦٢١ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

خلقنا فيه لغاية عظيمة ولم نخلق عبثًا -سبحانه وتعالى وجل وعز بقدرته-، كلما قرأنا أكثر، ورأينا الأساليب التي طرحها البشر؛ لحل المشاكل التي تواجههم في عمارة هذه الأرض، وجدنا أثرًا لعظمة الله -سبحانه وتعالى- وقدرته، فتخيل من هذا المنطلق أنك مبرمجًا أو مطور تطبيقات، ونظرت في خلق الله -سبحانه وتعالى- وأردت تنفيذ محاكاة لما خلقه الله -سبحانه وتعالى-، فما أن تفكر في هذا إلا وستجد نفسك عاجزًا متعجبًا من قدرة الله -سبحانه وتعالى- العظيمة، والتي ستقودك ليقين عظيم؛ بأنه لا يمكن لأي أسلوب من أساليب البشر أن يحاكي الخلق بتعقيداته ومن دون أي خطأ!، وهذا كله عدا عن برمجة ومحاكاة ما خلقه رب العزة جل في علاه!، فكيف ينفي من أدرك هذا وجود خالق عظيم عليم قدير؟!، سبحان الله عما يصفون!، وسبحان من قال في كتابه العزيز في سورة يس: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ وقال تعالى في سورة الملك: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾، لذلك يا أخي، انظر إلى خلق الله -سبحانه وتعالى-، وتفكر وتدبر، ثم أحسن، وإحسانك سيكون نابعًا من شعورك بعظمة الله -سبحانه وتعالى-، والذي سيقودك لعبادته والامتثال لأوامره، وسيقودك لعمارة الأرض والتي بها تتحقق المنفعة للبشر!، فالحمد لله رب العالمين.

٩٤٩. قال تعالى في سورة غافر: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٤﴾﴾، قال السعدي -رحمه الله-: "يخبر تبارك وتعالى أنه ما يجادل في آياته إلا الذين كفروا والمراد بالمجادلة هنا، المجادلة لرد آيات الله ومقابلتها بالباطل، فهذا من صنيع الكفار، وأما المؤمنون فيخضعون لله تعالى الذي يلقي الحق ليدحض به الباطل، ولا ينبغي للإنسان أن يغتر بحالة الإنسان الدنيوية،

ويظن أن إعطاء الله إياه في الدنيا دليل على محبته له وأنه على الحق ولهذا قال: ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ أي: ترددهم فيها بأنواع التجارات والمكاسب، بل الواجب على العبد، أن يعتبر الناس بالحق، وينظر إلى الحقائق الشرعية ويزن بها الناس، ولا يزن الحق بالناس، كما عليه من لا علم ولا عقل له."[1].

٩٥٠. فلْتعلمْ يا أخي أن يوم القيامة قد اقترب!، ويوم موتك قد قرب!، فاصنع لمثل هذا اليوم ما شئت!، لكن؛ كن على يقين بأن ما تصنع ستحاسب عليه بلا ظلم!، فإياك ثم إياك من طول الأمل وقصر العمل، واعلم أن الموت قد اقترب أكثر فأكثر، ويومك الذي مضى، ولحظاتك التي مرت نقصت من عمرك الذي قُدر لك، فاقتربت أكثر من الموت، واقتربت أكثر من يوم القيامة -اللهم نعوذ بك من أهوالها-، ألم تسمع قوله تعالى في سورة غافر: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾، وقوله في سورة الأنبياء: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾، وقوله في سورة القمر: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾، آيات عظيمة جليلة، ترتجف القلوب منها!، وأسألك، ألم يرتجف قلبك لعظم هذا اليوم، وعظم هذه الساعة؟!، ألم تدرك أنك لم تخلق عبثًا؟!، ألم تدرك أن الدنيا دار مقام وأن الآخرة دار القرار؟!، ألم تدرك أن هذه الدنيا بما فيها لا تساوي شيئًا أمام نعيم الآخرة وجحيمها -والعياذ بالله من جحيمها-؟!، ألم تدرك أن أجلك قد شارف على الانتهاء، أفلا تحسن؟!، إن أدركت ما أصبو إليه، فاعمل واسعَ واجتهد في الطاعات، وفي التوبة، وفي الكف عن المعاصي والشهوات،

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة غافر | الجزء الرابع والعشرون | الآية ٤ | الصفحة ٧٣٢ | مؤسسة الرسالة | بيروت

فإن فعلت، فأبشر برضى ورضوان من رب غير غضبان، ورحمة وسعت كل شيء، والأمر كله لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ملاحظة: إياك أن تظن أن عمل الخير والطاعات لا يقدر عليه إلا قلة من الناس، بل إن كل واحد منا له من سبل الخير ما يغنيه من الحسنات -بفضل الله سبحانه وتعالى-، فاسعَ ما استطعت وفيما استطعت، ولا تقلل من شأن عملك!، فإن العامل الذي يسعى في رزقه ورزق عياله محتسبًا لله -سبحانه وتعالى- عمله وجلده لله -سبحانه وتعالى-؛ فهو محسن، والذي يتقن عمله والذي يَصدق في عهده ووعده، والذي يذكر الله -سبحانه وتعالى- في كل فرصة قدر عليها، والذي يكرم زوجه، والذي يتبسم في وجه أخيه...إلى آخره، كلها من أعمال الخير والإحسان، وأقول لمن يرى من أمثال هؤلاء المحسنين، إياكم أن تزدروهم وتقللوا من شأن أعمالهم!، فإنهم أهل للخير، عظم عملهم وأثره -بإذن الله-، فلا تعينوا الشيطان عليهم!، ولا يغتر مغرور بما لديه من علم وعمل، فإنه لا يدري أيقبل منه أم لا -والعياذ بالله-!، فاللهم علمًا نافعًا، وعملًا متقبلًا.

٩٥١. إياك يا أخي من نظرة المسارقة!، ونظرة المسارقة هي تلك النظرة التي تخفيها عمن حولك وتتمنى أن يغفلوا عنك حتى ترى ما لا ينبغي لك أن تراه!، وهذا مثل النظر لفتاة أجنبية، فتتظاهر بغض البصر، لكن بصرك يسترق النظر إليها كلما سنحت له الفرصة!، وتسمى العين التي تسترق النظر إلى ما حُرم عليها بالخائنة، ألم تسمع قوله تعالى في سورة غافر: ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩ ﴾؟!، هذه الآية العظيمة أرشدتنا إلى معنى مهم، فحتى لو خدعت من حولك واسترقت النظر لما حرم عليك، فإن الله -سبحانه وتعالى- يعلم ما قلبك وما استرقت عينك!، وفي هذا قال ابن كثير -رحمه الله-: "وقوله: ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي

ٱلصُّدُورُ ﴾ يخبر تعالى عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء، جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها، دقيقها ولطيفها; ليحذر الناس علمه فيهم، فيستحيوا من الله حق الحياء، ويتقوه حق تقواه، ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه، فإنه تعالى يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة، ويعلم ما تنطوي عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر. قال ابن عباس في قوله: ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾ وهو الرجل يدخل على أهل البيت بيتهم، وفيهم المرأة الحسناء، أو تمر به وبهم المرأة الحسناء، فإذا غفلوا لحظ إليها، فإذا فطنوا غض، فإذا غفلوا لحظ، فإذا فطنوا غض بصره عنها وقد اطلع الله من قلبه أنه ود أن لو اطلع على فرجها"[1]، وهذا معنى خطير ومرعب!، وعلى من يجد في نفسه مثل هذه الآفة أن يهذب نفسه وعينه، ويسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يعينه على غض بصره وحفظ نفسه، وعليه ألا يترك نفسه للشهوات، وألا يطلق بصره فيما حرم الله -سبحانه وتعالى-، وعليه أن يستحيي من الله -سبحانه وتعالى- وأن يتذكر قوله تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾. فاللهم نعوذ بك من خائنة الأعين، ومما تخفي الصدور، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٩٥٢. قال تعالى في سورة غافر: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾، في هذه الآية الكريمة؛ قول يتكرر من ذلك الزمان وحتى نهاية الزمان!، ولا أجد داع للقول بأكثر من هذا!، فما تراه العين في زماننا أبلغ وأفصح من كل كلمة، **فما زال المفسدون يرمون أهل الحق بالفساد، ويسعون لقتلهم ما سنحت لهم الفرصة، وإعلامهم يصيح**

---

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٦٣٨ | تفسير سورة غافر | الآية ١٩ | دار ابن حزم | بيروت

بتخويف العوام منهم!، سبحان الله!، وقد سبق القول في مثل هذا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٩٥٣. يا أخي، لا تترك نصيبك من الدعاء مهما مضى ومهما جرى!، فلا يذهب يومك بلا دعاء تدعو به الله -سبحانه وتعالى-، ألا تحب أن يستجاب لك؟!، ألا تحب رضا الله -سبحانه وتعالى-؟!، ألم تسمع قوله تعالى في سورة غافر: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾، وقال تعالى في نفس السورة: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾، فيا أخي الحبيب، حتى ولو ملكت الدنيا بما فيها، لا تبخل على نفسك بالدعاء!، فأنت بحاجة له، فما دوام الخير إلا بيد الله -سبحانه وتعالى-، وما الأمر إلا أمر الله -سبحانه وتعالى-!، أو لا يكفيك أنك عبد لله -سبحانه وتعالى-؟!، ألا ينبغي لهذا العبد أن يسأل ربه -عز وجل- حاجته ورضاه؟!، فاللهم رحمتك نرجو، ولا حول ولا قوة إلا بك.

٩٥٤. فلْتعلمْ يا أخي أن تزيين المنكر أخطر من المنكر ذاته!، وأخطر ما في تزيين المنكر هو ذهاب الخوف أو الشعور بالذنب من قلب صاحبه، وتسهيل ذلك المنكر على غيره وتحبيبه إليه!، فاحذر من تزيين المنكر، وأقر بذنبك، وتب إلى الله -سبحانه وتعالى-، فإن لم تستطع، فلا تبرر ولا تزين ما وقعت فيه من منكر!، وذلك على أقل تقدير!، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٩٥٥. قال تعالى في سورة فصلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾، هذه الآية الجليلة، فيها من النعيم ما يفرح القلوب، ويدخل

السرور إلى مهجتها!، فهذه بشرى من الله -سبحانه وتعالى- لمن قال ربي الله -جل في علاه- ثم استقام كما أمر. قال السعدي -رحمه الله-: "يخبر تعالى عن أوليائه، وفي ضمن ذلك، تنشيطهم، والحث على الاقتداء بهم، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا الله ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ أي: اعترفوا ونطقوا ورضوا بربوبية الله تعالى، واستسلموا لأمره، ثم استقاموا على الصراط المستقيم، علمًا وعملاً، فلهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة. ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ الكرام، أي: يتكرر نزولهم عليهم، مبشرين لهم عند الاحتضار. ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾ على ما يستقبل من أمركم، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما مضى، فنفوا عنهم المكروه الماضي والمستقبل، ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فإنها قد وجبت لكم وثبتت، وكان وعد الله مفعولاً."(١)، وقال ابن كثير -رحمه الله-: "وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عبد السلام بن مطهر، حدثنا جعفر بن سليمان: سمعت ثابتًا قرأ سورة " حم السجدة " حتى بلغ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ فوقف فقال: بلغنا أن العبد المؤمن حين يبعثه الله من قبره، يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا، فيقولان له: لا تخف ولا تحزن، ﴿وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴾ قال: فيؤمن الله خوفه، ويقر عينه فما عظيمة يخشى الناس يوم القيامة إلا هي للمؤمن قرة عين؛ لما هداه الله، ولما كان يعمل له في الدنيا. وقال زيد بن أسلم: يبشرونه عند موته، وفي قبره، وحين يبعث. رواه ابن أبي حاتم. وهذا القول يجمع الأقوال كلها، وهو حسن

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة فصلت | الجزء الرابع والعشرون | الآية ٣٠ | الصفحة ٧٤٨ | مؤسسة الرسالة | بيروت

جدًا، وهو الواقع."[١]، وقال البغوي -رحمه الله-: "قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ سئل أبو بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه - عن الاستقامة فقال: ألا تشرك بالله شيئًا. وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: "الاستقامة" أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعلب. وقال عثمان بن عفان - رضي الله عنه -: أخلصوا العمل لله. وقال علي - رضي الله عنه -: أدوا الفرائض. وقال ابن عباس: استقاموا على أداء الفرائض. وقال الحسن: استقاموا على أمر الله تعالى فعملوا بطاعته، واجتنبوا معصيته. وقال مجاهد وعكرمة: استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله."[٢]، وقال القرطبي -رحمه الله-: "وقال وكيع وابن زيد: البشرى في ثلاثة مواطن: عند الموت، وفي القبر، وعند البعث. "ألا تخافوا" أي بألا تخافوا، فحذف الجار. وقال مجاهد: لا تخافوا الموت. وقال عطاء بن أبي رباح: لا تخافوا رد ثوابكم فإنه مقبول، وقال عكرمة ولا تخافوا إمامكم، ولا تحزنوا على ذنوبكم. ولا تحزنوا على أولادكم، فإن الله خليفتكم عليهم. وقال عطاء بن أبي رباح: لا تحزنوا على ذنوبكم فإني أغفرها لكم. وقال عكرمة: لا تحزنوا على ذنوبكم. وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون."[٣]، هذه الأقوال جميعها يجمع بينها البشرى العظيمة، الذي ما أن تسمعه القلوب إلا وطارت به فرحا، واطمأنت بنسماته،

---

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٦٥٧ | تفسير سورة فصلت | الآية ٣٠ | دار ابن حزم | بيروت

(٢) كتاب معالم التنزيل (تفسير البغوي) | أبي محمد البغوي | المجلد السابع | تفسير سورة فصلت | الصفحة ١٧٣ | الآية ٣٠ | دار طيبة | الرياض

(٣) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ١٨ | الصفحة ٤١٧ | تفسير سورة فصلت | الآية ٣٠ | مؤسسة الرسالة | بيروت

وازدادت يقينًا برحمة الله -سبحانه وتعالى-، وأحسنت الظن في بارئها -عز وجل-!، ثم اتبع رب العزة -جل في علاه- البشرى بالبشرى، فقالت الملائكة: ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾، فاللهم ارزقنا حسن الظن بك، وارزقنا الاستقامة، وارزقنا الخضوع لك كما ينبغي لجلالك وعظيم سلطانك، وبشرنا برحمتك بجنة الفردوس يا أرحم الراحمين يا الله.

٩٥٦. يا أخي، هل تعلم من هم أحسن الناس؟، أحسن الناس هم الذين يدعون إلى الله -سبحانه وتعالى- ويعملون صالحًا فيجتمع لهم القول الحق والعمل بما قالوا من الحق، فبادر بنفسه وامتثل، ودعا الناس إلى ما امتثل في طاعة الله -سبحانه وتعالى- وبما علم من الحق!، وشرار الناس هم أضداد الفئة الأولى، فهم يدعون للشر ويعملون به!، وبين هؤلاء وهؤلاء درجات كثيرة، كلما قرب صاحبها للأحسن كان أفضل ممن هو أدناه!، ألم تسمع قوله تعالى في سورة فصلت: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾، وأولى الناس بهذا، الحبيب المصطفى ﷺ، فهو خير من دعا الناس إلى رب الناس، وخير من اهتدت نفسه فعمل فيما قال، وأحسن، فكان خير الناس إحسانًا!، لذلك يا أخي، هذّب نفسك لتقول خير الكلام، وأن تعمل بخير ما قلت، واسأل الله -سبحانه وتعالى- الهداية والهدى، وقل أنا من المسلمين!، بكل فخر واعتزاز، والحمد لله رب العالمين.

٩٥٧. يا أخي، قبل أن تبدأ العداء والخصام، جرب أن تدفع هذا الخصام وهذا العداء بكلمة طيبة، أو بعمل طيب، لعل فعلك هذا يُذهب شرًا أو مكرًا لا تدري أثره وحجمه!، بل قد يكون فعلك هذا طريق لبناء قلوب محبة وصافية، خالية من كل

شحناء وبغضاء!، ولا تظن يومًا أن هذا الأمر سهل المنال!، بل هو مما يحتاج إلى صبر وعزيمة ونفس صادقة، فمن فعل هذا حاز نصيبًا وافرًا من سعادة الدنيا والآخرة، وكان عدوهم أخضع لهم من غيرهم! فاسعَ في دروب الخير واصطبر عليها؛ تفز في الدنيا والآخرة، والأمر كله لله -جل في علاه-، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٩٥٨. فلْتعلمْ يا أخي أن من أعظم الشرور التي قد يفعلها الإنسان؛ إنزال الكلام في غير موضعه وتحريفه عن مقصده، قاصدًا بذلك غاية في نفسه لا الحق الذي كان فيه!، ويزداد الجرم كلما ازداد علم هذا الإنسان وعدد أتباعه!، ويزداد الجرم جرمًا إن كان هذا الفعل على آيات الله -سبحانه وتعالى-!، قال تعالى في سورة فصلت: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾، قال السعدي -رحمه الله-: "الإلحاد في آيات الله: الميل بها عن الصواب، بأي وجه كان: إما بإنكارها وجحودها، وتكذيب من جاء بها، وإما بتحريفها وتصريفها عن معناها الحقيقي، وإثبات معان لها، ما أرادها الله منها."[١]، وقال ابن كثير -رحمه الله-: "قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا ﴾، قال ابن عباس: الإلحاد: وضع الكلام على غير مواضعه. وقال قتادة وغيره: هو الكفر والعناد. وقوله: ﴿لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآ ﴾ أي: فيه تهديد شديد، ووعيد أكيد، أي: إنه تعالى عالم بمن يلحد في آياته وأسمائه وصفاته، وسيجزيه على ذلك بالعقوبة والنكال; ولهذا قال: ﴿أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة فصلت | الجزء الرابع والعشرون | الآية ٤٠ | الصفحة ٧٥٠ | مؤسسة الرسالة | بيروت

ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾؟ أي: أيستوي هذا وهذا؟ لا يستويان."[١]، فإن عَلمت عظم هذا الذنب؛ وجب عليك ألا تقربه، وأن تستغفر الله -سبحانه وتعالى- على ما بدر منك!، وأن تصحح ما وقع منك فتبين الحق الذي أخفيت!، والآن، اسأل نفسك يا أخي، كم صادفت من العوام من شغله الشاغل قولبة الكلمات والمعاني ليقلب الحق باطلًا والباطل حقًا؟!، كم رأيت من عالم ظالم، يتبع السلطان!، حرّف آيات الله -سبحانه وتعالى- عن معانيها، وأخرجها عن سياقها ليرضى عنه رئيسه؟!، وكم من معلم ومسئول وموظف وبائع أخرج الكلام عن موضعه لينتصر لنفسه أو ليحقق كسبًا غير مشروع أو انتقامًا من غيره، وكل هذا بغير وجه حق؟!، **بل قد حذر علماء الأمة من معنيين مهمين، وهما: تحريف الألفاظ وتحريف المعاني، وقد حارب علماء الأمة -رحمهم الله- هذه التحريفات أشد محاربة؛ لخطورتها، فمثلًا حارب العلماء تحريف الألفاظ -كما في الوضع في الحديث- من خلال علوم السنة النبوية، ومع ذلك، انتشر في زماننا تحريف المعنى وتحريف اللفظ بشكل غير مسبوق!، فتجد البعض يخترع من الأحاديث ما يخترع، ثم ينسبها لرسول الله ﷺ تخويفًا أو ترغيبًا!، وصنف آخر يُنسبون إلى "المثقفين"، لكنهم انغمسوا في تحريف المعاني عن حقيقتها لخنوعهم وخضوعهم لثقافة الغرب الغالب!**، وقد أحسن إبراهيم السكران -رحمه الله- حين قال: "وأما الكذب على الله في المعاني فينتشر كثيرًا بين النخب المثقفة، ومتفقهة التغريب، حيث يسطون على نصوص الوحي فيفسرونها دون استيعاب لبقية النصوص الشرعية الأخرى، ودون استيعاب لتفسير الصحابة وأئمة التابعين، ودون تفطن لمواضع الإجماع، بل بعضهم يفسر الآيات القرآنية بما يعارض تفسير

---

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٦٦٠ | تفسير سورة فصلت | الآية ٤٠ | دار ابن حزم | بيروت

رسول الله ﷺ لها..! وقد أكّد القرآن كثيرًا على ظاهرة الكذب على الله في المعاني. وأهم تلك الآيات القرآنية التي جرّمت الكذب على الله في المعاني من خلال الممارسات التأويلية آيتان: آية تحريف الكلم، وآية الإلحاد في الآيات. وهما قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ وقد جاء عن ابن عباس بسند صحيح أنه قال الإلحاد في الآيات «أن يوضع الكلام في غير موضعه»., ومن تأمل تاريخ النبوات علم أن أكثر ضلال المِلِّيين ليس من جهة جحد الوحي، وإنما من جهة تأويله وإخراج ألفاظ الشارع عن معانيها التي أرادها."[١]، لذلك يا أخي، احرص على تجنب هذان النوعان من الكذب والتحريف، فإنهما مهلكان أكثر من الحسام!، واحرص على الألفاظ والمعاني كحرصك على حياتك، بل أشد من ذلك!، ولا حول ولا قوة إلا بالله!، اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه!

٩٥٩. فلْتعلمْ يا أخي أن عينك أينما وقعت؛ ستجد من بديع قدرة الله -سبحانه وتعالى- وآياته، وعجائب قدرته وصنعته ما يبهرها ويبهر ما وراءها!، والعاقل هو من يتدبرها ويتعلم منها ويرى قدرة الله -سبحانه وتعالى- فيها، ويزداد عجبًا لهذه القدرة ولهذا الإحكام كلما شاهد أكثر وتعلم أكثر!، بينما أصحاب الباطل والقلوب المغلقة، سينسبون هذه القدرة للصدفة والعشوائية وأي شيء يمكن أن تتناوله أقلامهم إلا فكرة الخلق وقدرة الخالق وإبداعه في هذا الخلق!، مع أن كل هذا الإحكام يدل على خالق بديع عليم حكيم، ومع أن كل الأدلة العقلية والنفسية تشير لعظم الله -جل في علاه- وعظيم صنعته، إلا أنهم رضوا أن يكونوا مع اللاشيء!،

---

(١) منقول بإيجاز | كتاب سلطة الثقافة الغالبة | إبراهيم السكران | الطبعة الأولى | الصفحة ٤٣ - ٤٤ | دار الحضارة | الرياض

لكن "بتسميات منمقة" توحي لمتلقيها بأن هذا هو "الصواب"، وما دونه "باطل"!، لذلك يا أخي؛ وجه قلبك للذي فطر السماوات والأرض، واطلب العلم واستزد منه ما استطعت، وتفكر واستزد من التفكر ما استطعت، فإنك ستجد من العلم ما يسرك، ومن القرب إلى الله -سبحانه وتعالى- والعلم بعظيم قدرته وحكمته وإعجازه ما يفرحك!، فاللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، قال تعالى في سورة فصلت: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾.

٩٦٠. فلْتعلمْ يا أخي أن **من أجمل ما في الإسلام، أن الحكم لله -سبحانه وتعالى-**، وبناء على هذا فإن اختلف الناس فيما بينهم رجعوا إلى كتاب الله -سبحانه وتعالى- وسنة رسوله ﷺ، **فإن أجمعت الأمة على حكم ما، كان ذلك حكمًا قاطعًا لا يقبل النقض طالما أنه لم يخالف كتاب الله -سبحانه وتعالى- وسنة نبيه ﷺ، وهذا الطرح من أجمل ما في الإسلام، لأن المرجعية فيما بين أيدينا لله -سبحانه وتعالى-، فلو جاء أحدهم وقال: الخمر حلال، أو الزنا حلال، ثم أجمع كل من في هذه الأمة على ذلك -مع أن هذا محال-، فهذا كله لن يغير في حكم الله -سبحانه وتعالى-!، فسيبقى الحرام حرامًا، والحد حدًا، والجرم جرمًا!، وهذا نقيض ما أتت به "الديمقراطية"، والتي من أعظم مصائبها أن الناس هم من يقررون الصواب بحكم "الأغلبية" في كافة الأمور والمجالات!، وهذا ما حدث في قضايا عدة مثل قضايا "الشواذ" و"الإجهاض" و"تحويل الجنس" وغيرها الكثير، وقد فضلنا الله -سبحانه وتعالى- نحن معشر المسلمين بدستور عظيم، لا يأتيه الباطل من أي مكان، فكان ذلك للمسلمين وغيرهم وقاية من هذه الأمراض -الحمد لله-**، والحق يقال، بأننا نشفق على غير المسلمين ممن وقعوا ضحايا ما يسمى ب"الحرية"، نسأل الله

-سبحانه وتعالى- أن يهدينا ويهديهم للحق الذي أنزل، وأن يعيننا على إنقاذ إخواننا من المسلمين وغيرهم من براثن الشيطان وهوى الإنسان!، والأمر كله لله -جل في علاه-، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٩٦١. يا أخي، ليس كل بلاء يصيب الإنسان هو عقاب من الله -سبحانه وتعالى- على ذنوب قد اقترفها لم تكن تعلمها، ولا يعني ذلك أنه صاحب قلب مريض!، بل يصيب البلاء الأنبياء فالأمثل فالأمثل، وهذا البلاء لا ينتقص منهم، فمنهم من فقد الولد، ومنهم من ألقي في النار، ومنهم من أصابه المرض...إلى آخره، ومع هذا فهم خير البشر -عليهم السلام جميعًا-، لذلك، لا تظلم الآخرين بحكمك المسبق!، ولا تزدهم همًا فوق همهم!، والبلاء يصيب كل بني آدم، والسعيد من ألهمه الله -سبحانه وتعالى- الصبر فنجى!، **ولا تقل لأخيك المبتلى في ظهره أو أمامه "أبصر شو عامل!"[1]، لأن من يدرك حقيقة الحياة وماهيتها، ويدرك ماهية الامتحان ومادته، يدرك أنه في بلاء طوال عمره، أكان ذلك بلاء فرح أو بلاء حزن!**، لذلك، اسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يعين أخاك على ما فيه من بلاء، وأن يعينك على ما فيك من بلاء، واحذر أن تكون سخريتك من أخيك طريقًا لتبتلى فلا تصبر -والعياذ بالله-! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٩٦٢. فلْتعلمْ يا أخي أن في وحدة الأمة قوتها، وفي تفرقها ضعفها!، ولْتعلمْ أن الإسلام جاء بأصول لا غبار عليها، يجتمع عليها المسلمون في أصقاع الأرض، لا يخالفها أحد إلا وكفر!، وذلك مثل من يشرك بالله -سبحانه وتعالى-!، ومثل من لا

---

(١) "أبصر شو عامل": كلمة عامية مليئة بسوء الظن وتعني ماذا فعل حتى حصل له من البلاء ما حصل

يؤمن بسيدنا محمد ﷺ أو ما جاء به!، كمثل من يخترع صلاة غير الصلاة التي صلاها نبينا العدنان ﷺ!، أما المسائل الفقهية فالاختلاف فيها هو تعدد للأفكار، وهي نعمة عظيمة، ومزية لهذه الأمة، فمن أدرك ذلك، علم أن اجتماعه مع المسلمين وانضمامه لعصبتهم قوة، وهي المراد!، وأن تركهم وتفرقهم ضعف وهوان وموضع ذم!، فاحرص على أن تكون لبنة في بناء الأمة، لا معول هدم في يد أعدائها، والأمر كله لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٩٦٣. فلْتعلمْ يا أخي أن من لطف الله -سبحانه وتعالى- بعباده المؤمنين، أن هداهم إلى الخير هداية لا تخطر ببالهم، وبما يسر لهم من الأسباب الداعية إلى ذلك!، ومن لطفه بعباده أن ساقهم إلى الخير فنالوا من أنواع الرزق والنعيم من حيث احتسبوا ومن حيث لم يحتسبوا!، ومن لطفه أن أظهر جميل ما عند عباده، وستر عليهم قبيح أفعالهم وأبدانهم!، ومن لطفه بعباده أنه لا يرد عبدًا ناجاه، ولا يعاجل من عصاه!...إلى آخره، فسبحان اللطيف الخبير!، قال تعالى في سورة الشورى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩﴾.

٩٦٤. يا أخي، إني سائلك، هل يمكن للخير أن يأتي بالشر؟!، وهل يمكن للشر أن يأتي بالخير؟!، قبل الإجابة على هذين السؤالين، علينا أن نعلم ما هو الخير وما هو الشر!، فإن كان مقصودك بالخير والشر هو ما يراه الإنسان بما تقتضيه مصلحته أو هواه ورغبته، فهذا مسار، وإن كان مقصودك بهما هو ما يراه الإنسان من خير وشر بما علمه الله -سبحانه وتعالى- لعباده فهذا مسار آخر، والجواب يختلف باختلاف المسار!، فالأول ليس بالضرورة أن يكون ما تراه خيرًا هو خيرًا حقًا، فقد تظن الغنى لك نعمة وهي نقمة لأنك لم تضعها في موضعها، أو أنها الهتك في جمعها،

أو كانت لك بابًا تتكبر وتتجبر فيه على عباد الله -سبحانه وتعالى-، وقد يكون الفقر لك نقمة فلا تطيق نفسك صبرًا عليه!، ولا ترضى بحالك حينها فتسخط وتطغى لتأتي به -كمن يقول لو أنني فقير لما فتنت-!، وقد تكون الصحة لك نقمة لأنك جعلتها في يد الظالمين على عباد الله -سبحانه وتعالى- المساكين!، وقد تكون طريقًا لك للمعاصي!...إلى آخره، فالغنى في حد ذاته ليس نعمة وليس نقمة!، والفقر في ذاته ليس منقصة وليس نعمة!، والصحة كذلك، لأن هذا كله إن خلا من معيار الخير الراجح خلا من معيار الحكم الراجح، وأصبح ما يظنه أحدهم نعمة هو نقمة ووبال عليه، وأصبح من يرى ما فيه من الشر -يحسبه ذلك- هو خيرًا له!، وهذا كله يرتبط بمعيار الخير الراجح، والذي يتحدد في المسار الثاني، ففي هذا المسار يعلم المرء أن حاله التي هو فيها نعمة وخير راجح بإذن الله -سبحانه وتعالى-، والخير الراجح = الإسلام، فالإسلام يدلك على كيفية التعامل مع ما تحسبه خيرًا أو شرًا، ليكون كلاهما خيرًا يقود لخير، فمن أغناه الله -سبحانه وتعالى- وبسط له من الأموال والأولاد شكر، واكتسب من الأبواب التي أحلها الله -سبحانه وتعالى-، وهذب نفسه ولم يطغَ، وصرفها في مصارفها وأحسن!، ومن أُمسك عليه رزقه شكر وصبر، وعلم أن ما يحسبه الناس شرًا في هذا الفقر هو خير له، لأنه فيه صابر لله -سبحانه وتعالى- على قضائه، ومدرك أنه ما منع من المال إلا لخير له، فقد يكون في ذلك نجاته من كبر أو معصية أو تجبر في الأرض أو من يد سلطان طاغي!، وكذلك من نال الصحة والعافية ومن أُمسكت عنه...، وذلك في كل أحوالنا وأوقاتنا!، والقصد من هذا يا أخي، أن الخير الراجح هو ما قضاه الله -سبحانه وتعالى- لنا من الأمر، وكيف نطيعه للوصول إلى ذلك الخير الذي أُريد لنا!، هذا حتى ولو حسبنا أن ما وقع علينا هو من الشر!، فحتى العقاب الذي يناله الإنسان أو تناله الأمة هو عقاب تستحقه حتى

تستقيظ أو تعود لرشدها، مثل الأب الذي يؤدب ابنه، ففي قلب هذا التأديب، خير يراد لهذا الابن!، ومن المعاني الجميلة التي ذكرت في هذا الباب؛ قوله تعالى في سورة الشورى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾، قال القرطبي -رحمه الله-: "قال خباب بن الأرت: فينا نزلت، نظرنا إلى أموال بني النضير وقريظة وبني قينقاع فتمنيناها فنزلت. ولو بسط معناه وسع. وبسط الشيء نشره. وبالصاد أيضا. لبغوا في الأرض طغوا وعصوا. وقال ابن عباس: بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ودابة بعد دابة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس. وقيل: أراد لو أعطاهم الكثير لطلبوا ما هو أكثر منه، لقوله: (لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثًا) وهذا هو البغي، وهو معنى قول ابن عباس. وقيل: لو جعلناهم سواء في المال لما انقاد بعضهم لبعض، ولتعطلت الصنائع. وقيل: أراد بالرزق المطر الذي هو سبب الرزق، أي: لو أدام المطر لتشاغلوا به عن الدعاء، فيقبض تارة ليتضرعوا ويبسط أخرى ليشكروا. وقيل: كانوا إذا أخصبوا أغار بعضهم على بعض، فلا يبعد حمل البغي على هذا. الزمخشري: لبغوا من البغي وهو الظلم، أي: لبغى هذا على ذاك وذاك على هذا; لأن الغنى مبطرة مأشرة، وكفى بقارون عبرة. ومنه قوله - عليه السلام -: أخوف ما أخاف على أمتي زهرة الدنيا وكثرتها....، قال علماؤنا: أفعال الرب سبحانه لا تخلو عن مصالح وإن لم يجب على الله الاستصلاح، فقد يعلم من حال عبد أنه لو بسط عليه قاده ذلك إلى الفساد فيزوي عنه الدنيا، مصلحة له. فليس ضيق الرزق هوانا ولا سعة الرزق فضيلة، وقد أعطى أقوامًا مع علمه أنهم يستعملونه في الفساد، ولو فعل بهم خلاف ما فعل لكانوا أقرب إلى

الصلاح. والأمر على الجملة مفوض إلى مشيئته، ولا يمكن التزام مذهب الاستصلاح في كل فعل من أفعال الله تعالى"(١)، ونستأنس بما رواه أبو سعيد الخدري -رضي الله عنه-: "أَنَّ رَسولَ الله ﷺ قَامَ علَى المِنْبَرِ، فَقالَ: إنَّما أَخْشَى علَيْكُم مِن بَعْدِي ما يُفْتَحُ علَيْكُم مِن بَرَكَاتِ الأرْضِ، ثُمَّ ذَكَرَ زَهْرَةَ الدُّنْيَا، فَبَدَأَ بإحْدَاهُمَا، وَثَنَّى بالأُخْرَى، فَقَامَ رَجُلٌ فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، **أَوَيَأْتي الخَيْرُ بالشَّرِّ؟!** فَسَكَتَ عنْه النبيُّ ﷺ، قُلْنَا: يُوحَى إلَيْهِ، وَسَكَتَ النَّاسُ كَأنَّ علَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرَ، ثُمَّ إنَّه مَسَحَ عن وَجْهِهِ الرُّحَضَاءَ، فَقالَ: أَيْنَ السَّائِلُ آنِفًا؟ **أَوَخَيْرٌ هو؟! -ثَلَاثًا- إنَّ الخَيْرَ لا يَأْتي إلَّا بالخَيْرِ**، وإنَّه كُلَّما يُنْبِتُ الرَّبِيعُ ما يَقْتُلُ حَبطًا أَوْ يُلِمُّ، إلَّا آكِلَةَ الخَضِرِ أَكَلَتْ حتَّى إذَا امْتَلَأَتْ خَاصِرَتَاهَا، اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسَ، فَثَلَطَتْ وَبَالَتْ، ثُمَّ رَتَعَتْ، وإنَّ هذا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَنِعْمَ صَاحِبُ المُسْلِمِ لِمَن أَخَذَهُ بحَقِّهِ، فَجَعَلَهُ في سَبيلِ اللهِ، وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَمَن لَمْ يَأْخُذْهُ بحَقِّهِ، فَهو كَالْآكِلِ الذي لا يَشْبَعُ، وَيَكونُ عليه شَهِيدًا يَومَ القِيَامَةِ."(٢)، ومن خلال كل هذا، يمكننا الإجابة على الأسئلة التي علت بما يلي: **إن الخير الذي أنعم الله -سبحانه وتعالى- به على عباده هو محل الخير والنعم، ولا يكون شرًا إلا إن خالف حال المنعم عليه الحال التي ينبغي أن يكون عليها، والشر الذي يحسبه الإنسان شرًا فيصيبه منه ما أصابه، هو من البلاء الذي يختلف حاله باختلاف حال صاحبه معه!، والخير الراجح هو ما لا يأتي إلا بخير، والمال بذاته ليس خيرًا، والصحة بذاتها ليست خيرًا، والفقر بذاته ليس نقمة...إلى**

---

(١) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ١٨ | الصفحة ٤٧٤-٤٧٥ | تفسير سورة الشورى | الآية ٢٧ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٢٨٤٢ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

آخره!، بل إن ما يُنتفع فيه من النعيم وفي طريقه الصحيح هو الخير!، لذلك كان الإسلام خيرًا راجحا لأن فيه الهداية للبشر، وفيه الانتفاع الحقيقي فيما نحسبه خيرًا، وفيه العمل كما ينبغي مع ما نحسبه شرًا!، لهذا، فالخير لا يأتي إلا بالخير، والشر لا يأتي إلا بالشر، لكن الخير الذي لا يأتي إلا بالخير هو الخير الراجح، والشر الذي لا يأتي إلا بالشر هو الشر الراجح، أما ما نحسبه من الخير وما نحسبه من الشر، فالأصل أن يكون كلاهما لا يأتي إلا ما نسب إليه طالما كان ذلك ضمن المرجعية التي وضعها الخالق العظيم -جل في علاه- لعباده!، فاللهم علما نافعا وخيرا راجحا، ونعوذ بك من الشر الراجح، ولا حول ولا قوة إلا بك.

٩٦٥. فلْتعلمْ يا أخي أن الإنسان يتجه إلى ربه في كل الأحوال، وقد أرشدنا الإسلام للكثير من العبادات التي ترتبط بالأحوال، ومثل ذلك صلاة الاستسقاء، فإن الأمة إذا شهدت خيرًا وفيرًا من الغيث الذي أغاثهم الله -سبحانه وتعالى- به، توجهوا بالشكر والحمد والثناء ودعوا الله -سبحانه وتعالى-فقالوا: "اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا"، وإذا أمسك عنهم الغيث صلوا صلاة الاستسقاء، وصلاة الاستسقاء هي صلاة يطلب فيها العباد السقيا من الله -سبحانه وتعالى- عند الحاجة إلى الماء والخوف من القحط والجدب!، ويمكن الرجوع للكتب الفقهية للمزيد حول كيفية أداء هذه الصلاة...، قال تعالى في سورة الشورى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾، اللهم رحمتك نرجو، ولا حول ولا قوة إلا بك.

٩٦٦. قال تعالى في سورة الشورى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾، هذه الآية الكريمة فيها من رحمة الله -سبحانه

وتعالى- ما فيها، فبرحمته كفر الذنوب عن عباده بما يصيبهم من مصائب، ويعفو عن كثير غيرها، وقد قال ابن كثير -رحمه الله-: "وقوله: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ أي: مهما أصابكم أيها الناس من المصائب فإنما هو عن سيئات تقدمت لكم ﴿ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ أي: من السيئات، فلا يجازيكم عليها بل يعفو عنها، ﴿ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ ﴾ [فاطر: ٤٥] وفي الحديث الصحيح: والذي نفسي بيده، ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن، إلا كفر الله عنه بها من خطاياه، حتى الشوكة يشاكها"(١)، وقال القرطبي -رحمه الله-: "قال علي - رضي الله عنه -: هذه الآية أرجى آية في كتاب الله عز وجل. وإذا كان يكفر عني بالمصائب ويعفو عن كثير فما يبقى بعد كفارته وعفوه! وقد روي هذا المعنى مرفوعًا عنه -رضي الله عنه-، قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها النبي ﷺ: وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم الآية: (يا علي ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم. والله أكرم من أن يثني عليكم العقوبة في الآخرة وما عفا عنه في الدنيا فالله أحلم من أن يعاقب به بعد عفوه)"(٢)، فاللهم اغفر لنا وارحمنا وعاملنا بما أنت أهل له، ولا تعاملنا بما نحن أهل له، ولا حول ولا قوة إلا بك، والحمد لله رب العالمين.

٩٦٧. يا أخي، لا تجعل الشورى عليك غضاضة، فتظنها منقصة ومذلة!،

---

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٦٧١ | تفسير سورة الشورى | الآية ٣٠ | دار ابن حزم | بيروت

(٢) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ١٨ | الصفحة ٤٧٨-٤٧٩ | تفسير سورة الشورى | الآية ٣٠ | مؤسسة الرسالة | بيروت

بل إن العاقل هو من خضع لما أشير عليه، إذا كان من أشار عليه أهلًا لذلك!، ومثل هذه الشورى سبب للصواب، وألفة للقلوب، فإن كانت الشورى صوابًا، نالكم الفرح جميعًا، وإن لم يكن ذلك، كان هذا حملًا يوزع على الجميع!، ولكم فيها الأجر على صدق النية، والعمل الطيب!، ومما ورد من الشعر في هذا:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن ... بحزم نصيح أو نصيحة حازمِ

ولا تحسب الشورى عليك غضاضة ... فريش الخواف يقود للقوادم

٩٦٨. فلْتعلمْ يا أخي أن المؤمن إذا عفا وصفح عن قدرة، فهذه من الخصال الطيبة، وإن انتصر ورد المظلمة فهذه من الخصال الطيبة أيضًا!، فالمؤمن لا يرضى بأن يُستذل وأن يهان!، ومع هذا؛ يعفو إن رأى أن للعفو منفعة!، ومن لطيف الكلام الذي ذكر في هذا الباب، ومما جمع بين هذه الأحوال، ما ذكره القرطبي -رحمه الله-: "قال ابن العربي: ذكر الله الانتصار في البغي في معرض المدح، وذكر العفو عن الجرم في موضع آخر في معرض المدح، فاحتمل أن يكون أحدهما رافعًا للآخر، واحتمل أن يكون ذلك راجعًا إلى حالتين، إحداهما أن يكون الباغي معلنًا بالفجور، وقحًا في الجمهور، مؤذيًا للصغير والكبير، فيكون الانتقام منه أفضل. وفي مثله قال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فتجترئ عليهم الفساق. الثانية: أن تكون الفلتة، أو يقع ذلك ممن يعترف بالزلة ويسأل المغفرة، فالعفو هاهنا أفضل، وفي مثله نزلت: وأن تعفوا أقرب للتقوى. وقوله: فمن تصدق به فهو كفارة له. وقوله: وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم قلت: هذا حسن، وهكذا ذكر الكيا الطبري في أحكامه قال: قوله تعالى: والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون يدل ظاهره على أن الانتصار في هذا الموضع أفضل، ألا ترى أنه قرنه إلى ذكر الاستجابة

لله سبحانه وتعالى وإقام الصلاة، وهو محمول على ما ذكر إبراهيم النخعي أنهم كانوا يكرهون للمؤمنين أن يذلوا أنفسهم فتجترئ عليهم الفساق، فهذا فيمن تعدى وأصر على ذلك. والموضع المأمور فيه بالعفو إذا كان الجاني نادمًا مقلعًا"[(١)]، لذلك، تذكر يا أخي أن العفو عند المقدرة لأمر عظيم، والانتصار عند البغي لأمر عظيم، وفي الجمع بينهما يتشكل لدينا مؤمن قوي يمتلئ قلبه بالرحمة والقوة!، والله المستعان.

٩٦٩. فلْتعلمْ يا أخي أنك قد تكون مظلومًا فتصبح ظالمًا!، فإن سألت كيف ذلك، أخبرتك بأنك إن ظُلمت فاقتصصت ممن ظلمك كما ظُلمت بلا زيادة أو نقصان فهذا تمام العدل!، أما إن زدت على ذلك؛ كنت ظالمًا!، ومن هذه الزيادة الشتم أو الاعتداء في القصاص ونحو ذلك!، مثل من يُقطع له أصبع فيقطع ذراع!، ومن تمام العدل ألا يعاتب من انتصر لمظلمته إن عدل!، فكيف تلوم من انتصر لحقه وأخذه؟!، وفي الكتب الفقهية تفصيل مهم في هذا الباب، يرجع إليها للاستزادة وبيان التفصيلات التي لم تذكر ها هنا!، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله..

٩٧٠. يا أخي، ألم يكفِ الظالمين ظلمهم وكفرهم؟!، ألم يكفي العاصين عصيانهم؟!، ألا يكفيهم أنهم أضاعوا أنفسهم؟!، فما بالهم يرضون على أهليهم ما رضوه على أنفسهم؟!، لماذا لا يعملون على إصلاحهم واستصلاحهم؟!، أو على أقل تقدير، لماذا لا يدعونهم وشأنهم؟!، أعميت قلوبهم عن الحق فرأوا الباطل حقا؟! أم أنهم علموا أن الباطل باطلًا، لكنهم لم يرضوا بأن يكونوا في العذاب الأليم لوحدهم؟!، سبحان الله كيف يحكمون!، لذلك يا أخي، إذا نظرت إلى ما سبق، فاعلم أنك غير كامل، قد يقع منك من المعاصي كبيرها وصغيرها، لكن مع هذا، لا

(١) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ١٨ | الصفحة ٤٨٩-٤٩٠ | تفسير سورة الشورى | الآية ٣٩ | مؤسسة الرسالة | بيروت

ترضَ بأن يكون حال أهلك مثل حالك!، لا ترضَ بأن تغلق أبواب الخير وأبواب الرحمة عن آخرها في قلبك!، لا ترضَ أن يكون أهلك في صفك من العذاب أو السوء!، وأحب لهم ما لم تفعله أنت من الخير؛ عسى أن يكون ذلك خيرًا لك في الدنيا أو/ و الآخرة، ولعله كذلك!، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٩٧١. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- يهب لمن يشاء الإناث، ويهب لمن يشاء الذكور، ويهب لمن يشاء الذكور والإناث، ويجعل من يشاء عقيمًا!،كل هذا من وهب الله -سبحانه وتعالى- لعباده، ففيها بلاؤهم وفيها فرحهم وزينتهم!، والسعيد من أدرك أن أيًّا من هذه الأرزاق هي نعمة وفضل من الله -سبحانه وتعالى-، لها حق عليه، ولها صبر يرادفها يختلف شكله باختلاف الوهب!، والتعيس من أضاع هذه النعم وأضاع حقها أو سخط على ما وهب له -والعياذ بالله-!، فاللهم نسألك أن نكون ممن أحب قضاءك، ورضي بوهبك، وأدى الحق الذي عليه كما تحب، وأدرك عظم خلقك وقدرتك وحكمتك!، اللهم آمين.

٩٧٢. فلْتعلمْ يا أخي أن نعم الله -سبحانه وتعالى- عظيمة كثيرة، واحدة من هذه النعم العظيمة والتي نستخدمها بكثرة هي الركوب!، وذلك مثل السيارات والطائرات والسفن ونحوها!، هذه النعم العظيمة تستلزم من العبد أن يذكر نعمة الله -سبحانه وتعالى- عليه فيها، وأن يتذلل لله -سبحانه وتعالى-؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- سخرها له فركبها، فهان عليه أمر سفره!، وقد روى عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما-: "أنَّ رَسولَ الله ﷺ كانَ إذَا اسْتَوَى علَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إلى سَفَرٍ، كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قالَ: سُبْحَانَ الذي سَخَّرَ لَنَا هذا، وَما كُنَّا له مُقْرِنِينَ، وإنَّا إلى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ، اللَّهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ في سَفَرِنَا هذا البِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ العَمَلِ ما تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هذا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ في السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ في

الأَهْلِ، اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بكَ مِن وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ المَنْظَرِ، وَسُوءِ المُنْقَلَبِ في المَالِ وَالأهْلِ، وإذَا رَجَعَ قالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ: آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ."(١)، هذا الحديث فيه نسمات إيمانية طيبة، بين التذلل لله -سبحانه وتعالى- والإقرار بقدرة الله -سبحانه وتعالى- والاستعاذة مما يسوء الإنسان، والحمد والثناء لله -سبحانه وتعالى-...وغيرها الكثير من الحكم، قال تعالى في سورة الزخرف: ﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾، فسبحان الله العظيم، ما أعظمها من نعمة، وما أعظمه من تهذيب للنفس وإرشاد لها!، وتتعجب كل العجب ممن علم حاله عند السفر، ثم إذا هو يعصي الله -سبحانه وتعالى- في مثل هذا الموقف!، فترى الآن السفن والطائرات والسيارات فيها من المجون ما فيها، تختلف باختلاف روادها وقدر رغبتهم بالفحش!، فاللهم نعوذ بك من مثل هذا السوء ومن كل سوء وفحش، لذلك يا أخي، لا تنسَ أن تحمد الله -سبحانه وتعالى- كلما ركبت من الركوب ما ركبت، ولا تنسَ أن تتذلل له على ما أنعم عليك، وذلك كما عُلمنا من الدعاء في الآية الكريمة، والحديث الشريف!، واجتنب المعاصي لئلا تلقى الله -سبحانه وتعالى- وأنت على أسوأ حال -والعياذ بالله-، والأمر كله لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٩٧٣. فلْتعلمْ يا أخي أن شهرة رجل ما في مكان ما، لا تعني أنه على خير، ولا تعني أنه خير من في ذلك المكان!، **لذلك احذر ممن اشتهر بين الناس وذاع صيته؛ حتى يتبين لك حقيقة ما يصدر منه من أفعال وأقوال!، فمن دعا للحق، شُكر، ومن دعا للباطل ذُم، ومن كان بين الحق والباطل فانظر إلى السواد الأعظم عنده، فإن كان**

(١) الراوي: عبدالله بن عمر | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ١٣٤٢ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

للباطل فاحذر منه، وإن كان للحق فانصح وبين!، وإياك من اتباع من اشتهر عند الناس أو عظم عندهم وهم على باطل!، فلا أنت نظرت في أمرهم، ولا عقلت ما رأيت وسمعت!، أو أنك عقلت فتكبرت!، وهذه الأحوال لا تختلف كثيرًا عن أحوال كفار قريش، قال تعالى في سورة الزخرف: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١﴾، فقالوا -قبحهم الله- مقولتهم هذه، يريدون أن يُنزل القرآن الكريم على رجل يرونه عظيم في أعينهم!، نظروا لمشاهيرهم ومن عظموهم، ولم يعظموا الحق الذي جاء به خير البشر ﷺ!، ولم ينظروا إلى عظم خلقه وخُلقه!، وعظم سيرته وحياته وما جاء به!، فلما فنيت حججهم ودحضت أمام الحق؛ اعترضوا على ما ليس لهم حق فيه!، فاللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٩٧٤. فلْتعلمْ يا أخي أن تعظيم الناس لأجل أموالهم أو مناصبهم أو أنسابهم جهالة عظيمة!، والأصل أن يُعظم الحق صاحبه، والحق يشمل كل واسع وضيق، فيشمل ما جاء به الإسلام جملة وتفصيلًا، يشمل التراكيب العجيبة والجميلة بين الإيمان والعلم والقوة والرحمة والمغفرة والاستسلام لله -سبحانه وتعالى- والتواضع لعباد الله -سبحانه وتعالى- وحبهم ونصحهم، والعزة على أعداء الدين والشدة عليهم عند الحرب والمواجهة، والدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- في كل الأحوال، والإنفاق في سبيل الله -سبحانه وتعالى-، والاتزان في أمور الحياة فلا هو مسرف ولا هو مقتر...إلى آخره، فمن عمل وانقاد إلى ما أمر، عظم أمره ولو كان عند الناس دون ذلك!، وخير الناس أعظمهم عند الله -سبحانه وتعالى-، وشرار الخلق هم عظمائهم عند الناس صغارهم عند الله -سبحانه وتعالى-، ولْتعلمْ يا أخي إن من علم أن الأرزاق بكل أنواعها وبكل ما فيها هي من عند الله -سبحانه وتعالى-، علم

أن التمايز فيما بينهم حقيقة لا مرد عنها، فهي وسيلة حتى يتكامل بعضهم مع بعض!، فتستمر الحياة، وهذا كله من حكمة الله -سبحانه وتعالى- العظيمة العجيبة!، ومن علم هذا، علم حقيقة مقياس الفضل وأصله، ولم يقع ضحية لتعظيم ما لم يجب أن يُعظم!، فسبحان الله العظيم الحكيم.

٩٧٥. قال تعالى في سورة الزخرف: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾، هذه الآيات العظيمة، تزلزل القلوب اليقظة!، قال السعدي -رحمه الله-: "يخبر تعالى عن عقوبته البليغة، لمن أعرض عن ذكره، فقال: ﴿ وَمَنْ يَعْشُ ﴾ أي: يعرض ويصد ﴿ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ ﴾ الذي هو القرآن العظيم، الذي هو أعظم رحمة رحم بها الرحمن عباده، فمن قبلها، فقد قبل خير المواهب، وفاز بأعظم المطالب والرغائب، ومن أعرض عنها وردها، فقد خاب وخسر خسارة لا يسعد بعدها أبدًا، وقيَّض له الرحمن شيطانًا مريدًا، يقارنه ويصاحبه، ويعده ويمنيه، ويؤزه إلى المعاصي أزًا، ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ أي: الصراط المستقيم، والدين القويم. ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ بسبب تزيين الشيطان للباطل وتحسينه له، وإعراضهم عن الحق، فاجتمع هذا وهذا. فإن قيل: فهل لهذا من عذر، من حيث إنه ظن أنه مهتد، وليس كذلك؟ قيل: لا عذر لهذا وأمثاله، الذين مصدر جهلهم الإعراض عن ذكر اللّه، مع تمكنهم على الاهتداء، فزهدوا في الهدى مع القدرة عليه، ورغبوا في الباطل، فالذنب ذنبهم، والجرم جرمهم. فهذه حالة هذا المعرض عن ذكر الله في الدنيا، مع قرينه، وهو الضلال والغيّ، وانقلاب الحقائق."(١)، وقال ابن كثير -رحمه

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الزخرف | الجزء الخامس والعشرون | الآية ٣٦-٣٧ | الصفحة ٧٦٦ |

الله-: "يقول تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ﴾ أي: يتعامى ويتغافل ويعرض، ﴿عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ والعشا في العين: ضعف بصرها. والمراد هاهنا عشا البصيرة، ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ كقوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وكقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، وكقوله: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٥]؛ ولهذا قال هاهنا: أي هذا الذي تغافل عن الهدى نقيض له من الشياطين من يضله ويهديه إلى صراط الجحيم."(١)، وقال البغوي -رحمه الله-: "قوله - عز وجل -: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي يعرض عن ذكر الرحمن فلم يخف عقابه، ولم يرجُ ثوابه...نسبب له شيطانًا ونضمه إليه ونسلطه عليه. ﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ لا يفارقه، يزين له العمى ويخيل إليه أنه على الهدى. ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ يعني الشياطين ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي ليمنعونهم عن الهدى، وجمع الكناية؛ لأن قوله: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ في مذهب جمع وإن كان اللفظ على الواحد ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ ويحسب كفار بني آدم أنهم على الهدى "(٢)، فسبحان الله العظيم!، أعلمت لما تزلزل هذه الآيات القلوب؟!، أعلمت أن الإنسان إنما يخشى على نفسه أن يضل بعد الهدى!، أو يكون على الضلال فلا يهتدي لأنه نأى عن الحق واجتنبه -والعياذ بالله-!، ألا يشعر الإنسان في مثل هذه

مؤسسة الرسالة | بيروت

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٦٨٠ | تفسير سورة الزخرف | الآية ٣٦-٣٧ | دار ابن حزم | بيروت

(٢) كتاب معالم التنزيل (تفسير البغوي) | أبي محمد البغوي | المجلد السابع | تفسير سورة الزخرف | الصفحة ٢١٣-٢١٤ | الآية ٣٦-٣٧ | دار طيبة | الرياض

الآيات الجليلة من الخوف من البعد عن ذكر الرحمن؟!، البعد عن كتاب الله -سبحانه وتعالى-؟!، البعد عن ذكر الله -سبحانه وتعالى-؟!، فإن لم يمتلئ القلب بذكر الرحمن، فماذا سيحل في القلب محله؟!، اللهم رحمتك نرجو، ولا حول ولا قوة إلا بك.

٩٧٦. يا أخي، فلْتعلمْ أنك مطالب بالثبات على الحق ما دمت حيًّا!، أما النصر فذلك إما أن تراه أنت، وإما أن يراه من بعدك!، وليس لك من الأمر من شيء!، فاعمل واسعَ لأن تكون من أهل الصراط المستقيم، وثمار ذلك الثبات ستجنيه -بإذن الله- تعالى ولو لم ترَ نتاجه في الدنيا! فإن رأيت، فقد قرت عينك قبل مماتك، ونلت حظًا من الدنيا قبل أن تنال حظ الآخرة!، وعلى الله توكلنا، هو مولانا وإليه المصير، والحمد لله رب العالمين.

٩٧٧. فلْتعلمْ يا أخي أن البحث عن الحق من خلال مقارنة الماديات في مقابل الحقائق طريقة الجهلة!، ومثل ذلك من يبحث عن الحق فيمن عنده من متاع الحياة الدنيا أكثر من غيره!، ولقد قالها فرعون -لعنه الله- من قبل مُستغبيًا قومه، قال تعالى في سورة الزخرف: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾، الناظر لهذه الآيات يرى يقينًا مقدار الكبر الذي في قلب فرعون -لعنه الله-، وكيف أنه لم يقابل البيان بالبيان!، **وانظر إلى من تبعه من قومه!، غرتهم القصور والأنهار والأموال والملك، فاتبعوا فرعون -لعنه الله-، فضلوا جميعًا عن الحق!، وهذا للأسف يذكرني بحال كثير من الناس، يتبعون الغرب لا لأنهم على الحق، بل لأنهم رأوا من الصناعة وثمارها ما أبهر عقولهم، ثم لم يكتفوا بهذا، بل تبعوا الغرب حتى صاروا هم المدافعين عنهم!، فسبحان الله!**،وذلك بدلًا من أن

يتخذوا الحق نبراسًا يضيء لهم طريقهم فيعملون ليرتقوا، اتبعوا ساداتهم وكبرائهم فذلوا ونكسوا على رءوسهم، فما نالوا شرف الدنيا ولا الآخرة، وأكثر ما ينالهم قليل من متاع الحياة الدنيا -وإن عظم وكثر-، قال تعالى في سورة الزخرف في حق قوم فرعون -لعنه الله-: ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾، فسبحان الله العظيم، الذي أظهر الحق وأزهق الباطل، وبيّن للناس هداهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٩٧٨. يا أخي، اتعظ بما حصل مع غيرك، واتعظ من أحوال من سبقك!، فخذ العبرة مما حصل لهم واجتهد لئلا تكون أنت عبرة لغيرك ولمن بعدك!، فالسعيد من وُعظ بغيره، ولم يكن عبرة لغيره!، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٩٧٩. يا أخي، انتقِ خليلك بحذر، فالأخلاء نوعان، إما أعداء وإما أحباء!، فالأعداء هم من تعاونوا على الكفر والمعاصي، فهؤلاء يلعن بعضهم بعضًا يوم القيامة -والعياذ بالله منهم-، والأحبة هم أهل الخير الذين تعاونوا على العمل الصالح، فجمعتهم محبة الله -سبحانه وتعالى-!، وهؤلاء يذكر بعضهم بعضًا في الآخرة، ونسأل الله -سبحانه وتعالى- أن نكون منهم، قال تعالى في سورة الزخرف: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾، وقد روى أبو موسى الأشعري -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ والجَلِيسِ السَّوْءِ، كَمَثَلِ صاحِبِ المِسْكِ وكِيرِ الحَدَّادِ؛ لا يَعْدَمُكَ مِن صاحِبِ المِسْكِ إمَّا تَشْتَرِيهِ أوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وكِيرُ الحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أوْ ثَوْبَكَ، أوْ تَجِدُ منه رِيحًا خَبِيثَةً."[(١)]، وفرق شاسع بين من ناله المسك وين من ناله الكير!، فاللهم رحمتك

(١) الراوي: أبو موسى الأشعري | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم:

وهدايتك، ولا حول ولا قوة إلا بك.

٩٨٠. يا أخي، هناك أناس باعوا دنياهم واشتروا أخراهم، فتركوا ما هم به من نعيم ورخاء، وذهبوا مجاهدين في سبيل الله -سبحانه وتعالى-، داعين إلى الله -سبحانه وتعالى-، طريقهم الحق، وقولهم حق، لا يضرهم من خذلهم، تراهم يعملون من الأخلاق أحسنها، ومن الأعمال أتقنها، وهؤلاء بإذن الله -سبحانه وتعالى- من أعلى الناس مرتبة، وهناك فئة أخرى باعت دنياها وأخراها، فتركوا ما عندهم من نعيم وفير وخير كثير؛ لأجل محاربة الحق وأهله، بل إنهم بذلوا كل وسعهم لأجل ذلك، لكنهم لم يعلموا أن الله -سبحانه وتعالى- موهن كيدهم ولو بعد حين، بل إن عملهم وأموالهم التي بذلوها ستكون حسرة عليهم، وسينالون -بإذن الله تعالى- أشد أنواع الألم والعذاب، وهؤلاء أذل الناس!، ألم تسمع قوله تعالى في سورة الدخان: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ مُّجۡرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسۡرِ بِعِبَادِي لَيۡلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ﴿٢٦﴾ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾، فهذا حال فرعون وقومه، تركوا الجنات والعيون، والزروع والمقام الكريم، تركوا النعمة التي كانوا فيها فاكهين!، كل ذلك للقضاء على الحق، بل إنهم لم يدعوا أهل الحق وشأنهم، فلا يجتمع عندهم أن يكون الحق واقفًا شامخًا في مقابل ضلالهم وذلهم!، فسبحان من أذل فرعون -لعنه الله- ونصر وأعز رسوله موسى -عليه السلام-، وسبحان من كانت هذه سنته في الأمم والأقوام، وسبحان من أعز الحق ونصره، وأذل الباطل

٢١٠١ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

وهزمه!، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

٩٨١. قال تعالى في سورة الدخان: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾، هذه الآية الكريمة تفرح القلب!، ففيها للقلب مواساة، فبعد كل هلاك تراه للمجرمين، يفرح القلب ويقول "الحمد لله الذي أراحنا منهم، وانتقم منهم، وأبعد شرهم عنا"، ثم تتذكر هذه الآية الكريمة فتزداد فرحًا بها، فلا السماء ولا الأرض بكت عليهم، فلم ينالوا نصيبًا من الحزن عليهم من عباد الله المخلصين، فسبحان الله العظيم!، وقد روى أبو قتادة -رضي الله عنه-: "أَنَّ رَسولَ الله ﷺ مُرَّ عليه بجِنَازَةٍ، فَقالَ: **مُسْتَرِيحٌ ومُسْتَرَاحٌ منه**. قالوا: يا رَسولَ اللهِ، ما المُسْتَرِيحُ والمُسْتَرَاحُ منه؟ قالَ: العَبْدُ المُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِن نَصَبِ الدُّنْيَا وأَذَاهَا إلى رَحْمَةِ اللهِ، والعَبْدُ الفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ منه العِبَادُ والبِلَادُ، والشَّجَرُ والدَّوَابُّ"[١]، ثم وأتت في خضم ذلك كله، لا تنسَ أن تسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يجعلك من أهل الحق، وأن يشفي صدور قوم مؤمنين.

٩٨٢. فلْتعلمْ يا أخي أن ليس كل علو تعلوه هو علو مدح، تستحق لأجله الخير، وترى الخير منه!، بل هناك علو إفساد، وهو موضع ذم، فشتان بين من يتنافس ليعلو في الإيمان بكل ما فيه من علم وعمل حتى تراه متفقهًا في الدين، عالما في الطب أو الرياضيات أو الحاسوب...إلى آخره، عاملًا بأفضل ما عنده من العلم، وبأحسن ما عنده من الإتقان، وبين من علوه في الكفر والشرك وفي العلم الذي لا ينفع، وفي العمل الذي يضر!، شتان بين هذا وذاك!، لذلك يا أخي، إذا أردت العلو فكن من أهل الإيمان وخاصته، وكن مع الحق وللحق، وكن حسن الخُلق وحسن الطهارة،

---

(١) الراوي: أبو قتادة الحارث بن ربعي | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٥١٣ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

وكن متفقهًا في دينك، وتعلم الحلال والحرام، وتعلم من العلوم ما ينفعك وينفع المسلمين، واحذر وابتعد عن كل ما يُنسب للعلم ظلمًا وبهتانًا كالتنجيم والتطور ونحوها!، واحذر من الكفر والشرك -والعياذ بالله-! فهذه كلها مما لا يستقيم العقل معها، ولا تطمئن النفس بها!، فسبحان من كرم الإنسان وخلقه وهداه، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

٩٨٣. قال تعالى في سورة الدخان: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾، حقيقة هذه الآية الكريمة مخيفة مهيبة، تزلزل القلوب أيما زلزلة!، وسبحان الهادي العظيم، كيف يقرأ أحدهم كلام الله -سبحانه وتعالى- أو يسمع مثل هذه الآيات ثم يبقى على كفره أو طغيانه وجبروته!، يظن نفسه كريمًا وهو الذليل!، قال السعدي -رحمه الله-: "ويقال للمعذب: ﴿ذُقْ﴾ هذا العذاب الأليم والعقاب الوخيم ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ أي: بزعمك أنك عزيز ستمتنع من عذاب الله وأنك كريم على الله لا يصيبك بعذاب، فاليوم تبين لك أنك أنت الذليل المهان الخسيس."[1]، وقال القرطبي -رحمه الله-: "قال قتادة: نزلت في أبي جهل وكان قد قال: ما فيها أعز مني ولا أكرم، فلذلك قيل له: ذق إنك أنت العزيز الكريم وقال عكرمة: التقى النبي ﷺ وأبو جهل فقال النبي ﷺ: إن الله أمرني أن أقول لك أولى لك فأولى فقال: بأي شيء تهددني! والله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئًا، إني لمن أعز هذا الوادي وأكرمه على قومه، فقتله الله يوم بدر وأذله ونزلت هذه الآية. أي: يقول له الملك: ذق إنك أنت العزيز الكريم بزعمك. وقيل: هو على معنى الاستخفاف

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الدخان | الجزء الخامس والعشرون | الآية ٤٩ | الصفحة ٧٧٤ | مؤسسة الرسالة | بيروت

والتوبيخ والاستهزاء والإهانة والتنقيص، أي: قال له: إنك أنت الذليل المهان"[١]، فسبحان الله العظيم، يرى الناظر لهذه الآية الكريمة، خطورة أن يكون مسلكه مثل مسلك أبي جهل -لعنه الله-، ويرى خطورة أن يتأول على الله -سبحانه وتعالى- بغير علم!، وأن يتمنى على الله -سبحانه وتعالى- الأماني بدون حق ولا دليل شرعي ولا حسن ظن بالله -سبحانه وتعالى-بمعناه الصحيح!، ويعوذ الواحد منا بالله -سبحانه وتعالى- من شر الكبر والغرور ونبذ الحق!، فوالله ما رؤيت هذه الخصال إلا وخيف على الإنسان منها!، ومن نسمات الهداية التي وردت في تفسير القرطبي، **أن عكرمة صحابي كريم، فلا نقول بحقه إلا رضي الله عنه، وهو من خيار أهل الأرض، ومؤسس كتيبة الموت!، بينما أبو جهل -أبوه- لا نقول عنه إلا لعنه الله، وهو من شرار أهل الأرض!، فسبحان من هدى وأخرج من أصلاب شرار أهل الأرض رجالًا من أخيارها!**، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

٩٨٤. قال تعالى في سورة الجاثية: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾، هذا المعنى الجليل، تكرر في أكثر من موضع وبأكثر من صيغة في كتاب الله -سبحانه وتعالى-، وهو مما يريح القلب، ويضفي طمأنينة أخرى على ما اطمئن إليه القلب من عدل رب البشر -جل في علاه-!، فمن يعمل ويجتهد ليس كمن لا يعمل، ومن يعمل ويجتهد فهو في درجات؛ هناك من سبقه، وهناك من تأخر عنه!، وهذا الحال يسري على أحوال البشر في شتى المجالات، فتجد الإنسان يجتهد ويبذل وسعه وسعته في عبادته وعمله ورعاية ولده وأهله والحفاظ على صحته ومكافحة

---

(١) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ١٩ | الصفحة ١٣٥-١٣٦ | تفسير سورة الدخان | الآية ٤٩ | مؤسسة الرسالة | بيروت

شهواته وشبهاته والتعلم والسعي في دروب هذه الحياة ونحو ذلك، كل هذه الخصائص والسمات تختلف من شخص لآخر، فترى أحدهم مجتهد في العمل، مقصر في صحته، وآخر مجتهد في ملذات الدنيا مقصر بأعمال الآخرة، ترى مجموعة يتنافسون في عبادة الله -سبحانه وتعالى-، وتراهم في تنافسهم في درجات، بل إن تحصيل هذه الدرجات والاجتهاد في جميع أبوابها هو باب من أبواب توفيق الله -سبحانه وتعالى- لعبده، ونتيجة لصدق القلب وإخلاصه، ونتيجة لدعوة البدن للعمل والعزم على ذلك، وحقيقة من أعظم ما قد يجد المسلم في دينه أن الإسلام لم يترك شيئًا ولا بابًا فيه خير للإنسان إلا وحثه على ذلك، فحث الإسلام على حفظ القلب وتقويته وحفظ العقل وإرشاده وحثه على العلم والتعلم، وحث الإنسان على العمل والكسب حتى لا يسأل الناس ولئلا يكون عالة على غيره!، وحث على الرياضة حتى نحصل على إنسان قوي سوي، في صحة وهمة ونشاط، فسبحان من أعز المسلمين بالإسلام، وجعل المسلم القوي خير من المسلم الضعيف، وفيهما كل الخير!، سبحان من جعل المسلم عزيزًا لا ضعيفًا ولا ذليلًا ولا جاهلًا ولا متسخًا ولا متكبرًا ولا جبارًا في الأرض يبغي الفساد!، سبحان من جعل المسلم مسلمًا لله -سبحانه وتعالى- ساعيًا بجد لعبادته وتحقيق ما خُلق لأجله بأفضل صورة وعلى أفضل حال!، قال السعدي -رحمه الله-: "أي: أم حسب المسيئون المكثرون من الذنوب المقصرون في حقوق ربهم. ﴿أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بأن قاموا بحقوق ربهم، واجتنبوا مساخطه ولم يزالوا مؤثرين رضاه على هوى أنفسهم؟ أي: أحسبوا أن يكونوا ﴿سَوَاءً﴾ في الدنيا والآخرة؟ ساء ما ظنوا وحسبوا وساء ما حكموا به، فإنه حكم يخالف حكمة أحكم الحاكمين وخير العادلين ويناقض العقول السليمة والفطر المستقيمة، ويضاد ما نزلت به الكتب وأخبرت به

الرسل، بل الحكم الواقع القطعي أن المؤمنين العاملين الصالحات لهم النصر والفلاح والسعادة والثواب في العاجل والآجل كل على قدر إحسانه، وأن المسيئين لهم الغضب والإهانة والعذاب والشقاء في الدنيا والآخرة."[1]، وقال ابن كثير -رحمه الله-: "يقول تعالى: (لا يستوي المؤمنون والكافرون، كما قال: ﴿ لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [الحشر: ٢٠] وقال هاهنا: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ أي: عملوها وكسبوها ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾ أي: نساويهم بهم في الدنيا والآخرة! ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ أي: ساء ما ظنوا بنا وبعدلنا أن نساوي بين الأبرار والفجار في الدار الآخرة، وفي هذه الدار."[2]، فاللهم إياك نعبد وإياك نستعين! ولا حول ولا قوة إلا بك، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

٩٨٥. قال تعالى في سورة الجاثية: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴿٢٤﴾﴾، سبحان الله!، وكأن أقوالهم حية تنتقل من جاهل إلى جاهل، أو من مغيب إلى مغيب، **بعض الناس من الكفار في الزمن الماضي أنكروا البعث، وملاحدة اليوم ينكرون البعث والحساب، اشتركوا بأنهم نسبوا الموت إلى الطبيعة، ففي الزمن الماضي نسبوا ذلك إلى اختلاف الليل والنهار، إشارة إلى مرور العمر بمرور الزمان، وفي هذه الأيام فالإنسان مجرد حثالة كيميائية في هذه الحياة، تتوقف دورته في الحياة بعد توقف دروه البيولوجي!، بل إن ما**

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الجاثية | الجزء الخامس والعشرون | الآية ٢١ | الصفحة ٧٧٧ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٦٩٨ | تفسير سورة الجاثية | الآية ٢١ | دار ابن حزم | بيروت

يجمعهم أكبر من هذا!، فإنهم قالوا مقالتهم هذه ولم يأتوا بأي دليل على مقالتهم!، بل هي مجرد أقاويل يلقيها كبارهم مستجهلين صغارهم وسامعيهم!، بينما من آمن بالله -سبحانه وتعالى-، وعلم بوجوده أدرك أنه خُلق لغاية عظيمة، ووجد الإجابة على من أنا ولم أنا ومن أين البداية وإلى أين المصير؟!، ثم أدرك عقلًا أن هذه الدنيا يجب أن تكون ممر لا مقر، فمتى تعود لكل مظلوم مظلمته؟!، ومتى يُحكم بين الناس بالعدل؟!، **إن حقيقة وجود يوم البعث حقيقة لا غبار عليها، وفيها يعلم المحسن أنه سيجزى على إحسانه، ويعاقب المسيء على إساءته، ولولا ذلك من سيعيب على القاتل قتله، وعلى مغتصب الأطفال والنساء اغتصابه؟!، من سيرد لهم حقهم إن لم يكن هناك ثواب وعقاب؟!، ثم هل نجا بفعلته من ألقى القنبلة الذرية على هيروشيما وناكازاكي؟!، هل سينجو موسوليني وهتلر؟!، ما المرجعية التي ستحدد المصيب من المخطئ؟، وكيف سيحاسب الناس بدون مرجعية؟!، كلها أسئلة وعلامات منطقية تقود الإنسان للإيمان بالله -سبحانه وتعالى-، والإيمان بيوم البعث، وأنه قادم لا محالة!**، ويبقى السؤال هو، هناك أديان كثيرة ومتعددة، فأي منها على حق؟!، والجواب سهل لمن أراد الحق فعلا وبحث عنه!، وإن سألت كيف ذلك، فنقول، أن الله -سبحانه وتعالى- أرسل الرسل لإظهار الحق، ولو كان الحق خفيًا لا يصل إليه أحد، لكن حساب الرب لعبيده ظلمًا -والعياذ بالله-، لكن الله -سبحانه وتعالى- عندما أرسل الرسل، جعل دعوتهم واحدة، وهي لا إله إلا الله، موحدين لا مشركين ولا كافرين، إن اختلفت شرائعهم لم تختلف دعوتهم، وهذا من نعم الله -سبحانه وتعالى- على هذه البشرية، فما كان حقًا لن يصير باطلًا أبدًا، ثم إذا كان الحق واحدًا، يجب على جميع الرسل أن يأتوا برسالة واحدة، فأي دين أتى بما لم تأت به الرسل، فهو باطل!، والدين الذي يزعم بأن الإله يأتي ويذهب، ويضعف

ويقوى، هو دين باطل!، وأي دين إلهه عاجز، أو له ولد أو يصلب أو يموت أو يتقاتل مع رعيته فهو باطل!، وأي دين لا تستطيع نفي التحريف عنه فهو باطل!، وأي دين يخالف الحقيقة فهو باطل!، وأي دين لم ينظم الحياة بين العباد باطل!، والدين الذي حُفظ من كل تحريف وتبديل، والدين التي تخرج منه الحقائق، والدين الذي يصدح بالتوحيد ومنه يصعد، والدين الذي إلهه هو المعجز الذي يبهر عقول عباده بقدرته وعظيم إنجازاته وكماله، والدين الذي لا يأتي إلا بالحق، والدين الذي يحارب الباطل وينظم الحياة بين الناس في مختلف جوانبهم هو الدين الحق، هو الدين الذي تجتمع فيه هذه الخصائص جميعها فتشكل الحق الذي لا يأتيه الباطل من أي مكان!، الدين الذي إن وجدته تشبث به، وهذه الصفات كلها لن تجدها إلا بدين واحد، وهو دين الله -سبحانه وتعالى-، وهو الإسلام!، فالإسلام رسالة الرسل -عليهم السلام- إلى الأمم التي كانوا عليها، وصولًا إلى خير البشر ﷺ، الذي أرسل خاتمًا للنبيين -عليهم السلام-، مظهرًا للحق، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه!، لم يستطع أحد أن يأتي بمثل ما جاء به القرآن الكريم، ولم يستطع أحد لأكثر من ١٤٠٠ عام على أن يأتي بخطأ واحد في كتاب الله -سبحانه وتعالى-، فإن لم يستطيعوا ذلك -ولن يستطيعوا- فاعلم أن هذه كلها دلائل الدين الحق، فإن علمت هذا علمت أنك يجب أن تكون مسلمًا لله -سبحانه وتعالى-، فلا تتكبر على الحق، وهنا تحدٍ، فكل من يبحث عن الحق، وأراد اتباع ما أنزل الله -سبحانه وتعالى- بحق، فعليه بقراءة القرآن الكريم، فإنه لا محالة سيسلم لله -سبحانه وتعالى-، أو سيكون مدخلًا لإسلامه بلا أدنى شك!، فهو القرآن المعجز البيان، معجز العقل، ومعجز القلب! وهنا نشير إلى نقطة مهمة، وهي أننا معشر المسلمين -والحمد لله رب العالمين- خرجنا من هذه الحلقة ولم نحتج لأن نخرج خارج دائرة الإسلام للبحث عن دين

آخر، لأننا بفضل الله -سبحانه وتعالى- رُزقنا بالإسلام بنعمة وفضل من الله -سبحانه وتعالى- ودون عناء!، لكن وجب على المسلم في هذه الحالة أن يشكر الله -سبحانه وتعالى- على هذه النعمة العظيمة وأن يؤدي حقها وأن يسعى جاهدًا لنشر الخير الذي هو فيه لإخوانه ممن لم يلتحقوا بركب الإسلام بعد، فكل مسلم داعية إلى الله -سبحانه وتعالى-، والشكر الجزيل لكل من جعل وقته في العلم الشرعي وعلم مقارنة الأديان حتى يظهر الحق لغير المسلمين، ويرشدهم إلى الله -سبحانه وتعالى- بعد أن لوثت أدمغتهم صيحات الكفر والشرك!، والحمد لله رب العالمين، فإن الإسلام هو أكثر الأديان نموًا وقبولًا، فنسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يهدينا وأن يهدي من أراد الحق لعبادته والتسليم لأمره واتباع دينه!، اللهم نشهدك أننا نشهد أن لا إله إلا الله، ونشهد أن محمدًا رسول الله.

٩٨٦. يا أخي، في الزمن القريب كانت نفسي تتقلب بين الشك والإيمان بشكل عجيب، فتارة تهوي تلك النفس، وتارة تستيقظ وتعود أقوى من ذي قبل -والحمد لله-، لكني في خضم هذه التقلبات، كانت نفسي تحدثني وتغبط العجائز، كل ذلك لشيء واحد، وهو "إيمان العجائز"!، أي أنني كنت أسأل إيمانًا تامًا بلا علم!، ثم بعد أن هداني الله -سبحانه وتعالى- وذهبت عني وساوس الشيطان المريرة، واستقرت النفس بفضل ربها، قلت ما أجمل أن يعبد الإنسان ربه -جل في علاه- وهو مدرك تمامًا لعظمته وعظمة خلقه وواسع قدرته، وما أجمل أن يستشعر الإنسان أهميته في هذه الحياة، وأن عليه واجبات يجب أن تنقضي على أحسن حال، وما أجمل أن تستشعر النفس عظم الله -سبحانه وتعالى- في نعمه الكثيرة، وأهمها إرسال الرسل -عليهم الصلاة والسلام- لتذكير العباد بربهم، ومن ثَم هدايتهم حتى يتبعوا الحق!، فكل ما سبق يعطي معانٍ عظيمة جليلة تلامس القلوب، وتخاطب

العقول، فسبحان ربي ما أعظمه!، في خضم كل هذا، وبعد أن استقرت النفس بفضل ربها، فوجئت بسؤال صادم من زوجتي وأختي في جلسة هادئة من إحدى الليالي!، كانت الأسئلة كبيرة ومحورية، عن الجنة والنار عن إثبات وجودهما، والمانع من وجود أكثر من إله، ونحو هذه الأسئلة!، والذي صدمني بحق، أنني كنت أظن أنني الوحيد من بين أهلي من زارته تلك الشكوك يومًا أو راودته، لأكتشف بعدها أن هذا الأمر أكبر وأعظم مما كنت أظن، ومنتشر بين كثير من الناس، ويتباين سلوك هؤلاء الناس في التعامل مع هذه الأسئلة بين سؤال لمحب، أو بحث عن الحق، أو تجاهل، أو تمرد!، حتى أن هذا الأمر استغرق من زوجتي وأختي الكثير من السنوات حتى باحت كل واحدة منهن لي بسؤالها -مع أنهن يعتبرن أنني الصديق الذي لا يخفين عنه سرًا!-، وكانت كل واحدة تطرح سؤالها على استحياء!، وما تلبث الإجابة أن تخرج من فمي حتى أرى فرحًا وسعادة ارتسمت عليهن، وكأن تلك الإجابة كانت قطرات ماء لملهوف -مع أنني للأسف لست بذي علم كما يظنني!-!، وبعد كل إجابة تنطلق تساؤلات أكثر حتى وصلن إلى الحد الذي اكتفين فيه من الأسئلة، واطمأنت قلوبهن بما وصل إليهن، وذلك كله بفضل الله -سبحانه وتعالى-!، هذه الصدمات كانت صفعة قاسية لي، فماذا لو لم يهدني الله -سبحانه وتعالى- ويرزقني من العلم ما يمكنني من الإجابة عن مثل هذه الأسئلة؟!، وماذا لو أنني كنت من عوام الناس الذين ما أن يسمعوا مثل هذه الأسئلة انهالوا بالضرب أو الشتم؟!، ماذا عن المعلمين الذين ما أن يسألهم الأطفال عن أسئلة بدأت تتشكل في مخيلتهم الواسعة فتكون الإجابة ب "اخرس"، وماذا لو لم يكن المعلم مؤهلًا للإجابة على مثل هذه التساؤلات؟!، ماذا عمن لم يجد ونيس لقلبه فيطرح أسئلته عليه، فيطمئن؟!، ماذا عنا وعن دورنا في أن نتعلم وأن نتفقه في ديننا؟!، ماذا عن أنفسنا التي عجزت عن إجابة الكثير من الأسئلة

أو البحث عنها، هل بحثت تلك الأنفس عن أهل العلم وطلبت منهم ما يروي الظمأ؟!، هل أحلنا من لم نستطع إجابتهم إلى من يستطيع الإجابة عن تلك الأسئلة، أم بدأنا "نتفلسف" من بُنيات أفكارنا؟!،...إلى آخره، لذلك يا أخي، احرص على أن تتعامل مع من خاطبك من مثل هذه الأسئلة بحرص شديد، ولين ورحمة ترجو له الهداية، وترجو له اطمئنان القلب، تعلم حتى تجيب أبناءك، فإن لم تستطع أو لم تكن قادرًا على ذلك، فاجتهد وابحث عمن يجيبهم، وارغب لهم النجاة أكثر مما ترغب لهم مما في الدنيا!، قال تعالى في سورة الأحقاف: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾، هذه الآيات الكريمة فيها خطاب عقلي وإرشاد نفسي، وهو موضع الشاهد، خاطب عقلًا، وأرح قلبًا، حتى تنجو وصاحبك بإذن الله تعالى، وهذا حال كثير من آيات الله -سبحانه وتعالى-، في مخاطبة العقول والقلوب، في إرشاد العقول والقلوب للتفكر والبحث عن الحق ونبذ الهوى، في الاستشهاد العقلي الذي يمحو آثار الشبهات من القلوب، مثل إثبات البعث من خلال الاستدلال بدورة الحياة للنباتات!، فسبحان من هدى عباده، سبحانه من حكيم عليم!، اللهم ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾، برحمتك يا أرحم الراحمين يا الله، اللهم آمين.

٩٨٧. قال تعالى في سورة الأحقاف: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾، وقال تعالى في سورة فصلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾، هذه الآيات الكريمة فيها بشرى عظيمة للذين قالوا ربنا الله -جل

في علاه–، واستقاموا على ما أمروا، فأقروا بوحدانية الله –سبحانه وتعالى–، وامتثلوا لأوامره، فكانت بشراهم الجنة خالدين فيها!، يا الله ما أعظم هذا الثواب، وما أعظم هذه البشرى!، وهل بعد هذه البشرى من خوف أو حزن؟!، اللهم نسألك برحمتك أن تجعلنا منهم!، قال السعدي –رحمه الله–: "أي: إن الذين أقروا بربهم وشهدوا له بالوحدانية والتزموا طاعته وداموا على ذلك، و﴿اسْتَقَامُوا﴾ مدة حياتهم ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من كل شر أمامهم، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما خلفوا وراءهم."(١)، الحمد لله!

٩٨٨. يا أخي، إذا بلغت من العمر أربعين سنة، فقل ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، وقل: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، فإنك قد بلغت نهاية قوتك وشبابك، وتناهى عقلك، وكمل فهمك وحلمك!، فإن كان هذا هو الحال، فعلى المرء أن يحمد الله –سبحانه وتعالى– على ما هداه وما أتم عليه من نعم حتى هذه اللحظة، سائلًا إياه التوفيق والهداية لهذا الحمد ولهذا الثناء!، وعلى هذا الإنسان أن يستعد للمرحلة القادمة من حياته، وأن يسأل الله –سبحانه وتعالى– فيها التوفيق والعمل الصالح، خصوصًا فيما يتعلق ببر الوالدين والحرص على صلاح الذرية!، وهو إرشاد بليغ المعنى شديد التأثير على القلب، لأن القلب يعلم يقينًا أنه لن يخفق طويلًا بعد هذه النقطة، فهو مدرك لذلك تمامًا لأن ما قد فات قد

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – تفسير السعدي– | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الأحقاف | الجزء السادس والعشرون | الآية ١٤ | الصفحة ٧٨٠-٧٨١ | مؤسسة الرسالة | بيروت

يكون أكبر مما هو آت، ومن أدرك هذا سعى جاهدًا لأن يكون من الصالحين حتى يتوفاه الله -سبحانه وتعالى-، فاللهم رحمتك التي وسعت كل شيء، ولا حول ولا قوة إلا بك.

٩٨٩. فلْتعلمْ يا أخي أنك لن ترى موضعًا في القرآن الكريم؛ يُدعى فيه إلى الجهاد في سبيل الله -سبحانه وتعالى- إلا ورأيت المنافقين أشد الناس كرهًا وحزنًا!، يودون لو تختفي هذه الآيات أو تمحى من كتاب الله -سبحانه وتعالى-، هؤلاء عادة ما تجدهم إما أذناب لعدوهم وإما تقودهم مصالحهم لا مصالح قومهم أو أمتهم!، إذا رأوا نصرًا للمؤمنين ماتوا من الغيظ!، وإذا رأوا بوادر ضعف قفزوا كالكلاب التي يطول عوائها لتثبيط الأسود عن مساعيها!، فالحمد لله الذي أحل لنا الجهاد في سبيله وجعل ذلك من الآيات المحكمات!، الحمد لله.

٩٩٠. فلْتعلمْ يا أخي أننا ناقصون من كل وجه، لن نصل إلى الكمال مهما سعينا، وإنما نسعى جاهدين في طريق الكمال حتى ننال أكبر قدر قدرنا عليه، وهذا كله لا يتم إلا بعون الله -سبحانه وتعالى- لعبده، لذلك، لا تتمنَ المرض حتى تنال أجر الصابرين على المرض!، ولا تتمنَ ما هو آت في المستقبل وأنت لا تدرك ما فيه، أتقدر عليه أم لا تقدر!، بل اعمل واسعَ جاهدًا في حاضرك مستعينًا بالله -سبحانه وتعالى- على أكبر قدر قدرت عليه، فإن جاء المستقبل كنت أقوى لما قدمت فيما مضى من حاضرك!، ولتكن في ماضيك وحاضرك ومستقبلك متيقنًا بأن كل ما عندك من الخير أو الصبر أو التوفيق ما هو إلا بفضل الله -سبحانه وتعالى- عليك، فاحرص على دوام الشكر لله -سبحانه وتعالى-، واحرص على طلب الإعانة من الله -سبحانه وتعالى- في كل وقت، وكل حين، وفي أقصى طاقتك!، فاللهم إياك نعبد، وإياك نستعين!

٩٩١. يا أخي، لا تنتقِ من الدين ما يوافق هواك فقط!، فإن الهوى سيهوي بك إلى الضلال -والعياذ بالله-!، بل خذ ما جاء في الدين جملة وتفصيلًا!، فكله حق، وما جاء به هو الحق!

٩٩٢. فلْتعلمْ يا أخي أن من حكمة الله -سبحانه وتعالى- أن يظهر عداوة أعداء الدين من المنافقين والكافرين وأن يظهرها جلية واضحة ولو بعد حين!، بل إننا نرى ذلك في زماننا والحمد لله رب العالمين، كثرة البلاء والفتن أخرجت كثيرًا من أعداء الدين من الداخل والخارج من جحورهم، فظهرت عداوتهم جلية واضحة، فتارة يهاجمون شعائر الإسلام، وتارة يهاجمون الصالحين من المسلمين، وهكذا في كل مرة وجدوا فرصة لهم، فإن اشتموا رائحة العزة والكرامة غرقوا في مستنقع الذل مجددًا منتظرين بابًا يلجأون منه لينشروا قذاراتهم!، فالحمد لله الذي كشفهم لنا، والحمد لله عمن سيكشفهم لنا، ونسأل الله -سبحانه وتعالى- أن نكون من أصحاب القلوب السوية والعقول المنيرة، الذين ساروا على الصراط المستقيم، فاللهم اهدنا الصراط المستقيم!

٩٩٣. فلْتعلمْ يا أخي أن ما تظنه انتكاسة وخسارة، قد يكون أول الفتح والنصر!، فأحسن الظن بالله -سبحانه وتعالى-، وتعلم مما ترى ومما وقع، واسعَ جاهدًا في سُبل النصر، كلها؛ حتى تجتمع لك الأسباب بما فيها من حكمة وحسن الظن، والله المستعان.

٩٩٤. يا أخي، إذا رأيت أن الله -سبحانه وتعالى- أنعم عليك بالنعم الكثيرة الوفيرة، وأنت مداوم على الخيرات، فاحرص على المداومة على ما أنت فيه، بل اجتهد وازدد ما استطعت!، فإنك والله لا ترى ما ترى من نعيم إلا بفضل الله -سبحانه وتعالى-!، أفلا تكون عبدًا شكورًا لله -سبحانه وتعالى-؟! فاللهم لك

الحمد ملء السماوات والأرض! الحمد لله رب العالمين.

٩٩٥. فلْتعلمْ يا أخي أن من رُزق السكينة رُزق خيرًا عظيمًا!، فمن رُزقها سيستشعر حلاوة في قلبه لا مثيل لها، ولا يمكن للإنسان أن يصنع مثل هذه الحلاوة بما وجد عنده من المال أو الولد أو الجاه أو السلطان!، فهذه السكينة نعمة ورزق من الله -سبحانه وتعالى-، ينزلها على من يشاء، فإن أصابت المؤمن جعلته أقرب لله -سبحانه وتعالى- في طاعاته وأحواله، أقوى وأشد وأكثر صبرًا وجلدًا على ما يرى في هذه الدنيا!، هذه السكينة لا يستشعر عظمتها إلا من نالها! ومن فقدها -والعياذ بالله-!، فالأول بما فيه من فرح على ما وجد في قلبه، والثاني بما فيه حزن وندامة عما خسره من قلبه!، فاللهم أنزل السكينة علينا وعلى قلوب المؤمنين، ولا حول ولا قوة إلا بك.

٩٩٦. فلْتعلمْ يا أخي أن عدوك ليس بالضرورة أن يكون دومًا ضعيفًا أو جاهلًا أو ساذجًا أو جبانًا!، بل قد يكون هذا العدو ذا قوة وذا بأس شديد!، وهذا ليس جُبنًا!، فالإقرار بقوة الخصم القوي، مدعاة لأن تستعد للقائه كما ينبغي!، فإن أدركت المراد، فعليك أن تسعى لأن تكون ذا قوة وذا بأس شديد فتفوق عدوك!، ولْتعلمْ أن الإيمان بالله -سبحانه وتعالى- مدعاة للأخذ بأسباب القوة، فبذلك تجتمع لدى المسلم القوة الروحية والقوة المادية، وتذكر أن الله -سبحانه وتعالى- مولانا ولا مولى لعدونا!، وتذكر أننا نرجو من الله -سبحانه وتعالى- ما لا يرجو عدونا!، فاللهم القوة من عندك!، ولا حول ولا قوة إلا بك.

٩٩٧. فلْتعلمْ يا أخي أن من الأدب أن تحدث غيرك بصوت مسموع، لا هو بالعالي المزعج ولا بالمنخفض الذي لا يُسمع، وإن أتيت زائرًا أو أتيت في حاجتك

فلا تأتِ في الوقت الذي ينشغل فيه عن الناس، وفي الوقت الذي فيه قضاء حوائجه، وفي الوقت الذي فيه راحة من يزور وراحة أهل بيته، وهذا فيه خير كثير لك ولصاحبك!، فاللهم كما حسنت خلقنا فأحسن خُلقنا، برحمتك يا أرحم الراحمين يا الله.

٩٩٨. فلْتعلمْ يا أخي أن خبر الفاسق لا يؤخذ مجردًا!، بل يجب التثبت منه قبل نشره والحكم فيه، فإن كان صدق، أخذنا به، وإن كان كذبا رددناه عليه!

٩٩٩. قال تعالى في سورة محمد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢﴾، هذه الآية الكريمة فيها لفتة مهمة تنبثق منها حِكمًا عديدة، قال السعدي -رحمه الله-: "لما ذكر تعالى أنه ولي المؤمنين، ذكر ما يفعل بهم في الآخرة، من دخول الجنات، التي تجري من تحتها الأنهار، التي تسقي تلك البساتين الزاهرة، والأشجار الناظرة المثمرة، لكل زوج بهيج، وكل فاكهة لذيذة. ولما ذكر أن الكافرين لا مولى لهم، ذكر أنهم وُكِلُوا إلى أنفسهم، فلم يتصفوا بصفات المروءة، ولا الصفات الإنسانية، بل نزلوا عنها دركات، وصاروا كالأنعام، التي لا عقل لها ولا فضل، بل جل همهم ومقصدهم التمتع بلذات الدنيا وشهواتها، فترى حركاتهم الظاهرة والباطنة دائرة حولها، غير متعدية لها إلى ما فيه الخير والسعادة، ولهذا كانت النار مثوى لهم، أي: منزلًا معدًا، لا يخرجون منها، ولا يفتر عنهم من عذابها."(١)، وقال ابن كثير -رحمه الله-: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ أي: في

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة محمد | الجزء السادس والعشرون | الآية ١٢ | الصفحة ٧٨٦ | مؤسسة الرسالة | بيروت

دنياهم، يتمتعون بها ويأكلون منها كأكل الأنعام، خضمًا وقضمًا وليس لهم همة إلا في ذلك"(١)، هذه المعاني مهمة جدًا للتخلص من مشاكل عدة أهمها مشكلة النقص!، **إن حال كثير من الناس أن يتبع الأقوى وسلطانه إن هُزم أو دارت عليه الدائرة!، وكثير من هؤلاء تتسلل إلى عقولهم ونفوسهم أفكار عدوهم حتى يصيروا مدافعين عنها أكثر من أصحابها!، وكثير من الناس يتنازل عن الحق الواضح ويذهب ليجمع ويوفق بين ما لا يمكن جمعه، إلا بتغيير وتحريف المعاني والمقاصد عن أصلها، أو بتغيير معاني ومقاصد الأمرين معًا!**، والأمثلة على هذا كثيرة، **فمع ظهور الغرب وظهور الفوارق بين الإمكانات بين الغرب من جهة، والأمة الإسلامية من جهة أخرى، حاول الكثير من الناس بقصد أو بدون قصد، تتبع التيارات الفكرية المختلفة، فتارة يحاولون جعل الإسلام عالمانيًا، وتارة إسلاميا اشتراكيًا، وتارة إسلاميا ليبراليًا...إلى آخره، وكأن الإسلام ليس كينونة مستقلة بذاته!، وكأنه بحاجة لأي منظومة أخرى حتى تسنده؟!**، هذه العمليات بنت جسورًا من الأفكار الضالة إلى قلوب المساكين الذين خدعوا بها وبالحملة الدعائية المصاحبة لها!، هذا كله زاد في حدة الشعور بالنقص وعقدته حتى استفحل أمرها عند كثير من شباب الأمة، وصاروا يقلدون الغرب ويصفونهم بتهويل لا يصفوه لأنفسهم!، وقد أحسن الوصف؛ إبراهيم السكران -رحمه الله- فقال: "ولذلك ففي وسائل إعلام الدول المستضعفة تحتل الليبرالية ـ وهي أيديولوجية الغرب، المساحة الواسعة فيها، وتمنح مقاعد الذروة لرموز الخطاب الدعوي المدجن الذين يدفعون باتجاه "تفتير" مفاهيم العزة العقدية والاستعلاء الديني على الفكر الغربي، وإرضاع المشاهد الغر مشاعر الانكسار والهزيمة أمام الغرب الغالب،

---

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٧١٨ | تفسير سورة محمد | الآية ١٢ | دار ابن حزم | بيروت

الذي يصفونه بأنه الهائل المتفوق المبدع الحضاري المتقدم في جميع مجالات الحياة، ونحوها من الأوصاف التهويلية **التي تستبعد من الصورة الانحطاط الغربي في أعظم المطالب كالجهل بالله، وهو أعظم مطلوب، والفواحش، والجريمة، والمادية البائسة، والحياة البهيمية الراتعة التي وصفها كتاب الله بقوله** ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾[(١)]، إن ما قاله إبراهيم السكران في قمة الروعة!، أشار إلى المرض، فتبين العلاج!، **كيف يمكن لمن ملك الأعلى أن يشعر بالنقص لافتقاره الأدنى؟!، كيف يمكن لمن كان على الإيمان أن يشعر بالنقص أمام البهيمية الراتعة؟!**، إن أول خطى العلاج أن نعرف الله -سبحانه وتعالى- كما ينبغي له، مدركين لمعنى التوحيد كما أنزله الله -سبحانه وتعالى- على رسوله الكريم ﷺ!، فمن عرف هذا؛ سمت روحه إلى السماء، وترفعت عن دنو الطين!، وهذه أول سبل العزة، وبها ينتفي النقص وينتفي الانبهار والاتباع كما يريدونه لنا!، **ومن أنارت العزة قلبه أخذ بالعمل حتى يرتقي ويصير الأقوى، منطلقًا من منظومته وأفكاره لا منظومة غيره وافكار غيره!، فإن كانت هذه هي انطلاقته؛ كان تعلمه ونظره في علوم الغير يصب في منفعته وضمن قيمه، وبهذا تنكسر جسور الانبهار والانكسار!**، وقد طرح مالك بن نبي -رحمه الله- مجموعة من التساؤلات وأجاب عنها حول دور المسلم، فقال: "كيف يستطيع الإنسان المسلم الذي لا يتمتع بالقدر الكافي من الإمكانيات الحضارية حتى لتحقيق لقمة عيشه؟ كيف يستطيع إنقاذ الآخرين؟ وكيف يتطلع لهذه الرسالة؟... إذا تساءلنا هذا السؤال يجب علينا أيضًا أن نتساءل، بهذا المنطق نفسه: لماذا استطاع ذلك أولئك الأعراب الفقراء في عهد محمد ﷺ؟ لماذا

---

(١) كتاب سلطة الثقافة الغالبة | إبراهيم السكران | الطبعة الأولى | الصفحة ١٨ -١٩ | دار الحضارة | الرياض

قام أولئك الأعراب الفقراء الأميون بإنقاذ الإنسانية وشعروا أنهم جاءوا من أجل إنقاذها؟ فقد كانوا يعلنون هذا في أقوالهم ومخاطباتهم للآخرين سواء من أهل الفرس أو من أهل روما. **كانوا يقولون لهم: لقد أتينا لننقذكم. إنهم لم يشعروا بمركب النقص. لماذا لم يشعروا بمركب النقص؟ لأن الإمكانيات الحضارية المتكدسة أمامهم في فارس أو في بيزنطة أو في روما لم تفرض عليهم النقص، وبعبارة أخرى لم تبهرهم، كانوا يشعرون أمام الإمكانيات الحضارية المتكدسة، بإرادة حضارية تفوق كثيراً ما تبقى منها لدى المجتمعات المتحضرة في ذلك العصر.**"[١]، وبالعودة إلى الآية الكريمة، فإننا نلخص القول "وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ"، فلا تغريك حياة الأنعام على حياة الإنسان!، ولا الإيمان على الكفر!، وانظر بعزة لنفسك وأخبرها بأهمية دورها في هذه الحياة، أخبرها بعزة المسلم، وأنك لم تخلق عبثًا!، أخبرها بتاريخك المشرف، واصنع حاضرك المزهر، علمها أن هناك مساكين من أصحاب الفطر السوية من الرجال والنساء في الغرب ينتظرون وصول دعوة الإسلام إليهم؛ لتنقذهم مما هم فيه!، فالله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٠٠٠. قال تعالى في سورة الحجرات: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩﴾، هذه الآية فيها من الأحكام العظيمة ما فيها، قال السعدي -رحمه الله-: "هذا متضمن لنهي المؤمنين، [عن] أن يبغي بعضهم على بعض، ويقاتل بعضهم بعضًا، وأنه إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين، فإن على غيرهم من المؤمنين أن يتلافوا هذا الشر الكبير، بالإصلاح بينهم،

---

(١) كتاب دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين | مالك بن نبي | الصفحة ٤٩ | دار الفكر | الجزائر

والتوسط بذلك على أكمل وجه يقع به الصلح، ويسلكوا الطريق الموصلة إلى ذلك، فإن صلحتا، فبها ونعمت، وإن ﴿بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ﴾ أي: ترجع إلى ما حد الله ورسوله، من فعل الخير وترك الشر، الذي من أعظمه، الاقتتال، [وقوله] ﴿فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ هذا أمر بالصلح، وبالعدل في الصلح، فإن الصلح، قد يوجد، ولكن لا يكون بالعدل، بل بالظلم والحيف على أحد الخصمين، فهذا ليس هو الصلح المأمور به، فيجب ألا يراعى أحدهما، لقرابة، أو وطن، أو غير ذلك من المقاصد والأغراض، التي توجب العدول عن العدل، ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ أي: العادلين في حكمهم بين الناس وفي جميع الولايات، التي تولوها، حتى إنه، قد يدخل في ذلك عدل الرجل في أهله، وعياله، في أدائه حقوقهم، وفي الحديث الصحيح: المقسطون عند الله، على منابر من نور الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم، وما ولوا"[(١)]، وقد قال القرطبي -رحمه الله- قولًا جميلًا في تفسير هذه الآية، يمكن الرجوع إليه للاستزادة.

١٠٠١. فلْتعلمْ يا أخي أن الثمار التي نجدها في ديننا من أطيب ما يجده القلب ويدركه العقل، ومن هذه الثمار الجميلة "أخوة الإسلام"، فالمسلم أينما كان، في مشارق الأرض ومغاربها، في حال القوة أو الضعف، في الغنى أو الفقر، هو أخ لي في الإسلام، تجب محبة الخير له، وتجب نصرته، يحب المسلم لأخيه ما يحبه لنفسه، ويكره له ما يكرهه لنفسه، يربطهم بنيان عظيم، فيه ميثاق غليظ!، لا يحل فيه لأخ أن يحسد أخاه، ولا أن يخطب فوق خطبته، ولا يبيع فوق بيعه، ينصره وإن كان

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الحجرات | الجزء السادس والعشرون | الآية ٩ | الصفحة ٨٠٠ | مؤسسة الرسالة | بيروت

من غير لونه أو أرضه أو عشيرته، فالحق أولى بالاتباع، أخوة لا ترى جمالها إلا بجمال الإيمان في قلبك، ويكفي بجمال هذه النعمة أنك ترى بشاشة الإيمان في وجه أخيك، تشعر بالقرب الذي بينك وبينه وأنت لم تره، فتعلم عظم هذا الدين الذي وحد هذه القلوب وألف بينها!، ألم ترَ عظم هذا الدين وفيه أخوة الإيمان يذكر بعضهم بعضًا حتى وإن مضت ذكراهم من قرون طويلة؟!، ألم تعلم عظم هذه النعمة وأن ترجو الله -سبحانه وتعالى- أن يجمعك مع المؤمنين، وأن يغفر لك ولهم، وكلهم يدعوكما دعوت؛ فيصيبك من دعائهم، وتصيبهم من دعائك؟!، ألم تسمع قوله تعالى في سورة الحشر: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾، ألم تسمع قوله تعالى في سورة الحجرات: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾، قال ابن كثير -رحمه الله-: "وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ أي: الجميع إخوة في الدين، كما قال رسول الله ﷺ: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه". وفي الصحيح: "والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ". وفي الصحيح أيضا: "إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك: آمين، ولك بمثله ". والأحاديث في هذا كثيرة، وفي الصحيح: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ". وفي الصحيح أيضا: " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا " وشبك بين أصابعه."[(١)]، ألا يكفي أن المسلم إذا رأى أخاه المسلم في ضيق فهو في ضيق معه!، **والله لا يحزن القلب أكثر من عجزنا عن نصرة إخواننا في**

---

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٧٤٧ | تفسير سورة الحجرات | الآية ١٠ | دار ابن حزم | بيروت

مشارق الأرض ومغاربها، في فلسطين والشيشان وأفغانستان، في تركستان وبورما، في فرنسا وغيرها، لكننا نقول، والله لن ننساكم، وسنخبر أبناءنا عن مضطهديكم، وسنربي في قلوبهم حبكم، والهمة لنصركم، فإن لم يكن النصر على أيدينا، كان على أيدي أبنائنا!، ونسأله سبحانه، أن ينصرنا وإياكم، وأن يثبت أقدامنا وأقدامكم على الحق، وأن يخفف عنا وعنكم، وأن يظهر دينه ويعز عبيده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

١٠٠٢. يا أخي، إياك وأن تعير أخاك بذنب قد تاب منه!، فإن الله -سبحانه وتعالى- التواب الرحيم، ويقبل التوبة عن عباده!، فمن أنت حتى تذم وتنتقص من شخص قد أناب إلى الله -سبحانه وتعالى- وأظهر توبته واستغفر لذنبه؟!

١٠٠٣. يا أخي، نادِ الناس بأحب الأسماء إليها، ولا تنادِ الناس بأبغض الأسماء إليهم، ولا تنادِهم بما يكرهون!، فذلك أدعى للألفة والمحبة، وصفاء القلوب، وأقرب للتقوى، وأبعد عن الذنب!

١٠٠٤. فلْتعلمْ يا أخي أن التكني من آداب الإسلام، وقد كنى الرسول ﷺ علي -رضي الله عنه- بأبي تراب، وقد كانت أحب الأسماء له!، ولْتعلمْ أن المناداة بالألقاب المحببة إلى القلوب سمة حسنة طيبة، فكل لقب طيب تحبه النفس وترغبه، هو أحرى بالاستعمال، أما ما يراد به السوء أو الانتقاص من المنادى عليه، فذلك شر نعوذ بالله منه، وفي أحكام الألقاب كنز عظيم، يمكن الرجوع إلى الكتب الفقهية للاستزادة منها.

١٠٠٥. قال تعالى في سورة الحجرات: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ

وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾، قال السعدي -رحمه الله-: "وهذا أيضًا، من حقوق المؤمنين، بعضهم على بعض، أن ﴿لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ بكل كلام، وقول، وفعل دال على تحقير الأخ المسلم، فإن ذلك حرام، لا يجوز، وهو دال على إعجاب الساخر بنفسه، وعسى أن يكون المسخور به خيرًا من الساخر، كما هو الغالب والواقع، فإن السخرية، لا تقع إلا من قلب ممتلئ من مساوئ الأخلاق، متحلٍ بكل خلق ذميم، ولهذا قال النبي ﷺ "بحسب امرئ من الشر، أن يحقر أخاه المسلم" ثم قال: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: لا يعب بعضكم على بعض، واللمز: بالقول، والهمز: بالفعل، وكلاهما منهي عنه حرام، متوعد عليه بالنار. كما قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ الآية، وسمي الأخ المؤمن نفسًا لأخيه، لأن المؤمنين ينبغي أن يكون هكذا حالهم كالجسد الواحد، ولأنه إذا همز غيره، أوجب للغير أن يهمزه، فيكون هو المتسبب لذلك. ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ أي: لا يعير أحدكم أخاه، ويلقبه بلقب ذم يكره أن يطلق عليه وهذا هو التنابز، وأما الألقاب غير المذمومة، فلا تدخل في هذا. ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ أي: بئسما تبدلتم عن الإيمان والعمل بشرائعه، وما تقتضيه، بالإعراض عن أوامره ونواهيه، باسم الفسوق والعصيان، الذي هو التنابز بالألقاب. ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ فهذا [هو] الواجب على العبد، أن يتوب إلى الله تعالى، ويخرج من حق أخيه المسلم، باستحلاله، والاستغفار، والمدح له مقابلة [على] ذمه. ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ فالناس قسمان: ظالم لنفسه غير تائب، وتائب مفلح، ولا ثَم قسم ثالث غيرهما."[١]، وقال ابن كثير -

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الحجرات | الجزء السادس والعشرون | الآية ١١ | الصفحة ٨٠١ | مؤسسة

رحمه الله-: "ينهى تعالى عن السخرية بالناس، وهو احتقارهم والاستهزاء بهم، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: " الكبر بطر الحق وغمص الناس " ويروى: " وغمط الناس" والمراد من ذلك: احتقارهم واستصغارهم، وهذا حرام، فإنه قد يكون المحتقر أعظم قدرًا عند الله وأحب إليه من الساخر منه المحتقر له; ولهذا قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾، فنص على نهي الرجال وعطف بنهي النساء. وقوله: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ أي: لا تلمزوا الناس. والهماز اللماز من الرجال مذموم ملعون، كما قال [تعالى]: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]، فالهمز بالفعل واللمز بالقول، كما قال: ﴿هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ﴾ [القلم: ١١] أي: يحتقر الناس ويهمزهم طاعنًا عليهم، ويمشي بينهم بالنميمة وهي: اللمز بالمقال; ولهذا قال هاهنا: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾، كما قال: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [النساء: ٢٩] أي: لا يقتل بعضكم بعضًا قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، ومقاتل بن حيان: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ أي: لا يطعن بعضكم على بعض. وقوله: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِ﴾ أي: لا تتداعوا بالألقاب، وهي التي يسوء الشخص سماعها."(١)، وحقيقة يا إخواني، العجب كل العجب كيف يقدر الإنسان على السخرية من أخيه!، كيف ينتقص منه! أيتكبر لما هو فيه من الخير؟!، أم لأنه يرى نفسه أفضل من غيره؟!، وحقيقة هذه الآفة وإن كانت منتشرة بكثرة في مجتمعاتنا، إلا أننا نراها بكثرة بين نسائنا -للأسف-، فيكثر عندهن الاستهزاء والهمز واللمز في حق بعضهن، ومن أكثر

الرسالة | بيروت

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٧٤٧ | تفسير سورة الحجرات | الآية ١١ | دار ابن حزم | بيروت

الأمثلة الحية على ذلك الحفلات -خصوصًا الأعراس- التي تقام، وجلسات "الجارات"، ولولا صحوة الإيمان التي نراها تتوقد هنا وهناك، لكن الأمر أشنع وأصعب، لكن، الحمد لله الذي يهدي عباده، الحمد لله رب العالمين.

١٠٠٦. فلْتعلمْ يا أخي أن التغافل عن بعض الأخطاء سمة عظيمة، فليس كل ما يُرى يجب تتبعه!، فإن رأيت من أخيك سوء قد ظهر منه لا يريد إبداءه، واستتر من سوء ما ظهر منه، فتغافل عنه ولا تتبع عوراته وأخطاءه وزلاته، ولا تعايره ولا تمن عليه بما سترت عليه، بل لا تشعره بأنك تعرف إن كان في هذا خيرًا، وأعنه على الستر ولا تفضحه!، وكن محراكًا للخير أينما كنت.

١٠٠٧. يا أخي، إياك أن ترخي سمعك لما أُخفي عنك من الكلام، وإياك أن ترخي بصرك لما ستر عنك!، فالله الله في نفسك، فإنك لا تخرج عن أمرين، إما مريض في قلبه سوء الظن قد استفحل، أو لص يسترق السمع والنظر؛ لغاية خبيثة في نفسه!

١٠٠٨. يا أخي، إياك والغيبة، والغيبة هي ذكرك أخاك بما يكره ولو كان فيه!، والغيبة من الكبائر المخيفة، التي قد يستسهل الناس فعلها، أو يقعوا بها دون عزم عليها، وقد روت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-: "قلتُ للنبيِّ ﷺ حسبُك من صفيةَ كذا وكذا، قال: غيرُ مُسَدِّدٍ تعني قصيرةً. فقال: لقد قلتِ كلِمَةً لو مُزِجت بماءِ البحرِ لمزجته. قالت: وحكيْتُ له إنسانًا، فقال: ما أُحِبُّ أني حَكيْتُ إنسانًا وأن لي كذا وكذا."[١]، أي أن أمنا عائشة -رضي الله عنه- ذكرت أمنا صفية -رضي الله عنها-

---

(١) الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح أبي داود الصفحة أو الرقم: ٤٨٧٥ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

بأن من عيوبها أنها قصيرة، فقال رسول الله ﷺ بما معناه، بأن تلك الكلِمةِ لو خُلِطَتْ بماءِ البحرِ لغيَّرتْ لونَه أو رِيحَه، وهذا كله من الحرص الشديد على تحريم الغيبة، قال تعالى في سورة الحجرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾، أرأيت عظم هذا التشبيه؟!، أرأيت عظم هذا الإنكار؟!، فإن أدركت هذا فعليك الحرص أشد الحرص على ألا تقع في هذا الذنب، وأن تستغفر الله -سبحانه وتعالى- لذنبك، وأن تعزم على ألا تعود إليه، وهناك حالات تستثنى من الغيبة، وذلك مثل علم الجرح والتعديل، فالمصلحة تقتضي ذلك، وكذلك في النصيحة مثل من يسأل عن زوج تقدم لابنته، فإن الإجابة بصدق لا تعد غيبة هنا، على ألا يسترسل المسئول قاصدًا تشويه صورة المسئول عنه بدلًا من الإيفاء بغرض السؤال، وفي هذا روت فاطمة بنت قيس -رضي الله عنها-: "...قالَتْ: فَلَمَّا حَلَلْتُ ذَكَرْتُ له أنَّ مُعَاوِيَةَ بن أَبِي سُفْيَانَ، وَأَبَا جَهْمٍ خَطَبَانِي، فَقالَ رَسُولُ الله ﷺ: أَمَّا أَبُو جَهْمٍ، فلا يَضَعُ عَصَاهُ عن عَاتِقِهِ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لا مَالَ له..."(١)، وفي أحكام الغيبة وتفصيلتها وكيفية التحلل منها كلام يرجع فيه إلى أهل الفقه، فاللهم نسألك رحمتك، ونعوذ بك من غضبك، ولا حول ولا قوة إلا بك.

١٠٠٩. فلْتعلمْ يا أخي أن من القبائح التي نراها بكثرة في أيامنا هذه، الضحك والاستهزاء على ما وقع على الناس من عثرات أو ما أصابهم من آلام، فتجد أحدهم ينشر ضاحكًا مقطعًا لعجوز مسكين قد سقط على الأرض، أو لشاب اصطدم بحاجز

---

(١) منقول باختصار | الراوي: فاطمة بنت قيس | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ١٤٨٠ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

ما، أو لعامل تعرض لإصابة ما، أو لموقف آذاه، أو لمغترب مسكين تعرض للازدراء من قوم آخرين...إلى آخره، كل هذه الأمور وغيرها تثير في العقل حيرة عجيبة!، أفقد هؤلاء الناس إنسانيتهم؟!، أم أنهم أجروا عقولهم وقلوبهم؟!، لماذا لهثوا وراء المتعة أينما كانت وكيفما كانت؟!، كل ذلك يقودك إلى أن هناك داء ما، كثيرًا ما تجده عند هؤلاء الأشخاص، سأسميه "داء المتعة"، **هذا الداء جعل من الإنسان الغربي باحثًا في شهواته حتى يجد ما يمتعه، فإن وجد ما يمتعه فهذا ما يريده ولا يرغب بتركه، مهما كان هذا الأمر شنيعًا ومهما كان الأمر فظيعًا، أما عندنا فقد أخذ هذا الداء منحنى آخر وهو الضحك على كل شيء!، الضحك والاستهزاء حتى على مصائب الناس وآلامهم، البحث عن الهزل في الجد، وتحويل الجد إلى هزل ونحو ذلك، وكل ذلك مما لا ينبغي للمسلم أن يفعله أو أن يقربه!، بل على العكس من ذلك، فالمسلم يجب عليه أن يهب لنجدة أخيه ومساعدته فورًا، ويهب لدفع الأذى عنه ما استطاع!**، ويا ليت قومي يبحثون عن المتعة في مكانها ووقتها، ويا ليتهم وقت الجد في جد وعمل...، اللهم اهدنا إلى صراطك المستقيم!، ولا حول ولا قوة إلا بك.

١٠١٠. قال تعالى في سورة الحجرات: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ
وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ
أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ
يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥ قُلۡ
أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ
١٦ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ
إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾،
تأمل هذه الآيات الكريمة، فهي فوق أي قول، اقرأها بتدبر ثم عد فاقرأها!، واجعل معانيها تتغلغل في قلبك وعقلك، فإن عقلت هذه المعاني العظام، وتغلغلت نفحات

الخير إلى قلبك، فاحمد الله -سبحانه وتعالى- أن هداك للإيمان، واحذر من أن تمن على الله -سبحانه وتعالى- بإيمانك! فإن الإيمان نعمة عظيمة جليلة، من الله -سبحانه وتعالى- لك، تستلزم دوام الطاعة والتذلل لجلاله وملكوته!، ألا يكفي أنه قد أخرجنا من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان؟!، ثم الحق والحق أقول، ما تخرج هذه التصرفات من مؤمن حقًا!، فالمؤمن من آمن بالله -سبحانه وتعالى-، وآمن برسوله ﷺ، ولم يَرْتبْ، فهو مصدق لما أنزل إليه، مجاهد في سبيل الله -سبحانه وتعالى- في ماله ونفسه، هؤلاء أصدق الناس، وهؤلاء المؤمنون حقًا، فاللهم اجعلنا برحمتك من عبادك المؤمنين.

١٠١١. يا أخي، احذر أن تكون مناعًا للخير، فتمنع الناس عن فعل الخيرات، وتمنع نفسك عن ذلك أيضًا!، ولْتعلمْ يا أخي أن من أكثر الشك وآثر الشح كان هذا طريقه، لذلك، احرص على ألا يزول يقينك بشك، واحرص على تربية نفسك على الإنفاق في وجوه الخير، وعلم نفسك معنى الكرم، ولتُرها مصارف الإنفاق التي ارتضاها لنا الله -سبحانه وتعالى-، فإن فعلت، فزت بإذن الله -تعالى- في نعيم الدنيا وحسن ثواب الآخرة!، فاللهم رحمتك التي وسعت كل شيء، ولا حول ولا قوة إلا بك.

١٠١٢. إياك يا أخي أن تكون ممن يعبد إلهين اثنين!، فإن سألت كيف هذا، فأقول لك أن أبواب ذلك كثيرة!، أولها وأشهرها أن يشرك الإنسان بربه، وهناك طرق غير مباشرة كمن يقول بفصل الدين عن الدولة!، وكأن التشريع الذي أنزله الله -سبحانه وتعالى- هو النسك فقط!، يريد أن يعبد دين السياسة عابدًا مقدسًا لمن وضعه، ناكرًا مبعدًا لشرع الله -سبحانه وتعالى-، لا يدرك أن الدين هو الحياة بكل حيثياتها!، وقائل هذا القول إما جاهل بالدين ومعناه، وإما ماكر خبيث!، قال تعالى في

سورة ق: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾﴾، قال السعدي -رحمه الله-: ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ الله إِلَهًا آخَرَ﴾ أي: عبد معه غيره، ممن لا يملك لنفسه نفعًا، ولا ضرًا، ولا موتًا ولا حياة، ولا نشورًا، ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾ أيها الملكان القرينان ﴿فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ الذي هو معظمها وأشدها وأشنعها."[١]، وقال تعالى في سورة النساء: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾، وقال تعالى في سورة الملك: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾، وقال تعالى في سورة النساء: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾، ولْتعلمْ يا أخي أن الغرب عنده مصطلح الدولة الدينية، وهذا مصطلح خطير ذاقوا ويلاته حتى ثاروا على الكنيسة التي حاربت الناس حتى آخر رمق، **بينما الدولة الإسلامية هي مفهوم آخر مختلف تمامًا، فالدولة الدينية بالمفهوم الغربي تشير إلى سلطة الكنيسة، وأن الحاكم إنما يعبر عن إرادة الله -سبحانه وتعالى-!، وعلى هذا فلا يحق للشعب معارضته ورفض ما جاء به من قرارات، وهذا شكل من أشكال الاستعباد الخفي!، لهذا ظهر في مقابل هذا المصطلح مفهوم الدولة المدنية، والذي يعكس ويمثل فكرة "سلطة الإنسان" والتي منها "سلطة الشعب"، وبهذا فهي نقيض الدولة الدينية، وكلا المفهومين يعودان للمجتمع الغربي، فمشكلة المصطلح الأول تم علاجها عندهم في المصطلح الثاني، لكن، هل لهذا علاقة في الدولة الإسلامية؟ قطعًا لا، فالإنسان ليس هو مصدر التشريع، ولا يمثل الحاكم إرادة الله -جل في علاه-!، فلو اتفق الشعب كله**

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة ق | الجزء السادس والعشرون | الآية ٢٦ | الصفحة ٨٠٦ | مؤسسة الرسالة | بيروت

على إباحة الشذوذ، فإن الدولة المدنية ستجعل من هذا الفعل القبيح مباحًا، وفي الدولة الدينية لو أراد الحاكم ذلك لأصبح مباحًا!، بينما في الدولة الإسلامية سيبقى الحرام حرامًا ولو فعله الناس كلهم، فمصدر التشريع هو الله -سبحانه وتعالى-، ولا يستطيع الحاكم ولا المحكوم الخروج عن تشريع الله -سبحانه وتعالى-، ومخالفة حكمه!، وبهذا فإن مصدر التشريع في الدولة الإسلامية هو القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، التي يتحاكم لها الصغير والكبير، الفقير والغني، الحاكم والمحكوم، وهذا كله من عظمة الخالق العظيم، بينما يلعب الإلهام في الدولة الدينية دورًا مهمًا للحاكم أو للبابا، فالإلهام يمثل مرجعية دينية لهم!، فالحمد لله رب العالمين على نعمة الإسلام!، اللهم اجعلنا من عبادك وحدك لا شريك لك، مخلصين لك الدين، مقرين بوحدانيتك وعظمتك، كافرين بالطاغوت، ولا حول ولا قوة إلا بك.

١٠١٣. يا أخي، لا تضع عمرك وأنت لاهٍ عن عبادة الله -سبحانه وتعالى- والامتثال إلى أوامره!، ولاهٍ عما هو مفيد لك في دينك ودنياك!، ولاهٍ عن علم تنتفع فيه، وعن رياضة تتقوى بها، وعن عمل يجب أن تقوم به!، فإن كل ما أضعت من عمرك وأنت لاهٍ عنه، سيكون عليك حسرات في الدنيا قبل الآخرة!، وتعويض ما فاتك لا يكون إلا بأمرين، العزم والعمل!، فمن أضاع دينه، عزم على أن يعود إليه، وأن يعمل بما يقتضيه هذا العزم، ومن أضاع وقته، عزم على استغلال وقته، وحرص على العمل فيه بما يقتضيه الخير!، وإياك أن تنسى أن تطلب العون من الله -سبحانه وتعالى-، فإياه نعبد، وإياه نستعين! قال إبراهيم الحربي: "أجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يُدرك بالنعيم"[1]، ومن جميل ما ورد في هذا الباب -باب التعب والسعي

---

(١) كتاب مسلكيات | إبراهيم السكران | الصفحة ١٧ - ١٨ | الطبعة الأولى | دار الحضارة | الرياض

وحفظ الوقت فيما هو نافع-، ما ذكره إبراهيم السكران -رحمه الله-: "هذه العلاقة بين (التعب والنجاح)، هل جاءت الإشارة إليها في القرآن والسنة النبوية؟ نعم، جاءت إشارات كثيرة لهذه العلاقة، من أهمها ذلك التصوير النبوي الأخاذ إذ قال ﷺ في جملة مكثفة بيانية جميلة: «حُفَّت الجَنَّة بِالمَكَارِه» [صحيح مسلم: ٢٨٢٢] فالجنة لا يوصل إليها إلا بمكابدة ما تكرهه النفوس من ترك الهوى والشهوات.. وفي تصوير نبوي آخر في غاية الجمال الأدبي رسم النبي ﷺ مشهد المؤمن وهو يتحمل الكلفة والجهد بقوله: «الدُّنيَا سِجنُ المُؤْمِن» [صحيح مسلم: ٢٩٥٦]. وإذا قارنت بين تصوير القرآن لأهل الجنة، وتصوير القرآن لأهل النار؛ تلاحظ كيف يذكر القرآن أن أهل الجنة ازدحموا فوق جسور التعب في الدنيا، وأهل النار استرسلوا مع الراحة والنزوة.. تأمّل -مثلًا- كيف يذكر الله تقليل أهل الجنة لنومهم في الدنيا وسهرهم في عبادة الله، كما قال الله: ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧﴾ [الذاريات:١٦-١٧]. وقول الله عن قلة نوم سادات الصحابة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ [المزمل:٢٠] وقول الله لنبيه: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [المزمل:٢]. بالله عليك أعد تأمل هذه الآيات ﴿...قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾، ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ ونحوها، وقارن ذلك بوسائدنا التي تقوست من نوم الليل والنهار.. إنها المعالي تحتاج المكابدة.. وفي مقابل أهل الجنة، قارن نمط معيشة أهل النار لما كانوا في الدنيا وكيف يصورها القرآن؟ يقول الله عن أهل الشمال: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ﴾ [الواقعة:٤٥]. ولذلك فإن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة استقبلتهم الملائكة بالتهاني والترحيب بألفاظ تشير إلى هذا المعنى كما قال الله: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم

بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ [الرعد:٢٣-٢٤]. فلاحظ كيف جعلت الملائكة العبارة الترحيبية ﴿بِمَا صَبَرۡتُمۡ﴾ بما يشير لأمور تخالف الراحة حملوا أنفسهم عليها.."[١]، وروي في الأثر عن ابن مسعود -رضي الله عنه-: "إني لأمقت الرجل أراه فارغًا ليس في شيء من عمل الدنيا ولا عمل الآخرة"، فاللهم برحمتك، اجعلنا ممن رأى طريق الحق فسار عليه؛ بقوة وعزم وحب للخير.

١٠١٤. فلْتعلمْ يا أخي أن الضيف مكرم بالقول والفعل، وهي من السنن التي فعلها خليل الرحمن، إبراهيم -عليه السلام-، ألم تسمع قوله تعالى في سورة الذاريات: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾، وقد حثت السنة النبوية الشريفة على ذلك، فروى المقدام -رضي الله عنه- عن الرسول ﷺ أنه قال: "ليلةُ الضَّيفِ حقٌّ على كلِّ مسلمٍ، فمن أصبح بفِنائِه، فهو عليه دَينٌ، إن شاء اقتَضى، وإن شاء ترك"[٢]، فإن علمت هذا، فأكرم ضيفك!، والحقُّ يقال، فإن إكرام الضيف ما زال بفضل الله -سبحانه وتعالى- عادة حسنة ما زالت تجري إلى يومنا هذا!، فالحمد لله.

١٠١٥. فلْتعلمْ يا أخي أن الفرار الوحيد؛ المحبب إلى القلوب النقية، هو الفرار إلى الله -سبحانه وتعالى-، فيفر الإنسان من الشيطان وأعماله إلى الله -سبحانه وتعالى- وأوامره، ومن الشر إلى الخير، ومن الجهل إلى العلم، ومن الذنب إلى التوبة، ومن الضعف إلى القوة، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الكبر إلى التواضع، ومن الكسل إلى النشاط...إلى آخره، هذا الفرار إن زرع في قلب أحد؛ فقد حاز خيرًا واسعًا، قال تعالى في سورة الذاريات: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ

---

(١) كتاب مسلكيات | إبراهيم السكران | الصفحة ٢٠ - ٢٢ | الطبعة الأولى | دار الحضارة | الرياض

(٢) الراوي: المقدام بن معدي كرب | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح أبي داود الصفحة أو الرقم: ٣٧٥٠ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

﴿٥٠﴾، ولْتعلمْ أن كل فرار لم يكن لله -سبحانه وتعالى-، فنهايته خاسرة لا محالة -والعياذ بالله-، فاللهم نسألك برحمتك فرارًا إليك، ولا حول ولا قوة إلا بك.

١٠١٦. قال تعالى في سورة الذاريات: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾، قال السعدي -رحمه الله-: "التذكير نوعان: تذكير بما لم يعرف تفصيله، مما عرف مجمله بالفطر والعقول فإن الله فطر العقول على محبة الخير وإيثاره، وكراهة الشر والزهد فيه، وشرعه موافق لذلك، فكل أمر ونهي من الشرع، فإنه من التذكير، وتمام التذكير، أن يذكر ما في المأمور به، من الخير والحسن والمصالح، وما في المنهي عنه، من المضار. والنوع الثاني من التذكير: تذكير بما هو معلوم للمؤمنين، ولكن انسحبت عليه الغفلة والذهول، فيذكرون بذلك، ويكرر عليهم ليرسخ في أذهانهم، وينتبهوا ويعملوا بما تذكروه، من ذلك، وليحدث لهم نشاطًا وهمة، توجب لهم الانتفاع والارتفاع. وأخبر الله أن الذكرى تنفع المؤمنين، لأن ما معهم من الإيمان والخشية والإنابة، واتباع رضوان الله، يوجب لهم أن تنفع فيهم الذكرى، وتقع الموعظة منهم موقعها كما قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾ وأما من ليس له معه إيمان ولا استعداد لقبول التذكير، فهذا لا ينفع تذكيره، بمنزلة الأرض السبخة، التي لا يفيدها المطر شيئًا، وهؤلاء الصنف، لو جاءتهم كل آية، لم يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم."[1]، وهنا فائدة جميلة، فإن الإنسان يسعى لأن يُذكر الناس بخالقهم بشتى أفعاله وأقواله، فعندما تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتميط الأذى وتساعد المحتاج وتنصر

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الذاريات | الجزء السابع والعشرون | الآية ٥٥ | الصفحة ٨١٢ | مؤسسة الرسالة | بيروت

المظلوم...ونحو ذلك، فإنك تذكر من حولك بالله -سبحانه وتعالى-، ودعوتك لهم لقراءة القرآن وتدبره وفهم معانيه، وذكر القصص لهم من القرآن ومحاجتهم بالحق، كلها من وسائل التذكير، لذلك اسعَ لأن تكون ذا قلب صادق، ونفس طيبة، وصاحب قول وفعل يدل على جمال نعمة الإيمان، فاللهم اجعلنا من عبادك المؤمنين.

١٠١٧. قال تعالى في سورة الطور: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾، هذه الآية الكريمة تخبرنا بخبر عظيم، وهو تساؤل أهل الجنة فيما بينهم بعد كل ما رأوه من النعيم العظيم، **فكان جوابهم** ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾، **أي أننا وصلنا إلى ما نحن فيه من خير وسرور بأننا كنا في الدنيا خائفين وجلين من عذاب الله -سبحانه وتعالى-، مشفقين من عذابه وعقابه، وكل هذا ونحن بين أهلينا**، وهذا الحال حال عظيم، فإنك ما أن تقرأ هذه الآية فتنظر في قلبك، إلا وسألت نفسك، هل أنا مشفق عليكِ؟، هل أنتِ خائفة وجلة من عذاب الله -سبحانه وتعالى- وعقابه؟!، هل صنتِ نفسك عن المعاصي، فإن أذنبتِ تُبت إلى الله -سبحانه وتعالى-؟!. هذه الآية العظيمة، تعطيك نظرة على أحوال الناس، فكم من مستهزئ برجل يخاف الله -سبحانه وتعالى- ويخشى معصيته، وكم من شاب يهزء بشاب لم يغازل فتاة من قبل، وكم من فتاة تهزأ من فتاة صانت نفسها وحفظت فرجها، وكم من فتاة تهزأ من فتاة سترت نفسها فاكتست بجلبابها، فلا يرى منها إلا نقاء قلبها وسلامة فطرتها وقوة عقلها؟!، وكم من فتاة تركت أقوال النساء وتبرجهن خلف ظهرها، لأنها مشفقة من معصية الله -سبحانه وتعالى-؟!، وكم من شاب رمى الحياة الدنيا وراء ظهره وسعى لعز دينه ونصرة نبيه ﷺ؟!، كم وكم ترى من مثل هذه الحالات؟!، فسبحان الله، **لا أظن أن إنسانًا وعي هذه الآية وفهمها بقلبه**

وعقله، يقدر على أن يهزأ ممن هو مشفق من عذاب الله -سبحانه وتعالى- ومعصيته! ولا أظن أن إنسانًا سمع هذه الآية الكريمة، واهتم لقول الناس فيه بعد سماع تلك الآية! فاللهم برحمتك وهدايتك، اجعلنا من المشفقين من عذابك وسخطك، نرجو رحمتك ونخشى عذابك، ولا حول ولا قوة إلا بك.

١٠١٨. يا أخي، إياك أن تسقط ما تحلم به في منامك على الناس في واقعك، فمثلًا ترى شخصا يسبك في المنام فتذهب مغاضبًا له وتسبه أو يقع في قلبك شيء منه فتخاصمه!، ومع أن هذا الأمر قد يبدو مضحكًا، إلا أنه وقع من بعض الناس حقًا!،واعلم أن ذلك يحدث كثيرًا بسبب سوء الظن، وقد قال -تعالى- في سورة الحجرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ ﴿١٢﴾.....﴾، فكن حسن الظن بالناس، ولا تحاسبهم على شكوكك فيهم حتى تتيقن منها!

١٠١٩. قال تعالى في سورة النجم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾، هذه الآيات الكريمة، تخبرنا عن حال خير البشر؛ سيدنا محمد ﷺ، فكلامه ليس صادرًا عن الهوى، ولا اصطنعه، ولا علم الحق ثم خالفه، بل "الصادق الأمين"، ذو القلب النقي، والعقل المتدبر، وهو الذي أُنزل عليه الوحي، وهو مؤدي الرسالة، وناصح الأمة، كلامه وحي، وفعله وحي، وقوله ودعوته هي مما علمه إياه الله -سبحانه وتعالى- من خلال الوحي، ثم بعد هذا كله، يقفز أحد الظالمين أو الجاهلين فيقول لك لا آخذ إلا بالقرآن الكريم؟!، فإن تلوت عليه هذه الآيات، التوى وهرب!، وكأن القرآن لا يخبره بأخذ ما جاء به الحبيب المصطفى ﷺ!، فاللهم هدايتك.

١٠٢٠. فلْتعلمْ يا أخي أن ليس كل ما يتمنى المرء يدركه، ولا أظنك ستجد إنسانًا تمنى كل شيء وحصل على كل شيء!، وهذه نقطة مهمة، فإنك قد تتمنى الولد وتدعو الله -سبحانه وتعالى- مخلصًا له الدين لترزق به، ثم يُقدر الله -سبحانه وتعالى- أن تكون عقيمًا!، فهذه أمنية رجوتها، لكن حكمة الله -سبحانه وتعالى- اقتضت عكس ما تمنيته!، وكذلك الحال في المال والأهل والعشيرة والأرض والصحة...ونحو ذلك!، **بل إن ما عليك القيام به هو ألا تقنط من رحمة الله -سبحانه وتعالى-، وأن تعمل جاهدًا لمرضاته، وأن تصبر على بلائه، وأن توقن بقلبك وعقلك عظم حكمته، فلا تدري لعل الله -سبحانه وتعالى- أن يحدث بعد ذلك أمرًا، وإن الأمنية إن لم يرافقها عمل بقيت في قلب الإنسان وعقله، ثم إن بقيت كدرت على القلب صفوته، وعلى العقل تفكره!، فلا يلومن الكسول إلا نفسه!**، قال تعالى في سورة النجم: ﴿ أَمْ لِلْإِنسَـٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾، قال ابن كثير -رحمه الله-: "ثم قال: ﴿ أَمْ لِلْإِنسَـٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴾ أي: ليس كل من تمنى خيرًا حصل له، ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ [النساء: ١٢٣]، ما كل من زعم أنه مهتد يكون كما قال، ولا كل من ود شيئًا يحصل له."[١]، ما قاله ابن كثير -رحمه الله- في تفسير هذه الآية فيه موعظة بليغة، فلا ينال الإنسان كل ما تمناه من الخير، ولا يحصل على كل شيء رغب به، ولا كل من زعم أنه على الهدى هو على الهدى!، ككفار قريش الذين تمنوا واشتهوا أن تشفع أصنامهم لهم!، لكنهم لم ينالوا إلا خسرانًا عظيمًا!، ثم قال تعالى بعدها: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْـَٔاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ﴾، أي أن الأمر كله لله، يعطي منهما من يشاء، ويمنع من يشاء، فهو المتصرف في الدنيا والآخرة -الحمد لله-، فاللهم نسألك

---

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٧٨٢ | تفسير سورة الحجرات | الآية ٢٤ | دار ابن حزم | بيروت

برحمتك أن تجعلنا من عبادك الصالحين الذين لا تكل قلوبهم ولا عقولهم ولا أجسادهم عن العمل والسعي للتقرب إليك، اللهم آمين.

١٠٢١. يا أخي، إذا أردت أن تشفع لإنسان فاشفع له إن أُذن لك، ولا تعتدِ في شفاعتك له، ولا تشفع لرجل قام بعمل منكر تريد إنقاذه من العقوبة وهو مستحق لها مصر عليها!، بل لتكن شفاعتك في خير ولكل خير!، ولتدرك أن الشفاعة لا تكون في حد من حدود الله -سبحانه وتعالى-!، فاللهم هدايتك!

١٠٢٢. يا أخي، إن ابتدأت في عمل ما، فلا تتركه حتى تنتهي!، وإياك أن تتوقف أمام عقبات الطريق، فالعقبات تصنع الرجال، ما لم يتقهقر صاحب العمل!، وذلك مثل رجل جاء لحفر بئر، فلما دنا من الماء واجهته صخرة، فترك العمل وذهب!، وهذا حال طريق الخير، ستجد مثل هذه العقبات فيه، فإذا أردت التبرع من مالك واجهتك عقبة حب المال، وعقبة البحث والاجتهاد في البحث عن الفقير والمسكين، وعقبة المداومة والاستمرار، وعقبة الإخلاص...إلى آخره، لكن ما أن تصل، إلا وتصير أقوى بفضل الله -سبحانه وتعالى-، وصار طريقك معبدًا يسهل المرور من فوقه!، وأما إن تراجعت وتقهقرت، فإنك إما أن تضعف أكثر، أو تفقد العزم والهمة، فإن كان هذا من حال البشر، فعلى الإنسان أن يستعين بربه -جل في علاه-، وأن يعمل ليشحذ الهمم المرة بعد الأخرى، ففي شحذ الهمم والعمل بمقتضى ذلك، سبيل للنجاة بإذن الله تعالى، فاللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك!

١٠٢٣. يا أخي، فلْتعلمْ أن العقل البشري قاصر عما أُخفي عنه من الغيب، لا يمكنه إدراكه ولا تخيله، لذلك، روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنه

قال: " يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فيَقولُ: مَن خَلَقَ كَذَا؟ مَن خَلَقَ كَذَا؟ حتَّى يَقُولَ: مَن خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ باللهِ ولْيَنْتَهِ."(١)، وقال تعالى في سورة النجم: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾، هذه الآية الكريمة، وهذا الحديث الشريف، يقودنا لنقطة مهمة جدًا، وهي كيف يوسوس الشيطان -لعنه الله- في قلب الإنسان، وكيف يتدرج معه، وفيها إرشاد إلى أقصى حد للعقل، والذي لا يمكن للعقل أن يتجاوزه!، فالعقل قاصر عاجز أمام عزة الله -سبحانه وتعالى- وجبروته وعظمته!، لذلك، أوصانا الحبيب المصطفى ﷺ بأن من وصل وبلغ إلى مثل هذا الحد، أن يستعيذ بالله -سبحانه وتعالى- من هذا الوسواس، وليتوقف عند هذا الحد، وفي رواية مسلم -رحمه الله-: "فمَن وجَدَ مِن ذلكَ شيئًا، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ باللهِ"، فاستعذ بالله -سبحانه وتعالى-، وقل آمنت بالله -سبحانه وتعالى-، وانته من ذلك القول، قال أحدهم:

ولا تفكرن في ذي العلا عز وجهه ... فإنك تردى إن فعلت وتخذل

ودونك مصنوعاته فاعتبر بها ... وقل مثل ما قال الخليل المبجل

أي أن الإنسان إن أراد المنفعة، فعليه التدبر في آيات الله -سبحانه وتعالى- المعجزة التي تدل عليه وعلى كماله وعظم خلقه وحكمته وعلمه -جل في علاه-، ومن الردود العقلية على ما قيل أعلاه، أن الخالق غير مخلوق، فإن سُأل كيف خُلق الخالق، قيل إذا خُلق فهو مخلوق وليس بخالق، وبهذا ينتقض الأمر عقلًا، ثم إن قيل لو كان ذلك، فسنبقى نقول ومن خلق الخالق إلى ما لا نهاية، وهذا من المستحيل عقلًا!، فالحمد لله الذي نفى عن نفسه ما ينطبق على خلقه من الصفات، وسبحان من

---

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٣٢٧٦ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

دلنا عليه بعظيم خلقه وبديع حكمته، وسبحان من وهبنا عقولًا تعرف جمال هذا الإبداع المتقن، وتعرف في باطنها متى تقف!، الحمد لله رب العالمين.

١٠٢٤. فلْتعلمْ يا أخي أن مشاعر الفرح التي تجلب الضحك والسرور، ومشاعر الحزن التي تجلب البكاء، كلها مشاعر عظيمة من نعم الله -سبحانه وتعالى-، فلولا التضاد لما عُرفت قيمة الأشياء!، لذلك، في الفرح لا تحرم نفسك من الضحك والسرور، وفي الحزن لا تحرم نفسك من البكاء -إن رغبت نفسك بذلك-، بل إن هذا من صدق النفس!، وإنما عليك ألا تغلو في كلا الأمرين، وألا تأتي محرمًا، والله المستعان.

١٠٢٥. قال تعالى في سورة القمر: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾، وهذه نعمة عظيمة من الله -سبحانه وتعالى- لعباده من هذه الأمة، أن يسر لهم القرآن الكريم، فكان حفظه وقراءته دون لغط سمة من سمات هذه الأمة، التي لم تجتمع لأمة من الأمم، ولم ترَ في كتاب من الكتب!، بل إن المسلمين يقرأون القرآن الكريم في كل العالم؛ باللغة العربية، ومهما اختلفت لغاتهم، فإن أخطأ أحدهم صححه الجميع...، حفظ في الصدور والسطور، وهذا الأمر لا تراه إلا في كتاب الله -سبحانه وتعالى-، وهذا التيسير يكون لمن طلب علمه ورغب أن يتعظ به، فاللهم يسر لنا القرآن واجعلنا من أهله، ومن كل مدكر[١]!، اللهم آمين.

١٠٢٦. فلْتعلمْ يا أخي أن الكتابة من أساليب البيان التي اصطفى الله -

---

(١) مدكر تعني متعظ ومعتبر، وفي سياق الآية يمكن القول: فهل من طالب خير وعلم فيعان عليه؟ أو هل من معتبر ومتغظ من قصصه ونواهيه وأوامره...؟

سبحانه وتعالى- بها الإنسان عن الحيوان، ففي الكتابة تنتقل العلوم بين الأزمنة، وتنتشر الأفكار والمعارف بين الناس، وتتلاقى العقول بأخبارها وأفكارها، وكل هذا من نعم الله -سبحانه وتعالى- العظيمة على بني الإنسان، والشاكر لهذه النعمة هو من يتعلم الكتابة، ثم لا يكتب إلا ما كان خيرًا!، ولْتعلمْ يا أخي في الكتابة ضمان وحفظ للحقوق، وفيها توطيد للأحداث، فأي نعمة عظيمة هذه؟!، وأي شكر ينبغي لرب هذه النعمة؟!، سبحانك ربي كم أنعمت علينا من نعم، لو نُزعت منا لكنا كالدواب!، بل أشد!، فالحمد لله رب العالمين على نعمه وعطائه وإحسانه علينا، الحمد لله.

١٠٢٧. يا أخي، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾؟، أفبنعم الله -سبحانه وتعالى- الدينية أم الدنيوية أم كلاهما؟!، سبحانه وتعالى عن الخلق كلهم، لذلك، اعلم يا أخي أنك في نعيم جزيل، لا يمكنك أن تحصيه لكثرته، ولا يمكنك أن تجد بابًا تنظر منه إلا ووجدت أثر لنعمة الله -سبحانه وتعالى- عليك وعلى غيرك هنا أو هناك!، فسبحان الله العظيم!، لذلك، إذا سمعت هذه الآية الكريمة، فقل "لا بأيها يا رب"، أو قل "لا بشَيءٍ من نِعَمِكَ ربَّنا نُكَذِّبُ فلَكَ الحمدُ"!، فنحن نقر بنعيمك العظيم، وعطائك الجزيل، وهدايتك العظيمة، فاللهم لك الحمد.

١٠٢٨. قال تعالى في سورة الرحمن: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾، هذه الآيات العظيمة، ترى من خلالها عظم الله -سبحانه وتعالى-، ترى جلاله ومجده، فسبحانه وتعالى عمن خلق!، **هذه الآيات فيها البشرى وفيها الأنس، فيها الخوف وفيها الرجاء!، تجتمع فيها معانٍ كثيرة لا تحصى، ففيها نهاية البداية، نهاية الاختبار وبداية الاستعداد للحساب، وفيها يرى المظلوم الأمل في الانتصار من الظالم واسترداد مظلمته!، وفيها يرى المحسن جزاء إحسانه، ويرى**

المسيء جزاء إفساده، يرى فيها البشر قمة العدل!، فتستوي النفوس جميعها في الموت!، فإن ظهر العدل في حقيقة الموت كنور الشمس المتوهجة؛ فذلك لأنه صائر لكل البشر لا محالة!، وكان من باب أولى أن يكون ما بعده مثله!، فإن علمت هذا علمت أن العدل تحقق، ولا محاباة ولا مداهنة ولا يوجد ما ينقذك منها إلا أن يشاء الله -جل في علاه- ذلك!، تنظر وتدرك أن الله -سبحانه وتعالى- هو الباقي، وما دونه فاني، فتقول، مصيرنا إلى الرحمن الرحيم، العدل، الغفور التواب، له الأسماء الحسنى، فلتستحِ يا نفس من معاصيك، ولتشد العزم على طاعة الله -سبحانه وتعالى-، فلتستحِ يا نفس وليكن الله -سبحانه وتعالى- أحب إليك من الدنيا وما فيها، وليكن رسول الله ﷺ أحب الناس إلى قلبك!، **فإن عجزتِ يا نفس عن كل شيء، فلا تعجزي عن أن تقدمي حب الله -سبحانه وتعالى- وحب رسوله -عليه الصلاة والسلام-، وليكن هذا إعدادك وهذا مرادك!**، وفي هذه الآيات الجليلة، الخوف من طعم الموت وسكراته، وفيها الرجاء وحسن الظن برحمة الله -سبحانه وتعالى-، وأنه لا يضيع أجر عامل من ذكر أو أنثى!، فيها محاسبة للنفس قبل أن يدق الموت بابك، وفيها علم مسبق بما سيجري بعد الموت!، ألم يخبرنا الله -سبحانه وتعالى- أنه العدل، وأنه سيحكم بين الناس بالعدل؟!، ألم يصف لنا الجنة ونعيمها، والنار وجحيمها؟!، ألم يصف لنا أهوال القيامة والحساب، وبشائر الرحمة لعباده الأخيار؟!، ألا تجد البشرى في قوله -جل في علاه- لعباده في سورة الزخرف: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٦٨ ﴾، فاللهم رحمتك نرجو، ولا حول ولا قوة إلا بك، اللهم لا نملك في قلوبنا إلا حبك -سبحانك وتعاليت-، وحب نبيك محمد ﷺ، وحب أنبيائك الذين أرسلتهم بالحق، ممن علمنا وممن لم نعلم، وحب الصديقين والشهداء والصالحين، فاللهم إن لم تكن أعمالنا كأعمالهم،

فرحمتك أوسع لنا، فبرحمتك احشرنا معهم يا رحمن يا عزيز يا غفار، والأمر إليك، ولا حول ولا قوة إلا بك.

١٠٢٩. فلْتعلمْ يا أخي أن من نعم الله -سبحانه وتعالى- العظيمة على عباده نعمة "النار"، النار التي نستخدمها لطهو طعامنا وتدفئة أجسادنا وصنع أسلحتنا وركوبنا ونحو ذلك، **النار التي قُدرت بقدر يستطيع الناس الانتفاع منها، فلا هي تزيد فتكوي الجلود، ولا هي تنقص فتكون بلا فائدة!**، لذلك، تجد نفسك تتعامل مع النار بحذر، فتضبطها حتى لا تؤذيك، وحتى تؤدي غرضك وغايتك!، وأنت بهذا خائف من هيجانها وانتشارها، وتسأل الله -سبحانه وتعالى- السلامة!، ثم إنك لتتذكر في رؤيتك النار؛ عذاب جهنم -والعياذ بالله-، فيستلزم ذلك حذرك من المعاصي والذنوب حتى لا تشتعل السيئات فتأكل الحسنات -والعياذ بالله-، ويستلزم هذا أن تعمل من الصالحات ما تطفئ به تلك النار، **ولْتعلمْ يا أخي أن شهواتك مثل تلك النار، ففي الشهوة منافع عظيمة، وبها تتحقق أجمل الملذات الحسية!، لكن، إن لم يتم ضبط هذه النار وفتحتها على مصرعيها، وجدت نارًا تحرق الهشيم، وتأكل الأخضر واليابس، فتكون أنت من الخاسرين -والعياذ بالله-، فاحذر!**، وانظر إلى النعم العظيمة التي زرعت في قلبك، واحمد الله -سبحانه وتعالى- عليها، وانظر إلى الخط الفاصل، الخط الذي إن تجاوزته احترقت، وصارت تلك النار الجميلة التي تنتفع بها، نارًا تحرقك وتؤذيك!، فاللهم نسألك العفو والعافية، والهداية والهدى، ولا حول ولا قوة إلا بك!، والحمد لله رب العالمين.

١٠٣٠. يا أخي، اسعَ دومًا لأن تكون على طهارة، طهارة من الحدث الأكبر والحدث الأصغر، فإن أحدثت أي الحدثين فسارع إلى الطهارة، فهذا فيه خير كثير للروح والجسد، ويكفي لها خيرًا؛ أنها تجعل طهارة الجسد تلحق بطهارة الروح،

ويكفي بها أنك أينما كنت وعلى أي حال فيمكنك أن تصلي، ويكفي بها أنك إذا أردت مس المصحف وقراءة القرآن الكريم استطعت ذلك على أجمل حال، ألم تسمع قوله تعالى في سورة الواقعة: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾، فاللهم اجعلنا من المطهرون دومًا، في كل الأحوال وكل الأوقات!، اللهم آمين.

١٠٣١. فلْتعلمْ يا أخي أننا بُلينا بأقوام يُميعون الحق ويحرفون كلام الله -سبحانه وتعالى- عن مواضعه إرضاء للخلق على حساب الحق!، يريدون إرضاء الغرب أو التهافت على ما يسمى "بالعلم"، ثم يريدون إسقاطه على القرآن الكريم بغير وجه حق!، يريدون أن يداهنوا فيخفون القول الحق، ويقولون ويقولبون ما يرضي جماهير الناس "ما يطلبه الجمهور" أو يريدون إرضاء أسياد العلم الزائف!، وهذا كله من المصائب الجليلة العظيمة!، فإن القرآن الكريم هو كلام الله -سبحانه وتعالى-، المعجز في بيانه، المحكم في أخباره، كتاب الهداية للناس أجمع، فإخفاء ما أنزل الله -سبحانه وتعالى- أو التدليس على ما ورد لإظهار الدين بغير مظهره الحق، هو تدليس خطير، وامتهانة عظيمة!، فإن التدليس لا يكون إلا لكلام لا تثق به أو لا تثق بصاحبه -والعياذ بالله-، بل إن الله -سبحانه وتعالى- أخبرنا في كتابه العزيز في سورة الواقعة: ﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ ﴾، وقال تعالى في سورة القلم: ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ ﴾، هاتان الآيتان العظيمتان، فيهما من الحكم البالغة ما فيهما!، ففيهما توجيه ونصح وإرشاد وتحذير لمن كان حاله كما ذكرنا، فإن الكفار كانوا يتمنون أن يلين سيد الخلق محمد ﷺ في دينه قليلًا فيدعهم أو يترك آلهتهم وشأنها أو أي تنازل منه لهم!، لكنه لم يلين لهم أبدًا فيما أنزل الله -سبحانه وتعالى- !، بل الحق بقي حقًا!، **واللين في الدعوة لا يعني اللين في الحق!**، فإن وظيفتنا هي إنقاذ

الناس من عبادة الناس إلى عبادة رب الناس، لا أن نكذب عليهم لنخرجهم من واقع يملؤه الكذب، إلى طريق ابتدأ بالكذب!، قال السعدي -رحمه الله-: "ومما يجب عليهم أن يقوموا به ويعلنوه ويدعوا إليه ويصدعوا به، ولهذا قال: ﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴾ أي: أفبهذا الكتاب العظيم والذكر الحكيم أنتم تدهنون أي: تختفون وتدلسون خوفًا من الخلق وعارهم وألسنتهم؟ هذا لا ينبغي ولا يليق، إنما يليق أن يداهن بالحديث الذي لا يثق صاحبه منه. وأما القرآن الكريم، فهو الحق الذي لا يغالب به مغالب إلا غلب، ولا يصول به صائل إلا كان العالي على غيره، وهو الذي لا يداهن به ولا يختفى، بل يصدع به ويعلن."(١)، وقال القرطبي -رحمه الله-: "قوله تعالى: ودوا لو تدهن فيدهنون قال ابن عباس وعطية والضحاك والسدي: ودوا لو تكفر فيتمادون على كفرهم. وعن ابن عباس أيضًا: ودوا لو ترخص لهم فيرخصون لك. وقال الفراء والكلبي: لو تلين فيلينون لك. والادهان: التليين لمن لا ينبغي له التليين; قاله الفراء. وقال مجاهد: المعنى ودوا لو ركنت إليهم وتركت الحق فيمالئونك. وقال الربيع بن أنس: ودوا لو تكذب فيكذبون. وقال قتادة: ودوا لو تذهب عن هذا الأمر فيذهبون معك. الحسن: ودوا لو تصانعهم في دينك فيصانعونك في دينهم. وعنه أيضًا: ودوا لو ترفض بعض أمرك فيرفضون بعض أمرهم. زيد بن أسلم: لو تنافق وترائي فينافقون ويراءون. وقيل: ودوا لو تضعف فيضعفون؛ قاله أبو جعفر. وقيل: ودوا لو تداهن في دينك فيداهنون في أديانهم; قاله القتبي. وعنه: طلبوا

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الواقعة | الجزء السابع والعشرون | الآية ٨١ | الصفحة ٨٣٦ | مؤسسة الرسالة | بيروت

منه أن يعبد آلهتهم مدة ويعبدوا إلهه مدة. فهذه اثنا عشر قولًا..."[١]، فاللهم نعوذ بك أن نداهن في الحق!، اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه!، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

١٠٣٢. يا أخي، قدّم دومًا شكر الله -سبحانه وتعالى- على نعمه قبل ذكر الأسباب والثناء عليها.

١٠٣٣. فلْتعلمْ يا أخي أن لكل إنسان أجل، ولكل إنسان من الأماني ما يرغب في تحقيقه ونيله، لكن هذه الأماني قد لا تتحقق لانقضاء الأجل!، فيكون الأجل أسبق إليك من أمانيك!، وهذه الأماني إما أن تكون خيرًا فيكون طريقك خيرًا، وإما أن تكون شرًا فتنهشك طرق الشر من كل مكان!، فهذا الإنسان إن أعد العدة لأجله، وألقى من الأماني ما هو خير له في دينه ودنياه، ثم عمل لتحقيقها، نال خيرًا وافرًا بإذن الله تعالى، أما من كان حاله عكس ذلك، فهو في مصيبة -والعياذ بالله-!، قال تعالى في سورة الحديد: ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ ﴾، قال السعدي -رحمه الله-: "فيقولون لهم تضرعًا وترحمًا: ﴿ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ﴾ في الدنيا نقول: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ ونصلي ونصوم ونجاهد، ونعمل مثل عملكم؟ ﴿ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ كنتم معنا في الدنيا، وعملتم [في الظاهر] مثل عملنا، ولكن أعمالكم أعمال المنافقين، من غير إيمان ولا نية [صادقة] صالحة، بل ﴿ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ ﴾ أي: شككتم في خبر الله الذي لا يقبل شكًا، ﴿ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ ﴾ الباطلة، حيث تمنيتم أن تنالوا منال المؤمنين، وأنتم غير موقنين، ﴿ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ أي: حتى جاءكم الموت وأنتم بتلك الحال

---

(١) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ٢١ | الصفحة ١٤٦-١٤٧ | تفسير سورة القلم | الآية ٩ | مؤسسة الرسالة | بيروت

الذميمة. ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ وهو الشيطان، الذي زين لكم الكفر والريب، فاطمأننتم به، ووثقتم بوعده، وصدقتم خبره."[١]، وقد روى عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- أنه قال: "خَطَّ النبيُّ ﷺ خطًّا مُرَبَّعًا، وخَطَّ خَطًّا في الوَسَطِ خَارِجًا منه، وخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إلى هذا الذي في الوَسَطِ مِن جَانِبِهِ الذي في الوَسَطِ، وقَالَ: هذا الإنْسَانُ، وهذا أجَلُهُ مُحِيطٌ به - أوْ: قدْ أحَاطَ به - وهذا الذي هو خَارِجٌ أمَلُهُ، وهذِه الخُطَطُ الصِّغَارُ الأعْرَاضُ، فإنْ أخْطَأَهُ هذا نَهَشَهُ هذا، وإنْ أخْطَأَهُ هذا نَهَشَهُ هذا."[٢]، فاللهم نعوذ بك من الشيطان الرجيم.

١٠٣٤. قال تعالى في سورة الحديد: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾، هذه الآية الكريمة الجليلة المهيبة، تجعل العقول تقف عندها حين سماعها، فلا يستطيع العقل تجاوزها، ولا يستطيع القلب نسيانها، تهز القلب هزًا لتخرج أفضل ما فيه!، يخاطبك المولى عز وجل، فيقول لك، ألم يأن لقلبك أن يخشع لذكر الله -سبحانه وتعالى- وما أنزل من الحق؟!، بلى يا رب، آن!، فاغفر لنا وارحمنا، إني تبت إليك، وأنا من المسلمين!، يا أخي، اجتهد حتى يخشع قلبك، واجتهد في تذكر المواعظ والأوامر والنواهي الإلهية، واجتهد لأن يكون قلبك لينًا على الخيرات، قاسيًا على الذنوب والمعاصي!، واجتهد حتى يلين قلبك للحق فتذعن له، وإياك أن تترك هذه الحسنات فتكون من القاسية قلوبهم

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الحديد | الجزء السابع والعشرون | الآية ١٤ | الصفحة ٨٣٩-٨٤٠ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) الراوي: عبدالله بن مسعود | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٤١٧ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

-والعياذ بالله-!، فإن مع طول المدة واعتياد النفس على المعاصي، يقسو القلب شيئًا فشيئًا حتى يصير أشد من الصخر -والعياذ بالله-!، لذلك، تذكر قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ دوما، وقل آن يا رب، آن يارب، آن يارب، فاغفر لنا وارحمنا واهدنا، واعمل بمقتضى ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بك.

١٠٣٥. قال تعالى في سورة الحديد: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرُۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾، قال السعدي -رحمه الله-: "يخبر تعالى عن حقيقة الدنيا وما هي عليه، ويبين غايتها وغاية أهلها، بأنها لعب ولهو، تلعب بها الأبدان، وتلهو بها القلوب، وهذا مصداقه ما هو موجود وواقع من أبناء الدنيا، فإنك تجدهم قد قطعوا أوقات أعمارهم بلهو القلوب، والغفلة عن ذكر الله وعما أمامهم من الوعد والوعيد، وتراهم قد اتخذوا دينهم لعبًا ولهوًا، بخلاف أهل اليقظة وعمال الآخرة، فإن قلوبهم معمورة بذكر الله، ومعرفته ومحبته، وقد أشغلوا أوقاتهم بالأعمال التي تقربهم إلى الله، من النفع القاصر والمتعدي. [وقوله:] ﴿وَزِينَةٌ﴾ أي: تزين في اللباس والطعام والشراب، والمراكب والدور والقصور والجاه. [وغير ذلك] ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾ أي: كل واحد من أهلها يريد مفاخرة الآخر، وأن يكون هو الغالب في أمورها، والذي له الشهرة في أحوالها، ﴿وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ أي: كل يريد أن يكون هو الكاثر لغيره في المال والولد، وهذا مصداقه، وقوعه من محبي الدنيا والمطمئنين إليها. بخلاف من عرف الدنيا وحقيقتها، فجعلها معبرًا ولم يجعلها

مستقرًا، فنافس فيما يقربه إلى الله، واتخذ الوسائل التي توصله إلى الله وإذا رأى من يكاثره وينافسه بالأموال والأولاد، نافسه بالأعمال الصالحة."[١]، لذلك، "إذا وفق الله الإنسان أن ينخلع من ملاحظة ما يكتسبه الخلق، ويتزاحمون عليه، والتحرق على المنافسة فيه، من مناصبٍ ومساكنٍ وسيارات، وأقبل على ما هو أعظم من ذلك وهو صناعة المستقبل الأبدي وعمارة النفس بالله، فإنه سيكتشف للحياة معنىً آخر، معنى أسمى من الحطام الصغير المؤقت.."[٢]، وهذا المعنى يجهله أو يتجاهله كثير من الناس إما لرغبة في الدنيا وزينتها، وإما لجهل بالهدف الأسمى والمقصود الأجل لهذا الإنسان في هذه الأرض؛ ألا وهو عبادة الله -سبحانه وتعالى- والاستسلام له! ويظن كثير من الناس أن استسلامه لله -سبحانه وتعالى- وعبوديته له تحرمانه من الدنيا ولذاتها، وهذا خطأ آخر، بل هو يُحرم ما حُرم عليه وما يسوءه؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- لم يرضَ لنا ولم يحب لنا ما نهانا عنه من الفواحش والسوء، ومما لا نعلم حكمة لتحريمه، لعظم حكمة جلال الله -سبحانه وتعالى- وكمال علمه! فالإنسان يمكنه أن يقضي شهوته بالحلال ويمكن أن يقضيها بالحرام، ويمكن أن يكون ماله أعظم أمانيه، ويمكن أن يكون رضا الله -سبحانه وتعالى- فيما اكتسبه وفيما أنفقه أعظم أمانيه! إنك إما أن تكون على صراط مستقيم، فتستمتع روحك بخضوعها لربها وتذللها له، فتنال ثواب الدنيا والآخرة -بإذنه تعالى-!، وإما أن

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الحديد | الجزء السابع والعشرون | الآية ٢٠ | الصفحة ٨٤١ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) كتاب رقائق القرآن | إبراهيم السكران | ذهول الحقائق | الصفحة ٢٣ | الطبعة الأولى | دار الحضارة | الرياض

تخضع لمكاسب الطين وملذاتها، فتموت روحك قبل موتها، وتخسر آخرتك قبل دخولها! فاحذر من فخ الحياة الدنيا والتنافس فيها، ودع عنك تنافس الظالمين لأنفسهم، واسعَ في تنافس المتقين الصالحين، والأمر كله لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٠٣٦. فلْتعلمْ يا أخي أن الحزن والفرح يصيب المؤمن ويصيب غيره!، لا فرق في ذلك بينهم!، لكن ما يفرق بينهم؛ هو كيفية التعامل مع الفرح والحزن، فالمؤمن يجعل من مصيبته التي أصابته صبرًا، يدرك أن ما يخفيه ذلك الحزن من الخير في الدنيا أو الآخرة خير وأعظم!، كما أن المؤمن يجعل غنيمته شكرًا، فهو مدرك بأن ما يخفيه الله -سبحانه وتعالى- له من نعيم في الدنيا أو الآخرة خير وأعظم!، وبهذا، فالفرح والحزن أحوال يتقلب فيها الإنسان في هذه الدنيا، والمطلوب منه ألا يطغى في فرحه أو حزنه فيتجاوز ذلك إلى ما حرم الله -سبحانه وتعالى-، بل عليه أن يشكر ويصبر ويبتغي مرضاة الله -سبحانه وتعالى-!، قال تعالى في سورة الحديد: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾، هذه الآيات العظيمة تعطيك خلاصة قيّمة في التعامل مع الحزن والفرح، فإنك إن آمنت بأن ما جرى لك لا يخرج عن علم الله -سبحانه وتعالى-، وعلمت أن ما فاتك لم يكن لك، فإن لم يكن لك، فلماذا الحزن؟!، ثم إذا علمت أن ما آتاك الله -سبحانه وتعالى- من النعم لا يخرج عن فضله الذي أكرمك به، فكيف لا تشكره ولا تُعظم حرماته؟!، إن الاختيال والفخر على الناس بما ليس لك؛ موجب لغضب الله -سبحانه وتعالى- والعياذ بالله!، لذلك يا أخي، افرح كما أُمرت، وتمام الفرح يكون بصرف النعيم على

ما يجلب الفرح حقًا!، وخير ما يجلب الفرح هو التمتع بما أحله الله -سبحانه وتعالى- وبما أكرمك به وهداك لفعله، وأما في الحزن فاحزن ولا تطغَ!، فإن القلب ليحزن، وهذا من أحوال البشر!، لكن الطغيان والسخط في الحزن طامة كبرى، فاحذر منها!، فاللَّهمَّ اهدِني فيمن هديت، وعافِني فيمن عافيتَ، وتولَّني فيمن تولَّيتَ، وبارِك لي فيما أعطيتَ، وقني شرَّ ما قضيتَ، إنَّكَ تقضي ولا يقضى عليْكَ، وإنَّهُ لا يذلُّ من واليتَ، ولا يعزُّ من عاديتَ، تبارَكتَ ربَّنا وتعاليتَ.

١٠٣٧. يا أخي، إياك والبخل!، والبخل هو ضد الكرم والجود، وهو في الشرع الإمساك عن إنفاق الواجب!، وهو الإفراط في الحرص على الشيء فلا يخرجه ولا يجود بما عنده، وهي الإمساك بالشيء عمن لا يحق لك حبس الشيء عنه!، والبخل لا يكون في المال فقط!، وإن كان المال أشهر وأبرز أبواب البخل، لكن البخل يبرز في مجالات الحياة الأخرى، ففي العلم يبرز البخل أيضًا!، فكم من عالم كتم علمه؟!، ويبرز البخل في الدين أيضًا، كأن لا يؤدي الإنسان حق الله -سبحانه وتعالى-، وفي هذا كله، يبرز هناك ذنب أعظم من البخل نفسه!، وهو الدعوة إلى البخل -والعياذ بالله-!، وهذا مثل العالم الذي يدعو غيره لكتم علمه، ومثل الداعي إلى السوء فيأمر الناس بالسوء...إلى آخره، ألم تسمع قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾، قال القرطبي -رحمه الله-: "قال سعيد بن جبير: الذين يبخلون يعني بالعلم ويأمرون الناس بالبخل أي: بألا يعلموا الناس شيئًا. زيد بن أسلم: إنه البخل بأداء حق الله عز وجل. وقيل: إنه البخل بالصدقة والحقوق، قال عامر بن عبد الله الأشعري. وقال طاوس: إنه البخل بما في يديه. وهذه الأقوال الثلاثة متقاربة المعنى"(١)، وقال

---

(١) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ٢٠ | الصفحة ٢٦٦

السعدي -رحمه الله-: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾ أي: يجمعون بين الأمرين الذميمين، اللذين كل منهما كافٍ في الشر البخل: وهو منع الحقوق الواجبة، ويأمرون الناس بذلك، فلم يكفهم بخلهم، حتى أمروا الناس بذلك، وحثوهم على هذا الخلق الذميم، بقولهم وفعلهم، وهذا من إعراضهم عن طاعة ربهم وتوليهم عنها، ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عن طاعة الله فلا يضر إلا نفسه، ولن يضر الله شيئًا، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ الذي غناه من لوازم ذاته، الذي له ملك السماوات والأرض، وهو الذي أغنى عباده وأقناهم، الحميد الذي له كل اسم حسن، ووصف كامل، وفعل جميل، يستحق أن يحمد عليه ويثنى ويعظم."(١)، وقال ابن كثير -رحمه الله-: "أي: يفعلون المنكر ويحضون الناس عليه، ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ أي: عن أمر الله وطاعته ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾"(٢)، فاللهم نعوذ بك من البخل، ونعوذ بك أن ندعو إليه!

١٠٣٨. قال تعالى في سورة المجادلة: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١﴾، سبحان السميع العليم!، هذه الآية الكريمة فيها من الحكم العظيمة ما فيها، وأعظم ما فيها أن الله -سبحانه وتعالى- سميع بصير، لا تخفى عليه خافية في السماوات ولا في الأرض، هذه الآية الكريمة تخبرنا عن صحابية كريمة -رضي الله عنها-، جاءت تشكو إلى رسول الله ﷺ زوجها الصحابي الكريم -رضي الله عنه-، وكان هذا في أمر الظهار،

| تفسير سورة الحديد | الآية ٢٤ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الحديد | الجزء السابع والعشرون | الآية ٢٤ | الصفحة ٨٤٢ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٨٣٢ | تفسير سورة الحديد | الآية ٢٤ | دار ابن حزم | بيروت

ولم يكن قد نزل فيه حكم بعد، فأنزل الله -سبحانه وتعالى- هذه الآيات الكريمة في بيان الحكم الشرعي للظهار!، ما أخذ قلبي وعقلي في هذه الآيات الكريمة، **أن الله -سبحانه وتعالى- أنزل هذه الآيات نصرة لامرأة اشتكت إلى الله -سبحانه وتعالى- أمرها!، هذه المرأة التي بشكواها نزل حكم شرعي، وأخبر الله -سبحانه وتعالى- من فوق سبع سماوات أنه سمع شكواها ومرادها وما في قلبها!، ثم يقول قائل بأن الإسلام ظلم المرأة -والعياذ بالله-!**، ووالله إنه لعز وفخر!، إن الله -سبحانه وتعالى- أمر بالعدل، والعدل الذي اقتضاه حكمًا بين الخلق لا يفرق بين رجل وامرأة، فأقربنا إلى الله -سبحانه وتعالى- أقربنا إليه، والتقوى معيار ذلك!، **وهذا يختلف تمامًا عما تدعوه النسوية، العدو الأول للمرأة!، بل إن أكبر مصيبة لحقت للمرأة في هذا الزمان، هو نزعها من أنوثتها وطبيعتها ثم معاملتها كرجل!**، رامين بعرض الحائط الفروقات بين الرجل والمرأة، فلا هي صارت رجلًا، ولا هي بقيت أنثى!، وبعيدًا عن هذا كله، ما يأخذ العقل هنا أن المرأة يحق لها أن تشتكي ظلمًا وقع بها!، **وليست كل امرأة التبس عليها أمر حكم شرعي، أو قضية أشكلت عليها، أو حق طلبته هي من "النسويات"!، بل إن كثير من الناس قد يُضلل بتهكمه كثير من صادقات المقصد، فإن التي أشكل عليها فهم حكم شرعي، أو طالبت بحقها أو رفضت ظلمًا؛ كلها مطالب معتبرة، لها كامل الحق في الاستفسار عنها والبحث عن الإجابات المتعلقة بها، ولا يعني هذا أنها من "النسويات"**، فهذه الصحابية الجليلة تجادل خير البشر ﷺ في أمرها وتشتكي إليه، فلم ينهرها رسول الله ﷺ ولم يحاربها، بل إن الله -سبحانه وتعالى- أنزل حكمًا لأجلها، وهذا كان حال أمهات المؤمنين ونساء المسلمين -رضوان الله عليهن-، كن يسألن رسول الله ﷺ، ويتعلمن ويناقشن في أحكامهن، ولم يعب عليهن أحد ذلك!، **وبهذا فإن الحق الذي ينبغي للرجل أو المرأة لا يسقط**

لاختلاف الجنس!، وأن العلم والبحث والسؤال عما أشكل على الإنسان من أمر الدين والدنيا لا إشكال فيه، طالما أن هذا البحث والسؤال لم يخرج عن دائرة الأدب وطلب العلم، وكم يُغيظني حقيقة أن أجد كثيرًا من النساء والرجال، لا يفقهون ما يتعلق بهم من مسائل فقهية تخصهم، كيف للإنسان أن يحيا دون أن يدرك أبسط المسائل الفقهية والأحكام الشرعية التي تتعلق به وبحياته وممارساته اليومية، كأحكام الجماع والغسل والحيض والاستحاضة والنفاس وغيرها، كيف له أن يتجاهل عقله فلا يبحث عما أُشكل عليه، وألا يبحث عن أهل العلم الصادقين ليجيبوا عن تساؤلاته!، لذلك يا أخي، **إن النساء شقائق الرجال، ليس كل من لديها سؤال هي "نسوية"، وليس كل من طالبت بحق لها هي "نسوية"، وليس كل من أشكلت عليها شبهة هي "نسوية"، بل هي أخت لك طالبت بحقها وبحثت عما أشكل عليها، فوجب جوابها، وكم من أب أو أخ أو ابن سألته ابنته أو أخته أو عمته أو أمه سؤالًا فظلمها بجوابه أو بصمته!،** إن ما يجب عليك يا أخي هو أن تكون عونًا لهن لا عونًا عليهن، **وعليكن يا أخواتي أن تتقين الله -سبحانه وتعالى-، وأن تبحثن بصدق عما أشكل عليكن، وعليكن أن تفرقوا بين حكم الله -سبحانه وتعالى- وما أمر، وبين ظلم وقع عليكن من ظالم!،** ولْتعلمْ يا أخي ولْتعلمْي يا أختاه، أن الله -سبحانه وتعالى- العدل، الذي أنزل حكمه بما تقتضيه مصالح العباد، إن علم العباد هذه الحكمة أم لم يعلموا، فما كان من أمر الله -سبحانه وتعالى- فهو العدل، وهو الخير بلا منازع، والسعيد من امتثل لأمره، والتعيس من لجأ لغيره، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٠٣٩. فلْتعلمْ يا أخي أن المظاهرة هي أن يقول الرجل لزوجته "أنت علي كظهر أمي"، وهذا أشهر الصيغ، وقد يظاهر الرجل على زوجته من محارمه، وهذا

كله من أقوال الزور -والعياذ بالله-، فإن زوجتك لم تكن يومًا أمك أو إحدى محارمك!، وقد أنزل الله -سبحانه وتعالى- حكم الظهار وكفارته، فقال -جل في علاه-: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾، وفي ملخص أحكام الظهار، فإن على المظاهر أن يمتنع من وطئ زوجته حتى يكفر عن ذنبه، وكفارة هذا الذنب، التوبة إلى الله -سبحانه وتعالى-، واعتاق رقبة، فإن لم يجد، فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع، فإطعام ستين مسكينًا!، وقد تحدث الفقهاء عن أحكام الظهار والمسائل التي تتعلق بها، ويمكن الرجوع للكتب الفقهية للاستزادة.

١٠٤٠. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- نهانا عن النجوى بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ﷺ!، بل أمرنا أن تكون النجوى دومًا بالبر والتقوى!، والنجوى هي إسرار الحديث، والمراد هنا إسرار الحديث بين اثنين فأكثر، قال تعالى في سورة المجادلة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾﴾، ومن الآداب الجميلة في هذا الباب، ما رواه عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "إذا كُنْتُمْ ثَلاثَةً، فلا يَتَناجَى رَجُلانِ دُونَ الآخَرِ حتَّى تَخْتَلِطُوا بالنَّاسِ، أجْلَ أنْ يُحْزِنَهُ."(١)، وهذا الأدب العظيم فيه أن مناجاة اثنان بوجود ثالث قد تدخل الحزن إلى قلبه!، وقد

(١) الراوي: عبدالله بن مسعود | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٢٩٠ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

راعى الإسلام القلوب ومشاعرها، ووجه الناس لحفظها، وبهذا فإن النجوى تزول عند الاختلاط بالناس...، لذلك، إن لم تستطع أن تنتظر حتى تختلط في الناس، فعلى الأقل استأذن من الثالث حتى تطيب خاطره، ولْتعلمْ أن من آداب الكلام ألا يتناجى اثنان دون ثالثهم، أي أصل الكلام أن يكون جهرًا لا نجوى بينهم، والنجوى لا تكون بين الناس، ولا تكون النجوى بين أربعة إذا تناجى اثنان منهما دون الآخرين...، وذلك لأن الاستئناس قد يحصل بوجود الآخرين، ويمكن الرجوع للكتب الفقهية للاستزادة حول النجوى وآدابها، فسبحان من أدبنا وهذب أخلاقنا ونظم مشاعرنا، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

١٠٤١. قال تعالى في سورة المجادلة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾، هذه الآية الكريمة تتابع ما بدأنا في ذكره من الآداب العظيمة، والأوامر والنواهي الجليلة، ففيها وصايا قيمة لبني آدم، أولها أن يلين المسلم لأخيه المسلم، ومن علامات اللين والرحمة التفسح في المجالس، وثانيها أن الله -سبحانه وتعالى- أخبر بأن الناس في هذا المجلس هم أولى الناس بالسبق، أي أجيبوا إذا دعيتم إلى معروف ولا تثاقلوا، وفيها أن صاحب المجلس إن أخبر زواره بالانصراف فهذا من حقه ولا يعيبه، وعلى من حضر أن يعطي لصاحب هذا المجلس حقه حتى يقدر على قضاء حوائجه!، وفيها أن الله -سبحانه وتعالى- مدح العلماء...، فسبحان العليم الخبير!، قال القرطبي -رحمه الله-: " الصحيح في الآية أنها عامة في كل مجلس اجتمع المسلمون فيه للخير والأجر، سواء كان مجلس حرب أو ذكر أو مجلس يوم الجمعة، فإن كل واحد أحق بمكانه الذي سبق إليه قال ﷺ: من سبق إلى ما لم يسبق إليه فهو أحق به ولكن يوسع

لأخيه ما لم يتأذَ فيخرجه الضيق عن موضعه. روى البخاري ومسلم عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه. وعنه عن النبي ﷺ أنه نهى أن يقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخر، ولكن تفسحوا وتوسعوا. وكان ابن عمر يكره أن يقوم الرجل من مجلسه ثم يجلس مكانه. لفظ البخاري. الثالثة: إذا قعد واحد من الناس في موضع من المسجد لا يجوز لغيره أن يقيمه حتى يقعد مكانه، لما روى مسلم عن أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ قال: لا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ثم يخالف إلى مقعده فيقعد فيه ولكن يقول: افسحوا ....قوله تعالى: ﴿يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: في قبوركم وقيل: في قلوبكم. وقيل: يوسع عليكم في الدنيا والآخرة. وإذا قيل انشزوا فانشزوا قرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما. وكسر الباقون، وهما لغتان مثل يعكفون ويعرشون والمعنى: انهضوا إلى الصلاة والجهاد وعمل الخير، قال أكثر المفسرين. وقال مجاهد والضحاك: إذا نودي للصلاة فقوموا إليها. وذلك أن رجالًا تثاقلوا عن الصلاة فنزلت. وقال الحسن ومجاهد أيضا: أي: انهضوا إلى الحرب. وقال ابن زيد: هذا في بيت النبي ﷺ، كان كل رجل منهم يحب أن يكون آخر عهده بالنبي ﷺ، فقال الله تعالى: وإذا قيل انشزوا عن النبي ﷺ فانشزوا؛ فإن له حوائج فلا تمكثوا. وقال قتادة: المعنى أجيبوا إذا دعيتم إلى أمر بمعروف، وهذا هو الصحيح؛ لأنه يعم...السابعة: قوله تعالى: يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات أي: في الثواب في الآخرة وفي الكرامة في الدنيا، فيرفع المؤمن على من ليس بمؤمن، والعالم على من ليس بعالم. وقال ابن مسعود: مدح الله العلماء في هذه الآية. والمعنى أنه يرفع الله الذين أوتوا العلم على الذين

آمنوا ولم يؤتوا العلم درجات أي: درجات في دينهم إذا فعلوا ما أمروا به"(١)، وقال السعدي -رحمه الله-: "هذا تأديب من الله لعباده المؤمنين، إذا اجتمعوا في مجلس من مجالس مجتمعاتهم، واحتاج بعضهم أو بعض القادمين عليهم للتفسح له في المجلس، فإن من الأدب أن يفسحوا له تحصيلًا لهذا المقصود. وليس ذلك بضار للجالس شيئًا، فيحصل مقصود أخيه من غير ضرر يلحقه هو، والجزاء من جنس العمل، فإن من فسح فسح الله له، ومن وسع لأخيه، وسع الله عليه. ﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا﴾ أي: ارتفعوا وتنحوا عن مجالسكم لحاجة تعرض، ﴿فَانْشُزُوا﴾ أي: فبادروا للقيام لتحصيل تلك المصلحة، فإن القيام بمثل هذه الأمور من العلم والإيمان، والله تعالى يرفع أهل العلم والإيمان درجات بحسب ما خصهم الله به، من العلم والإيمان. ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فيجازي كل عامل بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر. وفي هذه الآية فضيلة العلم، وأن زينته وثمرته التأدب بآدابه والعمل بمقتضاه."(٢)، فاللهم نسألك أن تحسن خُلقنا كما حسنت خلقنا.

١٠٤٢. قال تعالى في سورة المجادلة: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾، هذه الآية الكريمة تركز على معنى مهم، وهو أن

---

(١) منقول بإيجاز | كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ٢٠ | الصفحة ٣١٧ - ٣١٩ | تفسير سورة المجادلة | الآية ١١ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة المجادلة | الجزء الثامن والعشرون | الآية ١١ | الصفحة ٨٤٦ | مؤسسة الرسالة | بيروت

الإيمان بالله -سبحانه وتعالى- واليوم الآخر يفسُد بموالاة الكافرين، حتى ولو كان أقرب الناس إليه!، فالله -سبحانه وتعالى- وما قضاه لأحب إلى قلوبنا من أنفسنا، فإن كان ذلك، كانت موالاة الكافرين ومشاركتهم أعمالهم الخبيثة دليل على فساد الإيمان، فلا يجتمع بقلب رجل واحد الإيمان حقيقة وموالاة الكافرين!، ويكفي قوله تعالى في حق من لم يوالِ الكافرين: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾، فاللهم نسألك أن نكون ممن رضيت عنهم، برحمتك يا أرحم الراحمين يا الله!.

١٠٤٣. فلْتعلمْ يا أخي أن الدولة التي يتداول بها الأغنياء والأقوياء الأموال ومصارفها ومكاسبها دون الفقراء والضعفاء؛ هي دولة تؤذن بخراب العمران، ولو بعد حين!، ويكفي بهذا المبدأ فسادًا أن الغني يزداد غنىً، ويزداد الفقير فقرًا، حتى تتسع الفجوة فيصعب ردمها، ويغيب العدل، وتتمركز القوى بأيدي قلة قليلة من الناس!، يتحكمون بما عندهم في مصالح الناس!، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٠٤٤. قال تعالى في سورة الحشر: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾، في هذه الآية الكريمة؛ فقه عظيم!، سنتطرق إلى جزء منها وهو "وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا"، هذه الشطر البليغ، فيه قاعدة ذهبية، وهي أن الله -سبحانه وتعالى- أمرنا في كتابه العزيز أن نأخذ بما جاء به الرسول ﷺ وأمر به!، وقول الله -سبحانه وتعالى- وقول نبيه ﷺ لا يعلوهما قول ولا رأي ولا اجتهاد!، لهذا، فكل من يقول "أنا آخذ بالقرآن ولا آخذ بالسنة" هو إما جاهل وإما كذاب

أشر!، فإن الله -سبحانه وتعالى- أمرك في نص صريح بأن تأخذ بما أمرك به الرسول ﷺ، وأن تجتنب ما نهاك عنه، فإنه ما أمر إلا بخير، وما نهى إلا عن شر، وما هو إلا وحي يوحى!، فاللهم هداك ورحمتك، ولا حول ولا قوة إلا بك.

١٠٤٥. قال تعالى في سورة الحشر: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾، هذه الآية الكريمة ذكرت من الصفات الطيبة التي امتاز بها الأنصار -رضوان الله عليهم- وسبقوا غيرهم بها، وكانت في موضع مدح لهم، ولكل من كان قلبه كقلوبهم!، وفيها أنهم جعلوا أرضهم وأموالهم ملجأ وسكنًا للمسلمين، وفيها أن قلوبهم خالية من الحسد والغل والحقد، وفيها عظم إيثارهم وعظم حبهم لله -سبحانه وتعالى-، ولرسول الله ﷺ، وللمهاجرين -رضوان الله عليهم-، فاجتمع لهم الحب الصادق الطيب النقي، والإيثار في أعظم صوره، وصفاء القلوب من الحسد والغل والحقد في أجمل معانيها، وبهذا وقوا شح أنفسهم!، فمن أراد أن يكون من المفلحين، فليمتثل لأوامر الله -سبحانه وتعالى- وهدايته، ولينظر كل واحد منا أثر هدي الله -سبحانه وتعالى- فيما قدمه الأولون من صحابة رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار!، فإن نفوسهم بلغت منازل عظيمة باتباع أوامر الله -سبحانه وتعالى- وصحبة نبيه ﷺ، فازدادت بذلك قلوبهم صفاء فوق صفائها، ونقاءً فوق نقائها، وسبحان من حببهم إلينا دون أن نلقاهم، وسبحان من جعل حب من في مدينة رسول الله ﷺ ممن هم من أصلابهم إلى يومنا هذا!، قال السعدي -رحمه الله-: "وقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أي: ومن أوصاف الأنصار التي فاقوا بها غيرهم، وتميزوا بها على من سواهم، الإيثار، وهو أكمل أنواع الجود، وهو الإيثار بمحاب

النفس من الأموال وغيرها، وبذلها للغير مع الحاجة إليها، بل مع الضرورة والخصاصة، وهذا لا يكون إلا من خلق زكي، ومحبة لله تعالى مقدمة على محبة شهوات النفس ولذاتها، ومن ذلك قصة الأنصاري الذي نزلت الآية بسببه، حين آثر ضيفه بطعامه وطعام أهله وأولاده وباتوا جياعًا"(١)، وقال القرطبي -رحمه الله-: "وفي موطأ مالك: أنه بلغه عن عائشة زوج النبي ﷺ، أن مسكينًا سألها وهي صائمة وليس في بيتها إلا رغيف; فقالت لمولاة لها: أعطيه إياه; فقالت: ليس لك ما تفطرين عليه؟ فقالت: أعطيه إياه. قالت: ففعلت. قالت: فلما أمسينا أهدى لنا أهل بيت أو إنسان ما كان يهدى لنا: شاة وكفنها. فدعتني عائشة فقالت: كلي من هذا، فهذا خير من قرصك. قال علماؤنا: هذا من المال الرابح، والفعل الزاكي عند الله تعالى يعجل منه ما يشاء، ولا ينقص ذلك مما يدخره عنه. ومن ترك شيئًا لله لم يجد فقده وعائشة رضي الله عنها في فعلها هذا من الذين أثنى الله عليهم بأنهم يؤثرون على أنفسهم مع ما هم فيه من الخصاصة، وأن من فعل ذلك فقد وقي شح نفسه وأفلح فلاحًا لا خسارة بعده"(٢)، وقال القرطبي أيضا: "قوله تعالى: ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا يعني لا يحسدون المهاجرين على ما خصوا به من مال الفيء وغيره; كذلك قال الناس. وفيه تقدير حذف مضافين; المعنى مس حاجة من فقد ما أوتوا. وكل ما يجد الإنسان في صدره مما يحتاج إلى إزالته فهو حاجة. وكان المهاجرون في دور الأنصار، فلما غنم عليه الصلاة والسلام أموال بني النضير، دعا الأنصار وشكرهم

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الحشر | الجزء الثامن والعشرون | الآية ٩ | الصفحة ٨٥١ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ٢٠ | الصفحة ٣٦٥-٣٦٦ | تفسير سورة الحشر | الآية ٩ | مؤسسة الرسالة | بيروت

فيما صنعوا مع المهاجرين في إنزالهم إياهم في منازلهم، وإشراكهم في أموالهم. ثم قال: إن أحببتم قسمت ما أفاء الله علي من بني النضير بينكم وبينهم، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم وأموالكم، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم. فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ: بل نقسمه بين المهاجرين، ويكونون في دورنا كما كانوا. ونادت الأنصار: رضينا وسلمنا يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار. وأعطى رسول الله ﷺ المهاجرين ولم يعطِ الأنصار شيئًا إلا الثلاثة الذين ذكرناهم. ويحتمل أن يريد به ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا إذا كان قليلًا بل يقنعون به ويرضون عنه. وقد كانوا على هذه الحالة حين حياة النبي ﷺ دنيا، ثم كانوا عليه بعد موته ﷺ بحكم الدنيا. وقد أنذرهم النبي ﷺ وقال: سترون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض."(١)، أرأيت مثل هذا الإيثار من قبل؟! أرأيت مثل هذا الحب؟!، أرأيت مثل هذه القلوب الصافية؟!، أتتعجب بعد هذا كله من حبنا لهم؟!، رضي الله عنهم جميعًا، وجزاهم خير الجزاء، وحشرنا معهم وجمعنا بهم على الحوض مع الحبيب المصطفى ﷺ، قال البغوي -رحمه الله-: "والشح في كلام العرب: البخل ومنع الفضل وفرّق العلماء بين الشح والبخل. روي أن رجلًا قال لعبد الله بن مسعود: إني أخاف أن أكون قد هلكت فقال: وما ذاك قال: أسمع الله يقول: ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء فقال عبد الله: ليس ذاك بالشح الذي ذكر الله - عز وجل - في القرآن ولكن الشح أن تأكل مال أخيك ظلمًا ولكن ذاك البخل وبئس الشيء البخل. وقال ابن عمر: ليس الشح أن

---

(١) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ٢٠ | الصفحة ٣٦٢ | تفسير سورة الحشر | الآية ٩ | مؤسسة الرسالة | بيروت

يمنع الرجل ماله إنما الشح أن تطمح عين الرجل إلى ما ليس له وقال سعيد بن جبير: الشح هو أخذ الحرام ومنع الزكاة وقيل: الشح هو الحرص الشديد الذي يحمله على ارتكاب المحارم. قال ابن زيد: من لم يأخذ شيئًا نهاه الله عنه ولم يدعه الشح إلى أن يمنع شيئًا من شيء أمره الله به فقد وقاه شح نفسه. أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي ... عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: "اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم". أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي... عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبدًا ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدا"(١)، لذلك يا أخي، قِ نفسك من الشح، وأحب من قلبك واصدق في حبك، وانزع من قلبك الغل والحسد والحقد، واتبع ما قاله -سبحانه وتعالى- تكن من المفلحين -بإذنه تعالى-، ولا أظن أنهم وصلوا إلى ما هم عليه إلا أنهم أقاموا في قلوبهم ما قاله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾، لأنهم لما امتثلوا لما أُمروا وقوا شح أنفسهم، وقالوا سمعنا وأطعنا، فكان حالهم أنهم رضوا لإخوانهم قسمة الرسول الكريم ﷺ دون أن يقع في قلوبهم الحسد والحقد والغل والشح، بل رضوه بكامل الحب والرضا، وبهذا كانوا أصحاب القلوب المحبة...، فسبحان من قلب تلك القلوب وجعلها بذلك الصفاء...سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

١٠٤٦. قال تعالى في سورة الحشر: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

(١) كتاب معالم التنزيل (تفسير البغوي) | أبي محمد البغوي | المجلد الثامن | تفسير سورة الحشر | الصفحة ٧٨ | الآية ٩ | دار طيبة | الرياض

رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾، قال البغوي -رحمه الله-: "قوله -عز وجل-: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ يعني التابعين وهم الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة ثم ذكر أنهم يدعون لأنفسهم ولمن سبقهم بالإيمان والمغفرة فقال: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا﴾ غشا وحسدا وبغضا ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ من كان في قلبه غل على أحد من الصحابة ولم يترحم على جميعهم فإنه ليس ممن عناه الله بهذه الآية لأن الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاثة منازل: المهاجرين والأنصار والتابعين الموصوفين بما ذكر الله فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من أقسام المؤمنين. قال ابن أبي ليلى: الناس على ثلاثة منازل: الفقراء المهاجرين والذين تبوءوا الدار والإيمان والذين جاءوا من بعدهم فاجتهد أن لا تكون خارجا من هذه المنازل."(١)، وقال السعدي -رحمه الله-: "وهذا دعاء شامل لجميع المؤمنين، السابقين من الصحابة، ومن قبلهم ومن بعدهم، وهذا من فضائل الإيمان أن المؤمنين ينتفع بعضهم ببعض، ويدعو بعضهم لبعض، بسبب المشاركة في الإيمان المقتضي لعقد الأخوة بين المؤمنين التي من فروعها أن يدعو بعضهم لبعض، وأن يحب بعضهم بعضا. ولهذا ذكر الله في الدعاء نفي الغل عن القلب، الشامل لقليل الغل وكثيره الذي إذا انتفى ثبت ضده، وهو المحبة بين المؤمنين والموالاة والنصح، ونحو ذلك مما هو من حقوق المؤمنين."(٢)، قلت: **إن الخاسر هو من علم طريق النجاة ثم اتخذ**

---

(١) كتاب معالم التنزيل (تفسير البغوي) | أبي محمد البغوي | المجلد الثامن | تفسير سورة الحشر | الصفحة ٧٩ | الآية ١٠ | دار طيبة | الرياض

(٢) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الحشر | الجزء الثامن والعشرون | الآية ١٠ | الصفحة ٨٥٢ | مؤسسة الرسالة | بيروت

غيره، والخاسر هو من علم أن الإيمان يستلزم محبة صحابة رسول الله ﷺ، ثم يقوم بمعاداتهم تحت أي ذريعة، ألم ترى في قوله تعالى: ﴿سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾، أي وكأنها شهادة بالإيمان لمن سبق، وشهادة بالإيمان لمن كان حاله وقلبه كما ذكرت الآية!، وإذا أردت أن تكون من الناجين، فاستغفر للمؤمنين، السابقين والمتأخرين، وانزع الغل والحقد من قلبك، وانصح وتناصح بالخير، واستغفر لك ولهم، وأحب لأخيك ما تحبه لنفسك!، فاللهم اغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنك سميع قريب مجيب الدعوات...، واسعَ لأن تكون من اللاحقين بركب المهاجرين والأنصار لتفوز فوزًا عظيمًا -بإذن الله تعالى-، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٠٤٧. قال تعالى في سورة الحشر: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾﴾، هذه الآية فيها كنز عظيم، وعبرة تتكرر على مر الزمان، وهي أن المنافقين يُغررون بغيرهم حتى يبيعوا دينهم وأنفسهم وأهليهم، أو يحرضوهم على مقاتلة عدوهم المشترك، لكنهم كاذبون حتى في هذه، فتراهم أول الناس خذلانًا ونقضًا للعهد، ولا يلاقي منهم من صدقهم إلا الخسران المبين!، وهذا الأمر شبيه بما يفعله أعداء الإسلام اليوم!، فتراهم يجندون العملاء والخونة لصفهم حتى تنقضي مصلحتهم أو يولوا هاربين أذلاء!، وأول من يُترك ويرمى ككلب ضال؛ هو الخائن الذي باع دينه وعرضه وأرضه بحفنة من الدراهم، وحالهم اليوم معهم إما تركهم ليلاقوا مصيرهم المحتوم، وإما أن يأخذوهم فينفون ويرمون في مكان أذلاء لا هم تنعموا في الدنيا ولا هم فازوا بالآخرة، والشواهد اليوم كثيرة!، ولْتعلمْ يا أخي أن قول العدو الذي يغتصب أرضك وينتهك حرماتك؛ ما هو إلا كذب محض، فإن الذي يملك القوة يملك القرار!، فلا يُظن بأن الكلب لن

يُترك ولن يرمى يومًا! ولا يظن بأن الكلب لا يستبدل!، فإن كنت خائنًا فارجع فورًا إلى الله -سبحانه وتعالى- وكفّر عن ذنبك، قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون!، وقبل أن تُكتشف وقبل أن ترمى!. وقد ذكر الله -سبحانه وتعالى- لنا آيات بينات لنتعلم منها الدروس والعبر، ففي زمن رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، قال تعالى في سورة الممتحنة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾، وهذه الآية كما ذكره جماعة من المفسرين -رحمهم الله-، نزلت في حاطب بن أبي بلتعة -رضي الله عنه-، وفي قصته -رضوان الله تعالى عليه- حكم بليغة ذكرها جماعة من المفسرين -كالقرطبي رحمه الله- لا يسعنا ذكرها في هذا المكان...، لكن الخلاصة تقتضي بألا توالي أعداء الله -سبحانه وتعالى- ولا تلقي إليهم بالمودة!، ولْتعلمْ أن هذا الفعل ضلال، ومظاهرة أعداء الدين على المسلمين كُفر يستوجب القتل!، وفي تفاصيل الأحكام الفقهية، يرجع إلى الفقهاء، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٠٤٨. فلْتعلمْ يا أخي أن أهل الباطل مختلفة آراؤهم، ومختلفة شهاداتهم، ومختلفة أهواؤهم، وهم مع ذلك مجتمعون على عداوة أهل الحق!، تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى!

١٠٤٩. فلْتعلمْ يا أخي أن الإنسان أشد ما يخشاه على قلبه؛ أن يصير قلبه أقسى من الصخور التي في تلك الجبال!، ألم تسمع قوله تعالى في سورة الحشر: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾، فإذا كانت الجبال بعظمتها ستتصدع من

خشية الله -سبحانه وتعالى-؛ لو أُنزل عليها هذا القرآن، فما بال الإنسان؟! سترى الجبال مشفقة على نفسها من عظم ما جعل الله -سبحانه وتعالى- في كتابه العزيز من الثواب والعقاب، وعظم ما فيه من آيات بينات ومواعظ جليلة -الحمد لله-، فما بال بعض القلوب أقسى من الجبال؟!، فلا تلين ولا تخشع؟!، بل ما بال عقولهم، لا تتفكر ولا تتدبر؟!، ما بالهم شروا الحياة الدنيا بالآخرة!، ما بال قلوبهم قاسية؟!، ألم يسمعوا قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾؟! سبحان الله كيف يحكمون!، اللهم نعوذ بك أن نكون من أصحاب القلوب القاسية!، وانظر في مقابل هذه القسوة حال الأنبياء والمؤمنين في كتاب الله -سبحانه وتعالى-، وانظر لجمال وصفهم وعظيم صنيعهم!، قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾، وقال تعالى في سورة مريم: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾، وقال تعالى في سورة المائدة: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾، وقال تعالى في سورة الزمر: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾، إن هذا الفرق العظيم بين القاسية قلوبهم والذين تقشعر جلودهم فتلين جلودهم وقلوبهم فرق عظيم، فهل من كان على هدى من ربه كمن كان على الضلال؟!، وهل من كان قلبه مليء بالسكينة ورضا الرحمن كمن قلبه يتخبط بين الشهوات والشبهات، ورضا الشيطان؟!، وهل من كان

مصيره إلى الجنة كمن كان مصيره إلى النار؟!، أخي الحبيب، إننا نرجو من الله -سبحانه وتعالى- أن يرقق قلوبنا ويلينها لذكره وما نزل من الحق، وإننا نرجو ذلك بفضله ورحمته، ونستعين به لذلك!، إن القرآن الكريم فيه من الكنوز العظيمة، التي ينبغي لكل مسلم أن يتدبرها ولو لمرة واحدة في هذه الحياة، إن كثير مما نراه من ميل عن الحق في أنفسنا وضياع في كثير من الأبواب الفكرية التي تفتح الشبهات والشهوات عندنا، نتيجتها أننا لم نبدأ أصلا في كتاب الله -سبحانه وتعالى-، فكم من مسلم كانت له **ختمة تدبر** لكتاب الله -سبحانه وتعالى-؟!، كم منا أضاع من عمره الكثير حتى بدأ بختمة لتدبر للقرآن الكريم -الحمد لله الذي هدانا لذلك ولم نمت قبل ذلك-؟!، إن ما أراه حقا هو أن البيت المسلم لا ينبغي له بأي حال من الأحوال أن يكون فقيرا من ختمة التدبر!، وأزيدكم من الشعر بيتا، إن البيت المسلم إذا رغبت ببنائه بلبنة صحيحة، فلا ينبغي لك أن تبدأ بكتاب قبل كتاب الله -سبحانه وتعالى-، فإن فيه السكينة التي ستملأ بيتك وأهلك بما لم تره من قبل!، إنها سكينة القرآن!، إنه الحق الذي جاء به القرآن ليدمغ به الباطل!، إن البيت الذي يربو على تدبر القرآن وختمه، ومشاركة ما فيه من الكنوز مشاركة تفاعلية، ستجده بيتا متماسكا قويا ولبنة شديدة من أسس هذه الأمة، وما أرى شرا أعظم من نزع القرآن الكريم من بيوتنا واستبداله بالتلفاز وما فيه من فسوق ومجون، وبالأجهزة التقنية بما فيها من لهو وإباحية وإضاعة للوقت ومنكرات!، لا أرى شرا من بيت استبدل القرآن الكريم وكنوزه، بجهاز يقضي على أطفاله وأهل بيته، بل يعتبرونها وسيلة لإسكات الأطفال "والتخلص منهم أو من إزعاجهم"!، فيا الله ما أشنع ذلك!، ألا تستحي من نفسك إذا سمعت قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ

مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾، ألا تستحي من هذا الحرمان ومن هذه الخسارة؟!، ألا تستحي من هجر القرآن؟!، ألا تستحي من هجر القرآن تدبرا وعلما؟!، روى السائب بن زيد -رضي الله عنه-: "أنَّ شُرَيحًا الحضرميَّ ذُكِرَ عند النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآلِه وسلَّمَ فقال له **ذاك رجلٌ لا يتوسَّدُ القرآنَ**"(١)، انظر لجمال بلاغة الرسول ﷺ، فقد مدح شُرَيحًا -رضي الله عنه- بأنه لا ينام ويترك ورده من القرآن، إنه لم يتخذ القرآن وسادة، أي لم يهجره، وهذا فيه حث للأمة على قراءة القرآن الكريم والاهتمام به!، وانظر لجمال الفكرة والحث، فيذكرك أيضا في قراءة القرآن والحرص عليه حتى في سكون الليل، عندما تتوسد الناس فرشها، قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾، لذلك يا أخي، عالج قسوة قلبك بالقرآن، وعالج جفاء أهلك وبعدهم بالقرآن، وألف بين قلوب أبنائك وزوجك وبيتك بالقرآن، وعالج أمراض القلوب -شهواتها وشبهاتها- بالقرآن، واحذر من أن تكون ممن أعرض عن ذكر الرحمن، واحذر أن تكون شيطانا أبعد أهله عن القرآن وخيره، وحقا من كان هذا حاله حق عليه أن يهلع وأن يخاف وأن يجف ريقه فلا ترويه مياه الآبار!، قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾، اللهم نسألك برحمتك أن نكون ممن خشعت قلوبهم لذكرك، ولانت جلودهم وقلوبهم من خشيتك، وسمعت وأطاعت ما أنزلت من الحق، ولا حول ولا قوة إلا بك.

ملاحظة: قد يقول قائل، إن الوسائل التقنية أو التلفاز فيها خير للأطفال، وإننا

---

(١) الراوي: السائب بن يزيد | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح النسائي الصفحة أو الرقم: ١٧٨٢ | خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح

لا ننكر ذلك!، فكثير من الشر فيه من الخير!، بل إن الخمر والميسر ﴿فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا﴾، فالفكرة هي ليست في نفي الخير عن هذه الأدوات التقنية، ففيها الخير وفيها الشر، لكن عموم ما نراه من استخدام للتقنية هو شر راجح!، يتخذها كثير من الناس وسيلة لإلهاء أطفالهم أو إضاعة أوقاتهم أو للدخول في مهاترات على وسائل التواصل الإجتماعي أو في مشاركة تفاصيل الحياة وخصوصيتها ومتابعتها، عدا عن المسلسلات والأفلام والأغاني بما فيها من فحش القول والعري والموسيقى التي لا تغيب عن مسمع الأطفال الصغار وحتى الكبار والشيوخ!، بل ويضاف إلى هذه المصائب مصيبة طامة بترك الأطفال على هذه الوسائل دون مراقبة ودون اجتهاد في البحث عما ينفعهم!، ونزع الأطفال من طفولتهم وقتل مخيلاتهم بالأجهزة التقنية عوضا عن التبحر في هذا العالم واللعب في التراب ومع الأقران وتجربة وتحسس الحياة...إلى آخره!، ثم يتعجب الآباء من النتائج التي يرونها في أبنائهم!، أما إذا كنت فعلا تريد الخير من هذه الوسائل، فاحرص على استخدامها فيما ينفع، وفي وقت محدد، ولتكن قدوة لأبنائك فلا يرونك تتشاغل عنهم على لعبة أو وسائل التواصل مثلا!، واحرص على منعهم من استخدام التقنية في سنواتهم الأولى ما استطعت، مهما تباكوا!، ووفر لهم بدائل الخير والعقل!، واحرص عند مشاركتهم وسائل التقنية من مراقبتهم وتحديد ما يمكنهم الولوج إليه، والوقت المسموح لهم بذلك...إلى آخره من الوسائل التي تجعلك تزرع فيهم بذور الخير، وتمنع عنهم بذور الشر ما استطعت، باختصار، احرص على أخذ الخير من التقنية وابتعد من الشر الذي فيها، فإن كان ولا بد، فلا تسمح على الأقل للشر بأن يدخل لأهلك وأنت متقاعس عن أداء دورك، ولا حول

ولا قوة إلا بالله.

١٠٥٠. يا أخي، تعوّذ بالله -سبحانه وتعالى- من أن تفتن أو تُفتن!، واستعذ بالله -سبحانه وتعالى- من أن تضل أو تُضل!، ولْتعلمْ يا أخي أن الإنسان لن يكون سعيدًا في كلا الأمرين، فكلاهما مدعاة للإثم مجلبة للتعاسة!، اللهم نعوذ بك من ذلك!، لذلك، تحرَ دومًا الصواب في قولك وفعلك، واستعن بالله -سبحانه وتعالى- على ذلك، واصدق العزم على ذلك، حتى تنجو بإذن الله -سحانه وتعالى- من هذين الأمرين، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٠٥١. فلْتعلمْ يا أخي أن الزواج من غير المسلمات ومحصنات أهل الكتاب حرام، والعقد به باطل، فلا تحل لك!، وذلك كمثل الوثنية أو الملحدة، ومع كراهة الزواج من الكتابية المحصنة -كما قال بعض أهل العلم-، إلا أن ذلك جائز، لكن من باب أولى ومن باب أسلم؛ على المسلم أن يسعى لأن يتزوج من المسلمات فهن أولى من غيرهن!، ويكفي في هذا أن يترعرع أبناؤك بين أبوين مسلمين!، فلا تخشى عليهم بوائق الكفر التي قد تنتقل إليهم من الأم غير المسلمة!، وفي أحكام الزواج التي جرت بين المسلمين وغيرهم أحكام فقهية كثيرة، يرجع بها إلى الكتب الفقهية للاستزادة...

١٠٥٢. فلْتعلمْ يا أخي أن الإنسان إذا ترك شهوته من المعاصي هان عليه ترك سائر المعاصي مما لا شهوة له فيها، وإذا فعل من أعمال الخير ما تثاقل عنها، سهل عليه فعل ما أحبه وما دونه!

١٠٥٣. قال تعالى في سورة الممتحنة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ

ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾، هذه الآية العظيمة، ملأى بالأحكام الشرعية التي تنظم علاقة المخلوق بالخالق، وعلاقة الإنسان بالإنسان، وعلاقة الإنسان بما يجري حوله، وهي في هذا الموضع، للنساء أخص، فأمرن أن لا يشركن بالله -سبحانه وتعالى- شيئًا، فتوحيد الله -سبحانه وتعالى- والعبودية له والالتزام بأوامره أولى الأولويات، وأعلى المسئوليات، ومن اتباع تلك الأوامر ألا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن!، لا قبل الولادة -بغير عذر شرعي- ولا بعدها!، ولا ينسبن الولد لغير أبيه، ولا يفترين على غيرهن، ولا يعصين الله -سبحانه وتعالى- ورسوله ﷺ، ومن هذا ما رواه أبو مالك الأشعري -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "أَرْبَعٌ في أُمَّتي مِن أمْرِ الجاهِلِيَّةِ، لا يَتْرُكُونَهُنَّ: الفَخْرُ في الأحْسابِ، والطَّعْنُ في الأنْسابِ، والاسْتِسْقاءُ بالنُّجُومِ، **والنِّياحَةُ** وقالَ: النَّائِحَةُ إذا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِها، تُقامُ يَومَ القِيامَةِ وعليها سِرْبالٌ مِن قَطِرانٍ، ودِرْعٌ مِن جَرَبٍ."(١)، والنياحة هي الصراخ والعويل في البكاء، ومما يشمل ذلك النهي عن شق الثياب وخشم أو لطم الوجوه ونحو ذلك، ثم بشر الله -سبحانه وتعالى- كل من فعلت ما أمرت به وبايعت عليه، وكل من لم تتب بعد، بأن الله -سبحانه وتعالى- هو التواب الرحيم!، لذلك، خذن بأسباب التوبة وأسباب العمل، وارجين من الله -سبحانه وتعالى- رحمته وعفوه، تفزن بإذنه سبحانه وتعالى، وإلى الله يرجع الأمر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٠٥٤. يا أخي، لا تطلب ولا تنتظر المدح فيما لم تفعل، واسعَ للأمر بالمعروف حتى لو لم تكن تفعله، وانهَ عن المنكر حتى وإن كنت تفعله!، فإن قلت كيف هذا وقد وردت الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة في ذلك، كقوله تعالى في

---

(١) الراوي: أبو مالك الأشعري | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٩٣٤ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

سورة البقرة: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾، وقوله تعالى في سورة الصف: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾، وقوله تعالى في سورة هود على لسان شعيب -عليه السلام-: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾، قلت، إن هذه المعاني العظيمة تكتمل في أجلى صورها وأعظمها في اتساق القول مع الفعل!، وهذا هو درب الأنبياء -عليهم السلام- والصالحين من الأمم، فإن الإنسان إن لم يقدر على فعل الخير أو لم يستطع الكف عن الحرام لضعفه، فإنه يذم على هذا، ولا يذم على أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وقد أحسن القرطبي -رحمه الله- حين قال: "اعلم وفقك الله تعالى أن التوبيخ في الآية بسبب ترك فعل البر لا بسبب الأمر بالبر ولهذا ذم الله تعالى في كتابه قومًا كانوا يأمرون بأعمال البر ولا يعملون بها وبخهم به توبيخًا يتلى على طول الدهر إلى يوم القيامة فقال أتأمرون الناس بالبر الآية"(١)، **فالفصل بين الأمر بالبر وفعل البر هو أمر واضح جلي، وكلاهما أمران مستقلان، لكنهما متسقان، الإخلال بأحدهما لا يجب أن يخل بالآخر، ولْتعلمْ أن شعار الإنسان الصالح؛ أن ما قلته من الخير فأنا أولى الناس به، وما قلته من الشر فإنني أتقى الناس عنه!**، قال ابن كثير -رحمه الله-: "والغرض أن الله تعالى ذمهم على هذا الصنيع ونبههم على خطئهم في حق أنفسهم، حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه، وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له، بل على تركهم له، فإن الأمر بالمعروف

---

(١) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ٢ | الصفحة ٥٨ | تفسير سورة البقرة | الآية ٤٤ | مؤسسة الرسالة | بيروت

معروف وهو واجب على العالم، ولكن الواجب والأولى بالعالم أن يفعله مع أمرهم به، ولا يتخلف عنهم، كما قال شعيب، عليه السلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]. فكل من الأمر بالمعروف وفعله واجب، لا يسقط أحدهما بترك الآخر على أصح قولي العلماء من السلف والخلف. وذهب بعضهم إلى أن مرتكب المعاصي لا ينهى غيره عنها، وهذا ضعيف، وأضعف منه تمسكهم بهذه الآية؛ فإنه لا حجة لهم فيها. والصحيح أن العالم يأمر بالمعروف، وإن لم يفعله، وينهى عن المنكر وإن ارتكبه"(١)، وهذه الأقوال وغيرها من أقوال العلماء -رحمهم الله- ترى فيها وجه الصواب بشكل جلي، فمن مِن البشر غير الذين عصمهم الله -سبحانه وتعالى- يسلم من المعاصي والذنوب؟!، وقد أحسن ابن رجب -رحمه الله- حين قال: "لو لم يعظ الناس إلا معصوم من الزلل، لم يعظ بعد رسول الله ﷺ أحد لأنه لا عصمة لأحد بعده.

لئن لم يعظ العاصين من هو مذنب ... فمن يعظ العاصين بعد محمد...

وقال: من ذا الذي ما ساء قط ... ومن له الحسنى فقط"(٢)

لذلك يا أخي، **ابتغِ أعلى الدرجات بإحسانك في أقوالك وأفعالك، واتقِ شر أقوالك وأفعالك، فلا تقرب ما نهيت عنه، وافعل ما وصيت به!، فإن لم تستطع أن تنال هذه الدرجة، فكن قائمًا بأحد الأمرين مع الإقرار بذمك على هذا التقصير!،**

---

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٢٤ | تفسير سورة البقرة | الآية ٤٤ | دار ابن حزم | بيروت

(٢) كتاب تفسير ابن رجب الحنبلي | ابن رجب الحنبلي | الطبعة الأولى | الصفحة ٤٢٣ | تفسير سورة الصف | الآية ٢-٣ | دار العاصمة | الرياض

وإياك أن تسقط دون ذلك!، فاللَّهمَّ نعوذ بك أن نخالف ما ننهى عنه، ونسألك برحمتك الإصلاح ما استطعنا، وما التوفيق إلا من عند الله -جل في علاه-، والأمر إليه، عليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٠٥٥. فلْتعلمْ يا أخي أن العلم الذي يتعلمه الإنسان لا يكون علمًا إلا إذا انتفع منه، فقال به وعمل به واتقى شر ما حذر منه، ونفع غيره به!، فإن هذا ما يصح أن يطلق عليه العلم!، أما الذي يحمل العلم دون أن يدرك ماهيته ومعناه، ودون أن ينتفع به، ودون أن يعمل بمقتضى ما جاء فيه، فهو كمثل الحمار، فهو وإن حمل أسفارًا فإنه لا يدرك ولا يفقه ما حمله وما الغرض منه!، قال تعالى في سورة الجمعة: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥ ﴾، في هذه الآية الكريمة يُرى الفضل لمن حُمل بالعلم فعمل بمقتضى ما حُمل، وانتهى عما نُهي عنه، فاستفاد من ذلك، أما من لم يعمل ولم يفهم ما جاء فيما حمل من العلم، فهو كالحمار -والعياذ بالله-!، لذلك يا أخي، إذا طلبت العلم، فافهمه وتدبره، واعمل بمقتضى ما جاء من صالح الكلام فيه، وانتهِ عما نهى عنه من السوء، ولْتعلمْ أن العلم والحكمة من نعم الله -سبحانه وتعالى- العظيمة على الإنسان، وهذا من فضل الله -سبحانه وتعالى-، يؤتيه من يشاء، فاسعَ لكسبه، وادعُ الله -سبحانه وتعالى- التوفيق لذلك، وبذلك!، ولْتعلمْ يا أخي أن المتكبر عن العلم، الظالم لنفسه المعاند للحق المتبع لهواه، المغرور بنفسه وعلمه، لن يتعلم ولن يتفقه؛ حتى يتجرد من هذه الخصال السيئة!، ويسعى في ضدها، ففي التواضع وقبول الحق والبحث عنه علم ومنفعة -بإذن الله تعالى-، والناس في تفاوت في هذا، والأمر كله لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٠٥٦. اعلم يا أخي أن الموت قادم لا محالة، لا مفر منه، ففي الصحة أو

السقم، وفي القرار أو السفر، وفي رغد العيش أو شقاؤه!، إنه آتيك لا محالة، في الساعة والدقيقة والثانية التي أعدت لك!، والعاقل من اتخذ من الموت موعظة قبل أن يأتيه، فيتق ما يخشاه بحسن ما يصنعه!، وأحسن ما يصنع الإنسان هو الإحسان في الظن بالله -سبحانه وتعالى-، والإحسان في طاعته والامتثال لأوامره!، فلا البروج المشيدة، ولا الحذر والحرص ينجيك منه!، فماذا تظن بمن أحاطت به أسباب المنايا من كل جانب؟!، قال تعالى في سورة الجمعة: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾، ويُقال:

وكفى بالموت فاعلم واعظًا ... لمن الموت عليه قد قُدر

فاذكر الموت وحاذر ذكره ... إن في الموت لذي اللب عبر

كل شيء سوف يلقى حتفه ... في مقام أو على ظهر سفر

والمنايا حوله ترصده ... ليس ينجيه من الموت الحذر

١٠٥٧. قال تعالى في سورة الجمعة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾، هذه الآية الكريمة ابتدأت ب﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، أي يا عباد الله -جل في علاه-، الذين آمنوا به، إذا سمعتم من ينادي للصلاة في يوم الجمعة، فعليكم بتلبية النداء، وذروا البيع، وقد استدل العلماء بهذه الآية الكريمة والأحاديث الصحيحة على وجوب صلاة الجمعة على كل حر بالغ عاقل في مصره غير مسافر، والمذاهب الأربعة على وجوبها باختلاف شروط الوجوب...، وفي هذه الآية الحث والحرص على السعي لصلاة الجمعة في قلبك وعملك، وأن تترك الدنيا وكلاليبها وتخرج ماضيًا في طلب رضا الله -سبحانه وتعالى-، والسعي هنا لا يقصد به الإسراع

كالركض أو الجري الذي نهينا عنه، كما ورد تحريم البيع إذا نودي لصلاة الجمعة، إلا أنه اختلف الفقهاء في فسخ عقد البيع، هل يفسخ أم لا...، وقد وردت العديد من الأحاديث حول فضل يوم الجمعة وأهميته وطريقة التجهز لهذا اليوم وما فيه من الخير، فقد روى أبو هريرة وعبدالله بن عمر -رضي الله عنهما-: "أَنَّهُما سَمِعا رَسولَ الله ﷺ يقولُ علَى أعْوادِ مِنْبَرِهِ: لَيَنْتَهينَّ أقْوامٌ عن ودْعِهِمُ الجُمُعاتِ، أوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ علَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكونُنَّ مِنَ الغافِلِينَ."(١)، وروت أم المؤمنين حفصة -رضي الله عنها- عن النبي ﷺ أنه قال: "على كلِّ محتلِمٍ رواحُ إلى الجمعَةِ، وعلى كلِّ من راحَ إلى الجمعةِ الغسلُ"(٢)، هذه الأحاديث فيها حث على الحرص على الجمعة، والتجهز لها، والحذر من غضب الله -سبحانه وتعالى-، فيُختم على القلوب -والعياذ بالله-!، ومن اللطائف في هذا الباب كم اهتم الإسلام بالطهارة، فجعل طهارة الجسد من طهارة الروح، وطهارة الروح من طهارة الجسد، وأكد على أهمية ذلك، وفي هذا يبقى جسد المؤمن نظيفًا طاهرًا، وتكون هذه الحالة هي حالة روحه التي تطهرت من الدنيا وملذاتها وأتت طائعة لله -سبحانه وتعالى- منقادة له!، لذلك يا أخي، احرص على صلاة الجمعة، واسعَ لها، وخذ بما ورد في حقها من سنن وآداب، واسأل الله -سبحانه وتعالى- القبول، والأمر كله لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ملاحظة: إن ما ورد في هذه الفقرة مجرد عناوين لإيضاح أهمية يوم الجمعة

---

(١) الراوي: عبدالله بن عمر وأبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٨٦٥ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) الراوي: حفصة أم المؤمنين | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح أبي داود الصفحة أو الرقم: ٣٤٢ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

وبعض ما ذكر فيها، لكن يرجع للكتب الفقهية للاستزادة في فقه يوم الجمعة.

١٠٥٨. فلْتعلمْ يا أخي أن المنافقين زمن رسول الله ﷺ اتخذوا إيمانهم وأيمانهم سترة ليخفوا بها كفرهم، ويحفظوا بها أموالهم!، فلا هم نالوا الأموال، ولا كانوا كالكفار!، قال تعالى في سورة المنافقين: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢﴾، وهذا يذكرني بأفعال بعض من يتصدر المشهد في زماننا هذا، فتراه لا يتجرأ على الإسلام مباشرة حتى يعلن إسلامه أو يظهر بعض الصور من عمل أهل الإسلام، ثم تراه يسعى لهدم الإسلام ومهاجمته، فإن ظهر كذبه وتضليله أو قوي أهل الحق وانتفضوا، اختبأ واختفى كقط جبان، فإن ضعف أهل الحق وكثر اللغو والخبث، ظهروا وأظهروا العداء علانية، فإن رد عليهم الناس أولوا الكلام أو استمروا على ما قالوا بدعوى "هدم التراث" أو "الحرية"!، يتخبطون ولا ينالون سوى خزي في الدنيا والآخرة -بإذن الله-!، فالله مظهر للحق ولو بعد حين، والحق لا يدمغه الباطل، فيبقى الحق حقًا، ويبقى الباطل باطلًا ولو بعد حين!، وأخطر ما في هذه الفئة أن عوام الناس قد يقعون ضحايا عند سماع أقوالهم باعتبارهم "مشاهير" أو "علماء"، فها هم يدلسون ويكذبون ويخلطون كثيرًا من الباطل مع قليل من الحق!، أوهموا الناس بصلاحهم وكثرة علمهم، وهم أراذل الناس!، بل قال تعالى في نفس السورة: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٤﴾، **فهؤلاء المنافقين لا يشترط بالضرورة أن يكونوا قباح الشكل والمنظر، وليس بالضرورة أن يكونوا ضعاف اللسان، فهذه الصورة النمطية عن أهل الباطل مما ساهم في ترويجه الإعلام أو تصويره الأهالي عن الأشرار، وهذا ينافي الحقيقة!، فهاهم هؤلاء المنافقين ذكرهم الله -سبحانه وتعالى- بحسن أجسادهم وجمالها، وقوة كلامهم**

وحسن منطقهم، لكن هذا كله كان لا شيء أمام الحق الذي أنزله الله -سبحانه وتعالى-، فدحضت حججهم وذهب مكرهم!، فلا يحيق المكر السيء إلا بأهله!، فكان كل ما لديهم مذمة لهم وحسرة عليهم!، ومن هذا نعلم أن "مشاهير" اليوم بما يملكونه من "جمال" أو "شهرة" أو "مال" أو "لغة" أو "قوة" كلها لا تعني شيئًا إن لم يكن ما يخرج من أفعالهم خيرًا!، هذه الفئة التي تخفي كفرها وحقدها وغلها على دين الله -سبحانه وتعالى- وعلى أهل الحق؛ أشد خطرًا علينا من العدو الظاهر!، والواجب الاحتراس منهم، وفضحهم، وبيان ضلالهم، قاتلهم الله -سبحانه وتعالى-، أنى يؤفكون!، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٠٥٩. يا أخي، إذا علمت أن الله -سبحانه وتعالى- يعلم ما في الصدور، فاحرص واجتهد على جعل ما في صدرك طيبًا ممتلئًا بالأخلاق الحميدة الفاضلة!، ودع عنك الرذيلة!، وأحسنَ من اجتهد ليطهر قلبه من كل رجس، وأدخل إليه كل طهر، وأحسنَ من تذكر قوله تعالى في سورة غافر: ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾، وقوله تعالى في سورة التغابن: ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ ﴾، فاللهم كما حسنت صورنا، حسّن أخلاقنا وما في صدورنا، اللهم آمين.

١٠٦٠. قال تعالى في سورة التغابن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾، هذه الآية الكريمة حوت في ثناياها كنز عظيم، وتوصية مهمة للرجل والمرأة، وهي التحذير من الشر الذي قد يقع بسبب الزوج -ذكر أو أنثى- أو الولد!، هذا الشر قد يكون بسبب عداء مباشر منهم، **أو بسبب مودة مفرطة إليهم!**، وهذا الشر قد يكون أذية في البدن أو الدين!، فكم من زوج أحب زوجه فطغى عليه الحب حتى

فتنه، فصار يفعل الحرام أو يسمح بفعل الحرام لأن حبه طغى عليه!، وكم من أب وأم أفسد عليهم ابنهم دينهم ودنياهم!، ألا تتذكر قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾﴾، **لهذا يا أخي إذا كان أهلك في كفة والحق في كفة فاتبع الحق، فإذا كانت الزوجة أو الأولاد يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، فاحذرهم!، وإن منعوك عن الطاعة فلا تطعهم!، واحذر منهم حذر المحارب من العدو!، لكن، اعفُ عنهم واصفح ما رأيت خيرًا منهم، وحثهم على الطاعات، وذكرهم بالله -سبحانه وتعالى-، وذكرهم بثوابه وعقابه، واستعذ بالله -سبحانه وتعالى- من الذنوب والمعاصي، واسعَ لأن يكون زوجك وأولادك ممن يعينوك لأن تكون معهم للمتقين إمامًا...**، وهذا مدعاة للحرص على انتقاء الزوج الصالح، **ورفع الدين** قبل الجمال والمال والحسب والنسب!، وهذا مدعاة للحرص على تربية الولد تربية صالحة نقية، فتعلق قلبه بالآخرة بدلًا من أن تعلقه بالدنيا، **وهذا كله مدعاة لضبط الحب والمودة عند حدها، وتدريب الروح على حب باريها حتى يطغى ذلك الحب على من في السماوات والأرض!، فإن من أحب الله -سبحانه وتعالى- وكان قلبه معلقًا بين الخوف والرجاء؛ لن يرضى بأن يعصي الله -سبحانه وتعالى- حتى لو كان ذلك لأجل الدنيا وما فيها، فإن وقع في معصية انتفض وعاد مسرعًا إلى الله -سبحانه وتعالى-، طالبًا رحمته وعفوه وهدايته!**، فالحمد لله الذي جعل التوبة لنا بابًا من أبواب رحمته. اللهم علق قلوبنا بك، واجعلنا ممن أحببت، وارزقنا حبك، وحب من أحبك، وحب عمل يقربنا إلى حبك، يا رحمن يا رحيم، يا ملك الملوك يا الله، اللهم آمين.

١٠٦١. فلْتعلمْ يا أخي أن الهمم العالية أسمى ما تراها في الأنبياء، ويتفاوت الناس في هممهم كما تتفاوت درجاتهم بحسب أعمالهم!، قال القرطبي -رحمه الله-

: "وروى الترمذي عن ابن عباس - وسأله رجل عن هذه الآية ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ - قال: هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا النبي ﷺ، **فلما أتوا النبي ﷺ رأوا الناس قد فقهوا في الدين هموا أن يعاقبوهم**؛ فأنزل الله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم " الآية."[١]، هذا القول الذي رواه القرطبي -رحمه الله- فيه لفتة خطيرة، وهي أن من هاجر مع رسول الله ﷺ من أصحاب الهمم العالية، الذين باعوا الدنيا وزخرفها لأجل دينهم، سبقوا غيرهم ممن كان أقل منهم همة، فتعلموا قبل أن يتعلم غيرهم، وتفقهوا قبل أن يتفقه غيرهم، وارتفعت منازلهم قبل أن ترتفع منازل غيرهم!، فسبحان الله العظيم!، ويكأن لكل شيء سببًا؟!، ويكأن للإنسان أن يتبعه سببًا؟! قال القرطبي -رحمه الله-: "وفي صحيح الحديث بيان أدنى من ذلك في حال العبد؛ قال النبي ﷺ: (تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد القطيفة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش). ولا دناءة أعظم من عبادة الدينار والدرهم، **ولا همة أخس من همة ترتفع بثوب جديد**."[٢]، لذلك يا أخي، اجتهد وخذ بأسباب الهدى تهتدي، ولتكن من أصحاب الهمم العالية، التي تسعى للخير في أجمل صورها، فإن كنت عاملًا لم ترضَ إلا بأفضل العمل، وإن كنت عالمًا لم ترضَ إلا بأفضل العلم، وإن كنت تاجرًا لم ترضَ إلا بأفضل التجارة...، وإن كنت مسلمًا

---

(١) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ٢١ | الصفحة ١٧ | تفسير سورة التغابن | الآية ١٤ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ٢١ | الصفحة ١٨ | تفسير سورة التغابن | الآية ١٤ | مؤسسة الرسالة | بيروت

لم ترضى إلا أن تكون من القليل الآخرين!، السابقين للخيرات!، وهذا كله لا يتم إلا بتوفيق وهداية من الله -سبحانه وتعالى- وعون منه على ما يُراد!، فاللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

١٠٦٢. قال تعالى في سورة التغابن: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦﴾، قال السعدي -رحمه الله-: "يأمر تعالى بتقواه، التي هي امتثال أوامره واجتناب نواهيه، ويقيد ذلك بالاستطاعة والقدرة. فهذه الآية، تدل على أن كل واجب عجز عنه العبد، أنه يسقط عنه، وأنه إذا قدر على بعض المأمور، وعجز عن بعضه، فإنه يأتي بما يقدر عليه، ويسقط عنه ما يعجز عنه، كما قال النبي ﷺ: "إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم". ويدخل تحت هذه القاعدة الشرعية من الفروع، ما لا يدخل تحت الحصر، وقوله: ﴿وَاسْمَعُوا﴾ أي: اسمعوا ما يعظكم الله به، وما يشرعه لكم من الأحكام، واعلموا ذلك وانقادوا له ﴿وَأَطِيعُوا﴾ الله ورسوله في جميع أموركم، ﴿وَأَنْفِقُوا﴾ من النفقات الشرعية الواجبة والمستحبة، يكن ذلك الفعل منكم خيرًا لكم في الدنيا والآخرة، فإن الخير كله في امتثال أوامر الله تعالى وقبول نصائحه، والانقياد لشرعه، والشر كله، في مخالفة ذلك."(١).

١٠٦٣. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- حين أحل الزواج، أحل الطلاق!، وهذه نعمة عظيمة من الله -سبحانه وتعالى-، ففيها تتأدب النفوس وتتعلم، ويستطيع كل منهما الفكاك إن لم يطيقا العيش معًا تحت سقف واحد!،

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة التغابن | الجزء الثامن والعشرون | الآية ١٦ | الصفحة ٨٦٨ | مؤسسة الرسالة | بيروت

وأحكام الطلاق في الإسلام مفصلة تفصيلًا دقيقًا، من قبل الطلاق وصولًا إليه، وما بعده -الحمد لله-...، وهذه الأحكام تراعي جانب الرجل والمرأة على حد سواء، فحتى في الطلاق تم حفظ حقوقهما ومراعاة الجوانب النفسية والجسدية والعاطفية لكل فريق منهما -الحمد لله-!، وأحكام الطلاق كثيرة منها متى يطلق الرجل زوجته، وكيف تعتد الزوجة، والسكن، والنفقة، والرجعة...إلى آخره، يمكن الرجوع إلى الكتب الفقهية للتفقه في هذه الأحكام الجليلة...

١٠٦٤. قال تعالى في سورة الطلاق: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ ﴾، هذه الآية الكريمة، حوت في ثناياها قاعدة عظيمة، لو أيقن بها الإنسان لأراحت قلبه وأسكنته!، هذه القاعدة "وَمَن يَتَّقِ الله يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا"، أي أنك طالما اتقيت الله -سبحانه وتعالى-؛ فإنك ستحصل على ثواب عظيم، في الدنيا والآخرة، ثواب تجد فيه الفرج والمخرج من كل شدة ومشقة، ومن كل كرب -بإذن الله تعالى-، بل قال -سبحانه وتعالى- في الآية التي بعدها مباشرة: ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾، أي أنك بتقواك لله -سبحانه وتعالى- ستنال رزقًا يساق لك سوقًا من وجه لم تحسب له حسابًا، وهذه المعاني جميلة عظيمة، فهي توصي الإنسان بتقوى الله -سبحانه وتعالى- دومًا، وتخبره بأن يملّك أمره لله -سبحانه وتعالى-، وأن يتوكل عليه حق توكله، وقول الله -سبحانه وتعالى- حق، ووعده حق، ورزقك سينالك، فإن لم يكن رزقًا في الدنيا قد رأيته، فقد يكون جنة عرضها كعرض السماوات والأرض!، وفيها يوقن الإنسان أن الله -سبحانه وتعالى- سيختار له الوقت المناسب لينال هذا الرزق، فهو العليم الحكيم!، لذلك يا أخي، إذا أصابتك مصيبة وكنت في كرب، فاتقِ الله -سبحانه

وتعالى- يكشف عنك هذا الكرب ولو بعد حين، ويرزقك من حيث لم تحتسب ولو بعد حين!، فاللهم اجعلنا من المتقين، وارزقنا من حيث لا نحتسب، في الدنيا والآخرة، وحسبنا الله عليه توكلنا وهو رب العرش العظيم.

١٠٦٥. قال تعالى في سورة الطلاق: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾، هذه الآية الكريمة فيها إرشاد عظيم للبشرية، وهي أن الرزق بيد الله -سبحانه وتعالى-، وما أتاك فهو لك، ولم يكلفك الله -سبحانه وتعالى- بما لا تطيق!، وإنَّ الضيق لا يلحقه إلا الفرج!، وبعد العسر يسرًا -بإذن الله تعالى-، وهذا كله قد سبقه درس عظيم، **وهو أن الإنفاق يكون حسب حال الإنسان، فلا ينفق الغني إنفاق الفقراء، ولا ينفق الفقير إنفاق الأغنياء!، وهذا فيه درس عظيم، وهو أن يراعي الإنسان حاله، وينظر بعين الحقيقة إلى وضعه، فلا يرتدِ ثوبًا غير ثوبه!، وكل هذا يجب أن يكون في محله، من حلال من غير إسراف ولا تقتير!**، وحقيقة، هذه واحدة من أكبر المصائب التي تعاني منها مجتمعاتنا الآن، الناس ملأى بالديون من أعلى رءوسهم ولأخمص أقدامهم، وكثير منهم هذا حاله لأنه لم يقبل أن يعيش بما تقتضيه حاله!، تجده يصرف أكثر من راتبه على كماليات الحياة وهو بالكاد يغطي أساسيات حياته!، يقترض لأجل بعض الرفاهيات دون الأساسيات...، ثم تراه يعاني مما ترتب عليه!، وللأسف، وإن كان هذا من طبيعة الأجور التي لا تلبي حاجات الناس الأساسية، إلا أن هذا لا يقل أهمية عن ضبط النفس فيما تستهلك!، وكمثال عايشته في بعض أقاربي -هداهم الله-، معدل دخلهم لا يتعدى الحد الأدنى من الرواتب والذي لا يكفيهمّ لتغطية أساسيات الحياة فضلًا عن كمالياتها، لكنه لا يرضى بأن يقتني هاتف محمول إلا بقيمة أعلى من راتبه لأجل مزية لا تشكل محورًا مهمًا في طبيعة استخدامه!، يعمل

شهرًا أو شهرين حتى يشتري سلعة يمتع بها نفسه بلا قيمة مضافة سوى "كاميرا" أو "شاشة" أدق، تكاد لا تلاحظ فرقًا فيها عند معظم المستخدمين!، لماذا قد يدفع الإنسان أكثر مما قد يجنيه أو يمتلكه، وبما لا يخدمه، وكل ذلك لرفاهية أو لغرض تسلية ثم يعاني بعدها؟! لماذا يفعل هذا مع أنه يمكن أن يحقق هذه التسلية بثلث ما دفع فقط!، ومع أني أعمل في المجال التقني إلا أن مواصفات الجهاز الذي أقتنيه تلبي احتياجاتي واحتياجات العمل ولا تلبي احتياجاتهم لأجل تشغيل لعبة ما!، **ثقافة الاستهلاك والتعلق بالماديات والشكليات مصيبة عظيمة وقعت على رءوسنا، وقد وقع كثير من الناس للأسف في دوامة من الحزن والتعاسة أكثر من ذي قبل، وأصبح حال الإنسان يبحث عن سلعة خلف سلعة، لاهثًا خلف ما يروي غروره ويشبع رغباته!، ثم لا هو اكتفى ولا اطمئن ولا قرت عينه!، ثم ما أن ينظر الإنسان لهذا الواقع حتى يوقن أن الناس ابتعدت عن مصدر السعادة الحقيقة، ابتعدت عن السعادة بمعناها الحقيقي، ابتعدت عن معنى الرضا والقناعة، واستولى عليها الاستهلاك والجري وراء الماديات لينالوا السعادة فلم ينالوها**، وهذا كله لا ينفي أهمية المال والسعادة التي يمكن أن تترتب على وجوده، فهذا فضل الله -سبحانه وتعالى- يؤتيه من يشاء من عباده!، والمال والبنون زينة الحياة الدنيا!، **لكن، أن تطغى الزينة على أصل المادة، وأن يطغى الطمع على الرضا، وأن تطغى المتعة على القيم، والسعادة بالاستهلاك على السعادة بمفهومها الحقيقي، فهذا ما لا يقبله أصحاب القلوب النقية والعقول الصادقة!**، أعاننا الله -سبحانه وتعالى- وإياكم، وأعان إخواننا على ما تمر به الأمة من ظروف صعبة، على مستوى الدين أو المال أو الحياة بكل تفاصيلها...، وهدانا الله -سبحانه وتعالى- وإياكم لما فيه خيرنا وخير أهلينا، ولا حول ولا قوة إلا

بالله.

١٠٦٦. فلْتعلمْ يا أخي أن الحلال يبقى حلالًا، والحرام يبقى حرامًا لو اجتمعت الإنس والجن على ذلك، فإن من أحلّ الحلال وحرّم الحرام هو الله -سبحانه وتعالى-، وبهذا فإن حكم الله -سبحانه وتعالى- نافذ على من في الأرض والسماوات بلا استثناء، فلو حرمت على نفسك الطعام الحلال لم يجز ذلك!، فإنه سيبقى حلالًا، ولا يقدر أن يقول أحدهم أن الزنا حلال، وسيبقى إلى قيام ساعة فاحشة عظيمة، وساءت سبيلًا!، لأن الله -سبحانه وتعالى- هو من حرم الزنا!، وهذه قاعدة جميلة جدًا تريح الفؤاد، فالمشرع هو الله -سبحانه وتعالى-، العدل في حكمه وقضائه، الحكيم بما تقتضيه مصالح البلاد والعباد، وقد أنزل الله -سبحانه وتعالى- آيات كريمات في سورة التحريم اقتبسنا منها الحكم العام فيما ذكر فيها، فقال -جل في علاه-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١﴾ قَدْ فَرَضَ الله لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ۚ وَاللهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢)"، هذه الآيات الكريمة اختلف في سبب نزولها المفسرين، فمنهم من قال أنها نزلت لأن الرسول الكريم ﷺ حرم على نفسه العسل، ومنهم من قال لأنه حرم على نفسه مارية -رضي الله عنها-، ومهما كان السبب، فهذه الآيات نزلت وحملت حكمًا عامًا لجميع المسلمين -الحمد لله-، وهذا ما يتبناه المسلم، يطيع أوامر الله -سبحانه وتعالى-، وقد بيّن الله -سبحانه وتعالى- في هذه الآيات أنه فرض على عباده تحلة الأيمان، وقد ذكر الفقهاء -رحمهم الله- أقوالًا جميلة في أحكام التحريم وما يترتب على الإنسان بسببها!، ويرجع للكتب الفقهية للاستزادة.

١٠٦٧. يا أخي، إذا ائتمنت على سر فلا تفضحه، فإن إفشاء السر خيانة للأمانة!، وأبشع أنواع إفشاء الأسرار، هو ما يقع بين الزوجين!، فإن أسر الزوج إلى

زوجته، أو أسرت الزوجة إلى زوجها بالقول أو الفعل، ثم أفشى ذلك، فقد خان الأمانة!، وأعظم هذا الأمر شرًا هو إفشاء أسرار الفراش!، وقد روى أبو سعيد الخدري -رضي الله عنه-، عن النبي ﷺ أنه قال: "إنَّ مِن أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ الله مَنْزِلَةً يَومَ القِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إلى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا."(١)، سبحان الله!، ومن يرضى أن يكون أشر الناس؟!، وكيف يمكن أن يرضى الرجل أو ترضى المرأة على نفسها أن تذكر تفاصيل وأسرار الفراش؟!، أتذهب الغيرة من قلوب بعض الرجال إلى هذا الحد؟!، أو ينعدم الحياء عند بعض النساء إلى هذا الحد؟!، لذلك يا أخي، هذب نفسك على حفظ الأمانة، ومن حفظ الأمانة حفظ السر، وإياك من أن يجعلك الفضول أن تقول ما ليس لك حق في قوله، أو أن تسأل عن أمر ليس لك حق فيه!، أما ما كان لغاية معتبرة مما ذكره الفقهاء، فهذا أمر آخر، يُرجع فيه إليهم، فاللهم احفظ أسرارنا وفروجنا، واستر أعراضنا، ولا حول ولا قوة إلا بك.

١٠٦٨. قال تعالى في سورة القلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾، قال السعدي -رحمه الله-: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ أي: عاليًا به، مستعليًا بخلقك الذي منّ الله عليك به، وحاصل خلقه العظيم، ما فسرته به أم المؤمنين، [عائشة -رضي الله عنها-] لمن سألها عنه، فقالت: "كان خلقه القرآن"، وذلك نحو قوله تعالى له: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [الآية]، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وما أشبه ذلك من الآيات الدالات على اتصافه ﷺ بمكارم الأخلاق، [والآيات] الحاثات على الخلق العظيم فكان له منها

---

(١) الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ١٤٣٧ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

أكملها وأجلها، وهو في كل خصلة منها، في الذروة العليا، فكان ﷺ سهلًا لينًا، قريبًا من الناس، مجيبًا لدعوة من دعاه، قاضيًا لحاجة من استقضاه، جابرًا لقلب من سأله، لا يحرمه، ولا يرده خائبًا، وإذا أراد أصحابه منه أمرًا وافقهم عليه، وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور، وإن عزم على أمر لم يستبد به دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم، ولم يكن يعاشر جليسًا له إلا أتم عشرة وأحسنها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ عليه في مقاله، ولا يطوي عنه بشره، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذه بما يصدر منه من جفوة، بل يحسن إلي عشيره غاية الإحسان، ويحتمله غاية الاحتمال ﷺ."(١)، وقال القرطبي -رحمه الله-: "قوله تعالى: وإنك لعلى خلق عظيم قال ابن عباس ومجاهد: " على خلق ": على دين عظيم من الأديان، ليس دين أحب إلى الله تعالى ولا أرضى عنده منه. وفي صحيح مسلم عن عائشة أن خلقه كان القرآن. وقال علي رضي الله عنه وعطية: هو أدب القرآن. وقيل: هو رفقه بأمته وإكرامه إياهم. وقال قتادة: هو ما كان يأتمر به من أمر الله وينتهي عنه مما نهى الله عنه. وقيل: أي إنك على طبع كريم."(٢)، وقال البغوي-رحمه الله-: "عن أم الدرداء تحدث عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: " إن أثقل شيء يوضع في ميزان المؤمن يوم القيامة خلق حسن، وإن الله تعالى يبغض الفاحش البذيء "، حدثنا داود بن يزيد [الأودي] سمعت أبي يقول سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: " أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس النار؟

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة القلم | الجزء التاسع والعشرون | الآية ٤ | الصفحة ٨٧٩ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ٢١ | الصفحة ١٤١-١٤٢ | تفسير سورة القلم | الآية ٤ | مؤسسة الرسالة | بيروت

قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن أكثر ما يدخل الناس النار الأجوفان: الفرج والفم، أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن أكثر ما يدخل الناس الجنة: تقوى الله وحسن الخلق "، أخبرنا عبد الله عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار.[١]"...، إن أكثر ما أخذ قلبي وعقلي في تفسير هذه الآية الكريمة، "كان خلقه القرآن"!، وهذا معنى مهم قد لا يدركه إلا من تدبر القرآن وعمل بما جاء فيه!، فإن أردت أحسن الأخلاق فعليك بالقرآن الكريم، فإن فيه الهداية التي ليس بعدها هداية!، اللهم كما أحسنت خلقنا فأحسن خُلقنا!

١٠٦٩. يا أخي، إذا رأيت من يكثر الأيمان -الحلف- في كل موضع ثم لا ترى منه إلا الباطل، فاحذره!، فإنه لا يكون ذلك فيه ومنه إلا إن كان كذابًا خسيس النفس!، وإذا رأيت الإنسان يكثر من الغيبة ويكثر من العيب على الناس فاحذره!، وإذا رأيته يمشي في النميمة فاحذره!، وإذا رأيته يمشي في الإفساد بالأرض فاحذره!، وإذا رأيت بخله ومنعه النفقات الواجبة أو امتناعه عنها، فاحذره!، وإذا رأيته معتدٍ على الناس ودمائهم وأموالهم، فاحذره!، وإذا رأيته ممن كثرت معاصيه وأوغل في المحرمات، فاحذره!، وإذا رأيته سيئ الخُلق غليظ التعامل، فظ في القول وفاحش بفعله، فاحذره!، وإذا رأيته معروفًا مشهورًا بالشر؛ وكانت تلك سمته التي بين الناس، فاحذره!، وإذا رأيته ممن يجر الناس إلى الحبس أو العذاب بغير وجه حق، فاحذره!، وإذا رأيته متكبر على الناس محتقرًا لهم، فاحذره!، وهذه كلها وغيرها علامات من علامات تقييم الأشخاص قبل التعامل معهم!، وذلك لتحذر منهم!، أما من اجتمع

---

(١) كتاب معالم التنزيل (تفسير البغوي) | أبي محمد البغوي | المجلد الثامن | تفسير سورة القلم | الصفحة ١٩٠-١٩١ | الآية ٤ | دار طيبة | الرياض

فيه كل ما سبق أو معظمه، فاعلم أنك أمام شرار الناس وأظلمهم -والعياذ بالله منهم-!، ألم تسمع قوله تعالى في سورة القلم: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلِّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾، فسبحان الله كيف يحكمون!

١٠٧٠. إياك يا أخي أن يمنعك كثرة مالك وولدك عن اتباع الحق والاستكبار عليه ومحاربته!، فكثرة المال والولد نعمة عظيمة، وفتنة عظيمة، فإما أن يكون قلبك صادقًا نقيًا، مخلصًا لخالقه، فتكون هذه النعم جزء من نعم أخرى!، وإلا فنقمة عليه تقوده من ضلال إلى ضلال، ومن نعيم إلى عذاب -والعياذ بالله-!، فاللهم اجعلنا أهلًا للحق، اللهم نسألك بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّنا أن لا نكُونَ ظُهِراء لِّلْمُجْرِمِينَ، برحمتك وعونك وهدايتك يا أرحم الراحمين يا الله، واجعلنا بما رزقتنا من المال والولد أقرب إليك!، اللهم آمين.

١٠٧١. يا أخي فليكن في مالك دومًا حق للفقراء والمساكين، للسائل والمحروم!، وإن كان لك باب رزق قد وهبك إياه الله -جل في علاه-، ثم رأيت المساكين يتهافتون عليه لينتفعوا به، فلا تغلقه عليهم، واسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يبارك لك فيما رزقك!، فما كان بين يديك، هو من فضل الله -سبحانه وتعالى-، فكيف سيكون حالك إذا أديت الفرائض، ثم اتبعتها بالنوافل حتى فاض قلبك بحب الخير أكثر مما فاضت يداك؟! أو تظن أن الله -سبحانه وتعالى- يضيع عملك أو يخذلك؟!، تعالى الله -سبحانه وتعالى- عن ذلك!، فالحمد لله.

١٠٧٢. فلْتعلمْ يا أخي أن المرض والعجز والضعف والأكل والشرب والتغوط والرغبة في الزواج ونحو ذلك من سمات النقص، ومع ذلك، فهي نعمة عظيمة من الله -سبحانه وتعالى- على البشر، فبها يوقن الجميع بنقصهم، ويوقن

الجميع بنقص غيرهم، فلا يتخذ الإنسان إنسانًا آخر إلـه؛ لأن النقص لا يليق بالإلـه -الحمد لله-!، كما أن الذنب وإن كان للقلب جارحًا، وللضمير مؤنبًا، إلا أنني أرى ذلك نعمة أخرى من نعم الله -سبحانه وتعالى- على البشر، ففيها الشعور بالحاجة إلى التوبة والعودة إلى الله -سبحانه وتعالى-، وفيها يعلم المؤمن أنه لم ولن يصل للكمال مهما سمت أخلاقه وعلت منزلته!، فمن مِن البشر معصوم غير من عصمهم الله -سبحانه وتعالى-؟!، وبهذا، فإن من أحسن ووجد منه ذنبًا، أدرك عجزه وضعفه وخطأه أمام الذنب، فلولا توفيق الله -سبحانه وتعالى- لم يصل إلى ما وصل إليه!، ثم إنه إن أدرك ضعفه وعجزه، وأدرك حاجته إلى الله -سبحانه وتعالى-، ازداد إيمانه وعاد إلى الله -سبحانه وتعالى-، وازدادات رغبته في إرضائه، وزادت رغبته في تزكية نفسه ومعالجة أخطائه وتطهير ذنبه!، فسبحان الحكيم العليم، الذي خلق كل شيء فقدره وأحسن تقديره!، ومن عظمة قدرته وجلال سلطانه؛ لا يقدر البشر على تخيل عظم حكمته وعظم جلاله!، فالحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي خلقنا مسلمين موحدين لله -سبحانه وتعالى-، الحمد لله العليم الحكيم، الحمد لله.

١٠٧٣. فلْتعلمْ يا أخي أن الرجل إذا اجتمع في قلبه الشح والهلع، كان هذا ساقطًا في أمراض القلوب، معاقبًا في الدنيا قبل الآخرة، وذلك بالحرمان من النعيم، والحرمان من الأمان!، وهذا بما كسبت يداه!، بل إن من أسوأ ما قد يصيب الرجل اتصافه بمثل هذه الصفات، وقد روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنه قال: "شرُّ ما في رجلٍ شحٌّ هالعٌ وجبنٌ خالعٌ"[1]، والشح هو أعظم البخل، والهلع أعظم الجبن والجزع!.

---

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح أبي داود الصفحة أو الرقم: ٢٥١١ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

١٠٧٤. فلْتعلمْ يا أخي "أن الله-سبحانه وتعالى- وصف أهل السعادة والخير بالأوصاف الكاملة، والأخلاق الفاضلة، من العبادات البدنية، كالصلاة، والمداومة عليها، والأعمال القلبية، كخشية الله الداعية لكل خير، والعبادات المالية، والعقائد النافعة، والأخلاق الفاضلة، ومعاملة الله، ومعاملة خلقه، أحسن معاملة من إنصافهم، وحفظ عهودهم وأسرارهم، والعفة التامة بحفظ الفروج عما يكره الله تعالى"[1]، والناظر إلى هذه الصفات يعلم يقينًا أن ما أمرنا به الله -سبحانه وتعالى- وأرشدنا إليه هو طريق الهداية الكامل، وطريقة العلم الكامل، وطريقة العيش الكامل، ففيها تجتمع الروح والجسد، وفيها يجتمع الإحسان إلى النفس وإلى الآخر، وفيها فقه التعامل، وفيها حفظ الحقوق، وفيها حفظ العهود والأسرار، وفيها يضبط الجسد وتهذب النفس، وفيها ما يرقق القلب للضعفاء والمساكين، وفيها ما يقوي القلب ويربط عليه من الخوف والجبن الزائد!، وفيها يخشى المسلم من عذاب ربه، ويرجو رحمة ربه ويعمل لأجل ذلك!، فاللهم اجعلنا ممن قلت في حقهم -في سورة المعارج-: ﴿إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ٢٢ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ٢٣ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٢٦ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ٢٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٣٠ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٣١ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٣٢ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ٣٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٣٤ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ٣٥﴾، اللهم آمين.

١٠٧٥. فلْتعلمْ يا أخي أن أقوال أهل الكفر والنفاق تخالف أفعالهم، وهم

---

(١) منقول بتصرف | كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة المعارج | الجزء التاسع والعشرون | الآية ٣٥ | الصفحة ٨٨٧ | مؤسسة الرسالة | بيروت

فيما هم فيه، مختلفون فيما بينهم، متفقون على محاربة الإسلام وأهله!، ولْتعلمْ أن أهل الأهواء مخالفون للكتاب، مختلفون في الكتاب، متفقون على مخالفة الكتاب، فاحذر أن تكون من أحدهما!

١٠٧٦. فلْتعلمْ يا أخي أن استشعار عَظمة الله -سبحانه وتعالى- هو أعظم ما يجب أن يكون في القلب!، فإن من أدرك عظم الله -سبحانه وتعالى- وجلاله، أناب إليه واستشعر دناءة نفسه أمام عظمة الله -سبحانه وتعالى-!، ومن كان هذا حاله، معظمًا لله -سبحانه وتعالى- مطيعًا له، نجا بإذن الله تعالى!، وقد ذم الله -سبحانه وتعالى- أهل الكفر من قوم سيدنا نوح -عليه السلام-، فقال -جل في علاه- في سورة نوح: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾، أي ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على أحدكم بالعقوبة، وليس لله عندكم قدر -نعوذ بالله منهم-؟!، ولْتعلمْ يا أخي أن تعظيم الله -سبحانه وتعالى- موجود في القلب، فما أن تنظر بقلب صادق لإعجاز الله -سبحانه وتعالى- في هذا الكون، وعظم قدرته وإحكام خلقه، إلا ووجدت قلبك قد خرج من جوفك مرددًا الله أكبر، الله أكبر، الله أعلى وأجل!، سبحانك يا ربي ما أعظمك!، سبحانك ربي ما أعظمك!

١٠٧٧. فلْتعلمْ يا أخي أن أشراف الناس ليسوا بالضرورة أولى الناس بالاتباع!، فقد يكون من يراهم الناس أشرافهم، هم أشد الناس ظلمًا وفجورًا واستكبارًا في الأرض!، وعادة ما تشرف الناس غنيها وقويها، وعادة ما يتجاهل الناس ما هو أهم من ذلك!، وهو خضوع هؤلاء لله -سبحانه وتعالى-، **فالشريف هو من كان لله -سبحانه وتعالى- أطوع، والخسيس من كان لله -سبحانه وتعالى- أفجر، ولو ملك مال قارون، وسلطان فرعون -والعياذ بالله-!، لذلك، احذر يا أخي من اتباع الظالم والفاجر والفاسق ولو كان رأس قبيلتك!، واتبع من كان على الحق وإن كان**

أشعث أغبر!، ولا ينافي هذا عظم أن يجتمع الإخلاص والمال والجاه والقوة في يد رجل صالح!، فيكون عزًا لهذه الأمة، ناصرًا لمظلوميها، معينًا لمساكينها، وهذا فضل الله -سبحانه وتعالى-، يؤتيه من يشاء من عباده، فاللهم رحمتك نرجو، ولا حول ولا قوة إلا بك.

١٠٧٨. فلْتعلمْ يا أخي أن المؤمن لا يلجأ ولا يستغيث إلا بالله -سبحانه وتعالى-!، فإن كل البشر من دون الله -سبحانه وتعالى- لا يملكون لأنفسهم نفعًا، ولا ضرًا!، وكل البشر خاضعين لمشيئة الله -سبحانه وتعالى-، وخير البشر -عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- لم يكن يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا!، فكيف بعد كل هذا يتبرك أحدهم بالقبور، ويسألهم ما لا يملكون؟!، سبحان الله كيف يحكمون! قال تعالى في سورة الجن: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾.

ملاحظة: هناك فرق بين أن تطلب المساعدة من أحدهم كالطبيب مثلًا، وأن تظن أن الطبيب هو الشافي من دون الله -سبحانه وتعالى-!، فاحذر من هذا الفخ، ونعوذ بالله العظيم منه!

١٠٧٩. فلْتعلمْ يا أخي أن قيام الليل من الطاعات العظيمة، التي تشق على كثير من الأنفس، لكنها لا تشق على من رأى عظمها وعظم ثوابها!، فإن كانت أعظم مشقة لهذه العبادة هي نزع الغطاء وترك الفراش الدافئ، فإن أعظم متعة وأعظم نعيم قد ترتب على ذلك!، فأنت بين يدي الله -سبحانه وتعالى- والناس نيام، وهذا أعظم من الفراش وما فيه!، فاللهم اجعلنا ممن صاموا النهار، وأقاموا الليل، وأنفقوا وكانوا من المحسنين، اللهم آمين.

١٠٨٠. قال تعالى في سورة المزمل: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾، قال البغوي -رحمه الله-: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ قال ابن عباس: بينه بيانًا. وقال الحسن: اقرأه قراءة بينة. وقال مجاهد: ترسل فيه ترسلًا. وقال قتادة: تثبت فيه تثبتًا. وعن ابن عباس أيضا: اقرأه على هينتك ثلاث آيات أو أربعا أو خمسا..."[1]، وقال ابن كثير -رحمه الله-: "وقوله: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ أي: اقرأه على تمهل، فإنه يكون عونًا على فهم القرآن وتدبره. وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه، قالت عائشة: كان يقرأ السورة فيرتلها، حتى تكون أطول من أطول منها. وفي صحيح البخاري، عن أنس: أنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ، فقال: كانت مدا، ثم قرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ يمد "بسم الله"، ويمد "الرحمن"، ويمد "الرحيم". وقال ابن جريج، عن ابن أبي مليكة عن أم سلمة: أنها سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ، فقالت: كان يقطع قراءته آية آية، ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ رواه أحمد وأبو داود والترمذي. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها..."[2]، وأقول، إن من قرأ القرآن على مهل، متدبرًا

(١) كتاب معالم التنزيل (تفسير البغوي) | أبي محمد البغوي | المجلد الثامن | تفسير سورة المزمل | الصفحة ٢٥٠ | الآية ٤ | دار طيبة | الرياض

(٢) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ١٩٣٠ | تفسير سورة المزمل | الآية ٤ | دار ابن حزم | بيروت

متفكرًا؛ رزق حلاوة في قلبه، وطعمًا في لسانه، لكلمات القرآن الكريم العظيمة وآياته؛ لا يجدها في أي مكان غيره، ولا يصل إليها الناس في كل حين!، بل إن القرآن الكريم فيه من عظم الحق وما حواه من أخبار وثواب ووعيد؛ ما يذيب القلوب شوقًا لمعانيها وما خُفي من أسرارها، شوقًا في كل مرة بعد المرة، لا يزول ولا يفتر حتى يفتر صاحب الهمة عن همته -والعياذ بالله-!، ولا تجد أجمل من مرتل للقرآن، عامل بما رتل!، فاللهم برحمتك، اجعلنا منهم.

١٠٨١. فلْتعلمْ يا أخي أننا نهينا أن نتبتل كما تبتلت النصارى!، فتبتلنا الذي أمرنا به، هو إخلاص العبادة لله -سبحانه وتعالى-، لا نشرك به شيئًا!، أما تبتل النصارى فهو ترك الزواج والترهب في الصوامع والامتناع عن بعض أنواع الطعام والتشديد على النفس ونحو ذلك!، والتبتل في معناه اللغوي هو الانقطاع، وفي الزواج هو ترك الزواج أو الامتناع عنه، ومنه تبتل الرجل، أي زهد ولم يتزوج، لأجل ذلك، كان معنى التبتل عند المسلمين هو الإكثار من ذكر الله -سبحانه وتعالى-، والانقطاع إليه، أي ينفصل قلبك عن مشاغل الدنيا وما فيها، تقربًا إلى الله -سبحانه وتعالى-، في قلب يملؤه الإخلاص، ولا يشرك به شيئًا!، وهذا معنى قوله تعالى في سورة المزمل: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ۝٨﴾، أي انقطع بعبادتك إليه، ولا تشرك به غيره، أخلص بها، تنال فوزًا عظيمًا -بإذن الله تعالى-، لأجل هذا، لم يأذن رسول الله ﷺ لعُثْمَانَ بن مَظْعُونٍ -رضي الله عنه- في التبتل -كالنصارى في ترك الزواج-!، وهذا فيه توجيه مهم لإعطاء الجسد حقه، كما تُعطى الروح حقها -الحمد لله-!، وهذا فيه رحمة وتخفيف على عباد الله -سبحانه وتعالى-، وفيه مراعاة لما وجّد في الإنسان من شهوات!، فإن لُجمت هذه الشهوات ووضعت في موضعها؛ كانت نعم الشهوة

ونعم اللذة ونعم الأجر، وإلا فخسارة وخسران -والعياذ بالله-، وقد قالت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-: "صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ شيئًا فَرَخَّصَ فِيهِ، فَتَنَزَّهَ عنه قَوْمٌ، فَبَلَغَ ذلكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَخَطَبَ فَحَمِدَ اللهَ، ثُمَّ قالَ: ما بَالُ أقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أصْنَعُهُ؟! فَوَاللهِ إنِّي لَأَعْلَمُهُمْ باللهِ، وأَشَدُّهُمْ له خَشْيَةً."(١)، وقال أنس بن مالك -رضي الله عنه-: " جاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إلى بُيُوتِ أزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عن عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقالوا: وأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟! قدْ غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ، قالَ أحَدُهُمْ: أمَّا أنَا فإنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أبَدًا، وقالَ آخَرُ: أنَا أصُومُ الدَّهْرَ ولَا أُفْطِرُ، وقالَ آخَرُ: أنَا أعْتَزِلُ النِّسَاءَ فلا أتَزَوَّجُ أبَدًا، فَجَاءَ رَسولُ اللهِ ﷺ إليهِم، فَقالَ: أنْتُمُ الَّذِينَ قُلتُمْ كَذَا وكَذَا؟! أَمَا واللهِ إنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وأَتْقَاكُمْ له، لَكِنِّي أصُومُ وأُفْطِرُ، وأُصَلِّي وأَرْقُدُ، وأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فمَن رَغِبَ عن سُنَّتي فليسَ مِنِّي."(٢)، لهذا يا أخي، أخلص في عبادة لله -سبحانه وتعالى- حتى تظن أنك ميت بعدها، واعمل واجتهد كأنك تعيش أبدًا، وأعطِ جسدك حقه في طعامه وشرابه ومنامه وشهوته طالما كانت فيما أحله الله -سبحانه وتعالى-، تفز بنعيم الدنيا والآخرة -بإذن الله تعالى-، والأمر كله لله -جل في علاه-، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٠٨٢. يا أخي، ليكن لديك ورد يومي من القرآن تقرؤه وتتدبره ولا تضيعه!، وليكن وردك بالقدر الذي تقدر على تأديته يوميًا!، فقليل دائم، خير من كثير منقطع.

---

(١) الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦١٠١ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) الراوي: أنس بن مالك | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٥٠٦٣ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

١٠٨٣. يا أخي لا تمل ولا تيأس من تزكية نفسك، ولا من إنذارك للناس وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر!، فإن المقصود من هذه الأعمال لا يزول إلا بكسل وترك للعمل، أما ثمرة ما تقوم به من الأعمال، فقد تجنيها في الدنيا، وقد تجنيها في الآخرة، وقد تجنيها في الدنيا والآخرة!، فقم بما أُمرت به، في قمة النشاط، وبأكبر همة، وكن أشد عزمًا!، ولله الأمر من قبل ومن بعد، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٠٨٤. يا أخي، إن عملت من الخير والصالحات والأعمال الطيبة ما عملت، وأنفقت ما أنفقت، فلا تمنن بذلك على الله -سبحانه وتعالى- ولا على خلقه!، فإنك فيما عملت وفيما قدمت لا تخرج عن نعيم الله -سبحانه وتعالى- وفضله وكرمه الذي امتن عليك به، وعن هدايته التي رزقك بها!، فإن كانت هذه هي الحال، فإن أعمالك لو بلغت عنان السماء، فإنها لن تعوض نعمة واحدة من نعم الله -سبحانه وتعالى-، كنعمة البصر!، ومن علم هذا أدرك أن ما وفق إليه من الخير، استلزم الشكر، والشكر أعظم ما يكون بإخلاص العمل لوجه الله -سبحانه وتعالى-، وإن كان هذا هو الحال، كانت النفس بعيدة عن المن، فلا تمنن على الناس بما أسديت لهم من النعم الدينية والدنيوية، بل إن الإحسان يدعوك لأن تعطي أحسن ما لديك، ولا تنتظر من المقابل العطاء أو الرد!، تبتغي مرضاة الله -سبحانه وتعالى-، وهذا الحال هو حال خير البشر ﷺ، ألم تسمع قوله تعالى في سورة المدثر: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾، هذه الآية الكريمة جمعت الكثير من المعاني والخصال العظيمة، ومن المعاني الجميلة في تفسير هذه الآية الكريمة مما أورده المفسرون: "لا تعطِ مالك مصانعة لتعطى أكثر منه"،و"لا تمنن على الله بعملك فتستكثره"، و"لا تكثرن عملك في عينك فإنه فيما أنعم الله عليك وأعطاك قليل"، و"لا تضعف أن تستكثر من الخير"، "لا تستكثر عملك فتراه من نفسك، إنما عملك منة مِن الله عليك إذ

جعل الله لك سبيلًا إلى عبادته"، و"لا تعمل طاعة وتطلب ثوابها، ولكن اصبر حتى يكون الله هو الذي يثيبك عليها"، و"لا تفعل الخير لترائي به الناس"، هذه الأقوال الجميلة تدعو النفس إلى الإخلاص لله -سبحانه وتعالى- أعمالها، وتدعوها للصبر لتنال الثواب المرتجى!، فاعملي يا نفس حتى تبقي قوية مكثرة من الخير، ولْتعلمي يا نفس أن إكثارك من عمل الخير نعمة عظيمة من الله -سبحانه وتعالى- لا منك، فحافظي على ذلك بشكر هذه النعمة بالزيادة في الخير، واعلمي أنك لتكوني طيبة، عليك أن تهذبي نفسك، ومن تهذيبها أن ما أهديته هو هدية لا وسيلة لكسب عطاء أكبر -وإن كان هذا جائزًا-!، ووالله ما وصل أحد لمثل هذا إلا ونال سعادة عظيمة، في القلب والبدن، وفي الدنيا والآخرة، فاللهم هذّب نفوسنا حتى نكون من المحسنين، اللهم آمين.

١٠٨٥. فلْتعلمْ يا أخي أن النفس اللوامة كنز عظيم يشع من داخل الإنسان حتى يحاسب نفسه قبل أن يحاسب، وأن ينظر إلى ما قدم من عمل، أخيرًا كان أم شرًا!، فإن رأى شرًا اكتفى وامتنع، تاب وأصلح، وإن رأى خيرًا شكر وسعى للأفضل وزاد في أعمال الخير، هذه النفس بهذه الحال هي نفس للمؤمن!، وتارة بعد أخرى، ترى المؤمن وصل إلى النفس المطمئنة -بإذن الله تعالى-، وهي النفس التي سلمت أمرها لله -سبحانه وتعالى- وقضائه وقدره، أيقنت أن الله -سبحانه وتعالى- خالقها وباريها، فسكنت، وأذعنت، وأخلصت في العمل!، أما من لم تكن حاله مثل هذه الحالة، لم تجد نفسه عملًا إلا الشر -والعياذ بالله-، فتراه يستزيد من الشر ويفر من الخير، فنفسه لا تأمره إلا بالسوء، وهنا يضعف اللوم شيئًا فشيئًا حتى لا يكاد يسمع صوته، لذلك يا أخي، احرص على أن تعمل الصالحات، وأن تستثمر اللوم الذي يتأجج في داخلك لحساب نفسك، وإصلاحها، وإياك أن تكون ممن استمع لصوت

اللوم عند موته!، فيقول: يا ليتني قدمت لحياتي!، فاللهم اجعل نفوسنا مطمئنة، واجعلنا ممن ارتضيت منهم ولهم ذلك، اللهم آمين.

١٠٨٦. فلْتعلمْ يا أخي أن ليس كل عذر يُلقى في أذنك، أو تلقيه في أُذن غيرك، هو عذر مقبول!، وهذا يعني أن من أجرم في حق نفسه وحق غيره، لا يسمع لعذره، وذلك مثل من يغتصب طفلة ثم يقول أحدهم، لا تلوموه، لأنه لم يتزوج، أو لأنه عاش حياة صعبة!، وهذه الطريقة من نقل التعاطف كثيرًا ما تُدمج وتبث في "المسلسلات والأفلام" -وهي من أقذر الطرق التي أوصلت معاني الفاحشة وبيع العقل إلى المجتمعات-، لكن الفطرة السليمة تنأى عن مثل ذلك!، بل تعاقب المجرم على جرمه، وتبحث في الأسباب، وتبحث في أماكن الضعف والتقصير حتى يتم حل المشكلة وتداركها قبل أن يقع بها أحد غيره...، فاللهم هدايتك نرجو، ولا حول ولا قوة إلا بك.

١٠٨٧. يا أخي، من آداب التعامل مع المعلم، ألا تقاطعه حين شرحه لمسألة ما، فإن فرغ، فاسأله عما أشكل عليك، لأن ما أشكل عليك، قد يكون جوابه آتٍ لولا مقاطعتك إياه!، فإن لم يأت الجواب، وصلك ما أراد المعلم إيصاله، فاستزدت من العلم وحللت إشكالك بالسؤال بعدها...

١٠٨٨. فلْتعلمْ يا أخي أن الإنسان إما أن ينشغل بالآخرة، وإما أن ينشغل بالدنيا!، أما انشغاله في الآخرة، فهذا هو المقصد، وهذا هو المطلوب، وبهذا المقصد يتنعم الإنسان في الدنيا بما آتاه الله -سبحانه وتعالى- إياه، من نعيم حسي ومعنوي، ومن إرشاد وتوجيه، ومن عمل وعبادة، ومن ضبط للشهوات ومعالجة للشبهات...، إلى آخره -الحمد لله-، وبهذا يتحقق نعيم الآخرة، لأن ما سبق لم يكن سوى تجهيز

وإعداد للمقصد، فالآخرة فيها الفوز الأبدي ففيها رضا الله سبحانه وتعالى والجنة، وفيها الحياة الأبدية، أما من انشغل بالدنيا وكانت أكبر همه، فهو ساقط بين شهواته وملذاته، في نعيم الدنيا الفاني والقليل، يغره طول الأمل، حتى يظن أنه في دار القرار!، ومن كان هذا حاله؛ خسر الدنيا والآخرة -والعياذ بالله-!، ومهما تمتع في الدنيا!، ألا يكفي حزنًا وألمًا لمن كانت الدنيا دار قراره، أنه متع الجسد، ولم يجد لروحه ما يحييها؟!، ألا يكفيه أنه كلما كان هَيام الروح أكبر، ظن المسكين أنه بحاجة إلى متعة جديدة تلبي رغباته، ولذة جديدة قد تروي ما به من الهَيام؟!، لكن، هيهات هيهات، فالروح لا يرويها إلا ما أنزله الله -سبحانه وتعالى-، والجسد لا يُعطى ولا يمنع إلا بقدر!، والنفس في قرارها إن أعطي كل شق منهما حقه!، فاللهم هدايتك نبتغي، ولا حول ولا قوة إلا بك.

١٠٨٩. يا أخي، إذا أردت أن تعرف أعظم نعمة قد ينالها مؤمن، فاقرأ قوله تعالى في سورة القيامة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، فلا يوجد ما هو أعظم من هذه النعمة، ونستأنس هنا بما رواه صهيب الرومي عن الرسول ﷺ في قولِهِ: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ قالَ: إذا دخلَ أَهْلُ الجنَّةِ الجنَّةَ نادى مُنادٍ: إنَّ لَكُم عندَ اللهِ موعدًا، قالوا: ألَم يبيِّضْ وجوهَنا وينجِّنا منَ النَّارِ ويدخِلْنا الجنَّةَ؟ قالوا: بلى، فيُكْشفُ الحجابُ، قالَ: فواللهِ ما أعطاهُم شيئًا أحبَّ إليهِم منَ النَّظرِ إليهِ"(١)، فاللهم نسألك برحمتك أن نكون منهم، اللهم آمين.

١٠٩٠. قال تعالى في سورة القيامة: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾، هذه الآية الكريمة، من الآيات التي تدل على صدق كتاب الله -سبحانه وتعالى-، وما جاء

---

(١) الراوي: صهيب بن سنان الرومي | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترمذي | الصفحة أو الرقم: ٢٥٥٢ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

به سيدنا محمد ﷺ والأنبياء -عليهم السلام- من قبل!، ففيها إعلام لهذه البشرية، بأنها لن تترك سدى!، وأنها لن تترك بدون دعوة وإرشاد، ودون هداية وكتاب!، وأنها لن تترك دون أوامر ونواهي، ولن تترك دون بعث وحساب، ولن تترك دون عقاب أو ثواب!، ومن علم هذا أدرك صدق ما نحن عليه -بفضل الله سبحانه وتعالى-، لأن هذه الحكمة التي وجدت من الحكيم العليم، وهذا المقصود هو ما يحقق العدل والطمأنينة للنفس البشرية، فتزول معضلة الشر، فيرى المظلوم والضعيف أن حقه لن يذهب سدى، وهذا كله وغيره يتوافق مع ما تقتضيه طبيعة الحياة ودورتها، وهذا كله مما يظنه الإنسان، فالإنسان العاقل يدرك أن هذه الحياة بما فيها من حكمة عظيمة، تأبى أن تكون من غير خالق قدير عليم، وتأبى أن تكون من غير رعاية وهداية وإرشاد، وهذا كله دليل مشاهد لأصحاب العقول الزكية، والقلوب النقية...، فالحمد لله الذي خلقنا ولم يتركنا بدون دعوة ولا إرشاد!، الحمد لله رب العالمين.

١٠٩١. فلْتعلمْ يا أخي أن النذر هو أن تلزم نفسك شيئًا لم يجب عليك لولا أنك ألزمت نفسك به، والنذر قد يكون في طاعة، وقد يكون في معصية، وقد يكون في واجب...، أما ما كان في واجب فهو غير منعقد لأن حكمه واجب، فمثلًا إذا قال أحدهم نذرت "أن أعيد الدين لصاحبه" فهو لا يقع، لأن إرجاع الدين واجب في رقبته دون نذر!، وأما المعصية فهي لا تنعقد لأن فيها إتيان لما حرم الله -سبحانه وتعالى-، أما ما كان في طاعة كأن يقول "إن حصل كذا، فإني سأخرج مالًا أو سأذبح ذبحًا أو سأصوم صومًا..."، فهذا مما يجب عليه القيام به...، لكن هذا يقودنا إلى سؤال مهم، لماذا قد يقوم الإنسان بمثل هذا؟!، لماذا يُلزم نفسه بما لم يأمر به؟!، إن الله -سبحانه وتعالى- قد رحمنا وخفف عنا، لماذا نريد أن نشق على أنفسنا؟!، يا أخي إن الله -سبحانه وتعالى- رحيم عزيز غفور غني عمن في السماوات والأرض، فقط ادعوه

بقلب مخلص، وتوسل وتقرب إليه بالطاعات، يكفيك هذا عن النذر!، بل قد ورد في الصحيح النهي عن النذر المعلق، وفي أحكام النذر وأنواعه وما يجب وما لا يجب، وكفارة الحنث ونحو ذلك كلام جميل عند الفقهاء، يرجع إليهم للاستزادة.

١٠٩٢. فلْتعلمْ يا أخي أن الإنسان إما أن يكون فوق الأرض وإما أن يكون تحت الأرض، والمراد بذلك **أن الناس إما أن يكونوا أحياء تضمهم بيوتهم، وإما أن يكونوا أموات تضمهم قبورهم!، وفي الحالتين هذا ستر للإنسان قد أنعم الله -سبحانه وتعالى- به عليه!، فلا يُرى ما يُكره منه في حياته، ولا يُرى منه ما تكرهه الناس بعد وفاته -كتحلله ورائحته-، وكما أن البيوت لها أسراها، فذلك للقبور أيضًا!، وكما أن البيت لك حماية من كل ذي ناب، فإن القبور حماية لجسدك من أن ينهشه ذي ناب!**...إلى آخره، والمراد بهذا كله، أن الله -سبحانه وتعالى- خلقنا فأحسن خلقنا، ودبر لنا فأحسن تدبيرنا، وجعلنا من الأرض وإلى الأرض حتى تقوم الأشهاد!، والموت ما هو إلا بداية الحياة!، بداية حياة جديدة، في منزل جديد، لا يعلم أحد منا أكثر مما أخبر به في كتاب الله -سبحانه وتعالى- وسنة نبيه محمد ﷺ، فمن كان حيًّا الآن، ينظر إلى القبور ويقول: كيف لي أن أكون في هذه الحفرة الصغيرة؟!، كيف بي إن أكلني الدود؟!، كيف بي وقد تركني الأهل والأحباب، وعاد الأولاد، ونسيتني الزوجة والأصحاب؟!، ألا ترى أنه الخوف من المصير؟!، ولولا أن تغمدنا الله -سبحانه وتعالى- برحمته، وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين، وهدانا للحق المبين، وأرانا عظم رحمته وغفرانه، لكنا من المخذولين!، ولا أجمل من خوف يسبقه عمل، ويلحقه عمل، ثم يلحقه رجاء ورحمة، ويجتمع كل ذلك في حسن ظن بالله -سبحانه وتعالى-!، ثم وما أدرانا أن من كان ميتًا لا ينظر إلينا الآن فيقول، الحقوا بي، فإن وعد الله حق، ولا يغرنكم بالله الغرور!، الحقوا بي فإنني فرح بما آتاني الله -سبحانه

وتعالى- من فضله!، الحقوا بي، فإنني رأيت من رحمة ربي ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر!، الحقو بي، فإن رضا الله -سبحانه وتعالى- ونعيمه أعظم وأجل من الدنيا وما فيها!،...إلى آخره، لسان حاله: ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾، فيا أخي، اعلم أنك إما في الدور والقصور، وإما في القبور!، فاعمل في دارك لدارك، واخشَ وارجُ وكن حسن الظن تنجو -بإذن الله تعالى-، قال تعالى في سورة المرسلات: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا ﴿٢٦﴾﴾، فاللهم رحمتك نرجو، ولا حول ولا قوة إلا بك.

١٠٩٣. فلتعلم يا أخي أن الإسلام كرم الإنسان حيًّا وميتًا!، فحرص على حفظه عما يسوءه في حياته، وحفظ حرمته في مماته، وهذا مما كُرم به الإنسان!، ومن الإرشادات العظيمة التي وردت في هذا الباب؛ لنا معشر المسلمين، ألا نجلس على القبر، وأن لا نطأه، وألا نمشي عليه، وألا تقضى الحاجة عليه!، وقد روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "لأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ علَى جَمْرَةٍ فَتُحْرِقَ ثِيابَهُ، فَتَخْلُصَ إلى جِلْدِهِ، خَيْرٌ له مِن أنْ يَجْلِسَ علَى قَبْرٍ"(١)، وروى جابر بن عبدالله -رضي الله عنه-: "نَهَى رَسولُ الله ﷺ أَنْ يُجَصَّصَ القَبْرُ، وَأَنْ يُقْعَدَ عليه، وَأَنْ يُبْنَى عليه"(٢)، والأحاديث كثيرة في هذا الباب، فإن كانت هذه حرمة قبر الميت والتي هي من حرمته، فكيف بحرمة الميت نفسه؟!، كيف بمن ينتهك حرمة الميت فينبش قبره أو يسرق أعضاءه أو يسرق جثته؟!، هل يمكن أن يفعل هذا إنسان؟!، لذلك يا أخي،

---

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: ٩٧١ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) الراوي: جابر بن عبدالله | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: ٩٧٠ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

اتقِ الله -سبحانه وتعالى- في تعاملك مع الناس في حياتهم ومماتهم!، احفظ حرماتهم في حضورهم وغيابهم، فوق الأرض كانوا أو تحتها!، وتذكر أنك في يوم من الأيام ستكون بجانبهم، فانظر ماذا تحب أن ترى وتسمع!، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٠٩٤. قال تعالى في سورة المرسلات: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾، هذه الآيات الكريمة ترشد عباد الله -سبحانه وتعالى- أن يحسنوا الظن بخالقهم، وإحسان الظن كما ذكرنا آنفًا، يختلف عن التمني والتقول على الله -سبحانه وتعالى- بغير علم، فقد ذكر الله -سبحانه وتعالى- في هذه الآيات: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، أي أننا وإن علمنا بيقين تام؛ أننا لن ندخل الجنة إلا برحمة الله -سبحانه وتعالى-، إلا أن عدل الله -سبحانه وتعالى- اقتضى أن يكون هناك عمل تثاب عليه، عمل يدخلك في رحمته -ولله الأمر من قبل ومن بعد، هو مالك الأمر، وإليه الأمر، سبحانه ما أعظمه-، فمن كان محسنًا في عباداته، محسنًا في خُلقه، محسنًا في تعامله مع الناس؛ فاز وسعد -بإذن الله تعالى-، وهذا بكل تأكيد، ليس كمِثل من كذب وتولى!، وليس كمِثل من عصى واستكبر!، وليس كمِثل من ظلم وفجر!...إلى آخره، فانظر إلى نفسك أين تكون!، قال تعالى في سورة الزمر: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾.

١٠٩٥. قال تعالى في سورة النبأ: ﴿وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾﴾، وقال تعالى في سورة الروم: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾، هذه الآيات الكريمة

فيها هداية وإرشاد لا تكاد تصفه الألسن، ففي وجود الذكر والأنثى، يحصل الاستمتاع، فيستمتع كل منهما بالآخر، وبهذا الاستمتاع يحصل التناسل، وتذهب بعض من هموم الدنيا وكدرها؛ وذلك بما يصيبه الإنسان من لذة!، ومع ذلك، **ومع عظم هذه اللذة وعظم هذا الاستمتاع، إلا أن هذا الأمر لا يقف عند لذة الفراش!، بل إن الأمر أسمى وأعظم!، فالله -سبحانه وتعالى- جعل هناك مودة ورحمة بين الزوجين!، شفقة وعطف ومحبة، يسكن كل واحد منهما للآخر، إن طلب الدفء والأمان، وإن طلب السر والحنان!**، وهذا يقودنا لنقطة مهمة ومصيبة طامة في هذا الزمان!، وهي انشغال الزوجين أو أحدهما عن الآخر بوسائل التواصل أو جلسات الأصدقاء أو الجيران أو بالألعاب ونحو ذلك!، وهي من المصائب التي أرقت نفوس كثيرة!، ولنذكر على سبيل المثال انشغال الزوج في الألعاب واستخدام وسائل التواصل أثناء محاولة الزوجة فتح باب للمحادثة أو لبعض الحديث!، فتجده لا ينصت، وإن أنصت، سارعها مغاضبًا أن كُفي عني!، يجلس ساعات وساعات بين لعبة هنا ومحادثة هناك، بين تعليق ومناكفات لا تنتهي!، ثم ما أن يأتي الليل حتى تجده ارتمى كالقتيل للنوم تاركًا زوجته حزينة دون خطاب، ودون كلام، ودون مشاعر!، ثم ترى صنفًا آخر من الأزواج يتركون زوجاتهم دون كلام يخاطب أحاسيسهن!، ودون مشاعر تداعب قلوبهن!، تراه يقتلها ببطئ وهي التي عفت نفسها وحصنت فرجها منتظرة إياه، ثم هو يبخل عليها ببعض الكلمات أو اللمسات الناعمة!، ثم ترى صنفًا آخر لا يراعي حق زوجته في الفراش، فما أن يشبع رغبته في الفراش حتى يسارع في القيام دون أن ينظر لحال زوجته!، **ومن المصائب أيضًا أننا نرى الزوج لا يُقوّم زوجته إذا أخطأت ولا ينصحها ولا يؤدي حق الله -سبحانه وتعالى- في حفظها!**...إلى آخره، كل هذه النقاط وغيرها من المصائب التي ابتلي بها

كثير من الأزواج في هذا الزمان، خصوصًا فيما يتعلق بالإهمال!، **بل إن أكثر ما يقتل تلك البيوت الآن هو أن الزوجين قد يعيشان تحت سقف واحد، وفوق فراش واحد، لكن كل واحد منهم متصل بعالم مختلف!، بينهم أقل من متر، وبين قلوبهم آلاف الكيلو مترات!، ترى كثير من قضايا النزاع أن سببها "اللاشيء"، فإن نظرت قالت الزوجة، كأنني أعيش وحيدة!، أنا لا أريد منه الطعام والشراب، بقدر ما أريد منه قليل من الاهتمام!، وأنا لا أدري حقيقة كيف لأحد يخشى الله -سبحانه وتعالى- أن يظلم زوجته ويعذبها وهي أسيرة عنده!**، لذلك يا إخواني، أقيموا حق الله -سبحانه وتعالى- في بيوتكم، أقيموا حق الله -سبحانه وتعالى- في تعاملاتكم، إن الزواج من أعظم النعم التي وهبها الله -سبحانه وتعالى- لعباده، وإن المودة والرحمة نعمة يجب ألا تقتل بإهمال أو تشاغل!، فيا أيها الزوج أبقِ لسانك طيبًا في ذكر ما طاب من الكلام المعسول، الكلام الذي يملؤه الحب والدفء، أعطِ قليلًا من وقتك لمن وهبتك نفسها وأحبتك!، **وأنتِ أيتها الزوجة، كوني مطيعة لزوجك فيما أحله الله -سبحانه وتعالى-، توددي له، تذكري أنك أنثى أمامه، دعي عنك النسوية فإنها مهلكة لك قبل غيرك!، وانشغلي بزوجك وأهل بيتك فهم من أعظم النعم التي لديك!**، وهنا ننوه إلى نقطة مهمة، وهي أن الرجل وطريقة تفكيره تختلف عن المرأة وطريقة تفكيرها، فمراعاة هذا الاختلاف وفهمه مهم جدًا، ولنأخذ على سبيل المثال لا الحصر، واحدة من المشاكل المنتشرة بين كثير من الأزواج، وهي العلاقة الجنسية بين الزوجين، كمية المدخلات للرجل والمرأة كبيرة بشكل لا يوصف، رغبة الرجل بالفراش رغبة شديدة تفوق ما لدى المرأة، والمرأة لديها رغبة مهمة لإشباع أحاسيسها وعاطفتها والشعور بالأمان وسماع ما طاب من الكلام الجميل، وهنا تكمن المشكلة!، كثير من الرجال يهمل جانب العاطفة ويبدأ بجماع زوجته دون

إعطائها ما تهتم به أولًا من أحاسيس وكلام معسول!، فتصبح بذلك العلاقة الجنسية بينهم ما هي إلا وظيفة عسكرية يرغب الطرفان بالانتهاء منها!، ثم تجد الرجل يشكو من برود زوجته وعدم تفاعلها معه!، وفي المقابل تجد المرأة تمنع زوجها من الفراش ولا تتطيب له ولا تتزين، ثم تسأل لماذا لا يتغزل بها زوجها أو لماذا لا يحب قربها، ولماذا لديه نفور منها!، **ثم إن كثير من النساء لا تعقل أن الحاجة الجنسية للرجل هي حاجة مهمة ليست كحاجتها هي لها!، فالرجل قد يكون سعيدًا إن تم له هذا الأمر في كل يوم، ولأكثر من مرة، لكن المرأة قد تكتفي بعدد أقل من ذلك بكثير، وهذه نقطة جوهرية لو وعتها النساء!، وللأسف مع ضيق المعيشة وصعوبتها، ترى التعدد صعب المنال، بل إن الزوجة الأولى صعبة المنال!، وهذا يضيف جهدًا إضافيا على كلا الزوجين!**، وهنا نقول، إن الحياة الزوجية إن كانت مبنية على طاعة الله -سبحانه وتعالى-، ورزق الزوجين قلبًا راضيًا بحكم الله -سبحانه وتعالى- مسلمًا لأمره، وعى كل منهما ما له وما عليه، وكانت الرحمة والألفة هي التي بينهم، ويدرك كل واحد منهما حاجة زوجه، ويصبر عليه عند مرضه، ويقف بجانبه عند ضعفه، ويفرح قلبه بما يحب، فإن لم يكن ذلك بدافع الحب، فليكن بدافع الألفة والمودة والرحمة والعشرة!، ولا تنسوا ولا تتناسوا "الصراحة" ثم "الصراحة" ثم "الصراحة" فيما بينكم!، وتذكروا أن الصراحة لا تعني استعمال أسلوب جارح مع المخاطب، فاللهم اهدنا واهد أزواجنا وأزواج المسلمين، اللهم آمين.

ملاحظة: خصصت الزوج في معظم الحديث مع أن الكلام قد يكون لكلا الزوجين، وذلك لسبب مهم، وهو أن الزوج هو رب البيت، وهو راعي شئونه، فعليه أن يصلح حتى يصلح أمر بيته!، وعليه أن يُقوم نفسه حتى يقوم أهل بيته!، فلنتقِ الله -سبحانه وتعالى- في أهلينا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٠٩٦. قال تعالى في سورة النازعات: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾، هذه الآية الكريمة أخبرتنا بقمة الشر والخبث التي وصل إليها فرعون -لعنه الله-، فكيف لذليل أن يقول مثل هذه المقالة العظيمة؟!، بل إننا والله، لترتجف قلوبنا عند قراءة هذه الآية من هول هذه الكلمة، ونقول في أنفسنا، سبحانك وتعاليت ربنا!، والعجيب أن هذا القول يكرره طغاة أهل الأرض على مر الأزمنة، لكن بصيغ وطرق متعددة!، فكلما جاء المصلحون وطالبوا بالإصلاح، أو كلما رأوا بقعة في الأرض فيها مكان يظهر فيه اسم الله -سبحانه وتعالى-، إلا وظهرت أنياب الحقد والمكر والعداوة عند أعداء الدين، بل إن كثير منهم يقول ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾!، ثم ما يلبث بعدها إلا ويشعل نارًا للحرب، ولولا فضل الله -سبحانه وتعالى-، ووعده بإتمام نوره، لزالت الجبال من شدة مكرهم، لكن الله -سبحانه وتعالى-، صادق وعده مظهر دينه ولو بعد حين!، لذلك يا أخي، كل طاغية تراه يقول كما قال فرعون، فاعلم أنه نسخة عنه تجددت عبر الزمان، لكن بشخصيات مختلفة، تشترك فيما بينها بالشر والكفر والظلم والتجبر...، ولا حاجة لإسقاط هذه المعاني على الجبابرة الذين عثوا في الأرض فسادًا، فهم أكثر من أن تسعهم هذه الصفحات!، ولْتعلمْ أن مصير هؤلاء ما كان إلا الذل والخسران في الدنيا والآخرة، وما نتاج ذلك إلا عذاب عظيم لا يليق إلا بهم -نعوذ بالله منه-!، لذلك، اسعَ لأن تكون ظهيرًا للصالحين، وللضعفاء والمساكين، وإياك أن تكون عونًا وظهيرًا للظلمة الفجرة، والأمر كله لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله!، اللهم أعوذ بك أن أكون ظهيرًا للكافرين!

١٠٩٧. **فلْتعلمْ يا أخي أن أعظم ما قد يجنيه الإنسان على نفسه من جراء طغيانه هو إيثار الدنيا على الآخرة!، فمن آثر الفاني على الباقي، ذهب عنه الإيمان**

بمقدار إيثاره، حتى لا يتبقى شيء في قلبه من أثر الإيمان، وإنه لأشد الطغيان!، فمن ذا الذي يكفر بالله -جل في علاه- أو يشرك به، أو يتبع شهواته ورغباته حتى تكون هي لجامه التي تقوده؛ سوى جاهل بنفسه وسبب وجوده أو طاغية في هذه الأرض؟!، وسبحان الله العظيم، حال المسلم نقيض هذه الحالة، **فمن أسلم إرادته لله -سبحانه وتعالى- لم يتبع هواه، ولم تكن الدنيا أكبر همه، ولا مبلغ علمه، ومن كانت الآخرة هي همه، كان فيما أمره الله -سبحانه وتعالى- أطوع، ومن كان هذا حاله، كانت أوامر الله -سبحانه وتعالى- ونواهيه فوق شهواته ونزواته حتى يجد حلاوة في قلبه لن يجدها من دون هذا الطريق!، بل إن من رأى حلاوة الإيمان وعلم حكمة الله -سبحانه وتعالى- أيقن أن ما جاءنا من الهدى؛ دواء للقلوب ومنارة للعقول!**، قال تعالى في سورة النازعات: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾﴾، القاعدة سهلة، إما جنة وإما نار، إما ثواب وإما عقاب، إما التزام وإما هوى، إما تسليم وإما عناد وطغيان، فانظر نفسك ماذا تريد!، واحذر من سوء الاختيار!، قال عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه-: "أنتم في زمان يقود الحق الهوى، وسيأتي زمان يقود الهوى الحق فنعوذ بالله من ذلك الزمان"[1]، لذلك اجتهد يا أخي أن تكون ممن خاف عند المعصية مقامه بين يدي الله -سبحانه وتعالى-، فانتهى عنها، ومن كان هذا حاله فاز فوزًا عظيمًا -بإذن الله تعالى-، **فإن كنت كثير المعاصي لكنك تجاهد نفسك حتى تمتنع عنها، تعزم على المعصية فيوفقك الله -سبحانه وتعالى- لتبتعد عنها، فاعلم أنك على خير عظيم، فقلبك فيه حب الله -سبحانه وتعالى-، ولا يخسأ**

---

(١) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ٢٢ | الصفحة ٦٤ | تفسير سورة النازعات | الآية ٤٠ | مؤسسة الرسالة | بيروت

من كان هذا قلبه!، لكن، عليك أن تجتهد في دعائك وعملك حتى تترك هذه المعاصي، فيكون عزمك على التوبة عزمًا شديدًا، واترك الفراغ وابتعد عن الشبهات التي تلوث القلب بالشهوات والأمراض، وتأكد بأن الله -سبحانه وتعالى- لن يضيع أجر عامل من ذكر أو أنثى، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم نسألك هدايتك ورحمتك وحسن الخاتمة، اللهم يا مقلب القلوب والأبصار، ثبت قلبي على دينك.

١٠٩٨. فلتعلم يا أخي **أن البحث عن الهدف الشريف أو الصالح واختياره لوحده ليس كافيًا، بل ينبغي لك أن تختار هدفًا شريفًا ومناسبًا لك!، فكثير ممن يطلب الخير أو لديه إرادة الخير ينشغل بما لا ينفعه أو بما لا يمكنه الوصول إليه أو بما لا يقدر عليه!**، ولنأخذ مثالًا بسيطًا يوضح هذه الفكرة، روى أنس بن مالك -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ: "جاءَ رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ فقالَ يا رسولَ الله **متى قيامُ السَّاعةِ** فقامَ النَّبيُّ ﷺ إلى الصَّلاةِ فلمَّا قضى صلاتَهُ قالَ أينَ السَّائلُ عن قيامِ السَّاعةِ فقالَ الرَّجلُ أَنا يا رسولَ الله قالَ **ما أعددتَ لَها** قالَ يا رسولَ الله ما أعددتُ لَها كبيرَ صلاةٍ ولا صومٍ إلَّا أنِّي أحبُّ الله ورسولَهُ. فقالَ النبيُّ ﷺ المرءُ معَ مَن أحبَّ، وأنتَ معَ مَن أحببتَ فما رأيتُ فرِحَ المسلمونَ بعدَ الإسلامِ فرحَهُم بِهَذا"(١)، هذا الحديث الشريف فيه لفتة مهمة لضبط البوصلة لكل مسلم، فانظر إلى هذا الهدف الشريف الذي لا يمكن الوصول إليه!، متى قيام الساعة؟، فما كان جواب حبيبي -عليه الصلاة والسلام-: **"ما أعددت لها"**، لاحظ عظم هذا الجواب وهذا الإيجاز، ما أعددت من أعمال إذا أتتك الساعة؟، فالمهم هو ماذا فعلت وماذا عملت، فهذا مما تقدر عليه ومما ينتفع به الإنسان، أما متى الساعة فقد أخفاها الله

---

(١) الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الترمذي | المصدر: سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: ٢٣٨٥ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

-سبحانه وتعالى-، ولا فائدة من الانشغال بموعدها!، فإن هذا لا ينفع!، ولا يمكن الوصول إليه!، ولا نقدر على شيء فيها!، لهذا كان اختيار الهدف الشريف "المناسب" هو الأحرى في الوصول إلى الخير، فحب الله -سبحانه وتعالى- وحب رسول الله ﷺ والعمل بالأعمال الصالحة كالصيام والصلاة والزكاة...جميعها يمكن تصنيفه هدف شريف مناسب لمن أراد الاستعداد للساعة!، لاحظ قوله تعالى في سورة النازعات: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾، أي أن علم الساعة لله -سبحانه وتعالى-، وليس لأحد من خلقه، لكن كان الإنذار من الساعة هو المهم حتى يستعد من يخشاها للقاء ربه إن قامت الساعة!، وهذا يقودنا لنقطة مهمة، وهي أن اختيار الهدف المناسب لوحده ليس كافيًا، فيلزمك بعد اختيارك للهدف المناسب أن تسعى لتحقيقه وذلك لا يتم إلا بمعرفة أسبابه ومتطلباته!، قال أبو ذر -رضي الله عنه-: "قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، **أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي**؟ قالَ: فَضَرَبَ بيَدِهِ علَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قالَ: يا أَبَا ذَرٍّ، إنَّكَ ضَعِيفٌ، وإنَّهَا أَمَانَةُ، وإنَّهَا يومَ القِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إلَّا مَن أَخَذَهَا بحَقِّهَا، وَأَدَّى الذي عليه فِيهَا"[(١)]، لاحظ هنا أن الهدف الشريف لإمارة الناس والحكم بينهم بالعدل لا تعني بالضرورة قدرتك عليها!، فقد يكون هدفك الشريف هذا غير مناسب لك، كما أوصى الرسول ﷺ أبا ذر -رضي الله عنه-!، "إنك ضعيف" أي لا تقدر على حمل هذه الأمانة لأنها ثقيلة صعبة!، فهنا وجب معرفة متطلبات الهدف الشريف ومعرفة الأسباب المؤهلة للوصول إلى هذا الهدف، ثم السعي لتحقيقها، وأي خلل في هذه السلسلة ستجد نفسك وضعت هدفًا ستعجز عن تحقيقه لأنه لا يتناسب مع

---

(١) الراوي: أبو ذر الغفاري | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ١٨٢٥ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

قدراتك أو مما لا ينفع أو مما لا يمكن الوصول إليه!، فإن فعلت ذلك؛ فإنك إما أن تضيع وقتك وإما أن تضيع نفسك وإما أن تضيع غيرك، وإما أن تضيع كل شيء!، **وهنا سيسأل البعض، هل هذا يعني أن نتكاسل عن تحقيق أهدافنا أو نتوقف عن ذكرها؟، والجواب بكل تأكيد لا، بل عليك أن تسعى وتعمل جاهدًا لأجل ذلك، لكن عليك بالإجابة عن الأسئلة السابقة قبل الشروع والعمل في تحقيق أهدافك، فمثلًا لو كنت طبيبًا، سيكون من إضاعة الوقت أن تبحث عن علاج للموت!، لأنك مهما سعيت جاهدًا لأجل ذلك، فلن تصل إلى أي نتيجة، وهذا مما لا ينفع ومما لا يقع تحت قدرة البشر!، وهذا يقودنا لنقطة جميلة، وهي أن الإنسان أمام خيارين اثنين، أولهما ربح والثاني خسارة، فالربح متحقق إن سعى واجتهد وعمل بمقتضى العلم والحكمة، والخسارة تتحقق إن ترك العمل أو سار في طريق الخسارة!**، هل لاحظت أن الربح يتحقق بطريقة واحدة، بينما تتحقق الخسارة بطريقتين؟!، ولنبسط هذه الفكرة، كثير من شباب اليوم يضيعون أوقاتهم على وسائل التواصل، ثم يقولون نحن لا نقوم بشيء "يدمر هذا الكوكب"، لكنهم فعلا خسروا أنفسهم، وخسر العالم طاقاتهم!، كمثل المبرمج أو الشخص المهتم بالتقنية، فإن مجرد توقفه عن متابعة العلوم الجديدة في مجاله تعني خسارته وتراجعه ولا تعني توقفه مكانه!، فمجرد التوقف = تراجع مع تقدم الزمن!، وهذا يقودنا لخلاصة جميلة، اهتم بما ينفع، ودع عنك ما لا ينفع، واسعَ في سبل الخير، ودع عنك سبل الشر، واجتهد واعمل، ودع عنك الكسل، احفظ وقتك واحرص على العلم، ودع عنك الجهل وإضاعة الوقت بما لا يليق بك، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٠٩٩. فلْتعلمْ يا أخي أن إقبالك على من جاء يطلب العلم أو العمل أولى من إقبالك على من لم يطلب العلم أو العمل!، فالأول حريص على كسب الخير

الذي عندك، والثاني بين متجاهل أو رافض لما عندك!، فمن كان راغبًا لما عندك من الخير كان أولى في وقتك وجهدك، ولكليهما وقت يُقضى حتى تُكمل ما بدأت به من الخير...، وهذا يدل على قاعدة جميلة وهي: "لا يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة"(١).

١١٠٠. فلْتعلمْ يا أخي أن إكرام الميت دفنه!، هذا الإكرام كان هبة من الله -سبحانه وتعالى- للإنسان!، فلم يجعله كالحيوانات، تكون جيفًا على سطح الأرض!، ألم تسمع قوله تعالى في سورة عبس: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾﴾، فسبحان من كرم الإنسان حيًا وميتًا!، سبحانه وتعالى عمن خلق!، وكان جدي -رحمه الله- يقول: "**نعمة عظيمة أن تجد عند موتك من يدفنك!، فادعُ الله -سبحانه وتعالى- أن يُسر لك ذلك**"، وحقيقة لم نكن ندرك أهمية هذا الأمر حتى شاهدنا ذلك بأم أعيننا، عما صارت إليه الناس في أيام الوباء الذي أصابنا، وفي الحروب التي شاهدناها!، فاللهم أكرمنا أحياء وأمواتًا، والأمر كله إليك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١١٠١. فلْتعلمْ يا أخي أن أخاك وأباك وأمك وزوجك وولدك لن يغنوا عنك من الله -سبحانه وتعالى- شيئًا!، فإن كان هذا حال أقرب الناس إليك، وأحبهم إلى قلبك، فما حال غيرهم؟!، ثم إن كان هذا حالهم معك، فكيف يمكن لنفسك أن تقدم الدنيا على الآخرة، فترضيهم بما حرم الله -سبحانه وتعالى-؟!، ألا يعقل الإنسان أنه خُلق لغاية عظيمة، وأن هذه الغاية العظيمة فوق أي اعتبار؟!، لذلك يا أخي، أحسن إلى أهلك وأقاربك وجيرانك والأبعد فالأبعد ما استطعت، لكن فليكن ذلك الإحسان من حلال وفي حلال، وإياك والحرام، وإياك ومعصية الله -سبحانه وتعالى-

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة عبس | الجزء الثلاثون | الآية ٥ | الصفحة ٩١١ | مؤسسة الرسالة | بيروت

، لأنه لن ينقذك أحد من موقف يوم الحساب!، فكيف إذا كان هذا يريد من حسناتك، وكيف إذا كان غيره سيعطيك من سيئاته؟!، وسلام على نبي الله إبراهيم -عليه السلام-، فقد عقل هذا وترك ما يدعو أبوه وقومه، فاعتزلهم فنال أعلى الدرجات!، قال تعالى في سورة عبس: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ٣٣ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧﴾، فاللهم نسألك رحمتك، ونعوذ بك من سخطك والنار، ولا حول ولا قوة إلا بك.

١١٠٢. قال تعالى في سورة المطففين: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣﴾، قال السعدي -رحمه الله-: "فسر الله المطففين بقوله ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ﴾ أي: أخذوا منهم وفاء عما ثبت لهم قبلهم ﴿يَسۡتَوۡفُونَ﴾ يستوفونه كاملًا من غير نقص، ﴿وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ﴾ أي: إذا أعطوا الناس حقهم، الذي للناس عليهم بكيل أو وزن، ﴿يُخۡسِرُونَ﴾ أي: ينقصونهم ذلك، إما بمكيال وميزان ناقصين، أو بعدم ملء المكيال والميزان، أو نحو ذلك. فهذا سرقة لأموال الناس، وعدم إنصاف لهم منهم. وإذا كان هذا الوعيد على الذين يبخسون الناس بالمكيال والميزان، فالذي يأخذ أموالهم قهرًا أو سرقة، أولى بهذا الوعيد من المطففين. ودلت الآية الكريمة، على أن الإنسان كما يأخذ من الناس الذي له، يجب عليه أن يعطيهم كل ما لهم من الأموال والمعاملات، بل يدخل في عموم هذا الحجج والمقالات، فإنه كما أن المتناظرين قد جرت العادة أن كل واحد منهما يحرص على ماله من الحجج، فيجب عليه أيضًا أن يبين ما لخصمه من الحجج التي لا يعلمها، وأن ينظر في أدلة خصمه كما ينظر في أدلته هو، وفي هذا الموضع يعرف إنصاف الإنسان من تعصبه واعتسافه، وتواضعه من كبره،

وعقله من سفهه، نسأل الله التوفيق لكل خير."[١]، بل إن هذا كان من أهم الأسباب لعذاب قوم شعيب -عليه السلام-، قال تعالى في سورة هود: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾﴾، وهذا كله يُبرز خطورة التطفيف في المكيال والميزان، **بل إن معنى الطفيف، القليل أو الضئيل، وكأن هذا إشارة إلى أن إنقاص القليل هو سرقة لها عذاب عظيم، فما ظنك بمن سرق الكثير؟!، وما ظنك في من أخذ مالك قهرًا؟!**. هذه الآيات الكريمة، فيها حكم عظيمة، فتعامل مع الناس بالعدل، فلا تنقص حق أخيك، ولا ينقصك حقك، وهذا من الأدلة على الخير الحقيقي عند هؤلاء، وهو مدعاة للخير والبركة، ومن تفضل من عنده لأخيه فله أجره -بإذن الله تعالى-، وكما أن هذه السمة في أمة ما تدل على خير عظيم، **فوجود المطففين في أمة ما وسيادتهم دليل على خطر عظيم قد أقبل، وإنما محق الخير عن قوم شعيب -عليه السلام- لأجل هذا، فما ظنك بقوم لا خير عندهم ومع هذا فهم من المطففين؟!**، اللهم نسألك السلامة!، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١١٠٣. يا أخي، لا تضحك ولا تستهزئ بغيرك، ولا تنقصه ولا تعيبه، ولا تحتقره ولا تحسده، ولا تستغيبه، ولا تذكره بسوء حتى تضحك ويضحك من

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة المطففين | الجزء الثلاثون | الآية ٢-٣ | الصفحة ٩١٥ | مؤسسة الرسالة | بيروت

حولك!، ولا تتهمه بالضلال، ولا تنتقص منه لتظهر علوك...إلى آخره، كل هذا من جملة ما أُمر به المسلم ما لم يقترن أمر يوجب عكس ذلك، كمِثل من يسأل عن رجل تقدم لخطبة ابنته، وهذا كله يذكرني بكثير من الأفعال التي تصدر من بعض الناس، يهزءون بمن اتبع أوامر الله -سبحانه وتعالى- بترك الحرام وإقباله على الطاعات، فتجدهم يتغامزون عليه، انظروا إنه لم يحدث فتاة قط!، وانظروا لهذه الفتاة التي سترت نفسها مذ كانت صغيرة!، وانظروا إلى هذا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يظن نفسه شيخًا!، وانظروا لهذا الفقير الحزين، وتلك الفتاة المسكينة، وذلك الطفل الجائع؛ كيف هي مشيتهم، وما هو طعامهم وما هي ماهية لباسهم في كلام يملؤه الاستهزاء أو الاحتقار...إلى آخره، فاحذر يا أخي أن تكون من هؤلاء!، فإني لا أراهم إلا من شرار الناس إن لم يسارعوا إلى التوبة، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١١٠٤. يا أخي، إذا رزقت من النعيم ما يدخل السرور على قلبك، ناعمًا متنعمًا بما أتاك الله -سبحانه وتعالى- إياه، بين أهلك وولدك، في صحتك وعافيتك، في مأمن لا تخشى على نفسك وأهلك وولدك، فاعلم أنك رزقت من النعيم ما يكون لك جنة على هذه الدنيا، فاحرص أشد الحرص على أن تحمد الله -سبحانه وتعالى- حمدًا يليق بعظمته، فتؤدي حق هذا النعيم، في شكره وإنفاقه في مواضعه، واشتغل بما عندك من الخير، ودع عنك ما عند غيرك من الخير!، إلا أن يكون انشغالك بتنافس في طاعة الله -سبحانه وتعالى-، فاللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك!

١١٠٥. فلْتعلمْ يا أخي أن أحوال الأمم وأحوال الناس في هذه الأمم تتغير من حال إلى حال، من غنى إلى فقر، ومن فقر إلى غنى، من قوة إلى ضعف، ومن ضعف إلى قوة، ومن حياة إلى موت، ومن موت إلى حياة، من صحة إلى سقم، ومن سقم

إلى صحة، ومن عز إلى ذل، ومن ذل إلى عز...إلى آخره، كل هذه الأحوال وغيرها إما أبصرناها في زماننا، وإما سمعنا عنها من آبائنا، وإما وجدناها في كتب التاريخ عندنا!، وكلها تشير إلى أن دوام الحال من المحال، إلا أن يشاء الله -سبحانه وتعالى- ذلك لمن اصطفى!، وهذا كله دليل على دناءة الحياة الدنيا وزخرفها أمام الآخرة بما فيها!، وهذا كله يدعو المسلم لأن يتشبث بإسلامه بأنامله، وأن يعض على إيمانه بنواجذه!، **ومن هنا ينطلق المسلم ليعتز بهويته الإسلامية، فلا يرضى ذل العدو ولا يرغب بما عند أهل الكفر من عادات ذميمة، في دينهم أو دنياهم، بل إن المسلم يحرص أشد الحرص على التمايز والتفاضل والحذر من متابعة أهل الكفر والفجور في أفعالهم**، وذلك مما وصى به الحبيب المصطفى ﷺ، وقد روى أبو سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنه قال: "لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن قَبْلَكُمْ شِبْرًا بشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بذِرَاعٍ، حتَّى لو سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ، اليَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قالَ: فَمَنْ؟"(١)، وهذا الحديث العظيم بما فيه من إعجاز وبيان لحال من أحوال المسلمين بعد زمان رسول الله ﷺ، إلا أن فيه التشخيص، وفيه العلاج والترياق!، فمن كانت له هويته المستقلة، معتزًا بدينه مفتخرًا ومتبعًا بما جاء به الحبيب المصطفى ﷺ؛ نجا من أن يكون عبدًا ذليلًا للأمم الأخرى، ونجا من أن يكون عبدًا ذليلًا لشهواته ورغباته من باب أولى!، قال تعالى في سورة الإنشقاق: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾، هذه الآية الكريمة قال المفسرون عنها؛ أنها تشير لتغير الأحوال من حال إلى حال، كان ذلك في الدنيا أو في الآخرة!، وفيها إشارة لما سيعتري الناس في أعوامهم وتقلب أحوالهم، من الخلق وحتى البعث -اللهم استعنا بك، فلا تكلنا

(١) الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٣٤٥٦ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

لأنفسنا طرفة عين، ولا أقل من ذلك-!، وقد أشار المفسرون لمعنى جميل من ضمن هذه المعاني، وهو اتباع سنن من قبلنا من اليهود والنصارى، حتى أننا نرى هذا ظاهرًا جليًا في زماننا -نسأل الله سبحانه وتعالى لنا ولهم الهداية-، فتراهم يشاركون في احتفالاتهم، ويلبسون مثل لباسهم، بل أصبح مستغربًا عند بعضهم أن ينكر عليهم الصالحون فعلهم!، **فسبحان الله العظيم الذي أعزنا بالإسلام، وأبى بعضنا إلا الذل والهوان!**، لذلك يا أخي، كن عزيزًا بإسلامك، واعلم أن الإسلام قوي معك وبدونك، عزيز معك وبدونك، فإن لم تنصره أنت، يسر الله -سبحانه وتعالى- له من ينصره!، واعلم أن أحوال الناس وأحوال الأمم تتغيير، فتارة إلى الضعف وتارة إلى القوة، وهذا حال كل الأمم، لكن أمة الإسلام وإن ضعفت لم تمت، ولا تلبث أن تعود قوية عزيزة، فإن كان اتباعك للغرب لأجل قوة أو مال تراه، فذلك لا يخرج إلا عن جهل في تاريخك أو جهل في إسلامك أو ذُل زرع في قلبك!، فبدلًا من أن تغذي المرض الذي نهش جسدك، قم واعمل واجتهد في علاج هذا المرض!، واعلم أن الإنسان لا يكون عزيزًا إلا إن وهبه الله -سبحانه وتعالى- ذلك!، **والعزة لا تكون إلا بالقرب من العزيز، والعزيز واحد أحد، فرد صمد، لم ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد!، فمن كان ساعيًا له، راضيًا بحكمه، عاملًا بأمره، نال عزة وأنار عزة لجواره بالعزيز، أما من جاور الذليل، فليس له إلا الذلة!**، وخير ما يبدأ به الإنسان ليكون عزيزًا، هو كتاب الله -سبحانه وتعالى-، ثم سنة الحبيب المصطفى ﷺ والأنبياء -عليهم السلام- من قبل، ثم الصالحين من الأمم؛ فمن وعى كلام الله -سبحانه وتعالى- وأردك عظمته وعزته وعزة أوامره وحكمتها، وعلم قدرته وبيانه وقوته وجبروته، ثم علم سنة الحبيب المصطفى ﷺ وسيرته، وسيرة الأنبياء -عليهم السلام- من قبل وأحوالهم، وعلم أحوال الصالحين وجمال اتباعهم وصدقهم

وحسن ثوابهم؛ أدرك أنه لا مجال للعزة والنصر إلا بالعودة إلى الله -سبحانه وتعالى- شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع!، والعودة إلى الله -سبحانه وتعالى- يلزمها الإعداد النفسي والمادي، على صعيد الروح والجسد!، فلا تقل أهمية العزة عما تدعو إليه هذه العزة من أسباب القوة، وترك أسباب الضعف والذل والهوان!، فاللهم أعزنا بالإسلام، وأعز الإسلام بنا، ولا حول ولا قوة إلا بك.

ملاحظة: أخذ النافع من العلوم وغيرها مما يحقق مصالح العباد، فلا بأس به، وليس هذا المقصود!، **وإنما المقصود أخذ كل ما عندهم، خبيثه وطيبه دون تفريق ودون تمييز ودون فرز، وهذا مثل الاختلاط والاحتفالات الماجنة والشذوذ ومتابعتهم في أعيادهم ومناسباتهم التي لا ينبغي للمسلم أن يتبعها!، والعجيب أن ما استورده عنا الفساق هو كل شيء يدعو إلى الفجور وانتكاس الفطرة، وإذا سألتهم أن يأتوا بالخير الذي عندهم على الأقل، ولوا مدبرين!، كأن لم يسمعوا شيئًا!، فسبحان الله كيف يحكمون!**

١١٠٦. فلْتعلمْ يا أخي أن المجرمين على مر العصور لسان حالهم هو: إما أن تكون معنا وإما أن تكون عدونا! والشواهد على هذا كثيرة، نذكر منها أصحاب الأخدود، الذين أضرموا النيران وحفروا الأخدود حتى يُلقوا المؤمنين في هذا العذاب!، فمن كفر بعد إيمانه نجا، ومن أبى أُلقي في النار!، وما كان ذنبهم إلا أن آمنوا بالله العزيز الغفار!، وهذا الفعل نراه الآن بأعيننا، لا يختلف عما كان يفعله من سبق فجارنا في الكفر والفجور!، فتجد الظالمين والجبابرة يسفكون دماء المؤمنين، ويسجنونهم، ويظلمونهم، ويمنعونهم من حقوقهم، ويحاربون الفضيلة، ويشوهون صورة الحق، ويدعون إلى الباطل، ويصدون عن المعروف...إلى آخره، فما يزال هذا نهجهم حتى يُيسير الله -سبحانه وتعالى- لدينه من ينصره!، والمؤمن هنا عليه

الصبر وعليه الكفاح حتى يقضي الله -سبحانه وتعالى- أمرًا كان مفعولًا، وفاز من نجا بنفسه وأهله من الفتن، وفاز من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وفاز من لم يوالِ ظالمًا، وفاز من مات على لا إله إلا الله ولم يشرك به شيئًا!، فاللهم اجعلنا منهم، ونعوذ بك أن نكون ظهراء للمجرمين، والأمر كله إليك، ولا حول ولا قوة إلا بك.

١١٠٧. قال تعالى في سورة البروج: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾، هذه الآية العظيمة وكأنها تخبرنا بحال معلوم، حال يتجدد عبر الأزمان والعصور!، فالمؤمنون بالله -سبحانه وتعالى- حوربوا وعودوا لا لشيء إلا لكونهم يؤمنون بالله -سبحانه وتعالى-!، وهذه لوحدها كفيلة باستفزاز شياطين الإنس قبل شياطين الجن!، وهذا ما نراه للأسف بأم أعيننا في زماننا هذا، **فنرى إخواننا من الإيغور وكشمير والروهينجا وأفغانستان...إلى آخره؛ يُنكل بهم، فيقتلون وتسفك دماءهم وتنتهك أعراضهم أمام "العالم" فلا ينتفض!، فإن قرر من يُقتل أن يدفع قاتله عنه؛ صار إرهابيًا متطرفًا!، يقتلون إخواننا لا لشيء، إلا لأنهم سلموا إرادتهم لله العزيز الحميد!، يريدون أن ينهبوا ثرواتهم وأن يستعبدوهم فإذا هموا بذلك، وجدوا الإسلام جبلًا منيعًا أمامهم، يدمر أحلامهم ويقضي على تجبرهم واستكبارهم، فما يكون من فجار هذا الزمان إلا أن يلحقوا بركب من سبقهم من الفجار!**، قال البغوي -رحمه الله-: "وما نقموا منهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما كرهوا منهم، "إلا أن يؤمنوا بالله"، قال مقاتل ما عابوا منهم. وقيل: ما علموا فيهم عيبًا. قال الزجاج: ما أنكروا عليهم ذنبًا إلا إيمانهم بالله، العزيز الحميد"[١]، لذلك يا أخي، من سمع هذه الآية وعلم معناها، عليه أن يستعد لقتال عدوه، **فالعدو لن ينساك وإن نسيته، ودع**

---

(١) كتاب معالم التنزيل (تفسير البغوي) | أبي محمد البغوي | المجلد الثامن | تفسير سورة البروج | الصفحة ٣٨٧ | الآية ٨ | دار طيبة | الرياض

عنك قول الخُذَّال والجبناء، وقول المنافقين والأذلاء؛ بأن "المحبة" هي المنجية!، وهي من تحمي الشعوب المضطهدة!، وأنك "بالمحبة" يمكن أن تتقدم لأمم العالم باستنكار على ما يقع عليك من ظلم!، في جهل وجبن وخروج من الواقع! لذلك اعلم أن ما أُخذ بالقوة، لا يسترد إلا بالقوة!، وأن "المحبة" لن تكون إلا إن كان في يمينك القرآن وفي يسارك السلاح، لن تكون إلا إذا كنت قويًا حتى تجلس على طاولة الحوار، لا أن تصلك نتيجة الحوار!، حينها، إن كف عدونا عنا كففنا عنه!، في هذه اللحظة، حدثني عن المحبة لعلي أنصت لك!، فاللهم انصرنا وانصر إخواننا في كل زمان ومكان، واحفظ دماءنا ودماءهم وأعراضنا وأعراضهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١١٠٨. يا أخي، انتقِ الوقت المناسب لتذكير الناس ووعظهم، وخاطبهم بما تدركه عقولهم، ولا تحملهم ما لا تطيق عقولهم!، فإن كنت في موضع كان التذكير فيه زيادة في الشر فكف عن ذلك، فالعلم يوضع عند أهله، فلا تحاول فتن الناس بما لا تدركه عقولهم من العلم لتظهر نفسك أو تبرز ما لديك من العلم أمامهم!، وهذه نقطة خطيرة، فعلى الواعظ والمعلم والمرشد أن ينتقي الأفكار والعلوم التي يريد أن يلقيها بما يتناسب مع متلقيها، ودون أن يقع في الباطل والمحظور، وهذا له أبواب كثيرة، فمثلًا، طريقة إجابة الأطفال على أسئلتهم تختلف عن طريقة إجابة الشيوخ!، ونعم الواعظ من وعظ قومه بكلام فهموه ووعوه، ولم يكن قوله فتنة لبعضهم!، فاللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم.

١١٠٩. فلْتعلمْ يا أخي أن هنالك أوقات تكون فيها العبادة أعظم وأجزل ثوابًا من بقية الأوقات!، وهي ساعات معدودة، قد وهبها الله -سبحانه وتعالى- لنا حتى نُكفر عن ذنوبنا، وترتقي بها أرواحنا، ونترك الدنيا فيها وزخرفها، ونشد الإزار للآخرة قبل إتيانها!، فالسعيد من وفقه الله -سبحانه وتعالى- في هذه الأيام وتلك

الأوقات لخير الأعمال وأعظمها، ومن هذه الساعات، رمضان كله، ونخص منه الليالي العشر الأواخر، وأيام ذي الحجة، والجمعة وعاشوراء...إلى آخره مما ورد في الشارع، فاللهم إن أحييتنا أعوام مديدة، فاجعلنا في أفضل أيامك، وأفضل ساعاتك، أكثر الناس اجتهادًا، وأقربهم إليك، برحمتك يا أرحم الراحمين يا الله.

١١١٠. قال -تعالى- في سورة الفجر: ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ۝١٤﴾، هذه الآيات الكريمة، تعطينا معنى عظيم، وهو أن الطغاة الذين أكثروا الفساد في الأرض، لن يكون مصيرهم إلا العذاب!، فمن كفر وعصى، وحارب الفضيلة ونشر الرذيلة، وسعى للإفساد في الأرض كل سعيه، ثم صد الناس عن سبيل الله -سبحانه وتعالى-، وصب عليهم أذاه، لم يكن مصيره خيرًا من مصير عاد وفرعون وثمود!، فإنه مهما بلغ من القوة الشديدة أو الأدوات المناسبة أو الجند والأتباع الكثر، فإنها لن تمنع عنه العذاب، ولن ترد عنه قضاء الله -سبحانه وتعالى-!، وهذه المعاني تحذرنا من الطغيان، وتحذرنا من الإفساد في الأرض، فإنهن مهلكات، فمن كان هذا صنيعه، فعليه التوبة من قبل أن يأتي يوم لا رجعة منه!، واعلم يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- لا ينسى عبيده!، فإنه يسمع ويرى، ويجازي كلًا بسعيه، فإنه إنما يمهل ولا يهمل!، ولْتعلمْ يا أخي أن هذه الآيات الكريمة، حملت البشارة أيضًا للمساكين والمظلومين!، فمن علم أن حقه لن يضيع مهما وصل الظالم في ظلمه؛ علم أن لحياته معنى!، وأن حقه سيأتيه عاجلًا غير آجل!، وعلم أن مشكلة الشر لا تكون إلا بغياب العدل، وبإنكار الحساب -والعياذ بالله-!، فاللهم نعوذ بك أن نكون من الطغاة المفسدين في الأرض، ونسألك برحمتك أن نكون من عبادك الصالحين!

١١١١. فلْتعلمْ يا أخي أن إكرام الله -سبحانه وتعالى- لك بالنعم لا يعني بالضرورة أنك ذو كرامة عنده!، بل هو رزق ساقه الله -سبحانه وتعالى- إليك كامتحان عليك تأديته بأفضل ما عندك، فإما أن تكون كشرار أهل الأرض فتزداد طغينًا وكفرًا وشرًا وفسادًا، وإما أن تكون كخيار أهل الأرض فتزداد جودًا وكرمًا وعطاء وتقربًا لله -سبحانه وتعالى- وإرضاء له!، فاختر من تحب بعناية!، ولْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- إذا ما ابتلاك بالفقر فهذا لا يعني بالضرورة أنك ذو هوان وذل عنده!، بل قد يكون هذا امتحانك في الدنيا، فإما أن يكون حالك سخط وحسد وارتكاب للمحرمات، وإما أن يكون صبر ورضا وكسب حلال!، فاللهم اجعلنا ممن أغنيتهم من فضلتك، وهديتهم برحمتك -اللهم آمين-، ومن أحب الأقوال إلى قلبي مما ورد في هذا الباب: "الحمد لله الذي جعل في رزقي هدايتي، ولم يجعل فيه كفري وضلالي"، فالحمد لله رب العالمين.

١١١٢. يا أخي، قال تعالى في سورة البلد: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾، هذه الآية الكريمة تلخص لك حال الإنسان في هذه الدنيا، فإنه مهما بلغ من منازل النعيم فيها، فإنه فيها تعب!، تعب قبل هذه النعمة وفي أثنائها وما بعدها!،، فمن أدرك هذا ونظر بصدق لحال الدنيا، علم أنه لا ينبغي له أن يعطيها أكبر من حجمها!، وأدرك أنه لا يليق بالعاقل أن يضحي بالنعيم الحقيقي الذي لا تعب فيه ولا مشقة ولا أذى، بنعيم زائل فانٍ!، قال السعدي -رحمه الله-: "والمقسم عليه قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ يحتمل أن المراد بذلك ما يكابده ويقاسيه من الشدائد في الدنيا، وفي البرزخ، ويوم يقوم الأشهاد، وأنه ينبغي له أن يسعى في عمل يريحه من هذه الشدائد، ويوجب له الفرح والسرور الدائم. وإن لم يفعل، فإنه لا يزال يكابد العذاب الشديد

أبد الآباد. ويحتمل أن المعنى: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، وأقوم خلقة، مقدر على التصرف والأعمال الشديدة، ومع ذلك، فإنه لم يشكر الله على هذه النعمة العظيمة، بل بطر بالعافية وتجبر على خالقه، فحسب بجهله وظلمه أن هذه الحال ستدوم له، وأن سلطان تصرفه لا ينعزل"[١]، وقال القرطبي -رحمه الله-: "وقال الحسن: يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة. وعنه أيضا: يكابد الشكر على السراء ويكابد الصبر على الضراء؛ لأنه لا يخلو من أحدهما. ورواه ابن عمر. وقال يمان: لم يخلق الله خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم وهو مع ذلك أضعف الخلق. قال علماؤنا: أول ما يكابد قطع سرته، ثم إذا قمط قماطًا، وشد رباطًا، يكابد الضيق والتعب، ثم يكابد الارتضاع، ولو فاته لضاع، ثم يكابد نبت أسنانه، وتحرك لسانه، ثم يكابد الفطام، الذي هو أشد من اللطام، ثم يكابد الختان، والأوجاع والأحزان، ثم يكابد المعلم وصولته، والمؤدب وسياسته، والأستاذ وهيبته، ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه، ثم يكابد شغل الأولاد، والخدم والأجناد، ثم يكابد شغل الدور، وبناء القصور، ثم الكبر والهرم، وضعف الركبة والقدم، في مصائب يكثر تعدادها، ونوائب يطول إيرادها، من صداع الرأس، ووجع الأضراس، ورمد العين، وغم الدين، ووجع السن، وألم الأذن. ويكابد محنًا في المال والنفس، مثل الضرب والحبس، ولا يمضي عليه يوم إلا يقاسي فيه شدة، ولا يكابد إلا مشقة، ثم الموت بعد ذلك كله، ثم مساءلة الملك، وضغطة القبر وظلمته ثم البعث والعرض على الله، إلى أن يستقر به القرار، إما في الجنة وإما في النار قال الله تعالى: لقد خلقنا الإنسان في كبد، فلو كان الأمر إليه

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة البلد | الجزء الثلاثون | الآية ٤ | الصفحة ٩٢٥ | مؤسسة الرسالة | بيروت

لما اختار هذه الشدائد، ودل هذا على أن لـه خالقًا دبره، وقضى عليه بهذه الأحوال فليمتثل أمره"[١]، وقد يقول قائل هنا، لماذا يكون حال الإنسان في كبد من حياته وحتى مماته؟!، فأقول، إن هذه نعمة عظيمة من نعم الله -سبحانه وتعالى-، وحكمة جليلة، **فإن من علم أن النعيم والمتعة التي يستلذ بها ويبذل ما في وسعه لتحقيقها تحتاج لتعب، ثم ينظر لنعيم الجنة فيدرك أنه لا يتعب فيها ولا يشقى، أدرك عظم النعمة، وأدرك أن ما فيه زائل، وأن ما سيذهب إليه دائم، وهو بذلك لن يقنع بنعيم الدنيا أمام الآخرة!**، ثم إنها وسيلة لأولي العقول النيرة، العقول التي تتفكر في حال الإنسان من الضعف إلى القوة، ومن القوة إلى الضعف، **فإن كانت أحوال الإنسان تتقلب في مدة قصيرة، فيها من الجهد والتعب ما فيها، فإن من باب أولى أن هذه الحياة ستتقلب أحوالها حتى تزول، كما زال الإنسان الذي عاش فوقها**، ومن أدرك هذا أيقن أن لهذا الكون خالق عظيما، ليس كمثله شيء، وأيقن أن هناك حساب، وأن هناك ثواب وعقاب، ونعيم وعذاب!، فمن أراد النجاة من جهد الدنيا ومشقتها، فعليه أن يتبع أوامر الله -سبحانه وتعالى- حتى تستقر نفسه وتصبر، وتشكر وتبصر، وعليه أن يكابد نفسه في الشكر على النعم، والصبر على النقم، وعليه أن يكابد مصائب الدنيا فيصبر ويشكر، ويعمل ويخلص، فاللهم أكرمنا بنعيمك الذي لا يزول، ونعوذ بك من عذابك الذي لا يزول، ولا حول ولا قوة إلا بك.

١١١٣. فلْتعلمْ يا أخي أن من أعظم النعم التي قد ينالها الإنسان في هذه الدنيا أن ييسره الله -سبحانه وتعالى- للخير، فيسهل له طريق الخير، ويهديه له، ويعينه

---

(١) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ٢٢ | الصفحة ٢٩٣ | تفسير سورة البلد | الآية ٤ | مؤسسة الرسالة | بيروت

عليه، ومن أكبر النقم التي قد يصيبها الإنسان أن تقوده أفعاله للشر، فيعسر الله -سبحانه وتعالى- عليه سبل الخير -نسأل الله سبحانه وتعالى العافية-!، قال تعالى في سورة الليل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾، هذه الآيات العظام، تعطي معنى مهمًا لأصحاب النفوس النقية، وهي أن السعي في تصديق الله -سبحانه وتعالى-، والإنفاق في سبل الخير، والحرص على تقوى الله -سبحانه وتعالى-؛ سبيل لنيل الهدى من الله -سبحانه وتعالى-، بل إن من نعم الله -سبحانه وتعالى- على عباده أنه كلما رأى عبده سلك بابًا للخير يسر له أبواب أخرى لم يكن ليدري بها، وزاده من فضله وكرمه ما شاء له أن يكون!، فاللهم اجعلنا برحمتك ممن يسرتهم لليسرى، كما أننا في هذه الآيات نرى أهمية الإنفاق لكل مسلم، فإن الله -سبحانه وتعالى- قد جعل الإنفاق في كثير من المواضع؛ باب للصدق وباب للخير، كما جعل الإنفاق باب ينال منه الإنسان رحمة من الرحمات، وباب يظهر صدق القلب وإخلاصه وتميزه عن النفاق!، وأظن أن كل عاقل قرأ كتاب الله -سبحانه وتعالى- يعي أهمية الإنفاق في سبل الخير، ويعي أهمية السعي لذلك بكل ما أوتي من قوة!، أما الشق الثاني -والعياذ بالله-، وهم الذين صار طريق الشر طريقهم، تكبروا على الإيمان بالله -سبحانه وتعالى-، وازدادوا شرًا وقبحًا، وأموالهم كانت سبيلًا لطغيانهم، فما يكون مصير هؤلاء إلا أن يُسروا للنار بما اقترفته أيديهم من أفعال الشر، فاللهم نعوذ بك أن نكون منهم!

١١١٤. فلتعلم يا أخي أن هناك فرق بين الواجب والإحسان، فما يجب عليك هو ما تقوم به لأنك ملزم به، وليس قيامك بما وجب عليك منة أو فضل!، أما الإحسان فهو أن تحسن وأنت غير ملزم بذلك -الإحسان الغير واجب، وهناك

إحسان واجب-، هذه المعاني فيها لفتة طيبة لعلاج مشكلة نراها عند كثير من الناس، فتراه يقول لقد أحسنت لفلان ولم يحسن إلي، ولقد أحسنت لوالدي ولم يذكرا فضلي!، ووقفت بجانب صديقي لكنه كان "قليل أصل"...إلى آخره، هذه الكلمات توحي بهم قد اهتم به صاحبه وآلمه!، وعادة ما نرى هذه الكلمات من قلوب طيبة أو مرهفة، أو قلوب أساءت الاختيار!، ولنبدأ من الجزئية الأولى، **فعلى الإنسان أولًا أن يميز بين ما وجب عليه وما أحسن به!، فما يجب عليك القيام به هو ملزم لك لا منة لك فيه!، كالموظف الذي يعمل في دائرة حكومية أو الطبيب الذي يعمل في مستشفى أو الولد حين يبر والديه...إلى آخره، فحين يقوم هذا الشخص بما وجب عليه، فإنه ليس له منة ولا فضل!، بل هذا عملك ومن نطاق ما تلزم به!**، وأما ما أحسن به على غيره، فهو يجب أن يخرج من نفس طيبة لا تريد جزاءً ولا شكورًا!، وفي كلا الحالتين، يجب أن يكون التعامل ليس ليعترف أحدهم بفضلك أو يثني عليك أو ليقف بجانبك!، **بل إنك لا تفعل ذلك إلا مرضاة لله -سبحانه وتعالى-، ومن فعل هذا مرضاة لله -سبحانه وتعالى- لن يهمه لو خذله الناس فلم يشكروه أو يقفوا بجانبه!، بل على النقيض من ذلك، من أراد رضى الله -سبحانه وتعالى- ذُكر بالخير رُغمًا عنه!، ومن فعل ذلك سعيًا لمرضاة الله -سبحانه وتعالى-، فعلى ماذا يصيبه الهم والغم إن تركه الناس؟!**، ألم تسمع قوله تعالى في سورة الليل: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴿٢١﴾﴾، ألم تسمع قوله تعالى في سورة الإنسان: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ﴿١٢﴾﴾، انظر لجمال هذه الآيات، التي تعطيك الحكمة وتعطيك ثوابها، ألا يكفيك من عملك هذا أن ينالك الرضا من الله -سبحانه وتعالى- فترضى في

جناته؟!، فإن كان هذا كافيا لك، فاسعَ لرضا الله -سبحانه وتعالى- ودع عنك الناس، فإنهم لن ينفعوك ولن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وهذا يقودنا إلى الجزئية الثانية، وهي لمن لا يشكر الناس على إحسانهم ولا يقف بجانبهم عند حاجتهم ومن يجحد فضل من أحسن إليه!، قال تعالى في سورة الرحمن: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾؟!، **إن من أحسن إليك لا يكون جزاؤه إلا الإحسان!، وأقل ذلك أن لا تجحده إحسانه وأن تشكره على ذلك!**، وهذا يقودنا للجزئية الثالثة، وهي أننا في سعينا لشكر الإحسان لا نغلو!، لأن الغلو في ذلك قد يُدخل الذلة في قلب أحدهم، وقد يفتح هذا الغلو باب للشيطان ليصل إلى قلب المحسن فيحرفه عن مساره!، ولتعلم أن الهم والغم والألم والتعب لأن الناس لم يشكروك أو لم يذكروك فجحدوا فضلك؛ لا ينبغي للقلوب الصادقة القوية، وإن صادفها الحزن فلا يكبر ولا يمنع صاحبه عن الخير والطاعات، ولا يؤلمه فيجلس كئيبًا يملؤه الأسى!، فاللهم اجعلنا ممن عمل وكان منهجه ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾، وممن كان منهجه ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴾، اللهم آمين.

١١١٥. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- لن يتركك، ولن يضيع أمرك، ولن ينساك، فأحسن الظن بربك -جل في علاه-، وارض بقضائه، واصبر لحكمه، وسترى خيرًا عظيمًا بإذنه -سبحانه وتعالى-، خيرًا قد يكون فيما قد ظننته شرًا!، وخيرًا ستجده في قلبك ومحياك لصبرك في الدنيا ونعيم في الآخرة!، فاللهم رحمتك نرجو، ولا حول ولا قوة إلا بك.

١١١٦. يا أخي، "لا تسيء معاملة اليتيم، ولا يضق صدرك عليه، ولا تنهره، بل أكرمه، وأعطه ما تيسر، واصنع به كما تحب أن يصنع بولدك من بعدك"[١]، ألم

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | =

تسمع قوله تعالى في سورة الضحى: ﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ ﴾؟!، ألم تسمع قوله ﷺ: "أنا وكافِلُ اليَتِيمِ في الجَنَّةِ هَكَذا وقالَ بإصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ والوُسْطَى."[1]؟!، وإياك يا أخي من نهر السائل، أكان هذا السائل طالبًا للمال أو الطعام أو العلم، فإما أن تعطي بإحسان، وإما أن ترده بإحسان!، ألم تسمع قوله تعالى في سورة الضحى: ﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ ﴾؟!، فاللهم رحمتك نرجو، ولا حول ولا قوة إلا بك.

١١١٧. فلتعلم يا أخي أن الإنسان صاحب الفطرة السليمة يهتم لحاله وحال أهله وأقاربه، ويسعى لتأمين أهله وولده ويظهر لهم أسمى آيات المحبة والرحمة والعطف، ويخاف عليهم ويخشى من فقدانهم، وتجده يخشى على أبنائه من بعده، وهذا مما يحمد صاحبه عليه ما لم يجاوز الحد!، الحد الذي يؤرق صاحبه ويزعجه!، **فإذا سيطر الحب على قلب صاحبه، وملأ الخوف جوفه على من حوله، دخل مرحلة مرضية، يجب علاجها،** ومن أشهر هذه المظاهر؛ **الخوف على الأبناء في حال موت الآباء!، هذا الخوف يقود أصحابه حقيقة لأمراض كثيرة قد يظهر أبرزها في التوتر الشديد، أو الخوف الشديد أو المبالغة في العطايا أو الحرص المرضي على الأبناء!،** وهذا الأمر يحتاج إلى علاج مهم، يبدأ من فهم، من أنا ولمَ أنا؟، ما هي النفس وما هي سبل تزكيتها؟، وما هي الدنيا وما فيها؟، تحتاج فيها النفس للتفريق بين المعقولات والتوقعات!، فمن كانت توقعاته ضمن معقولاته كان ذلك له خط من خطوط الدفاع، فهل يمكن أن يموت ولدي الآن؟، وهل يمكن أن يموت بعد

= الطبعة الأولى | تفسير سورة الضحى | الجزء الثلاثون | الآية ٩ | الصفحة ٩٢٦ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(١) الراوي: سهل بن سعد الساعدي | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٠٠٥ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

ساعة؟، وهل يمكن أن يموت غدًا؟، وهل يمكن أن يموت بعد سنة؟، ماذا عني، هل أنا من سيموت الآن؟، أم بعد ساعة؟، أم بعد سنة؟، أسأسبق ولدي أم سأسبق والدي؟، أم هم من سيسبقونني؟!، الجواب على هذا كله، أن هذا كله ممكن، فمن كان مدرك لهذا فهو مدرك لما سيصير حتى وإن صار، ويكون الحزن حينها حزنًا نابعًا من طبيعتنا البشرية، وهذا يعني أن صاحب هذه النفس مدرك أن هذه الدنيا دار ممر، وهي دار البلاء، ودار الامتحان، فإن كان ما نخشاه سيحصل، فوجب العمل وتربية النفس على التعامل مع ما نخشاه لا أن نضيف خوفًا إلى خوفنا، وخشية إلى خشيتنا!، وبالعودة إلى مثال الخوف على الأبناء من الضياع إن فُقد الآباء، قال تعالى في سورة النساء: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾، انظر جمال الوصف، ففي هذه الآية الكريمة أمر الله -سبحانه وتعالى- الأوصياء بالحرص على أمر اليتيم، وأن يتقوا الله -سبحانه وتعالى- وأن يخشوه فيهم!، وهذا يعني أنك إن كنت تخشى على أبنائك فاخشَ على اليتامى إن وصيت عليهم، وذلك كما تحب أن يعامل أبناءك، وهذه إشارة مهمة إلى أهمية التكافل بين المسلمين، وأن يحرص قويهم على ضعيفهم، وهذا فيه إشارة أخرى، **وهو أن من خشي على أبنائه فعليه بتقوى الله -سبحانه وتعالى- في أقواله وأفعاله، وهذا من أعظم ما يمكن أن يقدمه الوالدين لأبنائهم إن خافوا عليهم حقًا!،** ألم تسمع قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾، هذين الغلامين اليتيمين الضعيفين تكفلهم الله -سبحانه وتعالى-، ويسر لهم بصلاح والدهما سيدنا موسى والخضر -عليهما السلام-، وأضف إلى ذلك الحرص في ديننا

الحنيف على الأبناء وحفظ حقوقهم، بالشكل الذي لو وعيناه لسكن الروع، ومن هذا الحرص ما رواه سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه-: "عَادَنِي النَّبِيُّ ﷺ عَامَ حَجَّةِ الوَدَاعِ مِن مَرَضٍ أشْفَيْتُ منه علَى المَوْتِ، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، بَلَغَ بي مِنَ الوَجَعِ ما تَرَى، وأَنَا ذُو مَالٍ، ولَا يَرِثُنِي إلَّا ابْنَةٌ لي واحِدَةٌ، أفَأَتَصَدَّقُ بثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فأتَصَدَّقُ بشَطْرِهِ؟ قَالَ: الثُّلُثُ يا سَعْدُ، والثُّلُثُ كَثِيرٌ، إنَّكَ أنْ تَذَرَ ذُرِّيَّتَكَ أغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِن أنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، ولَسْتَ بنَافِقٍ نَفَقَةً تَبْتَغِي بهَا وجْهَ اللهِ، إلَّا آجَرَكَ الله بهَا، حتَّى اللُّقْمَةَ تَجْعَلُهَا في فِي امْرَأَتِكَ..."، فانظر جمال هذا الميزان!، لذلك يا أخي، ليكن الله -سبحانه وتعالى-عندك قبل كل شيء!، ولتكن تزكية نفسك ثانيًا، وليكن الآخر ثالثًا، فإن علمت أن الله -سبحانه وتعالى- هو الحكيم العليم القادر المقتدر، له الأسماء الحسنى والصفات العلا، هان عليك أمر الدنيا بما فيها، واتبعت أوامره وأحكامه التي ستقودك إلى الشطر الثاني، وهي علمك بنفسك وتزكيتها، فإن زكيت نفسك قادتك إلى الشطر الثالث وهو حسن تصرفك وتعاملك مع الآخرين، وضبط مشاعر خوفك ورجائك، وضبط ميزان المعقولات والتوقعات عندك!، **فإن كان هذا آثرت على نفسك ما تحب لأنك تدرك ما تحب!، ومدرك لعظم ما تفعل وما آثرت على ما تحب!**، فإن كان هذا كله، عَلم الخائف أن من يَخشى عليه خاضع لملكوت الله -سبحانه وتعالى- كما هو خاضع له!، فإن رأى ذلك، تقرب إلى الله -سبحانه وتعالى- واتقاه، وصان غيره وحفظهم في ضعفهم قبل قوتهم، **ثم أخذ بأسباب النجاة في الدنيا فلا يسرف في ماله ولا يضيعه، وينفق في سبيل الله -سبحانه وتعالى- ثم لا ينسى نصيبه من الدنيا، ولا ينسى أن يدخر ما يعين به أبناءه!، ومن أسباب النجاة أن تربي إنسانًا لا مخنثًا ولا ممسوخًا، محسن للتصرف مدرك لمعنى الحياة وما فيها!، ولتكن لينًا محبًا في موضع المحبة واللين، شديدًا ذا عزم في**

مواقف الشدة وذا حزم فيها!، واجعل من تخاف عليهم في ودائع الرحمن، وليطمئن قلبك بأن ما كتب عليك وعليهم سترونه، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١١١٨. قال تعالى في سورة الضحى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾، قال السعدي -رحمه الله-: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ وهذا يشمل النعم الدينية والدنيوية ﴿فَحَدِّثْ﴾ أي: أثن على الله بها، وخصصها بالذكر إن كان هناك مصلحة. وإلا فحدث بنعم الله على الإطلاق، فإن التحدث بنعمة الله، داعٍ لشكرها، وموجب لتحبيب القلوب إلى من أنعم بها، فإن القلوب مجبولة على محبة المحسن."[١]، وقال القرطبي -رحمه الله-: "قوله تعالى: وأما بنعمة ربك فحدث أي انشر ما أنعم الله عليك بالشكر والثناء. والتحدث بنعم الله، والاعتراف بها شكر. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد وأما بنعمة ربك قال بالقرآن. وعنه قال: بالنبوة أي بلغ ما أرسلت به. والخطاب للنبي ﷺ والحكم عام له ولغيره. وعن الحسن بن علي -رضي الله عنهما- قال: إذا أصبت خيرًا، أو عملت خيرًا فحدث به الثقة من إخوانك."[٢]، هذه الآية الكريمة تدل على أدب عظيم، وما ذكره السعدي -رحمه الله- يشرح ذلك بطريقة مبسطة، وسهلة الفهم، **وهي معادلة، إن أنعم الله -سبحانه وتعالى- عليك، وكان هناك مصلحة في إظهار النعيم حتى تصيب خيرًا في قلوب الحاضرين، كأن تلهف قلوبهم لحب الله -سبحانه وتعالى-، فهذا أمر طيب، لا يصدر إلا من طيب، وأما إن كان هناك كيد وحسد فليظهر أثر نعيم الله -سبحانه وتعالى- عليك، والتحدث بفضل الله -سبحانه وتعالى- بشكل عام، حتى تحبب القلوب وترققها،**

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الضحى | الجزء الثلاثون | الآية ١١ | الصفحة ٩٢٩ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ٢٢ | الصفحة ٣٥١ | تفسير سورة الضحى | الآية ١١ | مؤسسة الرسالة | بيروت

وحتى تُلين قلبك فتتذكر أن هذا من فضل الله -سبحانه وتعالى-، وترغب الناس في الحلال، ومن طرق شكر الله -سبحانه وتعالى- والتحديث بنعمته، أن يُرى مالك على الفقراء والمساكين والمحتاجين!، **وهذه الآية لا تعني ذكر ما لديك من مال أو ثروة!، أو أن تتفاخر بها في المجالس!، بل تعني أن تشكر الله -سبحانه وتعالى- وتثني عليه كلما دعا موقف لذلك**، وأن تستعمل هذا الرزق لتليين القلوب، وأن تستعمل هذا الرزق في أبوابه التي تدخل السرور والفرح، وتفرج الكرب على عباد الله -سبحانه وتعالى- في هذه الأرض!، وهل هناك أجمل من شكر بالقلب ينطقه اللسان وتبوح به الجوارح؟!، وهذا سبيل من سبل الخير، ودليل للنفوس الكريمة، **وهذا كله لا ينافي أن يخفي الإنسان ما لديه إن خشي أمر ما، قال تعالى في سورة يوسف:** ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥﴾، **ففيه جواز الكتمان عند الحاجة!، ومن الحاجات التي يعتد بها عند الكتم، هي الخوف من الرياء!، وبهذا، يمكن للإنسان أن يفكر بطريقة سوية، متى يكتم أمره، ومتى يتحدث بعموم الرزق والنعيم، ومتى يتحدث ببعض الخصوص**، فاللهم لك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، الحمد لله رب العالمين.

١١١٩. فلْتعلمْ يا أخي أن الشدة والألم والصعاب مهما بلغت من الإنسان مبلغها، فإنه سيأتي يوم يلازمه اليسر فيزيل العسر!، ألم تسمع قوله تعالى في سورة الشرح: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ٦﴾؟!، فاللهم رحمتك نرجو، ولا حول ولا قوة إلا بك.

١١٢٠. يا أخي، إن الفراغ للإنسان إما نعمة وإما نقمة!، فهي نعمة عند مَن إذا فرغ شكر الله -سبحانه وتعالى- وألقى الدنيا وتوجه إليه بالشكر والامتنان، والعبادة والدعاء، والعلم وما يُسر له من صلاح وخير!، والفراغ نقمة على من أضاع وقت

فراغه بلا أي عمل!، لأن اللا عمل = وسوسة ومعصية، وكفٌّ عن الخير وقرب للشر!، ولا أجد شرًا أعظم من فراغ أعطي لفارغ!، قال تعالى في سورة الشرح: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧﴾، أي أنك إذا فرغت من أعمالك، ولم تجد في قلبك ما يعوقه، فاجتهد في العبادة والدعاء، وقم إليها نشيطًا مخلصًا النية في قلبك، مستغلًا ما أتيح لك من فراغ فيما ينفعك!، وابتعد عن الكسل الذي لا يطعمك ولا يعلمك ولا يهديك سبيل الرشاد!، فاللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم.

١١٢١. فلْتعلمْ يا أخي أن الإسلام لم يترك بابًا فيه حث على العلم النافع إلا وطرقه!، بل إن أول آيات أنزلت من القرآن كانت تحث على ذلك، "اقرأ"، قال تعالى في سورة العلق: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾، **هذه الآيات الكريمة تشير لمعان عظيمة، فابتدأت ب"اقرأ"، ثم أشارت إلى الخالق العظيم، وقدرته وعظمته في خلقه، وكأن القراءة ستقودك للعلم التام بوجود خالق عليم، ولا يليق بالعلم أن يقودك لغير ذلك!، كما أنها ستقودك للعلم بعظم الله -سبحانه وتعالى- وجلالته وعظم قدرته، وستعايشها بيقين في القلب، وانبهار في العقل!**، وبالعلم ستنقاد لاتباع أوامر الله -سبحانه وتعالى- في هذه الحياة كما رضي لنا -جل في علاه-!، وفيها أن العلم لله -سبحانه وتعالى-، هو من علم الإنسان، ووضع لهذه الحياة قوانينها المتقنة!، وأعطانا العقل والإرادة، وأحسن خلقنا، وفتح الباب لعقولنا حتى نتعلم؛ فنعمر هذه الأرض بأفضل طريقة ممكنة، مع تبسيط صعاب هذه الحياة بما عُلمنا، **وأرشدنا إلى القلم، فتعلمنا الخط والكتابة!، وكانت هذه نعمة عظيمة للبشرية!، فبها وثقت العلوم وحفظت، ونقلت العلوم والأخبار!، ولولاها لاندثرت العلوم وما تمكنت!**، قال ابن كثير -رحمه الله-: "فأول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات

وهن أول رحمة رحم الله بها العباد، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم، وفيها التنبيه على خلق الإنسان من علقة، وأن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم، فشرفه وكرمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة والعلم تارة يكون في الأذهان، وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون في الكتابة بالبنان، ذهني ولفظي ورسمي، والرسمي يستلزمهما من غير عكس، فلهذا قال: ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ وفي الأثر: قيدوا العلم بالكتابة. وفيه أيضا: من عمل بما علم رزقه الله علم ما لم يكن يعلم."[1]، وقال القرطبي -رحمه الله-: "قوله تعالى: الذي علم بالقلم يعني الخط والكتابة؛ أي علم الإنسان الخط بالقلم. وروى سعيد عن قتادة قال: القلم نعمة من الله تعالى عظيمة، لولا ذلك لم يقم دين، ولم يصلح عيش. فدل على كمال كرمه سبحانه، بأنه علم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبه على فضل علم الكتابة، لما فيه من المنافع العظيمة، التي لا يحيط بها إلا هو. وما دونت العلوم، ولا قيدت الحكم، ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم، ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة؛ ولولا هي ما استقامت أمور الدين والدنيا."[2]، إذن، وبناءً على ما سبق، تكون القاعدة، قراءة تربطك بخالقك، وكتابة توثق ما قرأت وما تعلمت، وعملًا على الجوارح يوافق ما تعلمت = خير كثير، فاللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم.

١١٢٢. يا أخي، إياك أن تمنع أو تنهى إنسانًا عن طاعة الله -سبحانه وتعالى-، وإياك أن تمنع إنسانًا عن صلاته وقيامه ظلمًا وعدوانًا!، ولْتعلمْ أن هذا الفعل؛ هو

---

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ٢٠١١ | تفسير سورة العلق | الآية ١-٥ | دار ابن حزم | بيروت

(٢) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ٢٢ | الصفحة ٣٧٧ | تفسير سورة العلق | الآية ١-٥ | مؤسسة الرسالة | بيروت

فعل المفسدين في الأرض، ومن طغوا فيها!، فاحذر أن تكون منهم!، وإياك يا أخي أن تصغي لنهي من نهاك عن عبادة الله -سبحانه وتعالى- وإقامة الصلاة، فإن ما أمرك به فيه خسارة الدنيا والآخرة -والعياذ بالله-، بل تقرب إلى الله -سبحانه وتعالى- بالطاعات والقربات، حتى تعلو منزلتك في الدنيا والآخرة، فاللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم آمين.

١١٢٣. فلْتعلمْ يا أخي أن ليلة القدر ليلة عظيمة، العبادة فيها ليست كالعبادة في غيرها من الليالي!، ليلة عظمها الله -سبحانه وتعالى- وعظم ذكرها، وجعل أجرها خير من ألف شهر!، فإن رزقك الله -سبحانه وتعالى- عمرًا حتى تشهد شهر رمضان، وتشهد العشر الأواخر، فاجتهد ما استطعت فيها حتى تنال أجرها وما فيها من الرحمات، قال تعالى في سورة القدر: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾، لذلك يا أخي، **اجتهد في تلك الليالي ما استطعت، ودع عنك تحديد تاريخها أهي ليلة الحادي والعشرين أم الليلة التاسع والعشرين!، فإن علمها اليقين عند الخالق العظيم**، وقد روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "مَن قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيمَانًا واحْتِسَابًا، غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ، ومَن صَامَ رَمَضَانَ إيمَانًا واحْتِسَابًا غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ."(١)، فاللهم اجعلنا ممن يشهد رمضان، واجعلنا برحمتك ممن قامه إيمانا واحتسابا، اللهم آمين.

١١٢٤. يا أخي، اعلم أن يسير الخير يوشك أن يكثر، وأن يسير الذنب يوشك أن يكثر، فلا تستصغر الخير فإن الله -سبحانه وتعالى- يضاعفه، ولا تستصغر

---

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ١٩٠١ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

الذنب حتى لا يهلكك!، قال تعالى في سورة الزلزلة: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾، هذه الآيات العظيمة تغني عن أي موعظة، مثقال ذرة من الخير أو الشر سوف تراها وستحاسب عليها، فما أنت فاعل؟!، وقد روى أبو ذر الغفاري -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعروفِ شيئًا، ولو أنْ تَلْقَى أخاكَ بوَجْهٍ طَلْقٍ"(١)، وروى عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "إيَّاكُم ومحقَّراتِ الذُّنوبِ فإنَّهنَّ يجتمِعنَ على الرَّجلِ حتَّى يُهلِكنَهُ كرجلٍ كانَ بأرضِ فلاةٍ فحضرَ صنيعُ القومِ فجعلَ الرَّجلُ يجيءُ بالعودِ والرَّجلُ يجيءُ بالعودِ حتَّى جمعوا من ذلِكَ سوادًا وأجَّجوا نارًا فأنضجوا ما فيها"(٢)، ومما قاله القرطبي -رحمه الله-: "قال ابن مسعود: هذه أحكم آية في القرآن، وصدق. وقد اتفق العلماء على عموم هذه الآية؛ القائلون بالعموم ومن لم يقل به. وروى كعب الأحبار أنه قال: لقد أنزل الله على محمد آيتين أحصتا ما في التوراة والإنجيل والزبور والصحف: فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره. قال الشيخ أبو مدين في قوله تعالى: فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره قال: في الحال قبل المآل. وكان النبي ﷺ يسمي هذه الآية الآية الجامعة الفاذة...، وقال الحسن: قدم صعصعة عم الفرزدق على النبي ﷺ، فلما سمع فمن يعمل مثقال ذرة الآيات قال: لا أبالي ألا أسمع من القرآن غيرها، حسبي، فقد انتهت الموعظة؛ ذكره الثعلبي. ولفظ الماوردي: وروي أن صعصعة بن ناجية جد الفرزدق أتى النبي ﷺ يستقرئه، فقرأ عليه هذه الآية؛ فقال

---

(١) الراوي: أبو ذر الغفاري | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٦٢٦ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) الراوي: عبدالله بن مسعود | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الجامع الصفحة أو الرقم: ٢٦٨٧ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

صعصعة: حسبي حسبي؛ إن عملت مثقال ذرة شرا رأيته"[(١)]، فسبحان العظيم الذي بلغ بيان كتابه عظمة تبهر العقول والقلوب فترشدها!، فسبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

١١٢٥. قال تعالى في سورة التكاثر: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾، هذه الآيات العظيمة توبخ كل من كان همه الدنيا، كل من كان همه التكاثر فيها بالمال أو الولد أو العشيرة أو التجارة ونحو ذلك، فيطلب ذلك رياء أو جاه أو شهرة أو قوة، لا إخلاصًا لله -سبحانه وتعالى- وطلبًا لرضاه!، فمن كان مقصده المباهاة أمام الناس، وتحدى أقرانه بكثرة المال أو الولد ونحو ذلك، دخل في هذا الباب -والعياذ بالله-، أما من كانت أعماله هذه يبتغي بها وجه الله -سبحانه وتعالى-، وأعطى حقها كما أُمر، كانت نعم الفضل لنعم العبد الصالح!، وهذه الأحوال هي أحوال الناس، بين مخلص لله -سبحانه وتعالى- وبين مكاثر فيما لديه متناسيا الآخرة -والعياذ بالله-!، قال ابن كثير -رحمه الله-: "يقول تعالى: شغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها، وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر؛ وصرتم من أهلها؟!...، وقال مسلم في صحيحه: قال رسول الله ﷺ: يقول العبد: مالي مالي؟ وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو تصدق فاقتنى وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس....، وقال البخاري: قال رسول الله ﷺ: يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد: يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله...، وقال الإمام أحمد: أن النبي

(١) منقول بإيجاز | كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ٢٢ | الصفحة ٤٢٣-٤٢٤ | تفسير سورة الزلزلة | الآية ٧-٨ | مؤسسة الرسالة | بيروت

ﷺ قال: يهرم ابن آدم وتبقى منه اثنتان: الحرص والأمل"(١)، وقال البغوي -رحمه الله-: "ألهاكم التكاثر، أي شغلتكم المباهاة والمفاخرة والمكاثرة بكثرة المال والعدد عن طاعة ربكم وما ينجيكم من سخطه، ﴿ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ﴾ حتى متم ودفنتم في المقابر"(٢)، لذلك يا أخي، اتق الله -جل في علاه-، واحرص على ألا تشغلك الدنيا بما فيها من ملذات ومسرات، عن الآخرة بما فيها من نعيم وثواب، وجزاء وعقاب!، وإياك أن تكون الدنيا أكبر همك ومبلغ علمك!، وإياك أن يكون نصرك وفرحك في علوك على غيرك ومكاثرتك إياه!، فاللهم اجعلنا برحمتك أقرب إليك، وبما رزقتنا وأنعمت علينا منيبين إليك، اللهم آمين.

١١٢٦. فلْتعلمْ يا أخي أن كل نعمة أُعطيتها، أنت مسئول عنها!، فاحرص على تحضير الجواب قبل السؤال!، فإن سألت عن أي نعيم أتحدث، قلت: هو كل خير تجده، ابتداء من حواسك وعقلك وقلبك وبدنك ومالك وطعامك وشرابك، وصولًا لصحتك وفراغك وأمنك على أهلك ومالك، مرورًا بلذة نومك وظل يريحك ومسكن يأويك!...إلى آخره -مما لا يحصى-، فإما أن تكون شاكرًا لأنعم ربك -جل في علاه-، وإما أن تكون كافرًا بها والعياذ بالله!، والشكر لا يكون إلا بإظهار الامتنان لله -سبحانه وتعالى- على ذلك، بذكره وشكره باللسان، وبالجوارح والأفعال! فمن أطاع الله -سبحانه وتعالى- وجعل هذه النعم في موضعها الذي

---

(١) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ٢٠٢٦ | تفسير سورة التكاثر | الآية ١-٢ | دار ابن حزم | بيروت

(٢) كتاب معالم التنزيل (تفسير البغوي) | أبي محمد البغوي | المجلد الثامن | تفسير سورة التكاثر | الصفحة ٥١٧ | الآية ١-٢ | دار طيبة | الرياض

ارتضاه خالقها؛ كانت نعم النعمة للعبد الصالح!، فاللهم اجعلنا من عبادك الصالحين الشاكرين الحامدين التائبين القانتين المستغفرين، اللهم آمين.

١١٢٧. يا أخي إن رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، بذلوا الغالي والنفيس حتى يصل الدين إلينا، فجزاهم الله -سبحانه وتعالى- عنا خير الجزاء!، ومما مروا به من صعاب وجهاد، جهاد البطن لما لحقه من جوع شديد!، وكل ذلك مع أن الملك كان بأيديهم!، بل إن رسول الله ﷺ، وأبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب -رضي الله عنهم- قد أخرجهم الجوع يومًا!، وفوق هذا فإن أصناف الطعام -في زمانهم- وأنواعها قليلة!، ومع ذلك لم تكن نفوسهم إلا أقوى وأسمى، وعلت حتى صارت كنجوم تتلألأ في السماء!، وكثير منا اليوم، لا ينصر دينه ولا نبيه -عليه الصلاة والسلام- بالامتناع عن طعام أعده عدوه له، فترى العدو يأخذ مالهم، ويستفزهم بأغلى ما عندهم، ثم هم يعودون ليتناولون منتجاتهم وطعامهم!، ويا ليتها لحاجة!، بضع تمرات ولبن، كانت غذاء لأقوى الجيوش وأشرفها، وكثير طعام متعدد أصنافه وألوانه لم يكن للغثاء إلا كمنوم أنام عزتهم وكرامتهم!، ومن مشاهد الذل أن كثير من الغثاء لا يمتنعون عن المحرمات التي تبثها قنوات الأعداء وشبكاتها، والتى لا تبث إلا السموم، ظاهرة وباطنة؛ على شكل أفلام أو مسلسلات أو حفلات أو برامج أطفال ونحو ذلك!، إفساد في إفساد، وتضييع للدين والمال والوقت والأهل، وتخاذل عن نصرة خير البشر ﷺ، كل هذا ونحن لم نتحدث بعد عن جهادهم جهاد السيف والمال!، فتخيل أنك تعطي مالك **بكامل الحب** لمن قتل ابنك، واغتصب زوجتك، وعذب أخاك، وأذل أباك، وبصق في وجه أمك؟!، هل يكون ذلك من إنسان سوي؟!، فما بالك بمن فعل هذا وفعل ما هو أشنع من ذلك؟!، ومع هذا، بفضل الله -سبحانه وتعالى-، هناك الكثير من الغيورين على دينهم وعلى نبيهم -عليه الصلاة

والسلام-، وقد خضنا تجربة رائعة في الامتناع عن كل منتج يمت بأي صلة، لكل من أساء لديننا ونبينا، ثم حرصنا على الامتناع عن كل ما نقدر عليه من منتوجات غريبة، وحرصنا على استبدالها بمنتج مما تنتجه أيدينا!، وبفضل الله -سبحانه وتعالى- كانت النتيجة رائعة، فمحاربة اللذات والشهوات والانتصار عليها نصرة لنبيك المصطفى ﷺ، تعطيك عزة ونشوة لن تصل إليها من دون ذلك، ونسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يجزينا خير الجزاء على أننا سعينا بكل ما قدرنا عليه لنصرة دينه ونصرة نبيه ﷺ، ونسأله سبحانه وتعالى أن يهدينا وأن يهدي إخواننا وأن يوحد قلوبنا على لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وأن يعزنا بالإسلام، ويعز الإسلام بنا، والأمر كله لله -جل في علاه-، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ملاحظة ١: علم ابنك العزة من صغره، وعلمه أن الكرامة والعزة هي سمة الإنسان، وأن الذل والهوان لا يليق إلا بالخسيس الذليل، علمه أن يدعم أهله وأهل دينه حتى بأقل الأشياء، وكن قدوة حسنة له!، وليرى بك العزة!

ملاحظة ٢: تخيل أن ينادي رب العزة -جل في علاه- يوم القيامة على عباده الذين نصروا دينه ونصروا نبيه ﷺ، فنكون منهم!، تخيل أن يلقاك رسول الله ﷺ عند الحوض مبتسمًا، فيناديك بأحب أسمائك ويقول لك، أهلًا بمن نصرني ولم يرني!، يا رب، رحمتك نرجو، ولا حول ولا قوة إلا بك.

١١٢٨. فلْتعلمْ يا أخي أن الإنسان في خسران حتى آخر يوم في حياته، فإما أن تخسر من صحتك شيئًا، أو تخسر من مالك أو أهلك أو عقلك أو أصحابك أو أمنك شيئا...!، ومع هذا، فإن الخسران الأكبر هو خسران الدنيا والآخرة، وذلك بالكفر أو الشرك أو الفسوق والطغيان!، فمن كان هذا حاله سمي على وجه الحقيقة ذو خسر!، أما من آمن بالله -سبحانه وتعالى-، وعمل صالحا، وتواصى بالحق وتواصى

بالصبر، فإنه من الفائزين في الدنيا والآخرة -بإذن الله تعالى-، فإن قيل، كيف هذا وقد صار إليه بعض الخسران كما صار لغيره من أهل الكفر والضلال؟!، قلنا، إن الدنيا دار زوال، وما فيها أحق بالزوال!، فمن علم زواله علم نقصانه، لكن نقصانه هذا إما أن يكون في خير وصلاح، وإما أن يكون في شر وطغيان، فمن كان نقصانه في صلاح، فهذا على وجه الحقيقة "زيادة" لا نقصان!، لأن ما نقص من المؤمن بسبب تعاقب الزمان، كان في مقابله زيادة في الخير والأجر والعمل الصالح، وكان في مقابله رضا ورضوان من الله -سبحانه وتعالى- على عباده المؤمنين الصالحين!، أما من كان نقصانه في شر وطغيان، فهو صاحب الخسارة وصاحب النقصان، قد أضاع خيري الدنيا والآخرة!، قال البغوي -رحمه الله-: "روى ابن عون عن إبراهيم قال: أراد أن الإنسان إذا عمر في الدنيا وهرم، لفي نقص وتراجع إلا المؤمنين، فإنهم يكتب لهم أجورهم ومحاسن أعمالهم التي كانوا يعملونها في شبابهم وصحتهم، وهي مثل قوله: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات"(١)، فاللهم نعوذ بك أن نكون من الخاسرين، ونسألك برحمتك أن نكون من عبادك المؤمنين، اللهم آمين.

١١٢٩. يا أخي، لا تكن من الناس التي ما أن ترى رجلًا ذكرت محاسنه وذاع ذكره بالخير، إلا ووثبت ثم بحثت عن كل عيب فيه؛ حتى تنشره بين الناس!، بل الأشد من هذا أن تصطنع له عيبًا!، واعلم أن البشر من غير المعصومين الذين عصمهم الله -سبحانه وتعالى-؛ لديهم من الذنوب والآثام ما لديهم!، لكن ستر الله -سبحانه وتعالى- وعافيته أعظم وأجل، فإن كان الله -سبحانه وتعالى- قد ستر على

---

(١) كتاب معالم التنزيل (تفسير البغوي) | أبي محمد البغوي | المجلد الثامن | تفسير سورة العصر | الصفحة ٥٢٥-٥٢٦ | الآية ٣ | دار طيبة | الرياض

عباده، فلماذا تبحث أنت عما ستر عنك؟!، فاللهم نعوذ بك أن نكون من هؤلاء!، وهذا بكل تأكيد، لا يشمل من وجب فضحه وفضح كذبه!، كمثل الدجال وقارئ الفنجان!، فإن إظهار كذبهم وفجورهم وفسقهم ودجلهم مما حث عليه الشارع!، والله المستعان!

١١٣٠. فلْتعلمْ يا أخي أن هناك أوجه متعددة لفعل الخير، فقد تكون في حال تقدر فيها على فعل الخير، فتفعله وتؤجر، وقد تكون في حال لا تقدر فيها على فعل الخير، لكنك لا تكل من حث الآخرين على ذلك!، وقد تكون ذو حظ عظيم، فتعمل الخير، وتحث عليه -اللهم اجعلنا منهم-!، ولْتعلمْ يا أخي أن هناك أوجه لفعل الشر، فإما أنك تقدر على الشر فتفعله، وإما أنك تحث على الشر ولا تقدر على فعله، وإما أنك تحث على الشر وتفعله، وهذا أشر الناس والعياذ بالله!، فاحرص على أن تكون من أهل الخير وخاصته!

١١٣١. يا أخي، أقم الصلاة في وقتها، وأتم أركانها، واذكر الله -سبحانه وتعالى- فيها ذكرًا كثيرًا، ولا تكن كالمنافقين إذا قاموا للصلاة قاموا كسالى، يراءون الناس!، ينقرون الصلاة نقرًا، فلا يذكرون الله -سبحانه وتعالى- فيها كما ينبغي...، فالله الله بالصلاة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١١٣٢. فلْتعلمْ يا أخي أن الإنسان لا بد له من إله يعبده، ومن دين يتخذه!، فمنهم من يتخذ الأصنام آلهة، ومنهم من يتخذ الحيوانات آلهة، ومنهم من يتخذ "العلم التجريبي" إلهًا!، ومنهم من يتخذ من البشر آلهة!، وكلهم يشتركون في أصل واحد، وهو الكفر بالله -سبحانه وتعالى- واتخاذ دينًا تهواه شهواتهم ورغباتهم!، ومن الناس من يتخذ إلهًا واحدًا جل في علاه، ليس كمثله شيء، يكتفون به عمن سواه، فهو الحق، ووعده الحق، وقوله الحق، ودينه الحق!، والناس على هذا مؤمنون بالله

-سبحانه وتعالى- طائعون له!، أو كافرون به -والعياذ بالله-!، فمن آمن نجا، ومن كفر خسر!، ومن آمن لا يعبد ولا يتبع ولا يتنازل عن إيمانه اتباعًا أو رغبة بما عند الكفار!، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾؟!، ألا تجد التكرار على أهمية عبادة الله -سبحانه وتعالى- والكفر بسواه؟!، ألا تجد الحرص على حفظ الإيمان في قلوب المؤمنين، وذلك من حثهم على الإيمان، وتركهم الكفر كل زمان؟!، ثم ميز الله -سبحانه وتعالى- بين المؤمنين والكافرين، وأظهر أن لكل واحد دينه، فالدين الحق، واحد، وهو الإسلام لا شيء سواه! أما ما دونه من الأديان فهي الباطل...، وهذا يقودنا لخاطرة مهمة، وهي أن هناك من بني جلدتنا أو من عدونا من تسلط علينا لينقض الإسلام ويقضي على أهله!، لكن الإسلام مع ذلك، شامخ أمام دعاوى الليبرالية أو العالمانية الغربية، فدين الإسلام هو الدين الحق، الذي حفظه الله -سبحانه وتعالى- بحفظ كتابه العزيز، وهو الدين الوحيد الذي يمثل منهج حياة متكامل، سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا، وعلى مستوى الفرد أو الجماعة، وعلى مستوى جميع ما تحتاجه أمة ما، في ضبط جميل يُبهر العقول! فالإسلام ليس دين نسك فحسب -مع عظم نسكه والحمد لله-!، بينما الأديان الأخرى كالنصرانية أو اليهودية أو الهندوسية ونحوها، لا تخرج عن كونها اختلاقات بشرية أو تحريفات أضاعت النص وإن بقي بعض أثره، وفي كل ما فيها من باطل، فهي لا تغطي جوانب الحياة، فكان ذلك لزاما لسقوط هذه الأديان من عقول أتباعها، لأن الأفكار الليبرالية جعلت من عقل الفرد وحريته التي يختارها طريقا في معيار الصواب والخطأ عنده، لهذا لم يكن هناك عجب من دعم بعض رجالات الكنيسة الكاثوليكية للشذوذ أو مباركته!، وذلك حتى

لا تتعارض مع العقلية الغربية التي أصبحت مرجعيتها الحرية التي يضبطها الفرد على هواه لإشباع رغباته ونزواته!، أما الإسلام فلم يكن كغيره!، فلا يمكن أن يُسمح للشذوذ ولن يقول به أي مسلم يخشى الله -سبحانه وتعالى-!، ولا يوجد في الإسلام أن التشريع مصدره العقل المتواجد في عقول الأفراد!، بل هناك منهجية واضحة صريحة لا يمكن أن يخالفها أحد، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾، لذلك، اصطدمت الأفكار الليبرالية الغربية مع الإسلام؛ لأن الإسلام دين يغطي جميع جوانب الحياة، سياسة أو اقتصادية، دينية وعسكرية، وكل ذلك على مستوى الفرد والجماعة!، فلم يكن بُد من أن يشوه الحق أو أن يميع حتى يتمكن الأعداء أو الجهلة أو من خُدع من إدخاله لمجتمعاتنا...، وحتى نبقى في نفس الفكرة ونفس الطرح، دعونا نركز على جزئية مهمة مما يحاول ترويجه أصحاب هذا التوجه، وهي الحرية الدينية والحرية الاقتصادية والحرية الجنسية!، فالحرية الجنسية على سبيل المثال بمحاولة تقنين الشذوذ أو السماح به أو جعله أمرا مقبولا في مجتمعاتنا، والحرية الاقتصادية مثلا تمكن الفرد من التصرف في ماله كما يشاء، ودون أن يحق لأحد منعه أو نهيه من دين أو سلطة!، والحرية الدينية من خلال التسامح وإقرار العقائد الباطلة والسماح بها والسماح بولوجها لمجتمعاتنا، وذلك كمثل الترويج للدين الإبراهيمي مثلا!...، والأمثلة كثيرة على كل باب، لكن السؤال المهم هنا، هل يذكرك هذا بشيء؟!، نعم، هذه الحالات ليست بجديدة، بل كانت هي ذاتها أحوال أقوام قد أُهلكوا بعقاب أو بعذاب أليم!، انظر قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾، لاحظ، يريدون حرية جنسية!، يمارسون فاحشتهم جهارا، وهو الحال الذي يطلبه دعاة هذه الفاحشة

اليوم!، وينكرون على دعاة الخير أو حتى دعاة الإنسانية ممن تبقى لهم أثر خير من أثار دينهم!، وما حال دعاة الشذوذ إِلَّا: ﴿أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾، وكذلك الحال للحرية الاقتصادية، فقال قوم مدين لسيدنا شعيب عليه السلام: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾، لاحظ، يريدون حرية التصرف في أموالهم كيفما شاؤوا!، لسان حالهم، هذا مالنا، فما لك تنهانا عنه؟!، ويشابه ما سبق الحرية الدينية، فانظر لقريش، طلبت من الرسول الكريم ﷺ "حرية دينية" و"تسامح" في الاعتقاد، فقالوا نعبد إلهك وتعبد إلهنا، لكن الله -سبحانه وتعالى- دحض قولهم وحريتهم فقال: ﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ٦٤﴾، وقال: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢﴾...، أرأيت خطورة هذه التوجهات؟!، أرأيت أو أحسست أن هذه التوجهات في ذاتها عقيدة يؤمن بها أصحابها؟!، عقيدة اختلقتها عقولهم واتبعتها شهواتهم فمالوا ميلا عظيما -والعياذ بالله-!...، لذلك يا أخي، انظر للحق واتبعه، وليكن طريقك إلى الله -سبحانه وتعالى-، مُخلصا في قلبك لله -سبحانه وتعالى- سائلا إياه هدايته وتوفيقه!، موقنا بصحة الإسلام وعظمته، وموقنا بفساد التوجهات الغربية التي قاعدتها الليبرالية!، والأمر كله لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ملاحظة: الأديان اطلقت جمعًا لأن كل ما اعتنقه الإنسان وآمن به أصبح دينًا وطريقًا له، فلذلك من عبد البقر أو النار أو البشر، اتخذ دينًا، وهو باطل بلا شك!، والله -سبحانه وتعالى- لم يرسل الأنبياء إلا برسالة واحدة، مفادها الاستسلام لله -سبحانه وتعالى-، والخضوع لأوامره، فكل الأنبياء دعوا لتوحيد الله -سبحانه

وتعالى- ونبذ ما دونه من الأصنام والأنداد، وهي رسالة الإسلام، رسالة واحدة، وشرائع متعددة، والحمد لله رب العالمين.

١١٣٣. يا أخي، لا تدع يومًا يمر عليك إلا وقد استغفرت فيه من ذنبك!، ما علمت منه وما لم تعلم، فإنك والله لست كخير البشر -صلوات ربي وسلامه عليه-، ومع هذا، فإن الرسول الكريم ﷺ كان يكثر من الاستغفار والتسبيح، وهو من غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر!، قال تعالى في سورة النصر: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾، **وهذا كله إرشاد مهم للأمة بألا يتركوا الاستغفار، وألا يركنوا إلى أعمالهم، وأن يتضرعوا إلى الله -سبحانه وتعالى- حتى يغفر لهم**، فمن غُفر له، فإنه والله لذو حظ عظيم، فيا رب، نسألك برحمتك وعفوك أن تجعلنا ممن غفرت لهم، في الدنيا والآخرة، اللهم آمين.

١١٣٤. قال تعالى في سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾، هذه السورة الكريمة، من أحب السور إلى قلبي، إن لم تكن أحبهن!، ففيها أعظم ما يطلبه الإنسان من معرفة وحقيقة، وفيها يسكن الفؤاد وتتضح المعالم!، فمن علم أن الله -سبحانه وتعالى- أحد، ليس كمثله شيء تأتيه جميع المخلوقات في حاجاتها طوعًا أو كرهًا!، فهو المتعالي عنهم، والغني المالك لأمرهم!، هو الله الأحد، الذي لم يكن شيء قبله ولا شيء بعده!، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له صاحبة!، علا عن كل نقص، وسما على جميع المخلوقات، سبحانه وتعالى عن كل ما خلق!، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم!، قال السعدي -رحمه الله-: "أي ﴿قُلْ﴾ قولًا جازمًا به، معتقدًا له، عارفًا بمعناه، ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي: قد انحصرت فيه الأحدية، فهو الأحد المنفرد بالكمال، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا،

والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له ولا مثيل، ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ أي: المقصود في جميع الحوائج. فأهل العالم العلوي والسفلي مفتقرون إليه غاية الافتقار، يسألونه حوائجهم، ويرغبون إليه في مهماتهم، لأنه الكامل في أوصافه، العليم الذي قد كمل في علمه، الحليم الذي قد كمل في حلمه، الرحيم الذي [كمل في رحمته الذي] وسعت رحمته كل شيء، وهكذا سائر أوصافه، ومن كماله أنه ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ لكمال غناه، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ لا في أسمائه ولا في أوصافه، ولا في أفعاله، تبارك وتعالى. فهذه السورة مشتملة على توحيد الأسماء والصفات."(١)، وقال ابن كثير -رحمه الله-: "وقوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ قال عكرمة، عن ابن عباس: يعني الذي يصمد الخلائق إليه في حوائجهم ومسائلهم. قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: هو السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه، هذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كفء، وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهار"(٢)، وقد ورد في هذه السورة الكثير من الأحاديث في فضلها، فقد روى أبو الدرداء -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "إنَّ الله جَزَّأَ القُرْآنَ ثَلاثَةَ أجْزاءٍ، فَجَعَلَ قُلْ هو الله أحَدٌ جُزْءًا مِن أجْزاءِ القُرْآنِ"(٣)، وقال ﷺ: "أَيَعْجِزُ

---

(١) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | تفسير سورة الإخلاص | الجزء الثلاثون | الآية ١-٤ | الصفحة ٩٣٥ | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٢) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | الصفحة ٢٠٥٠ | تفسير سورة الإخلاص | الآية ٢ | دار ابن حزم | بيروت

(٣) الراوي: أبو الدرداء | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٨١١ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قالوا: وكيفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قالَ: قُلْ هو الله أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ."(١) ...إلى آخره، ويكفي للمسلم أن هذه السورة تريح القلب بوحدانية الله -سبحانه وتعالى- وعلوه عن أي نقص!، وهذه من صفات الكمال التي لا تكون لأحد سواه!، فمن علم أن له إلهًا قديرًا عظيمًا، ليس كمثله شيء، علم أنه خُلق لغاية عظيمة، وأنه لم يكن مجرد "حثالة كيميائية" على هذه الأرض، بل مخلوق مكرم، فإما أن يكون ممن استحق هذا التكريم العظيم، وإما أن يكون ممن أضاع التكريم وخسر خسرانًا عظيمًا!، والأمر كله لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١١٣٥. فلْتعلمْ يا أخي أن الله -سبحانه وتعالى- أنزل لنا المعوذتين، وهما الفلق والناس، هذه السور الكريمة فيها استعاذة لكل ما قد يصيب الإنسان، وهذه الاستعاذة لا تكون إلا برب السماوات والأرض، خالق كل شيء ومليكه، وبهذا فإننا نستعيذ بالله -سبحانه وتعالى- من كل شر قد يلحق بنا من أي مخلوق من مخلوقاته على وجه العموم، ونستعيذ بالله -سبحانه وتعالى- من كل شر نخافه في الليل خصوصًا، والنهار عمومًا، لما في الليل من مخاوف عند سكون الناس، ونستعيذ بالله -سبحانه وتعالى- من شرور كل ساحر، ونستعيد بالله -سبحانه وتعالى- من شر الحاسد إذا حسد، ونستعيذ بالله -سبحانه وتعالى- من شر الوسواس الخناس، الذي لا يترك إنسانًا إلا ووسوس له، فإن ذُكر الله -سبحانه وتعالى- خنس وضعف، وإن نسي الإنسان ذكر الله -سبحانه وتعالى- عاد واستقوى، ونستعيذ بالله -سبحانه وتعالى- من شر شياطين الجن والإنس، وكلاهما يوسوس، فأحدهما علانية، والآخر سرا!، وهذا كله يقودنا لنقاط مهمة، وهي أن الله -سبحانه وتعالى- أعلمنا بوحدانيته، واعلمنا بقدرته، واعلمنا أننا الضعفاء وأنه القوي، فمن أراد النجاة من

---

(١) المرجع السابق، حديث رقم ٨١١ (...)

ضعفه ليقوى، فعليه بتقوى الله -سبحانه وتعالى- وطاعته، والامتثال لأوامره، والأخذ بإرشاداته، فإن قال قائل، كيف يمكن للسحر أن يكون موجودًا؟!، قلنا وما المانع عقلًا من وجوده؟!، فلا يعني أننا لا نراه أنه ليس موجودًا!، لكن في ذات الوقت، هذا لا يعني الخوف والهلع كما يفعل الناس في أيامنا هذه!، فهل يخرج كل هذا عن قضاء الله -سبحانه وتعالى- وقدره؟!، ألم يعطنا الله -سبحانه وتعالى- العلاج والترياق؟!، لذلك، كل ما عليك فعله هو أن تتيقن أن الله -سبحانه وتعالى- هو العظيم القوي، وأنه القادر على كل شيء، وأن السحر ودونه من مخلوقات الله -سبحانه وتعالى- لن يضروك ولن ينفعوك إلا بإذن الله -سبحانه وتعالى-، فإياك أن يكون خوفك من السحر أعظم من رجائك من الله -سبحانه وتعالى-!، واحذر من أن ترمي كل شيء على السحر والعين، فإن هذا لا يليق بالعاقل!، بل إن الإنسان يأخذ بالأسباب ويبحث عن علاجها، فكثير مما يرميه الناس على العين والسحر، ما هو إلا نتيجة تقصير أو خطأ أو جهل، لا علاقة له بسحر أو عين!، بل إن من الطبائع لبعض الناس البحث عن "شماعة" ليرموا عليها أخطاءهم ومشاكلهم، وأيسرها هي السحر!، وكما هو الحال للسحر فكذلك الحسد، والحسد هو تمني زوال النعمة عن الغير وإن لم يصر للحاسد مثلها، والعين قد تقع من الحاسد، ومع ذلك، "قال العلماء: الحاسد لا يضر إلا إذا ظهر حسده بفعل أو قول، وذلك بأن يحمله الحسد على إيقاع الشر بالمحسود، فيتبع مساوئه، ويطلب عثراته"(١)، والمراد من كل هذا أن نوضح لك أن السحر موجود، لكنه كغيره، لا يضر أحد إلا بإذن الله -سبحانه وتعالى-، فمن علم هذا لم يخف ولم يجزع، وأعطى لكل شيء حقه، وعلم أن الله

---

(١) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | الجزء ٢٢ | الصفحة ٥٧٧ | تفسير سورة الفلق | الآية ٥ | مؤسسة الرسالة | بيروت

-سبحانه وتعالى- قد يبتليه، وهذا البلاء قد يكون بسبب السحر، فما يكون من المؤمن إلا الصبر ودعوة الله -سبحانه وتعالى- لأن يرفع عنه هذا البلاء، والمعوذتين سورتين كريمتين أنزلهما الله -سبحانه وتعالى- لإرشاد الناس وطمأنتهم بأن الأمر بيد الله -سبحانه وتعالى-، وحذرهم بها من الشيطان وخاصته من الإنس والجن!، وسبحان الله العظيم، فقد ابتدأنا هذا العمل بالاستعاذة من الشيطان الرجيم، وها نحن ننتهي بالاستعاذة من الشيطان الرجيم، فاللهم نعوذ بك من شر الإنس والجن، ونعوذ بك من شياطين الجن والإنس، ونعوذ بك من الشيطان الرجيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أمراض خفية وعلاج عظيم، وفوائد كثيرة

قبل البدء بكتابة هذه الشرائح، كان في قلبي بعض التساؤلات التي كنت أعدها غريبة، وكنت أجد في نفسي بعض الأمراض التي أحتاج لعلاجها ولم أوفق لعلاجها كما أريد!، إلا أنني بفضل الله -سبحانه وتعالى-، وبعد البدء بقراءة القرآن الكريم، وجدت جوابًا شافيًا لما كان يدور في القلب!، بل أكثر من ذلك، وجدت أمراضًا خفية، أو أمورا عظيمة لم أكن أعلم عن وجودها إلا بعد أن أزال القرآن الكريم الغطاء عنها!، فسبحان الله العظيم، الذي جعل من كتابه العظيم، شفاء لما في الصدور!، لهذا، قمت بكتابة أكثر ما أثار قلبي من عجائب ظهرت مع قرائتي لكتاب الله -سبحانه وتعالى-، في علاج أو تقويم أو تحفيز، وهذه العجائب هي:

١. استشعار عظمة الله -سبحانه وتعالى-، واستشعار عظمة النبي ﷺ: لقد كان لدي مشكلة في الإحساس اليقيني بمقدار عظمة الله -سبحانه وتعالى-، فإني وإن كنت ألتزم بأوامر الله -سبحانه وتعالى- لعلمي المسبق بقدرته وعظمته، إلا أنه كان ينقصني الإحساس بذلك، أو استشعار تلك العظمة كما ينبغي لها، ثم كنت أتساءل، كيف لي أن أفرق أو أدرك الفرق بين عظمة الله -سبحانه وتعالى- وبين ما أُمرنا به من تعظيم لخير البشر ﷺ؟، كل هذا لم أجد إجابة عليه إلا في كتاب الله -سبحانه وتعالى-!، بل إن الإجابة على تلك التساؤلات وترسيخ هذه المعاني، لم يتجاوز الأجزاء الأولى من كتاب الله -سبحانه وتعالى-!، ففيها ينظر الإنسان لعظمة الله -سبحانه وتعالى- وعظيم قدرته وقوته وملكه وجبروته ورحمته وحلمه وما لا يطيق الإنسان إحصائه، ثم بعد أن تترسخ في القلب هذه المعاني، يبقى يذكرك القرآن الكريم

بها في كل موقف، وكل سياق!، ثم ستجد في نفسك أن ما تراه من تعظيم للأنبياء -عليهم السلام- هو من تعظيم الله -سبحانه وتعالى- لهم، فكان سيدنا محمد ﷺ خير البشر، وعظمة الخالق -جل في علاه- لا تقارن بعظمة خير البشر ﷺ!، وعظمة خير البشر -عليه الصلاة والسلام- لا تقارن ببني آدم!، فمن رفع الله -سبحانه وتعالى- درجاته فلا خافض له!، ومن علم حقًا عظم ما بذل الأنبياء في سبيل الله -سبحانه وتعالى- وتبليغ دعوته، أيقن عظم نفوسهم، فعظمها الله -سبحانه وتعالى- لغيرهم من البشر حتى يقتدوا بهم!، فالحمد لله الذي جعلنا نستشعر عظمته ونعيش بها بأفضل مما كنا من قبل، واللهم نسألك برحمتك أن تزيدنا حبًا لك، تعظيمًا وتشريفًا وتنزيهًا، برحمتك يا أرحم الراحمين يا الله، اللهم آمين.

٢. حسن الظن بالله -سبحانه وتعالى-: قبل شروعي في قراءة كتاب الله -سبحانه وتعالى-، كنت أسمع كثيرًا من الناس يتأولون حسن الظن بالله -سبحانه وتعالى- بطريقة لا تليق بمعنى حسن الظن!، وإن كنت أدرك سفاهة ما يقولون من معانٍ، إلا أنني لم أكن أملك ردًا يشفي قلبي العليل، بل كنت أغبطهم أحيانًا وأقول، يا ليت عندي مثل ما عندهم من حسن ظن!، حتى هداني الله -سبحانه وتعالى- في كتابه العزيز إلى المعاني العظيمة لحسن الظن، وأنه لا ينبغي للمؤمن أن يسيء الظن بربه -جل في علاه-، وعليه أن يحسن الظن بربه -جل في علاه-، وهنا النقطة الجوهرية، فكان القرآن الكريم يركز على إحسان الظن بالله -سبحانه وتعالى- كما يليق بجلاله وعظمته!، لا كما يريد الكسالى وأصحاب الأماني!، وقد ذكرنا في هذا الكتاب ما نزعم أنه يعطي صورة واقعية لمعنى حسن الظن بالله -سبحانه وتعالى-، فنسأل الله -سبحانه وتعالى- حسن الظن به، حسن يليق بعظمته وجلاله، ونسأله برحمته أن يغفر لنا تقصيرنا وسوء قلوبنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٣. ﴿ سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴾: من التساؤلات التي كانت في قلبي، وتثير خوفي من حين إلى حين، هو ماذا لو عصينا ربنا -جل في علاه- في الجنة، أو أخرجنا منها وخضعنا لاختبار آخر، ونحو ذلك من الأسئلة التي كانت تثار في داخل هذه النفس!، ومع هذا، فإن الله -سبحانه وتعالى- لم يترك شيئًا فيه داء للقلوب إلا وجعل له ترياقا، وكان الترياق لهذه الأسئلة هو قوله تعالى في سورة يس: ﴿ سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ٥٨ ﴾، فكانت الإجابة مباشرة، عظيمة، سلام من رب عظيم، سلام من رب السماوات والأرض، سلام من عظيم حكيم، لا يظلم أحدًا مثقال ذرة، ولا أقل من ذلك!، فإن أعطاك السلام والأمان، وأعطاك الرضا والرضوان، فهل هناك قول بعد هذا؟!، فسبحان من إذا أحل رضوانه على أحد لم يسخط عليه!، فاللهم نسألك برحمتك رضاك عنا!، اللهم آمين.

٤. رُهاب الرياء: لقد كان الخوف من الرياء مرضًا عظيمًا يسيطر على قلبي ونفسي، حتى أنني أفرطت فيه حتى خرج فصار خوفي من الرياء دافعًا للرياء!، فمثلًا، كنت إذا ما التزمت بفعل ما، وعلمت بوجود أحد، توقفت عن هذا العمل خوفًا من الرياء، إلا أنني في هذا، وقعت في الرياء لخوفي من الرياء!، ثم علمت بعد ذلك أن هذا لا ينبغي، وتحسن حالي بعدها إلى حد أقبله!، ثم هداني الله -سبحانه وتعالى- لقراءة كتابه العزيز، فما كان من كلام الله -سبحانه وتعالى- إلا أن يشفي العليل، ويضع الأمور في نصابها، ويعطي للقلب قوة عظيمة، وقواعد جليلة، فيدرك الإنسان متى يجهر ومتى يُسر، ويميز بين الإخلاص في العمل لله -سبحانه وتعالى-، وبين ما ظهر منها وما مدحته الناس، وبين من يُظهر عمله ليمدحه الناس! فشتان بين من أخلص لله -سبحانه وتعالى- عمله، وبين من أراد الناس في عمله!، هذه القواعد عظيمة؛ يحصل بها الثواب على أعمال السر، وينال بها أجر العلانية، قواعد تسكن القلب،

وتـريح الفـؤاد، ومـا أن يسـكن هـذا القلـب، ويرتـاح ذلـك الفـؤاد، إلا ووجـدت هـذا الإنسـان في إخـلاص؛ حتـى يجـد أنـه صـنع أعمـالًا بينـه وبـين ربـه -جـل في عـلاه-، وأعمالًا أظهرها حتى يُظهر شعائر الله -سبحانه وتعالى- في الزمـان الـذي يقـل فيهـا ظهور الشعائر، أو ظهور نقيضها -والعياذ بـالله-!، ثـم تـراه يجد أعمـالًا يشـاركها مـع الخواص من أهله وأصحابه، حتى يثير فيهم حب الخير والعمل والمنافسة والمسابقة في طاعة الله -سبحانه وتعالى-، قواعد جميلة، تنطلق من إخـلاص العمـل والقـول لله -سبحانه وتعالى-، وما كان بعد ذلك، فهو من فضـل الله -سـبحانه وتعـالى-، وعلـى الإنسـان أن يتـذكر دائمًـا هـذا الإخـلاص، وأن يسـأل الله -سـبحانه وتعـالى- التوفيـق لذلك، ويسأله ألا يقلب قلبه من حال الإخلاص والتقوى، إلى حال نعوذ بـالله منهـا!، فاللهم نسألك برحمتك الإخلاص في القول والعمل، ولا حول ولا قوة إلا بك.

٥. عظم مـا قدمـه الأنبيـاء، وعظـم نفوسـهم: لـم أكـن قبـل قرائتـي لكتـاب الله -سبحانه وتعالى- يخطر علـى بـالي عظـم مـا قدمـه الأنبيـاء في سـبيل الـدعوة إلـى الله -سـبحانه وتعـالى-، وعظـم مـا وصـلوا إليـه مـن تزكيـة لنفوسـهم الطيبـة، حتـى اصطفاهم الله -سبحانه وتعـالى- مـن بـين بنـي آدم، ومـع أنهـم بشـر، إلا أن أرواحهـم سمت حتى بلغت عنان السماء، في طهرها ورفعتها، فكانوا قدوة ومدرسة نتعلم منهـا، ويتعلم منها بنو آدم إلـى قيـام السـاعة!، كـل نبـي مـن الأنبيـاء -علـيهم السـلام-، لديـه خصلة مميزة اشتهر بها، وسما ذكره بها، فالناظر إلى قصصهم -عليهم السلام- يدرك هذا، ويدرك أهمية ما ذكر من خصـالهم -علـيهم السـلام-، وعلـى مـن أراد أن يسـمو بروحه فعليه أن يفعل كما فعلوا، وأن يعمل كما عملوا!، والمقصـود هنـا لـيس الكـمّ، بل الطريق الذي سلكوه!، فإننا وإن لـم نصـل لـدرجاتهم، إلا أننـا نسـير علـى طـريقتهم التـي هـداهم الله -سـبحانه وتعـالى- إليهـا، ونسـأل الله -سـبحانه وتعـالى- أن نحشـر

معهم، والناظر إلى قصصهم -عليهم السلام-، يدرك عظم ما حاربوه في زمانهم، من طواغيت وجبابرة، أو شعوب ضالة مضلة!، ويدرك الناظر إلى قصصهم -عليهم السلام- ما كانوا عليه من همة عالية؛ لتبليغ أوامر الله -سبحانه وتعالى-!، فنسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يجزيهم عنا خير الجزاء!، فهم خيار البشر حقًا ودون منازع!، وخيار البشر من بعدهم من سار على طريقتهم، الأمثل فالأمثل!، والأمر كله لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٦. العلم وأهميته: لقد كنت منذ نعومة أظفاري، أحب العلم حبًّا جمًّا، لكن هذا الحب كان مركزه الأساسي عاطفي، أحاسيس تدفعك للتعلم وتكره الجهل!، وهذا لوحده لم يكن كافيًا لتشكيل العلم المناسب، ثم بعد قرائتي لكتاب الله -سبحانه وتعالى-، ضبطت البوصلة، وعلمت أن على الإنسان أن يتيقن أهمية العلم، فالله -سبحانه وتعالى- ركز على أهمية العلم وأهمية أصحاب العقول النيرة في الكثير من المواضع في كتابه العزيز!، وبهذا، وبفضل الله -سبحانه وتعالى- أصبح حبي للعلم ليس نابعًا من مجرد عاطفة صماء، بل من عاطفة يقودها عقل يدرك أهمية العلم، ويدرك أن المسلم على ثغر من ثغور الإسلام، وأن عليه وظيفة يجب أن يؤديها حتى لا يؤتى الإسلام من طرفه!، لهذا، على المسلم أن يثابر ويتعلم ويساعد في نشر العلوم التي تحتاجها أمة الإسلام، وألا يتقاعس عن ذلك، وأن العلم يسمو لا لكونه مجردًا!، بل لكونه الطريق لمعرفة الله -سبحانه وتعالى-، الطريق لرؤية إعجاز الله -سبحانه وتعالى- وعظيم قدرته وحسن صنعته، فالعالم الناظر لصنع الله -سبحانه وتعالى-، ليس كحال الناظر من بعيد!، بل إن القرآن الكريم يحث على عمارة الأرض، وعمارة الأرض وتيسير أمور الحياة عليها يحتاج إلى العلم، وجعل الله -سبحانه وتعالى- للإنسان من الأدوات ما يتعلم منها ويعمل بها، ويحفظ

علمه من خلالها ويشاركها، ومن كثرة التعظيم للعلم في كتاب الله -سبحانه وتعالى- ، أعظم في نفسي أمره، وأصبح العلم هو الطريق الذي سيقودني لله -سبحانه وتعالى- ، فبدون العلم لم نكن لنقرأ كتاب الله -سبحانه وتعالى-، ولم نكن لنكتب حرفًا، ولم نكن لنبني جملة، ولم نكن لنجد ما يعيننا على هذه الحياة!، بل بالعلم النافع يعيش الإنسان في عظيم صنع الخالق -جل في علاه-، وينتفع به، وهذا كله جعلني بفضل الله -سبحانه وتعالى-، أنهي العديد من الكتب في مجال تخصصي، فسبحان من غير حالي من حال إلى أفضل حال!، الحمد لله رب العالمين.

٧. نعمة الإسلام: قبل قراءتي لكتاب الله -سبحانه وتعالى-، كنت فخورًا بكوني مسلمًا، لكن هذا الفخر لم يكن نابعًا من معرفة بأهمية هذه النعمة العظيمة، بل وأجل النعم التي قد ينالها إنسان على الإطلاق!، فالله -سبحانه وتعالى- ذكر في كتابه العزيز في العديد من المواضع عن نعمة الهداية، وأنها نعمة من الله -سبحانه وتعالى- يمنّ بها على من يشاء من عباده، ولا مثيل لها، ويظهر أثر هذه النعمة جليًّا عند المقارنة بين الثواب والعقاب، وعند عرض المصير لكل فريق من الفريقين!، فالقارئ لكتاب الله -سبحانه وتعالى- تراه يرتجف عندما يرى مصير الطغاة، فيخشى أن يكون منهم، ثم تراه يحمد الله -سبحانه وتعالى- على أن أنجاه من الكفر!، وسبحان الله العظيم، نحن ولدنا مسلمين، وإن كان كثير منا تشرب الدين من خلال الوراثة!، إلا أننا اجتزنا مرحلة عظيمة من مراحل الخطر!، بينما تجد من ولد في بلاد الكفر يعاني وهو يبحث عن الدين الحق حتى يجده!، وفوق هذا يهاجم الإعلام كل رواسخه ويشوهها، حتى يصير الحق باطلًا، والباطل حقًا!، فتخيل نفسك في محله!، تخيل نفسك على الكفر -والعياذ بالله-، ولا تدري عن الحق شيئًا!، قد تغرك الحياة

الدنيا فتستمر في شهواتك ونزواتك حتى تمل منها، فإما أن تنتحر، وإما أن تطغى، وأما أن تزيد في الفواحش، وإما أن تعيش جسدًا بلا روح!، تخيل فضل الله -سبحانه وتعالى- علينا بأن ولدنا مسلمين ولم نعانِ كحال غيرنا!، تخيل أن الله -سبحانه وتعالى- بالإسلام ضمن لك النجاة، ثم وضع في عاتقك سبيل نشر الدعوة إليه -جل في علاه-، وكل حسب قدرته!، ثم بعد كل هذا، تجلس في بعض المجالس فتسمع بعض الناس عند إسلام أحد إخواننا من كبار العمر؛ يقولون: "إنه لذو حظ عظيم!، فعل كل فاحشة أرادها، وها هو الآن يعود كما ولدته أمه!"، وبعيدًا عن كمية المآسي في مثل هذه الأقوال، إلا أن أكثر ما يؤلم أنهم ظنوا أن متعة الجسد يمكن أن تغني عن الروح!، ظنوا أن هذا المسكين الذي جلس حياته يبحث عن الحق، أو في اضطراب وخوف، هو في نعمة!، ونسوا أنهم هم من نالوا النعمة دون عناء وتعب!، لكن، أين الشكور؟!، هي عبارة قالتها إحدى أخواتنا اللواتي أسلمن وهي في أرذل العمل، قالت -وهي تبكي-: "لماذا لم يخبرونا بهذا من قبل؟! -تقصد القرآن الكريم-"، جملة بسيطة نابعة من حرقة عظيمة، قالتها بعد تنقلها بين العديد من الأديان حتى هداها الله -سبحانه وتعالى- لما أحبت وصدقت من الخير!، كل هذا، بين الخوف والرجاء، بين الإيمان والكفر، بين الإحساس والتقدير، يرى المسلم أنه لو كان له في هذه الحياة الإسلام فقط، لكفى بها من نعمة!، فما بالك بكل ما نحن فيه من نعم؟ انظر لجمال هذه النعمة، والتي وصف الله -سبحانه وتعالى- بها نبيه إبراهيم -عليه السلام-: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ٨٣ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ٨٤﴾، وهل هناك أجمل من يكون قلبك في دنياك طاهر من الشرك والكفر والغل والحسد؟ طاهر من الشح والكبر والهوى؟! وطاهر من الشبه والشهوات وحب الدنيا وسطوتها؟! ثم كيف يحيا من كان قلبه نجس أو فيه نجس؟! وكيف للإنسان أن يحيا بلا قلب سليم؟! فاللهم

نسألك برحمتك أن تديم علينا نعمك وفضلك وكرمك وهدايتك، ونعوذ بك من الكفر والشرك والضلال والفسوق والعصيان! اللهم آمين، ويكفي لكل قلب سليم، أن يسمع قوله تعالى في سورة الحجرات حتى يسعى للعودة سريعًا للصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾، وقوله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾.

٨. أعمال الخير، منجاة: نعم الله -سبحانه وتعالى- كثيرة عظيمة، لا تعد ولا تحصى!، ومن هذه النعم، نعمة قد يجهلها الكثير من الناس، لكنها عظيمة، وقد بُشرنا بها في كتاب الله -سبحانه وتعالى-، وهي نعمة الخير والزيادة فيه!، فمن رحمة الله -سبحانه وتعالى- أن كل من عمل عملًا طيبًا أخلص فيه النية لله -سبحانه وتعالى-، وجد لهذا العمل الطيب أثرًا في قلبه!، هذا الأثر الطيب يحل محل نقطة خبيثة، هذا الأثر الطيب وبتوفيق من الله -سبحانه وتعالى- سيفتح لك أبواب أخرى للخير، وستجد طاعات وسبل للطاعات لم تكن تعهدها أو لم تكن تفعلها من قبل!، سيرى بصرك من أعمال الخير ما لم يكن يراه من قبل!، ثم ستجد نفسك من طاعة إلى طاعة، ومن رحمة إلى رحمة، وكل هذا بفضل وبتوفيق من الله -سبحانه وتعالى- لعباده الأخيار!، ومن أثر هذه النعمة، التوبة والعودة من الضلال إلى الهدى، ومن الباطل إلى الحق، وهذه نعمة عظيمة، أحمد الله -سبحانه وتعالى- عليها حمدًا ملء السموات والأرض، حمدًا لا ينتهي؛ فهو من أنعم علي وانتشلني من ظلمات المعاصي والضلال، إلى طريق الخير والهدى!، وفي كل يوم أقول، لو لم يتغمدني الله

-سبحانه وتعالى- برحمته، لكنت الآن من أصحاب المعاصي والفواحش!، لكن فضل الله -سبحانه وتعالى- انتشلني من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، فاللهم لك الحمد، وهذه نعمة عظيمة لا تقدر بأي ثمن!، لذلك يا أخي، احرص على أن تعمل أعمال صالحة بقدر ما استطعت، وداوم على القيام بها ولو قلت!، واعلم أن قليل دائم، خير من كثير منقطع!، وإياك يا أخي من أن تغلق كل الأبواب بينك وبين خالقك!، فإن فعلت، فسارع إلى التوبة، واستعن بالله -سبحانه وتعالى-، وتأكد أن الهداية بيده -سبحانه وتعالى-، فأسأله إياها!، فاللهم اهدنا، ولا حول ولا قوة إلا بك.

٩. بين الشك واليقين: قبل قرائتي لكتاب الله -سبحانه وتعالى-، كانت هناك بعض الأسئلة الخفية، أو الشكوك المبطنة تقع في القلب وتزعجه من وقت إلى آخر، لكنني لم أكن مهتمًا بها لأنها لم تسبب لي سوى القليل من الإزعاج، وكنت أظن أن ذلك لا يمثل أي فرق بالنسبة لي، لكنني تفاجأت عند قرائتي لكتاب الله -سبحانه وتعالى- من أن ما كنت أظنه وهمًا في قلبي كان شيطانًا خفيًا أو مصيبة كبيرة لم تتبلور، هذه الخفايا كانت وحشًا تنتظر اللحظة المناسبة لتنقض على هذا القلب!، لكن الله -سبحانه وتعالى- في كتابه العزيز، لم يدع لمثل هذه المسائل أن تبقى في القلب دون علاج، بل على النقيض من ذلك، فإن الله -سبحانه وتعالى- في كتابه العزيز، يشعل حربًا عليها ويظهرها وينقلها من قعر المحيط إلى سطحه!، وما أن تلبث في مواجهة هذه المسائل حتى تجد أن الشك الصغير الذي كان في قلبك نما وكبر، وقلت ما هذا، حتى إذا ما قلت ذلك، أزال الله -سبحانه وتعالى- تلك المسائل القلبية بما فيها من شبهات دون أدنى طريقة للعودة إليها مجددًا!، هذا التقلب بين الكشف عن المرض ومن ثم إظهاره ومواجهته، يهز القلب هزة عظيمة، لكنني أزعم

أن من هزته مثل هذه الهزة، فإنه بفضل من الله -سبحانه وتعالى- وتوفيقه، سيكون أبعد من غيره عن الكفر والشرك والفسوق والضلال، فإن تحقق ذلك، رأيت النفس قد طابت وهدأت واستقرت، وذهب عنها ما كان فيها من المنغصات!، فسبحان الله العظيم، الذي جعل كتابه كتابًا عزيزًا شاملًا شافيًا لأهله!، لم يدع صغيرة ولا كبيرة تهم قلب الإنسان إلا وقوّمها!، وهذا كله وهذه التقلبات دعت لهمة أكبر للعلم وطلبه، واستلزمت صدق مع النفس وحثها على استخراج ما فيها، هذا كله دفعني بفضل من الله -سبحانه وتعالى- للاهتمام بالعلم أكثر، الشرعي والتقني -مجال عملي-، حتى أنني أتممت بفضل الله -سبحانه وتعالى- العديد من الكتب في خلال فترة العمل هذه!، بما يعادل أضعاف ما اعتدت عليه سابقًا!، والسبب في هذا يعود لتوفيق الله -سبحانه وتعالى- لي!، فكتابه العزيز يحثك على العلم وطلبه، ويخبرك بأهمية دورك في هذه الحياة، فكيف يليق بك ألا تؤدي دورك الذي اؤتمنت عليه؟!، نسأل الله -سبحانه وتعالى- لي ولكم التوفيق والسلامة من كل شر، وما ذكرناه يذكرني بكلمات جميلة كنت قد سمعتها لجفري لانج عندما كان يروي قصة إسلامه، فقال: "إن أكثر ما أثار إعجابي في القرآن الكريم، هو أسلوبه وكأنه يخاطبك، وكأنك في حوار مباشر معه، يسرد الآيات فترى الأسئلة ثم ما تلبث أن تجد الإجابة عنها بعدها أو في مواضع أخرى،...، حتى وصلت الآية ٣٠-٣١ من سورة البقرة، فصدمت حينها لأنني وجدت السؤال الذي كنت أتساءل عنه طوال فترة إلحادي!، أتى السؤال مباشرًا في أولى الصفحات وأولى السور، ليجيب الله -سبحانه وتعالى- بعدها عن هذه التساؤلات..."، فسبحان الهادي العظيم!

١٠. عظمة كتاب الله -سبحانه وتعالى-: قبل قرائتي لكتاب الله -سبحانه وتعالى-، كان تعظيمي لكتاب الله -سبحانه وتعالى- نابعًا من كوني مسلم، هذا

المسلم أجل القرآن الكريم لأنه كلام الله -سبحانه وتعالى-، لكنني في ذات الوقت لم أكن أستشعر عظمة الكلمات والمعاني، وعظم البيان والإعجاز -بعلم-؛ لأنني لم أفهمها أو أحاول فهمها!، لكن سرعان ما سيتلاشى ذلك وستشعر بعظمة الله -سبحانه وتعالى- وعظمة كتابه وعظم بيانه وإعجازه، وذلك فور اقتحامك لهذا النهر العذب!، بل إن الكتب والكلمات، من يوم آدم -عليه السلام- وحتى قيام الساعة لن تصل إلى مثله ولا إلى قريب منه!، هذه العظمة وهذه المشاعر والأحاسيس أزعم أنها لن تصل إليك إلا إذا قرأت القرآن الكريم بنفسك!، وأقصد بالقراءة هنا التدبر، وذلك بفهم الآيات ومعانيها والتفكر فيها!، وتأكد أنك ستجد كنز عظيم غاب عنك!، فسارع لقرائته، ويكفي ما ضاع من عمرك وأنت تجهله!

١١. تزكية النفس: لطالما سمعنا عن مفهوم تزكية النفس، هذا المفهوم وإن كان واضحًا وشرحه كثير من أهل العلم والصلاح، إلا أنني لم أجد أعظم من القرآن الكريم لتزكية النفس!، بل إنه ينتشل النفس من قعر البئر إلى سطح الشمس!، وأصبحت أقول: كيف لمن يبحث عن ضالته ويرغب في تزكية نفسه أن يبحث عنها خارج القرآن الكريم!، وكيف لا يبتدئ به!، بل إن تزكية النفس في القرآن الكريم تأخذك في منحنيات عميقة، وتعطيك صفوة الصفوة، بإيجاز ليس له مثيل، وبتفصيل دقيق!، في دمج عجيب!، ومن الأمثلة الرائعة التي تدعو الإنسان لتزكية نفسه؛ قوله تعالى في سورة غافر: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ١٩ ﴾، فترى فيها مثلًا عظيما لتزكية النفس، فتذكرك بالله -سبحانه وتعالى- ومراقبته لك، وعلمه المطلق بكل ما تفعل وما يحيط بك، وبذلك يدعوك لحفظ بصرك عن الحرام وحفظ صدرك عن الوساوس التي ترتبت على النظر أو حفظها من كل شر أُخفي عن غيرك!،

والأمثلة كثيرة لا تعد ولا تحصى!، فسبحان من زكى الظاهر والباطن!، سبحان من زكى القلب والعقل!، سبحان من زكى الجسد والروح، سبحانه ما أعظمه!

١٢. والذاكرين والذاكرات: إن من أجمل ما تعلمته أثناء قراءتي لكتاب الله -سبحانه وتعالى- الحرص الشديد على ألا يخلو عمل أو موقف أو مناسبة من ذكر الله -سبحانه وتعالى-، بل دعينا لأن نكثر من الذكر قدر ما استطعنا، وكلما تذكرنا!، والذكر هو ذكر القلب وذكر اللسان، فكل عمل يقربك إلى الله -سبحانه وتعالى- من أول يقظتك وحتى نومك، وهذا يبتدئ من الصلاة المكتوبة وقراءة القرآن الكريم وصولًا للأذكار والأدعية!، وهذا كله خير عظيم، يغفل عنه الكثيرون، ويتفاوت فيه المتنافسون!، وهذا التحفيز يدعوني ويدعوكم لذكر الله -سبحانه وتعالى- ذكرًا جميلًا كثيرًا، قيامًا وقعودًا ما قدرنا على ذلك، فمن وفق لذلك فقد هداه الله -سبحانه وتعالى- وأغناه!، وهذا كله يجعل القلب دائمًا في اتصال مع خالقه، وهذا الاتصال يغلق ويحجم الشيطان وسبله!، فسبحان من جعل في ذكره رحمة ومغفرة ورزق وجنة عرضها السماوات والأرض، أعدت للمتقين...، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

بعد كل هذه النقاط وأكثر، مما لا أحصيه ولم أذكره؛ هدى الله -سبحانه وتعالى- هذه النفس للعلاج والترياق، فإن كنت تتعجب من هذا، فلماذا لا تذهب وتقرأ كتاب الله -سبحانه وتعالى- بنفسك؟!، بقلب نقي تقي؟!، وبعقل متفتح مستعد لقبول كلام الله -سبحانه وتعالى-؟!، لماذا لا تسارع في البحث عن علاج عما أخفيته أو عما أخفي عنك؟!، فاللهم رحمتك نرجو، ولا حول ولا قوة إلا بك.

الخاتمة

لقد رأينا في هذا الكتاب المتواضع، العديد والكثير من الأطروحات الشيقة، لكنها بكل ما فيها لا تغطي نقطة في بحر العلم، والعلم كله لا يغطي نقطة من بحر القرآن الكريم وعلم الله -سبحانه وتعالى-، وهذا الأمر آية من آيات الله -سبحانه وتعالى- وإعجازه، وذلك لأن العلم إذا لم ينتهِ، دعا العقول للتفكر والاستزادة من العلوم ما شاء الله -سبحانه وتعالى- لها ذلك!، وهذا يعني أن هذه الأفكار سيضاف لها أفكارًا كثيرة لم تخطر على بالنا، وحال القارئ لكتاب الله -سبحانه وتعالى- المتدبر في معانيه كحال المتعلم الذي لا يلبث أن يظن أنه قد أنهى مقرراته وأتقنها، حتى يكتشف بعدها مباشرة أنه ما زال هناك الكثير أمامه، وكلما اكتشف أكثر، كلما علم مقدار جهله أكثر!، لهذا يا أخي، أدعوك إلى ما يلي:

١. القرآن الكريم كنز لا بد لك من اكتشافه، فلا تضع من عمرك أكثر مما مضى، واستعن بالله -سبحانه وتعالى- على ذلك!، وأنصحك بتفسير السعدي -رحمه الله-، فهو يعطيك الخلاصة وزبدة القول في تفسيره، وإن أحببت الغوص أكثر فلديك تفسير القرطبي والبغوي والطبري وابن كثير -رحمهم الله-، وهناك تفسير ابن رجب الحنبلي وتفسير ابن باديس والدر المنثور للسيوطي والوسيط للطنطاوي ونحو ذلك...، وتذكر واحرص على أن إخلاص النية والتوجه إلى الله -سبحانه وتعالى- بقلب صادق تائب أعظم ما قد يناله المسلم عند قراءته لكتاب الله -سبحانه وتعالى- وتدبره، ولا بد لكل واحد منا -بإذن الله- أن يصل وأن يتعلم وأن تخطر على قلبه من الأفكار الصالحة ما شاء الله -سبحانه وتعالى- لها، فاحرص

على ما أوتيت من الخير...(في هذا العمل، كان اعتمادنا بشكل أساسي على تفسير السعدي والقرطبي والبغوي وابن كثير رحمهم الله، وما ذكرته من تفاسير أخرى اقتبست منها أو قرأت منها شيئًا يسيرًا فقط...)

ملاحظة: احرص على اختيار **نسخة محققة** من كتب التفسير الكبيرة، وذلك لمعرفة صحة الروايات المروية بداخله، فكان مذهب علمائنا ذكر الأسانيد لأنها تشير إلى معيار صحة الرواية من عدمها، ولأننا لا نملك العلم الكافي لذلك، فإننا نحتاج إلى هذه النسخ المحققة، فجزى الله -سبحانه وتعالى- علمائنا وأئمتنا كل خير، وغفر لنا ولهم.

٢. إن جوهر ما ذكر من الكلمات والسطور؛ هو تحويلها من مجرد كلام على ورق إلى عمل يحفر الصخر!، وهذا يعني أن ما وجدته من الخير يجب أن تسعى لتحقيقه، فإن لم يكن ذلك مرة واحدة أو استحال ذلك لطبيعتنا البشرية، فإننا يجب أن نسعى لتطبيق ما استطعنا من الخير، وما أن نتم شيئًا أو ندركه، ننتقل لخير آخر نتعلمه ونطبقه، وهذا يذكرني بما ذكره الطبري -رحمه الله-: "حدثنا الذين كانوا يُقرِئوننا: أنهم كانوا يستقرِئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلَّموا عَشْر آيات لم يخلِّفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلَّمنا القرآن والعمل جميعًا"، والناظر لهذا الاستشهاد يعلم أهمية تمكين العلم وتطبيقه، حتى تتم المنفعة على أتم وجه، لذلك، اجعل ما تعلمت محركًا لأفعالك، تفز بخير عظيم -بإذن الله تعالى-...، وإياك أن تجعل الحروف والكلمات رسمًا يمر من أذنك ليخرج من الأخرى!، والله المستعان.

٣. إن الناظر لكتاب الله -سبحانه وتعالى- يعلم يقينًا كم كان فضل الله -سبحانه وتعالى- على البشرية عظيمًا، يعلم يقينا أهمية الإيمان بخالق عظيم، ويعلم

أهمية اتباع أوامره، ويعلم أهمية الإخلاص، وأهمية العلم، وأهمية الصدق، وأهمية الأمانة، وأهمية العهود، وأهمية العمل...إلى آخره، وهذا كله مما يستحيل على أي شرع من عند غير الله -سبحانه وتعالى- أن يأتي بمثله، فمن لم يؤمن بالخالق العظيم -جل في علاه- كيف له أن يؤمن بالحقائق؟!، فإن كان لا يؤمن بالحقائق فبكل تأكيد سيرفضها لأنها ستصبح نسبية عنده ليحل بها إشكالات أخرى عنده، وستكون هي المهرب عنده لكل حجة دعته إلى ذلك!، وهذا يظهر بشكل جلي عند سؤال أحدهم هل ما فعله هتلر وموسيلني وغيرهم أخلاقي أم غير أخلاقي؟!، فمن كان لا يؤمن بوجود إله عظيم، لن يمكنه الإجابة على هذا السؤال ببساطته!، لأن المرجعية ستتغير، فما تؤمن به أنت نسبي، وقد يكون هو من كان على حق!، والسؤال نفسه بين أتباع هذا وذاك ستكون مغايرة لما يظنه البعض بديهي!، بينما من كانت مرجعيته أوامر الله -سبحانه وتعالى- فإن الجواب لا يتغير مهما تغيرت العصور ومهما تبدلت الشخصيات!، فلا كهنوت، وإنما حق أولى بالاتباع!

٤. هناك ثلاثة أنواع من الكتب، كتب كغثاء السيل بلا معنى ولا فائدة، تنفع فقط كوسيلة للتسلية أو مكان لتحسين الحصيلة اللغوية أو للحصول على بعض المعلومات، وهي النسبة العظمى من أعداد الكتب الضخمة -للأسف-، ونوع آخر من الكتب وهي الكتب القيمة والتي تحتاج إلى تحليل؛ لكنك ستكون سعيدًا بقراءتها مرة واحدة وغالبًا لن تعود لها إلا للحصول على بعض المعلومات أو لتنشيط الذاكرة فيما أدركته من معرفة من خلالها، وهذه الكتب عادة ما تنقلك أو تعطيك الكثير من الخير -إن كانت كتب خير-، وهناك النوع النادر من الكتب، وهي الكتب التي مهما قرأتها ومهما كنت ذكيًا وقارئًا جيدًا فإنك ستعود لها مرارًا وتكرارًا، وكلما عدت إليها وجدت جديدًا، وخير هذه الكتب وأعظمها **القرآن الكريم!** هذه الكتب النادرة تحتاج

وتستحق كل ما يبذله الإنسان في سبيل فهمها والوصول إلى كنوزها! وهناك نقطة جميلة حول الكتب النادرة، فالكتب في ذاتها قد كتبت ولم يحدث تغيير عليها -عادة- ، لكنك أنت من تغيرت، فلو كنت فعلا قارئًا جيدًا وتعلمت الكثير، ثم عدت للكتاب فإنك ستتعلم الكثير، وذلك ليس لأن الكتاب تغير، بل لأنك أنت من تغيرت ووصلت إلى مستوى من الفهم والحكمة أعلى مما سبق، وهذا يدل على نقطة جميلة، وهي أن هذا الكتاب هو فوق المستوى الخاص بك! وطالما أن الناس تقرأ وتصل في كل مرة لجديد لم يصلوا له من قبل، ثم هم لم يصلوا لنهاية من المعرفة من هذا الكتاب؛ فهذا يعطي فكرة عن مدى قوة وعظمة هذا الكتاب، ولا أجد هذا بالمعنى الحرفي في غير كتاب الله -سبحانه وتعالى-!

٥. يجب أن يتربع القرآن الكريم على عرشه الحقيقي في النفوس البشرية، إننا يجب أن ننظر إلى القرآن على أنه كلام الله -جل في علاه-، المنقذ لنا، لا على أنه سجل يخبرنا بأحوال ما مضى، ولا ينبغي أن ننظر له على أنه دليل على النبوة التي أتت قبل أكثر من ١٤٠٠ عام ثم نكتفي بذلك! إننا يجب أن ننظر إلى القرآن باعتباره المحرك الأول والأساسي لهذه الأمة، يجب أن يوضع على عرشه في تلك النفوس النقية! فإن كان ذلك، علمت أنك يجب أن تفهم القرآن وتتدبره وتعقله وتتفكر فيه وأن تعمل بذلك وتجتهد، وعلينا أن نتعلم من جيل الصحابة -رضوان الله عليهم-، كيف نزل عليهم القرآن الكريم، وكيف تعاملوا معه، وكيف تعلموه! ويجب علينا أن ننظر إلى القرآن الكريم على أنه المرشد الحقيقي والموجه الحي لحل مشكلاتنا، إنها الحلول التي ستنير الحاضر والمستقبل، وتعالج آلام اليوم والغد...

٦. إن سنة الله -سبحانه وتعالى- اقتضت مجموعة من القواعد في هذا الكون، فإن كانت هذه القواعد تنطبق على كل ما في هذا الكون، فإن للإنسان الدور

الأهم لإدراك ما جُبل عليه هذا الكون وما جبلت عليه هذه الحياة!، وهذه نقطة مهمة، فالإنسان هو المستخلف في هذه الأرض، وهو من عليه عبادة الله -سبحانه وتعالى-، وهو من عليه عمارتها!، وليتم هذا كله، على الإنسان أن يدرك هذه السنن، وأن يسعى للوصول إلى ما قَدِر عليه من الاستقرار الجسدي والروحي!، وهو بذلك، ينظم مجموعة المكونات الجسدية والروحية التي تترابط فيما بينها لتحقيق غايته الأسمى -عبادة الله جل في علاه-، لذلك، كان هناك عناية بالجسد كما عُني بالروح -وإن كانت عناية الروح أهم وأعلى وأولى-، فإعطاء الجسد الطعام والنوم وممارسة الرياضة والزواج ونحو ذلك بلا إفراط أو تفريط؛ مما ينبغي على الإنسان القيام به -بل ويؤجر الإنسان على ذلك إن أحسن النية-!، وإعطاء الروح حقها لترتقي إلى السماء التي أتت منها، أولوية لا يضيعها إلا من أضاع نفسه!، لذلك، فإن اتساق الروح والجسد ينتج لنا النفس السوية، وخير نفس يمكنك أن تنظر إليها، هي نفس خير البشر، صلوات ربي وسلامه عليه، ففي نفسه -عليه الصلاة والسلام- ترى التكامل العجيب والتوازن الرهيب في مجالات الروح والنفس بما لا نقدر على حصره، أكان ذلك في مجال العبادة أو العمل أو العلاقات مع الآخرين أو الحرب أو القضاء أو الرحمة أو الشدة أو العلم والحكمة...إلى آخره، وهذا كله فيه إشارة مهمة، فرب العزة -جل في علاه- أرسل الأنبياء بشرًا -عليهم السلام-، يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، وهذا فيه إشارة إلى أن هذا الهدي قابل للتطبيق من البشر وقادرون عليه!، وهذا كله بتوفيق من الله -سبحانه وتعالى- وهدايته أولًا، ونية صادقة وعزم للوصول إلى أقصى ما يمكن للإنسان أن يصل إليه ثانيًا!، وإن كنا لن نصل مراتب الأنبياء -عليهم السلام-؛ لأنهم أكمل البشر، إلا أننا إذا سرنا على خطاهم فسنكون بجانبهم أو على خطاهم وطريقهم فنلحق بركبهم!، قريبين من

الرحمن -جل في علاه-، بعيدين عن الشيطان -لعنه الله-، وأريدك أن تعي أمرًا، وهو أن تنظر لملذات الجسد وحقوقه وملذات الروح وحقوقها؛ على أنها وحدة واحدة متكاملة، لا على أنها أمور منفصلة، إما أن أفعل واحدة منهما وإما أن لا أفعل أي شيء!، بل انظر لها كوحدة واحدة تقربك إلى الله -سبحانه وتعالى-، وحدة تجعل من الجسد قويًا حتى يعبد الله -جل في علاه-، وفي اللذة وسيلة تدخل الفرح والسرور إليك، فتصبح أنشط وأقوى لتؤدي ما عليك...إلى آخره، انظر إلى الجسد والروح على أنهما نسيج واحد، هدف كل واحد منهما أن يأخذ بيد الآخر للفوز بجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ؛ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ.

٧. إن الحق النفسي للإنسان أمر مهم يجب أن يدركه وأن يعيه كل مربٍ، فالله -سبحانه وتعالى- عندما شرع معالي الأمور وأكرمها وأجلها، شرع للنفوس البشرية ما يطيب خاطرها ويقضي حاجتها ممن ظلمها أو ممن اعتدى عليها!، ودون أن يحق لأحد أن يلوم أصحاب هذه النفوس عن فعلهم هذا!...، قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾، وقال تعالى في سورة الشورى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾، وهذا باب مهم يجب أن نعيه جيدًا، فيجب علينا عند إرشاد غيرنا لمعالي الأمور وأكرمها؛ ألا نجعلها شرطًا أو لزامًا لمن يسمعها، وألا نجعلها شرطا للمروءة وحسن الخلق!، فالنفوس قد تعفو أحيانًا، وقد تتعرض لمواقف يضيق صدرها عن العفو، ولا تقدر إلا على القصاص!

٨. حفظ القرآن الكريم في الصدور نعمة عظيمة، فاسعَ لحفظه ما استطعت

ذلك!

٩. المعرفة المجردة والعلم لذاته ليس غاية تطلب!، بل ما يطلب هو العلم الذي يحقق غاية، والمعرفة التي تبني عملا، فالعلم بلا عمل، كمثل من له كنز لا ينفق منه!، وأعظم الغايات هي الغاية التي خُلقنا لأجلها؛ عبادة الله -سبحانه وتعالى- وتوحيده، ومن كانت هذه غايته؛ عمل ليصلح نفسه ويهذبها بما علمه من مصادر العلم الشرعي، ومن كان هذا حاله؛ فاز وأفلح بإذن الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: "لا حَسَدَ إلَّا في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتاهُ الله مالًا، فَسَلَّطَهُ علَى هَلَكَتِهِ في الحَقِّ، وآخَرُ آتاهُ الله حِكْمَةً فَهو يَقْضِي بها ويُعَلِّمُها"، وقال ﷺ: "مَن يُرِدِ الله به خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ"، وكان ﷺ يدعو ربه، فيقول: "اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ عِلمًا نافعًا"، لاحظ عظم الهدي النبوي في التعامل مع العلم، ففيه سؤال العلم، لكن ليس أي علم، بل العلم النافع!، ومنه ما روي عن رسول الله ﷺ: "سَلوا الله عِلمًا نافعًا وتعَوَّذوا باللهِ مِن علمٍ لا ينفعُ"، فهذه واحدة، ثم ترى الهدي النبوي يرشدك لأن تتفقه في الدين، والتفقه يشمل التعلم والحرص على الفهم والاستيعاب، بل ويتعدى ذلك ليصل إلى فهم دقائق الأمور من أدلتها التفصيلية!، وهذه ثانية، ثم انظر إلى مربط الفرس، وهو الحث على العمل بالعلم الذي تعلمته!، فالعلم إن لم يدعُك للعمل كان وبالا عليك، وحُجة عليك!، ولاحظ كيف كان من يؤتى الحكمة ويقضي بها ويعلمها؛ أهل للغبطة!، قال تعالى في سورة الزمر: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٩﴾﴾، أنظر لجمال هذه الآية الكريمة، إننا نذكر دوما في معرض حديثنا قوله

تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾، لكن قليل منا من ذكر الآية كاملة عند حديثه عن العلم، وعند تفريقه بين من يعلم ومن لا يعلم!، لكن لو رجعنا قليلا فقط، لوجدنا معنى عظيم، وهو مقابلة من يعمل بمن لا يعمل!، ومقابلة من يعلم بمن لا يعلم!، ووالله إنه لمعنى عظيم، قال السعدي -رحمه الله-: "هذه مقابلة بين العامل بطاعة الله وغيره، وبين العالم والجاهل، وأن هذا من الأمور التي تقرر في العقول تباينها، وعلم علما يقينا تفاوتها، فليس المعرض عن طاعة ربه، المتبع لهواه، كمن هو قانت أي: مطيع للّه بأفضل العبادات وهي الصلاة، وأفضل الأوقات وهو أوقات الليل، فوصفه بكثرة العمل وأفضله، ثم وصفه بالخوف والرجاء، وذكر أن متعلق الخوف عذاب الآخرة، على ما سلف من الذنوب، وأن متعلق الرجاء، رحمة اللّه، فوصفه بالعمل الظاهر والباطن. ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ﴾ ربهم ويعلمون دينه الشرعي ودينه الجزائي، وما له في ذلك من الأسرار والحكم ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ شيئا من ذلك؟ لا يستوي هؤلاء ولا هؤلاء، كما لا يستوي الليل والنهار، والضياء والظلام، والماء والنار. ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ إذا ذكروا ﴿أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ أي: أهل العقول الزكية الذكية، فهم الذين يؤثرون الأعلى على الأدنى، فيؤثرون العلم على الجهل، وطاعة الله على مخالفته، لأن لهم عقولا ترشدهم للنظر في العواقب، بخلاف من لا لب له ولا عقل، فإنه يتخذ إلهه هواه"، وقال القرطبي -رحمه الله-: "قال الزجاج: أي: كما لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون كذلك لا يستوي المطيع والعاصي. وقال غيره: الذين يعلمون هم الذين ينتفعون بعلمهم ويعملون به، فأما من لم ينتفع بعلمه ولم يعمل به فهو بمنزلة من لم يعلم"، وهذا كله يجب أن يقودك لأن تتفقه في الدين بما لا يسعك جهله -على أقل تقدير-، وهذا الأمر أنت ملزم به، ثم يجب أن يقودك لأن تتفقه في مجال عملك أو

تخصصك، فلو كان مجالك في الحاسب الآلي أو الطب أو الهندسة أو المهن الحرفية والتجارية ونحوها؛ فعليك أن تتعلمها وتتقنها، لتسد ثغرا من ثغور هذه الأمة، وكل منا ميسر لما خلق له، فاعمل حتى تؤدي عبوديتك على أكمل وجه، وتحقق عمارة الأرض التي استخلفت فيها، واحرص على تعلم ما ينفعك من العلوم في حياتك اليومية والعملية والعلمية، ودع عنك ما لا ينفع أو ما لا ينفعك!، فاللَّهمَّ إِنِّي أسأَلُكَ عِلمًا نافعًا، ورِزْقًا طيِّبًا، وعمَلًا مُتقَبَّلًا، اللهم آمين.

ملاحظة: كلمة الحسد الواردة في الحديث هي الغبطة، والغبطة هي أن تتمنى النعمة التي تراها عند أخيك دون أن تتمنى زوالها عنه.

١٠. اعلم أن الغاية التي خلقنا لأجلها هي عبادة الله -سبحانه وتعالى-، لذلك انظر لكل العناصر المادية المدنية -في أحسن أحوالها- على أنها وسيلة وليست غاية!، فعمارة الأرض وسيلة أما الآخرة فهي الغاية...فأدرك ذلك جيدا!

الكلام يطول ولا ينتهي، لكن؛ لكل بداية نهاية، وأظننا وصلنا إلى نهاية هذه الكلمات، فما قُدر لنا فكتبناه فأصبنا؛ فهو من فضل الله -سبحانه وتعالى- علينا، بيقين جازم لا شك فيه، وما أخطأنا أو قصرنا به فهو من نقصنا وسيئاتنا وقلة همتنا، فنسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يغفر لنا ما علمنا وما لم نعلم، ونسأله الرحمة والغفران، وأن يبني لنا عنده بيتًا في الجنة، وأن ينجينا من القوم الظالمين، والأمر كله لله -جل في علاه-، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

تم بفضل الله -سبحانه وتعالى- وتوفيقه في السابع والعشرين من شهر رمضان لعام ١٤٤٥ هجري، على يد العبد الفقير لله -سبحانه وتعالى-؛ أنيس حكمت أنيس أبو حميد، فلا تنسوه من صالح دعائكم، ولتدعوا له الله -جل في علاه- بالرحمة والمغفرة، وصحبة الرسول ﷺ في جنة الفردوس...، والحمد لله رب العالمين.

فهرس النقاط

- **الأخلاق والصفات**

○ باب الصبر

٣٤، ٩٩، ١٢١، ١٤٢، ١٨٢، ١٨٤، ١٩١، ٢٣٠، ٢٢٢، ٢٤٢، ٢٤٩، ٢٩٦، ٣٧٧، ٤٣٦، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٨، ٥٥٩، ٥٧٧، ٥٨٢، ٦٠١، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٤، ٦٣٩، ٦٦٩، ٧١٢، ٧٧٩، ٧٨٤، ٨٣٢، ٨٥٢، ٨٧٣، ٨٩٦، ٩١٠، ٩٢٩، ٩٥٨، ١٠٣٧، ١١١٣، ١١١٦،

○ باب اللين والشدة

٥٠، ٢٣٥، ٣٥٨، ٣٩٠، ٤٢٧، ٤٥٥، ٥٤١، ٦٢٧، ٦٤٢، ٦٤٧، ٦٥٠، ٦٩٣، ٨١١، ٨١٢، ٩٢٧، ٩٢٩، ٩٥٨، ١٠٣٢، ١٠٤٢، ١١١٨،

○ باب الشورى وحسن الخطاب

١٦٤، ٢٠٤، ٢٣٦، ٢٩٧، ٣٠٧، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٦٨، ٥٤١، ٥٨٣، ٦٠٢، ٦٢٧، ٦٣٧، ٦٤٧، ٦٤٩، ٦٨٣، ٧٤١، ٨١١، ٨١٣، ٨٢٤، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٩٣، ٩٠٢، ٩٠٩، ٩١٠، ٩٢٧، ٩٦٨، ٩٨٧، ١٠٠٤، ١٠١٣، ١٠٦٩، ١١٠٩،

○ باب مشاركة ما طاب من الكلام والأفعال دون غيره

٢٩٩، ٣١٦، ٦٨٧، ٧٥٣، ٧٥٤، ٨١٢، ٨١٣، ٨٦١، ٨٩٩،

○ باب في التعامل مع الخوف وبناء الشجاعة

٣٠، ٢٣٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٥٣، ٤٥٤، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٤، ٥٣٢، ٥٣٤، ٥٩٦، ٦٠٨، ٦٣٤، ٦٩١، ٦٩٣، ٦٩٤، ٧٩٠، ٨٠٣، ٨٤٤، ٨٨٥، ٩٠٩، ٩١٣، ٩٩٦، ١٠٧٣، ١١٠٧، ١١١٧،

○ باب العزة والكرامة

١٤، ٢٢، ٨٧، ٢٥٥، ٣٢٣، ٣٤٦، ٣٥٧، ٣٩٠، ٤١٥، ٤٥٤، ٤٦١، ٤٧٤، ٥٣٢، ٥٥٦، ٥٧٤، ٦٤٥، ٧٣٤، ٧٧٢، ٨٠٣، ٨٤٤، ٨٨٥، ٩٠٩، ٩٢٠، ٩٩٩، ١٠٠١، ١٠١٢، ١٠٣٨، ١٠٩٣، ١١٠٠، ١١٠٥، ١١٠٧، ١١٢٧، ١١٣٤،

○ باب الإنفاق

١٢، ١١٥، ١٥٤، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٧، ١٧١، ١٩٠، ١٧٢، ٤١١، ٤٧٨، ٤٨٧، ٤٩٧، ٥٥٢، ٥٧٥، ٦١٩، ٦٣٧، ٧٥٥، ٨٠٥، ٨٤٥، ٨٦٩، ٩١٥، ١٠١١، ١٠٣٧، ١٠٦٥، ١٠٧١، ١٠٨٤، ١١١٣، ١١١٦، ١١١٧،

○ باب الإسراف والتبذير

٢٣٢، ٣١٧، ٤٠٢، ٤٠٣، ٥٧٥، ٦٣٧، ٦٤١، ٧٣٦، ٩١٥، ١٠٦٥، ١١١٧،

○ باب البخل والشح

٢٤٣، ٤٧٨، ٥٧٥، ٦٣٧، ٦٤١، ٧٣٦، ٩١٥، ١٠٣٧، ١٠٤٥، ١٠٦٥، ١٠٧٣،

○ باب النسيان

٥٧٤، ٦٦٢، ٦٦٩، ٦٩٩، ٨١٨،

○ باب الاعتراف بالذنب

١٧، ٢٨، ٢٨٩، ٣١٤، ٥٠٤، ٦١٤، ٦٦٩، ٧٤٠، ٨٠٢، ٨٢١، ٩١٣، ٩٤٢، ٩٥٤، ٩٧٠، ١٠٥٤،

- باب الغرور وخطورته

٩، ٢٠٣، ٢٧٩، ٣١٥، ٣١٨، ٣٧٩، ٤٧٢، ٥٧٩، ٦٦٤، ٨٤٦، ٩٥٠، ٩٨٣، ٩٩٦، ١٠٥٥، ١١٢٥،

- باب الصدق وخطورة الكذب

٣٢، ٧١، ٨٤، ١٠٩، ١١٨، ٢١٣، ٢٤٩، ٣٦٣، ٤٣١، ٤٩٠، ٥٧٣، ٥٩٠، ٦٤٤، ٦٤٦، ٦٥٠، ٧٤٠، ٧٥١، ٨١٢، ٨٦١، ٩٠٨، ٩٤١، ٩٥٤، ٩٨٦، ٩٩٨، ١٠٣١، ١٠٦٥،

- باب النفاق

١٥، ٥٣، ١٣٤، ٣٢٥، ٤٨٨، ٨٠٢، ١٠٤٢، ١٠٤٧، ١٠٥٨، ١٠٧٥، ١١٠٧،

- باب الوفاء بالعهود والمواثيق

٢١، ٢١٩، ٣٣٥، ٤٦٣، ٧٢٩،

- باب الأمانة وحفظ السر

٢٠٦، ٢١٧، ٢١٩، ٢٣٦، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٨٥، ٤٣١، ٨١٩، ٨٣٤، ١٠٦٧،

- باب الكبر وخطورته، وأهمية التواضع

٢٤، ٢٨، ٤٠، ٢٧٩، ٤٠٦، ٤١٥، ٤١٨، ٤٢٧، ٤٨٩، ٥١٢، ٥٤١، ٥٥٤، ٥٧٣، ٥٧٩، ٦٢٠، ٦٤٥، ٦٦٤، ٧٨٧، ٨٢٤، ٨٤٠، ٨٤٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٩١٣، ٩٥٤، ٩٧٤، ٩٧٧، ٩٨٣، ٩٩٦، ١٠٠٥، ١٠٠٩، ١٠٣٦، ١٠٥٥، ١٠٨٤، ١١٠٣، ١١٠٨، ١١١٦، ١١٢٥،

○ باب القناعة والرضا

١٥٦، ٢٣٢، ٢٣٦، ٤٨٦، ٥٢٠، ٥٣٦، ٥٧١، ٥٨٠، ٥٩٨، ٦١١، ٦٤٧، ٧٠١، ٧٧٨، ٨٣٩، ٨٩١، ٩٦٤، ١٠٦٥، ١١٢٥،

○ باب الإحسان وشكر الإحسان

٤١، ٥٦، ٨٤، ١٥٣، ١٦٥، ٢٢٤، ٢٥٤، ٢٦٢، ٢٧٨، ٢٨٨، ٢٩٦، ٣٢٢، ٣٢٩، ٣٤٣، ٣٨٨، ٤٤٧، ٥٧٤، ٥٨١، ٦١٧، ٦١٨، ٦٢١، ٦٢٨، ٦٣٦، ٧٥٥، ٧٩١، ٨١٧، ٨٣٥، ٨٤٣، ٨٤٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ١٠٤٥، ١٠٦١، ١٠٧١، ١٠٨٤، ١٠٩٥، ١١٠١، ١١١٤، ١١١٦،

○ باب المسلمون أخوة، والتقوى معيار التفاضل

٤٣، ٥٠، ٧٢، ٨٧، ١٢٤، ١٦١، ١٨٣، ٢٠٨، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٣٧، ٢٦٤، ٢٧٤، ٢٩٤، ٣٠٣، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٨١، ٤٣٩، ٤٥٩، ٤٦٥، ٥١٢، ٥٣٩، ٥٥١، ٥٦٠، ٥٦٤، ٥٧٤، ٥٨٩، ٦٠٦، ٦٤٨، ٦٥٤، ٦٨٥، ٧٥٠، ٧٥٣، ٧٨٩، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨١٦، ٨٣٢، ٨٦٠، ٨٦٥، ٨٨٦، ٩٠٦، ٩١٢، ٩٤٢، ٩٦٢، ٩٧٤، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٩، ١٠٣٨، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٧١، ١١٠٣، ١١٠٧، ١١١٧، ١١٢٥،

○ باب العناية بالبدن

٤٤، ١١٢، ١٣٢، ١٣٣، ١٨٩، ٣١٧، ٣٣٤، ٣٣٩، ٣٤٠، ٤٠٢، ٤١٦، ٤٦٤، ٥٣٢، ٥٧٦، ٥٧٧، ٦١٩، ٦٨٠، ٨٤٥، ٩٤٥، ٩٨٤، ٩٩٦، ١٠٣٠، ١٠٥٧، ١٠٨٨، ١١٠٥،

○ باب العفو وكظم الغيظ

٦٩، ٢٢٤، ٣٢٩، ٤٤٧، ٤٤٨، ٥٧٤، ٥٨٢، ٦٢٨، ٦٦٩، ٧٣٠، ٧٨٧، ٩٦٨،

○ باب دع عنك ما لا يعنيك

٨٢، ٢٩٩، ٣٦٥، ٤٩٣، ٤٩٨، ٦١١، ٦٤٤، ٦٨٧، ٧٤٣، ٧٥٨، ٨٠٢، ٩٤٧، ١٠٠٢، ١١٠٤، ١١٢٩،

○ باب الاتزان

١١٠، ١٣٥، ١٧٠، ١٩٧، ٢٣٢، ٢٧١، ٢٨٨، ٣٣٤، ٣٥٧، ٣٧٥، ٣٨٥، ٤٠٣، ٤٣٠، ٤٤٨، ٤٨٨، ٤٩٧، ٥٠٣، ٥٠٩، ٥١١، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٣٤، ٥٤٨، ٥٥٣، ٥٧٤، ٥٧٩، ٥٨٨، ٦١٩، ٦٢٨، ٦٣٩، ٦٤١، ٦٤٩، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٨، ٧١١، ٧٢٦، ٧٣٦، ٧٤٦، ٧٦٢، ٧٨٢، ٧٨٧، ٨٠٢، ٨٢٠، ٨٢٢، ٨٧٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٩١٥، ٩٣٢، ٩٣٧، ٩٤٥، ٩٥٧، ٩٦٨، ٩٧٤، ٩٩٦، ٩٩٧، ١٠١١، ١٠٢٤، ١٠٣٦، ١٠٥٤، ١٠٦٠، ١٠٦٥، ١٠٨١، ١٠٨٦، ١٠٨٨، ١٠٩٥، ١١٠٥، ١١١٤، ١١١٧،

○ باب الرجولة والشهامة وحفظ العورات

١٢٧، ١٩٧، ٢٠٨، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٤، ٢٧١، ٢٧٤، ٢٧٨، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٤٦، ٣٥٧، ٣٨١، ٤١٦، ٤٤٧، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٩٩، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٩، ٥٥١، ٥٥٨، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٤، ٦١٧، ٦١٨، ٦٣٨، ٦٤٢، ٦٤٤، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٥٠، ٧٥٣، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٦٨، ٧٩٦، ٨٣٢، ٨٣٥، ٨٣٧، ٩٠٣، ٩٢٧، ٩٩٧، ١٠٠٣، ١٠٠٦، ١٠٠٩، ١٠٤٥، ١٠٦٧، ١٠٧١، ١٠٩٥، ١١٢٧،

- باب حفظ الحقوق والحرص عليها وترك الخجل

١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ٢٠٧، ٤٠٨، ٤٣١، ٤٨٦، ٥٧٩، ٦٢٨، ٨٤٢،
٩٠٤، ٩٤١، ٩٩٧، ١٠٤١،

- باب الهم والحزن، والعجز والكسل

٨، ٢٩٠، ٢٩١، ٥١٣، ٥٤٤، ٦٦٧، ٧٣٧، ٧٨٤، ٨٤٢، ٨٩١، ٩١١، ٩٣٨،
٩٤١، ١٠٢٠، ١٠٢٢، ١٠٨٣، ١٠٩٧، ١١١٤، ١١١٧،

- باب الهجرة

٣٠٧، ٦٠٣، ٦٦٠، ٨٦٠،

- باب الطهارة والستر وحسن اللباس

٤١٦، ٤١٨، ٤٢٠، ٦٨١، ٧٥٧، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦٢، ٧٧٢، ٨٠٢، ٨٢٦، ٨٣٥،
٨٩٣، ٩٠٣، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٣٠، ١٠٥٧، ١١٢٠، ١١٢٩،

- باب أهمية الوقت وخطورة إضاعته

٨٢، ٣١٧، ٣٢٠، ٣٧٤، ٤٦٤، ٥٤٠، ٦٥٢، ٦٨٠، ٧٤٣، ٨٠٥، ٨٢١، ٨٧١،
٩٣٨، ١٠١٣، ١٠٩٧، ١١٢٠،

- باب الاستئذان

٧٥٦، ٧٧٦، ٩٠٤،

- باب الزواج

٢٥، ١٤٨، ٢٥٧، ٢٦٧، ٤٢٨، ٥٧٧، ٦٣٤، ٦٤٢، ٦٧٩، ٧٤٦، ٧٥٧، ٧٦٣،
٧٦٥، ٨٣٧، ٨٩٤، ٩٠١، ٩٠٣، ١٠٥١، ١٠٨١، ١٠٩٥،

○ باب الأيمان

٣٦٣، ٧٥٥، ٧٧٣،

○ باب الهدية

٨٢٤، ٨٦٩،

○ باب فن التجاهل

٨٨، ٧٨٧، ١٠٠٦،

○ باب التحبب من خلال انتقاء الأسماء

١٠٠٣، ١٠٠٤،

○ باب آداب المجالس

١٠٤٠، ١٠٤١، ١١٠٣،

● **العلم**

○ باب الحرص على العلم

٤٥، ٥٢، ٦٦، ١٦٩، ٢٠٠، ٣٣٧، ٣٩٢، ٤١٤، ٤١٥، ٤٤٧، ٥٠٩، ٥٣٢، ٥٤٠، ٥٦٦، ٥٩٣، ٦١٣، ٦١٦، ٦٢٦، ٦٣٤، ٦٥٠، ٦٦٧، ٦٧٢، ٦٩٣، ٦٩٨، ٧٠٤، ٧١٠، ٧٣٢، ٧٧٢، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨١٣، ٨٥٨، ٨٦١، ٨٦٢، ٩١٠، ٩٢٢، ٩٢٩، ٩٣١، ٩٣٦، ٩٤٣، ٩٥٩، ٩٧٨، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٩٦، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٣٨، ١٠٥٥، ١٠٩٩، ١١٠٥، ١٠٩٨، ١١٢١،

○ باب آداب المتعلم

٢٠٢، ٢٤٣، ٣١٨، ٣٦٥، ٤٧٦، ٥٤٠، ٦١٦، ٦٧٠، ٦٩٨، ٧٠٣، ٧٤٠، ١٠٣٨، ١٠٨٧،

○ باب القدوات

٣٨٩، ٣٩٠، ٤٣٠، ٤٣٥، ٤٦١، ٤٧٦، ٥٣٩، ٥٤١، ٥٧٤، ٦٥٥، ٦٦٣، ٦٨٠، ٦٩٠، ٧٧٢، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٢٣، ٨٣٧، ٨٨٨، ٨٩٢، ٩٤٣، ٩٧٣، ١٠٥٨، ١٠٧٧، ١١٠٥،

○ باب المعلم وأهل العلم

١٠١، ١٦٩، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٤٣، ٢٩٩، ٣١٥، ٣١٨، ٣٥٣، ٣٩٢، ٤٣٥، ٥٠٩، ٥٢١، ٥٥٧، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٧٣، ٦١٦، ٧٨٥، ٨٠٠، ٨٢٣، ٨٢٥، ٨٥٩، ٩٠١، ٩٠٨، ٩٢٢، ٩٢٨، ٩٨٦، ١٠٣٧، ١٠٤١، ١٠٥٥، ١٠٩٩، ١١٠٨،

○ باب العلم بالغيب

٢٣، ١٤٢، ١٤٦، ١٨٥، ٣٣٣، ٣٨٢، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٩٣، ٥٩٣، ٨٠٢، ٨٢٨، ٨٦٣، ٩٣٧، ٩٩٠، ١٠٢٣،

○ باب حسن الظن

٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٦، ٢٥٢، ٢٧٣، ٢٩٢، ٤٣٠، ٤٥٢، ٥٦٣، ٥٧١، ٥٧٤، ٥٨٣، ٦٨٣، ٧٧٢، ٧٩٧، ٨٠٢، ٨٤٤، ٨٩٠، ٩١٨، ٩٤٣، ٩٥٥، ٩٩٣، ١٠١٨، ١٠٢٨، ١٠٣٦، ١٠٥٦، ١١١٥،

- **الحقوق والمعاملات**

○ باب حقوق اليتيم

٢٥٦، ٢٦٠، ٨٨٤، ١١١٦، ١١١٧،

○ باب حقوق الزوجين

١٩٧، ٢٥٧، ٢٦٧، ٢٧٥، ٣٢٢، ٤٩٩، ٥١٥، ٦٣٤، ٧٤٦، ٨٨٩، ٨٩٠، ٩٠٢، ١٠٦٠، ١٠٦٣، ١٠٦٧، ١٠٩٥، ١١٠١،

○ باب حقوق الأبناء والآباء

١١١، ١٩٦، ٢٥٨، ٢٨٦، ٣٦٦، ٤٠٧، ٤٤٦، ٤٥٥، ٤٧١، ٥١٥، ٥٣٣، ٥٤١، ٥٦٤، ٥٨٧، ٦١٧، ٦٣٦، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٦٠، ٦٦٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٧٦٤، ٧٧٢، ٧٩١، ٨١١، ٨١٤، ٨٣٧، ٨٧٤، ٩٠١، ٩٢٨، ٩٣٢، ٩٨٦، ١٠٦٠، ١١٠١، ١١١٧،

○ باب حقوق المرأة

١٤٨، ١٤٩، ١٩٧، ٢٢٦، ٢٥٤، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٦، ٢٧١، ٣٢١، ٤٩٩، ٦١٧، ٧٤٦، ٧٦٣، ٧٦٤، ٨٣٥، ٨٣٧، ٨٩٧، ٩٠٢، ١٠٣٨، ١٠٩٥،

○ باب الحقوق بين صاحب العمل والموظفين

٢٠٦، ٢٨١، ٦٢١، ٨٣٦، ٨٤٣،

○ باب حق الجار

٢٧٧، ٦٤٢،

- باب إبراء الذمة

١١٧، ١١٨، ٢٦٣، ٤٠٨،

- باب حق الحيوان

٨١٧، ٩٠٦،

- باب حق الضيف والمضيف

٩٠٤، ٩٤١، ١٠١٤، ١٠٤١،

- **المعاصي والآثام والذنوب العظام**

- باب الكفر والشرك أعظم الذنوب

١٩٢، ٢١٢، ٢٨٤، ٤٦٨، ٤٨٤، ٤٩١، ٤٩٢، ٥٠٢، ٥٤١، ٦٢٣، ٧٧٩، ٨٠١، ٨٠٦، ٨٤٠، ٨٥٣، ٨٦٤، ٨٧٠، ٩٢٦، ٩٣٧، ٩٥٥، ٩٧٠، ٩٨٢، ١٠٩٧، ١١٠٦، ١١٢٨، ١١٣٢،

- باب سفك الدماء

٥٨، ١٣٢، ١٩٢، ٢٦٩، ٣٠٥، ٣٤٩، ٤٠١، ٤٠٧، ٦٠٣، ٦٤٠، ٦٥١، ٨٥٠، ١١٠٦،

- باب فاحشة الزنا

٢٥، ٥٦٨، ٥٧٧، ٦٤٠، ٦٤٢، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٥٤، ٧٥٧، ٧٦١، ٧٦٣، ٨٩٥، ٩٠٣، ٩٥١،

- باب فاحشة الشذوذ الجنسي

٤٠٣، ٤٢٨، ٥٧٧، ٧١٣، ٧٥٤، ٧٥٧، ٨٢٦، ٨٥٣،

- باب الخمور والمسكرات

١٤٤، ٢٨٢،

- باب التولي يوم الزحف

٤٥٤،

- باب السحر والحسد

٦٥، ٢٧٢، ٥٦٤، ٥٧١، ٥٨٠، ١١٣٥،

- باب قبيح الكلام بما نطق به اللسان

٣٢٨، ٣٩٤، ٤٤٧، ٤٩٨، ٦٣٦، ٧٤٣، ٧٤٧، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٨، ٧٦٩، ٨٥٣، ٨٧٣، ٩٠١، ٩٠٦، ٩٦١، ١٠٠٢، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠٥٨، ١٠٦٧، ١١٠٣،

- باب الرشوة والسرقة وقطع الطريق

٣٥٠، ٣٥٢، ٤٠٨، ٤٤١، ٨٥٣، ١١٠٢،

- باب خطورة الذنب والتجرؤ عليه والمجاهرة به

٤٢، ١٠٣، ١٣١، ١٦٦، ١٩٣، ٢٢٨، ٢٤٢، ٢٧٠، ٢٩٧، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٦٨، ٣٧٢، ٤٠٤، ٤٦٢، ٤٨٩، ٤٩٠، ٥٤٥، ٥٦٧، ٥٩٤، ٦٣٢، ٦٤٢، ٦٤٨، ٧٤٧، ٧٥٤، ٧٦١، ٨٣٣، ٨٥٠، ٨٧٠، ٩٥٤، ٩٥٥، ١٠٢٩، ١٠٣٤، ١٠٣٧، ١٠٩٧، ١١٠١، ١١٢٤،

○ باب خطورة ترك الأعمال الصالحة

٦٤، ١٤٣، ٢٢٨، ٣٦٨، ٨٧٠، ٩٢٦، ١٠٣٤، ١١٢٤،

○ تحريف الكلام عن مواضعه والفتوى بغير علم

٥٣، ٣١٤، ٤٣٦، ٤٤٠، ٦٢٤، ٧٣٨، ٨٣٣، ٨٤٦، ٨٥٠، ٨٦١، ٩٥٤، ٩٥٨، ٩٨٦، ١٠٣١، ١٠٥٨،

○ باب لا تكن ظالما

٥٩، ٧٣، ١٣١، ٢٨١، ٤٧١، ٥٢٥، ٦٠٤، ٦٤٤، ٧٣٠، ٨٠٦، ٨٢٩، ٩٠٧، ٩٦٩، ١٠٠٠، ١١٢٢،

● **ونفس وما سواها**

○ باب تزكية النفس وتهذيبها وتقديرها

١٠، ١٢٦، ١٣٢، ١٣٦، ١٧٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٩، ٣٠٩، ٣٢٧، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٦٤، ٣٧٦، ٣٧٧، ٤١٨، ٤٢١، ٤٢٣، ٤٤٨، ٤٦٤، ٤٧٢، ٤٨٥، ٤٨٨، ٤٩٧، ٥٠٤، ٥٠٨، ٥١١، ٥٢٤، ٥٤٠، ٥٥٤، ٥٥٨، ٥٧٤، ٥٧٧، ٦١١، ٦٢٦، ٦٤١، ٦٤٧، ٦٥٠، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٩٣، ٦٩٦، ٧٢٠، ٧٣٢، ٧٣٩، ٧٥٦، ٧٦٩، ٧٧٢، ٧٧٨، ٨٠٢، ٨١٣، ٨٣٠، ٨٣٥، ٨٣٩، ٨٤٩، ٨٧٣، ٨٧٦، ٨٨٣، ٨٩٥، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩١١، ٩٢٣، ٩٢٥، ٩٣٥، ٩٤١، ٩٨٦، ١٠١٧، ١٠٢٠، ١٠٢٤، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٦، ١٠٤٥، ١٠٥٠، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦٥، ١٠٨٣، ١٠٨٥، ١٠٨٨، ١٠٩٧، ١١٠٥، ١١١٤، ١١١٧،

○ باب أمراض القلوب

١٦، ٤٩، ٢٣٤، ٣٩٨، ٤٧٢، ٧٧١، ٨٦٤، ٨٩٢، ٩١٩، ٩٥١، ١٠٠٩، ١٠٧٣، ١٠٩٧،

● **الذاكرين والذاكرات**

○ باب الذكر وفضله

٩٥، ١٩٠، ٣١١، ٣٧٢، ٤٤٨، ٤٥٠، ٤٥٨، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٤٢، ٥٥٧، ٥٩٩، ٦٠٧، ٦٦٢، ٦٨٦، ٧١٤، ٨٠٤، ٨٥٤، ٨٥٦، ٩٠٠، ٩٣٣، ٩٣٥، ٩٧٥، ١٠٨١، ١١٣١، ١١٣٣،

○ باب خطورة الإعراض عن ذكر الله -سبحانه وتعالى-

٤٦٢، ٥١١، ٧٠٠، ٩١٣، ٩٢٦، ٩٧٥، ١٠٣٤، ١٠٨٤، ١١٢٤،

○ باب حمد الله -سبحانه وتعالى- والثناء عليه

٢٩، ٣٦، ٣٨، ١٣٨، ٢٢١، ٢٣٨، ٢٥١، ٤٤٦، ٤٦٢، ٤٩٧، ٥١٤، ٥٢٦، ٥٣٧، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٨٠، ٦٠٢، ٦٠٧، ٦٣١، ٦٥٣، ٦٥٧، ٦٦٥، ٦٧٤، ٧٦٩، ٧٧٧، ٧٧٨، ٨١٥، ٨٣٩، ٩١٥، ٩١٦، ٩٧٢، ٩٨٥، ٩٨٨، ٩٩٤، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٣٢، ١٠٨٤، ١١٠٤، ١١١٨، ١١٢٦،

● **البلاء**

○ باب البلاء

٩٨، ٩٩، ١٤١، ١٨٣، ٢٢١، ٢٢٩، ٢٤٨، ٢٩٢، ٣٧٨، ٤١٣، ٤٣٢، ٤٥٥، ٥٠٠، ٥١١، ٥١٦، ٥٣٢، ٥٣٧، ٥٤٦، ٥٦٨، ٥٧١، ٥٨١، ٥٩١، ٦١٨، ٦٤٧،

٦٥٣، ٦٦٨، ٦٧٥، ٦٧٩، ٧٠٩، ٧١٥، ٧٤٤، ٧٦٩، ٧٧٨، ٧٩٤، ٨٤٨، ٨٧٦، ٨٨٧، ٩٠٩، ٩١٤، ٩٢١، ٩٦١، ٩٦٤، ٩٦٦، ١٠٣٦، ١١١١، ١١١٢، ١١١٧، ١١١٩، ١١٣٥،

○ باب مشكلة الشر ليس لها مكان أمام عظمة الإسلام

١٠٠، ٢٩٢، ٣٠١، ٦١٤، ٦٥١، ٧٤١، ٧٤٤، ٧٩٤، ٨٢٧، ٩٤٢، ٩٦٤، ٩٨٥، ١٠٢٨، ١٠٩٠، ١١١٠، ١١١٢،

● **انشراح الصدر وحب الخير**

○ باب حب الخير للغير

١٩٦، ٢٤٣، ٢٤٩، ٢٩٩، ٣٠٤، ٣١٦، ٣٤٧، ٣٩٠، ٤٦١، ٤٦٥، ٤٧٥، ٤٨٧، ٤٨٨، ٥٠٥، ٥١٥، ٥٢٢، ٥٣٣، ٥٣٥، ٥٣٩، ٥٤١، ٥٤٤، ٥٥٦، ٥٩٢، ٦٨٠، ٦١٨، ٦٣٨، ٦٤١، ٦٨٥، ٧٨٢، ٧٨٩، ٨٠١، ٨٠٤، ٨٠٦، ٨١٦، ٨٣٤، ٨٥١، ٨٧٤، ٩٢٧، ٩٣٧، ٩٤٧، ٩٧٠، ٩٨٥، ٩٩٩، ١٠١٦، ١٠٢١، ١٠٤٦، ١٠٥٤، ١٠٦٠، ١٠٦٨، ١٠٧١، ١١٠٢، ١١١٤، ١١١٧،

○ باب انشراح الصدر

٣٤٦، ٤٠٩، ٥١٣، ٥٢٦، ٥٧٦، ٦٠٦، ٦١٧، ٦٢٢، ٦٥٠، ٦٩١، ٧٣٥، ٩٨١، ٩٩٥،

○ باب الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–

٧٦، ٨١، ٩٠، ١٣٠، ١٦٠، ١٩١، ٢٠٥، ٢٨٨، ٣٠١، ٣٤٦، ٣٨٥، ٣٩٠، ٤٤٠، ٤٨٨، ٥٢٢، ٥٤١، ٥٤٧، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥٦، ٥٧٢، ٦٠١، ٦٢٦، ٦٥٠، ٦٥٩، ٦٩٢، ٧٨٤، ٨٠١، ٨٠٩، ٨٢٧، ٨٥١، ٨٥٤، ٨٦١، ٨٧٢، ٨٧٤، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٣٧، ٩٨٥، ٩٩٩، ١٠١٦،

- باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

٣٣، ٨١، ١٩٢، ٢١٦، ٣٦١، ٣٨٥، ٤٤٠، ٤٤٨، ٥٠٦، ٥٥٩، ٥٩٢، ٥٩٦، ٦٥٠، ٦٨٦، ٨٥٤، ٨٧٦، ٩٢٦، ٩٣٧، ١٠١٦، ١٠٥٤، ١٠٨٣، ١١٠١،

- باب الحرص على الخير

٧٠، ٩٠، ٩٢، ١٩٠، ٢٠٥، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٥٨، ٢٩٩، ٣١٦، ٣١٧، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٧٤، ٣٨٢، ٣٨٣، ٤٠٩، ٤٢١، ٤٨١، ٤٨٨، ٥٠١، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥١٣، ٥١٥، ٥١٨، ٥٤٤، ٥٤٧، ٥٤٩، ٥٥٣، ٥٥٧، ٥٦٥، ٥٧٤، ٥٧٦، ٥٨٥، ٥٩٢، ٦٠٨، ٦١٢، ٦١٩، ٦٣٢، ٦٥٢، ٦٦٦، ٦٧١، ٦٨٠، ٧٢٦، ٧٣٩، ٧٤٢، ٧٥٥، ٧٦٣، ٧٨٤، ٧٨٩، ٧٩٦، ٨٠٠، ٨٠٥، ٨١٣، ٨٣٤، ٨٤٧، ٨٧١، ٨٧٣، ٨٨٠، ٨٨٨، ٨٩٩، ٩٠٩، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٧، ٩٣٣، ٩٣٩، ٩٤٤، ٩٥٠، ٩٥٧، ١٠٣٥، ١٠٥٤، ١٠٥٩، ١٠٦٥، ١٠٧١، ١٠٩٨، ١١٠١، ١١١٤، ١١٢٨، ١١٣٠،

- باب الحرص على الدعاء

٨٠، ١٣٣، ٤٢٤، ٤٣٥، ٤٤٦، ٤٩٧، ٥١٥، ٥٣٥، ٥٤٢، ٥٨٤، ٥٩١، ٦٣٣، ٦٧٨، ٦٧٩، ٧٣٥، ٧٨٦، ٧٨٩، ٧٩٦، ٨٠٠، ٨٥١، ٩٠٩، ٩٥٣،

- باب الصديق الصالح والبطانة الصالحة

٢١٨، ٢٦١، ٢٧٦، ٢٧٨، ٣٠٢، ٤٣٣، ٥٠٨، ٥٤٥، ٥٤٧، ٥٧٨، ٥٨٨، ٥٩٦، ٦٠١، ٦٣٨، ٦٦٣، ٧٨٠، ٨٣٤، ٨٣٨، ٩٢٧، ٩٣٧، ٩٧٩، ١٠٦٩،

- **الحق أولى بالاتباع**

- باب الحرص على اتباع الحق

٩، ١٨، ٤٦، ٦٠، ٦١، ٨٥، ٨٩، ١١١، ١٥٨، ١٦٠، ١٨٥، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٩، ٢٥٧، ٢٧٦، ٢٨٦، ٣٠٠، ٣٠٤، ٣٠٩، ٣٤٥، ٣٥٨، ٣٦٦، ٣٧١، ٣٨٣، ٣٩٧، ٤١٥، ٤٢٦، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٦١، ٤٧٣، ٤٨٢، ٤٨٥، ٤٨٨، ٥١٢، ٥٢٣، ٥٣٠، ٥٤٨، ٦٣٩، ٦٥٠، ٦٧٦، ٦٩٤، ٧١٢، ٧٤٠، ٧٦٧، ٧٧١، ٧٨٣، ٧٩٥، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٤، ٨١٢، ٨١٣، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٥٠، ٨٥٧، ٨٦١، ٨٦٨، ٨٨٤، ٩٠٧، ٩٢٦، ٩٣٦، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٩، ٩٥٨، ٩٦٠، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٨٥، ٩٩١، ٩٩٩، ١٠٣١، ١٠٥٥، ١٠٥٨، ١٠٦٠، ١٠٧٠، ١٠٧٧، ١٠٨٦، ١٠٩٦، ١١٠١، ١١٣٢،

- باب الحذر من أهل الضلال وما هم عليه من باطل

١٠٧، ١٣٩، ١٥٩، ٢١٤، ٢١٨، ٢٤٥، ٣٨٢، ٣٨٩، ٣٩٦، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٢٩، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٥٣، ٤٦٠، ٤٦٧، ٤٧٦، ٤٨٢، ٤٩٥، ٥٠٥، ٦٠٤، ٦٣٩، ٦٥٠، ٦٩٠، ٦٩٧، ٧٣٨، ٧٩٢، ٧٩٥، ٨٠٢، ٨٢٦، ٨٤٤، ٨٥٠، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٨٥، ٩٠٧، ٩١٣، ٩٤٣، ٩٤٦، ٩٥٢، ٩٦٠، ٩٨٥، ٩٩٢، ٩٩٩، ١٠٤٨، ١٠٥٨، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٢٢،

- باب عدم الاغترار بما عند أهل الضلال

١٤٠، ١٨٧، ٢٤١، ٢٥٣، ٣٦٨، ٣٩٠، ٣٩٧، ٥١٧، ٥٣١، ٦١١، ٧٠١، ٧١٢، ٨٤٠، ٨٤٦، ٨٤٧، ٩٢٠، ٩٤٦، ٩٤٩، ٩٧٧، ٩٩٩، ١٠٣٥، ١٠٤٣، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٩٦، ١١٠٥، ١١٠٧، ١١١٠، ١١٣٢،

- باب الحذر من الشيطان

١، ٢٧، ١٠٨، ١٣١، ١٦٨، ٣١٨، ٣٧٧، ٣٩٦، ٤٠٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤٤٨، ٤٧٢، ٦٠٥، ٦٤٨، ٧٧٢، ٩٠٣، ٩٧٥، ١٠٢٣، ١١٣٥،

○ باب الحذر من موالاة المفسدين

١٨، ١٠٧، ١٩٤، ٢٤١، ٣١٢، ٣٩٠، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٩٥، ٥٥٦، ٥٩٦، ٦٠٤، ٧٨٣، ٧٩٢، ٨٠٦، ٨٢٥، ٨٨٥، ٩١٣، ٩٢٠، ١٠٤٢، ١٠٤٧، ١٠٦٠، ١٠٧٧، ١٠٩٦، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١١٠، ١١٢٧،

○ باب الحرص على المصطلحات

٤٦، ٦٧، ١٤٤، ٥٣٣، ٥٤٣، ٦٣٩، ٩٠١، ٩٥٨، ٩٦٠، ١٠١٢، ١١١٤،

○ باب خطورة التعنت والغلو

٤٨، ١٣٥، ٣٠٩، ٣٢٢، ٣٤٢، ٣٧١، ٤١٥، ٤١٧، ٥٤٠، ٧٣٣، ٨٦٧، ١٠٥٥،

○ باب الاجتهاد وخطورة التمني بلا عمل

٥٥، ١٢٠، ١٥١، ١٨٧، ٢٣٩، ٢٧٣، ٣٢٠، ٤٧٢، ٤٨١، ٤٨٣، ٥٢٢، ٥٤١، ٥٨٩، ٥٩٧، ٦٣٤، ٦٦٧، ٦٧٣، ٧٣٧، ٧٨٤، ٧٩٠، ٨٣٩، ٨٤١، ٩٠٩، ٩١٨، ٩٢٥، ٩٣٨، ٩٤٣، ٩٥٦، ٩٨٣، ٩٨٤، ١٠١٥، ١٠٢٠، ١٠٢٢، ١٠٣٣، ١٠٥٢، ١٠٦١، ١٠٩٤، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١١٠٥،

○ باب العدل

٨٩، ١١٤، ١١٦، ١٩٧، ٢٠٩، ٢٥٧، ٢٧٦، ٣٥٤، ٤٠٠، ٤١٢، ٤٣٠، ٥٠٣، ٥٢٥، ٥٣٩، ٥٨٧، ٦٠٤، ٦٣٥، ٦٤٣، ٦٦٨، ٧٣٠، ٧٩٩، ٨٩٧، ٩٠٢، ٩٣٢، ٩٣٦، ٩٨٤، ١٠٠٠، ١٠٢٨، ١٠٣٨، ١٠٨٦، ١٠٩٤، ١١٠٢،

○ باب الشهادة

١١٨، ١٧٨، ٥٩٠، ٦٤٤،

○ باب الكسب الحلال والأكل الحلال

١٢٥، ١٧٣، ٢٠٩، ٢٦٩، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٦٢، ٣٦٤، ٤٤٠، ٤٩٧، ٥١٤، ٥٢٨، ٥٥٢، ٥٨٩، ٥٩٨، ٧٦٤، ٧٨٥، ٨١٤، ٨٤٥، ٨٩٥، ٩١٠، ٩٤١، ٩٨٤، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١١٠٢، ١١١٨، ١١٢٧،

○ باب تعظيم الله -سبحانه وتعالى- وأوامره وشعائره

٣٢٤، ٣٦٣، ٣٨٣، ٣٩٠، ٣٩٢، ٤١٥، ٤١٩، ٤٤٠، ٤٦٨، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٩، ٤٨٩، ٤٩١، ٤٩٢، ٥٠٢، ٥٠٧، ٦٠٦، ٦١٧، ٦٢٥، ٦٣٩، ٧١٠، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٣٣، ٧٤٥، ٧٥٩، ٧٦٧، ٧٦٩، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٨٦، ٨٥٦، ٨٧١، ٨٧٣، ٨٧٩، ٨٨٦، ٨٩٠، ٩٠٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٤٨، ٩٥٩، ٩٨٦، ١٠١٢، ١٠٢٣، ١٠٢٨، ١٠٣٨، ١٠٥٧، ١٠٦٠، ١٠٧٢، ١٠٧٦، ١٠٩٠، ١١٠٧، ١١٢١، ١١٢٧،

● **له الأسماء الحسنى**

○ باب جمال ما تعلمناه من أسماء الله -سبحانه وتعالى- وصفاته

٣، ٤، ٥، ٦، ٧٤، ٧٥، ١٠٦، ١٢١، ١٣٦، ١٤٦، ١٥٢، ١٥٥، ١٦١، ١٩٥، ٢١١، ٢٣٩، ٢٤٤، ٢٨٤، ٢٩٢، ٣٢٦، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٧، ٣٨٤، ٤٣٨، ٤٤٣، ٥٠٨، ٥١٩، ٥٤١، ٥٤٦، ٥٤٩، ٥٦٥، ٦١٥، ٦٨٨، ٧٠٨، ٧٣١، ٧٤١، ٧٦٦، ٧٩٤، ٧٩٦، ٨٦٦، ٨٧٩، ٩١٧، ٩٦٣، ٩٨٦، ٩٩٩، ١٠٢٨، ١٠٦٤، ١٠٩٤، ١١١٣، ١١١٤، ١١٣٤،

○ باب التوبة

٢٨، ٤٢، ١٠٢، ١٠٣، ٢٢٥، ٢٤٢، ٢٦٥، ٢٧٠، ٢٨٤، ٣١٤، ٣٥٩، ٣٧٢، ٤١٠، ٤٣٧، ٤٨٩، ٥٠٤، ٥٠٦، ٥١٩، ٥٥٧، ٥٦٧، ٦٠٧، ٦٩٥، ٧٨٨، ٩٢٣، ٩٣٨، ٩٤٧، ١٠٠٢، ١٠٧٢، ١٠٩٧، ١١٣٣،

- باب الاستعانة بالله -جل في علاه- والتوكل عليه

١، ٨، ٩٦، ١٢١، ١٥٥، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٧٣، ٢٨٣، ٢٩٢، ٣٢٠، ٣٣٧، ٣٤٦، ٣٧٠، ٤٣٥، ٤٤٨، ٤٥٣، ٤٦٠، ٤٨٣، ٥٤١، ٥٥٤، ٥٩١، ٦٢٧، ٦٥٠، ٦٦١، ٦٧٥، ٧٧٢، ٧٨٢، ٧٩٤، ٧٩٦، ٨٤١، ٩٠٩، ٩٢٣، ٩٣٥، ٩٩٠، ١٠١٣، ١٠٢٢، ١٠٥٠، ١٠٧٨، ١١٣٥،

- باب إخلاص العمل لله -سبحانه وتعالى-

٢، ١٢٢، ١٧٠، ٢٨٠، ٣٢٥، ٤١١، ٤٨٨، ٥٠١، ٦٧٧، ٧٢٨، ٧٦٧، ٧٨٧، ٨٠٠، ٩٠٣، ٩١٥، ٩٤٠، ٩٤٢، ١٠٨١، ١٠٨٤،

- باب العبادة والعبودية لله وحده -جل في علاه-

٧، ٢٦، ٣١، ٣٥، ٤٧، ٥٧، ٦٠، ٦٢، ٦٤، ٧٩، ١٠٥، ١١٣، ١١٩، ١٢٣، ١٢٨، ١٣٧، ١٤٥، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٧٩، ١٨٩، ١٩٠، ٢١٠، ٢٥١، ٢٦٨، ٢٧٣، ٢٨٣، ٢٨٧، ٣٠٤، ٣٠٨، ٣١٠، ٣١٧، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٥١، ٣٧٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٩٠، ٣٩٣، ٤٤٥، ٤٥٥، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٨، ٤٨١، ٤٩٤، ٥٠٢، ٥٠٦، ٥٤١، ٥٥٢، ٥٧٧، ٥٨٩، ٥٩٦، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦١٢، ٦١٣، ٦٣٦، ٦٥٢، ٦٦١، ٦٧٥، ٦٧٨، ٦٨١، ٦٨٤، ٦٨٩، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٧، ٧٤٤، ٧٥٩، ٧٦٥، ٧٦٧، ٧٧١، ٧٧٧، ٧٨٦، ٧٩٥، ٧٩٩، ٨٠٨، ٨٤١، ٨٥٦، ٨٦٤، ٨٧٣، ٨٨٢، ٨٨٦، ٨٩٠، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٨، ٩٠٠، ٩١٥، ٩٢٣، ٩٣٥، ٩٤٠، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٥٥، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٧١، ٩٨٥، ٩٩٩، ١٠١٠، ١٠١٢، ١٠١٥، ١٠١٧، ١٠٢٠، ١٠٢٨، ١٠٣٤، ١٠٤٦، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٧، ١٠٥٩، ١٠٦٢، ١٠٧٢، ١٠٧٤، ١٠٧٩، ١٠٨١، ١٠٨٤، ١٠٨٨، ١٠٩٧، ١١٠١، ١١٠٩، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٨، ١١٣١، ١١٣٢،

○ باب اليقين بالله -سبحانه وتعالى-

١٨٧، ١٨٨، ٣٤٤، ٤٨٣، ٥٩١، ٦٢٧، ٦٧٨، ٧٢٩، ٧٩٤، ٨٣١، ٩٤٣، ١١١٩،

○ باب الحكم لله -جل في علاه-

٢٨٧، ٣٠٩، ٣١٣، ٣٣٦، ٤١٥، ٤٢٣، ٤٥٢، ٤٧٤، ٥٠٧، ٥١٩، ٥٢٨، ٥٤١، ٦٠٦، ٦١٠، ٦١٥، ٦٣٩، ٦٥٢، ٧٤١، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٧١، ٧٧٥، ٨٣١، ٨٤١، ٨٥١، ٨٦٠، ٨٨٤، ٨٨٦، ٨٩٨، ٩٤٢، ٩٤٦، ٩٦٠، ١٠١٢، ١٠٣٨، ١٠٤٤، ١٠٦٦،

○ باب وما جعل عليكم في الدين من حرج

٤٢١، ٥٠٠، ٦١٢، ٦٢٣، ٦٨٩، ٧٣٤، ٨٩٦، ٩٣٥، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١١١٨،

● **القرآن الكريم**

○ باب عظمة كتاب الله -سبحانه وتعالى-

١١، ١٣، ١٨٤، ١٩٩، ٢٩٨، ٣٢٤، ٣٥٥، ٣٩١، ٤١٤، ٤٢٥، ٤٥٧، ٤٧٧، ٤٩١، ٤٩٢، ٥٢٧، ٥٣٨، ٥٦١، ٥٩٩، ٦٠٩، ٦١١، ٦٥٧، ٦٧٢، ٧٠٥، ٧٢٠، ٧٤٥، ٧٨١، ٨٠٧، ٨١٢، ٨٥٦، ٨٦٨، ٨٧٣، ٨٧٩، ٨٨٦، ٩٠١، ٩١٢، ٩٤٨، ٩٨٥، ١٠٢٥، ١٠٣١، ١٠٤٩، ١٠٦٨، ١٠٨٠، ١٠٨٢، ١١٢٤،

○ باب التدبر والتفكر

٢٠، ٩١، ١٠٤، ١٦٩، ١٩٩، ٢٢٧، ٢٥٠، ٣٨٣، ٣٩١، ٤٤٩، ٤٩٥، ٥١٠، ٥٢٤، ٥٦٦، ٥٨٦، ٥٩٥، ٦٥٧، ٧٦٩، ٧٧٠، ٨٥٢، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٦٥، ٩٢٢، ٩٢٦، ٩٥٩، ١٠٢٣، ١٠٨٠،

○ باب الحجج الدامغة

٥١، ١٨٢، ٣٣٣، ٤١٩، ٤٢٥، ٤٧٧، ٥٣٠، ٥٣٨، ٦٣٠، ٦٧٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٤١، ٨٠٧، ٨٥٨، ٨٦١، ٨٦٣، ٨٦٧، ٩٨٥، ١٠١٩، ١٠٤٤،

● **الثواب والعقاب**

○ باب الثواب

١٩، ٢٤٧، ٣١٩، ٣٦٠، ٣٩٩، ٤٢٢، ٤٥٦، ٤٩٦، ٥٠٦، ٥١٨، ٥٢٩، ٥٥٥، ٦٢٢، ٦٥٠، ٦٨٧، ٧٣٥، ٧٨٨، ٨٢٠، ٨٨٢، ٩٠٨، ٩٣٠، ٩٥٥، ٩٨٧، ٩٩٩، ١٠٦٤، ١٠٨٩، ١١٠٤، ١١١٢،

○ باب إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا

٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٧، ٢٥٢، ٤٠٠، ٤٤٢، ٤٧٠، ٤٩٤، ٥٠٦، ٥٥٥، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٨١، ٥٩٢، ٦٢٢، ٦٨١، ٦٨٨، ٧١٧، ٧٧٩، ٧٩٣، ٧٩٧، ٨٠٢، ٨٨١، ٨٩٧، ٩٢٣، ٩٨٤، ١٠١٧، ١٠٢٨، ١٠٩٤، ١١١٤، ١١٢٤،

○ باب العقاب

٥٤، ٢٤٢، ٣٠٥، ٣٧٩، ٣٩٥، ٤٢٧، ٤٨٩، ٥٥٥، ٥٩٢، ٥٩٤، ٥٩٧، ٦٠٤، ٨٠٢، ٨٢٠، ٩٩٩، ١٠٢٩، ١١١٠، ١١١٢،

● **غيبيات**

○ باب علامات الساعة

٤١٠، ٥٩٤، ٦٥٢، ٧١٨،

- باب الموت

٦٣، ١٦٢، ٢٣١، ٢٤٦، ٣٨٣، ٤٩٣، ٥٨٤، ٦١٢، ٦١٣، ٦٥١، ٧٠٢، ٧٤٢، ٧٩٧، ٧٩٨، ٨٨١، ٩٢٤، ٩٤٥، ٩٥٠، ٩٨٨، ١٠٢٨، ١٠٣٣، ١٠٥٦، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٨، ١١٠٠، ١١٢٥،

- باب اليوم الآخر

٣٧، ٨٦، ١٧٤، ١٨٦، ٣٧٣، ٣٨٢، ٤٤٤، ٥٥٥، ٦١٥، ٦٣٥، ٧٠٢، ٧٤٤، ٧٧٩، ٨٢٧، ٨٥٢، ٨٧٥، ٩٣٠، ٩٥٠، ٩٨٥، ١٠٢٨، ١٠٩٨، ١١١٢،

- **الأنبياء -عليهم السلام-**

- باب رسالة الأنبياء

٣٩، ٨٣، ٩٤، ١٧٩، ٢٠٤، ٢١٠، ٣٣١، ٠، ٣٣٢، ٣٦٩، ٣٨٠، ٣٨٩، ٤٣٩، ٤٤٥، ٦١٤، ٦٨٦، ٧١٠، ٧١٦، ٧١٩، ٧٣٨، ٧٧٨، ٧٩٩، ٨٠١، ٩١٢، ٩٣٤، ٩٨٥، ١٠٩٠،

- باب فضل الأنبياء وذكر بلائهم

١٩٨، ٢٣٠، ٢٣٨، ٣٣٠، ٣٤٦، ٣٦٧، ٤٨٠، ٥٣١، ٥٤١، ٥٦٦، ٥٦٨، ٥٧٢، ٥٧٤، ٥٨١، ٥٨٢، ٦٣١، ٧١٤، ٧١٩، ٨٠٠، ٨٣٥، ٨٣٧، ٨٣٩، ٨٥١، ٨٥٨، ٨٨٨، ٩٠٠، ٩٠٥، ٩٣١، ٩٣٥، ٩٣٨، ٩٤٣، ٩٦١، ٩٧٣، ١٠١٤، ١٠١٩، ١٠٦٨، ١١٠٢، ١١٢٧،

- **الجهاد**

- باب عداء الكفار والفاسقين والمفسدين للمسلمين

٦٨، ٧٧، ٢٩٥، ٣٥٦، ٤٢٦، ٤٢٩، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٦٧، ٥٤٥، ٧٩٢، ٧٩٣، ٩٠٩، ٩٨٠، ٩٩٢، ١٠٤٧، ١٠٧٥، ١٠٩٦، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٢٧،

- باب الجهاد وأهميته

٩٧، ١٢٩، ١٣٠، ١٥٧، ١٨٨، ٢٣٣، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣٤١، ٣٤٦، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٧٠، ٤٧٣، ٤٨٠، ٤٨١، ٥٠٩، ٥٥٨، ٧٧٤، ٨٠٣، ٨١٢، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٤، ٨٤٩، ٨٦٢، ٨٧١، ٨٨٥، ٨٩٤، ٩٠٩، ٩٨٠، ٩٨٩، ١٠٠١، ١١٠٧، ١١٢٧،

- **أُخرى**

- باب المساجد وحرمتها

٧٣، ٧٨، ٩٣، ٤٢٠، ٤٦٩، ٤٧٠، ٦٢٩، ٧٢١، ٧٦٧،

- باب يوم الجمعة

٦٢٥، ١٠٤١، ١٠٥٧،

- باب الرؤى والأحلام

٥٦٢، ٥٦٣، ٦٤٤، ١٠١٨،

- باب فضل المرأة المسلمة على المرأة الكافرة

١٤٧، ٧٤٦، ١٠٥١،

- باب الظهار واللعان

٧٤٨، ١٠٣٨، ١٠٣٩،

- باب النذر

١٠٩١،

- باب القبور

١٠٩٢، ١٠٩٣، ١١٠٠،

المراجع

(١) **القرآن الكريم - المرجع الأول لأمة الإسلام**

(٢) كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير القرطبي) | الطبعة الأولى | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٣) كتاب تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) | ابن كثير | الطبعة الأولى | دار ابن حزم | بيروت

(٤) كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير السعدي- | عبد الرحمن السعدي | الطبعة الأولى | مؤسسة الرسالة | بيروت

(٥) كتاب معالم التنزيل (تفسير البغوي) | أبي محمد البغوي | دار طيبة | الرياض

(٦) كتاب تفسير ابن رجب الحنبلي | ابن رجب الحنبلي | الطبعة الأولى | دار العاصمة | الرياض

(٧) كتاب الدر المنثور في تفسير المأثور | السيوطي | دار الفكر | بيروت

(٨) كتاب صحيح البخاري | محمد بن إسماعيل البخاري | الطبعة الأولى | دار ابن كثير | بيروت

(٩) كتاب صحيح مسلم | مُسلم بن الحجاج النيسابوري | الطبعة الأولى | دار الكتب العلمية | بيروت

(١٠) كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري | ابن حجر العسقلاني | المكتبة السلفية

(١١) كتاب المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج | بشرح النووي | الطبعة الثانية | مؤسسة قرطبة

(١٢) كتاب زاد المعاد في هدي خير العباد | مؤسسة الرسالة | الطبعة الأولى | بيروت

(١٣) كتاب صحيح جامع بيان العلم وفضله | الحافظ ابن عبد البر | مكتبة ابن تيمية | القاهرة

(١٤) كتاب مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين | ابن القيم الجوزية | الطبعة الأولى | دار الكتب العلمية | بيروت

(١٥) كتاب السيرة النبوية | ابن هشام | الطبعة الثالثة | دار الكتاب العربي | بيروت

(١٦) كتاب زاد المسير في علم التفسير | ابن الجوزي | الطبعة الثالثة | المكتب الإسلامي | بيروت

(١٧) كتاب الروح | ابن القيم | مجمع الفقه الإسلامي | جدة

(١٨) كتاب تنبيه الغافلين | أبو الليث السمرقندي | الطبعة الثالثة | دار ابن كثير | بيروت

(١٩) كتاب الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع | جلال الدين السيوطي | الطبعة الأولى | دار ابن القيم | الدمام

(٢٠) كتاب شعب الإيمان | أبي بكر البيهقي | الطبعة الأولى | دار الكتب العلمية | بيروت

(٢١) كتاب فيض القدير شرح الجامع الصغير | عبد الرؤوف المناوي | الطبعة الثانية | دار المعرفة | بيروت

(٢٢) كتاب الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (أو الداء والدواء) | ابن القيم الجوزية | الطبعة الأولى | مكتبة ابن تيمية | القاهرة

(٢٣) كتاب الفوائد | ابن القيم الجوزية | دار عالم الفوائد

(٢٤) كتاب أحكام أهل الذمة | ابن القيم الجوزية | الطبعة الأولى | رمادي للنشر | الدمام

(٢٥) كتاب الفتاوى الكبرى | ابن تيمية | الطبعة الأولى | دار الكتب العلمية | بيروت

(٢٦) كتاب مجموع الفتاوى | ابن تيمية | دار الوفاء | المنصورة

(٢٧) كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم | ابن تيمية | الطبعة السابعة | دار عالم الكتب | بيروت

(٢٨) كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر | ابن تيمية | الطبعة الأولى | دار الكتاب الجديد | بيروت

(٢٩) كتاب الحبائك في أخبار الملائك | جلال الدين السيوطي | الطبعة الثانية | دار الكتب العلمية | بيروت

(٣٠) كتاب ذم الهوى | ابن الجوزي | الطبعة الأولى | دار الكتاب العربي | بيروت

(٣١) كتاب دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين | مالك بن نبي | دار الفكر | الجزائر

(٣٢) كتاب في ظلال القرآن | سيد قطب | دار الشروق | القاهرة

(٣٣) كتاب العالمانية طاعون العصر | سامي عامري | الطبعة الأولى | تكوين

(٣٤) كتاب مشكلة الشر ووجود الله | سامي عامري | الطبعة الثانية | تكوين

(٣٥) كتاب الإسلام بين الشرق والغرب | علي عزت بيجوفيتش

(٣٦) كتاب حسن الظن بالله | إياد قنيبي

(٣٧) كتاب الطريق إلى القرآن | إبراهيم السكران

(٣٨) كتاب رقائق القرآن | إبراهيم السكران | الطبعة الأولى | دار الحضارة | الرياض

(٣٩) كتاب سلطة الثقافة الغالبة | إبراهيم السكران | الطبعة الأولى | دار الحضارة | الرياض

(٤٠) كتاب مسلكيات | إبراهيم السكران | الطبعة الأولى | دار الحضارة | الرياض

(٤١) كتاب الماجريات | إبراهيم السكران | الطبعة الثانية | دار الحضارة | الرياض

(٤٢) كتاب العقلية الليبرالية في رصف العقل ووصف النقل | عبدالعزيز الطريفي | الطبعة الأولى | دار الحجاز | الإسكندرية

(٤٣) كتاب تحذير الغافلين من خطر الهزء بالدين | جمال الباشا | الطبعة الثانية | دار مأمون | عمان

(٤٤) كتاب الإلحاد الروحي وخطره على العقيدة والعقل | هيثم طلعت | الطبعة الأولى | تبصير

(٤٥) موقع الدرر السنية https://www.dorar.net/: اعتمدت عليه كثيرا للوصول للأحاديث وتخريجها وآراء المحدثين.